

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٠٣١٥

جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشريعة
فرع العقيدة

الإسلام

وأشارة في الحياة الأوربية الحديثة

رسالة مقدمة لنيل درجة التخصّص الأولى (الماجستير)



من الطالب:
صالح السبيح بابن صالح

بإشراف الاستاذ:

محمد الغزالي

١٤٠٠ - ١٤٠١ هـ

٢١٥

٢٠٠٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى
أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ
تَصُدُّوَنَا عَمَّا كَانِ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاقْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ .
ابراهيم ١٠٦

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ
تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ
قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . البقرة ١١٨
أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ
حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . المائدة ٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

ان الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ونستعديه ، ونعوذ
بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا .. من يهده الله فلا مضل له ومن
يضلل فلا هادي له ..

وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له .. وأشهد ان محمدا
عبيده ورسوله .. اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين نصبوا
انفسهم للدفاع عن بيضة هذا الدين الحنيف ..

أما بعد : ان من اعظم فضل الله - عز وجل على الأمة الاسلامية
أن ارسل فيها افضل نبي وافضل دين .. دين كان ابرز صفاته ، أنه من صنع
بارئ هذا الكون .. ومنشئ نواميسه وقوانينه .. والعالم بما يجد فيه
وما يتطور .. دين وجه الفكر الانساني الى العلم بالله ، وملا القلب الانساني
بالخشوع لله .. ثم عن طريق العلم شرح قضية الوجود .. ووظيفة المرء في الحياة ،
شرحا عاما بالصدق والجمال ..

لقد كان في علمه - سبحانه وتعالى - هذا التطور التاريخي ، وما
يترتب عليه من تطور اجتماعي واقتصادي وفكري عام .

ولذا وضع الخطوط الثابتة

والقواعد الشاملة

والمبادئ العامة .. التي لا تخرج احوال الانسان في النهاية عن حدودها
وترك التطبيقات لتطور الزمان ، وبرز الحاجات في حدود مبادئه العامة
وقواعده الشاملة ..

لا شيء الا انه يريد ان نكون دائما في المقدمة .

قال تعالى * كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ *

وقال ايضا * وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس
وَيَكُونَ الرِّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا *

ولا يريد أبدا ان ننطلق الى التشريع الفرنسي البائس المنكود تارة مع
اليمينيين وتارة مع اليساريين نستمد منه القانون ..

أوالى النظريات السياسية الغربية الظالمة الثعلبية ،
نستمد منها نظام الحكم

أوالى الفكر الغربي الملحد الحائر .. نستمد منه التصور لمصرفة
الله والكون والانسان .. كلا ! وانما جعل لنا مبادئ وقبلا .. نسير على
ضوءها .. في ظلمات الاحاد والمادية ..

بهذه المبادئ السامية وهذا الفهم العميق لمدلول " لا اله الا الله "
قامت دولة الاسلام يانعة الحضارة ، واسعة السلطة ، عظيمة الهيبة ، ظلت
في المجال العالي ، الدولة الاولى بين أتراكها ... لا عشرات السنين بل
مئات من السنين قاربت الالف عام .

وهذه الدولة الاسلامية انفردت بالصدارة دهرها طويلا ، ثم شاركتها
في هذه المكانة المرموقة ، بعد قرون طويلة دول أخرى ...
واذا كانت الولايات الامريكية ترى في عصرنا هذا اعظم دول الأرض
بنازعها في ذلك الاتحاد السوفييتي .. فان الدولة الاسلامية ، في عصرها الطويل
المديد ، كانت أشرف مكانة وأعز نفرا ..

وقد ظلت أمدا غير قصير لا يجرؤ أحد على مطاقتها ...

ولم يكن هذا السبق العالي ، كسبق داتين الدولتين اللتين تتسابقان
الى التسليح لتدمير الجنس البشرى - كلا - بل كانت احوال المسلمين العلمية
والخلقية والمدنية والعسكرية ، ترجح كفتهم في كل موازنة .. وتعلو رايهم
في كل سباق ..

ولم يكن هذا الرجحان وليد حضارة قديمة انتفع الاسلام بها ، أو نتيجة
ارتقاء محلي مشى الاسلام على قمته .. لا هذا ولا ذاك !
بل جاء بمبادئه السامية واخلاقياته الفذة التي بذل فيها فقهاء هذا
الدين ومفكره جهدهم الضخم المشكور في تطبيق تلك المبادئ على
تطورات الأمور ، لكن تلبى حاجات المجتمع المتجددة في ذلك الزمان ، الذي
كان المجتمع فيه محكوما بشريعة الاسلام ..

* * *

ثم وقف هذا الجهد - مع شديد الأسف - منذ أن غلب الاستعمار
الصلبي دار الاسلام في الشرق والغرب وفي كل مكان ..
فاذا بالامة الاسلامية تأخذ في الانحطاط ، وحضارتها تأخذ في
الذبول ..

فقامت اوربا وتقدمت ونجحت في دراسة الانسان من زوايا كثيرة ..
لقد تقدمت علوم النفس والاجتماع والاخلاق والاقتصاد والسياسة تقدما
غير منكور .. وسار معها على الدرب تقدم آخر في علوم الطبيعة والكيمياء
وسائر الدراسات الكونية ..
وبدأ كأن الانسان يتبوء مكان السيادة المطلقة في عالم دانت
له عناصره واستكانت قواه ..

والحقيقة : لنعترف بأن علم الدين في العصر الأخيرة لم تحسبوا
بسط هذه القضية ولا اضاءة الأفتدة بتوضيحها ...

دراسهم

وقد انكششت او انهزمت امام التيارات المناوئة لأسباب عديدة ، ان هذا البحث معنى بدراسة تلك الأسباب وآثارها ، حتى لا يكون المبطلون الملاحدة ، أقدر على اقتياد العالم من المؤمنين .. وحتى لا يحرم العالم خيرا هو أفقر ما يكون اليه ..

ومع هذا التقدم الصناعي والسياسي والفكري .. ان اوربا ، قد جرت فلسفتها وعلمها واخلاقيها واقتصادها واجتماعها وسياستها وقانونها .. وبالجمله كل ما يتصل بها .. قد جرى كل ذلك من نقطة انطلاق منحرفة .. وهي الالحاد وانكار الخسبيات والنبوات ..

وبقيت تخطو وترتقي في وجهة غير صحيحة حتى انتهى الى مرحلة ترى منها نهاية هذه الحضارة وهي الهلاك .. لذا اصبح الانسان غريبا في العالم الذي ابتدعه .. لا يستطيع أن ينظم دنياه بنفسه .. لأنه لا يملك معرفة عظيمة بطبيعته وجماليته به مطابق ..

ان الحضارة العصرية ، تجد نفسها في موقف صعب ، لأنها لا تلائمنا لقد انشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية اذ انها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية .. وشبهوات الملحدين .. وأوهامهم .. ونظرياتهم .. ورغباتهم ..

وعلى الرغم ، من انها انشئت بمجهود الانسان الا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمه وشكله ..

ومن ثم كان التخيبط .. وكانت الشقوة .. وكان خط الدمار الذي تنحدر فيه البشرية الى الهاوية في هذا الزمان ، وكانت هذه الأزمة الحادة التي يواجهها " الوجود " الانساني ..

* * *

لقد وقعت اوربا الجاهلة في الحاد لا مثيل له في التاريخ ثم عمت

بلوته الأرض كلها فيما بعد ..

وكان الألحاد فيها غبر من الزمان يوجد فيكون مزاجا شخصا أو
غفلة عامة أو عوجا فكريا .. ولكن الألحاد الأوربي الحديث ليس كذلك .
لأنه ثورة على الإيمان تبغى قطع دابره .. واجتبا حله ..

ان هذا الألحاد ، ليس شبيهة توشك ان تلحقها الأدلة فتتلاشى .
لا ! انه الواقع وغيره الباطل !

..... انه الجد وغيره المهزل !

..... انه الجد بر بالحياة وغيره الجد بر بالفناء ..

* * *

أما في العالم الاسلامي ، فما زال الصراع قائما بين الدين والألحاد ..
لأن الدين - من ناحية - ما زالت له قبضته على نفوس الجماهير كعقيدة وفكرة ..
رغم الجهد الضخم الذي بذله " المثقون " لتفتيت العقيدة وتحطيمها ..
ليقودوا الجماهير المسلمة الى سوق الألحاد الرائج ، في هذه الأونة الأخيرة ..
ومن ثم فما زالت هناك معركة ..

بعضهم يكتبون في اخلاص عن وجوب تطوير الدين حتى لا يفوته الركب
الحضاري الأوربي ولا يبقى في الرجعية والجمود ..

وبعضهم لا يذكر اسم الدين على الإطلاق .. وانما تراه بهاجم
المفاهيم الدينية .. كقولهم : " ان هذا الأمر لا علاقة له بالدين .. وانما
هو قضية سياسية ، وقضية اقتصادية "

وبعضهم يقول : ان الدين كان في السابق أفكارا سامية ولكن تشريعاته
وتوجيهاته ، قد نزلت بعصر معين ، وظروف معينة .. ونحن اليوم في القرن
الحشرين ، قرن غزو الفضاء وقرن النزول فوق سطح القمر .. فقد تغيرت الأمور ،
وتغيرت احوال الناس اقتصاديا وسياسيا وفكريا ..

فيجب علينا الغاء هذه الخلافة الاسلامية .. لقد شاء الله ان يتم ذلك

على يد الشيطان الكبير والطاغوت العاتى - مصطفى كمال الذى ألقى الخلافة
الاسلامية المجيدة في ٢ مارس سنة ١٩٢٤ م الخلافة التى طالما كانت خنجرا في صدر
أعداء الاسلام . فصارت الجماهير في عالمنا الاسلامي ، تتشرب هذه الابحاث
المختلفة التى يرددوها هؤلاء ، ادعاء الثقافة بمختلف وسائل الاعلام :

التحقيق الصحفي والسينما . . .

القصة والمسرحية . .

والمقالات والأخبار

الكتاب والتلفزيون . .

يقولون لهؤلاء البسطاء : هذه هي اوربا او العالم المتحضر . .

أو الأمم الراقية قد تقدمت بدون ديانة . .

و يتحتم علينا ايضا ، ان ننبد ديننا نبذ النواة لكي نلحق بالركب

الحضارى . . لأن التمسك بالتقاليد البالية هي التى تعرقل خط سيرنا

الى قمة التقدم في دنيا العلم والصناعة . . بل هي التى جعلتنا منعزلين في

زاوية النسيان . .

من هنا وقع الجماهير (في الانبهار) بهذه الحضارة المادية الاوربية . .

مصادقا لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذى لا ينطق عن الهوى . .

" لتبعن سنن من كان قبلكم ، شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو

أن احدهم دخل حجر ضرب لدخلتم . . وحتى ان احدهم جامع امرأته بالطريق

لفعلتموه . . رواه مالك وأصله في مسلم .

فجاءت على الأمة الاسلامية تيارات فكرية مختلفة :

جاءت القومية والوطنية والديمقراطية والحرية وتحرير المرأة اقتصاديا وسياسيا

وجاء مذهب النشوء والارتقاء الداروينى ومسألة الجنس بقياة فرويد اليهودى . .

وخرافة العقل الجمعى تحت سيادة دوركائم الملحد اليهودى . . .

واخيرا جاءت الاشتراكية والشيوعية بأشرف كارل ماركس الملحد الطاغى

اليهودى ايضا . .

وجاءت أشياء أخرى لا تعد ولا تحصى من الشعارات البراقة الفارقة ..
فاندفع اليها البسطاء اندفاع الفراش الى النار حتى سرب أعداء الله
على ان هذه الأمة ستلفظ انفسها الاخيرة دون ما تأخير ..
ولكن القائل * نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون * رد كبد الكائد بن
في نحورهم .. وأثبت في وسط هذه التخبطات والتخرصات ، رجالا مخلصين
* صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا *
فأعادوا باقلامهم المؤمنة الشريفة - راية " لا اله الا الله " من جديد ..
وخرجوا للناس بفكر اسلامي اصيل بعيد من شوائب الشرك .. الذي
قد غشى التصور الاعتقادي والشعائر التعبدية ، والحاكمية والطاعة ..
ان هذا الفكر المخلص يستمد - بادئ ذي بدء - من كتاب
الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .
فبينوا للناس ان الجفوة المفتعلة بين الدين والعلم في أوروبا كانت
لا سباب تاريخية - سندكرها في هذا البحث - ولا نظير لها في تاريخنا
الاسلامي ..
وفهموهم ايضا ان الاسلام لا كبرانة فيه ولا وساطة بين الخلق والخالق
فكل مسلم في اطراف الارض ... وفي فجاج البحر ، يستطيع بمفرده ان يتصل
بربه ... بلا كاهن ولا قسيس ..
والامام المسلم لا يستمد ولاياته من " الحق الالهي " ولا من الوساطة
بين الله والناس .. انما يستمد مباشرة السلطة من الجماعة الاسلامية ..
كما وضعوا للناس مرة اخرى .. ان الدين الاسلامي لا يعتمد على الخوارق
والمعجزات انما قام على التأمل والنظر في آيات الله في الانفس والافاق ..
ثم * ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري
في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد
موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض
آيات لقوم يعقلون * البقرة ١٦٤

فلا جفوة - اذن - بين الدين الاسلامي والعلم الصحيح المؤدى الى معرفة الله عن طريق آياته في الانفس والآفاق ..

فاذا اضطرت اوربا الجاحلة لتنحية الدين عن حياتها العامة فلسفنا مضطرين ان نجاريها في هذا الطريق .. لأن طبيعة دينهم ليست كطبيعة ديننا ولا تاريخهم كتاريخنا ..

كما اشاروا لهؤلاء " المثقفين " الى ان سبب انحطاط هذه الأمة في هذه الخربة الثانية هو انحرافها عن حقيقة كلمة " لا اله الا الله " وأن الطريق الى استعادة عزتنا ومجدنا يتبدى من تصحيح مفهوم " لا اله الا الله " كما صححه الرسول صلى الله عليه وسلم في الخربة الاولى للاسلام الذى يقول : بدأ الاسلام غربيا وسيعود غربيا كما بدأ فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس .. او كما قال النبي صلى الله عليه وسلم * ولم تكتف هذه الاقلام المؤمنة بتصحيح مفهوم " لا اله الا الله " بل بدأت ايضا تكشف عن المذاهب الهدامة الأوربية ، امام أعين الناس مخافة ان تتكرر المأساة وتحقيقا لقوله تعالى :

* وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين *

ومما لا شك فيه ان علمائنا الافاضل قد اتخذوا شتى الوسائل للوقوف امام الخطر الاحادى . وقد تختلف الاساليب بين مفكر ومفكر .. ولكنه اختلاف كاختلاف الابرة المغناطيسية في السفن التى تعبر المحيط المجهول ..

هذه الى اليمين ..

وهذه الى الشمال ..

وهذه مترددة ..

وهذه عائدة بعد التردد .

وكل ابرة في كل سفينة لها حركاتها ولها رجعاتها ولكنها لا تختلف الا لأنها تحاول جميعا ان تصل الى قطب واحد .. هو قطب الشمال ..

وهكذا كان مفكرونا في دحض خرافات الالحاد .. بعضهم كانوا يكتبون ... وبعضهم يلقون الخطب ... وبعضهم يؤسسون دراسات اسلامية تخصصية .. تدرس العقيدة الاسلامية .. كما تدرس العقائد الالحادية على ضوء المنهج الاسلامي النبيل .. وقصدتهم جميعا اخراج فكر اصيل للناس من الكتاب والسنة ودحض الافكار الالحادية ..

وكان من بين هؤلاء المؤسسين للدراسات الاسلامية شيخنا المرحوم المخلص " محمد الامين المصري " اسكنه الله في فرا ديس جناته ... الذي كان رئيسا لقسم الدراسات العليا بكلية الشريعة بكلية المكرمة .. ولم بدخرا جريدا الا بذله حتى ادخل مادة " المذاهب الفكرية المعاصرة " في برنامج الدراسات العليا لفرع العقيدة ..

وكان من توفيق الله ان اسند تدريس هذا الفرع ، فرع العقيدة ، الى اعلام من اعلام الامة الاسلامية .. منهم الاستاذان الشيخ محمد الغزالي ، والشيخ محمد قطب ..

اما الاول فقد اسند اليه تدريس مادة (الكتاب المقدس) الجامع للمعلومات المظلمة والاخبار المتناقضة ، ندرسه لكي نعرف الفرق الجوهرية بين هذا الكتاب المحرف وبين القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم علیم .
وأما الاستاذ الثاني فقد اسند اليه تدريس مادة المذاهب الفكرية المعاصرة .. ندرسها ايضا لنتبين سبيل المجرمين والملاحدة ..

وقد ايقنت بعد موافقة اللجنة على الموضوع اننى - لامحالة - مقتحم في ليج بحر لائسى بدأت اخوض في ميا دین بحيدة عن مجال دراستى الشرعية البحتة التي تلقيناها في رحاب الجامعة الاسلامية شرفها الله بطيبة الطببة .

فلذا خصصت جل اوقاتي في مطالعة الفكر الخرى ، وقد استغرق ذلك

نصف المدة المحددة للرسالة - تقريبا - . . . وكنت في ذلك استرشداً
بالتوجيهات القبة والاراء المستقبية التي كان استاذي الفاضل والمشرف على هذه
الرسالة الشيخ محمد الخزالي ، يزودني بها فاهلعت على اكثر اميات
النظريات والاتجاهات الا وربية في مختلف الميادين . . . في العلم والسياسة . . .
والاقتصاد والاجتماع والادب والفن . . .

هناك كلمة يجب ان اسجلها شكرا لله تعالى الذي ابتلاني ثم
عافاني . . . فقد ابتلاني الله تعالى باندلاع تاركبيرة في الصمارة التي
كنت اسكنها فذهب ضحيتها جل من كان عندنا من ممتلكات . . . فبقيت انا
وعبالي في تلك الليلة وهي ليلة ٢٧ من شوال سنة ١٣٩٩ هـ بدون مأوى . . .
والحمد لله على ذلك . . .

ثم ابتلاني ايضا في اثناء اعداد هذه الرسالة بشروء اكبر اولادي الذي
غاب عن البيت اكثر من ثلاثة اعوام . . . فكم من وقت استغرقناه في البحث عنه . . .
والشكر لله الذي لا يحمد على مكروه سواه . . .
ولكن كل ذلك لم ينقص شيئا من همتي ولا من عزمي الذي لا يعترف
بالباس والقنوط . . .

وكان من توفيقه تعالى ايضا لكاتب هذا البحث ان يلتحق بفرع
المقيدة وان يختار رسالته لتبل درجة التخصص الاولى " الماجستير " في
هذه المادة على يد ذلك الاستاذ الشيخ محمد الخزالي حفظه الله . . .
وان كان بطيب لي ان اختار موضوعا فكريا ، ولكني ما كنت اهتدي
الى هذا الموضوع بالذات الا بتوفيق الله اولا ثم بتوجيهات هذا الاستاذ
الذي كان يحرص دائما على ان نختار موضوعا فكريا للوقوف على تفاهة
الاحاد والمحدثين . . .

ولذا اخترت هذا الموضوع : " الاحاد وأثرها في الحياة الا وربية " ^{طريقتي}
وقد أثرته على غيره لعدة أسباب :

- ١ - تفهيم المثقفين الذين يريدون تعبيد امتنا الاسلاميه
للغرب . ان ظروف اوربا التي ساعدت على ظهور الالحاد تختلف عن ظروفنا
وعن طبيعة الاسلام وطبيعة تاريخنا .
- ٢ - تحذير الاجيال القادمة من خطورة الالحاد على الانسانية بأسرها ،
وما يترتب عليها من آثار سيئة . فاوربا - اليوم - هي الدليل . .
- ٣ - غموض المعنى الحقيقي لهذا الاصطلاح . . فقد غاب عن
حسن كثير من الناس ان الانحراف في التصور الاعتقادي وفي الشريعة والشرعية
لا يدخل في معنى الالحاد . . انما الالحاد عندهم انكار وجود الله
فحسب . .
- واخيرا احمد الله تعالى الذي أرانى الفكر الالحادي الغربي على
حقيقته حتى علمت ان هذه الافكار ليست فحسب ، مجردة من السند
الحلى ، ولكنها ايضا تافهة وحقيقية . .
- والذى أتمناه - بعد هذا البحث - ان يوفق الله كل شاب من شباب
العالم الاسلامي ان يقف على تافهة هذه الافكار الالحادية وعلى تخبطات
رجالها التائهين الحائرين . . . ويقف ايضا على طغيان الكيسة وحماقات
رجالها . . الذين جعلوا الناس - في اوربا - يشردون من ظل الكيسة . .
ومن ظل كل الدين - شرودا لا عقل فيه ولا وعي ، ولا مجال لتحكيم العقل
والوعي . .

* * *

ثم بدأت الكتابة مقسما الموضوع الى ثلاثة ابواب . . ثم قسمت تلك الابواب
الى جزئين :

أما الجزء الأول فيشتمل على الموضوعات التالية :

- أ - التعريفات
ب - ظروف عامة ساعدت على ظهور الالحاد الحديث . .
ج - الباب الأول

أما التصريفات فقد اثبتنا فيها ان الالحاد لفظ عربي موضوع للمبيل
والازوار عن الوسط حسا ومعنى . وأيدنا هذا القول بشواهد من القرآن
الكريم والمعاجم اللغوية ..

ثم تحدثنا عن كلمات ثلاث قد استغلها الملاحدة ابشع الاستغلال للوصول
الى غرضهم الخبيث .. لانها تعبر عن المقصود دون صدام للمشاعر والاحاسيس
وهي كلمة : الحضارة والتطور والعلمانية . فبيننا نواياهم الخبيثة ..
وأما الذلوف .. قد تحدثنا فيها ان هذا الالحاد الاخير لا مثيل
له في التاريخ فأيدنا ذلك بشواهد من التاريخ ابتداء من العصر اليوناني
فالعصر الروماني — والعصر الجاهلي واخيرا العصر الكنسي .. فكل ذلك
أثبت بشكل واضح ان هذا الالحاد فريد في نوعه وشكله ..

وفي نهاية هذا الفصل سيجد القارئ ان الملاحدة اتخذوا العلم
الحديث سندا لاثبات الحادهم والعلم برئ من ذلك ..

ثم قدمنا فكرة عامة عن أوروبا الحديثة .. لانه من المستحيل ان
نقدم اكثر من موجز بسيط لقارة تضيق عنهما الاسفار الكبيرة فاكتفينا بثلاث
نقاط رئيسية ..

(١) — متى بدأت العصور الحديثة

(٢) — الصراع بين الدين والعقل والحس في التاريخ الأوروبي

(٣) — أوروبا في النهضة العلمية ... وقد اثبتنا بشواهد كثيرة من قلب
أوروبا نفسها ، كلها تؤكّد بصورة جازمة ان الحضارة الغربية
لم تأت بشيء من المجالات العلمية الا ويمكن ارجاع اصله الى مؤثرات
الثقافة الاسلامية ..

وأيدنا ذلك أيضا بصور فوتوغرافية ، لتثبت أن العلم كان أهم

ما جادت به الحضارة الاسلامية على العالم الحديث ...

الباب الأول : لماذا الحد الناس في أوروبا الحديثة ؟

وسبرى القارئ ان هذا السؤال قد اجيب عنه بأسلوبين :

أولا :

اسلوب الملاحدة الذين يرون ان سبب الالحاد هو : ممارسة العلم

مع الدين المبني على الخرافة ..

ثانيا :

اسلوب المفكرين الاسلاميين وغيرهم . فهم قد ذكروا في كتبهم أسبابا

كثيرة فاستطعنا ان نجمع هذه الأسباب المنتشرة في ثانيا كتبهم ونقسمها الى

قسمين أساسيين :

أ - أسباب ظاهرة ..

ب - أسباب خفية ..

وأما الأسباب الظاهرة فذكرنا منها خمسة أشياء فهي تعتبر بحق أكبر

الأسباب التي اقترنت بمسألة العقيدة منذ القرن السادس عشر .. والتي كان لها

شأن قوى في اضعاف العقائد الموروثة على تقدير الباحثين بالاجماع .

وقبل ان نتحدث عن تفاصيل هذه الأسباب الخاصة بالالحاد الحديث

قد نعرضنا أولا إلى السمات المشتركة بين جميع الملاحدة قديما وحديثا .. وأثبتنا

ان هذه السمات توجد لدى جميع الملحدين رغم اختلاف الصور الالحادية ..

ذلك ان الالحاد ليس شيئا لا يوجد الا في فترة من الزمن محدودة في ثانيا

التاريخ وليس هو الشيء الذي يمثل العلم والحضارة والمدنية والتقدم المادي

كما يقولون .

لقد اثبتنا ان الالحاد هو رفض الاهتداء بهدى الله ، ومحاولة اقامة

الحياة بمعزل عن الدين .. فهذا لا علاقة له بالبيئة والتطور الاقتصادي

والاجتماعي والسياسي ..

فقد أجطنا هذه الملا مع في خمسة أشياء :

(١) - كراهة ما انزل الله

(٢) - البحث عن الله عن طريق الحس فقط

(٣) - لتباع اليهود

(٤) - الانجراف في الشهوات

(٥) - وجود الطواغيت في الأرض

ثم بينا الاسباب الخاصة بأوربا الحديثة فقلنا :

السبب الاول هو : الدين الذي كبرت بها أوربا وشارت عليه . قد

بدأنا الحديث بالتوراة المحرفة حيث اثبتنا تحريفها بعدة طرق :

١ - بالاخبار التاريخية

٢ - بالمعلومات المتناقضة المظلة

٣ - برواية الطوفان ..

وقد اوضحنا ان عقيدة اليهود في الهم (يهوه) عقيدة فاسدة

وكذلك عقيدتهم مع انبيائهم الذين صورهم اليهود في صور قطاع الطرق
والفسقة ..

وسبلا حظ القارئ وقوفنا الطويل عند طغيان الكهنة وحماقات

رجالها .. وما ذاك الا لعلنا بأن السبب الاكبر في انحراف أوربا

من صنع الكهنة .. كما بينا ان الاسلام كما يحارب الالحاد ، يحارب ايضا
الخرافات والخزعبلات .

السبب الثاني : قوانين المادة .. واثبتنا ان الملاحدة اتخذوا هذه

القوانين التي نسميها بالسنن الربانية - سنداً لتوطيد أركان الالحاد ..

وتتبعنا تطورات هذه الفكرة في التاريخ .. منذ ايام علامة الفلك

الفرنسي (لابلاس) المعاصر للأمبراطور الفرنسي نابليون بونابرت - وأثبتنا

كلمته المشهورة التي يقول فيها :

” اننى لم اجد في نظام السماء ضرورة القول بتدبير اله ”

ثم ذكرنا نظرية كوبرنيك ونظرية نيوتن .. واثبتنا اخيراً ان هذه

القوانين لا تدل على الالحاد لو وجدت في بيئة صالحة لأنهم آية تدل على وجود

ان هذا أمر يجب أن تكون له صفة الاستمرار والدوام في حياة الجماعة نفسها وفي نداء القرآن للرسول ﷺ بقوله :

﴿ يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ (١)

وتوجيه النداء على هذا النحو للرسول باعتباره راعيا ورئيسا للجماعة المؤمّنة مما يوّد أن الاسلام لم يكن وقفا على تبليغ رسالة بل كان رعاية أيضا لاستقرار هذه الرسالة وتمكينها ، سواء في وقت الرسالة أو بعده أي هودين ... ودولة معا ...

أنواع الالحاد

نريد هنا أن نفرق بين الالحاد الذي يجب أن تعلن الجهاد ضده وبين غيره الذي نكتفي فيه بالموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ..

وإذا رجعنا الى كتب التفاسير ، نجد أن الراغب قد أشار الى هذه التفرقة فقال : " الالحاد ضربان :

الأول : الحاد الى الشرك بالله

الثاني : الحاد الى الشرك بالأسباب

(١) سورة التوبة ٧٣ وسورة التحريم : ٩

(٢) تفسير المنار رشيد رضا ج ص

وأما دور اليهود في افساد اوربا فسجد القارئ اننا اثبتنا ان هذا

الدور كان خطيرا جدا وانه كان في شئئين اثبتين :

دور عملي ودور نظري .

فالعملي يمثل الثورة الفرنسية والثورة الصناعية : قد اكبت بروتوكولات

اليهود انهم كانوا وراء كل ثورة قامت في اوربا وفي مقدمتها الثورة اليهودية

التي نسميها - خطأ - بالثورة الفرنسية ..

وقد اثبتنا علميا ان اليهود كانوا هم الممولين لهذه الثورة كما اثبتنا

ان اليهود ايضا كانوا وراء الثورة الصناعية التي افسدت اخلاق اوربا . وقد وقفنا

عندها طويلا .. وسهرى القارئ اننا اوضحنا كيف استغلت اليهودية العالمية

النظريات والمنظمات السرية لنشر الالحاد في اوربا ..

ولم نكتف بما يخص اوربا فحسب بل تحدثنا عن البد اليهودية

الخفية التي كانت سببا لا لغاء الخلافة الاسلامية .. وقد بينا الوسائل التي اتخذوها

للوصول الى هذا العمل الاجرامي الخطير ... كاستغلالهم هذا الشيطان الكبير

مصطفى كمال واستغلال الصليبية واستغلال القومية العربية ..

وأما المسبب الثاني من اسباب الالحاد الخفية هو : رجوع اوربا

الى ارضها الوثني اليوناني القديم ..

وقد بينا ان الملاحدة لم يكونوا يريدون الخير للانسانية والالرجعوا

الى الدين الاسلامي بعدما رفضوا المسيحية الظالمة ..

الى الاسلام الذي يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عندهم اصرهم

والاغلال التي كانت عليهم .

ولكن الالحاد منحهم من كل ذلك ..

وبهذا انتهينا من الجزء الأول من هذا البحث .

الجزء الثاني : يشتمل على الباب الثاني والباب الثالث

الباب الثاني : موضوعه مناقشة الملحدين .

ان هذا الباب من أهم الايواب في الموضوع وقد ركزت أن اقسمه الى ثلاثة فصول ولكن قبل ان ادخل في تفصيل ذلك مهدت له تمهيدا وقلت : اننا عندما نحاول مناقشة الملحدين في انكار وجود الله لا لكونها ادلة قائمة على الحق : وانما نناقشها باعتبارها شبهة تمسك بها الملاحدة . . . والا لا يوجد احد على الاطلاق ^{تطهر} أن يثبت انكاره لوجود الله بدليل . كما لا يستطيع احد ان ينفي فكرة الله ^{وجود} بدليل . . . ولكن لما تسربت هذه الافكار الى عقول بعض الناس فألحدوا ، كان واجبا على أن نقوم - بدورنا - لتحطيم هذه الأفكار الخبيثة في القلوب . . .

الفصل الأول : تحدثنا في هذا الفصل عن بعض مستندات الملاحدة . . . واكتفينا

بمناقشة ثلاثة منها لانها تعتبر أهمها وأشهرها وهي :

(١) اصل الكون ونصيب الصدفة منها

(٢) نشأة الحياة وتنوعها

(٣) الدين يتعارض مع العلم الحديث

وقد ناقشنا أولا اصل الكون وسبرى القارىء ان الملاحدة ليس لديهم برهان يقينى في اصل الكون وانما قدموا للناس ثلاثة فروض كل واحد منها ينقض الآخر . . . وما اكتفينا بنقض هذه الفروض فحسب بل أبرزنا لهم وجهة نظر القرآن في هذا الباب .

الفصل الثاني : ناقشنا الملاحدة في نشأة الحياة وتنوعها . . . وأبطلنا جميع ادلتهم

فيه حتى تبين انهم يهربون من الأمر الواقع وهو وجود الله .

وتحدثنا ايضا عن روسيا في محاولتها امكانية نشأة الحياة كيمائيا كدليل

تثبت به مذهبها الالحادى . . . وسبرى القارىء انها فشلت في ذلك فشلا ذريعا . . .

وناقشناها مناقشة هادئة حتى لم يبق امامها أى مخرج أو منفذ ..
وفي النهاية قررنا ان نشأة الحياة شئ استأثر الله بعلمه . وابدنا
ذلك بآيات قرآنية واقوال بعض العلماء المنصفين من الأوربيين ..

الفصل الثالث : موضوعه الدين يتعارض مع العلم الحديث .. وسيرى القارئ
اننا سقنا أولا ما يعتبره الملاحدة كدليل يثبت مزاعمهم هذه ، ثم ناقشنا هذه
الأدلة واحدة اثر واحدة حتى لا يستطيع ملحد مهما كان بلغ عتوه أن
يتفلس منا .

وبينا ان مصدر الضلال عند الملاحدة هو طريق الاستدلال العلوي
وفذلك ان هذا الطريق لا يعتبر شيئا علما الا اذا كان كيلا او موزونا ،
أوما بدخل تحت التجارب الحسبية .
وقد فندنا هذا الادعاء بالعلم الحديث نفسه وبالقرآن أيضا .

* * *

الباب الثالث : موضوعه : اثار الالحاد في الحياة الاوربية .
لقد رأيت منذ وضع خطة الموضوع انه لا ينبغي بحث الالحاد بصفته
مذهبا فكريا تافها دون التعرض لاثارها في الحياة الاوربية ..
والحق ان تتبع اثار الالحاد جد بربرسالة مستقلة لكننى ارجو ان اكون
قد وفقت لعرض نماذج منها مع مراعاة حجم هذه الرسالة ومدتها ..
ان الذى يتبع آثار الالحاد في أوربا ، يجد انهم يعيشون في ضنك
شديد لأنهم قد سلموا قيادتهم للفريزة الجنسية حين قصروا غاياتهم في الاشباع
المادى .. فصاروا أضل من الأنعام ..
وقد قسمت هذا الباب الى ثمانية فصول .. لأنه هو الباب الرئيسى فى

الموضوع .. ذلك ان صلاحية المذهب لا تتبين لكل الناس الا بالاثار .. فسبى
القارئ الولايات التي جلبتها الافكار الالحادية الى اوربا ثم عمت مصائبها
العالم بأسره ..

الفصل الأول : قد مهدت له بالحديث عن فساد اخلاق اوربا وان حضارتها قد
انشئت على قواعد خاطئة .. ولكنها لا تدري ان الفساد من اصل حضارتها ..
فتجدها - دائما - تحاول معالجة الفروع .. وأبدنا هذا التقرير بشواهد
من الواقع المؤلم ومن القرآن الكريم .

وقد تحدثنا في هذا الفصل عن آثار الالحاد في الفكر الغربي وأثبتنا
أن هذه الافكار جاءت عن طريق عدد من فلاسفة أوربا منهم ديكارت صاحب
المذهب الاستنباطي وفرنسيس بيكون صاحب المذهب التجريبي .. كما
تحدثنا عن آثار الالحاد في فكر عمانويل كانت وأوجست (كانت) وفكر
هيوم الملحد ..

ثم وقفنا وقفة بسيرة مح رواد الفكر الغربي هم :
داروين وفرويد ودوركاهم وكارل ماركس
واختتمنا هذا الفصل بالمذهب البراجماتزمى الذى تتبناه اليوم الولايات
الامريكية .

الفصل الثانى : آثار الالحاد في الحكم والسياسة .
اثبتنا فيه ان اوربا لم تعرف دين الله الحق وان شريعة المسيحية لم
تتأق في عالم الواقع . فجاء عصر التنوير للقضاء على البقية الباقية وايدت هذا
التقرير باقوال بعض المفكرين كأمثال ابي الحسن الندوى .
ثم قررنا اول من دعا الى عزل الشؤون الاجتماعية عن فكرة الدين هو
” ميكاافلى ” ثم تحدثنا عن مظاهر الالحاد في المذاهب الجديدة ..
ثم لم نكتف بذلك ولكننا تحدثنا ايضا ان المساواة التى تدعيه

الديمقراطية حبر على ورق ودلبلنا في ذلك الدول الديمقراطية نفسها حيث
انقسم الناس هناك الى فقراء واغنياء ..

وبينا هنا ان الحرب الفيتنامية التي دخلتها امريكا تتنافى مع الديمقراطية
والمساواة .

واخيرا اثبتنا ان مما يتنافى مع المساواة والحرة والاخوة التوسع في بيع
العبيد الذي قامت به أوروبا وامريكا ..

الفصل الثالث : موضوعه : الخمر وعجز القوانين الوضعية

وقد اثبتنا في هذا الحجز ان الانسان عاجزان يجعل لنفسه مضراجا
يسهر في ضوئه في حياته .. واستدللنا على ذلك ان امريكا قد فشلت في ذلك
بحيث منعت شرب الخمر لمدة لا تقل عن اربعة عشر سنة ثم عادوا لشربها
بشكل فظيع ثم قارنا بين التجربة الامريكية وبين التجربة الاسلامية فتبين
ان الانسان عاجزان يضح لنفسه مضراجا حياته وان اصر على ذلك فهناك اضطراب
وتيه .. وشقاوة وأبدنا هذا التقرير بقول الدكتور الكسيس كاريل القائل :
ان جهلنا مطبق .

الفصل الرابع : مشكلة العقوبات في القوانين الوضعية .

قمنا بالمقارنة بين نظرية العقوبات الشرعية الاسلامية وبينها في القوانين
الوضعية .. سيجد القارئ ان الفرق بينهما بون شاسع ..
ثم استشهدنا بالملكة العربية السعودية التي لم تزل تنفذ العقوبات الشرعية
واثبتنا ان معدل الجرائم فيها اقل بكثير من الدول المتحضرة ..

الفصل الخامس : ظهور اثار الاتحاد في الدول الكبرى .

وقد اتينا بتقارير صارمة تبين ان فوضى الجنسية هي التي بدأت
تهلك أمم الغرب .. اتينا بشواهد من فرنسا وبريطانيا وروسيا وامريكا وغير
ذلك ..

الفصل السادس : اسباب تدنير الأمم والشعوب .

قد اثبتنا ان جريمة الشعب أو الأمة هي سبب هلاكها . .
واستشهدنا على ذلك بآيات كثيرة من القرآن الكريم .
كما اثبتنا انه ليس بهذا الهلاك والتدمير ان تقلب طبقات البلاد بل من
صور الهلاك ان يشتت أمر الأمم وتكسر قوتهم الاجتماعية وتضرب عليهم الذلة
والعبودية والخزى . .

الفصل السابع : عقوبة الفطرة .

فقد اتينا بتقارير صحيحة ما جرى في عروق الملاحدة من عقوبة . .
وسجد القارئ ما تكبدته البشرية في الحرب العالمية الاولى . . وما جرى في
فرنسا حتى اصبحت بعض النساء تنتحر . . وذكر ما في سائر الدول الغربية
وما اشتق منها من امريكا وروسيا . .
وتعرضنا على الاستعدادات الحربية التي توجد اليوم في أمم
الغرب انتظارا للحرب العالمية الثالثة .

الفصل الثامن : موضوعه : حضارة لا تلائم الانسان .

تحدثنا عن الشروط اللازمة للمجتمع المتحضر . . ثم قارنا بين المجتمع
الغربي والمجتمع الاسلامي فاتضح ان المجتمع الغربي مجتمع متخلف .
وأبدنا هذا التقرير بشواهد من العلماء الأوربيين وغيرهم .
وأخيرا تحدثنا عن كيفية الخلاص من الالحاد . .
وسرى القارئ اننا اثبتنا ان الايمان المصيق الذي لا يعترف بشك
ومعرفة صفات الله تعالى كما أخبر بها القرآن من غير تمثيل ولا تكيف ولا تعاطيل
ولا تحريف . . هما طريق الخلاص من الالحاد . .

كما سرى القارئ اننا اثبتنا بالأدلة الصارمة ان الملحد والنافي
لصفات الله يلتقيان في النهاية على نقطة واحدة فالملحد يؤمن بقوة مطلقة

سماها الطبيعة . والنظري كذلك يؤ من باله قد جرد من جميع صفاته حتى صار قوة مدالقة . . وأبدنا هذا التقرير بشواهد عديدة من القرآن ومن أقوال العلماء المحققين . . فكان هذا نهاية هذا البحث .

والحق ان تضخم حجم الرسالة مع انتهاء المدة المقررة لها قد حال دون الافاضة والتفصيل في بعض الموضوعات لا سيما ما يتعلق بآثار الاحاد في العالم الاسلامي المعاصر . .

كما حال دون الاسترسال في الخاتمة .

وحرصا على ان يستفيد القارئ من شرح بعض الكلمات وأعلام الانسان والبلدان استعملنا الرقمين : العربي والافرنجى . أما العربي فللاشارة الى المراجع في الهامش وبعض الاعلام تارة . . .

وأما الافرنجى فللاشارة الى الحواشى التي سبجدها القارئ بعد

كل باب .

وكل ما أرجوه هو ان يتقبل الله منى هذا العمل خالصا لوجهه الكريم . . وأن يسهل الطريق لكل من يريد ان يسلك هذا الطريق من بعد لنصل الى تحطيم جميع الأفكار الالحادية والنزىل الغبشى عن هذه الشريعة الاسلامية الفراء .

(شكر وتقدير)

وانى اذ اشكر الله تعالى على توفيقه وكرمه لا شكر من بعده فضيلة الشيخ العباد الذى كان نائبا في الجامعة الاسلامية وفضيلة الشيخ النائب الحالي في الجامعة المذكورة الشيخ (زائد) وسعادة وكيل جامعة أم القرى الدكتور راشد الراجح ، وسعادة عميد الكلية الدكتور عتيان محمد الحازي وفضيلة المشرف على هذه الرسالة الشيخ محمد الغزالي وكل من أسهم بجهد المشكور في شىء منها وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

نحب في مطلع هذا البحث ، لقاء الضوء على الأصل اللغوي لكلمة
(الحاد) التي شاع استعمالها في العصر الحديث . . . اذ الوضع
المنطقي السليم في ترتيب أعمالنا العقلية يقتضيها أن نبدأ - أولاً -
بمعرفة عناصرها العامة و قبل أن نأخذ في البحث عن ميزاتها
ومشخصاتها . . (١)

فمن أحب - مثلاً أن يتعرف كنه الاحاد أو المذاهب الهدامة
التي ظهرت في الوجود يجهل به أن يوفره منه - قبل كل
شيء - على تعرف الممنى الكلى الذي يجمعها ، والقدر المشترك
الذي تنطوي عليه في جملتها . . . اذ أنه من الواضح أنه وان تفاوتت
أنواع الاحاد ومظاهرها في جميع الحياة الأوربية . فلا بد
أن تكون هناك وحدة معنوية تنظمها ، ويميز عنها بقا الاسم
المشترك . .

فما هي تلك الوحدة ؟

ما الاحاد ؟

هذا هو السؤال الذي يجب أن نضعه نصب أعيننا ، ونحن على
عتبة باب البحث في الاحاد وآثارها المدمرة في الحياة الأوربية .

(١) راجع كتاب الدين ، دكتور محمد عبدالله دراز ص ٢٨ ط : دار
القلم .

من العقيدة والحكم والسياسة ٠٠٠ والاجتماع والاخلاق ٠٠ والمعلم وطريقة
الاستدلال العلمى ٠ والأدب والفن وكل شئ ٠٠

وللاجابة على هذا السؤال يتدلب منا الرجوع الى معاجم اللغة العربية
للنظر فى كل من الاشتقاق ، والمعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحي

أولا : الاشتقاق :

بيانه أن كلمة (الالحاد) تؤخذ تارة من أصل رباعى (الحـد)
يلحد الحادا) وتارة من فعل ثلاثى (لحد يلحد لحد) (١) .

والمعلم من القواعد الصرفية ، أن الصور المعنوية التى تعطى بها صيغة
من الصيغ ، تختلف باختلاف الاشتقاق ٠ ولكننا من الموافقات المجيبة نجد
الوزنين (الرباعى والثلاثى) هنا يؤيدان معنى واحدا بصرف النظر
عن اختلافهما فى الوزن ٠٠٠

وعلى هذا الأساس ، اتفقت كلمة المفسرين واللغويين على صحة قراءة الضم
والفتح فى قوله تعالى (٢) : ﴿ لسان الذى يلحدون اليه ﴾ ٠٠ فقالوا :
ان (الالحاد واللحد) بمعنى واحد فى هذه الآية ٠ ان هذا لغير مجدا
فى اللغة العربية ٠٠ (٣)

(١) راجع لسان العرب ج ٣ ، ص ٣٨٩ مطبعة دار صادر ، راجع تاج المروس
من جواهر القاموس ج ٢ ص ٩٣ مطبعة منشورات دار كتب الحياة ، راجع
أيضا قطر المحيط بطرس البستاني ج ٢ ص ١٩٣٠

(٢) راجع أيضا أساس البلاغة للزمخشري ج ١ ص ٥٦٠ مطبعة دار صادر بيروت .

(٣) الآية فى سورة النحل ١٠٤

(٤) الكشاف للزمخشري ص ١٣٢ ج ٢

ولكن ليس معنى ذلك أن الوزنين في درجة واحدة في الاستعمال !
 فلفظ (الالحاد) أكثر استعمالاً في كلامهم من لفظ (اللحد) لقولهم :
 (هذا ملحد) ولا تكاد تسمع العرب يقولون : (هذا لاحد) بمعنى الانحراف
 عن الإيمان^(١) . . . وأما الوزن الخماسي : (التحد) ان كان يستعمل
 أيضاً في معنى (اللحد ولحد) ولكنه ينهد عليهما أنه يستعمل في
 معنى (اللجوء) كما في قوله تعالى : * ولن أجِد من دونه ملتحداً^(٢) *
 أي ملجأ .

فتلك هي أهم ما تؤخذ منه هذه المادة . .

ونستخلص من ذلك إلى القول : ان هذه المادة لها ميزة فريضة
 وهي عدم وجود اختلاف في معانيها رغم اختلاف أوزانها واشتقاقاتها
 وعلى هذا نستطيع أن نقول : (اللحد فلان ولحد والتحد) بمعنى
 واحد وهو الانحراف عن الوسط والمدول عن الحق أو الميل
 عن القصد . . .

ثانها : المعنى اللغوي :

(الالحاد) لفظ عربي موضوع للميل والازوار عن الوسط حسياً
 ومعنى ولا بد من توضيح ذلك بضرب أمثلة بسيطة :

(١) تفسير المفار ، رشيد رضا ج ٩ ص ٤٤١

(٢) في سورة الجن الآية ٢٢

(٣) وراجع تفسير البحر المحيط تأليف محمد بن يوسف ج ٤ ص ٤٢٨

وأما الحسى ، منه قولهم : " لحد القبر للميت "

أو قولهم : " أُلحد السهم الهدف " أى مال فى أحد جانبيه ولم يصب
وسطه (١) .

المعنوى :

وأما المعنوى فهو : لما كان خيار الأمور أو سطها ، كان الانحراف عن الوسط
مذموماً ومنه أخذ التعبير عن الكفر والتعطيل والشك فى الله تعالى بالاحاد
وسمى ذروه الملاحدة أو الملحدون ، على حد قول أبى عمر الذى
يقول : " ان الاحاد هو المدول عن الاستقامة والانحراف عنها " (٢)
وانطلاقاً من نفس هذا المفهوم المعنوى يرى الأعشى أن المعنى الحقيقى
للاحاد ، هو التكذيب ، وما قتاده يرى أن معناه هو : الاشراك .

هكذا رأينا أن الاحاد يطلق لغة على الميل الحسى أو المعنوى

اذ المعنى العام هو الميل عن القصد والهدف ومنه قوله تعالى :

* ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم *

أى المدول عن القصد والاستقامة المعنوية ، وهى تشمل جميع الآثام

وجميع أنواع الظلم حتى احتكار الطعام فى الحرم (٦) .

(١) تفسير النسفى الجزء الأول ص ٦٦

(٢) راجع تفسير المنار - رشيد الرضا - ج ٩ ص ٤٤١

(٣) المرجع السابق ص ٤٤٢

(٤) المرجع السابق

(٥) الآية من سورة الحجج ٥٠

(٦) للحديث الشريف " احتكار الطعام / الحرم فيه " رواه أبوداود باب مناسك ص ٨٩

(١) يقول ابن جرير الطبري (أصل الالحاد في كلام العرب : العدول عن
 القصد والاعراض عنه ثم استعمل في كل معوج غير مستقيم) وهذا هو
 المعنى الواسع الذي فهمه الصحابي الجليل ، عبدالله بن عمر رضي الله ^(٢)
 عنهما الذي كان يعتبر كلمة " لا والله " الحادا في الحرم . فاتخذ
 لنفسه ، فسطاطين : أحدهما في الحل والآخر في الحرم . فإذا أراد
 أن يصلي صلى في الذي في الحرم ، إذا أراد أن يحاتب أهله
 عاتبهم في الذي في الحل ، ف قيل له : فقال : " نحدث أن من الالحاد
 فيه ، لا والله ، بلى والله " (١) .

مثال آخر يؤكد أن هذا الفهم الصحيح لمعنى الالحاد لم يكن
 مقتصرا على ابن عمر وأمثاله ولكنه كان فيهما شائعا عند جل الناس . منهم
 (عبد بن حميد ^(٣)) الذي صح أن معنى الالحاد هو الذنوب كلها بدون
 استثناء فقال : " ما كنا نشك أنها الذنوب ، حتى جاء أعلاج
 من أهل البصرة إلى أعلاج البصرة إلى أعلاج من أهل الكوفة فزعموا
 أنها الشرك " (٢) .
 وهذا النهم كان شائعا أيضا حتى عند الشعراء فلنسمع إلى حميد بن
 ثور :

(٤)
 قدنى من نصر الخبيبين قدى ليس الامام الشحيح المحدث
 أي الجائر في مكة . والمراد بالامام هنا عبدالله بن الزبير ^(٣) .

-
- (١) الطبري ج ٩ ص ١٣٤
 (٢) لسان العرب ج ٣ ص ٣٨٩
 (٣) تفسير روح المعاني الألويسي ج ١٧-١٨ ص ١٤٠
 الخبيبان : عبدالله بن الزبير وابنه ضبيب راجع فاكهة البستان ص ١٣٨
 (٤) لسان العرب ج ٣ ص ٣٨٩

وأشد الأُزهرى^(٤) في المعنى نفسه :

لما رأى الملحد حين الحماس صواعق الحجاج يسطرن الدماء^(١)
فاطلاق الاحاد هنا على ابن الزبير^(٥) دلالة واضحة على أن كلمة الاحاد
تستعمل في جميع المعاصي ، لأنه لم يحرف أن ابن الزبير كان ينكر
وجود الله تعالى ..

وكما يدل على أن الوحدة المعنوية التي تربط جميع أصناف الاحاد
وأشكاله هو الميل عن القصد .

فالاحاد لفظة : يتناول التحريف في أسماء الله كما فعل ذلك المشركون
في مكة حيث حرّفوا اسم الجلالة " الله " باللات^(٦)

و " للمنان " بالناة^(٧)

و " المنيز " بالمزى ..^(٢) (٨)

كما يتناول كل من يحددون في تصورهم لحقيقة الألوهية (على الاطلاق)
والذين يدعون له الولد + وكما ينسحب على الذين يدعون أن مشيئة
الله - سبحانه - مقيدة بنواميس الطبيعة الكونية .

وكالذين يدعون له كيفيات أعمال تشبه أعمال البشر وهو سبحانه وتعالى
ليس كمثله شيء ..

(١) لسان العرب ج ٣ ص ٣٨٩

(٢) في كتب التفسير الآتية :

تفسير الطبري أبي محمد بن جرير المتوفى (٣١٠هـ) ج ٩ ط ٢ ص ١٣٣

تفسير الجواهر للشيخ الطنطاوى الجزء الرابع ص ٢٣٩

وكالذين يدعون أنه - سبحانه وتعالى - اله في السماء وفي تصرف نظام
الكون وفي حساب الناس في الآخرة ولكنه ليس الهيا في الأرض ولا في حياة
الناس ويقولون (أعط لقصر ما لقصر وما لله لله) * أو طالبون بفصل
الدولة عن الدين . . . (١)

* أفحكم الجاهلية يخفون ومن أحسن من الله حكما لقوم يثنون * (٢)
فكل هذا الحاد في الله وفي أسمائه وكلماته وصفاته وأحكامه يقول تعالى :
* الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا * (٣)
والمسلمون مأمورون بالاعراض عن هؤلاء كلهم وإهمال شأنهم لأنهم
مؤعدون بجزاء الله لهم ما كانوا يحملون *
يقول الله تعالى : * وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما
ما كانوا يحملون * (٤) .

-
- (١) في ظلال القرآن سيد قطب ج ٢ - ١ ص ٦٣ طبعة أولى
و تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ، إلى عبد الله محمد بن أحمد
الأندلسي القرطبي ج ٢ ص ٣٢٨
و التفسير الكبير الفخر الرازي ج ١٥ ص ٢١
(٤) الآية في سورة المائدة / ٥٠
(٣) فصلت / ٤٠
(٤) الاعراف / ١٨٠

تحديد معنى اللاحاد الاصطلاحي

وفي الاصطلاح عرّفه الباحثون بتعريفات كثيرة متقاربة :
 " حول ان فرض المبدئي منه الذي هو المدول عن الحقيق
 والاستقامة فمن قائل بأن الملحد : " هو المدول عن الحق المدخل
 فيه ما ليس منه " (١)

ومن قائل : انه : " هو الذي أمال مذهبه عن الأديان كلها لم
 يملّه عن دين الى دين ... " (٢)

ومن قائل : الملحد : " هو الذي يشك في الله " (٣)

وأما صاحب المعجم الفلسفي فيرى أن أحسن تحديد لهذا اللفظ
 إطلاقه على المذهب الذي ينكر وجود اللغ تعالى لا على المذهب الذي ينكر
 بعض صفات الله أو يخالف معتقادات دينية أو رأيا اجتماعيا مقرا :

فلذلك يقول : " فالفلاسفة الماديون ملاحدة لأنهم قالوا ان المادة
 وجودا مطلقا ، وانما هو علة الحركة والحياة والفكر .
 والدهريون ملاحدة لأنهم زعموا أن العالم لا يحتاج الى صانع وأنه
 بما فيه مبنى على الاتفاق ولكن اذا قال الفيلسوف :
 " ان الأجسام لا تحشر أو قال : ان الله لا يعلم الجزئيات كان كافرا
 بأصل من أصول الدين لا ملحد " .

(١) راجع تفسير الكشاف للزمخشري ج ٢ ص ١٣٢

(٢) راجع لسان العرب ص ٣٨٨ ج ٣ والتفسير الكبير للفخر الرازي ج ١٥ ص ٢١٥

(٣) راجع لسان العرب ج ٣ ص ٣٨٨ .

" وكذلك اذا قال : بوحدة الوجود ، فان هذا القول لا يستلزم

انكار وجود الله ولا يجمال صاحبه ملحدا " (١)

ومن تأمل في هذه التصريفات يجد بينها تقاربا شديدا ولا منافاة
بينها . وبيان ذلك : ان بعضهم عرف (الملحد) بالمعنى المسمى
للإلحاد والبعض الآخر عرفه بالمعنى الخاص المشهور في المصـ
الحديث .

ولكننا نستطيع أن نوضح أقوالهم على النحو التالي :

ان الإلحاد يطلق على كل ظلم ^{كل} وجور ، ثم شاع استعماله
في انكار وجود الباري حتى أصبح عند إطلاقه لا يفهم منه الا ذلك
المعنى بعد أن كان يستعمل في كل انحراف وتحريف .

فلذا نجد الشوعيين يعرفون الإلحاد بالتصريف التالي :

الإلحاد عبارة " أن لا اله والكون مادة " (٢)

ان هذه الخرافة — ليست عندهم شعارا مجردا بل مادة دستورية
في قانون الاتحاد السوفييتي .

فيه أنكروا جميع المبادئ السامية والمقائد الدينية .

فهذا البحث معني — اذن — بهذا التصريف الخاص الذي غيّر
وجه التاريخ الانساني . وله في كل شيء من الشؤون الأوربية مظهر ،
مظهر في الحكم والسياسة . مظهر في العلم وطريقة الاستدلال الملقى .

(١) المعجم الفلسفي :

(٢) بؤس الفلسفة كارل ماركس ص ١١٢

مظهر في الانحلال الخلقي والتفكك الأسرى • مظهر في الاقتصاد

والبنوك • • مظهر في الأدب والفن • • وفي كل شيء • •

فمهمتنا - اذن - في هذا البحث ليست يسيرة ، لأن علينا أن

نخوض معركة ضارية شرسة مع الملاحظة في تصوراتهم الخاطئية

نحو الأديان ونحو الانسانية التي أصبحت عندهم لا فرة ، بين

وبين الديدان والفئران بل جعلوها حيوانا اقتصاديا أو حيوانا

ماديا على حد زعمهم • • •

موقف البشرية اليوم من الاحاد

ان هذه الرؤى الصادقة لمعنى الاحاد ، تفيدنا من معرفة موقف البشرية اليوم من الاحاد الذى يتمثل فى الدينونة لغير الله - سبحانه - وتعالى من الأرباب المتفرقة - . لا فى الشعائر التعبدية وحدها ولا فى الاعتقاد القلبي وحده ولكن فى الحاكمية والاتباع والطاعة أيضا

وقعت البشرية اليوم فى الحاد - حسب المفهوم اللغوى السابق - يتمثل فى صور شتى

بعضها يتمثل فى الحاد بالله سبحانه وتعالى ، وانكار لوجوده

فهو الحاد اعتقاد وتصور كالحاد الشيوعيين

وبعضها يتمثل فى اعتراف مشوه بوجود الله سبحانه وانحراف فى الشعائر التعبدية ، وفى الدينونة والاتباع والطاعة :

كالحاد الوثنيين من الهة ، وغيرهم من عبادة الأصنام فى أفريقيا وكالحاد اليهود والنصارى كذلك .

وبعضها يتمثل فى اعتراف صحيح بوجود الله تعالى وأداء للشعائر التعبدية ، مع انحراف خطير فى تصور دلالة شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله مع استيراد القوانين الوضعية من الشرق أو الغرب لتطبيقها فى بعض قطرنا الاسلامى

وذلك كالحاد بعض من ينتسبون الى هذا الدين العظيم (الاسلام) مع سوء فهم لمعنى الشهادات

وكلها الحاد في الله تعالى

وكلها كفر بالله تعالى

وكلها شرك به سبحانه وتعالى

ان رؤية واقع البشرية على هذا النحو الواضح ، تؤكّد لنا أن البشرية
اليوم — الا ما شاء الله — قد ارتدت الى جاهلية شاملة ان صح التعبير ،
وأنها تعاني رجعية نكدة الى الجاهلية التي أنقذها منها الاسلام مرات
متعددة ، على يد سيدنا نوح ومن تبعه .. كان آخرها /الاسلام
الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

فعلى المسلمين اذن — أن يبدؤوا في دعوة البشرية من جديد
الى الدخول في الاسلام ككرة أخرى والخروج من هذا الالحاد الشامل
النكد الذي ارتدت اليه .

فعلينا أن يحددوا للبشرية مدلول الاسلام الأساسي :

" وهو الاعتقاد بالوهمية الله وحده

وتقديم الشعائر التعبدية لله وحده

والدينونة والاتباع والطاعة والخضوع في أمور الحياة كلها لله وحده ...

وأنه بغير هذه المدلولات كلها لا يتم الايمان الحقيقي بالله ... وان
تخلفت احدى هذه المدلولات كتخلفها جميعا ، يخرج الناس من الايمان
الحق الى لوثة الالحاد .. والى الشرك والكفر ...

انها دورة جديدة من دورات الالحاد

التي تعقب الاسلام — بمعناه العام

فيجب على المتخصصين — كما قلنا — أن يقوموا لتعريف زيفها والوقوف

أمامها ويواجهوها بدورة من دورات الايمان ليخرجوهم من عبادة

المباد الى عبادة الله وحده .

ان هذا الحديث يقودنا الى تبين موقف الاسلام من الاحياء

ليعلم المؤمنون أن أول عدو للمسلمين هم الملاحدة المصاحبة . .

موقف الاسلام من الالحاد

ان (الالحاد) خطر على البشرية كلها ، وليس خطرا على
(الجماعة الاسلامية) وحدها . من هنا كان موقف الاسلام منه
عدم المهادنة ...

ان عدم مهادنة (الالحاد) دعوة لدفع الخطر المحدق بالانسانية
كلها ، طاب الاسلام من المسلمين القيام بها .

وفي دفع هذا الخطر ، اقرار للسلم ، واستقرار الجماعة الاسلامية
وكفالة اقرار السلم العالمي جانب من رسالة الجماعة الاسلامية في نشر
الاسلام ..

ومن هنا كان دفع هذا الخطر فرضا ملازما لقيام الجماعة الاسلامية في
أطوار حياتها وفي كل أجيالها . وعليها أن تكون متريئة بصفة
مستمرة للقدرة على دفعه ..

وفي ذلك يقول تعالى :

﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو
خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ (١)
هذا التيهؤ والاعداد لدفع خطر (الالحاد) الذي يتحلل في الكفر
بالله وعدم الايمان^{بالله} واليوم الآخر . وهو ذلك المبدأ المعروف في الاسلام بمبدأ
(الجهاد) .

ان هذا أمر يجب أن تكون له صفة الاستمرار والدوام في حياة الجماعة نفسها وفي نداء القرآن للرسول بقوله :

* يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم وماواهم جهمهم وبئس المصير * (١)

وتوجيه النداء على هذا النحو للرسول باعتباره راعيا ورعيسا للجماعة المؤمنة مما يؤيد أن الاسلام لم يكن وقفا على تبليغ رسالة بل كان رعاية أيضا لاستقرار هذه الرسالة وتمكينها ، سواء في وقت الرسالة أو بعده أي هودين ... ودولة معا ...

أنواع الالحاد

نريد هنا أن نفرق بين الالحاد الذي يجب أن تعلن الجهاد ضده وبين غيره الذي نكتفي فيه بالموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ..

وإذا رجعنا إلى كتب التفاسير ، نجد أن الراغب قد أشار إلى هذه التفرقة فقال : " الالحاد ضربان :

الأول : الحاد إلى الشرك بالله

الثاني : الحاد إلى الشرك بالأسباب

(١) سورة التوبة ٧٣ وسورة التحريم : ٩

(٢) تفسير المنار رشيد رضا ج ص

فالأول ينافي الايمان ويبطله .. (وهو الذى يجب على المؤمن أن يقاومه بالجهاد والتضحية) .

" والثانى يوهن عراه ولا يبطله .. هو النظر فى الأسباب مع الخفلة عن كونها من خلق الله وتسخيرها .. "

اذن هذا النوع من الالحاد — وأن كان يتناوله مسمى الالحاد — لا يجب فيه الجهاد فى سبيل الله .. ولكنهم داخلون فى التهديد الربانى المخيف * الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا * (١)

كلمات مزيفة

هناك كلمات قد استغلها الملاحدة أبشع استغلال .. استغلوها للوصول الى أغراضهم الالحادية ، لأنها تعبّر عن المقصود دون صدام للمشاعر والأحاسيس .

وتحت شعارات هذه الكلمات تجرى وسائل الاقناع المختلفة لتحقيق نشر الأفكار الالحادية المسمومة فى العالم ، فى الشرق والغرب ، فى كل مكان .. (٢)

(١) الآية فى سورة غصن / ٤

(٢) أساليب الغزو الفكرى فى العالم الاسلامى ، تأليف الأستاذين د . على

محمد جريش ومحمد شريف الزبيق ص (٥٩) .

فمن واجبنا - اذن - أن نقوم لاستبانة تزييفهم ومخططاتهم
المنحرفة عملا بقول الله تعالى الذي ذكرناه سابقا .

* وكذلك فصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين *

فما هي - اذن - هذه الكلمات ؟

انها كلمة الحضارة والعلمانية والتطور ، فلنحيط ..

كلا .. كلمة ..

أولا : كلمة الحضارة : / La Civilization

الحضارة لفظة : الاقامة في الحضر بخلاف البداوة^(١) ، قال

القطامي :

فمن تكن الحضارة أعجبته فأي رجال بادية ترانا^(٢)

والحاضر خلاف البادية . وفي الحديث : " لا يبيع حاضر لباد " .^(٣)

فالحاضر هو : المقيم في المدن والقرى . والبادي هو : المقيم
بالبادية .

(١) راجع لسان العرب المجلد الرابع ص ١٩٦

(٢) المرجع السابق راجع ايضا قاموس الفرنسي العربي شترى الياس ١٩٧٥

(٣) الحديث أخرجه البخاري في باب الشروط

الحضارة في الاصطلاح :

ان الحضارة عند الاجتماعيين الأوربيين ، تعنى الحالة المراقبة التي توجد عليها الأمم تحت العلوم العالية والفنون الجميلة والصنائع المناسبة * .

فعلى هذا نعلم ، أن معنى الحضارة عندهم ، غاية تتدرج الأمم في الوصول الى أوجها الأعلى تحت تأثير العلوم والفنون والصنائع * وتكون آصرة التجمع فيها هي الأرض والجنس واللون فحسب * .

ان هذا المعنى - وان كان هزيلًا - لا يدل - بادي ذي بدء - على رفض الايمان وانكار وجود الله تعالى * .

فالمسلمون قد عرفوا هذا المفهوم من الحضارة قبل أوربا بل هم الذين نقلوا كنوز القداى الى بلاد الغرب * . وقد أجمع المؤرخون المنصفون على أن أول من عرّف الحضارة بمفهوم يقارب المفهوم الحالى هو رجل مسلم قد عرفه العالم حتى الأعداء بعمق آرائه وصحة اتجاهاته في تقرير القواعد العلمية وخاصة في علم الاجتماع والتاريخ * ذلك الرجل هو * ابن خلدون * .

وقد أدرك هذه السمة المميزة في تاريخ الاسلام ، كل باحث في هذا التاريخ حتى المستشرقون الذين نصبوا أنفسهم لهدم هذه الركيزة الكبرى * .

(١) راجع مستقبل الحضارة بين العلمانية والشريعة والاسلام : يوسف كمال ص ١

(٢) راجع مقدمة ابن خلدون * .

وهذا المستشرق "جب" يقول في كتابه : "الاتجاهات المعاصرة في الاسلام" :

"أعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظة التفصيلية الدقيقة التي قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة وأنه عن طريق هذه الملاحظات وصل المنهج التجريبي إلى أوروبا في العصور الوسطى" (١).

ويقول "بريفولت" في كتابه "بناء الانسانية" :

"لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث ... ولم يكن العلم وحده هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة ، بل مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت بأكسورة أشعتها إلى الحياة الأوروبية .

ولكن على الرغم من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأوروبي الا ويمكن ارجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة .

فإن هذه المؤثرات توجد أوضح ما تكون ، وأهم ما تكون ، في نشأة الطاقة التي تكون ما للعالم الحديث من قوة متميزة ثابتة ، وفي المصدر القوي لازدهاره : أي في العلوم الطبيعية وروح البحث العلمي ."

(١) راجع كتاب هل نحن مسلمون للأستاذ محمد قطب ص ٦٢

(٢) راجع الكتاب السابق .

بهذه الشهادات ندرك أن الحضارة - كما عرفها الأوروبيون
 الاجتماعيون - قد سبق إليها المسلمون ومع ذلك ظلوا مؤثمين
 بالله سبحانه . ذلك أن الاسلام دين لا يسمح لمطالب الرخ أن تطفئ
 على مطالب الجسد وبالعكس أيضا . " دين يجعل كل دقيقة
 من دقائق هذه الحياة متصلة بعضها ببعض برباط الدين " (١) على حد
 تعبير المستشرق ويقول جرونباوم (Von Grunebaum) في
 كتابه (الاسلام) ..

اذن ان الحضارة بهذا المفهوم السابق لا يتعارض مع الدين الاسلامي
 وسيأتي تفاصيل ذلك ، وبعد هذا ننقل سريعا الى تعريف الحضارة عند
 الملاحدة الماديين لكي نضع أيدينا على نقطة الضلال فيها .

(١) بناء الانسانية تأليف برينفولت ، ص ٢٠٢

(٢) راجع المرجع نفسه ص ١٩٠

وراجع أيضا الاسلام ومشكلة الحضارة سيد قطب ص ٣٣

مفهوم الحضارة عند الماديين المعاصرين

ان أصحاب الحضارة المادية في أوروبا وغيرها ، يرون أنها
نقى للدين من تلقاء نفسها لأنها جاءت لتطهير الانسان من دئس الأديان
والمعتقدات القديمة .

هذه هي نظرية " أوجست كونت ^(١٥) " . فقد ذهب هذا الفيلسوف
الى أن الحضارة الانسانية قد مرت بأدوار ثلاثة :

أولا : دور الفلسفة الدينية . أو المرحلة اللاهوتية

ثانيا : دور الفلسفة التجريدية . أو المرحلة الميتافيزيقية (Positive Stage)

ثالثا : دور الفلسفة الواقعية . أو المرحلة الوضعية .

وهذا الدور الثالث - في نظره - هو آخر الأتوار وأسمها ، وفي
هذه المرحلة ، على حد زعمه لا تذكر الأرواح والالهة والقوى المطلقة .

(١) ترجمة أوجست كونت ولد سنة ١٧٩٨ وتوفي سنة ١٨٥٧ م هو فيلسوف
فرنسي شهير أسس الفلسفة الوضعية أو الحسية ثم هو واضع علم العمران
البشرى على القواعد العصرية . وله تعزى ديانة سماها (الديانة
الانسانية) التي أبدل فيها الخالق بالنوع الانساني ، والمعابد
بالمجامع العلمية والكهنة والقساوسة برجال العلم . Loide Troisage
هذه الديانة عدل على أن أوجست كونت لا يؤمن بالله ولا باليوم
الآخر وهي غفلة تأدت به الى هذه الحال نمون بالله من شر
الفتن .

العشرين

راجع دائرة معارف القرن ، فريد وجدي (ج ١) ص ٧٥٢ -

٧٥٣ .

" لقد أثبت بهيتون^(١١) انه لا وجود لاله يحكم النجوم . وأكد لا بلاس^(١٢)

بفكرته الشهيرة أن النظام الفلكي لا يحتاج الى أسطورة لا هوتية ."

" وقام بهذا الدور العالمان (دارون)^(١٣) و (باستور)^(١٤) في ميدان^(١٥)

البيولوجيا وقد ذهب كل من علم النفس المتطور والمعلومات الثمينة التي حصلنا عليها في هذا القرن بمكان الاله ، الذي كان مفروضاً أنه هو مديبر شئون الحياة الانسانية والتاريخ " (١)

ويؤكد ذلك الملحد الماتى البروفيسار جوليان هكسلى بقوله :

" تعتبر التطورات العلمية التي حدثت في القرن الماضى " انفجاراً

مصرفياً " فى وجه الأساطير الانسانية من الالهة والدين كما تفجرت الأفكار القديمة عن المادة ونسفت بمجرد تفجير الذرة " (٢) .

هكذا يرى أصحاب هذه الحضارة المادية أن الناس بعد ما أن كانوا

يحللون الظواهر الكونية بقوة أو بقوة ارادية خارجة عنها انتقلوا الى

تفسيرها بممان عامة وخصائص طبيعية كامنة فيها . ثم انتبهوا الى

رفض كل تفسير خارجى او داخلى ، واكتفوا بتسجيل الحوادث كما هي .

وعلى هذا في نظر هؤلاء الماديين تكون الحضارة الدينية يمثل الحالة

البداية التي لحبت بها الانسانية فى مرحلة طفولتها ، فلما كبرت أخذت

ثوباً وسطاً فى دور مراهقتها حتى اذا بلغت أشدها واكتمل رشدها

أخذت حلتها الأخيرة من العلوم التجريبية .

(١) راجع الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٣٤ - ٣٥ نقله عن كتاب :

(٢) راجع الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٣٢ ط السابعة ، المختار الاسلامى نقله عن كتاب :

Hisbstantimes Sunday Magzie,

Spet. 24 (1961)

تلك هي مفهوم الحضارة عند الملاحدة المعاصرين • وبهذا المفهوم
 الهابط ساقوا الجماهير السذج الى سوق الالحاد • فأفهموهم بأن معنى
 الحضارة هو رفض جميع الأفكار القديمة التي منها الدين والقيم الأخلاقية
 والمبادئ السامية •

من هنا - فقط - أصبحت كلمة الحضارة تستعمل في محاربة
 الأديان فإذا قالوا مثلا " ان الغرب متحضر " معناه : انه رفض الأفكار
 الدينية والأخلاق والمبادئ السامية •

وإذا قالوا أن الشرق متأخر مثلا معنى ذلك انه متمسك بدينه وتراثه

المجيد ..

إذا كان هذا هو مفهوم الحضارة عند الماديين فلا شك أنه يصطدم بالدين
 وقد اصطدم - فعلا - مع الدين في أوروبا - لأسباب سنتكلم عنها ان شاء
 الله •

ثانيا : كلمة العلمانية : Secularisme

ان هذه الكلمة من الكلمات التي استعملها الملاحدة لضرب
 الأديان في أوروبا الا أنها في حلة ذاتها - لا تدل على الالحاد •
 ولا علاقة لها بالالحاد ، لا من قريب ولا من بعيد ويتضح
 لنا ذلك في التعريفات الآتية :

تعريف العلم :

العلم في اللغة هو : في اللغة نقض الجهل • وهو من أشيع

الكلمات المستعملة قديما وحديثا • وهى فى كل دور من أدارها تطلق على ما يضاد الجهل بنوع محدود من المعارف • ومثال ذلك :

كانت هذه الكلمة - عند العرب فى الجاهلية - تطلق على ما ينافى الجهل بمعارف الجاهليين المحدودة • وكانت لا تتعدى الشر والكهانة والقيافة والخطابة • • والانساب • •

فلما ظهر الاسلام كان يراد من العلم ما ينافى الجهل بما ظهر من المعارف الجديدة : وهى الكتاب والسنة وأخبار الملائكة وغيرها • • ولما زادت معارف العرب صارت تطلق على ما ينافى الجهل بما ظهر من المعارف الجديدة كالفقه والتفسير وشرح السنة والتاريخ وطبقات رواة الحديث والنحو والبلاغة وغير ذلك • •

ثم انتشرت العلوم الكونية فيهم وتشعبت المعلومات لديهم فصار يستعملها كل فريق بما يناسب ما لديه من العلم • فاتسع مدلولها اتساعا يناسب اتساع مجالات المعارف الجديدة • • (٢)

وبهذا يتضح لنا أن كلمة العلمانية التى تعنى رفع شعار العلم لا تعارض بينها وبين الاسلام بل هى احدى وسائل الاسلام وبعض أهدافه وإذا عرفنا هذا فلننتقل الى تعريفات للكلمة عند الغربيين الماديين لنضع أيدينا على نقطة التحول من المعنى الايجابى الى المعنى السلبى اللاحادى • •

(١) راجع كتاب لسان العرب ج ١١ ص ٤١٧

(٢) راجع عرضا دائرة معارف القرن العشرين ، فريد وجدى الجزء السادس ص ٥٨٣ مع تفسيرات طفيفة •

العلمانية في تعريفات الغربيين الماديين :

لقد ذهب دعاة العلمانية الى القول بأن العلمانية هي : " الدعوة الى الاعتماد على الواقع الذي تدركه الحواس ، وبند كل ما لا تؤيده التجربة ، والتحرر من العقائد الخيالية التي هي عندهم ضرب من الأوهام ومن العواطف بكل ضروبها .. وطلبة كانت أو دينية ، بزعم أنها تضل صاحبها ، وتحمل بينه وبين الوصول الى أحكام موضوعية محايدة " (١) .

ويقول المعجم الدولي الثالث الجديد " مادة "

" العلمانية " اتجاه في الحياة أوفى شأن خاص يقوم على مبدأ أن الدين أو الاعتبارات الدينية يجب أن لا تتدخل في الحكومة أو استبعاد هذه الاعتبارات استبعاداً مقصوداً فهي تعني مثلاً :

السياسة اللادينية البحتة في الحكومة ..

" وهي نظام اجتماعي في الأخلاق ، مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية والخلقية على اعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الاجتماعي دون النظر الى الدين " (٢) .

(١) اتجاهات هدامة في الفكر المعاصر ، د . محمد محمد حسين

ايضاً كتاب سقوط للعلمانية ، أنور الجندى ص ٣٩ نقلاً

عن المرجع السابق .

(٢) We Ester's Third New International

ويقول قاموس (العالم الجديد) لو بستر شرحا للمادة نفسها :
 " والروح الدنيوية أو الاتجاهات الدنيوية ، ونحو ذلك وعلى
 الخصوص نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض أى شكل من أشكال الإيمان
 والمباداة .

" الاعتقاد بأن الدين والشئون الكنسية لا دخل لها في شئون الدولة
 وخاصة التربية العامة " .

ويقول معجم اكسفورد شرحا للكلمة :

دنيوى أو مادي " ليس دينيًا ولا روحيا : مثل التربية
 اللا دينية : الفن او الموسيقى اللا دينية السلطة اللا دينية الحكومات
 المناقضة للكنيسة .

(١)
 الرأي الذى يقول : انه لا ينبغى أن يكون الدين أساسا
 للأخلاق والتربية ... " .

وعلى ضوء هذا التمرير المزيّف : اتخذ الماديون في أوروبا ،
 العلم سلاحا لمقاتلة الدينين والنمى عليهم . فلم يجىء القرن التاسع
 عشر حتى كان أنصار الدين في ضعف مطلق أمام خصومهم وظهرت المبادئ
 المادية ظهورا لا مزيد عليه ، وتذرعوا بهذا السلاح ينكرون الخالق
 والروح والخلود لخرج هذه الحقائق عن دائرة اختصاص " العلم " الحديث ..
 والعلم الحديث برى من هذه الفريسة ...

(١) نقلا عن رسالة العلمانية وآثره في الحياة الاسلامية : تأليف سفر ص ٢

وهكذا صرح الماديون أن معنى (العلمانية) هو انكار لوجود الله
واقامة الحياة بمعزل عن الدين ولكن المترجمين الذين نقلوا هذه الكلمة
الى العربية كانوا خبيثاء وخونة حيث قالوا : ان (Secular)
معناها : العلمانية . بينما صرح الماديون بأن معنى العلمانية هو اللادينية
فلنستمع الى تصريحاتهم .
ويقول المستشرق " اربري " في كتابه (الدين في الشرق الأوسط)
عن الكلمة نفسها :

" ان المادة العلمانية والانسانية والمذهب الطبيعي والوضعية كلها
اشكال اللادينية . . . واللا دينية صفة مبهمة لا " وريا وأمريكا . . . ومع أن
مظاهرها موجودة في الشرق الأوسط فانها لم تتخذ أى صبغة فلسفية
أو أدبية محددة . . . والنموذج الرئيسى لها هو فصل الدين عن الدولة فى
الجمهورية التركية " (١) .

تقول دائرة المعارف البريطانية مادة " (Secular)
هى حركة اجتماعية تهدف الى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بلا آخرة
الى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها . . ."
ذلك انه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف
عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الآخر ، وفي مقاومة هذه الرغبة
ظفقت ال (Secularism) تعرض نفسها من خلال تنميتها

Religion in The Middle East A. J. Abber (١)
Vol. 2. P. 606-607

Ency. Britannica Vol. IX P. 19 (٢)
راجع رسالة العلمانية وأثرها في الحياة الاسلامية المعاصرة ، سفر ص ٢

النزعة الانسانية ، حيث بدأ الناس في عصر النهضة لظهور تعلقهم الشديد بالانجازات الثقافية البشرية ، وبإمكانية تحقيق خالصهم في هذه الدلائل القريبة ..

وظل الاتجاه الى الـ (Secular) يتطور باستمرار

خلال التاريخ الحديث كله باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية .
(16) *سمي العلم حين لا يعمل إلا جابرًا ليسر العلم الفلاني ، هكذا ما أكدوه (هود)*
الذي يقول : " أن الفكر الحديث من ناحية ثانية يتصف بنزعة من

الشك في أحكامه واستنتاجاته ، ينتج عنهما ميل الى الحرية والانطلاق

في امتحان مختلف الفرضيات وتحصيلها . فالكون كما يبدو لنا نحن

المحدثين ملئ بالغموض والأسرار الخفية خلافاً لنظرة القرن التاسع عشر

لقد أصبحنا نشعر بضالة معارفنا على أنه كلما ضاقت

حدود المصرفة المقررة ، اتسعت مبادئ النظر الى الاحتمالات الممكنة وأفضل

الخيال في تصورها ، ولا تتعلق شكوكتنا في الأحكام التي تقررها فحسب ،

بل تتجاوز ذلك الى أساليب البحث في الوصول اليها .

" ومن هنا تستولي على الناس رغبة ملحة في ارتياد مختلف السبل لفهم

طبيعة الكون في جوانبه المتعددة ، سواء عن طريق العلم أو الفن أو عن

طريق النشرات الدينية في حالات العبادة . وليس ذلك فقط ، بل هناك

رغبة ضمن نطاق الدراسات العلمية نفسها في التجريب بمختلف مناهج

البحث ، مع استخدام أدوات جديدة لهذا الغرض ، فنحن نسمي

الى فهم الكون من جوانب متعددة وأساليب متباينة .

" ويبدو لدى المتأمل أمراً لا مفر منه ، ذلك أنه كلما اتسعت

دائرة معارفنا مست أمورا لا تزال خافية علينا ، ولذلك يزداد شعورنا

بالجهل . . و شبهه بذلك ما حصل في ميدان الدين ، فان الشك
في المقائد الدينية التقليدية يقترون بالاهتمام الذي يتزايد شيئاً
فشيئاً بالنظرة الدينية للكون عامة ، وبالاعتقاد بأن العلم لا يلزم أن يكون
قد قال كلمته الأخيرة بعد (١) .

وبهذه الشهادة وأمثالها ، نعلم أن العلم على النحو الذي حددته
المفاهيم المستحدثة لا يمثل الا جانباً صغيراً من العلم الأوسع الذي سبقت الأديان
الى اضاءة الطريق فيه . ورسم مشرع واضح له ، لأنه متصل بعالم الغيب
الذي لا يستطيع العقل أو العلم في خطواته بعد الوصول الى حقيقته .

وكما قال جولد في تقريره السابق من أن الفكر الحديث " من ناحية
ثانية يتصف بنزعة من الشك في أحكامه واستنتاجاته " فهذا (مارتين-
ستانلي كونجون) يصل في بحوثه الى النتائج نفسها فهو يقول :

ان نتائج العلوم تبدأ بالاحتمالات ، وتنتهي بالاحتمالات وليس باليقين
والنتائج بذلك تقريبية ، عرضة للأخطاء في القياس والمقارنات ونتائجها اجتهادية
وقابلة للتعديل والحذف ، وليست نهائية . وقد أضر العلم منذ أجيال
أن يترك البحث في كنه الأشياء بعد أن تبين أنه لا سبيل الى معرفة
الكنه المغيب عن الحواس واكتفى بدراسة ظواهرها . (٢)

(١) جود ، متازع الفكر الحديث ، عربه عباس فضلى خماش ، وثق الترجمة

عبد العزيز البسام ص ١٦-١٧ - طبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .

(٢) راجع كتاب سقوط العلمانية (أمير الجندى) ص ٤٢

ونود أن نختم هذا الفصل بكلمة (رسل تشالرايست) (١) التي
تعتبر بحق الكلمة الفاصلة في هذا الباب فلندعه يتكلم :

" ان كل الجهود التي بذلت للحصول على المادة الحية من غير الحياة .
قد باءت بالفشل والخذلان الذريعين ، ومع ذلك فان من ينكر وجود الله
لا يستطيع أن يقيم الدليل المباشر المتداع ، على أن مجرد تجمع الذرات
والجزئيات عن طريق المصادفة ، يمكن أن يوصل الى ظهور الحياة وصيانتها
وتوجيهها بالصورة التي شاهدناها في الخلايا الحية " .

وبعد هذه الجولة نستطيع أن نقول انه من الخطأ المحض أن تشتق
العلمانية من العلم . فالتجربة نفسها كذبت دعواهم الكاذبة القائلة :
ان العلم وحدها ستنقذ الانسانية " أو المصرا الذي يسود فيه العقل ، يصل
الانسان الى الكمال " تلك كانت دعواهم التي أصرتها التجربة الى وهم
وجاهل مريب .

وبعد هذه الجولة نصل الى الحقائق التالية :

ان كلمة (Secular) معناه اللاديني أو غير عقيدى
ولكن الذي قاموا به بترجمة هذه الكلمة الى العربية دسوا هذا المعنى
السخيف . فقالوا معناه : العلمانية لأنها كلمة محبوبة لدى الجميع .
وان دل هذا على شيء فانما يدل على خيث هؤلاء المترجمين
الملاحدة .

ثالثا - (كلمة التطور) :

السطور في اللغة : التارة • تقول : طورا بعد طور • أى تارة بعد تارة وقال الشاعر في وصف السليم (١)
* تراجع طورا وطورا تطلق * (٢)

وتطلق هذه الكلمة ويراد بها (الحال) كما في قوله تعالى : * وقد خلقكم أطوارا * (٣) معناها : ضروبا وأحوالا مختلفة •
كما رأيت ، ان هذا المفهوم لا يتعارض مع الدين الاسلامي • ولكن الملاحظة اخترعوا من عند أنفسهم مفهوما آخر خبيثا للطور ، فهو لا بد أن يتعارض مع الأديان لأنهم يستعملون مفهوم التطور في مقابل الجمود ، جمود العقيدة وجمود العبادة • • وجمود القيم • • وجمود المفاهيم • • وجمود التقاليد ، وجمود الحياة • • فهم يرون ان المقياس الحقيقي لحظمة الانسان وتطوره هو جهاز الراديو أو التلفزيون أو السيارة التي يركبها أو جهاز الغسيل الآلي أو القنبلة التي يدمر بها الحياة على وجه الأرض •

وعلى هذا المفهوم قامت الثورة الفرنسية باسم التطور • حتى صارت " الموضة " هي التطور • وما لا يتطور بذاته ينبغي أن يتطور بالقوة !

(١) لسان العرب ج ٤ ص ٥٠٧

(٢) البيت للناخبة الذبياني • وهو بكامله :

تنادى بها الراقون من سوء سمها
انظر المرجع السابق •

(٣) سورة نوح الآية رقم ٧١ •

انه لا ينبغي ان يظل شيء على الاطلاق ثابتا في كل الأرض • لا الدين • ولا فكرة الله • ولا الأخلاق • ولا التقاليد • ولا القيم • ولا الروابط الاجتماعية • لا شيء • • • لا شيء على الاطلاق •

تسمع في كل أنحاء أوروبا : (دعه يمر) ! (دعه يفعل) !
ينبغي أن نحطم قيود الأخلاق فهي قيد يحوق التطور • فينبغي اليوم أن نطرحها في المجتمع الصناعي المتطور الذي يتطور بتطور وسائل الانتاج • • •

بل ينبغي أن ننشئ أنفسنا في المجتمع الجديد • • • المتطور • • •
المتحرك • • • الوثاب • • • وتركزت الفتنة كلها في " تحرير المرأة " لكي تخرج الى الطريق فتنة للرجال • (١)

فبدأ الكتاب يكتبون • • • والصحافيون يزينون التبج • • • والقصاصون يقصون القصص المأجنة والمصورون يصورون الصورة الخليعة • كل ذلك باسم التطور • • • كأن السبيل الى تحقيق هذه الرغبات هو :
السينما والأفلام الداعرة العارضة الداعية الى الفساد •
كان السبيل هو بهوت الأزياء •

كان السبيل هو صناعة أدوات الزينة •
كان السبيل بكل السبيل والوسيلة • (٢)

(١) التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص (١ - ٢٥)

(٢) المرجع السابق ص ٣١

وكان أهم شيء عند هؤلاء المتطورين أن ينفخوا في الصور المادية
 "المتطورة" . ومن حيلة هذا كله حدثت حركات ضخمة في المجتمع
 الغربي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . وهي
 حركات التطور الغربي لأنهم تداولوا عن عالم الغيب الذي لا يرونه
 ودخلوا في عالم المحسوس الذي يعاملونه بالكيل والوزن والمسافة . .
 هذا هو مفهوم التطور عند الغربانيين وقد ساعدتهم على ترويض
 هذه الفكرة الشنيعة ما أعلنه " داروين " في كتابه (أصل الأنواع سنة
 ١٨٥٩) وفي كتابه : أصل الإنسان سنة ١٨٧١ م أن الإنسان أصله
 حيوان ويتميز بحسب أوضاع أن الإنسان نهاية التطور الحيواني .
 لقد رحب الماديون بفكرة (داروين) لأن عقيدتهم تقوم على العنف
 وصراع الطبقات ولم يكن الدافع لتبني هذه الفكرة هو الأدلة العلمية
 وإنما المذهب السياسي الأعلى . لذلك أحلوا المقام الأول بين جميع
 العلوم . واذكرنا هؤلاء الملاحدة ، نذكر أيضا تلك اليد اليهودية
 الخفية التي كانت تعمل دائما في خفاء لبث مثل هذه الأفكار الاحادية .
 تقول بروتوكولات حكماء صهيون : " لقد رتبنا نجاح داروين وماركس ونهضة
 بالترويض لأرائهم . وأن الأثر الهدام للأخلاق الذي تنشئه علومهم
 في الفكر غير اليهودي واضح لنا بكل تأكيد " (١) . ولقد حدثت بالفعل
 ذلك الأثر الهدام للأخلاق باسم التطور . .

(١) راجع البرتوكول الثاني ص ١٢٣ ط . الرابعة : دار الكتاب العربي

وهكذا رأينا جزءا من مفهوم التطور عند الغرب ، وسنعود الى ذلك
 ان شاء الله في (باب النشوء والارتقاء) الذي سنمقده فيها يأتي من الصفحات .
 تلك هي الكلمات التي استعملها الملاحدة كالسلاح لضرب الأديان
 مستترين وراء الممنى اللغوي الظاهر لسوق السذج البسطاء الى
 سوق الاحاد . والحمد لله الذي أيدنا للكشف عن هذا الزيـف
 وهذا الخبيث والضلال .

فكرة عامة عن أوروبا الحديثة

لما كان عنوان هذا البحث هو : الالحاد وأثره في أوروبا الحديثة،
يجمل بنا أن نعطي فكرة عن كل من الكلمتين " الالحاد " و "أوروبا"
الحديثة " ، وقد تحدثنا عن كلمة الالحاد لغة واصطلاحاً . والآن
نود أيضاً أن نقدم فكرة موجزة عن " أوروبا الحديثة " .

وكيف لا ! ان أوروبا هي التي تصارع فيها " الايمان " و " الالحاد "
وجال الدين مع رجال المادة . . . والتطور مع الثبات . والحق مع الباطل . .
ولو مضينا بالبحث دون أن نعطي أية فكرة عن أوروبا الحديثة ، كأننا
تحدثنا في عمالة ، وقديما قيل : " الحكم على شئ فرع تصويره " .

وفوق ذلك ان معرفة شئ من بداية العصر الحديث تساعدنا على
معرفة تطور الأحداث اللاحقة هناك ولكن من المستحيل أن أقدم هنا أكثر
من موجز بسيط لقارة تضيق عنها المجلدات الضخمة . ولذا سوف نكتفي
بثلاث نقاط . وكفى . . . وهي :

- (١) متى بدأت العصور الحديثة ؟
 - (٢) كيف بدأت النهضة العلمية في أوروبا الحديثة ؟
 - (٣) الصراع بين الدين والعقل والحس في تاريخ الفكر الغربي . . .
- وقبل أن نتحدث عن أوروبا الحديثة . يحسن بنا أن نقدم صورة
صغيرة عن القرون الوسطى التي تابعتها العصور الحديثة لأن التاريخ
متصل الحلقات لا يمكن أن يمصرف فترة انتقال من عصر الى عصر الا بدراسة
شاملة للفترتين معاً . اذن متى بدأت العصور الوسطى ؟

أولا - بداية العصور الوسطى

ان كان أبناء المدرسة القديمة من المؤرخين قد أصرّوا دائماً على اتخاذ سنة ٤٧٦ - وهي السنة التي سقطت فيها الإمبراطورية في الغرب - حداً فاصلاً بين العصور القديمة والوسطى ، وسنة ١٤٥٣ - وهي السنة التي سقطت فيها القسطنطينية في أيدي العثمانيين ، وانتهت فيها حرب المائة عام (١) بين إنجلترا وفرنسا حداً فاصلاً بين العصور الوسطى والحديثة الا أننا لا نستطيع أن نسايرهم باطمئنان في هذا الاتجاه . . .

ذلك ان اختيار سنة بعينها أو حدث بذاته لتحديد نهاية عصر من عصور التاريخ أو بداية عصر آخر يبدو في نظرنا - كما سبق - أمراً بعيداً عن الحقيقة ، لأن التطور التاريخي يمتاز دائماً بالتدرج والاستمرار وتداخل حلقاته بعضها في بعض ، أشبه شيء بنمو الكائن الحي .
وكما أننا لا نستطيع اتخاذ لحظة بعينها نقول : ان الفرد ينتقل فيها من مرحلة الطفولة الى مرحلة الشباب أو من هذه المرحلة الأخيرة الى مرحلة الشيخوخة . فكذلك من المبالغة التاريخية أن نختار سنة محددة لنقول : ان العصور الوسطى توقفت فيها عن السير تماماً لتفسح المجال للعصور الحديثة .

هذا ما ورد في كتاب التاريخ الأوربي الحديث مؤكداً لما قلنا :

(١) راجع أوربا العصور الوسطى ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، ج ١ ، ص ٣ ط : مكتبة الأنجلو المصرية .

"عندما ندرس للتاريخ ، نجد التطور الانساني يسير في تيارات فكرية تتغير معها نظرة الانسان الى الحياة وادراكها لمفاهيمها وتصرفه بازائها . ومن المسير أن نحدد تاريخا محدودا لظهور هذه التغيرات الهامة فسي مجرى التاريخ أو الانتقال من العصور القديمة الى العصور الوسطى أو من الوسطى الى الحديثة " (١) .

وليس معنى ذلك أن نترك الأمر دون أي بحث ، وإذا لم يكن التحديد الدقيق في استطاعتنا . نستطيع أن نتخذ بعض السنوات الهامة أو الأحداث التاريخية الكبرى لتكون فواصل بين العصور التاريخية . وعلى هذا الأساس اتخذ المؤرخون القرن الرابع الميلادي بداية للعصور الوسطى لكثرة الأحداث العظيمة التي لها كثر في تغيير وجه التاريخ القديم .

نوجز بعض هذه الأحداث فيما يلي :

- (١) اعتراف الامبراطورية بالديانة المسيحية سنة ٣١٣ م
- (٢) نقل عاصمة الامبراطورية الى القسطنطينية سنة ٣٣٠ م

(١) راجع كتاب التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فيينا . تأليف الاستاذين : الدكتور عبد الحميد البطريق ، أستاذ التاريخ الحديث بجامعة عين شمس والجامعة الأردنية . والدكتور عبد العزيز نوار ، أستاذ التاريخ الحديث المساعد بجامعة عين شمس وجامعة بيروت العربية ص (١١) ط : دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ص ٧٤٩ .

(٣) لزيادة خطر للجerman على كيان الأمبراطورية عقب موقعة

"أدرنة" سنة ٣٧٨

(٤) اتخاذ المسيحية ديانة رسمية للأمبراطورية سنة ٣٩٢

(٥) تقسيم الأمبراطورية الرومانية الكبرى الى قسمين : شرقى وغربى

سنة ٣٩٥ (١).

فالقرن الرابع ءاذن - يمثل العصر الذى اجتمعت وتفاعلت فيه مختلف

العناصر الأساسية التى كوّنت تاريخ أوربا فى المصور الوسطى : وهى

(الكنيسة المسيحية ، والجerman ، والامبراطورية) (٢).

(١) راجع أوربا المصور الوسطى . ج الأول - د . سعيد عبد الفتاح

عاشورص ٤ ، أستاذ كرسى تاريخ المصور الوسطى كلية الآداب -
جامعة القاهرة .

(٢) المرجع السابق ص ٤

راجع دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى

ج ص

بدائية العصر الحديث

وما هو جدير بالذكر ، أن الكثير من الآراء التي سادت في العصور الوسطى عاشت أيضا بعض الزمن في العصر الحديث . فمن الصعوبة أن توجد حدا فاصلا بين عصر وآخر كما قلنا سابقا . ولذا يحتبـر عصر النهضة من دلائل الانتقال من العصور الوسطى الى العصر الحديث .

واليك أهم ما اعتبره المؤرخون بداية لتاريخ العصر الحديث : سقوط القسطنطينية في يد الأتراك المشايين عام ١٤٥٣ م لأنه قد ترتب على هذا الحادث قيام حركة احياء العلوم في أوروبا عندما غادر القسطنطينية عدد كبير من العلماء اليونانيين الى أوروبا حاملين معهم مخطوطاتهم الثمينة التي انبثقت منها دراسات جديدة أضاءت الطريق لظهور النهضة الأوروبية وحركة احياء العلوم . (١)

(الناحية الثقافية) :

أما الناحية الثقافية ، فهي سمة بارزة في الانتقال من العصور الوسطى الى العصور الحديثة . وذلك أن الكنيسة كانت وحدها ملاذ الثقافة والتعليم ولذا اصطبغت الثقافة في العصور الوسطى بالصيغة الدينية فقد كان العلماء في تلك العصور هم أنفسهم رجال الدين ، وما يقوله رجال الدين حينئذ يتقبله الناس وما يرفضونه يرفضه الجميع (٢) .

(١) التاريخ الأوربي الحديث الدكتور عبد الحميد البطريق ود . عبد

المزين نوار ص ١٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤ .

وكل تعاملهم مسلّم بها لا تقبل النقض ولا تحمل النقاش الملقى وكانت
للغة اللاتينية هي اللغة الأساسية التي يجب على كل فرد أن يتعلمها ويتقنها •
أما اللغات القومية فكانت للتخاطب المحلي •

ومن أراد المعرفة فلا سبيل إليها إلا عن طريق اللغة اللاتينية التي كانت
أز ذلك لغة الجامعات يتفاهم بها الطلبة مع أساتذتهم لذلك نصّت لوائح
الجامعات الأوربية في العصور الوسطى على عدم إجازة من يثبت أن لغته
اللاتينية غير سليمة •

ثم تطورت الدراسة حتى اتجهت في العصور الحديثة الى الناحية القومية
ولم تعد اللغة اللاتينية وحدها هي لغة الثقافة والأدب •
ولم تلبث الجامعات أن تصدت لسيادة الكنيسة الباطنية وناهضت المبدأ
بخضوع الكنائس في البلاد الغربية خضوعاً تاماً للبابا وبسطة وكان على رأس
الجامعات المعارضة ، جامعة باريس التي أيدت مبدأ استقلال الكنيسة
الفرنسية •

وقد تحقق فعلاً للكنيسة الفرنسية هذا الاستقلال واكتسبت صبغتها
القومية في عهد لويس الحادي عشر (١٤٦١ - ١٤٨٣) (١) •

فلذا عدّ المؤرخون الناحية الثقافية فترة انتقال من العصور
الوسطى الى الحديثة •

(١) المرجع الأول مع تعديلات طفيفة ص (١٥) •

(الاكتشافات الجغرافية) :

ومن المظاهر الثقافية لانتقال أوروبا إلى المصور الحديثة ، عنابة
بعض الشعوب الأوربية بجغرافية العالم واكتشاف أبعادها .

وقد كان احتلال البرتغاليين (سبتة) على الساحل الإفريقي عام
١٤١٥ بمثابة الحلقة الأولى في سلسلة المغامرات البحرية التي أدت دوران
(فاسكوداجاما) حول إفريقيا سنة ١٤٩٢ م وتأسيس الإمبراطورية البرتغالية
والاستعمار البرتغالي في الشرق ثم أدت تلك المغامرات إلى اكتشاف أميركا .

الناحية الاجتماعية والاقتصادية :

أما الناحية الاجتماعية والاقتصادية ، فقد تميز العصر للوسطى بالنظام
الاقطاعي الذي بدأت تتلاشى مظاهره في المصور الحديثة فقد كانت الأرض موزعة
بين أشراف يمتلكونها بما عليها من انسان وحيوان ، ويحكمون اقطاعاتهم
بمطلق ارادتهم . يقضى بين الناس بما شاء له حكمه ، وبذلك كانت الأرض
هي عماد الثروة الاقتصادية لذلك انعدم وجود الطبقة الوسطى التي تعتبر عماد
الحياة .

الخلاصة : كان المجتمع طبقتين : أشرافا يتمتعون بكل شيء

وفلاحين يعتبرون أرقاء للأرض .

ولما كان أكثر الأحداث وقعت في القرن الرابع عشر اعتبره المؤرخون
بداية المصور الحديثة . وهي الفترة التي اصطلح المؤرخون على تسميتها باسم
عصر النهضة (Renaissance) بمعنى البحث الجديد أو
بالمعنى الحرفي (الولادة الجديدة) .

وقد ظهرت حركة النهضة في بدايتها في إيطاليا وكان ذلك في منتصف القرن
الرابع عشر . اذن ان المصور الحديثة تبدأ من القرن الرابع عشر والله أعلم .

(ثانيا) - أوروبا في النهضة العلمية والأدبية :

نحاول في هذا الجزء من البحث أن نتعرف على أثر الحروب الصليبية ونتائجها في النهضة الأوروبية في مجالات العلم والأدب والحضارة . إلا أننا - نحاول - أن نتحاشى عن التعصب والمزايدات * سواء أكانت من تلك الأفكار التي تبالغ في تأثير هذه الحروب على أوروبا من حيث استفادتها من حضارة الاسلام أم كانت من تلك الأفكار التي تهوّن من شأن تأثير هذه الحروب * اعشى أفكار المثقفين الذين وقصوا في الانبيهار من هذا الابداع المادى للحضارة الغربية المعاصرة *

ذلك أن الأصالة قدر مشترك بين الحضارات جميعها * فكل حضارة أبدعت ونقلت وكانت لها سمة تميزها بين الحضارة العالمية * ولم توجد قط حضارة تفردت بالابداع أو تفردت بالنقل أو خلت من السمة التي تميزها بين سمات الحضارة (١) .

والحق الذى ينبغى أن يتمسك به كل باحث في تاريخ أوروبا العلمى ، هو أن أوروبا قد مرت بثلاث مراحل :

الأولى منها كانت مظلمة حقاً وهى تقع في الفترة ما بين نهاية القرن الثالث ونهاية القرن التاسع الميلاديين ، وكانت محبرة انتقل عليها القديم الى ما بعده .. (٢)

(١) عباس محمود العقاد : أثر العرب في الحضارة الأوروبية ص ٢٨ ط :

دار المعارف بمصر ١٩٦٥م .

(٢) الغزو الصليبي والعالم الاسلامي ، تأليف الدكتور عبد الحلیم محمود ص ٢٧١

(٣) هل نحن مسلمون ، محمد قطب ص ٧٥

والثانية منها : كانت تشهد تدفق العلوم والدراسات العلمية الإسلامية على أوروبا الغربية وهي تقع بين بداية القرن العاشر ونهاية القرن الثاني عشر الميلادي ، وهي مستغرقة أكثر من قرن في زمن الحروب الصليبية .

والثالثة منها : وهي المرحلة التي أدت إلى ازدهار العلوم والدراسات العلمية تمتد من بداية القرن الثالث عشر الميلادي . من نهاية العصور الوسطى وهي التي أفادت تماما من اتصال دول أوروبا الغربية بالعالم الإسلامي عن طريق الحروب الصليبية . (١)

ولقد أفادت أوروبا من علوم المسلمين وطبهم في هذه المراحل الثلاثة جميعا وليس بين الباحثين المنصفين من ينكر أن المسلمين قد فاقوا في الطب والعلوم من عاصروهم من سكان أوروبا منذ ظهور الإسلام إلى أن كان عصر النهضة العلمية في أوروبا .

وفي الوقت الذي كانت الكنيسة تحرم صناعة الطب لا اعتقادها أن المرض عقاب الرب لا ينبغي للإنسان أن يصرفه عن يستحقه وهو الوقت المسمى عندهم بعصر الايمان . في هذا الوقت ، عند استهلال القرن الثاني عشر الميلادي ، كان المسلمون يمارسون الطب منذ زمن مبكر عن ذلك . (٢)

وتأييدا لما قلنا نسوق إليك شهادات من قلب أوروبا قد أداها رجال منصفون أوروبيون .

(١) الغزو الصليبي والعالم الإسلامي ، تأليف دكتور عبد الحليم محمود ص ٢٧١

(٢) المرجع السابق ص ٢٧١ .



(شهادة من النمسا) :

وهي شهادة يوز ديها (محمد أسد النمساوي) المسلم في كتابه
القيسم : (الاسلام على مفترق الطرق) يقول فيها :
" ان تحرير العقل الاوربي من القيود العقلية التي فرضتها
عليه الكنيسة المسيحية قد اتفق في أثناء النهضة التي كانت مدينة الى
حد بعيد لذلك المامل الثقافي الذي كان العرب ينقلونه الى الغرب .
وكل ما كان خيرا في الثقافة الاغريقية القديمة ثم في العصر الهيلاني
التالي ، فان الحرب بعثوه قلى علومهم وزادوا فيه في القرون التي تلت
تأسيس الامبراطورية الاسلامية الاولى . انا لا أقول ان تقبل العرب والمسلمين
لنتائج الفكر الهيلاني كان على وجه العموم فائدة لا شك فيها ليم - ان
انه لم يكن كذلك .

ولكن مع كل العقبات التي يمكن أن تكون الثقافة الهيلانية قد خلقتها
في سبيل تقدم المسلمين بالمعنى الاسلامي الصحيح ، فان تلك الثقافة
نفسها كانت باعثا قويا عن طريق الحرب أنفسهم في سبيل نهضة
أوروبية .

ان العصور الوسطى قد اتلفت القوى المنتجة في أوربة : كانت العلوم في
ركود وكانت الخرافات سائدة ، والحياة الاجتماعية فطرية خشنة الى حد من
الصحب علينا أن نتخيله اليوم . في ذلك الحين أخذ النفوذ الاسلامي
في العالم - في بادئ الامر ، بمغامرة الصليبيين الى الشرق ، وبالجامعات
الاسلامية الزاهرة في اسبانيا المسلمة في الغرب ، ثم بالصلوات التجارية المتزايدة
التي أنشأتها جمهوريتا جنوة والبندقية - أخذ هذا النفوذ يقرع على الأبواب

الموصدة دون المدنية العربية . (٢)

(١) راجع كتاب الاسلام على مفترق الطرق ، محمد أسد ص ٤٢ ، ترجمة د / مرفوخ

(٢) المرجع السابق ص ٤٢

" وأمام تلك الأُبصار المشدوهة ، أبصار العلماء والمفكرين الأُوروبيين ظهرت مدنية جديدة - مدنية مهيبة راقية خفاقة بالحياة ذات كنوز ثقافية كانت قد ضاعت ثم أصبحت في أوربة من قبل نسيباً منسياً .

ولكن الذى صنع العرب كان أكثر من بحث لعلم اليونان القديمة ، لقد خلقوا لأنفسهم علماً علمياً جديداً تمام الجودة .

لقد وجدوا طرائق جديدة للبحث وعملوا على تحسينها ، ثم حملوا هذا كله بوسائل مختلفة إلى الغرب . ولما نبأنا إذا قلنا ان المصير الحلي الحديث الذى نميش نميش فيه لم يدشن في مدن أوربة النصرانية ، ولكن في المراكز الإسلامية ، في دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة . وان أثر هذا النفوذ في أوربة كان عظيماً . لقد بزغ ، مع اقتراب الحضارة الإسلامية نور عقلي في سماء الغرب ملأها بحياة جديدة ويتعطر إلى الرقي . ولم يأت التاريخ الأُوروبي بأكثر من اعتراف عادل بقيمة الحضارة الإسلامية حينما سمي عصر التجديد الذى نتج من الاحتكاك الحيوى بالثقافة الإسلامية " عصر البحث " (١) فانه كان في الحقيقة ولادة لأوربة ، ولم يكن أقل من ذلك .

هذه هي شهادة رجل أوربي نساوى ، قد أتاحت له فرصة الاطلاع على الثقافتين ، الإسلامية والعربية فهده الله تعالى إلى الاسلام الخفيف فهو يدلى بهذه الشهادة بدون أى تعصب أو تحيز . (٢)

(١) عصر النهضة (Renaissance) كما يقال في التاريخ الحديث ولا ريب ان انصراف المسلمين في الأندلس . في العصور الوسطى إلى العلوم والفنون جعلهم إلى حد يهبطون الناحية العسكرية الحربية في حياتهم فشجع ذلك الكنيسة على تأليب الأُوروبيين على العرب فكان ذلك سبباً من أسباب ضياع الأندلس .

(٢) راجع هامش كتاب " الاسلام على مفترق الطرق " محمد أسد ص ٢٣ .

شهادة من فرنسا :

ومن الجدير بالذكر ان نتائج الأبحاث المربية الفريدة التي تتعلق بعلمى الطبيعة والفلك ، قد تمتعت هي أيضا في العالم قاطبة بأهمية واهتمام زائدين .. وقد شهد بذلك كثير من الباحثين الأوربيين .. فاليوم نختر شهادة رجل كاتب غير متعصب ... فمن هو ذلك الرجل ؟؟

هو رجل من فرنسا وهو الأستاذ سديلو (Sedillot) ان هذا الاستاذ رغم كون فرنسا تعتبر أم الحضارة المادية الحالية - لم يتحيز اليها ، بل صرح بالحق .

فشهادة فرنسا في مثل هذا الموطن مقبولة لمكانتها بين دول العالم لما قامت به الثورة ^{من} الفرنسية المشهورة وما ناديت به من حقوق الانسان . فلنستمع ^{الى} الى هذه الشهادة :

" لقد توصل " فلكيوبفداد ، في نهاية القرن العاشر الى أقصى ما يمكن أن يتوصل اليه انسان في رصد السماء وما دار فيها من كواكب ونجوم بالعين المجردة دون اللجوء الى عدسات أو منظار . ولكن لم يجد جميع فلكي الحرب مترجما لا تنبها فلذا لم تدخل علومهم جميعها الى بلاد الغرب .

(١) عن كتاب شمس الحرب تسطع على الغرب ، تأليف المستشرق الألماني زيفريد هونكه ص ١٤٥ .

ومن بين العرب الذين وصلت آثارهم الى مواطن العالم الغربي
 بطريق مباشر نجد العالم (الفرغاني) (١) (Al Farghani)
 الذي كان يحمل في بغداد أيام أبناء موسى . لقد قام الفرغاني بقياسات
 طول خط الأرض المستقيم . . .

وكان أول من أدرك ان مدار الشمس والكواكب على مر الزمان
 يجرى في اتجاه خلفي . وكتاب " جوامع علم النجوم " " للفراجانوس " (Al Fraganus)
 ثم ترجم كتاب الفرغاني الى اللاتينية ،
 وأصدره ملانشتون : (Melanchlon) في حله الجديدة عام
 ١٥٣٧ م في نورنبرغ كملحق لكتاب " راجيومونتانوس " —
 (Regiomntanus) وبهذا يعترف هذا الرجل الغربي
 بتفوق العرب على الغرب — آنذاك — في جميع المجالات العلمية . . .

(١) الفرغاني : فُلني أرسله الخليفة المتوكل الى الفسطاط (القاهرة)
 لينظر بنائمه مقياس النيل (٨٦١) . له : جوامع الكواكب
 والحركات السماوية . . . نقل الى اللاتينية والمبريه . . . وله
 أيضا كتاب في الأسطرلاب : المرجع السابق ص ١٩٥ .

شهادته أخرى من فرنسا : يؤيد بها بكل أمانه الاستاذ (موريس بوكاي)
الفرنسي :

يقول : (١)

” ولكن علينا أن نتذكر أن في عصر عظمة الاسلام • أي بين القرن الثامن والقرن الثاني عشر من العصر المسيحي • وعلى حين كانت تفرض القيود على التطور العلمي في بلادنا المسيحية • انجزت (الحضارة الاسلاميه) كمية عظيمة من الأبحاث والمكتشفات بالجامعات الاسلاميه •

في ذلك العصر كان الباحث بهذه الجامعات يجد وسائل ثقافية عظيمة •• ففي قرطبه كانت مكتبة الخليفة تحتوي على اربعمئة ألف مجلد • وكان ابن رشد يحلم بها • وبها أيضا كان يتم تناقل العلم اليوناني • والهندي والفارسي • لهذا السبب كان الكثيرون يسافرون من مختلف بلاد اوربا للدراسة بقرطبه مثلما يحدث في مصرنا أن نسافر الى الولايات المتحدة لتحسين وتكميل بعض الدراسات • ولكن هي كثيره تلك المخطوطات القديمة التي وصلت إلينا بواسطة الأدياء العرب ناقله بذلك الثقافة الى البلاد المفتوحة ••••! ولكم نحن مدينون للثقافة العربية في الرياضيات (فالجبر عربي) وعلم الفلك والفيزياء (البصريات) والجيولوجيا وعلم النبات وطب (ابن سينا) و(الرازي) (21) الى غير ذلك • لقد اتخذ العلم لأول مره صفة عالمية في جامعات العصر الوسيط الاسلاميه • في ذلك العصر كان الناس أكثر تأثرا بالروح

(١) راجع كتاب دراسة الكتب المقدسه في ضوء المعارف الحديثه • موريس بوكاي ص ١٤٠ ط : دار المعارف •

الدينونة ، مما هم عليه في عصرنا ... ولكن لا يمنعهم من أن يكونوا
في آن واحد مؤمنين وعلماء . كان العلم الأخر التوأم للدين . لكم
كان ينبغي على العلم ألا يكف عن أن يكون كذلك ...

" كانت البلاد المسيحية ، في تلك الفترة من القرون الوسطى ،
في ركود وتزمت مطلق ، توقف البحث العلمي ، ليس بسبب التوراة
والانجيل وانما ، وعلينا ان نكرر ذلك ، بأيدي هؤلاء الذين كانوا
يدعون أنهم خدام التوراة والانجيل . وبعد عصر النهضة في أوروبا ،
كان رد الفعل الطبيعي أن يأخذ العلماء بثأرهم من منافس الأُمَم
(وهو الله) وهذا الثأر مستمر حتى اليوم . لدرجة أن التحدث حالها
في الغرب عن الله في الأوساط العلمية يعتبر فعلا - على الرغم
في التفرد . ولهذا الموقف تأثيره السيء على العقول الشابة التي تتلقى
تعليمنا الجامعي " .

شهادة من المانيا :

ان هذه الشهادة قد أدلتها امرأة من المانيا فقد ساء لها ما تراه من
انتقاص قيمة الحضارة الاسلامية في الغرب . مع أنها تعلم يقيناً
أن الحضارة الغربية لم تأت بشيء من المجالات الطبية والتكنولوجية
الا ويمكن ارجاعه الى أصل عربي فاذلك حملت معها هذه الشهادة
لتؤديها للعالم وهي المستشرقه الألمانية (ريفريد هونكه) حيث
تقول :

" قبل ٦٠٠ عام^(١) كان لكلية الباريسية أصغر مكتبة في العالم ،
لاحتوى إلا على مؤلف واحد ، وهذا المؤلف كان لعربي كبير .

وكان هذا الأثر العظيم ذا قيمة كبيرة ، بدليل ان ملوك
المسيحية الشهير ، " لويس الحادي عشر " اضطر الى دفع اثني عشر
ماركا من الفضة ومئة (تالر) (Talar) من الذهب الخالص لقاء
استعارته هذا الكنز الغالي رغبة منه في أن ينسخ أطباؤه نسخه
يرجعون اليها اذا ما هدد مرض أو داء صحته وصحة عائلته .
وكان هذا الأثر الملقى الضخم يضم كل المعارف الطبية منذ أيام^(٢)

(١) ترجمة المستشرقه هي الدكتور زيفريد هونكه ، مستشرقه المانيه
طائرة الشهيره لها عدد كتب في بيان فضل العرب على الغرب منها :
الرجل والمرأة ، وكتاب شمس العرب تسطع على الغرب وغير ذلك وقد
زارت عددا من البلدان العربيه مثل مراكش ومصر والعراق على اثر دعوه
من رؤساء تلك الدول .

(٢) راجع كتاب شمس العرب تسطع على الغرب ، تأليف (ريفريد هونكه) ص ٤٢ ٤٣

الاغريق حتى عام ٩٢٥ بعد الميلاد . وظل المرجع الاساسي في أوربه
 لمدة تزيد على الاربعمئة عام بعد ذلك التاريخ ، دون أن يزاحمه
 مزاحم أوتوثر فيه أوفى مكانته مخطوطه من المخطوطات الهزيله
 التي دأب في صياغتها كهنة الأديرة قاطبة ، وهو العمل الجبار
 الذي خطته يد عربي قدير .

ولقد اعترف الباريسيون بقيمة هذا الكنز العظيم وبفضل صاحبه
 عليهم وعلى الطب اجمالا . فأقاموا له نصبا في باحة القاعة الكبيرة
 في مدرسة الطب لديهم ، وعلقوا صورته وصورة عربي آخر
 في قاعة أخرى كبيرة تقع في شارع (سان جرمان) ، حتى
 اذا ما تجمع فيه اليوم طلاب الطب وقمت أبصارهم عليهم
 ورجعوا بذاكرتهم للوراء يسترجعون تاريخه . فمن هو ؟ انه
 الرازي أو رازاس (Rhases) كما ستمه بلاد الغرب ، وأما اسمه
 الحقيقي فهو أبوبكر محمد بن زكريا . ولد في مدينة (الري) في
 خراسان شرقي مدينة طهران حاليا .

شهادة من امريكي :

يقول الأهركى ديريير في كتابه النزاع بين العلم والدين :
 " واننا لندهش حين نرى في مؤلفاتهم من الآراء الملمية ما كنا
 نظنه من نتائج العلم في هذا العصر ، ومن ذلك أن مذهب النشوء
 والارتقاء للكائنات العضوية الذى يعتبر مذهباً حديثاً ، كان يدرس
 في مدائرسهم " .

(١) المرجع السابق (٢٤٤)

(٢) راجع كتاب الاسلام دين علم خالد للاستاذ محمد فريد وجمدى
 ص ٢٣٣ من الطبعة الثانية ويلاحظ من هذا التقرير ، شىء لغيره
 أخطاره الكبيره وهوانه جعل التطور الذى عرفه المسلمون
 والتطور الذى اخترعه (داروين) و (ولاس) في درجته
 واحده .. خاشا وكلا .. فبينهما بون شاسع ، وذلك ان التطور
 الذى احدثه اليه المسلمون كان ملاحظاً للتدرج في مراتب المخلوقات
 من الجوامد الى الانسان ، ولكنهم لم يقولوا ، كما قال داروين - ان
 الانسان من أصل حيوانى ولم يبخسوه قدره ولا نفوا عنه أخصص
 خصائصه الذى تفرد به ، وعرفوا أنه متميز من بين سائر الحيوانات
 ومن ثم عرفوا فكر التطور ولكنهم لم تتحول في تفكيرهم الى لوثه
 مدمره كما حدث في الفكر الغربي المحدث .

شهادة من بريطانيا :

ان شهادة بريطانيا كانت عامه . فهي ترى أن السرالبندي
 تقدم به الحرب كامن في القرآن الكريم/فكرو (غلا دستون) (23) وزير بريطانيا
 الأول أحد موطدى أركان الامبراطوريه في الشرق - حينما قال :

" مادام هذا القرآن موجودا فلن تستطيع أوربيه السيطرة على
 الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان " .

هذا ما يقوله المفكرون المنصفون في أوربا أن الحضارة الغربيه
 الحاليه لم تنهض الا على ما قدمته الحضارة الغربيه
 الاسلاميه . هذا ما يؤكده المستشرق (برينفولت) -

(Briffault) .

" ان روجو يكون : درس اللغة العربيه ، والحلیم العربيه
 في مدرسه (اكسفورد) على خلفاء معلميه الحرب في الأندلس .
 وليس (لروجريكون) ولا لسميه الذي جاء بعده .

(١) محمد اقبال : تجديد التفكير الديني : ترجمته عباس محمود نقلا
 عن كتاب بناء الحضاره (برينفولت) نقلناه عن كتاب التفكير
 الفلسفي في الاسلام . عبد الحلیم محمود شيخ الأزهري
 سابقا ص ٢٨٣ .

(٢) راجع ايضا المسلمون بين الماضي والحاضر والمستقبل ، وجهد الدين
 خان ص ١٠

الحق في أن ينسب اليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي ،
 فلم يكن روجر بيكون الا رسولا من رسل العلم والمنهج الاسلاميين
 الى أوروبا المسيحية ، وهو لم يمل قط من التصريح بأن تعلم
 معاصريه اللغة العربية وعلوم الغرب ، هو الطريق الوحيد
 للمعرفة الحقة .

والمناقشات التي دارت حول واضعي المنهج التجريبي : هي
 الطرق من التحريف الهائل الأصول للحضارة الأوروبية . وقد كان
 المنهج التجريبي ، في عصر بيكون : قد انتشر انتشارا واسعا
 واثق الناس في ليهف ، على تحصيله في ربوع أوروبا .

شهادة من الهند :

يقول للكاتب الاسلامي والمفكر الموفق في القطر الهندي السيد
وحيد الدين خان :

" توجد في المتحف البريطاني بلندن عملة معدنية قديمة ،
يحمل أحد طرفيها اسم (أوفاريكس) بالحروف اللاتينية في ثابعا
محمد رسول الله في ثلاثة أسطر باللغة العربية ، ويحمل
الطرف الآخر كلمة (لا اله الا الله وحده لا شريك له) الى جانب
اسم اثنين من ضاربي العملات ببغداد ، باللغة العربية . (١)

ثم قال :

" وأوفاريكس (Offarex) هذا ملك انجليزي كان يحكم
منطقة مرشيا (Mercia) في القرن الثامن الميلادي . وهذا
يدل على أن حكم أوربا كانوا يطلبون من ضاربي النقود البغداديين
أن يصكوا لهم نقودهم . وهذا يدل كذلك على أننا ، معشر المسلمين
كنا نتمتع في زمن /الأزمنة^{من} بما يتمتع به الغرب اليوم ———
تقدم على وصناعي ، ان المسلمين ، خلال مائتي سنة فقط

Charles Owen, History of England (١)
Before The Norman Conquest, 1910.
راجع كتاب المسلمون بين الحاضر والماضي والمستقبل وحيد الدين

خان ص (٧)

من الهجره النبويه كلنوا قد أصبحوا أئمة العالم ، وأصحت
حاضرتهم - بغداد - عاصمة العالم الحضاريه بدلا من اصطخر
الایرانيه ورمسيس المصريه وروما الاوربيه .

* ان أسلافنا بدأوا لاحتلتهم من مرحله البداوة حتى قفزوا
الى أعلى مدارج الحضارة بينما نحن أخلافهم التسعساء ،
الذين تمكنوا من استئناف المسيره ، من مرحله متقدمة ، الا أننا
فضلنا أن نسهر في الاتجاه المضاد .*

ثم نقلا الاستاذ عن أحد المستشرقين كان يصف النهضة الاسلاميه
بما يلي :

" لقد ولد الاسلام في حى مجهول بمكة في الصحراء العربيه .
ولم يكند يخرج منها حتى غزا الشرقين الأدنى والأوسط بسرعه
مدهشه . ثم وصل الى الأندلس عبر شمال افريقيه والى حدود الصين
عبر ايران . وكانت آخر نقطه وصل اليها الاسلام فى أوروبا هي
(بودابست) ، حيث لا تزال مقبرة جل بابا ، بطرازها التركى
على ضفاف (الدانوب) ، تذكرنا بأن المسلمين وصلوا حتى هذه
البقعة النائية .

وكان من معجزات هذا الزحف أن أنشأ العرب المتوحشون أمراطوريه
عالميه ، ولم يكتفوا بنشر لغتهم فى كل أرجاء العالم ، بل اكتشفوا
العلوم الانسانيه واستفادوا بها ورفعوا من مستواها .

" وفى القرن السابع الميلادى أنشئت الأسس السياسيه والاقتصاديه
للإمبراطوريه العربيه العالميه ."

وقامت الخلافة العباسية ، في القرن الثامن الميلادي ، بخلق
 أعظم الحضارات في التاريخ كان مؤسسوها هذه الحضارة يريدون
 نشر الاسلام ، ولكنهم اهتموا باحتضان جميع الاشياء الجيدة
 وافادوا الاسلام بها ... "

شهادة الاستاذ جوستاف لوبون :

ان هذا الاستاذ الكبير شهيد - رغم كونه من الغربيين -
 شهادة رجل واثق على ما يقول : ويصرح تصريحاً لا غموض
 فيه من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار
 الأوربي الا ويمكن ارجاع أصلها الى مؤثرات الثقافة العربية
 بصورة قاطعة .

فلندعه يتكلم :

يقول : " ظهر ما تقدم أن تأثر الشرق في تمدن الغرب كان
 عظيماً جداً بفعل الحرب الصليبية ، وأن ذلك التأثر كان في الفنون
 والصناعات والتجارة .. أشد منه العلوم والأدب ...

وإذا ما نظرنا الى تقدم العلاقات التجارية المظلمة باضطراب بين
 الغرب والشرق والى ما نشأ من تحاك الصليبيين والشرقيين من النموس
 في الفنون والصناعة تحكى لنا أن الشرقيين هم الذين أخرجوا الغرب
 من التوحش ، وأعدوا النفوس الى التقدم بفضل علومهم وآدابهم التي
 أخذت جامعات أوربه تعول عليها فانبثق عصر النهضة منها ذات
 يوم ...

وبهذه الشهادة نعلم أن مصدر الحضارة الغربية الثقافية
 مستمد من الحضارة الاسلامية . ولكن كيف كانت النتائج ؟
 هل اعترف الغرب بالجميل ؟ هل أدوا الاحترام لآساتذتهم ؟
 الجواب لا !

بل أن الاحتقار التقليدي الذي وطد قواعده رجال الكنيسة
أخذ يتسلل إلى بحوثهم العلمية ..

وبعد فترة من الزمن أصبح احتقار الإسلام جزءاً أساسياً
من التفكير الأوروبي ... فتعامل المستشرقون على الإسلام تحاملاً
لا مثيل له حتى تركوه غريزة موروثه في أعقابهم ... وهذا
جولد تسبير في كتابه (العقيدة والشرعية في الإسلام) يقول كلمة زريغ:

" لا في الأفكار ولا فيما يتصل بعلاقة الإنسان بما هو فوق حسه
وشعوره وبالا نهائية .. "

وتوضح ذلك ، أن الإسلام في نموه مصطبغ بالأفكار والآراء الهند
الهيلينستية ونظامه الفقهي الدقيق مستمد من القانون الروماني ، ونظامه
السياسي متأثر بالنظريات السياسية الفارسية ... وتصوفه يمثل
تيارات الآراء الهندية والأفلاطونية الجديدة .. !!

* كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذباً *

وهذا (فليبن رابن) تلميذ مرجليوت في كتابه : " اللغات
القديمه في غربي بلاد العرب " الذي يقول كلمة يعلم كذبه فيها قبل
غيره : " أن القرآن قد احتوى على أخطاء لغوية ونحوية (!!)
وأن المسلمون على مرّ الأجيال قد صححوا كثيراً منها ولكن ما زال
بعضها باقياً حتى اليوم " . إلى آخر هذا اللغو الذي لا يحترمه
عقل ولا علم ولا ضمير ...

هذا هو جزاء المعلمين من قبل تلاميذهم ٠٠٠ لم أر شعبا ينكر الحقائق ويخفيها كـشعب أوروبا ٠٠٠ ان هذا الشعب الحسود استطاع أن يخفي عن أعين الناس هذه الحقائق الضخمة مع وجودها في الكتب .

ان هذا الفريد في تاريخ الانسان العام ٠٠٠
أنظر الى العرب لما أخذوا الفلسفة والمنطق وغيرهما . من اليونان ، بينوه للناس ولم يخفوا من ذلك شيئا وما نقصوا من قيمة الاغريق بل رفعوا أرسطو الى ما هو فوق منزلته : ف قيل له :
انه هو المعلم الأول .

وأما أوروبا الجاهلة كانت مواقفها خلاف ذلك : تطاولوا على صاحب الرسالة الاسلامية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . ان كوجيلوت الذي يعتبر اماما من أئمة المستشرقين يقول : فسي بحثه عن الاسلام في موسوعة تاريخ العالم :

(Universal History Of The World)

" ان محمدا صلى الله عليه وسلم رجل مجهول النسب ، لأنه (محمد ابن عبد الله) . . . فأى سخف وأى تفاهة في التفكير والتعبير ؟
أخبروني هل سمعتم من أحد ^{يقول} أن العرب كانوا يطلقون على من لا يعرفون نسبه (اسم عبد الله) أو يسمونه محمد بن عبد الله ———
عبد المطلب بن هاشم بن قصي . . . انه لغريب ؟

يقوم محمد المجهول النسب يتحدى آلهة قريش وتقاليدها وعبادتها وعاداتها وأوضاعها كلها بنسبه المجهول !!!

هل يبلغ الحسد بانسان حتى يهجم على الناس بمثل هذا الافتراء

المكشوف ؟

وان أنكرتم هذا الاحسان الكبير نقول لكم (ان للبرعينا لا تفضى)

وفى الفصل التالى سنرى ما يدل على عدم اعتراف أوريبا

بالجميل ..

لقد قدم الاسلام لهؤلاء الأوربيين خدمات كثيرة فى شتى المجالات

لا يتسع المكان لذكرها : واليك بعضا من هذه الخدمات

هدايا الحرب للغرب

من هدايا الحرب للغرب هذه الساعة التي كانت تسير على الساعة
وعلى الزيتي وعلى الشمع المشتعل ، أو التي بواسطة الأثقال
المنخفضة .

تكان أن وجدوا الساعات الشمسية الدقيقة التي كانت تعمل مساهمة
لأنها بصوت رنان . .

والساعات المائية كانت تقذف كل ساعة مرة في تلح بمعدني
وتنور حل محور تظهر فيه النجوم ورسومات من عالم الحيوان ، أو
ساعات تحمل فتحات منسقة الواحدة تلو الأخرى في شكل
دائري ، وما تابث تبرق^ن كلما جلوزت الساعة الثانية عشرة ليلا في
حين يمر فوقها هائل وضاء . .

(25) وفي عام ٨٠٧ م قام عبد الله رسول هارون الرشيد⁽²⁵⁾ إلى
أachen) آخن (1) من أعمال ألمانيا ،
ساعة من هذا النمط . . وقد علق مؤرخ القيصر " اينارد "
(Einard) على هذا الحدث في يومياته قائلا :

" كانت ساعة من النحاس الأصفر مصنوعة بمهارة فنية مذهلة ،
وكانت تقس مدة اثني عشرة ساعة وفي حين انقاسها لذلك

(١) آخن (Aachen) مدينة في ألمانيا عدد سكانها ١٤٠.٠٠٠

نسمة وهي مدينة صناعية مشهورة .

تسقط الى الأسفل اثنتى عشرة كرة صغيرة ، محدثة لدى اصطدامها برقاص معدنى مثبت ، ودويا ايقاعها جميلا بالاضافه الى عدد مائل من الأفراس الصغيره التى كلما دارت الساعه دورتها الكامله قفزت (١) من فتحة اثنتى عشرة بوابة واغلتها بقفزاتها هذه ..

وهناك أشياء أخرى كثيرة تسترعى الانتباه فى هذه الساعه تدعو الى الحجب والدهشه ، وليس ثمة مجال لمدها اذ ذلك قد يقودنا الى تفاصيل كثيرة

وعلقت المستشرقه الألمانية ريخريد هونكة على هذا التقرير بقولها :

" نحن ما زلنا حتى يومنا هذا نقف فاغرى الأفواه دهشة واعجابا كلما رأينا ساعة كبيرة فى مبنى البلديه ، وما يرافق دقاتها من ظهور شخوص صغيره متحركه تذكرنا بما فعله العرب فى الماضى ، حبا بالألماب الهكانيينكية وولعاً بها "

(ثانيا) - طريقة الاستدلال العلمى القائم على التجربة :

لقد اعترف الجميع للعرب بفضلهم فى احيال أعمال الفلاسفة والعلماء القدماء وآثارهم للمالم الحديث ولكنهم لم يأخذوا العلم الذى ورثوها عن طريق الاقتباس كما أنهم أيضا لم يأخذوا الآلات العلمية

(١) راجع شمس العرب تسطع على الغرب المستشرقه الألمانية ريخريد

ومواد العلم القريب دون مناقشه أو تحقيق فمذ البدء ادهشوا
العالم بأسره بالحرية الموضوعية والشجاعة العلمية اللتين
استقبلوا بها نقائص السالفين وأقوالهم لاسبغوا بحثا وتقدا وتفنيدا وتحقيقا
للأخطاء ودحضها وعملا لأائها في الحقل الجديد ، دون أن ينشئ
بصرهم غاشية صيت ذائع ومن فسر أن يدخل الوجل الى قلوبهم
اسم كبير فيرهبهم . ولعل أبلغ برهان على هذه الصفة التي كانت
تقضى بالأيؤ منوها حقا وصوابا الا بالأشياء التي تثبت صحتها
التجارب وتدعمها . . . نقول لعل أبلغ برهان على هذا ما نراه من
عناوين لمخطوطات كانت تسمى الى نقد كتب أرسطو (العظيم) نفسه
أوبطليموس .

لقد كانت وقبحتهم العلمية الشديدة تدفعهم دفعا ثابتا
الى القيام بتجارب واختبارات عديدة ، ولكن كان ادراك الاغريق
دوما الشمول في نظرة واحدة كاملة واكتشفوا النظام البديع
والترتيب العقلاني في كل الظواهر الطبيعية فان العرب كانوا يسرون
الهدف العلمي الذي من أجله يهبطون لأنفسهم بكليتها ليس في اجراء
تحقيق واحد أو عشرة تحقيقات فحسب ، بل في المئات الكثير منها . .

(١) لا يفهم من كلامي هذا أن العرب كانوا مثل الماديين الملاحدة للذين
لا يؤمنون بشيء الا ما كان وزنا وكيلا ومسافة . . . حاشا وكلا . . . ان
العرب كانوا يطبقون هذه القاعدة على المحسوسات فقط . . . وأما الغيب
كانوا يؤمنون به كما أراد الله تعالى .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٢

(٣) المرجع السابق ص ١٤٣

ان هذا الحديث يقودنا الى سر تفوق العرب على الاغريق في الابحاث
العلمية أولا وسر تفوقهم على الأمم المسيحية ثانيا ...
أولا ب سر تفوق العرب على الاغريق في الابحاث العلمية :

وليس غريبا ان يتفوق العرب على الاغريق في ميدان علم
الهيئة والتنجيم بل في المجالات العلمية المتعددة .. بيان
ذلك ان الابحاث العلمية التي حققها العرب ، كانت تلبية لحاجتهم
اليوميه ...

كالقيام بالصلاة في مواعيدها المحدودة ... وهو يحتاج
الى معرفة صناعة الساعة . وكالقيام بتمييز ظهور القمر
في شهر رمضان في لحالته الأولى ... وهو أيضا يحتاج الى معرفة
علم الهيئة والتنجيم معرفة دقيقة ...

وكالقيام بتحديد سير القوافل في الصحارى الذي يحتاج أيضا الى
معرفة تامة بكل ما يتعلق على ذلك ...

بل كان هناك دافع قوى يدفعهم الى الابحاث العلمية بكل
ما أعطوا من قوة ... وذلك الدافع هو الأوامر الربانية التي
تحث دائما الى طلب المزيد من الابحاث العلمية ...

كقوله تعالى ﴿ وقل رب زدني علما ﴾

وقول النبي صلى الله عليه وسلم : " اطلبوا العلم ولو في الصين "

" اطلبوا العلم من المهد الى اللحد "

" طلب العلم فريضة على كل مسلم "

وكان الاغريق على خلاف ذلك اللذين انهم كانوا يتساهلون غالباً بالدقة ويهملون عن رضى كثيرا من الحسابات المويضة . . . وليس عندهم هدف في هذه الأبحاث الا الترف العقلي فقط . . . ولا يرجون منها لا ثوابا ولا عقابا .

ان هذه الأسباب كافية في أن يتقدم العرب على الاغريق في الأبحاث العلمية .

ثانياً - ولكن ما هو سر تقدم العرب على الأمة المسيحية وهي ديانته كالمسلمين . .

ولم لم يتقدموا في المجالات العلمية مثل العرب . مع وجود الفرصة السانحة أمامهم كالعرب . بل ان فرصتهم كانت اكبر في أن يأخذوا التراث العظيم ويتطوروا به درجات في سلم الرقى ؟؟

هذا ما نحاول الاجابة عليه فيما يأتى :

سرتقدم العرب على المسيحية في الأبحاث العلمية :

ان الاجابة على هذا السؤال سهل ميسور انه يرجع - بادئ ذى بدىء - الى طبيعة الديانتين : الاسلام والمسيحية البوليسية . . انهما في خطين متوازيين :

الاسلام يوصي أصحابه بحلب العلم ويجعله فريضة عليهم ، ويحتبر دراسة المخلوقات وعجائبها وسيلة التعرف على قدرة الخالق . . كقوله تعالى : * ولقد بينا الآيات لقوم يوقنون * (١)

وأما المسيحية البوليسية تعتبر كل من يدرس المخلوقات من الأغنياء
والحمقى - يقول بولس : " الم يصف الرب المعرفة الدنيوية
بالغباء ؟؟ "

فهو ما من مختلفات بل هما على طرفي التقيض ومتصلان تماما ، حددا
بهذا ، طريق الاسلام للعلم والفكر عن طريق المسيحية ...

وبهذا اتسمت الهوية بين الحضارة التي أسسها محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم والحضارة التي طمس بولس نورها وقضى قسطنطين
على البقية الباقية بينما كان المسلمون يحتبرون دراسة الكون شرحا
لقرآنهم ، نجد المسيحية تعتبرها تناقضا لا ناجلها .

ولا بد من إيضاح ذلك بالمثل :

وأما المسلمون يحكى عنهم مايلي :

" يحكى أنه كان يجلس ، ذات يوم ، فلكيان عربيان في ساحة
الجامع وأمامهما كتاب " المجسطي ⁽²⁷⁾ " مرت بهما جماعة من علماء
الدين فتوقفت مستفهمة غن النبع الذي منه يرتمون ؟ فأجاب
أحدهما : " اننا نقرأ شرح الآية التالية :

* أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت *
ويوضح ذلك أحد كبار فلكيي العرب (البتاني) ⁽²⁸⁾ في قوله :

فان " علم النجوم هو يتوجب على كل امرئ أن يحلمه ، كما
يجب على المؤمن أن يلم بأمر الدين وقوانينه .. لأن علم الفلك
يوصل الى البرهان وحده الله والى معرفة عظمته الهائله وحكمته

السامية وقوته الكبرى وكمال خلقه ..

هذا هو موقف المسلمين من دراسة الكون *

وأما موقف المسيحيين من الدراسة نفسها كالتالى :

قد رأينا قول القديس أن المصدر الوحيد لمعرفة الله هو

الكتاب المقدس وأما دراسة الكون كفر و ضلال ...

والغريب أن يستمر هذا التفكير العقيم سائدا لا يتغير فيحدث

بمثل هذا فى القرن الثالث عشر ، القديس "توما الاكويني (

(Toma EL-Akwiny) يقول : " ان المعرفة التى

لأمر سامية أجل قدرا من معرفة كبره موضوعها أمور حقيرة " .

بعد هذه المقارنة اللطيفة نصل الى النتائج التالية :

(١) انه لا الرومان ولا الهنود ولا اليونان ، هم الذين قاموا فى تطوير

هذا العلم .. وانما كان من فخر المسلمين أن يفعلوا ذلك وحدهم .

(٢) بينما كان العرب يعتبرون دراسة الطبيعة شرحا لكتابين فجهل

المسيحية الحقاء تستقدر معرفة الطبيعة .

(٣) فاعلم أوروبا الجاهلة ، أن مدنييتهم هذه ، ولولا العرب لتأخرت

الى عدة قرون ولبدؤوا من حيث بدأ العرب ...

وقبل أن نختم هذا الفصل يحسن بنا أن ننبه القارئ الكريم الى فريضة

عظيمة اختلقها المسيحيون لأجل النيل من الاسلام عن طريق تلميع

المسلمين .

غريبة عليمة

ان هذه الفريضة / قد رفع لوائها المستشرقون في كل مكان يريدون
بذلك أن يثبتوا للعالم أن المسلمين ما كانوا يحترمون العلم ولا العلماء ...
فما هي هذه الفريضة العظيمة اذن ؟

تزویر لحقیقة تاریخیه ...

ان الكنيسة لما كشف أمرها امام الأنظار من أنها ضدد
العلم وأن الاسلام هو دين العلم ، ادعت أن المسلمين - بقيادة عمرو
بن العاص - لما دخلوا الاسكندرية عام ٦٤٢ قد قاموا باحراق مكتبة
الاسكندرية بصفه بربرية وحشية ...

نقول أنها فريضة لا أساس لها من الصحة ...

لأن التاريخ يخبرنا أن عمرو فاتح الاسكندرية هو نفسه عمرو
الذى ضرب المثل بتسامحه طوال فتوحه ، وقد حرّم النهب
والسلب والتخريب على جنوده وعمل ما كان غريباً عن فهم الشرقيين -
القدماء والمسيحيين على السواء : لقد ضمن صراحة للمفلوبين حرية
ممارسة شعائرهم الدينية المتوارثة ..

ولم يكتف عمرو باصدار الأوامر لهذه المعاملة الطيبة بل
عقد صلحاً معهم على تلك المعاني .. وكان هذا الاتفاق يشمل
الرعايا المسيحيين كهنة وراهبات وهو يضمن لهم الحماية
والأمن أينما كانوا حسب مشيئتهم .. وبالمثل يحى كنائسهم
ومساكنهم وأماكنهم المقدسة وكذلك يحى من يزور تلك الأماكن
من كل من يؤمن بالنبى عيسى ...

وهم يفعلون ذلك للتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم : لأنه

هو أول من كثر المسيحيين منبها أن يكون المسلمون كذلك معهم ..
 واليك نص الأمان الذي تم الاتفاق عليه بين عمرو بن العاص وبين
 أهل مصر الجديدة عند فتحها ، ونصه بعد البسطة : (١)
 " هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم
 وممتلكاتهم وأموالهم وكنائسهم وبرهم وبحرهم .. لا يدخل عليهم شيء
 من ذلك ولا ينتقص .. ولا تسأكنهم النوبة .. وعلى أهل مصر أن
 يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح ، وانتهت زيادة نهرهم
 - خمسين ألف ألف وعليه ممن جنى نصرتهم ، فان أبى أحد
 منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزى بقدر ذلك ، ومن دخل في صلحهم :
 من الروم والنوبة فله ما لهم وعليه ما عليهم .. ومن أبى واختار الذهاب
 فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا . وعليهم ما عليهم
 أثلاثا في كل ثلث جباية . ثلث ما عليهم .

شرح على ما في هذا الكتاب : عهد الله ونصقه ونمة رسوله ونمة
 الخليفة أمير المؤمنين وندم المؤمنين .. وعلى النوبة الذين استجابوا
 أن يمينوا بكذا وكذا رأسا ، وكذا فرسا على أن لا يخرزوا ولا يمنعوا
 من تجارة صادرة ولا واردة ..

(٢)
 شهيد الزبير وعبد الله ومحمد أبناء .. وكتب وردان وحضر ..

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ريفريد هونكه ص

(٢) راجع صبحي الأعشى ، قلقشندى ج ١٢ ص ٣٢٤

ان هذا النص لا يدع مجالاً للشك من أن الكذبة لا أساس لها
من الصحة .. فالمجد والتقديم الملقى للأمة الإسلامية ، وأما
المثروالحماسة للأمة المسيحية المحرفة ..

ولا نكتفي بهذه العبارة القليلة في بيان حماسة المسيحية
حتى نسندها بأدلة قاطعة :

ولقد ذهبت الحماسة بالمسيحيين الى أبعد مدى حتى قدموا الى
احراق الكتب العلمية الثمينة .. واعتبروا الحضارة الاغريقية اهلثة
كبرى وعارا في جهنم الانسانية ...

وهذا الأب ايرونيموس (Hieronymus) يعلن بالتصريح
التالى :

" ان الفكر الاغريقى لعنة على البشرية ، وقال : لقد ترجم الانجيل
الى اللاتينية ليحذر عن الأذهان ذكر (هو ميروس) ..

ولم تكف الكنيسة بهذا التشويه والتلطيخ بل قامت فعلا باحراق
جميع هذه التراث ... فلنخططف ما يلى من كتاب شمس العرب تسطع
على الغرب لبيان مدى هذه الحماسة الفريده ..

" وكان أكبر دليل مؤلم على هذا التفكير الغريب أعمدة الدخان
والسنة اللهب التى اندلعت فوق الاسكندرية ، كنز المعرفة
الاغريقية على مر العصور ... التى أصبحت حينذاك مركزا للكنيسة

(١) يراجع شمس العرب تسطع على الغرب تأليف ريفريد هونكه ص ٣٧١

المسيحية الى جانب رومة • احمرت السماء بنيرانها فوق دلتا النيل ..

وحرقت نفائس شهنة لا تموض من الشعر والأدب والفلسفة والتاريخ والحلم والثقافة الافريقية .. حرقتها وأبادتها جموع من المسيحيين المتمصبين *

وأضاف قائلا :

" وبهذه الطريقة فقدت البشرية جزءا هاما من ثقافتها لا يمكن تعويضه .. وهكذا اختفت مراكز الحضارة الافريقية واحدا اثر واحد وأقفلت آخر مدرسة للفلسفة في (أثينا)⁽³⁰⁾ عام ٥٢٩ م وأحرقت في رومة عام ٦٠٠ م مكتبة البلاطين وهدم ما تبقى من آثار ابنية القدماء " .

وليس غريبا أن يصدر مثل هذه الفعلة الشنيعة من المسيحية وقد فعلت أشنع من ذلك : قد أحرقت جميع الكتب التي كانت تثبت عبودية للمسيح وشفق عنه الألوهية : وتمسكت بأربع كتب فقط التي وضعوا فيها ألوهية المسيح وبنوته ...

تلك جزء من المأساة التي جلبتها المسيحية^{التي} الى الإنسانية ومع ذلك أرادت أن تدفع هذه التهمة الى الأسلام العظيم الأسلام الذي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويضع^{عنه} أمرهم والأغلال التي كانت عليهم *

(ثالثا) - من هدايا العرب موسوعات الطب الاسلاميه :

ان التاريخ يخبرنا أن أطباء المسلمين والعرب ، لم يقتصرُوا
بما كان سائدا من كتب طبيه للاغريق والفرس أو الهنود ، وإنما
ترسعوا في المباحث الطبيه كتوسيعهم في بحوث الهندسة
والنجوم وسائر العلوم ووضعوا الكتب فيما قرأوه وترجموه فإذا هي
موسوعات تشمل جميع مختلف الفنون (١) .

ومن موسوعات الطب الاسلاميه ما لم يوضع له نظير في الضخامة
والتمحيص على قدر أسباب التمحيص في زمانه . وقد ترجمت كلها الى
اللاتينيه فنقلت هذه الصناعة بين أطباء أوربه من حال الى
حال . ولم يشارع مؤلفى العربيه فيها أحد من علماء الأوربيين
الى مطالع المصنوع الحديثه مع شغف الأوربيين أخيرا بادهاء
ملكة العلم للعلم . واليهام الشرقيين بأنهم لا يطلبون العلم الا
للصناعة وأرباحهم (٢) .

ولكى نفند هذا الاتجاه الأوربي الماكر ، كان علينا أن نذكر
بعض أمينات الكتب الطبيه الجامعه التي استوفت منها دول
أوربا .

-
- (١) مرجع الذهب ومعادن الجواهر للمصطفى صنفه سنة ٩٤٧ م وثقه سنة
٩٥٧ م وهي سنة وفاته في ٩ أجزاء طبعة باريس وطبعة القاهرة في ٤ أجزاء
(٢) راجع منهج البحث العلمى عند العرب في مجال العلوم الطبيخية أو الكونية
جلال محمد عبد الحميد موسى ص ١٤٤
(٣) عباس محمود العقاد : أثر العرب في الحضارة الأوربيه ص ٣٨ ط دار
دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م

ومن هذه للكتب :

(أولاً) - كتاب القانون " للشيخ الرئيس ابن سينا فقد اعتمدت عليه

جامعات أوروبا في تدريس الطب حتى منتصف القرن السادس عشر الميلادي وهو كتاب نال تقدير الأوربيين وغيرهم . ولا تزال موضوعات كثيرة مما تحدث عنها ابن سينا جديدة بالتقدير حتى الآن على الرغم من التقدم ^{الذي} التكنولوجي " / نعيشه في هذا العصر . (١)

(ثانياً) - كتاب " الحاوي " لمحمد بن زكريا أبي بكر الرازي المتوفى

سنة ٣١١ هـ وهو كتاب في الطب الاكلتيكي ، والرازي هو الذي ابتدع علم التشخيص واستقصاء الدلالات والتمييز بين الأمراض المتشابهة . وهو الذي قدر التدوين في ذلك كله . (٢)

-
- (١) الفوز الصليبي والعالم الاسلامي على عبد الحميد محمود ص ٢٨٣ ط :
- دار الصناعة والنشر . القانون لابن سينا ترجمته منه طبعات شرقية كثيرة : اجودها طبعة بولاق سنة ١٨٧٧ م وفي الغرب طبعة روما سنة ١٥٩٣ م وهي تشمل على النجاء أيضا وهو مختصر الشفا .
- راجع هامش كتاب المنهج البحث العلمي عند العرب السابق ص ١٤٤ .
- (٢) الحاوي :: أوسع كتب الرازي الطبية . وهو دائرة معارف ضخمة لا يمكن تلخيصها بعدد الأجزاء ومحتوياتها وتحتوي ترجمة اللاتينية التي قام بها اليهودي (فرج بن سالم سنة ١٢٧٩) على ٢٥ جزءا ليس هناك اتفاقا أصلا بين الموضوعات والترتيب في مختلف المخطوطات ولا توجد طبعة حديثة له سوى الطبعة الوحيدة لحيدرآباد الدكن سنة (١٩٥٥ م) وقد تم حتى الآن نشر خمسة عشر جزءا

ولهما (أى ابن سينا والرازي) كتب كثيرة ولكن الكتابين —
المذكورين هما أشهر كتبهما •

(ثالثا) — كتاب "الخصريف لمن عجز عن التأليف" لخلف بن عباس الزهراوى •

المتوفى ٤٢٧ هـ • وهو كتاب ترجم الى اللاتينية • أفاد منه الأوربيون
في الطب وفي الجراحة فهو يذكر في كتابه الآلات جراحية من عمله
وهو يبين بالرسم شكلها ويوضح طريقة استعمالها • وله كتاب
صغر لبعض هذه الآلات وسراها القارئ في نهايتها •

(رابعا) — كتاب "الأدوية المفردة" لعبدالله بن أحمد البيطار •

المتوفى سنة ٦٤٦ هـ وقد أفاد الغربيون منه أكثر فأكثر في
عام العقاقير والأدوية المركبة والمفردة • وظل كتاب ابن
البيطار مرجعا للأوربيين حتى أواسط القرن الثامن عشر الميلادى •

(٣١)

(خامسا) — كتاب نظام المستشفيات "البیمارستانات" • وهو نظام

عرفه المسلمون ونقله عنهم الأوربيون • وقد عني البابوات وبعض
ملوك أوروبا بإقامة المستشفيات على نظام البیمارستانات العربية •

=== والحاوى بخلاف الجامع الحاصر لصناعة الطب والذي يشتمل
على ١٢ مقالة • وقد ظن البيرونى أن الحاوى والجامع
واحد • نقلا عن كتاب منهج البحث العلمى • جلال محمد عبد الحميد
موسى ص ١٤٤ فى الهامش
راجع عرضا كتاب الفوز الصليبى • • والعالم الاسلامى • على عبد الحليم
محمود ص (٢٧٣ - ٢٧٤) •

وكذلك الحال في طبيعة الضوء ^{وسرعته} وانكساره • والذي كتب فيه ابن الهيثم قبل إبطاله من علماء أوروبا •

كذلك قاسوا محيط الأرض وسجلوا مبادر ^{الاعتدالين} ، وقد روى نجوم الكواكب وما بينهما من مسافات قبل " جاليليو وكبلر وكوبرنيك " وأضافوا إلى المعارف الفلكية الشيء الكثير • وأضافوا : البناتي ⁽³²⁾ والفرغاني ⁽³³⁾ والكندي ⁽³⁴⁾ والخوارزمي ⁽³⁵⁾ والصوفي وغيرهم •

وابتدع الخوارزمي استعمال الأرقام في الحساب بدلا من حساب الجمل الذي كان سائدا • واختار سلسلتين من الأرقام : الأولى ما يحرف بالأرقام الهندية (١ - ٢ - ٣) والثانية ما يحرف بالأرقام الخبارية أو العربية (١ - ٢ - ٣) وتستعمل الأولى في أغلب البلاد العربية ، والثانية في بلاد المغرب العربي وفي أوروبا (١) . ولقد كانت لا تعرف (الصفر) في الحساب وإنما علمته من علمائنا والدليل على ذلك ما يأتي :

يقول المؤرخ للمدقق " كانتور " قائلا : " لقد امتدحنا (ليوناردو) ⁽³⁶⁾ بعد أن قرأنا كتابه الأول • ولكننا ، في الواقع ، بعد قراءته تلى المخطوطات ، لا ندري بأي لغة نكيل له الشناءة • ان الكلمات لتعجز عن إكرامه " •

(١) راجع شمس العرب تسطع على الغرب ، المستشرق زيفريد هونكه

وكتب ليوناردو الفصل الأول من كتابه (Liber Abaci) عن الأرقام العربية فقال : " أن الأرقام الهندية التسمية

هي : ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩

وبواسطتها جميعا ، علاوة على تلك العلامة " ٠ " التي تسمى الصفر العربي (١) . فانه يمكن كتابة أي عدد مرها كما ن

ولا يمكن أن يحجب فضل ابن الهيثم والبيروني والكندي والفاقي (٣٧) (٣٨)
 والبغدادى والقزوينى وابن مسكويه والجاحظ والخازن وجابر بن (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤)
 حيان ، وابن النفيس (٤٥) وابن البطار وداود الانطاكي والمقدسى (٤٦) (٤٧) (٤٨)
 والبناني والفرغاني والادريسي وابن ماجد والدينوري والدميري (٤٩) (٥٠) (٥١)
 والصوفي وابن حمزة وابن يونس والرازي والجلدكي والخوارزمي (٥٢)
 وموسى بن شاكربل وابن سينا وابن الرشد (٥٣) (٥٤) (٥٥)
 وغيرهم .

(١) المرجع السابق ص ٩٣

قد أخذ كلمة الصفر عن العرب ليوناردو وكتبه باللاتينية
 (Cephirum) وفي ايطاليا تحولت هذه الكلمة
 الى (Zefro) ثم الى (Zero) وفي فرنسا قال الناس
 (Chiffre) بمعنى الرقم القريب . وفي انكلترا الى
 (Cipher) ثم الى (Zero) وفي المانيا
 (Ziffern) + المرجع السابق ص ٩٣ .

وظلت مؤلفات هؤلاء كما قلنا سابقا - المراجع الممتدة - في
جامعات أوروبا حتى القرن السابع عشر . واعترف عدد كبير من
مؤرخي العالم بفضلهم على العلم والانسانيه حتى قال قائلهم :
" انه لولا أعمال العلماء العرب لا ضطر علماء النهضة الأوربيه
أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ولتأخر سيرالمدنيه عدة قرون " .
وحتى قال آخر : " ان كثيرا من الآراء والنظريات العلميه
حسبناها من صنعنا فاذا العرب سبقونا اليها " (١) .
وظلت الأمة الاسلاميه والعربيه حاملة لواء النهضه
عدة قرون في وقت كانت أوروبا ما تزال غارقة في الظلام .
وكانت أدمغتهم محشوة بالخرافات والخزعبلات .

(١) راجع كتاب أثر العرب والاسلام في النهضة الأدبيه ص ٢٠٤ -
٢٠٦ تأليف د . عبد الحلیم منتصر .

(رابعا) - الترجمة : La Traduction

ان الترجمة حيث هي عامل حضارى * وهذه الترجمة هي العماد الثانى الذى قامت عليه الثقافة العربيه فى العهد الأموى والعباسى وما بعدهما ..

وقد ثبت تاريخيا أن الدولة الاسلاميه ، ما أن استقرت وامتد سلطانها من مشارق الصين شرقا الى مشارف فرنسا غربا حتى أخذ العلماء المسلمون ينهلون من موارد العلم بمختلف فروعها وفنونها ، فأخذوا يترجمون الذخائر العلميه وينقلون الى اللغة العربيه علوم الاغريق والرومان والفرس والهنود .. ترجموا علوم الاغريقيه والفارسيه والقبطيه والآراميه والهندييه .. ونقلت ألوف الكتب من المكتبات القديمه . وأقيمت دور الكتب والمكتبات . وفتح الخلفاء والأمراء قصورهم للعلم والعلماء ، وتنافس الخلفاء والحكام فى رعاية العلم والعلماء وسابقوا فى الانفاق وبسخاء على العلم والعلماء

واليك أمثلة على ذلك :

(36)
قد قبل هارون الرشيد الجزية كتبا . كما دفع المأمون وزن ما ترجم ذهباً وانشئت الجامعات فى جميع أقطار العالم الاسلامى :

وكان جامع المنصور فى بغداد

والجامع الأموى فى دمشق

والجامع الأزهرى	فى القاهرة
وجامع القيروان	بتونس
وجامع انقرويين	بفاس
وجامع قرطبة	بالأندلس
والجامع الكبير	بصنعاء
وبهت الحكمة	فى بغداد أيضا
ودار الحكمة	فى القاهرة أيضا

وكانت جميعها بمثابة معاهد للعلم فى أرقى صور، وكان
فى رعاية الخلفاء والحكام من أمثال المأمون ونظام الملك وشمس
الدين زنكى والحاكم بأمر الله وصالح الدين الأيوبي^(٥٦) من يرضون
على القمة من حيث رعاية العلم والعلماء ...

وقد خصص أبناء موسى بن شاكر الثلاثة ربع أملاكهم
للخدمة لترجمة وجمع الكتب فضربوا بذلك المثل لغيرهم
أمثال الطبيب قسطنطين لوقا البعلبكي .

واتدأضاف المسلمون والحرب كثيرا من الآراء والنظريات التى نسبت إلى
فيهم فمثلا " ابن مسكويه^(٥٨) وأخوان الصفا وابن خلدون^(٥٩) قد تكلموا فى
التطور وأكن نسبوه لآلى داروين ..

وتحدثوا فى الجاذبية والربط بين السرعة والثقل والمسافة وان
نسب كل ذلك إلى نيوتن^(٦٠) .

وتحدثوا فى أثر بيئة على الأحياء قبل (لامارك)^(٦١) . وشرح ابن
النيس الدولة المصرى قبل (دارف)^(٦٢) ببضعة قرون^(١) .

كلمات عربية في اللهجات الأوربية

تتميز للفائدة نود هنا أن نشير الى بعض الكلمات العربية
قد استعملها الأوربيون أيام كانوا يتلقون دروسهم من الجامعات
الاسلامية ... واليك بعض ذلك :

(Café) بالفرنسية : هي (القهوة) التي تشرب
(Sofa) هي كلمة (صفة) العربية
التي تعني المقعد المظلل في جوار جامع * وما يقابلها في سائر اللغات
يدل في الغالب على مقعد طويل ذي خشبة في موضع الجلوس *
(Tass) بالفرنسية : هي (الطاس أو الكاسة) *
(Sucre) بالفرنسية و (Sugar) بالانكليزية
(Zucker) بالألمانية ، أي السكر وقد انتقلت هذه الكلمة
لضرورتها في التغذية الى معظم لغات العالم *

(Limonade) : اداة نسبة : (Ade) ،
وعلى ذلك تكون الكلمة منسوبة الى الليمون ، من كلمة ليمون الذي
اشتهرت * وقد أخذ الأوربيون هذا الاسم عن العرب فبقى مستعملاً
عندهم الى هذا اليوم ..

(AlKohol) هو الكحل أو الكحول : والكلمة عربية
كما ترى وقد استعارها الأوربيون في حاجتهم العلمية *

(Banane) هو الموز * ونحن نعرف أن الموز يشبه
البنان أي الأصبع * فقلنا : بنان الموز * فجاء الأوربيون ، وأخذوا

الكلمة الأولى أى البنان واستغنوا عن الثالثة ، أى الموز وهكذا
صارت (Banane) تعنى الموز .

(Cotton) القطن : مأخوذ من العربية كما هو

واضح .

(Chiffon) الشفاف : وقد استعملت هذه الكلمة

فى اللغة الفرنسية فيما بعد بمعنى الخرقه أو المحاء من القماش

(Atlas) الأطلس مأخوذة من العربية .

(Divan) الديوان : هذه الكلمة وأمثالها تدل

على مقعد طويل نى حشايا أو نحوها فى موضع الجلوس وهى

بالفرنسية (Arroz) وكذلك فى الانجليزية ويقال فى

الروسى أيضا .

(Arroz) الأرز بالاسبانية وبالبرتغالية (Arroz)

وبالفرنسية (Riz) .

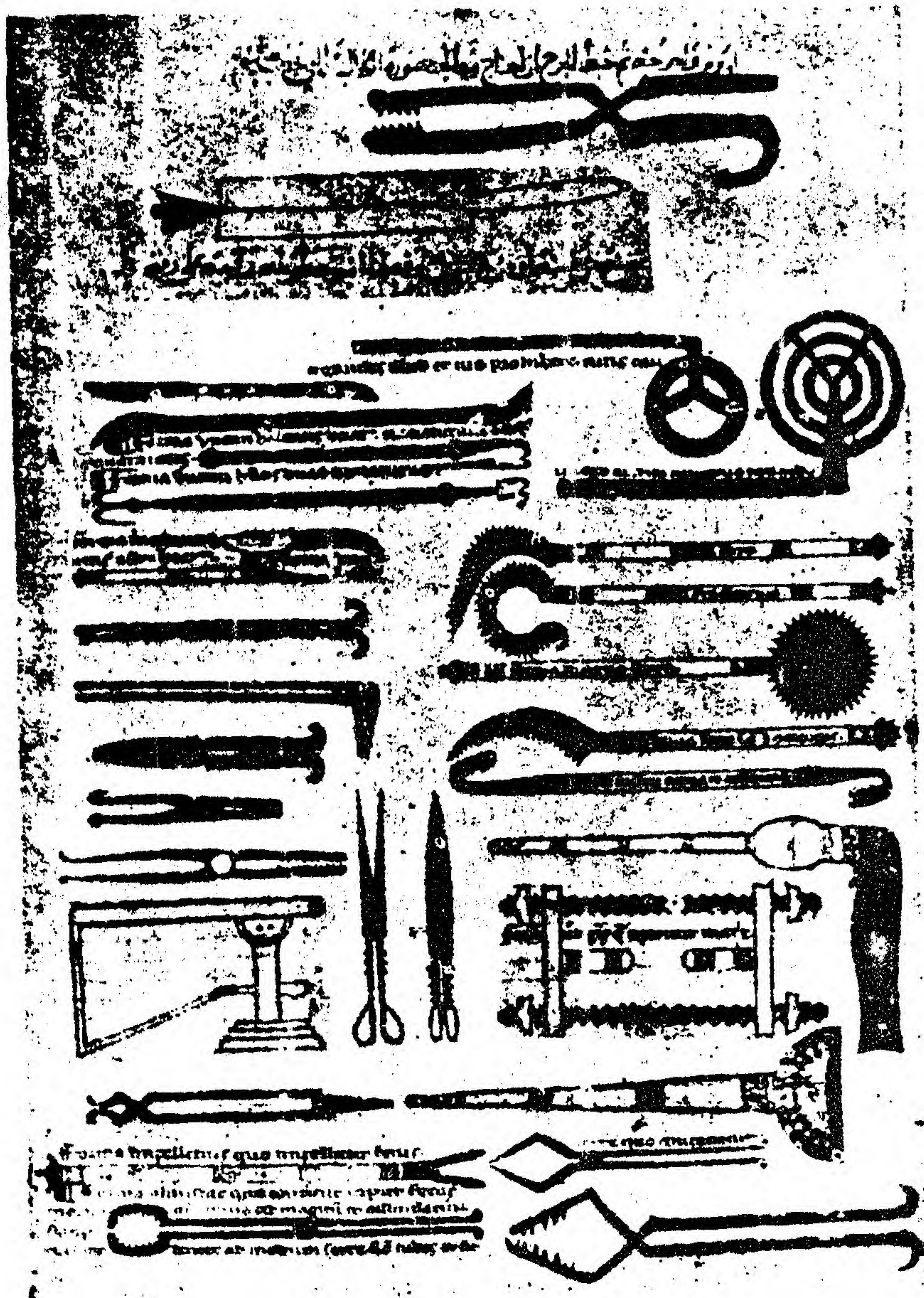
نكتفى بهذا القدر للاثبات أن المدنية الأوربية - رغم نكران

أهلها الجميل - مستمدة من الحضارة الإسلامية .

وأكبر دليل هذه المفردات التى بقيت فى لغاتهم الأوربية

بدون تفسير لتكون شاهدا عليهم .

والى الجزء الثانى من هذا الفصل .



أدوات جراحية عربية

كان أبو القاسم الزهرادى من ألمع جراحى العرب وأعظمهم فضلاً وقد نقل للأطباء الغربيين صور الأدوات الجراحية العربية.

عن كتاب مصر العرب تسلح على الغرب، تأليف الدكتور ريفريد، ونكهة ألمانيا، ص: ٥٧١

ساعة عربية فنية



ساعة عربية فنية

رسم قديم لأحدى الساعات الفنية (حوالي عام ١٢٠٠ م) يظهر فيه
بوضوح عالم الحيوان المتحرك والشخصيات المتنقلة من صقور تقذف الحلقات
في رعاء معدني محدث صوتاً إيقاعياً جميلاً ، إلى عازفين على آلات موسيقية
مختلفة ...

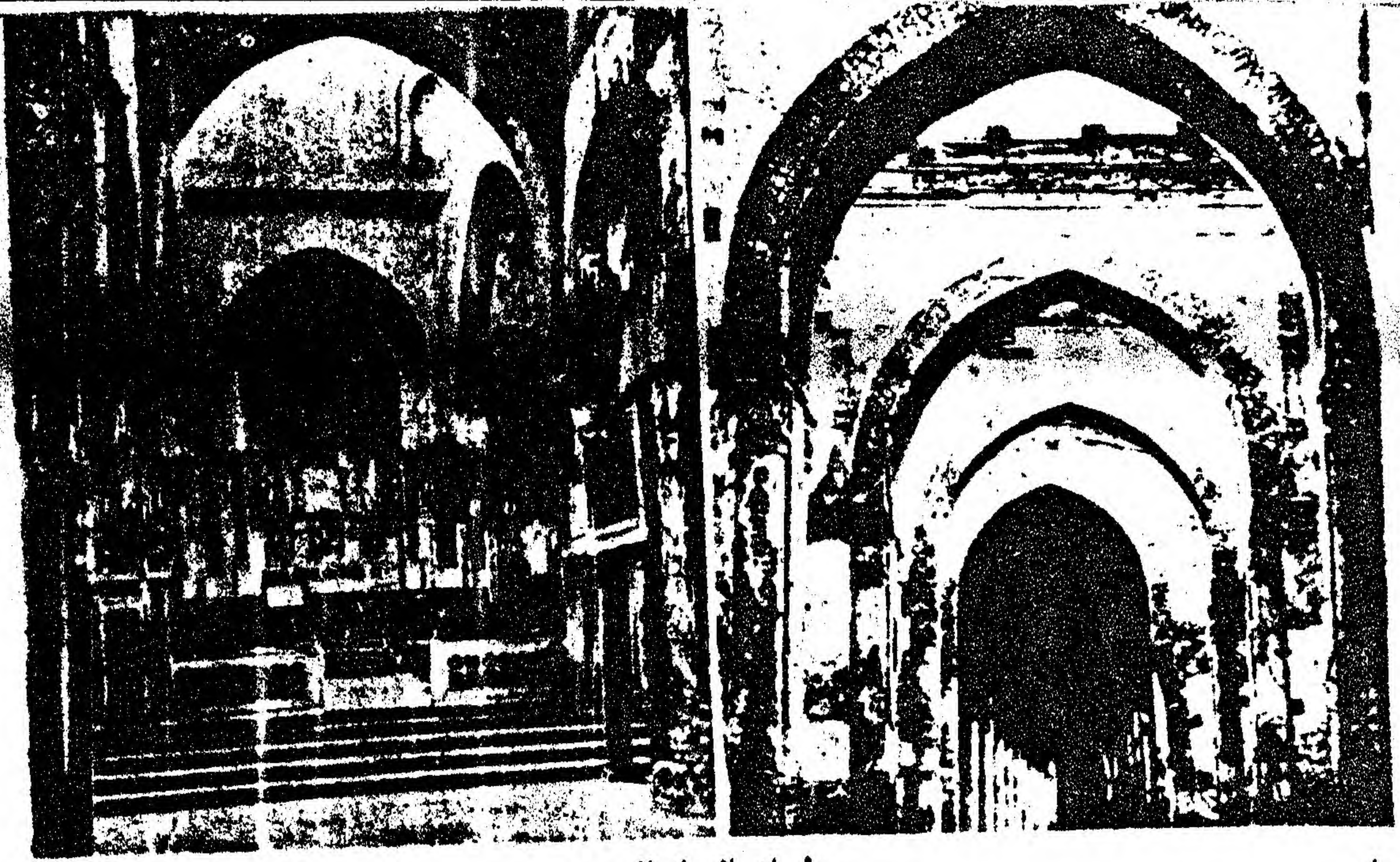
- ٥٦٧ -

في هذا الكتاب من العرب تسلل على الغرب ، تأليف
الدكتور ر. ر. ر. ونكهة الألمانية من ٥٦٧



صيدلية عربية
صيدلية عربية كما جاءت مخطوطة بالعربية لابن سينا

المرجع السابق من:



طراز البناء العربي

- انتقل الطراز العربي في بناء العقود المنحنية الى اوروبة وتطور حتى اصبح عنصراً هاماً في فن البناء القوطي (Gotic) ، الصور من اليمين :
- ١ - تمثل لنا جانباً من هذه العقود في جامع « ابن طولون » بالقاهرة .
 - ٢ - قبة موندريال بالقرب من بالرمو في النصف الاول من القرن الثاني عشر .
 - ٣ - قبة « بيزا » وقد بدى . تشييدها عام ١٠٦٣ اي بعد الاستيلاء على « بالرمو » .
 - ٤ - كنيسة دير فونتناي Fontenay وقد بوشر في بنائها عام ١١٣٠ . ونرى الطراز العربي في بناء العقود المنحنية ، حتى في طراز الابواب ، كما يظهر في الرسم .



المرجح السابق مرة ٨ ٥٧

الصراع في تاريخ الفكر الأوربي

ان المتأمل في التاريخ الأوربي ، منذ القرن الرابع عشر
الى الآن ، يجد أن العقليه الأوربيه شهدت صراعا فكريا جادا
واتجاهات عقليه مختلفه . فكل ذلك يدور حول شيء واحد
وهو : أي شيء يصلح أن يكون مصدرا للمعرفه اليقينييه ؟ هل هو
الدين أو العقل أو الحس ، فكان الصراع دائما يدور حول هذه
الأشياء الثلاث في أوربا . واليك تفاصيل ما أجمل :

أولا - سياده الدين (١)

كان الدين أو النص مائدا طوال القرون الوسطى في توجيهيه
الانسان سواء في سلوكه وتنظيم جماعته ، أو في فهمه للطبيعه .
وكان يقصد بالدين " المسيحيه " . وكان يراد بالمسيحيه ، الكاثوليكه
وكانت الكاثوليكه تعبيرا عن " البابويه " . (٢)

" والبابويه نظام كنسي ركز " الساطه البابا " باسم
الدين في يد البابا ، وقصر حق تفسير " الكتاب المقدس " على

(١) عقائد المفكرين ، عباس محمود العقاد ص ٣٤ ط : دار الكتاب
الحري .

(٢) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د . محمد البهي
ص ٣١٩ ط / السادسة

البابا وأعضاء مجلسه من الطبقة الروحية الكبرى - وجعل
عقيدة التثليث عقيدة أصيلة في المسيحية كما جعل الامتياز
بالخطأ "صكوك الغفران" من رسم العبادة وغير ذلك مما
يتصل بالكاثوليكية كذهب وكنظام لا هوتي .

واستمر الحال كذلك حتى كان القرن الخامس عشر ، وحتى ابتداء
الحروب الصليبية ⁽⁶²⁾ (٣) تشر ثمرتها الإيجابية في المقابلة الأوربية .
فقام مارتن لوثر ^(٤) (Luther) وكفح تعاليم الشيطان كما
سماها . . فحارب صكوك الغفران - كما سيأتي بيان ذلك - وألقى
الأضواء على عقيدة (التثليث) كما حارب سلطة البابا . وجعل
السلطة الوحيدة هي " الكتاب المقدس " وكلمة الله " النفس " .
وطالب بالحرية في بحث الكتاب . . .

- (١) مقارنة الأديان د . شلي ج ٣ المسيحية ص ٢١٢
- (٢) محاضرات في النصرانية الشيخ أبوزهرة ص ٢٠٢ ط : الخامسة
- (٣) راجع كتاب التاريخ الأوربي الحديث د . عبد الحميد بطريقت
د . عبد العزيز نوار ص : ط ١٩٧١ م
- (٤) ترجمة مارتن لوثر : (١٤٨٣ - ١٥٤٦ م) زعيم الإصلاح ال
البروتستانتي نال شهادة أستاذ في الحام من جامعة ايرفورت ١٥٠٥ م
وبدأ يدرس القانون ثم تحول عنه ودخل ديراً للرهبان وحرّم ليوثر
رسمياً صكوك الغفران ١٥٢١ م . ومساءلة المشاء الرباني وتزيج
١٥٢٥ م باحدى الراهبات .

وجاء بعد لوثر - في طريقه - (كلفن) (١) (Calvin)

وبمبذنين الثورتين تعرضت الكنيسة للجدل الفكري وأصبحت موضوعا
للتقاش العقلي والمذاهب الفلسفية وحتى عصر جديد وهو : عصر
سيادة العقل الذي زحزح العقائد المسيحية عن قلب كثير
من الناس سفة وغيرهم .

ثانيا - سيادة العقل :

استمر اعتبار الوحي كمرجع أفضل للمعرفة ، حتى النصف
الثاني من القرن الثامن عشر وهو عصر التنوير في تاريخ الفلسفة الأوربية
وسمي أيضا (عصر الانسانية) وكذلك سمي عصر ()
أي عصر الايمان الفلسفي باله ليس له وحي وليس بخالق للعالم .
فالتنوير - اذن لا يقصد به الا ابعاد الدين عن مجال التوجيه
واحلال العقل محله (٢) . فوضعوا بعض المؤلفات للتدليل على سذاجة
أصول الدين وزعموا أن اصوله من أوهام الجماعات الأولية ، وأكثرها
من الخط من كرامة الدين في كل فرصة سنحت لهم حتى افضت
هذه الحال الى نفور مستمع من الأديان ، والى انتشار الالحاد بين كثير

(١) ترجمة (كلفن) * جون : (١٥٠٩ - ١٥٦٤ م) لاهوتي فرنسي

بروتستانتي من رجالات الإصلاح ولد في مدينة (تويون) وكان طفليها

في اللاهوت والقانون . ثم تحول (١٥٣٣ م) الى البروتستانت .

(٢) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د . محمد البهي

من الطبقات وما زال ينتشر حتى اعتبروا التمسك بالدين دليلاً على الجليل ...

ولنصط القارئ مثلاً ما كان يهاجم به الدين في ظلال حريضة

الفكر في عصر التنوير • تنقل ما جاء في دائرة معارف لا روسه القرن

الـ١٨ عشر تحت كلمة "دين" في كسلا من دهر الدين :

"إن قلنا أن الذوق الانساني يقتضي احتمال الأشياء التي يمكن

تمثيلها يقولون : لا ! لا ! ثم يحارون إذلال هذا العقل الانساني

الذي يدعى نفسه حق التمييز بين الخير والشر وبين الحسن

والنظم حتى اذا تم تعمية عين العقل وتفشيت باصرة

البصيرة ، ... الى حد أن تعتبر المعجزات أمورا عادية ،

وأن تتوهم الأبيض أسود ، وأن تعد الرذيلة فضيلة ، يحسد

الدين فيهيئ بالناس الى الطاعة •

فان سألتهم تطيع من ؟ أنطيمر عقولنا ، أم واجباتنا

الطبيعية أم احساساتنا القلبية ؟

أنطيمر القوانين المقيدة للانسانيه ، والتي تنتج من تأليه

القدمية نفسها ، أجابوك لا ، ولكن أطع وأنت أعني ... " (١)

(١) راجع روح الدين الاسلامي : عفيف عبد الفتاح طبّاره ص ٢٥٠

ومن فلاسفة هذا العصر :

أولا - في (ألمانيا) (ولف) : (Christian Wolff)

و (لسنج) : (Lessing)

ثانيا - في إنجلترا : (لوك) (١) (John Locke)

ثالثا - في فرنسا (فولتير) (٤) (Voltaire)

و (بايل) (piere Bayle)

و (لامترين) (Lamettrien)

هؤلاء هم أشهر الفلاسفة الذين أسسوا هذه المدرسة العقلانية .

(١) لوك جون (١٦٣٢ - ١٧٠٤م) فيلسوف انجليزي ، تعلم في اكسفورد وحاضر

بها ثم ألف كتابه المشهور في الحقل البشري فلذا عرف في أوروبا كلها بأنه

نصير الحرية . راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ١٥٧٨ .

(٤) (فولتير ، فرانسوا) (١٦٩٤ - ١٧٧٨) فيلسوف ومفكر فرنسي ، نشأ في

باريس وتعلم في كلية لويس الأكبر اليوسوعية اتهم باهانة الوطني

فيليب الثاني فحوقب بالسجن في الباستيل احد عشر شهرا وكان حر الفكر

في الدين لذا رفض رجال الدين أن يدفنوه في باريس حسب الطقوس

المسيحية ولكن نقل جثمانه (١٧٩١) ودفن في مقبرة المظلماء

" البانشون " جمعت آثاره في سبعين مجلدا .

ولكن يجب أن نشير هنا إلى نقطة هامة وهي :
 أن ديكارت الفيلسوف الفرنسي (١٥٩٦-١٦٥٠) (١) هو الذي أرسى
 قواعد الفلسفة العقلانية ، المعروف بصاحب المذهب الاستنباطي (٢) إلا أن
 هذا المذهب في جملته فكر مادي . وكانت أول عبارة نادى بها هي " العقل
 أعدل الأشياء قسمة بين الناس " (٣) .

أما (جون لوك) السالف الذكر فقد خطا خطوة أبعد من ديكارت بأن
 طالب باخضاع الوحي للعقل عند التعارض قائلا : (من استبعد العقل
 ليُفسح للوحي مجالا فقد أطفأ نور كليهما وكان مثله كمثل من يقنع إنسانا بأن
 يفتأ عينيه ويستعمض عنهما بنور خافت يتلقاه بواسطة المرقب من نجم
 سحيق .. (٤)

ديكارت : (١٥٩٦-١٦٥٠) م واسمه رني ديكاريت ، ولد بلاهي من أعمال
 مقاطعة تورين بفرنسا . دخل في أول حياته مدرسة (لافاليس) للأباء
 اليسوعيين التي يخلب عليها الطابع الفلسفي ثم غادرها بعد ثمان سنوات ،
 وبعد أربع سنوات أخرى نال الاجازة في القانون - بعدها تطوع للخدمة
 في جيش الأمير موريس ناسو بهولانده خليفة فرنسا على اسبانيا ثم
 عدل عن المهنة العسكرية للعمل في معالجة المسائل الطبيعية
 بالطريقة الرياضية وتجريدها من المبادئ الفلسفية .

- (١) راجع تاريخ الفلسفة الحديثه ليوسف كرم ص ٥٦
 (٢) راجع أساليب الغزو الفكري د . علي محمد جريشه ومحمد شريف
 زنبق ص ٨

(٣) تاريخ الفلسفة الحديثه ، يوسف كرم ص ٥٦

(٤) انظر المشكله الأخلاقيه والفلسفيه

ورسالة في اللاهوت والسياسة ، لسبينوزا ترجمة حنفى ص ١٢٢-١٣٣

كما دعا الى تطبيق مبدأ جديد على الحياة الأوروبية آنذاك
هو مبدأ التسامح الديني ولم يطله الحق اكل الانسان في أن يعتقد
بشيء ويكفر ما يشاء من الأديان والمذاهب .

على أن نقد هؤلاء الذين لم يمل بهم من انكار الوعي والتوسعات
لسماريه بصراحة كما أنه ظل غافلاً عما يطرحه سمارة
التي ترفض التأمل أمام ضغط المجتمع الذي كان يهون بالتوسيع
منها حقاً من كيانها وتأييداً عزيزاً عليه .
التي كانت مخالفاً في الصراع من أجل سمارة التأمل بهم :

فيلسوف الألمانية فيشته (1) (Fichte) :
وهيجل (2)

ألا أن فيشته يختلف عن هيجل لأنه يرى أن سمارة هي

(1) ترجمة فيشته : يوهان جوتليب (1762 - 1814) : فيلسوف وفيلسوف
سياسي ألماني شغف بالفلسفة انتسبه . اتهم بالانحياز لفساد
(بينا) حيث كان يشتغل بالمحاماة . وبفضل كتابه خطب إلى
الشعب الألماني صار زعيماً قوياً . استدل فيشته على وجود ارادة
اخلاقية للكون ، هي بمثابة الله .

(2) ترجمة هيجل : جورج فريدريش : (1770 - 1831) فيلسوف
ألماني . بسط مذهبه في مؤلفات أهمها " علم المنطق " و " موسوعة
المعلم الفلسفي " وكتب في الأخلاق والتاريخ والدين . فلسفته مثالية
مقتضى : مؤداها أن للكون روحاً تتدرج في مراحل تطوره يعبرها
المنطق الجدلي . ويحصله أن فكر ما تولد نقضها . ومن تناقض التناقضين
تنتج فكرة جديدة ثم تؤلف بها فكر سابق تأخذ الفكرة الجديدة نفس
المراحل الثلاث المذكورة وهكذا . . . ففكرة الوجود تولد فكرة الصدم
ومن تألفيها تنتج الضرورة . . . الموسوعة العربية المبررة ص ٩٤ ٩٥ .

مطلقه على كل شيء آخر سواء ، حتى على الدين والوحى
بينما هيجل يميل الى سيادة العقل فحسب على الطبيعة . مع
العلم ان كلا منهما أخذ مبدأ النقيض لفلسفته العقلانية ، المبدأ
الذى اعتمد عليه كارل ماركس فى تأسيس الشيوعيه أو الاشتراكيه .

ثالثا - سيادة الحس :

انتهى عصر التنوير بانتهاء القرن الثامن عشر تقريبا ، وابتدأ عصر
آخر من عصور الفكر الأوربي بظهور فجر القرن التاسع عشر . وموضوع
الصراع العقلى عند الأوربيين واحد لم يختلف عن ذى قبل - هو
الدين والعقل والحس أو الطبيعة .

ولكن تميز القرن التاسع عشر بفلسفة معينة . لأن اتجاه
التفكير مال فيه الى سيادة الطبيعة على الدين والعقل معا . والى
استقلال " الواقع " كمصدر للمعرفة اليقينية مقابل الدين
والعقل .

تميز القرن التاسع عشر بأنه (عصر الوضعية ")
(positive) و " الوضعية " والفائيه الأولى
للمذهب الفلسفى الوضعى هى معارضة الكنيسة وبالتالى :
معارضة معرفتها . ومن باب التغطية عارض هذا المذهب
باسم (العلم) (١) وليضع ، مكان الكنيسة ديناً جديداً ، هو

(١) راجع الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى محمد البهى

دين الانسانيه الكبرى ويقوم هذا الدين على (عبادته) و (طقوس)
كما تقوم المسيحية وله قداسة واحترام في نفوس تابعيه على نحو
ما لكتاكته .

وأما الأساس الخاص لهذه السيادة : ، سيادته الحس هو إعلان
صريح لسيادة الطبيعة على حساب الأديان والعقل . . انهم
طريق المعرفة اليقينية ، وهي التي تنقش الحقيقة في عقول
الانسان .

وفي نظر هذه السيادة ، ان المعلومات التي تلتقي من وراء
الطبيعة خداع ومكر . وقد مر بنا في هذا البحث أن ^(٦٤) ~~الإنسان~~
قال :

" اننا ننكر بشدة جميع هذه الأسس الأخلاقية التي صدرت
عن طاقات وراء الطبيعة غير الانسان والتي لا تتفق مع أفكارنا . الطبقة
وأن كد أن كل هذا مكر وخداع " (١) .
هكذا رأينا أن الفكر الأوربي قد مر بهذه الأدوار الثلاثة
التي هي :

- سيادة الدين
- سيادة العقل
- سيادة الحس (١)

(١) عقائد المفكرين ، المقاد ، ص ٣٥

ويلاحظ هنا شيء يحسن الوقوف عنده قليلا : وهو أن
 الإيمان بالعقل والإيمان بالعلم الحديث ليسا شيئا واحدا كما يلوح
 من النظرة العاجلة . لأن الناس آمنوا بالعقل وحسبوا أنهم يفهمون
 به كل شيء من طريق المنطق والقياس ومن طريق القضايا والبراهين .
 فلما اختلطت عليهم الأمور وقصر بهم العقل دون الحكم بالمحسوسات فضلا
 عن المفاهيم - تحولوا إلى التجربة الحسية ووقفوا عليها جهود
 العلم الحديث ، فلا علم بغير سند من الحس والتجريب .

فاليوم - في القرن العشرين - أين تسير الحضارة الغربية بين
 هذه الشكوك التي بدأت بالشك في الدين ثم مضت أشواطاً بعد
 أشواط تارة مع العقل وتارة مع العلم الحديث ، فلا شك
 أن دعوى العقل قد تواضعت في أوائل القرن التاسع عشر وتواضعت
 دعوى العلم في أوائل القرن العشرين . وكاد العلماء - الآن - أن
 يتفقوا على أن التفسير والتعليل فوق طاقة العلم ولا سيما
 تفسير الغايات والأصول .

بناء هذا المذهب الوضعي

يذكر التاريخ أن من بناء هذا المذهب الوضعي ، (أوجست كومت) (١) الذي تحدثنا ^{عنه} أولاً في بحث قانون الدورة الثلاثية ، فهو يقول هنا : " يجب أن يحل (العلم الواقعي) محل اللاهوت . "

ثانياً (فريخ) (٢) هو الفيلسوف الألماني الذي يعتبر بحق همزة وصل بين هيجل وكارل ماركس فهو يرى أن علم الإنسان هو الدين . والدين إذن محصول للعقل الإنساني وليس موحى به من خارج الإنسان .

والطبيعة الإلهية كذلك هي طبيعة الإنسان نفسه (قبحه الله) .

-
- (١) أوجست كومت (١٧٦٨ - ١٨٥٧)م فيلسوف فرنسي مؤسس الفلسفة الوضعية التي ترفض الميتافيزيقا ، وتعتمد على نتائج العلم الطبيعي الحديث هدفه الأساسي هو إصلاح المجتمع ليحيي الناس في توافق وانسجام . ومذهبه مبسوط في كتابه " محاضرات في الفلسفة الوضعية " وفيه يبين المراحل الثلاثة التي اجتازها الفكر في تطوره (١) اللاهوتية التي تحلل الأشياء بقوى خارقة (٢) الميتافيزيقية التي تحلل الأشياء بمبادئ مجردة (٣) الوضعية التي تحلل الأشياء بالمشاهدة . .
- (٢) والتجارب تؤيد للفروض وتتفاوت العلوم بساطا وتركيبيا . فأبسطها الرياضه فالفلك فالفيزيقي فالكيميا فعلم الاجتماع وكل يعتمد على سابقه والاجتماع يعتمد عليها جميعا ، وكلها في خدمته . .
- الموسوعة العربية الميسرة ص ١٧ ١٥

وثالثا (ماركس) (١) (Marx)

ان هذا الفيلسوف هو الذي أثر تأثيرا كبيرا في انتشار البحث الطبيعي الواقعي على الميٹفيزيقا . وعلى طريقة التفكير الخاصة بعصر التنوير في القرن التاسع عشر .

(١) (كارل ماركس) ولد في عام ١٨١٨ في بلدة تريف في ألمانيا حيث تغفل النفوذ الفرنسي وبسط جذوره اكثر ما تغفل في اي جزء آخر من ألمانيا .

وقد انحدر من سلسلة طويلة من الحاخامات اليهود ، ولكن والده كان محاميا ، وعندما بلغ ماركس السادسة من العمر ، اعتنقت اسرة المسيحية ونشأ هو برتستانتيا ، ولكنه لم يلبث ان تغلى عنه ، وكان لانحداره من اسرة الحاخامات اليهودية اهمية كبيرة لسببين :
انه استمد منها روح السلطة التي تميز بها . . . وانه تأثر بشخصية المسيح المخلص وهي العقيدة التي تلعب دورا هاما في الفكر اليهودي (واليهود يعتقدون ان المسيح لم يظهر بعد وانما سوف يظهر) ولم يكن التفكير اليهودي في يوم ما تفكيرا في العالم الاخر ، وانما يصر على واجب اقامة عهد سلامه وسعاده في العالم الحالي .
وهكذا لم يكن من محض الصدفة ان يكون كثيرون من زعماء الشيوعية من ايام ماركس الى الان من اليهود (انظر كاريو هنت ، الشيوعية نظريا وعليا ص ١٧) . . . درس كارل ماركس فـي

=====

=== الجامعات الألمانية حتى حصل على درجة دكتوراه في الفلسفة ولم

يستطع أن ينال عملاً بالجامعة بسبب اتجاهاته الديمقراطية ، التي كانت تعد طرفاً آنذاك ، فلجأ إلى الصحافة ليحمل بها ، وأصبح محرراً بمجلة (الرين) بكونونيا ، لكن حكومة (بروسيا) ضاقت ذرعاً بمقالته وأوقفت صدور هذه المجلة . . . وعلى اثر ذلك انتقل ماركس

إلى باريس حيث تقابل مع مجموعته من المفكرين الذين شغلوا أنفسهم بنشكلات المجتمع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية واشتبه معهم في نضال عنيف إذ كانت آراؤه بعيدة عن اتجاهاته . فلما تقابل مع (فردريك) أنجلس أدرك الاثنان أن افكارهما متقاربة ، فساراً معاً طيلة حياتهما ، وأربطت باسمهما (الاشتراكية العلمية)

وكان لكارل ماركس قصب السبق ، ولكن أنجلس أتم بعد وفاة (ماركس) أيضا اتجاهات هذا الرائد فكان أنجلس بذلك امتداداً لحياتهما . (راجع احمد شليبي ، الاشتراكية ص ١١٧) .

وقد حفل العقد الخامس من القرن التاسع عشر باضطرابات بالغة

حتى سمي عام الثورات ، وقد ناضل الأحرار القوميون في سبيل الديمقراطية والاستقلال وكانت ثورة فرنسا من أبرزها . وقد كان من أسباب الثورات المثالية وقتئذ التعطل وانخفاض الأجور وسوء حالة العمال مع كثرة ساعات العمل .

وحدث أن تكونت جميعه سريره دوليه سميت باسم (عصبة

المدول) وبحلول عام (١٨٤٨) م بثوراته واضطراباته أعلنت هذه الجمعية عن اهدافها وطلبت من ماركس وأنجلس ان يكتبوا بياناً يحمل صيغة اهدافهما فاستجاب ماركس وأنجلس لذلك وأصدرا البيان الشيوعي . . وبعد ان انهارت ثورة ١٨٤٨ م انتقل ماركس إلى لندن عام ١٨٤٩ م ليقضي بقية حياته في عمل متواضع يكسب به عيشه ككاتب في صحيفة (نيويورك تريبيون) في حين كان صديقه أنجلس -

وكان ابن رجل انكليزي ثرى - يسدد نفقات صديقه (ماركس) بما يقدمه له من

مساعداً . . وبعد لجوئه إلى لندن دون كته الكبرى وهي (نقد الاقتصاد السياسي

١٨٥٩ م) ونداء الطبقات العاملة في اوروبا عام ١٨٦٤ م وكتابه الاشهر (رأس المال

١٨٦٧ م) فأسس الدولة الاشتراكية الاولى سنة ١٨٦٦ م التي ظلت قائمة إلى ١٨٧٠ ومات

وآراءه مع انجلز (١) (Enclos) تعتبر دستورا للماركسية فيما سمي
بالاشتراكية الجماعية او ما يسمى بالشيوعية او البلشفية .

وهذا المذهب الشيوعي (١) ينبني على الأسس التالية :

(١) الصراع بين الطبقات :

وماركس له جدل (Dialektik) ، ومنطق استخدم

(١) معظم اعضاء المجلس الشيوعي الذي يحكم روسيا الان سنة ١٩٥١
من اليهود الصرحاء . فالاعضاء ١٧ هم : ستالين رئيس المجلس ،
وكاجانوفيتش نائبه ، ثم بيريا ، وفيرشيلوف ومولوتوف ، وشفرنيك ،
وكيرتشينسنين ، وجوركين ، و (اليا اير همبرج) و ديفنسكي
وهينسبرج وميخاليس ، وقرصين ، وهودي ، ولوزوفسكي ، وكافتانوف
وبيتر ليفنتسكي وهؤلاء يهود صرحاء الا ثلاثة منهم : ستالين
وفيرشيلوف ومولوتوف ولكن زوجات الثلاثة يهوديات . والحركة
الشيوعية حركة يهودية . فمؤسسها يهودي (كارل ماركس)
لقد نجح الشيوعيون اليهود اخيرا في النفوذ الى الصين على
ايدى وكلائهم من الصينيين وغيرهم . وشرعوا بيسطون سلطانهم علانية
بالعنف والخديعة على آسيا ، الى جانب ما استحوذوا عليه من

=====

فيه (النقيض) الذي عرف للفيلسوفيين الالمانيين (فرشته و هرجل)
ولكنه استخدمه في مجال اخر غير مجال التصوير الذهني الذي كان عند
(فرشته) وغير (مجال الفكرة) الذي كان عند هرجل . ان استخدمه
في مجال الاقتصاد . واستند في هذا الاستخدام الى تاريخ الجماعة .

== من الاقطار الاوربية ولا يوجد قطري العالم لم تتسم بال
الشيوعية اليهودية مستغلة ضيق الناس وشرهم وجهلهم . وشبه
عسدهم وبغضهم على من هم اعلى منهم ، هذا الى ان الصهيونية
في الحكومات والشركات وغيرها ممن لا يعطون باسم الشيوعية ثأرا
وليسوا مع ذلك الا صنائع في الحكومات والشركات وغيرها ممن
لا يعطون باسم الشيوعية ظاهرا . وليسوا مع ذلك الا صنائع
منفذون لا غراض صهيون . وفي ذلك ما يدل على انهم يبيدون
تسخير الصين وامريكا كما هو حاصل . وتسخير اليابان ايضا
ضد اوربا عند الضرورة وهذا شيء لم يكن في حساب سياسي
قط منذ خمسين سنة الا حكاء صهيون .
(راجع بروتوكولات حكاء صهيون الترجمة العربية محمد خليفة

فكل شيء في نظره - يتضمن نقيضه ، بحيث ان كل شيء (

يهدم نفسه وهذا هو التطور العام لبدا النقيض .

ولكن (ماركس) يستخدمه كي يدل على وقوع انهيار المجتمعات

فالمجتمعات السابقه على الرأسماليه وهى :

دول الملوك والمجتمعات الاقطاعيه (اصحاب المزارع الكبيره)

انهيارت بناء على تفكير (ماركس) لانها تضمنت عنصر المقابل

أو النقيض كما يقولون : " ان كل بذره تحمل بذور نقيضه " .

وعلى هذا النحو ستتهار هذه المجتمعات الحديثه الرأسماليه

وتتحول الى المقابل أو النقيض لها وهو المجتمع الشيوعى ذو الطبقه

الواحد من العمال . وهو مفهوم الصراع بين الطبقات عند

الفيلسوف كارل ماركس .

وخلاصه آرائه فى هذا الصراع الدؤوب بين الأمم يرجع

أولا وأخرا الى البحث عن الطعام لا غير وعدوه الوحيد هو المكيه

الفرديه +

وهذه هى سلسله الصراع التى تخيلها ماركس منذ أن ظهر الانسان

الأول على ظهر هذا الكوكب الأرضى .

الشيوعيه الأولى - الرق - الاقطاعيه ، الرأسماليه

الشيوعيه الأخيره . هذه هى حتميات التاريخ عند كارل

ماركس . ومعنى ذلك أن الانتقال من طور الى طور

آخر حتى لا طاقة للانسان التخلص منه أبدا .^(١)

(١) نظره عن الشيوعيه : في مذهب يقضى أن يمتلك الناس الأشياء شيوعا ويعملون فيها معا دون اختصاص أحد بشيء معين . وقد دعا الى هذا المذهب كثير من المثيوسين المناهضين منهم " مزدك " الذي ظهر في فارس قبل الاسلام سنة ٤٨٢ م . وكان شيوعية النساء على شيوعية الأموال واعتبر ذلك دينا ، فتبعه كثير من السفهاء حتى كاد يذهب بالدولة ، ولكن الملك قياد ، كاد يستأصله هو وأتباعه في مذبحة عامه سنة ٥٢٣ م . كما دعا الى هذا المذهب ، القرامطة أيام دواع الماسيين وفتنوا كثيرا من الخلق وارتكبوا كثيرا من الشنع البشعة في جنوبي العراق وما والاها حيث قامت دولتهم نحو سنة ٨٩٠ م الى أوائل القرن الحادي عشر ، كما دعا اليه الشيوعيون في العصر الحديث ورأس مذهبهم (كارل ماركس) اليهودي . وقد تمكن بلاشفتيم اليهود من وضع روسيا تحت هذا النظام . وأكرهوها بالعنف على هذه الفكرة الخاطئة ولا يزالون يتخبطون في تطبيقها هناك متحذرين من خيبة الى خيبة ، مع تكنيهم من الحكم المطلق فيها / سنة ١٩١٧ م وهم يحلزون الرأسمالية الفردية . ولكن الشعب هناك في يدي الحاكم المطلق الذي يملك المال والأرباح . فيجمع بين استبداد المال واستبداد الحكم معا .

راجع الفكر الاسلامي الحديث ^{في} بالاستعمار الغربي ، د . محمد البهي
راجع البروتوكولات ص ١٨٦ في الهامش

نقول ان هذه الحتميات لا أساس لها من الصحة ، فلذا لا نحتاج الى وقوف طويل معها . فوجود العالم الاسلامي ينقض هذه الحتميات لأنه آمن بإمكانية إقامة المجتمع وعلاقته الاقتصادية والسياسية على أساس إيماني بقطع النظر عما طرأ على المجتمع من تغيير في شروطه المادية والمدنية والمادية خلال أربعة عشر قرناً .
وبإجماع المؤرخين ، ان الاسلام لم يمر قط في هذه الحتميات المزعومة .

ولما اتضح ذلك للماركسيين تراجعوا عن غطرستهم فقال أنجلز :
" ان الظروف التي ينتج البشر تحت ظلها ، تختلف بين قطر وآخر ، وتختلف في القطر الواحد من جيل لآخر . لذا فليس من الممكن أن يكون للأقطار كافة وللاُدوار التاريخية جمعاء اقتصاد سياسي واحد " (١) .

وهكذا فشلت المادية التاريخية في أداء مهمتها العلمية المزعومة وثبت لدى التحليل أنها لا تعبر عن القوانين الصارمة الأبدية للمجتمعات البشرية ، فمن الطبيعي اذاً أن تنهار الماركسية المذهبية التي تركز على هذه الفكرة المتطرفة . . .

(١) راجع ضد دوهرنك : ج ٢ ص ٥ نقلاً عن كتاب اقتصادنا محمد

(ثانيا) الدين مخدر :

هذا هو الأساس الثاني الذي تقوم عليه الشيوعية الماركسية .

ولـ (كارل ماركس) نظريه ماديـه ، وهو لا ينكر (العقل) كما ينكره المذهب الميكانيكى ولكنه لا يدعى فحسب أن الماده توجد قبل أن تبنى العقل بل يدعى أيضا أن الماده أكثر ثقلـا وكثرا من العقل . اذ العقل متوقف على الماده أكثر من وجوده ولا يمكن أن يوجد منفصلا عنها ونتجـه ذلك :

أن (ماركس) لا ينكر فقط أن يبقى العقل أو الوجدان بعد الجسـديـه بل يرفض الفكره الأساسيه فى الدين وهى الايمان بالله كوجوده أزلى مستقل تماما ومتجرد تماما عن الماده

والحقيقه واضحه فى الماركسيه : كل دين بالنسبه لـ (ماركس) من حيث المبدأ لعنه وماركس يحدثنا أن كل دين مخدر للشعب : (١) وهذا نصه :

" ان البؤس الدينى ، لهو التعبير عن البؤس الواقعى ، والاحتجاج على هذا البؤس الواقعى فى وقت مما . الدين زفره الكائن المثقل بالألم ، وروح عالم لم تبق فيه روح ، وفكر عالم لم يبق فيه فكر ، انه أُنْهـيـون الشعب " . (٢)

(١) الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى د . محمد البهي ص :

(٢) كارل ماركس ص ١٦ - ١٧

نقلا عن كتاب اقتصادنا ، محمد باقر الصدر ص ٨٤ .

اذن فنقد القديين هو الخطوه الأولى لنقد هذا الوادى الخارق

فى الديموج •

"بالنسبه الينا فى ميدان التاريخ ان الماديه القديمه لا تصدق

مع ذاتها لأنها تعتبر القوى المثاليه المحركه فى التاريخ علـا

نيائيه وذلك بدلا من البحث عما وراءها أى البحث عن القـوى

المحركه الفعليه ، الكامنه وراء هذه القوى المحركه ويبدو التناقض

لا فى الاعتراف بهذه القوى المثاليه فحسب ، بل فى عدم دوائـه

البحث وراء هذه القوى ، حتى يمكن ازاحه الستار على المحلل المحركه^(١)

هذا هو المقصود عند ماركس وأتباعه من التفسير المادى "للتاريخ

الذى هو عبارة عن تحليل للحوادث التاريخيه ، وبواسطه تـدريج

مبادئ البحث الجدلى القائم على مبدأ النقيض •

(ثالثا) - المذهب المادى التاريخى :

ان التفسير المادى للتاريخ ، من أهم المزايا الماديه الحديثه ،

اذ لا يمكن بدونه اعطاء التاريخ تفسيرا صحيحا ، يتجاوب مع

الماديه الفلسفيه ويتسق مع المفهوم المادى للحياه الانسانيه

والكون •

(١) راجع كتاب التفسير الاشتراكى للتاريخ ص ٧٥ •

وما دام التفسير المادى للتاريخ صادقا فى رأى الماركسيه - على
الموجود بصوره عامه ، فيجب أن يصدق بالنسبه الى التاريخ ، لأن
التاريخ ليس الا جانبا من جوانب الوجود العام . (١)

" وعلى هذا الأساس ، تعيب الماركسيه على مادييه القرن الثامن
عشر ، موقفيها من تفسير التاريخ . لأن مادييه القرن الثامن عشر
الديكارتية ، لم تنوفق الى هذا الكشف المادى للجبار فى الحقيقه
التاريخية " .

بل كانت مثاليه فى مفاهيمها عن التاريخ ، بالرغم من اختراقها
الماديه فى المجال الكونى العام .

ولماذا كانت فى مفهومها التاريخى مثاليه ، كانت كذلك فى
رأى الماركسيه لأنها آمنت بالأفكار والمحتويات الروحانيه للانسانيه ،
ومنحتها دورا رئيسيا فى التاريخ . ولم تستطع خلال العلاقات الاجتماعيه
التي كانت تعيشها ، أن تتخطى هذه المواد المثاليه ، الى السبب
الأعمق ، الى القوى الماديه للتاريخ ، ولم يحالفها التوفيق فى
وضع تصميم علمى ، لمادييه تاريخيه تتجاوب مع الماديه الكونيه .
وانما ظلت تتعلق بالتفسيرات المثاليه السطحيه التي تدرس السطح
التاريخى ولا تنفذ الى الأعماق " (٢) .

(١) راجع لودفيج فيورباخ ص ١٠٣ - ١٠٥

راجع كتاب اقتصادنا ، محمد باقر الصدر ص : ٣١

(٢) راجع التفسير الاشتراكى للتاريخ : ص ٥٧

(رابعا) الماركسيه كنظام سياسي للجماعه :

وهذا الأساس الرابع الذي يعتمد عليه الماركسيون في توطيد
أركان الشيوعيه •

(66)

ان النظام الشيوعي ليس فيه مكان لاكثر من حزب واحد هو
الحزب الشيوعي والاشتراكيه • يجب أن تحل محل الرأسماليه •
(67) (68)

وكل الصناعات والمزارع ومصادر الثروه الطبيعيه والخدمات ، يجب
أن تملكها الدوله وتشرف عليها •

وهذه الجماعه الجديده الاشتراكيه أو الشيوعيه ، تبرز للوجود
عن طريق الكفاح بين الطبقات كنتيجه لحرب أو ضغط ، ويسقط النظام
القديم السابق عليها ، وتنشأ دكتاتوريه من العمال •••

ان المرحله الاشتراكيه أو الشيوعيه تتلخص معالمها الرئيسيه
وأركانها الأساسيه فيما يلي :

(69)

أولا - محو الطبقييه وتصفيه حسابها نهائيا بخلق المجتمع اللاطبقى •
ثانيا - استلام البروليتاريه للأداه السياسيه بإنشاء حكومه "دكتاتوريه"
(70) (71)

قادره على تحقيق رساله التاريخيه للمجتمع الاشتراكى •

ثالثا - تأميم مصادر الثروه ووسائل الانتاج الرأسماليه فى البلاد وهى

الوسائل التى يستثمرها مالكيها عن طريق العمل المأجور -

واعتبارها ملكا للمجموع •

رابعا - قيام التوزيع على قاعده : (من كل حسب طاقته ولكل حسب عمله)
(1)

هذا هو المذهب الماركسي بكلتا مرحلتيه ، الاشتراكية والشيوعية
وقد رأينا من خلال هذا الاستعراض السريع أنه يستهدف دائماً
لإزالة فكره التديّن أو فكره وجود خالق لهذا الوجود ،
أنه الحاد لا مثيل له في التاريخ البشري .

وهذه هي أوروبا الحديثة قد رأينا كيف بدأت ومن أين
أتينا النهضة العلمية وأخيراً وكنا في الأدوار الخمسة التي
مرت بها .

وكما رأينا أن عصر سيادة الحسن يدي أنه أفضل العصر
التي مضت على أوروبا لنكرانه للدين ورفضه كل قيم وكسب
اخلاق . هذا أن دل على شيء فأنما يدل أن هذا الزمان
الحاد عرفته البشرية من لدن آدم إلى أيامنا هذه .

ولكى تتضح أماننا هذه القضية يجب علينا أن نستعين بشهادة
التاريخ ابتداءً من العصر اليوناني والعصر الروماني وكذلك العصر
الجاهلي وأخيراً العصر الكنسي . لنرى أن هذا الحاد فريد
في نوعه وأشكاله .

١) الحاد فريد في التاريخ الانساني :

ان الاحاد الذي نعنيه هنا ، هو انكار وجود الله - سبحانه - انكارا كاملا ، وهو المذهب السائد اليوم - في اوربا أولا وفي اقطار كثيره من " " . (١)

فهذا النوع من الاحاد لم يسبق له نظير فيما سلف من الزمان (٢) . لان الاحاد قد يوجد على انه عوج فكري او خلل نفسي او انحراف فردي او جماعي موقوت او غفله عامه على اسوأ الاحوال . . . اما الاحاد الاحمر الحديث ، فهو ثوره على الايمان ، تبغي قنطاريه ، واجتياح ادله .

هو ثوره تتحقق وراء اسباب اقتصاديه خطيره ، وتستلزم بحصبيه قويه من العامه المحتاجين والمتطلعين . .

ان هذا الاحاد ، ليس شبيهه - شأن الاحادات الماضيه - تشكك أن حقيقتها الأدلة فتتلاشى ، لا ! انه الواقع . وغيره الباطل . . انه الجدير بالحياه ، وغيره الجدير بالفناء . . انه الجدد وغيره العزالي . . انه الرأي الاول والاخير في نظام الانسانيه ، ولا مكان لرأي اخر أبدا . .

(١) راجع كتاب كيف نحارب الاحاد ، محمد احمد باشميه ص ٥ . الطبعة الاولى

الاولى ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م .

(٢) راجع كتاب الاسلام في وجه الزحف الاحمر محمد الفزالي ص ٤٨ منشورات

المكتبة المصريه راجع ايضا كتاب حوار مع الشيوعيين في اقبية السجون

عبد الحليم خفاجي ص ٦٩ وما بعدها .

فقد ادعى اصحاب هذا الالحاد الفريد ، انه لا يوجد لهذا الوجود خالق .. بل يقولون بان كل ما في الوجود ازلى صادر عن "المادة" والنواميس الطبيعية نشأت على سبيل الصدفة والاتفاق وبلغت ما بلغت من الكمال والاتفاق عن طريق التطورات المتعاقبة وان الانسان نتيجه هذه التطورات الحيوانيه .. وقد سرت تعاليم الماديين الى بعض الناس فحدثوا وادعوا ايضا - ظلما وسهوتا انهم قد عرفوا سر الحياه ، اى كيف نشأت الحياه فيقولون : " ان الحياه بدأت خليه بسيطه او مجموعه خلايا ، ثم بدأ التكاثر يحصل عمله والتطور يحصل عمله بدون اى تدخل خارجى ، حتى وصلت الحياه الى ما وصلت (٤) .

ان هذا الكلام ليس من عندنا وانما يقوله عميد مذهب التطور (تشارلز داروين) في كتابه أصل الانواع ، وهذا نصه :

" لا يمر بي خلجه من الشك في ان ما اقطع ، كما قطع به الطبيعيون من القول بان كل نوع من الانواع قد " خلق " مستقلا بذاته (خطأ محض) . واني اعلى تمام الاعتقاد بان الانواع دائمه التحول وان الانواع التى تلاحق بما نسميه الاجناس اصطلاحا ، هى اعقاب متسلسله عن انواع طواها الانقراض على نفس الطريقه التى تعتبر بها الضروب التابعه لآى نوع ، أعقابا متسلسله عن ذلك النوع ذاته ...

شـ

(١) راجع روح الدين الاسلامي ، عفيف عبد الفتاح طباره ص ٨٥ الطبعة الثامنه
(٢) راجع ايضا كتاب من ازمه العصر ، محمد محمد حسين ص ٨١ الناشر عكاظ للطباعة والنشر ..

(٣) راجع كتاب هل نحن مسلمون ، محمد قطب ص /

(٤) العلم يدعوا الى الايمان : تاليف ا . كرسى موريسون ص ٩٣ .

ثم قال وهو ينبغي تدخل الله في الخلق :

" واني فوق ذلك لشديد الاقتناع بالانتخاب الطبيعي هو السبب الاكبر
واللهي الاقوى لحدوث التحولات .. " (١) هكذا يدعون ..

وبعضهم يقول ان الدين تفسر زائف للوقائع التاريخيه .. والبعض الاخر يقول :

" ان الدين اكبر خدعه في التاريخ وأما كارل ماركس الملحد العاتي يقول :
" الدين افیون الشعب " (٢) .

ويشبهه بعضهم برجل يكتب شيكا لا رصيد له في المصرف .. ومعنى
ذلك ان علماء الدين صاغوا عبارات وليس وراءها حقائق علميه . فمباريه " وجود
الله " — على حد زعمهم — ليس لها اي اساس علمي .. (٢)

الجدير بالذكر ان الملاحده المعاصرين اتخذوا العلم الحديث لتوطيد
اركان الحادهم — والعلم برى منه ..

وحينما نعود عوده سريعه الى اشهر علومهم ستجدهم قد بذلوا
كل جهودهم فيها لتفنيد فكره وجود الله . واتجهت هذه العلوم كلها
نحو هذه الفكره اتجاء الابر المغناطيسيه نحو القطب الشمالي : واليس
نموذجاً من هذه الموافقات المجهيه على الالحاد ..

(١) اصل الانواع ، تاليف دارون ص ١٢٢ ترجمه : اسماعيل مظهر ، مكتبه
النميه بروت — بغداد .

(٢) التفسير الاسلحي للتاريخ .. الدكتور عماد الدين خليل ص ٦٣ ، راجع
الدين تاليف وحيد الدين ص ١٩ .

أولا : (علم الفلك) : L'Astronomie

في مفتتح القرن التاسع عشر وجه نابليون بونابرت (١٨٠٨ - ١٨٢١) سؤالاً الى علامه الفلك في زمانه " لا بلاس " (١) عن عمل القدره الالهيه في تنظيم الافلاك السماويه ، وكان لتوجيه هذا السؤال الى (لا بلاس) (سبب خاص وهو ظهور كتابه عن علم الحركه العلميه " او الميكانيكا السماويه ، وفيه شرح حركه الفلك ويطبقها بالقوانين الالهيه كما يدل اسم الكتاب ، فقال علامه الفلك مجيباً سائله الكبير الذي كان يقول في الدين بمثل قوله : " اننى لم اجد فى نظام السماء ضروره للقول بتدبير اله . (١))

ومضى القرن التاسع عشر الى نهايته والرأى الغالب فيه بين المشتغليين بالعلم والمؤمنين به هو هذا الرأى الذى تحدث به لا بلاس الى نابليون : ان العلم كاف كل الكفايه لتفسير جميع الاسرار الكونيه .

كتب السير جيمس فتزجيمس ستيفن في سنه ١٨٨٤ (٢) فصلاً يعتبر يومئذ مثلاً للرأى العلميه فى تلك الفتره نختطف منه مايلى :

" اذا كانت الحياه الانسانيه فى نشأتها قد استوفى العلم وصفها فلست ارى بعد ذلك ماده باقيه للدين ، ان ما هى فائدته وما هى الحاجه اليه ،

(١) لا بلاس ، بهرسيمون : ١٧٤٩ - ١٨٢٧ فلكى فرنسى ورياضى ، ساهم فى علوم مختلفه وكان استاذاً فى الرياضيات بالمدرسه الحريميه فى باريس . بحث فى تغير حركات القمر . الموسوعه ص ١٥٣٥ .

(٢) (سير جيمس) ١٨٢٧ - ١٩٤٦ عالم رياضيات فى مسائل الطبيعه والفك . راجع المرجع السابق ص ٦٨٢ .

انتا نستطيع ان نسلك سبيلنا بغيره وان تكن وجهه النظر التي يفتحها العلم
لنا لا تعطينا ما نمبده فهي كفيه ان تعطينا كثيرا ما نستمتع به ونتمناه ..
نحن قادرون على ان نعيش عيشه حسنه بغير الديانه ، وان اقمناها
على اصول غير هذه الاصول قلما تخالف في لبابها اصول العيش التي يديمن
بها نفسه كل ذي اخلاق . (١)

انقضى القرن التاسع عشر وهذا هو الراى الغالب على اصحاب الراى فيه
من يرون بالعلم الحديث ويتوقصون له القدره على الاحاطه في المستقبل به
بمجهولات الغيب التي لم يحط بها في ذلك الحين ..

Sycologie

ثانيا : (علم النفس) :

ها هو علم النفس يزعمه (فرويد) يدعى ان العقل الانساني مركب من
شيئين : هما : (الشعور) وهو مركز الافكار التي تخطر على قلوبنا في ظرف
عاديه ... و (اللاشعور) : وهو مخزن الافكار التي مرت بنفا ونسيانها ،
ولا تظهر الا في احوال غير عاديه ، كالجنون والهستيريا وهذا القسم
الثاني اكبر بكثير من الاول ..

اكتشف فرويد بعد جهد طويل ان اللاشعور ، قد يقبل افكارا في

(١) راجع الموسوعة للحقاد .

(٢) (فرويد) سيجموند : ١٨٥٦ - ١٩٣٩ م طبيب نمساوي مؤسس مدرسة

التحليل النفسي . اشترك مع جوزيف برويد في علاج الهستيريا بالنوم ،
واثارت نظريته في تطور الفريزه الجنسيه منذ الطفوله وفي عقد اوديب . وله
عده كتب . وكان لنظريته اعق الاثار في الدراسات النفسيه والاجتماعيه ، وفي
التربيه والفن والادب . راجع الموسوعة العربيه الميسره ص (٩٧ ١٢) .

العقلية وتؤدي الى اعمال غير عقلية ، وهذا ما يحدث بالنسبة الى العقائد الدينية . فان فكره الجحيم والجنه ترجع الى صدى الاماني التي تنشأ لدى الانسان ابان طفولته ولكن لم تسمح له الفرصه لتحقيقها ، فبقى دينه في (الاشعور) ثم يفرض الاشعور بدوره حياه اخرى يتيسر له ^{فيها} تحصيل ما كان يتمناه ، شأن الرجل الذي لا يظفر بما يحب في الواقع فيحصله في المنام . (١)

ثالثا : (علم مقارنة الأديان) : Comparison Des Religions

واما علم مقارنة الأديان ، يقول اصحابه : ان القضايا الدينية وجدت لاسباب تاريخيه احاطت بالانسان فلم يكن في استطاعته ان يفلت من السيرول والاعاصير والظروفانات والزلازل والامراض " فأوجد قون فرضيه " يستغشها لتنقذه من البالياء النازله . وهكذا ظهره الحاجه الى شيء يجتمع الناس حوله ، ولا يتفرون فاستغل اسم (الاله) الذي تفوق قوته قوه الانسان ويهرع اليه الجميع الى رضاه . (٢)

هذه النظرية التي سموها : (بالمذاهب الكونية او الطبيعية) اشهر مقرري هذه النظرية هو العالم الالماني (ماكس ملر) (Max Muller) في كتابه عن الاساطير المقارنه (Compative MyLhology) (٣)

(١) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٣٦ الطبعة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م

راجع ايضا كتاب علم النفس د . فاخر عاقل ص ٢١

(٢) الدين - د . محمد عبدالله دراز ص ١١٤ وراجع ايضا كتاب علم النفس

الحديث الدكتور سارجنت ص ٥٣

(٣) راجع الدين - د . محمد عبدالله دراز ص ١٠٧

وأما المذهب التقدمي ، أو التصاعدي :

(Evolutionnisme progressisic Ascendent)

الذي ساد أوروبا في القرن التاسع عشر ، في أكثر من فروع من فروع العلم ، وحاول تطبيقه على تاريخ الأديان عدد من العلماء منهم سبنسر (١) (Spencer) وتيلور (٢) (Tylor) وفريزر (٣) (Frazer) ودوركهايم (٤) (Durkheim) وغيرهم ، وإن اختلفت وجهات نظرهم في تحديد صورته العبادة الأولى وموضوعها إلا أنهم اتفقوا على أن التدين بدأ في صورته الخرافة والوثنية ، وأن الإنسان أخذ يترقى في دينه على مدى الأجيال حتى وصل إلى الكمال فيه بالتوحيد ، كما تدرج نحو الكمال في عاومه وصناعاته ، حتى زعم بعضهم أن عقيدته " الإله الواحد " عقيدته جنة من يشه ، وأنها وليده عقله خاصة بالجنس السامي .. (٥)

(١) سبنسر هيررت (١٨٢٠ - ١٩٠٣) فيلسوف انجليزي ، درس الهندسة ثم تحول إلى دراسة العلوم الطبيعية وعلم النفس . يرى أن الفلسفة هي حصر المعرفة في مبدأ التطور وطاقى يطبقه على جميع الظواهر حتى لقب " فيلسوف التطور " راجع الموسوعة العربية الميسرة ص :

(٢) تيلور إدوارد : ١٩٠٨ - عالم بالفيزيكا النووية أمريكي ، ولد بـ مينفارييا وتلقى علومه بـ لينجز قدم ١٩٣٥ إلى الولايات المتحدة ، ثم حصل على الجنسية الأمريكية ١٩٤١ (الموسوعة ص ٥٧٢)

(٣) فريزر ، سير جيمس جورج : ١٨٥٤ - ١٩٤١ أنثولوجي اسكتلندي معروف بكتابه (الهيام الفصن الذهبي ١٢ مجلد وهو دراسة في السحر والدين ومن كتبه الطوطمية والزواج بخير ذي القربى ١٩١٠ م)

(٤) دوركايم ، إميل ١٨٥٨ - ١٩١٧ رائد علماء الاجتماع الفرنسيين بعد " كونت " وله عدة كتب منها : تقسيم العمل في المجتمع ١٨٩٣ وقواعد المنهاج الاجتماعي ١٨٩٥ والانتحار ١٨٩٧ والأشكال الأولية للحياة الدينية ١٩١٢ ..

(٥) المرجع السابق ٨١٦ وانظر أيضا الجفوة المفتعلة بين العلم والدين ، محمد علي يوسف ص ٣٢ .

philosophie

تلخص الفكره الالهيه بين الفلاسفه العقلائيين بتلخيص الاراء التي ردها
اشهر مفكرينهم الى مطلع القرن العشرين • وكفيينا منهم ثلاثه هم :

(نيتشه) (هارتمان) (وشبنجلر) وهم الذين قرروا في مسائل ما بعد
الطبيعه رايًا مستقلاً لا يحسب شرحاً من شرح الكتلكه او البروتستانتيه • ولا
يحسب حاشيه على مقاييس المنطق ومعايير العلم •

" فعند نيتشه ١٨٤٤ - ١٩٠٠ ان الله (قد مات) * كبرت كلمه
تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا * وان الشجاعه الزم ما يانم النفس من
حقيقه - او عقيدته - في عالم خلا من الله " •

(١) نيتشه فردريك فيلهلم ١٨٤٤ - ١٩٠٠ فيلسوف الماني مات عنه ابوه
صغيراً • فربته امه على التقوى فلما نضجت تقواه ثوره عقليه • كان استاذاً
لاصول الفقه في بال (١٨٦٩) وتأثر بفلسفه شوينهر وصادق فاجنر ثم
خرج طبيباً وعلى سائر اصدقائه بعد اصابته باضطرابات عصبيه • ومريض في
عنه فترك التدريس ووافق ينتقل مستشفى • ولكنه يجاهد نفسه حتى انتهى
به الامر الى مرض خطير • الموسوعه ص ١٨٦٤ •

(٢) ادوارد فون هارتمان : ١٨٤٢ - ١٩٠٦ فيلسوف الماني الف كتاب (فلسفه
الوعي) ويقصد بالوعي ، القوى المهيمنه التي تسيطر الكون • سواء اكانت
كائنات ذرات او عضويات او العالم بأسره • وهو متشائم ان لا سبيل الى
السعاده الا بالتحرر من السعاده • راجع المرجع السابق ص ١٨٧٨ •

(٣) شبنجلر ١٨٨٠ - ١٩٣٦ راجع الموسوعه لعباس محمود العقاد ج ١ ص ٢٩٢ •

وهند ادوارد فون هارتمان " ان الله ليس بذات وانه غير شاعر بنفسه "

أوصافه " أنا " تتشخص في كيان ... "

رأى الله في رأى شبنجار الا " اراده " على طائفة الالمان المحدثين

في تجميع الارادة على الذكر • يقول : " ان الله بالنسبة اليها - الله الذي هو

سبحه العالم والذي هو القوي الكوني • والذي يترك من فضاء العالم -

فضاء المرج القائم بالخيال • "

خامسا : (علم الاجتماع) : La Sociologie

يرى دوركايم في كتابه قواعد المنهج في علم الاجتماع ، ان التدين ليس

فطريا في الانسان ولا الاخلاق فلا يسلح اذن ان نأخذ قواعد الدين

دستورا للمجتمع ولندعه يصير بنفسه (١) في اسطورة العقل الجمعي :

" ... ومن هذا القبيل ان بعض هؤلاء العلماء يقلل بجهل طائفة دينية

فطرية لدى الانسان ، وان هذا الاخير مزود بحد أدنى من الخير الجنسي

والير بوالوالدين ومحبة الابناء ، وغير ذلك من الصوابف • وقد اراء بمخبر

تفسير نشأة كل من الدين والزواج والاسره على هذا النحو ، ولكن التاريخ يوقفنا

على ان هذه النزعات ليست فطرية في الانسان " (٢) •

(١) راجع التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص ٥٢ •

(٢) راجع قواعد المنهج في علم الاجتماع تأليف ل. دوركايم ، ترجمه محمود قاسم

ومراجعه الدكتور السيد محمد بدوي - مقدمه الطبعة الثانية ص ١٦٥ •

وحينئذ فانه يمكن القول بناء على رأى السالف بانه لا وجود لتفاصيل القواعد القانونية والخلقيه فى ذاتها ، اذ اصح هذا التعبير ..

ومن ثم فليس من الممكن ، تبعا لهذا رأى ، ان تصبح مجموعه القواعد الخائيه التى لا وجود لها فى ذاتها موضعا لعلم الاخلاق .." (١)

واضح فى هذا التصريح :

ان الدين ليس شيئا فطريا . وكذلك الزواج والاسره والقواعد الخلقية لا وجود لها فى ذاتها .

اننا لا نناقش دور كايه هنا ولا غيره ممن سبق ذكرهم ، انما اردنا هنا فقط ان نثبت ان هذا الالحاد الحديث لا مثل له فى التاريخ الانسانى وستأتى مناقشتهم فى حينها ان شاء الله تعالى .

سادسا : (كلمه دائره المعارف الانسانيه) :

يقول محرر دائره معارف العلوم الانسانيه الاجتماعيه تحت اسم الدين :

" وبجانب المؤثرات الاخرى التى ساعدت فى خلق الدين . فان اسهام

الاحوال السياسيه والمدنيه عظيم جدا فى هذا المجال .

ان الاسماء الالهيه وصفاتها خرجت من الاصول التى تسود على ظهر

الارض .. فقبيده كوه الاله " الملك الاكبر " صورته اخرى للملكيه الارضيه .

وكان الملك الارضى القاضى الاكبر ، فاصبح الاله يحمل هذه الصفات ، ولقب

" بالقاضى الاكبر الاخير " الذى يجازى الانسان على الخير والشر من اعماله .

وهذه العقيدة القضائيه التى تؤمن بكون الاله محاسبا ومجازيا لا تبيح

في اليهودية فحسب ، وإنما لها مقامها الاساسى في المقائد الدينية ،
المسيحية والاسلامية " (١) .

" لقد خلق الحقل الانسانى الدين ، واتم خلقه في حاله جهل الانسان
وعجزه عن مواجهه القوه الخارجيه "

ويضيف جوليات هكسلى الى هذا قوله :

" فالدين نتيجته لتعامل خاص بين الانسان وبيئته " (٢)

ويقول أيضا :

" ان هذه البيئه قد فات اوانها او كاد ، وقد كانت هي المسئوله عن هذا

التعامل فأما بعد فنائها وانتهاها التعامل معها فلا داعى للدين " .

ويضيف : " لقد انتهت العقيدة الالهيه الى اخر نقطه تفيدنا . وهى

لا تستطيع ان تقبل الان ايه تطورت ، لقد اخترع الانسان قوه وراء الطبيعه لتحمل

عبء الدين . جاء بالسحر ، ثم بالعمليات الروحيه ، ثم بالعقيدة الالهيه حتى اخترع

فكره (الاله الواحد) . وقد وصل الدين بهذه التطورات الى اخر مراحل حياته .

ولا شك ان هذه المقائد كانت في وقت ما جزءا مفيدا من حضارتنا بيد ان هذه

الاجزاء قد فقدت اليوم ضرورتها ، ومدى افادتها للمجتمع المحاضر المتطور " (٣)

Encyclopaedia of Sciences, 1957 Vol. 13, p. 233 (١)

Man in The Modern World, p. 130. (٢)

(٣) راجع كتاب الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٣٨ - ٣٩ .

سابعاً : (علم الاقتصاد والشيوعيه) : Communisme

يقول (لينين) في خطاب له القاه في المؤتمرات الثالث لمنظمه الشباب الشيوعى في اكتوبر سنه ١٩٢٠ م .

" اننا لا نوؤ من بالله ، ونحن نعترف كل المعرفه ان ارباب الكنيسه والاقطاعيين والبورجوازيين لا يخاطبوننا باسم الاله استغلالا ، ومحافظه على مصالحهم اننا ننكر بشده جميع هذه الاسس الاخلاقيه التى صدرت عن طاقات ورء الطبقه غير الانسان ، والتى لا تتفق مع افكارنا الطبقيه ، ونوءكد ان كل هذا مكر وخداع وهو سار على عقول الفلاحين والعمال ، لصالح الاستثمار والاقطاع ، ونعلن ان نظامنا لا يتبع الاثمه النضال البروليتارى ."

" ونعلن ان نظامنا الاخلاقى ، هو الحفاظ على الجهود ، الطبقيه البروليتاريه " (٢) .

وهكذا ترى الفلسفه الشيوعيه ان الدين (خدعه تاريخيه) وهى تركيز الاسباب فى عوامل اقتصاديه ، لانها تنظر الى التاريخ فى ضوء الاقتصاد ، وهو تاريخ البحث عن الطعام . بل هى ترى ان العوامل التاريخيه التى خلقت الدين

Linin, Selected works Moscow
(١) راجع كتاب : 1947 Vol. 11 P. 667

راجع كتاب الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٤٠
وراجع ايضا كتاب الاسلام والشيوعيه ، وزاره الاوقاف الاداره العامه للدعوه
ص : ٢٧٠

(٢) البروليتاريه هى الطبقة الكادحه من العمال والفلاحين .

هي النظام البورجوازي الاستعماري القديم • وهذا النظام القديم يلقي اليوم صفته • فلندع الدين ايضا يذهب معه •

وفي عام ١٩٤٩ م جاءت التعليمات الرسمية للحزب الشيوعي الى المعلمين في جميع انحاء الاتحاد السوفيتي ما نصه :

" ان المعلم الذي يؤمن على تعليم النشء لا يمكنه ولا يجب ان يكون محايدا في موقفه من الدين •• ان عليه ان لا يتخلص من الايمان فحسب بل ان يقوم بدور ايجابي في الدعوة الى عدم الايمان بوجود الله وان يكون داعيا متحمسا الى الالحاد " (١)

يقول ستالين عام ١٩٢٢ : لا يستطيع الحزب ان يقف من الدين موقف الحياد •• ان الحزب يشن حملة دعائه ضد اي انحياز للدين ، لان الحزب يؤمن بالعلم بينما العلم يتعارض مع الانحياز للدين ، لان الدين كله شيء مناوي للعلم " (٢)

وفي عام ١٩٢٨ جاء في برنامج المؤتمر السادس الدولي ما نصه :

" الحزب ضد الدين — افيون الشعب — تشغل مكانا هاما بين عمال الثورة الثقافية ، ويلزم ان تستمر هذه الحرب باصرار وبطريقه منظمه •• وحكومته العمال تعترف بحرية الضمير ولكنها في نفس الوقت تستعمل كل الوسائل التي تملكها للقيام بدعايه ضد الدين ، وتنظم التريبيه على اساس التصور المادي للعالم " (٣) •

(١) مقال للدكتور احمد بدران الوارد في الاخبار بتاريخ ١٣/١/١٩٧٤م

(٢) حقيقة الشيوعيه لا مدين شاكر ، وسعيد الصريان • وعلى ادهم : عن كتاب

الاسلام والشيوعيه ص ٦٦

(٣) حقيقة الشيوعيه السابق ص ١١١

ويقول لوناشاريكي وزير التعليم في حكومة السوفييت " وهو يهودى " :
 " نحن نكره المسيحية والمسيحيين • وحتى احسن المسيحيين خلقا نعدّه شر
 اعدائنا وهم يبشرون بحب الجيران ، والمطف والرحمة وهذا يخالف مبادئنا
 والحب المسيحي عقبه فى سبيل تقدم الثورة فليسقط حبنا لجيراننا •
 فان ما نريده هو الكراهية •
 والعداوة وحينئذ نستطيع (١)
 غزو العالم " •

ولا جيل ذلك كله يقول البيان الشيوعى (La Manifestation-
 Communiste)
 " ان الدتور والاخلاق والدين كلها خدعه البورجوازيه وهى تتستر وراءها
 من اجل مطامعها " (٢) •

يقول فيلسوف الشيوعيه انجلز :
 " ان كل القيم الاخلاقيه هى فى تحليلها الاخير من خلق الظروف الاقتصاديه "
 فالتاريخ الانسانى هو تاريخ حروب الطبقات التى امتص فيها البورجوازيين دماء
 الفقراء • وقد كانت الغايه من وضع الدين والاسس الاخلاقيه حمايه حقوق
 البورجوازيين • هذا هو ملخص آراء الشيوعيين •

(١) الاسلام والشيوعيه تاليف محمد عرفه ص ٦٧

(٢) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٢٩

هكذا رأينا الملاحده في مختلف علومهم الحديثه يحاربون الدين
باسم البحث العلمى والتحقيق ولكن العلم براء من هذا التعطيل الذى يشل
الحقيل ويفقدها شجاعه الاعتقاد فاذا جازله ان ينكر فانما يجوز بحججه
واحده وهى انه يجهل وليس انه يحلم . ومن الجهل لا من العلم
ان نجعل الجهل مرجعا للوجود من اعلاه الى ادناه . فليقل " العالم "
انه يجهل / الأمر أكبر من ان يعرفه ويحيط بحدوده ولكن الأمر الذى لا يعرفه
ولا يحيط بحدوده موجود لا شك .

من هنا فقط - قلنا ان الالحاد الحديث أعتى الحاد عرفته البشريه
لأنه يدعى علم ما يجهل به . ومن راجع الكتب التاريخيه يدرك حقيقه ما نقول
من ان هذا الالحاد فريد فى نوعه واشكاله ومميزاته ومخصاته . . . فلنستمع
اذن / شهادته التاريخ .

"شهادة التاريخ"

فيما مضى رأينا ان الملاحده صرحوا في مختلف علومهم ان الدين طارىء على البشريه وان الالحاد هو الفطرى في الكيان الانسانى . ولذا ذهب بعض كتب القرن الثامن عشر الذين مهدوا للشير الفرنسيه الى ان الديانات والوثنيين ما هي الا منظمات مستحدثه واعراض طارئه على البشريه حتى قال "فولتير"^(١) :
 "ان الانسانيه لا بد أن تكون قد عاشت قرونا متطاولة في عيبها ماديه خالصه . قوامها الحرث ، والنحت ، والبناء ، والحداد والتجاره ، قبل ان يفكر في مسائل الدينيات والروحانيات بل قال : " ان فكره الدين انما اخترعها دهاه ماكرون ، من الكهنه والقساوسه الذين لقوا من يصدقهم —

(١) ترجمه فولتير : (١٦٩٤ - ١٧٧٨ م) فيلسوف ومفكر فرنسى . نشأ في باريس وتعلم في كليه لويس الاكبر اليسوعيه . اتهم باهانه الرضى فيايب ٢ دوق اورليان . فمؤقب بالسجن في الباستيل احد عشر شهرا وهناك اعاد الى كتابه مسرحيه " اوديب " فقال شهره عظيمه ثم سجن مره ثانيه في الباستيل لاتهامه باهانه احسد النبلاء . . . وفي السياسه دعا فولتير الى الاصلاح . ولكنه كان يخاف الثيره وكان حر الفكر في الدين لذا رفض رجال الدين ان يدفنوه في باريس حسب الطقوس المسيحيه .
 راجع الموسوعه العربيه ص ١٣٣٧ .

الحق والسخفاء" (١) .

وكذلك بأن نظر (جان جاك روسو) (٢) الى فكره التدوين والقانون ،

حيث ظن انها ليس لها الا قيمه وضعيه تحكميه • وفسر ذلك بقوله :

" ان الاقراء الذين سبقوا الى وضع ايديهم على بعض مساحات من الارض

عدا بهم جشمهم وحرصهم على المحافظه على ملكيتهم ، الى ان يأتروا فيها

بذئهم على وضع تلك النظم والقوانين ، ليخدعوا بها الجمهور • وهنالموا

لها الفقراء" (٣) .

فالتدين عند هؤلاء الماديين العصريين نقيض للحلم كما صرح بذلك

ستالين في تصريحه السابق • • • فيها ضد ان لا يجتمعان لماذا ؟

لانهم قصروا الكون على الحسوسات وانكروا ما وراء الطبيعه جمله وتفصيلا

فلا ربح ، ولا خلود

ولا الملائكه ولا الشيطان

ولا الغيب ولا الجنه ولا النار

بل ان هذا الوجود لا يحتاج الى خالق • • •

وتصوروا الدين على الشكل الذى يرون عليه بعض المتدينين من الخلط والخبط

وتأبعد عن التصور "صحيح للدين" .

(١) Voltaire, Essai Sur Les Moeurs P.1

(٢) روسو جان جاك (١٧١٢-١٧٧٨ م فيلسوف فرنسي مشهور له عدة مؤلفات

منها موسومته • راجع الموسومه المصريه اليوسره ص ٨٩٤ •

Rousseau, Discours Sur L'Origine Et Le
Fondement De L'Inegalite parmi Les Hommes (٣)

راجع كتاب الدين - د • محمد عبدالله دراز ص ٨١

ولماذا لم يحكموا بتضاد هذين العاملين : العلم والدين ويسمعون
في ازاله الثانى من العالم ..

ولكنهم لو انصفوا كما انصف في هذا العصر اكابرهم ووقفوا على ما فتح
الله به على العالم المصرى من الحجج المبانى في اثبات عالم ما وراء المادة . (١)
ثم لو نظروا للدين في اصله وينبوعه وعلاقته بالروح الانسانيه نظر الحكيم
المتبصر لعلمو انهم كانوا قس احكامهم الاولى غلاه مفرطين ولاصبحوا
من أعز ابناء الدين كما اصبح اليوم كذلك اكابر علماء المادة .. الذين
صرحوا الى ضروره التدين لأن الانسان لا يستغنى عن الدين الفطرى مهما
تغيرت به الظروف المعيشيه .. واليك بعضا من تصريحاتهم في فطريه التدين:

فطريه التدين

انه لم ينقض القرن الثامن عشر نفسه حتى ظهر خطأ هذه المزاعم حيث
كثرت الرحلات الى خارج اوربا واكتشفت العوائد والمقائد والاساطير المختلفه
وتبين من مقارنتها ان فكره التدين فكره مشاعه لم تخل عنها امه من الأمم قس
القديم والحديث ، رغم تفاوتهم فى مدارج الرقى ودركات البهيميه .. وهكذا
ظهر ان التدين اقدم فى المجتمعات من كل حضاره الحاديه . وكما ظهر

(١) يراجع عرضا دائره معارف القرن العشرين ج ٤ ص ١٠٧ (ماده دين)

تأليف فريد وجدى .

أن الالحاد لم يكن معروفا الا عند عدد قليل جدا . ولم يحدثنا التاريخ
 عن رجوع دولة — في فترة من فترات التاريخ — قد اعتنقت المذهب
 الذي فقط الامكان في هذا العصر الحديث المنحرف المنطوق اليه
 (١) وذلك ان الانسان اذا تراءى من فطوره فلا بد ان يتساءل عن
 الالهة الخالق :

من يدير هذا العالم الضخم ؟

ما الانسان ؟

ما هذه الحياة ؟

ما الموت ؟

ماذا بعد الموت ؟

ان هذه الاسئلة ، فلا بد ان تأتي على انسان في اوقات السكون والهدوء . .
 يقول مصمم (لاروس) لاقرون العشرين " ان الفريزة الدينية ، مشتقة بين
 الاجناس البشرية حتى اشدّها هجيه واقربها الى الحياة الحيوانيه . وان
 الاهتمام بالمعنى الالهي وبما فوق الطبيعة ، احدى النزعات العالمية الخالده
 للانسانيه ."

ويضيف : ان هذه الفريزة الدينية لا تختفي بل لا تضعف ولا تنبل
 الا في فترات الاسراف في الحضاره وممنه عدد قليل من
 الأفراد " (٢) .

(١) الدين — دكتور محمد عبدالله دراز ١٩٥٠

(٢) La Resusse Du X^{ème} Siecle,
 Article Religion.

وأما الباحث هنرى برجسون يزيد على ذلك بقوله :

" لقد وجدت وتوجد جماعات انسانيه من غير علوم وفنون وفلسفات
واكنه لم توجد قط جماعه بغير ديانه " (١)

ويصح (بارتيلي سانت هيلير) بقوله :

" هذا اللغز العظيم الذى يستحث عقولنا : ما العالم ؟ ما الانسان ؟
ما الحياه ؟ ما الموت ؟ ما القانون الذى يجب ان يقود عقولنا فى اثناء
عبورنا فى هذه الحياه ؟ اى مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياه ؟ هل
يوجد شىء بعد هذه الحياه العابره ؟ وما علاقتنا بهذا الخلود ؟
هذا العالم وهذا الانسان ؟ من اين جاء ؟ من منعهما ؟ من
يديرهما ، ما هدفهما كيف بدءا ؟ ..

هذه الاسئله .. لا توجد أمه ، ولا شعب ولا مجتمع ، الا وضع
لها حلاولا جيده او رديئه مقبوله او سخيئه ، ثابتة او متحوله .. " (٢)
ويقول شاشاوان : " مهما يكن تقدمنا العجيب فى العصر الحاضر ..
علميا ، وصناعيا ، واقتصاديا ، واجتماعيا ، مهما يكن اندفاعنا فى هذه
الحركه العظيمه للحياه العمليه ، وللجهاد والتنافس فى سبيل معيشتنا

Henri Bergson. Les Deux Sources (١)
De La Morle Et De La Religion p. 105
B.S.T. Hilaire, Mahomet et LE CORAN^(٢)
P. XXXIV.

ومعيشه ذويها ، فان عقلنا في اوقات السكون والهدوء (عظاما كنا او متواضعين
 خيارا كنا ام اشرارا ، يعود الى التأمل في هذه المسائل الأزليه : لم
 وكيف كان وجودنا ووجود هذا العالم ؟ والى التفكير في الحل الاولى او
 الثانيه وفي حقوقنا وواجباتنا " (١) .

يقول الدكتور (ماكس نوردو) عن الشعور الديني : " هذا الاحساس
 أصيل يجده الانسان غير المتمدن ، كما يجده اعلى الناس تفكيرا ، واعظمهم
 حدسا .. وستبقى الديانات ما بقيت الانسانيه ، وستتطور بتطورها وستجواب
 دائما مع درجه الثقافه العقلية التي تبلغها الجماعه " (٢) .

يقول سالمون اريناك : " ليس امام الديانات مستقبل غير محدود فحسب بل
 لنا أن نكون على يقين من انه سيبقى شيء منها ابدا ، ذلك لانه سيبقى
 في الكون دائما اسرار ومجاهيل ، ولا أن العلم لن يحقق ابدا مهمته على
 وجه الكمال " (٣) .

و يقول ارنست رينان (Renan) في تاريخ الاديان :

" ان من الممكن ان يضحل كل شيء نحيه وان تبطل حريه استعمال
 العقل والعلم والصناعه .. ولكن يستحيل ان ينمحي التدوين .. بل سيبقى

(١) - Chachoin, Evolution Des Idees Religieuses p. 158

(٢) - Max Nordau, Reponse au Mercure De France Paris 1908 .

(٣) - Salomon Reinach, Orpheus, p. 35-6

وقال : * وان من امة الا خلا فيها نذير * (١)

وقال : * ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت * (٢)

هذه هي تقارير العلماء ، وهذه هي النصوص القرآنية تتفقان على ان الالحاد
غير اصول في الفطرة الانسانية فقد آن الاوان ان نسمع الى شهادته
التاريخ ابتداء من الحضارة الاغريقية وانتهاء بالجاهلية العربية
نسمع ذلك لنصل الى نتيجة واحدة ، وهي : ان الالحاد الحديث
لا مثيل له في التاريخ الانساني العام . . .

ان الالحاد فيما عبر من الزمان ، كان مزاجا شخصيا ولكن هؤلاء
الملاحدة المعاصرون جعلوا العلم سندا للالحاد وأقاموا له دولته
بل دولا تحميه بالحديد والنار ، وليست روسيا الشيوعية الا نموذجا
من هذه الدول الالحادية .

(١) سورة فاطر : اية : ٣٥

(٢) سورة النحل : اية : ١٦

ظروف عامة

١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠

ساعدت على قيام دولة الاتحاد في الأرض

١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠

اول ملحد يصرفه التاريخ في العهد اليوناني

رأينا في الصفحات الماضية ان الدين هو لموم جميع الأمم • ولكن لا يمتنى ذلك عمومه لكل افرادها ، فانه لا يخلو امة من وجود زاهليين يحسبون الحياه لبها ولعبا ويتخذون الدين وهما وخرافه • لكن هؤلاء دائما كما قلنا — هم الاقلون في كل أمة • وحتى في عصور اليونان المتسمه با لحركات العلميه الواسعه والفلسفات المطلقه الحره التي في حريتها لم تعرف الحدود كان القول بانكار وجود الله تعالى ، لا يكاد يسمع لـه صوت بين الفلاسفه والمفكرين ورجال السياسه والحكم • (١)

(٢)
من هؤلاء الذاهليين يذكركنا التاريخ الفيلسوف اليوناني "ديمقريطس"

-
- (١) كيف نحارب الالهاد ، محمف باشميل ص ٦ الطبعه الاولى •
- (٢) ترجمه (ديمقريطس) تقول الموسوعه العربيه الميسره ص ٨٣٧ ان
يمقريطس ٣٦٠ — ٢٧٠ قبل الميلاد ، فيلسوف يوناني يرى العالم مؤلفا من ذرات متجانسه في طبيعتها ، لكنها مختلفه حجما وشكلا وثقلا ، ولا تدرك بالحواس ولا تنقسم • ولا تفنى • وتتحرك دائما ، فليلتصق بعضها بعضا وتتكون الاجسام • وقد تدرك الحواس اختلافات في الكيف بين الاشياء • لكن " كيف " الاشياء كلها متجانسه ، واختلافها راجع الى فروق كيه ناشئه عن توزع الذرات التي تتألف منها • ولهذا فلا يركن الى الحواس في ادراك حقائق الاشياء • بل يركن الى العقل وغايه الحياه عنده هي السعاده ، متحققه بالسكينه النفسيه •

المعروف بصاحب المذهب الذري ، وان كان قد سبقه في تأسيس النظرية الذرية
استاذة (لوسيبيس) الا انها كثيرا ما تنسب اليه .

ان هذا الفيلسوف كان ممن تبني مذاهب الالحاد وانكر وجود الخالق
سبحانه ومن شيعته الفيلسوف اليوناني " فيلوخوس " (١) الا انه اقل شهرة
من (ديمقريطس) . واليك مجمل آرائه في انكار وجود الخالق :

يقول : " ان الكون يتألف من عدد لا يتناهي من الذرات (Atomes)
وهي متشابهة متجانسة ازلية أبدية ، متحركة بذاتها ، في فراغ ، وممن
حركاتها واختلافاتها تكونت الاشياء ، وتكون العالم بأسره .

اما اختلاف صفات الاشياء فناتج عن اختلاف تلاقي هذه الذرات وتألفها
واوضاعها في الجسم ، واختلاف الناظر اليها ، ونتجته على انها ازلية أبدية
متحركة ، هي ان الوجود لا ينشأ من اللاوجود ، كما ان الوجود لا يصير الى
اللاوجود ، ولولا وجودها في فراغ لا منعت عليها الحركة ، ولئن انتهت
الى القول : ان في الكون حقائق اولية ثلاثا وهي : الذرات والفراغ والحركة
(Les Atomes, Le vide, Le Mouvement) " (٢)

" وقد زعم هذا الفيلسوف بكل وقاحة ، ان ما في هذا الكون من بدائع الصنع
وروائع التجهيز والتركيب في الانسان والحيوان والنبات ليس من صنع الله تعالى وانما
هو نتيجة الحركة الذاتية المطبوعة في المادة والتي لا اول لها " (٣)

(١) الملل والنحل مشهورستان ج ١ ص ١٥٩ سنة ١٢٨٧ هـ / ١٩٦٨ م

(٢) راجع كتاب قصة الايمان بين الفاسفة والحام والقرآن ، د. م. الجسر مرقط طرابلس ص ٣٥

(٣) راجع كيف نحارب الالحاد ، محمد محمد باشميل ص ٦

وقد يقول ارباب النظره المتسارعه ، ان المذهب الذرى ليس في نفسه الحاد ، وانما هو بيان لكيفية الخلق ، قد يكون هذا من الله كما يقول المؤمنون * وقد يكون ايضا من الماده كما يزعم بذلك الملاحده *

فنحن نبادر هؤلاء فنقول : ان موضع الالحاد في قول هذا الملحد الاول الا غريبقى ، لا يمكن في تصريحه بان الكون مؤلف من ذرات متجانسه تتلاحم حسب هذا التجانس بل في قوله : " ان الحركه المطبوعه في الماده هي الخالق الصانع المدبره " ان هذا بلا شك - الحاد كما حققنا ذلك في مبحث التعريف اللغوى لكلمه الالحاد *

هذا ما يؤكده الشيرستان بقوله : " وانما شنع عليه الحكماء من جهه قوله : " ان اول مبدع هو المناصر ، وبعدها ابدعت البسائط الروحانيه فهو يرتقى من الاسفل الى الاعلى ، ومن الاكدر الى الاصفى " (١) .

هكذا وصلنا الى النتائج التاليه ::

(١) - ان هذا الفيلسوف هو الملحد الاول في التاريخ اليونانى ، الذى استطاع ان يخرج الفكره الالحاديه من دائره الصوج الفكرى حتى صار علما يدرس *

(٢) - فكان هذا هو النواه الاولى للفكر الالحادى الذى قام على انكار وجود الله تعالى *

فما لحسن ما قاله الاستاذ محمد احمد باشميل في ذلك :

" وكان على رأس هؤلاء الملحدون الفيلسوف اليوناني (ديمقريطس) صاحب المذهب الذري . . . وهذا المذهب الذري (الديمقریطسى) المودى فى القدم هو اساس المذهب الشيوعى وكل مذهب الحادى يقوم على انكار الخالق سبحانه وتعالى " (١)

(٣) ان الالحاد الاحمر الحديث لا مثيل له فى التاريخ الانسانى ، لأن المذهب الديمقریطسى لم يكتب له البقاء حيث تصدى له فالاسف — يونانيون اخرون منهم (اناكساغورس) ففند رأى ديمقريطس فى الضروره الصماء وسفيتها وقال : ان هذا النظام المحكم لا يمكن ان يصدر الا عن عقل حكيم ."

أول من فتح باب الفلسفه الروحيه فى اليونان

(٧١) ولذا عدّ (اناكساغورس) اول من فتح باب الفلسفه الروحيه ، وأتى برأى يحوم حول الحق ، وهذا ما جعل ارسطو يقول عنه انه أى (اناكساغورس) هو الوحيد الذى احتفظ برشده امام هذيان أسلافه . (٢)

(١) كيف نحارب الالحاد — محمد احمد باشميل ص ٦

(٢) قصه الايمان بين الفلسفه والعلم والقرآن — نديم الجسر مفتى طرابلس

نقد المذهب الذري الديمقريطسي

نود ، قبل ان تنتقل الى المذهب الروماني ، ان نقف وقفه خفيه عند قول الفيلسوف : " ان الطبيعه هي الخالق المدبره " .

نقول هل يستطيع هذا الواحد ان يثبت بالمذهب الذري ان الله غير موجود ، الجواب لا ، اذن نقول ايضاً هل هذا الكون موجود ؟ فلا بد ان يقول نعم !! لانه اثبت وجوده منذ ان كان ذرات متناثره حتى اصبح كتله متآلفه .

نقول مره اخرى : اذا سلمنا بان هذا الكون موجود فكيف نفسر وجوده؟

فلا بد لهذا الفيلسوف واشياعه ان يقفوا امام اربعة احتمالات :

أولاً : ————— اما ان يكون هذا الكون مجرد وهم وخيال ، وهذا يتعارض مع ما اثبتته

الفيلسوف نفسه لانه اثبت وجود ذرات متجانسه . .

اذن فالكون ليس وهماً بل هو موجود وجوداً حقيقياً . .

ثانياً : ————— اما ان يكون هذا الكون قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم . .

ثالثاً : ————— اما ان يكون ابدياً ازلياً ليس لنشأته بدايه . .

ورابعاً : ————— اما ان يكون له خالق . .

اما الاحتمال الاول فلا يقيم امامنا ايه مشكله لان من يكذب وجود هذا العالم يكذب ان يكون هو نفسه موجوداً . (١)

(١) راجع الوجود الحق ، الدكتور حسن هويدى ص ٨ ط : ١٣٩٨-١٩٧٨ بيروت

فقد فند هذا القول الفيلسوف الفرنسي الشهير (١) بقوله : (انا افكر
اذن انا موجود) (Je pense, Donc, Je suis)
(72)
ولا يصرف في التاريخ من يقول بهذا القول الا افرادا منهم السفسطائيين في
القديم وأما في العصر الحديث ، يقول (فرانك آلن) (٢) عالم الطبيعة
البيولوجية أن " سيرجيس جينز " (٣) العالم الطبيعي " يرى ان هذا
الكون ليس له وجود فعلي ، وأنه مجرد صورة في اذهاننا " .
ولا نرد على هذا الهذيان اكثر من ان نقول : اننا نميش في عالم
من الاوهام .

فمثلا هذه القطارات التي نركبها ونلمسها ليست الا خيالات . وبها
ركاب وهميون . وتعتبر انهارا لا وجود لها وتسير فوق جسور غير مادية .
نقول ان هذا الرأي ، رأي وهمي ايضا لا يحتاج الى مناقشه او جدال .

(١) وهو ديكارت ١٥٩٦ - ١٦٥٠ م واسمه رني ديكارت ، ولد ببلجيكا من
اعمال مقاطعة " تورن " بفرنسا . المشهور بالفلسفه ثم غادرها فنال
الاجازه في القانون .

راجع تاريخ الفلسفه الحديثه ، ليوسف كرم ص ٥٦
(٢) فرانك آلن عالم الطبيعة البيولوجيه اخذ الماجستير والدكتوراه من جامعه
(كورنل) استاذ الطبيعه الحيويه بجامعة (مانيتوبا بكندا) من سنه
١٩٠٤ الى سنه ١٩٤٤ . الخ

راجع الله يتجلى في عصر العلم ص ٥
(٣) سيرجيس جينز العالم الطبيعي هو انكليزي ١٨٧٧ - ١٩٤٦ .
راجع الموسوعة العربيه الميسره ص ٦٨٣ .

وأما الرأي الثاني : فهو القائل : ان هذا العالم بما فيه من ماده وطاقه قد نشأ هكذا وحده من العدم ، فهو رأى من المضحكات المبكيات ، فلا يقل عن سابقه سخفا وحقا ، ولا يستحق هو ايضا ان يكون موضحا للنظر في الأوساط العلمية . ومع ذلك سنوضح نقطه السخافه فيه حينما نتكلم عن الصدق العمياء ..

وأما الرأي الثالث : فهو الذى ينادى بوجود خالق لهذا الكون ، يقال : في عنصر واحد هو الأزلية ...

اذن نحن نسأل الفيلسوف اليوناني (ديمقريطس) : الى من تنسب صفه " الأزلية " ؟

الى عالم الميت ؟ أو ننسبها الى اله حي يخلق ما يشاء ؟
ولكن لو أردنا ان نأخذ بالرأى الاول ، أى ان الذرات الصماء هى التى تستحق صفه الأزلية أكثر من اله مدبر ، يقف أمامنا العلم الحديث الذى يجذبونه وهو يقول :

(73)

" ان قوانين الديناميكا الحراريه تدل على ان مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجيا وانها سائره حتما الى يوم تصبح فيه جميع الاجسام تحت درجه من الحراره بالفه الانخفاضى هى الصفر المطلق ، ويومئذ تنعدم الطاقه وتستحيل الحياه ..

" ولا مناص من حدوث هذه الحاله من انعدام الطاقات عندما تصل درجه حراره الاجسام الى الصفر المطلق

بعضى الوقت . . . " (١) أما الشمس المستعرة والنجوم المتوهجه والأرض الخفيه
بأنواع الحياه ، فكلها دليل واضح على ان اصل الكون اواساسه يرتبط
بزمان بدأ من لحظه معينه ، فهو اذا حدث من الاحداث . ومعنى ذلك
انه لا بد لاصل الكون من خالق ازلى ليس له بدايه عليهم محيط بكل شئ
قوى ليس لقدرته حدود ولا بد ان يكون هذا الكون من صنع يديه .

فعلى هذا التقرير العلمى الحديث ندرك ان الماده ليست ابدية ،
ومعنى ذلك ايضا انها ليست ازليه .

كما ندرك ايضا ان ديمقريطس لا عيب فيه الا أن ايامه تقدمت على
هذه العلوم الحديثه التى تنص بصفه قاطعه على ان بدايه الماده لم
تكن بطيئه او تدريجيه - كما يدعيه المذهب الذرى الديمقريطسى بل
وجدت بصورة فجائيه .

فلندع " ايرفنج وليام " ليرد على سلفه فهو يقول :

" فعلم الفلك مثلا يشير الى ان لهذا الكون بدايه قديمه ، وان الكون
يسير الى نهايه محتومه وليس مما يتفق مع العلم ان نعتقد بان هذا الكون ازلى
ليس له بدايه ، او ابدى ليس له نهايه ، فهو قائم على أساس التخيير . . . " (٢)

(١) راجع كتاب الله يتجلى فى عصر العلم ، تأليف نخبة من العلماء الامريكيين -
بمناسبه السنه الدوليه لطبيعات الأرض ، اشراف (جون كلوفر مونما)
ترجمه الدكتور الدمرداس عبد المجيد سرحان ص ٦ مؤسسه الحلبي وشركاه
للنشر والتوزيع ١٤ شارع جواد حسنى القايره .
(٢) المرجع السابق ص :

هذا كلام هؤلاء على كفرهم - ردوا على اسلافهم - ان الايمان بالله له مستلزمات لم يتم بها هؤلاء لشيء الا ان علمهم بقوانين الكون اوصلهم الى هذه الحقائق الخالده والنائمه في كل فطره .

فهذا عالم طبيعي اخر وفيلسوف يرد على هذا المذهب الديمقريطس ايضا ان هذا العالم هو (ستانلى كونجيدن) (١) .

يقول : " والنظريات الماديه التي قدمها " ديمقريطس " وكذلك النظريات المثاليه الصرف التي تفسر هذا الكون تفسيراً معنوياً خالصاً مما قدمه (اينتز) و (بيركلى) و (هيجل) ، نقول : ان هذه النظريات الالهاده جميعها لا تمدوان تكون مجرد افتراضات تقوم على التخمين ولا تستند الى اى اساس من التجريبه التجريبيه ... ولا بد لآى فلسفه تحاول ان تفسر الطبيعه والكون من ان تختبر اولاً لمصرفه مدى قدرتها على تفسير سائر انواع الحقائق والعوامل والعناصر التي يتألف منها هذا الكون او تظهر فيه " .

وأضاف (هولمهورتز) (Helmholtz) في احدى محاضراته التي القاها عام ١٨٦٩ م والتي أمت مشهوره :

" ان الهدف النهائي للعلم (الطبيعيه تتمثل في اكتشاف الحركات - (Motion) التي تكمن وراء كل تغيير والقوى الدافعه فيها " (٢) . وقال ايضا : " ان فان النظرية الذريه (الديمقريطسيه) هي اسطورة وليست بتجربه " (٣) .

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص ١٨

(٢) تدهور الحضاره الغربيه تأليف اسوالد اشينفلر ص ٢٠ ج ١

(٣) المرجع السابق ج ٢ ص ١٤٧

ومن قبل قد ناقشهم القرآن الكريم مناقشه هادئه • ليس الملاحده اذا
 سمعه الا أن يسلم ويتوب الى الله تعالى •• ولكن الملاحده لهم قلب لا يتقيدون
 بها ولهم ايمان لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها وهم أضل ممن
 حمار أحمهم ••

يقول تعالى : * أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقت السموات
 والأرض ؟ *

إن هذا الكلام ليس وراءه مفر للملاحده لانهم اثبتوا ان اصلهم ممن
 الذرات المملاء ••

فنتول لهم هل للذرات عقل ؟ فيقولون لا !

يقول كيف يخلق غير العاقل شيئا يحقل ويفكر ويفعل الاناجيب ؟

اذا لم يكن لديهم جواب ننتقل الى الخطوه الاخيريه وهي :

هل انتم المقلد الذين خاتمت هذا العالم فيقولون لا !

نقول ان من الذى خالقكم وما تعلمون ؟

اذا سكنا نقول لهم : فلكم الله ربكم * فالق الحب والنوى *

وبهذا وذلك يفقد المذهب الذرى وزنه المستعار ويرجع (بقصد او بغير

قصد الى وزنه الطبيعى ••••• فنتبكل صراحه وصرامه — ان المذهب الذرى الذى

اتخذ طينه الارواح من الملاحده ويعتمد عليه المتأخرون منهم : لا أساس

له من الصحة • لان الفطره السليمه (١) تكذبه والعلم الحديث يكذبه وقد
كذبه القرآن الكريم من قبل • وقيل الحمد لله رب العالمين •

(عود لبدء) وقبل هذه المناقشه كنا نتحدث عن الالحاد الحديث
من حيث كونه فريدا في اتجاهاته وقد رأينا في العهد اليوناني ان صوت
الالحاد كما ان يكون مفقودا لولا هذا الفيلسوف (ديمقريطس) •

والان نود ان ننقل الى العهد الروماني لنرى ايضا كيف كانت هناك
قيمه الالحاد والمحدثين • اكانت لديهم دوله ام كانوا افرادا منحرفين • هل كتب
لهم البقاء على الحادهم • ام تصدى لهم فلاسفه آخرون فأهالوا التراب على
مذهبهم السخيف ؟

وفي الصفحات الاتيه نحاول الاجابه عن هذه الاسئله ان شاء الله
تعالى ...

(١) كما كذبهم امثال سقراط. وافلاطون وارسطو وغيرهم : فهوؤلاء هم اشهر
فلاسفه اليونان وان كانوا قد خلطوا اصول القول بقدم العالم وتخطى ال
الحدود في الحديث عن كنه الباري سبحانه غير انهم دافعوا دائما
مجيدا عن ذكره وجود الباري سبحانه حتى قضوا على المذهب الذري •

العهد الروماني

وأما العهد الروماني — كما تفيدنا المخطوطات التاريخية الموثوق بها (١) —

ان صوت الالحاد كان مختفيا طيلة عهد الفلسفة اليونانية ولم يكتب لهذا المذهب السخيف الظهور الا في العهد الروماني على يد الفيلسوف الروماني (لوقريطس)^(٧٤) الذي حاول في اوائل القرن الاخير قبل الميلاد ، احياء هذا المذهب الذري السخيف ، فكان يردد مزاعم ديموقريطس •

ومن مزاعمه التي سجل عليها التاريخ ما يلي :

” ان الريح والمقل وكل ما في الكون انما هونتاج مادي بحت • وعلى هذا الاساس انكر ان يكون هناك خالق ” •

ثم ان هذا المذهب لم يكتب له البقاء بحيث تعرض لمقاومه عنيفه من قبل الفلاسفة الذين كانوا يدينون بالفلسفة الافلاطونية ، قاوموه حتى انقطع صوته وانتصر الحق •

وهكذا راينا ان الالحاد لم يكن له سند في العهد الروماني يستند عليه ، ولم يكن له انصار ينصرونه وما كان منتصرا •

(١) كيف نحارب الالحاد — محمد احمد باشميل ص ٨

الملل والنحل لشهرستان ج ٢ ص ١٦٠

المعهد الجاهلي

اختلفت آراء الباحثون الاسلاميين في وجود ملحدين في المعهد الجاهلي
الى رأيين اساسيين : رأى ينفي ، ورأى مثبت .

أولا : الرأى النافى :

ان الباحث محمد احمد باشميل يرى في كتابه (كيف نحارب الالحاد)
ان الالحاد لم يكن له صوت في جميع عصور الجاهلية العربية .
وهو كد قوله هذا بان الالحاد لم يوجد قط في جميع عصور الجاهلية الوثنية
بين مختلف الأمم ابتداء من ايام نبي الله نوح عليه السلام الى ايام الجاهلية
العربية . . (١)

هكذا ذكر بدون ان يستدل بآية او حديث او غيرهما . .

ثانيا : الرأى المثبت :

ان القائلين بوجود ملحد وزنادقة في المعهد الجاهلي كثيرون نختار منهم
ثلاثة علماء لشهرتهم في الاوساط العلمية :
أ - الشيخ الشيرستان⁽⁷⁶⁾ : انه من القائلين بوجود ملحدين في المعهد الجاهلي
فهو صرح بالكلمات التالية :

” فصنف منهم (العرب) انكروا الخالق والبحث والاعاده وقالوا بالطبع
المحي والدهر المفنى وهم الذين اخبر عنهم القرآن المجيد :
﴿ وقالوا ما هي الاحيائنا الدنيا نموت ونحيا ﴾

(١) كيف نحارب الالحاد ، محمد احمد باشميل ص ٨

أشاره الى الطباع المحسوسة في العالم السفلى ، وقصرا للحياه والموت على تركيبها وتحللها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر : * وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون * (١)
ان هذا التقهر الواضح الذي لا يحتاج الى اى تعليق ، يشير الى ان العرب كان ملهم منكرون وجاحدون ..

ب- أبو حامد الغزالي : انه كذلك يثبت وجود منكرين في الجاهليه العربيه فهو يقول في كتابه " المنقذ من الضلال " مايلي :

" .. منهم من جحد الصانع المدبر العالم القدير ، وزعموا : ان العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه ، وبلا صانع ، ولم يزل الحيوان من النطفه ، والنطفه من الحيوان كذلك كان ، وكذلك يكون أبدا .. وهو لا ، هم الزنادقه " (٢) .

ج- الشيخ عبد الحلیم محمود شيخ الأزهر المرحوم ، انه اثبت بشكل واضح ان هناك في الجاهليه العربيه من كان ينكر وجود الله سبحانه وتعالى كما وجد فيهم من تزندق .. هوى ان ذلك مستورد من الحيره الى قریش . نقل ذلك عن ابن قتيبه من كتاب المعارف .. ويضيف أيضا :

" والحق ان جزيره العرب لم تكن - كما يظن عادة - بمنأى عن التفكير الدينى القوى انكارا وجحودا او اثباتا وتأبيدا " (٣) .

(١) الملل والنحل الشيرستان ج ٣ ص
(٢) المنقذ من الضلال ، أبو حامد الغزالي ص ١٥ مكتبة الحرم المكي تحت الرقم ٩٨١
(٣) التفكير الفلسفى فى الاسلام د . عبد الحلیم محمود شيخ الأزهر ص ٦٤ .

وهكذا رأينا ان العهد الجاهلي قد وجد فيه من ينكر الصانع
ولكنهم كانوا دائما قليلين .

والذي ينبغي ان يقال هو : ان الالحاد لم تكن له دولة في اليهود
الوثنية ولم يكن هناك " علماء " يدافعون عنه ويحملون له سندا علميا
كما هو الحال في الالحاد الحديث ، ولكننا اذا نفينا ذلك بتاتا نتعارض
مع المصطلحات التاريخية الثمنية ...

اذن فالذي يصار اليه من الرأي هو الرأي المثبت لظهور أدلته
مؤيده .. والله أعلم .

في عهد الكنيسة

وفي ظل سلطان الكنيسة في أوربا ظل صوت الالحاد منقطاً انقطاعاً كاملاً حيث كان البطرش شديداً بالعلماء الذين ليسوا ملحدين ، وإنما ظن الرهبان أن في اقوالهم ما ينزع إلى الالحاد أو يجر إلى الكفر كالعالم الإيطالي (غاليليو) واضربه ... الأمر الذي جعل الجهر بالالحد وانكار الخالق سبحانه وتعالى مستحيلاً طيلة عهد الكنيسة .

يقول برنتن :

" لم يكن بوسع الكثيرين من أفراد المجتمع الغربي أن يحترضوا صراحته وجماعته بالالحد أو اللادينية أو بذهب الاتصال بالله أو بأبيه عقيدته أخرى غير المسيحية إلا خلال القرون القلائل الأخيرة وقد كان الكفار الذين يجاهدون بكفرهم قلة نادرة في الألف سنة التي استغرقتها القرون الوسطى . ولما كان الناس جميعاً مسيحيين فلم يكن هناك مفر من أن تكون المسيحية هي كل شيء لكل الناس ، فلقد كان القديس فرانسيس ورازمس ولويولا وميكافيلي وباسكال ووزلي ونابليون وغلاستون وجون روكفلر جميعاً مسيحيين " (١) .

والأمر كما قال برنتن . أن شدة البطرش على العلماء من قبل الكنيسة لا يعني ذلك أنه ليس هناك من يدين بالالحد ، فالذي لا جدال فيه هو أن هناك أفراداً من الفلاسفة والمفكرين (في أوربا) كانوا يمتنقون الالحاد مذهباً لهم فوضعوا له القواعد والأسس .

(١) يراجع كتاب افكار ورجال من تأليف برنتن ص ٢٠٧ .

بل ارادوا احياء المذهب الذرى الديمقراطي الذى اخلفه ميسد

عميد داويل *

الا انهم كانوا يتكلمون (تكلم شديدا على زعمائهم الالحاديه فصاروا
لا يترشحون عن مذهبهم الالحاديه الا شيئا فشيئا وشمسيا مع تقلص سلطانهم
الكنيسه الزميه فى اوربا *

وقد حفظ لنا التاريخ اسماء هؤلاء الفلاسفه الملاحده الذين قالوا

ان الحادهم قائم على اصول علميه كأمثال :

(79) (80)

الفيلسوفين : (بختنر وهيجل) فى المانيا

والفيلسوفين : (هيدسون تتل وتوماس هكسلى) فى انكلترا

والفيلسوفين : (لامارك وليريه) فى فرنسا

الا ان اراء هؤلاء الفلاسفه الملاحده - كما قلنا - ظلت اراء فرديه

لم يشغل نفسه به الا المرضى الذين تعطلت فيهم اجهزه الاستقبال الفطرى *

وهكذا كانت الافكار الالحاديه (مجرد فكره) فى اذنيه هؤلاء

الافراد ولم تصل ابدا الى مستوى الشعب او مستوى الحكومه واستمرت الحال

كذلك حتى وقعت الطامه الكبرى ، القاصمه التى تم بها الفصل بين الديين -

والدنيا .. بين السياسه والعقيد ، وبين الكنيسه والمجتمع وانقطع - نهائيا -

ما بين التصور الاعتقادى والنظام الاجتماعى على يد كارل ماركس -

اليهودى *

أوروبا المادية

فأصبح الناس في أوروبا بهذا الفصل النكد — يبدون المادة لا المروية
 كما أنهم في العالم من فوق أنفسهم الأوروبية وأصل : الأوروبية الحديثة
 في كوكب — بل ومن كوكب أيضا •

فأصبحت كنائس هذا " الدين الجديد " المصانع الضخمة
 ودور السينما والمختبرات الكيميائية ودور للرقص ومراكز أيد الكهرباء • وأما كبريت
 فيرم رؤساء المصارف والمهندسون والمثلاث وكواكب السينما وأقطاب
 والصناعة والطيران •

وصارت هذه الحضارة لا يوجد في نظامها إلا هي موضع لله • ولا تعرف له
 فائدة • ولا تشعر بحاجة إليه •

وهذه هي شهادة أحد كبار المعلمين في " لندن " وكتاب الإنجليز
 البارزين • هو الأستاذ جود (Jod) رئيس قسم الفلسفة وطام النفس
 في جامعة لندن في كتابه (Guide to Modern Wickedness)
 - ١٩٥٥ -

يقول : " سألت عشرين طالبا وتلميذه كلهم : أوائل العقد الثاني من
 أعمارهم كم منهم مسيحي بأي معنى من معاني كلمة • فلم يجب بـ " نعم " إلا
 ثلاثة فقط •

قال سبعة منهم : انهم لم يفكروا في هذا المسألة أبدا • أما المشرة
 الباقية فقد صرحوا انهم معادون للكنيسة •

(١) راجع كتاب ماذا خسر العالم : " سامويل • إيم • الحسنة الثانية •

وبهذا نصل الى النتائج التالية :

(١) رأينا العهد اليوناني والروماني والعهد الجليلي والكنسي
كان صوت الالحاد / ^{هناك} لا يكاد يسمع / ^{أبدا} ان دل هذا على شيء فانما يدل على
ان الالحاد الذي حصل في اوربا الحديثه الحاد فريد في نوعه .

(٢) ان اوربا كانت يوما صاحبه الديانه لديها نفوذ وقوه ومنعــه
نكيف تحول الناس من هذه الديانه الى اعتناق المذهب الالحادي ؟ وقامت
القيامه ضد هذه الديانه ؟ فارتفعت الصيحات هنا وهناك تقول :

" اشنقوا آخر ملك .. بامعاء آخر قسيس "

وتقول :

دعه يمر ! (Laissez passer)

دعه يفعل ! (Laissez Faire)

وهذا العجب الذي جعلني اخترت ان يكون موضوع الباب الاول كالتالي :

" لماذا ألحد الناس في اوربا الحديثه ؟ "

والصفحات الاتيه تعتبر اجابه عن هذا السؤال ، والله الموفق ،

وبالاجابه جدير ، والصلاه على النبي الكريم .

حواشي و تعريفات

(١) الطبري ابو جعفر محمد ابن جرير (٨٢٩ - ٩٢٣) مؤرخ و مفسر وفقيه ولد في طبرستان ثم اقبل على الدرس و حفظ القرآن صغيرا .. وزار عددا من البلدان الاسلامية طلبا للعلم منها : سوريا و مصر و بغداد و البصرة و الكوفة .. و كان على مذهب الشافعي و عارض الحنابلة .. و حاول ان يكون له مذهب خاص .. وهو (الجريرية) و اشهر كتبه : تفسيره (جامع البيان في تفسير القرآن) (و تاريخ الرسل والملوك)

(٢) عبدالله بن عمر (٦١٢ - ٦٩٢) اكبر ابناء عمر بن الخطاب .. شقيق حفصة ولد في مكة قبل الهجرة بسنتين اسلم مع والده اشترك في معظم الغزوات الا بدرا لصفر سنة .. عاون الخلفاء الاربعة في السلم و الحرب .. وله سعة المام باخبار النبي صلى الله عليه وسلم و عاش طويلا .. عرف بالصلاح و الزهد و التقوى .

(٣) الصحيح : هو البخل مع الحرص لسان ج ٢ ص ٤٩٥

(٤) الازهرى خالد بن عبدالله (١٤٢٤ - ١٤٩٩) نحوى ولد بجرجا بمصر و مات بجوار القاهرة التي نشأ بها .. درس بالازهر و اشتغل بالتعليم ببعض المساجد شرح على الاجرومية و كتب كثيرة و تفسيراية

* فلا اقسم بمواقع النجوم *

(٥) عبدالله بن الزبير (٦٢٣ -) قائد عربي اشترك في غزوة القسطنطينية التي جهزها معاوية ٦٢٠ .. و لما قتل الحسين شار عبدالله في الحجاز .. ثم بويع له بالخلافة و ولى الولاة .. و لما توفي يزيد ٨٤/٨٨٣ كانت له اكثر البلاد الاسلامية ما عدا الشام .. حاصره الحجاج بن يوسف الثقفي بمكة ستة اشهر ثم قتل و ارسل الحجاج رأسه الى الخليفة (عبد الملك) .

(6) اللات احد اصنام العرب الكبرى ، يرمز للشمس له معبد بالطائف

وصنم في الكعبة أبيع الصنم والمعبد بعد فتح مكة

(7) مناة صنم اسود كبير بين مكة والمدينة يرمز لالهة الفضاء

والهة الموت كانت الاوس والخزرج تعظمه وتحرله الذبائح ؛ عد في
الجاهلية مع اللات والعزى بنات لله . أبيع بعد فتح مكة .

(8) العزى : اعظم اصنام قريش كانت تزور وتحر له الذبائح

في مكة والطائف ثم كف النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بهدم
معبده بعد فتح مكة ..

(9) صاحب المعجم الفلسفي .

(10) سبقت ترجمته في هامش صفحة ٢١

(11) نيوتن ، سيراسحاق (١٦٤٢-١٧٢٧) فيزيقي انجليزي

عين استاذ بجامعة كمبريدج (١٦٦٩-١٧٠١) من اعظم علماء القرن ١٨

في الفيزيكا والرياضة .. غلد ذكره باكتشاف ناموس الجاذبية العامة وتحليل
النور اختير لمنصب رئيس الجمعية الملكية بانجلترا تقديرا لاعماله ..

(12) لا بلاس (١٧٤٩-١٨٢٧) من مشاهير علماء الفلك الفرنسيين

صاحب الرأي السائد ان العالم تكون في بدئه كرة ضبابية انفجرت وصدرت
منها الاجرام السماوية ومنها ارضنا .

(13) دارون تشارلس روبرت (١٨٠٩-١٨٨٢) عالم طبيعي انجليزي

درس الطب برغبة ابيه ولكنه كان يفقد الميل نحو هذه المهنة وبدأ يدرس العلوم
في كيمبردج .. قام برحلة بحرية مدة خمس سنوات على الباخرة (بيكل) حيث
وصل الى فكرة التطور العضوي من اصل واحد ، ان الانسان نهاية التطور
الحيواني .

(14) باستور لوتقخ فريهوفون (١٨٥٤-١٩٢٨) مؤرخ المانسي

مؤلف الكتاب الضخم " تاريخ البايوت من ختام العصور الوسطى " ٣٤ مجلد :

١٨٩١-١٩٤٢ سمح له الفاتيكان الاطلاع على وثائق كانت مجهولة ..

(١٥) البيولوجيا ؛ (علم الاحياء) علم الكائنات الحية و يقسم الى علمي النبات والحيوان و يتضمن على كل من هذين القسمين علوم الخلية والانسجة والتشريح والمرفولوجيا (علم التركيب) والفسيولوجيا (علم الوظائف) وعلم الاجنة وعلم البيئة وعلم الوراثة والتطور وعلم الاحافير وعلم التصنيف والميكرو-بيولوجيا : لفظ مستحدث يطلق على الدراسة العلمية للكائنات المجهرية التي تشمل البكتريا والطحالب وغير ذلك و تقدم ادراكه البيولوجي منذ الاغريق واجدروهم بالذكر ارسطو حتى اختراع المجهر في القرن ١٦ فتقدم الى ابعد مدى .

(١٦) جود سيرل ادوين (١٨٩١ - ١٩٥٢) فيلسوف انجليزي عقلي المذهب حاضر وكتب باسلوب واضح فجعل الفلسفة في متناول فيسر ذي الاختصاص ..

(١٧) أوروبا : قارة (مساحتها مع الجزر المتاخمة ١٠٢٦٠٠٠٠ كم^٢ وتعدادها ٥٥٠.٠٠٠.٠٠٠ نسمة) يفصلها عن اسيا جبال اورال ونهر اورال وبحزوين والقوقاز والبحر الاسود والبوسفور والدردنيل .. وعن افريقيا البحر المتوسط ومضيق جبل طارق ويحدها شمالا المحيط المتجمد الشمالي .. وغربا المحيط الاطلنطي ..

(١٨) انجلترا : مساحتها ١٣٠.٨٠٠ كم^٢ وسكانها ٤١.١٤٧.٩٣٨ نسمة وكانت تسمى بريطانيا العظمى لكونها انذاك تتكون مع ويلز واسكتلندا وشمال ايرلندا .. وحكومتها برلمانية .. وعاصمتها (لندن) وديانتها المسيحية .. وكانت انجلترا في القرن ١٩ تقود العالم في صادرات السلع المصنوعة .. وفيها ١١ جامعة اعظمها واقدمها جامعة اكسفورد وكمبريدج ..

(١٩) جمهورية فرنسا : ٥٥٠.٨٩٣ كم^٢ و ٤٥.٨٤٠.٠٠٠ نسمة وتشمل ٨٩ قسما اداريا وعاصمتها (باريس) ويغلب على فرنسا الثقافة اللاتينية والدين الكاثوليكي .. ويرجع الفصل بين الكنيسة والدولة الى الصراع الذي دار ١٩٠٥-١٩٠٦ م فأدى ذلك الى قيام الثورة الفرنسية الكبرى ١٧٨٩ م

(20) العدسة : قطعة مستدير من الزجاج ذات انحناء في احد

سطحيها او في كليهما تحدث انكسارا للاشعة الضوئية الساقطة على احد وجهيها وتستخدم العدسات في آلات التصوير الضوئي . .

(21) ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧) ولد في اخشنة قرب بخارى

وتوفي في همدان حساب وطبيب ومن كبار فلاسفة العرب وائمة مفكرين

تعمق في درس فلسفة ارسطو وتأثر ايضا بالافلاطونية الجديدة قائلا بوجود

العقل الكلي الا ان اراءه في الخالق لا تخلو من شيء من الحلوللية

الافلاطونية . . من مؤلفاته المطبوعة : " القانون في الطب " و " الشفا "

و " الاشارات والتبهيئات " و " كتاب النجاة " .

ولا يزال قسم من تآليفه مخطوطا في خزائن الكتب . وظلت كتبه الطبيعية

عماد الدراسة في كليات الطب في اوربا قرونا عديدة . . راجع شمس

العرب تسطع على الغرب ص ١٠٨

(22) الرازي ابوبكر (٨٦٤ - ٩٢٥) طبيب وعالم ولد في الري . .

اهتم بالموسيقى والقناء ثم نبغ في الطب والكيمياء تولى رئاسة بيمارستان

بغداد ومات في مسقط رأسه . . كان اول من فرق بين الحصبة والجدرى واكتشف

زيت الزاج (حامض الكبريت) واستخرج الكحول من مواد نشوية وسكرية وابتكر

الفتيلة في الجراحة الف اكثر من مائتي كتاب اهمها : " الحاوى " وهو

موسوعة في الطب استند فيها كثيرا على التجريب والاسرار والجدرى والحصبة "

راجع المرجع السابق ص ٢٠٣ .

(23) جلادستون وليم ايراث ١٨٠٩ - ١٨٩٨ سياسى بريطاني

كان الشخصية المسيطرة على حزب الاحرار ١٨٦٨ - ١٨٩٤ وخطيبا وحجة

في الشؤون المالية . . كان وكيل وزارة الحرب والمستعمرات ١٨٣٤ - ١٨٣٥ . .

عين رئيسا للوزراء اربع مرات . .

(24) بيكن روجر فيلسوف انجليزى وعالم تعلم في اكسفورد وباريس

وعلم في اكسفورد اتقن العبرية ليدرس الانجيل واليونانية ، ليدرس ارسطو
والعربية لصلته بالعرب ، ، نسب اليه اختراع البارود واول من فحص عن الخلايا
بمجهر . . وهو صاحب المذهب التجريبي راجع الموسوعة ص ٤٦٩

(25) هارون الرشيد ٧٨٦ - ٨٠٩ خامس الخلفاء العباسيين واسمهم

شهرة ابن الخليفة المهدى ثالث خلفاء بني العباس امه الخيزران حبيبة
ثماني او تسع مرات وغزوات غلب نيقيفورس ملك الروم وحال شارل الكبير
ملك الفرنجة .

(26) شارلمان (شارلمان الكبير او شارلمان الاول) ٧٤٢ - ٨١٤

امبراطور الغرب ٨٠٠ - ٨١٤ ملك الفرنجة هواكبر ابناء بيبين القصير وحفرد
شارل مارتل اقتسم مع اخيه كارلومان حكم المملكة بعد وفاة ابيه وعندما توفي
كارلومان ٧٧١ نودي بشارل بمفرده ملكا على الفرنجة . . راجع الموسوعة
ص ١٠٦٦ حالف هارون الرشيد على خلفاء الاندلس الامويين . .

(27) المجسطى : كتاب للبطليموس مؤلف من ثلاثة عشرة مقالة .

اول من عنى بتفسيره واخرجه الى العربية يحيى بن خالد بن برمك ثم فسر
أبو حسان وسلم لبيت الحكمة والى غير ذلك راجع شمس العرب ص ١٨٠

(28) هو ابو محمد بن جابر بن سنان الرقى ، وكان اصله من حران

صابيا وابتدأ الرصد ، على ما ذكره جعفر بن المكثفي انه سأل فاعبره انه
ابتدأ في سنة اربع وستين ومائتين الى سنة ست وثلاثمائة واثبت الكواكب الثابتة
في ريجيه لسنة تسع وتسعين ومائتين . . ثم جاء الى بغداد فلما رجع
مات في طريقه بقصر الجصى سنة ٣١٧ وله من الكتب كتاب الزيج وكتاب معرفة
مطالع البروج فيما بين ارباب الفلك راجع كتاب شمس العرب تسطع على الغرب

(٣٢) الفرغاني : فلكي ارسله الخليفة المتوكل الى الفسطاط (القاهرة)

لينظره بناية مقياس النيل ٨٦١ . له " جوامع علم النجوم والحركات السماوية " نقل الى اللاتينية والعبرية وله ايضا كتاب " في الاسطرلاب " وهو آلة يقاس بها الفلكيون ارتفاع الكواكب (راجع شمس العرب ص ١٩٥) .

(٣٣) الكندي : ابو يوسف يعقوب ولد في الكوفة لقب " فيلسوف العرب " تعلم في البصرة وبغداد واقام في بلاد انديا ورجع بالهندية

مؤلفات اليونان التي نقلت من ثم الى اللاتينية كان حجة في علم الفلك . وكان من المعتزلة توفي ٨٧٣ ، المرجع السابق ص ٢٠٠

(٣٤) الخوارزمي : قال ابن النديم " اسمه محمد بن موسى ، بأصله

من خوارزم وكان منقطعا الى خزانة الحكمة للمأمون وهو من اصحاب علوم الهيئة وكان الناس قبل الرصد وبعده يعولون على زيجه الاول والثاني ويعرفان بالسند هند . وله من الكتب : كتاب الزيج نسختين ، كتاب الرخامة ، كتاب العمل بالاسطرلاب ، كتاب عمل الاسطرلاب كتاب التاريخ " .

(٣٥) عبدالرحمن الصوفي : ٩٠٣ - ٩٨٦ ولد في الري من كبار علماء

الفلك والتنجيم اتخذه عضد الدولة البويهى الفلكي معلما لمعرفة مواضع وحركات النجوم الثابتة . . من مؤلفاته " الذكرة ومطالع الشعاعات و " رسالة في الاسطرلاب " المرجع السابق ص ٢٠٠

(٣٦) ليوناردو دافنشى ١٤٥٢-١٥١٩ فنان ايطالي امتاز بالبناء

والهندسة والموسيقى وخاصة بالتصوير صاحب صورة العشاء السرى الشهيرة .

(٣٧) ابن الهيثم : هو ابو الحسن ابن الهيثم ٩٦٥ - ١٠٣٩ ولد في

البصرة من علماء العرب في الرياضيات والطبيعية وفلسفة ارسطو . من مؤلفاته : " المناظرة " كان له اثر كبير في معارف الغربيين وكيفيات الاظلال و " في المرايا المحرقة بالدوثر " وفي مساحة الجسم المكافى " نقلها الاغرنج الى لغاتهم .

(38) البيروني ؛ ٩٧٣ - ١٠٤٨ هو محمد بن احمد البيروني ابو
الريحان ، ولد بضاحية خوارزم مؤلف عربي من اصل فارسي درس الرياضيات
والفلك والطب والتقاويم والتاريخ والعلوم اليونانية والهندية ..
من مؤلفاته " كتاب الصيدلة في الطب كتاب الجماهير في معرفة الجواهر ،
كتاب الدستور تاريخ الهند . تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة في المحتل
اورندولة وغير ذلك المرجع ص ١٠٥

(39) البغدادي موفق عبد اللطيف ١١٦٢ - ١٢٣١ ولد في
بغداد ودرس الطب والفلسفة واشتغل بتدريسها حينما بد مشق وعلمه مشق
الى مصر والتقي بموسى بن ميمون ودرس العظام دراسة دقيقة واستطاع ان
يكشف عن اخطاء لجالينوس وردت في وصفه للهيكل العظمي .. ومن كتبه
الافادة والاعتبار - توفي في بغداد - الموسوعة ص ٤٠٤
(40) القزويني زكريا : ١٢٠٣ - ١٢٨٣ رحالة من اصل عربي ولد
بأقليم قزوين في (سن ، فارس) ترك كتابين : (١) في الفلك والجغرافيا
الطبيعية وعنوانه " عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات " (٢)
في الجغرافية التاريخية بعنوان عجائب البلدان .. توفي في بغداد ..
والملاحظة هناك القزويني محمد بن عبد الرحمن ١٢٦٨ - ١٢٣٨ الفقيه
المحدث ليس هو المراد هنا ..

(41) ابن مسكويه ، ابو علي الخازن الملقب بمسكويه : معناه
(رائحة المسك) وهي تركيب اعصى ت ١٠٢٠ فيلسوف واديب ومؤرخ وعالم
بالكيمياء كان مجوسيا ثم اسلم . من مصنفاته : تجارب الاثم حاول التوفيق بين
الفلسفة اليونانية وبين الشريعة الاسلامية .. وكانت فلسفته تدور في الاخلاق ..
(42) الجاحظ عمر بن بحر ٧٢٠ - ٨٦٨ كاتب ادب مشهور له كتب
منها (الحيوان) والبيان والتبيان) والبغلاء والمحاسن والاضداد يظن ان
اصله من افريقيا راجع الموسوعة ص ٥٩١

(٤٣) خازن ابو جعفر توفي ٩٦٠ ولد بخراسان رياضي وفلكي عربي

كتب تعليقات على اعمال اقليدس وبخاصة الكتاب العاشر الموسوعة ص ٧٤٨

(٤٤) جابر بن حيان طبيب عربي اول من اشتغل بالكيمياء القديمة

عاش بالكوفة وبغداد في اخر القرن ٨ واول ٩ ترجمت كتبه الى اللاتينية

وهي تزيد على الثمانين ، وتعتبر اهم ما كتب في ذلك العصر . .

(٤٥) ابن النفيس على ابن الحزم القرشي ت ١٢٨٨ م احد اطباء

دمشق المشهورين كان اما ما في علم الطب . . صنف كتاب الشامل في الطب

اول من اكتشف الدورة الدموية الرئوية ووصفها وصفا علميا دقيقا فسبق بذلك

مايكل سرفتس الذي يعزو الاوربيون اليه هذا الاكتشاف . . ولا ريب ان

هذا اعظم اكتشاف في التشريح قام به العرب راجع الموسوعة ص ٢٩

(٤٦) ابن البيطار : ابو محمد عبدالله بن احمد الملقب ت ١٢٤٨ م

عالم نباتي ولد بملقه وسافر الى بلاد الاغريق واقصى بلاد الروم والمغرب

عاين منابت النبات وتحقيقها ومن كتبه : الجابي في مفردات الادوية

والاغذية " وصف فيه الفا واربعمئة نوع من العقاقير

(٤٧) داود بن عمر الانطاقي ت ١٦٠٠ ولد بانطاكية مكوف البصر

وتتلمذ على شيخ فارس قرأ المنطق ودرس الطبيعيات والرياضيات واللغة

اليونانية فاجادهما . . له كتاب تذكرة داود - في الطب ولا يزال بعض المرضى

يعالجون انفسهم بوصفاته . .

(٤٨) المقدسي ابو عبدالله محمد بن احمد القرن ١٠ ولد ببیت

المقدس من اشهر الجغرافيين العرب وادقهم ساح في معظم جهات العالم

الاسلامي ورسم للبلاد التي زارها خرائط ملونة له كتاب (احسن التقاسيم

في معرفة الاقاليم) .

(٤٩) الادريسي ابو عبدالله محمد بن محمد ١١٠٠ - ١١٦٦ ويلقب

بالشريف ولد في الاندلس وقيل سبتة بلد في المغرب من اسرة علوية وتعلم بقرطبة

وبرع في علم الهيئة والجغرافيا والطب والحكمة والشعر زار بلاد الروم واليونان ومصر

والمغرب وفرنسة وبريطانيا وله كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق " وكان مصنفه هذا

اهم الاعمال الجغرافية في عصره . .

(50) ابن ماجه شهاب الدين احمد ملاح عربي ولد بجزيرة العرب الف ٣٠ كتابا في البحرية بين سنتي ١٤٦٢ - ١٤٩٠ اشهرها (الفوائد في اصول علم البحر والقواعد)

(51) الدينوري ابو حنيفة احمد ت ٨٩٥ فقيه ولفوى ومؤرخ عربي له كتاب " الاخبار الطوال " طبع بلندن ١٨٨٨ وله كتاب " النبات " الذي حظى بتقدير العلماء

(52) ابن يونس ابو الحسن على ت ١٠٠٩ اكبر علماء الفلك العرب ساعدته اجهزة مرصد القاهرة في ايام الفاطميين . . ووضع جدول فلكية جديدة من أدق ما عرف حتى ذلك التاريخ " الزيج الكبير الحاكم " .

(53) موسى بن شاكر واولاده الثلاثة محمد واهمد والحسن وهؤلاء كانوا ممن تاهوا في طلب العلوم القديمة من الهندسة والحيل (ميكانيك) والحركات والموسيقى والنجوم . توفي محمد بن موسى سنة تسع وخمسين ومائتين في شهر ربيع الاول

(54) ابن رشد هو الوليد بن احمد بن رشد ١١٢٦ - ١١٩٨ فيلسوف وطبيب اندلسي ولد في قرطبة وتوفي في مراكش ودفن في قرطبة لخس كثيرا من الكتب الفلسفية الاغريقية . وله كتاب الكليات في الطب . وقد رد على الغزالي " تهافت الفلاسفة " بكتاب (تهافت التهافت) ومن اشهر كتبه " بداية المجتهد ونهاية المقتصد " ترك اثرا بعيدا في التفكير وعرف بالفيلسوف والشارح وكانت له مدرسة في الجامعات الاوربية . .

شمس العرب ص ٢٠٣

(55) عباس بن فرناس من اصحاب الفن والصناعات ادخل الموسيقى الشرقية الى اسبانية قالوا انه استبطن صناعة الزجاج من الحجارة وحاول الطيران برداء من ريش كسا نفسه به توفي عام ٨٨٨ م .

(56) الطأمون ٧٨٦ - ٨٣٣ من الخلفاء العباسيين ابن هارون

الرشيد احب الفرس ولم يكتسب ود العرب قلب البيزنطي بالقرب من طرطوس
الحاز الى مذهب المعتزلة في عصره ازدهرت العلوم والفنون الاسلامية ونقلت
مؤلفات اليونان نقش خاتمه : (الموت حق) وأسس بيت الحكمة ٨٣٠ م
راجع شمس العرب ص ١٧٨

(57) صلاح الدين الايوبي ١١٣٨ - ١١٩١ ولد في تكريت وتوفي

في دمشق مؤسس الدولة الايوبية اكبر ملوك المسلمين ايام الصليبيين هزم
الافرنج في وقعة حطين ١١٨٧ م وفتح بيت المقدس واخذ عسود الصليب
اشتهر بكرمه وعزة نفسه وبسالته وبثقافته وقناعته .

(58) اخوان الصفا جماعة سرية دينية وسياسية وفلسفية شيعية او

اسماعيلية باطنية : هم (١) محمد بن مشير البستي الطقب بالقدس
(٢) ابو الحسن علي بن هارون الزنجاني ومحمد بن احمد النهرجوري . .
والعوضي وزيد بن رفاعة . .

جماعة تآلفت وتضافت واجتمعت على القدس والطهارة . . فوضعوا مذهباً
يزعمون انه يوصل الى رضوان الله تعالى : هو انتظام الفلسفة اليونانية بالشرعية
المحمدية . . ذلك ان الشريعة - كما يزعمون - قد دنست بالجهالات ولا
تظهر الا بهذا بادماجها في الفلسفة فوضعوا رسائلهم في اربعة اقسام :
قسم في الرياضيات وقسم في الجسمانيات (الطبيعيات) وقسم
في النفسانيات (العقليات) وقسم في الناموسيات (الالهيات) وقد
عاشوا بالبصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (الموسوعة ص ٦٦)
(59) ابن خلدون ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون -

١٣٣٢ - ١٤٠٦ م مؤرخ وفيلسوف اجتماعي عربي مسلم مشهور . . ينتهي
نسبه الى اوائل بن حجر من عرب اليمن . . اقامت أسرته في تونس حيث نشأ
وتعلم بها ثم حج سنة ١٣٨٧ وله عدة كتب منها : " العبرود يوان المبتدأ
والخير " و " مقدمة ابن خلدون " فهو يعتبر بحق واضع علم الاجتماع الذي
استمر فيه الغربيون كامثال فيكو ووجست كوزنت وهربرت سبنسر . . راجع الموسوعة

(60) نيوتن سير اسحق قد ذكرناه تحت رقم (١١)

(61) لا مارك (جان بابست) ١٧٤٤-١٧٢٩ عالم طبيعي فرنسي

اشتهر بتقديمه نظرية التطور . له كتاب : الزهور الفرنسية ١٧٧٨ م

(62) الحروب الصليبية ١٠٦٩ - ١٢٩١ وسميت بالحملات الصليبية

لأن المحاربين النصارى كانوا يضعون إشارة الصليب على ثيابهم وأسلحتهم

جاءوا من اوربا الغربية ليستردوا قبر المسيح والأراضي المقدسة ، وكان من

نتائجها التعارف بين الشعوب وتبادل العلاقات الثقافية والتجارية بين المشرق

والمغرب وازدهار فن البناء وترقى الصناعات في اوربا وهناك لائحة

الحملات مع تاريخها :

الحملة الاولى : ١٠٩٦ - ١٠٩٧ الحملة الثانية : ١١٤٨ - ١٢٤٩

الحملة الثالثة : ١١٨٩ - ١١٩٢ الحملة الرابعة ١٢٠٢ - ١٢٠٤

الحملة الخامسة : ١٢١٧ - ١٢٢١ الحملة السادسة ١٢٢٨ - ١٢٢٩

الحملة السابعة : ١٢٤٨ - ١٢٥٤ الحملة الثامنة : ١٢٧٠

(63) لامرتين الفونس ماري لوى دى ١٧٩٠-١٨٦٩ شاعر

فرنسي اشتغل بالسياسة وشغل مناصب سياسية كثيرة . .

(64) لنين فلاديمير اليسن ١٨٧٠-١٩٢٤ القائد الفعلى والفكرى

للمثورة الروسية التي انتهت باقامة النظام الشيوعي ١٩١٧ م ومن اهم كتبه

" الاستعمار على مراحل الرأسمالية " و " الثورة والدولة "

(65) انجلز فردريك ١٨٢٠ - ١٨٩٥ اشتراكى الماني اسهم مع

كارل ماركس في وضع اساس النظرية الاشتراكية الكديثة وفي صياغة البيان الشيوعي

الشهير ١٨٤٨ م . . اشترك في تدبير الحركات الثورية في اوربا واضطر الى

اقامة دائمة في انجلترا على اثر فشل ثورة ١٨٤٨ م

ومن اهم كتبه (معالم الاشتراكية العلمية) ١٨٧٨ م وكتاب (الدولة والملك

الخاصة) و (اصل الاسرة ١٨٨٤) وغير ذلك .

(66) الشيوعية : مصطلح يصعب تحديد معناه . وهو في صحيحه نظام اجتماعي تكون فيه الملكية (وخاصة ملكية الإراضى ووسائل الانتاج) في يد المجتمع بأكمله .. وبعبارة أخرى : هي محاولة لا لفناء الملكية الفردية الموسوعة ص ١١١٠

(67) الاشتراكية : مذهب اقتصادى وسياسى يعارض النظام الرأسمالي الذى يقوم على الملكية الفردية والمشروعات الخاصة ويدين بالحرية الاقتصادية ويقر الفوارق الطبقة .. أى نظام يحاول تحديد الملكية الفردية - المرجع السابق ص ١٦٥

(68) النظام الاقتصادى الذى يقوم على الملكية الخاصة لموارد الثروة .. ويطلق المجال لحرية الافراد والمشروعات الخاصة وبعبارة أخرى : هو نظام اقتصادى يتيح الملكية الفردية بدون قيد ولا شرط راجع المرجع السابق ص ٨٥٣

(69) بروليتاريا : في النظرية الاشتراكية .. طبقة العمال الخاضعين للاستغلال .. الذين يعيشون من اجورهم وفي روما القديمة : كان " البروليتارى " هو المواطن الذى لا يملك شيئا . وعند (كارل ماركس) ان انهيار النظام الاقطاعي خلق طبقة جديدة معدمة من الافلاحين والاتباع اصبح افرادها مرغمين على بيع عملهم لقاء اجور في المراكز الصناعية الجديدة .. يقول (لينين) ان (البروليتاريا) يجب ان ينتزع من الطبقة الرأسمالية ..

(70) دكتاتور : اصلا حاكم روماني معين لحكم ولاية في وقت الازمة ومعناه الان : الحاكم المطلق او الاوتوقراطي .. ويعتبر هتلر مثالا لذلك .. اما روسيا فقد نمت فيها في ظل الحكم الشيوعي دكتاتورية حزبية ذات عناصر كبيرة من الدكتاتورية الفردية .. راجع الموسوعة ص ٧٩٩

(71) اناكسجوراس ٥٠٠-٤٢٨ ق م هو فيلسوف يوناني نقل الفلسفة الى اثينا ويقال انه استاذ سقراط . . راي ان في الكون عقلا يسيره وينظمه وقال ان الشمس حجر ملتهب والشمس تراب ومخور و يعكس ضوء الشمس . فاتهم بالاحاد فهرب . . الموسوعة ص ٢٣١

(72) سوفسطائيون : جماعة من الفلاسفة قبل سقراط كانوا يعطون البلاغة والخطابة انكروا الوصول الى حقيقة موضوعية ثابتة . . فالحكم هو اقتناع خصمك لا بلوغ الحقيقة . .

ومن اشهرهم : جورجياس وبروتاجوراس : حارب سقراط تعليمهم ثم افلاطون .

(73) ديناميكا الحرارة . . الديناميكا : تبحث في تأثير القوة على الاجسام المتحركة . . والحرارة : احدى صور الطاقة التي تتحول الى حرارة . . وتتحرك بطاقة حركة الجزيء ، الشمس اهم مصادر الحرارة . . وتتولد الحرارة من الاحتكاك والتفاعلات الكيميائية وضغط المواد ومرور تيار كهربائي في مقاومة عالية ص ١٩٤

(74) لوكريتيوس ٩٩ - ٥٥ ق م شاعر روماني اسمه تيوس لوكريتيوس قادوس نظم قصيدة هامة في الادب اللاتيني تعتبر اروع ما خلفه الرومان . . عنوانها " عن طبيعة الاشياء " وتتكون من ستة اجزاء استلهم موضوعها من فلسفة ديمقريطس وابيقور وحاول فيها ان يقتنع الانسان بأنه سيد نفسه وبانه ليس في حاجة في مخافة الالهة ومن ثم لا مبرر لخوفه من الموت . اعتمد في فلسفته هذه على النظرية الذرية التي تقول : ان الجسم والروح معا نشأ من الذرة . . وانهما اذا انفصلا فنيا معا . . الموسوعة ١٥٧٩ م

(75) الرومان الرومانيون : هم سكان روما القدماء ، وقد تأسست روما عام ٧٥٣ ق م راجع شمس العرب ص ١٠٣

(76)

(٧٧) فرنسيس الاسيزى القديس ١١٨٢ - ١٢٢٦ مؤسس رهبنة
الفرنسيسكان من اكبر قديسى المسيحية ايطالي الجلسية قضى فترة قصيرة
في الجيش ثم اتجه الى حياة التقوى والاعراض عن غرور الدنيا بدا الوعظ
سنة ١٩٠٩

(٧٨) نابليون الاول ١٧٦٩ - ١٨٤١ امبراطور الفرنسيين ولد ١٥
اغسطس في اجاكسيو بجزيرة كورسيكا وهو ابن كارلو وليتشابونابرت . . وهو
مشهور . .

(٧٩) بخرنر لودفيج ١٨٢٤ - ١٨٩٩ طبيب وفيلسوف الماني
ارغم بسبب ارائه الفلسفية على ترك منصبه بجامعة توبنجن فكري حيااته
للدلب والتاليف : : قاوم الميتافيزيقا المثالية . واتخذ من المادية المتطرفة
مذهباً له . . ومن كتبه (القوة المادية) ١٨٦٤ والطبيعة والمؤرخ
١٨٥٧ م

(٨٠) هيغل ، جورج فلهلم فردرك ١٧٧٠ - ١٨٢١ فيلسوف
الماني ومحصل فكرته مذهب النقيض وهو ان فكرة ما تولد النقيض لها
ومن تفاعل النقيضين تتج فكرة جديدة تؤلف بينهما ثم تأخذ الفكرة
الجديدة نفس المراحل الثلاث المذكورة وهكذا . . ففكرة الوجود تولد
فكرة العدم ومن تألفهما تتج الصيرورة . .

(٨١) هكسلى توماس هنرى ١٨٢٥ - ١٨٩٥ بيولوجى ومرب
انجليزى وقد كان داعية للداروينية وان كان قد اعتنقها بشيء من التحفظ .

الباب الأول

٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠

لماذا ألحد الناس في أوروبا الحديثة

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠

الفصل الأول : اسباب الالحاد العامة

الفصل الثاني : اسلوب المفكرين في اسباب الالحاد الحديث

الفصل الثالث : طغيان الكيسة

الفصل الرابع : قوانين المياد

الفصل الخامس : مقارنة الأديان

الفصل السادس : الثورة الفرنسية

الفصل السابع : مذهب النشوء والارتقاء

الفصل الثامن : دور السيمهود في افساد اوربا

الفصل التاسع : رجوع اوربا الى ارثها القديم

الباب الأول

لماذا ألحد الناس في أوربا الحديثة

ان هذا السؤال الخطير ، قد اجيب عليه بأسلوبين :

- ١ - أسلوب الملاحظة ،
 - ٢ - أسلوب المفكرين من المسلمين والغربيين المنصفين . .
- فانحط لكل واحد منهما شرحا موجزا :

الأول :- أسلوب الملاحظة :

إذا قلت لأى ملحد ، من هؤلاء المعاصرين ، ما هو سبب إلحادكم في أوربا الحديثة ، سيقولون ، لأول وهلة - انما هو منارضة العلم للدين مطلقا . وذلك ان التطور الذى بلغ به الانسان - اليوم - هو أعلى مستوى من الانسانية وهو نفي للدين من تلقاء نفسه . .

وبعبارة اخرى : ان التفسير اللاهوتى للأحداث والوقائع لا يمكن اثباتها بالوسائل العلمية فهو باطل لا حقيقة له . . هذا هو منطق ملاحظة العصر الحديث واليك شواهد من اقوالهم يثبت ما قلنا :

يقول عميد الالحاد في العصر الحديث وبالذات في القرن السابع عشر ، (برتراند رسل) ^(١) كلمة تعتبر - بحق - تلخيصا للارادة الالحادية آنذاك :

" ان تقرير الحقائق يجب ان يبنى على الملاحظة لا على الرواية غير المؤيدة " (يعنى بالرواية ، النصوص او الدين) .

(١) يراجع اثر العلم في المجتمع ، برتراند رسل ، ترجمة تمام حسان ، مصر .

يقول العلامة (ألفرد هوالث هو) (Alfred White Hed)

" ما من مسألة ناقض العلم فيها الدين الا وكان الصواب بجانب العلم والخطأ بجانب الدين " (١)

(٢)

وأصرح من كل ذلك قول ستالين في عام ١٩٢٢ م : ان يقول :

" لا يستطيع الحزب أن يقف من الدين موقف الحياد : ان الحزب يشن

جملة عاية ضد الدين أى انحياز للدين .. لأن الحزب يؤمن بالعلم

بينما العلم يتعارض مع الانحياز للدين .. لأن الدين كله مناوئ للعلم " (٢)

وفى عام (١٩٢٨) جاء فى برنامج المؤتمر السادس الدولى ما نصه :

" الحزب ضد الدين - أفيون الشعوب - تشغل مكانا هاما بين اعمال

الثورة الثقافية ويلزم أن يستمر هذا الحزب باصرار وبطريقة منتظمة ..

وحكومة العمال تعترف بحرية الضمير ولكنها فى نفس الوقت تستعمل كل الوسائل

التي تملكها للقيام بدعاية ضد الدين .. وتنظيم التربية على أساس التصور المادى

للدنيا " (٣)

ويقول جوليان هكسلى صراحة فى كتابه الانسان فى العالم الحديث

" ان الجاهل والمعجز فقط هما اللذان يخضعان للانسان لله !

فاذا ازدادت معرفته وقوته ، فلا موجب - اذن لفكرة الله ، وما يرتبط بها

من عبادات ، وليكن الانسان (هو الله) (٤)

تقول دائرة المعارف البريطانية ما نصه :

" ان المعلومات الكونية واللاهوتية والعلمية التي وردت فى الكتب المقدسة

(١) الجفوة المفتعلة بين العلم والديت تأليف محمد على يوسف ص ١٢ انقلا عن

كتاب : Science And The Modern World

(٢) الاسلام فى وجه الزحف الأحمر محمد الفزالي ص ٢٧

(٣) جاهلية القرن العشرين محمد قطب ص ٦٨ - ٦٩

لا تخرج عن كونها مسائل جانبية لا تتعلق بالنظر أو الاعتبار إذا وضعت تحت
منظار العلم الحديث " (١)

هذا يعني أن نصرف بأن الملحدين لا يرون سببا آخر للإلحاد إلا معارضة
نظام الحديث الدين لأنهم - على ما يقولون - في خطين متوازيين :
العلم مبني على الحقائق ،

والدين مبني على الخرافة والجهل .

هل الملاحدة كانوا يؤمنون بما يقولون ؟ الجواب لا . إنما تمسكوا
بهذا المذهب تحسبا للإلحاد وشوقا إليه بل فرارا من سيطرة الكنيسة ودليلا
على ذلك أن برتراند رسل نفسه ، صرح في بعض مقالاته أنه يؤمن بحقيقة
الدين لأن هذا النظام الكوني الذي يفوق حد الوصف يستلزم أن يكون هناك
منظم ... ولكنه من شدة تحسبه إلى الإلحاد يرفض هذا الدليل المقبول
لمعارضته مذهب داروين ... الذي لا يرى هدفا من وجود الإنسان والكسوف
... فهو يقول :

" هناك دليل من هذه الأدلة ليس منطقيا محضا ... أنه الاستدلال بـ
نظام تخطيط الكون ، مع أن داروين على كل حال أبطل هذا الدليل " (٢) .
وهذا نرى أن أهم ما في هذا الاقتباس هو اعتراف (رسل) بجواز
الاستدلال المنطقي بـ " نظام الكون " ولكن بالرغم من اعترافه بهذا الدليل
- كبدا فانه يذهب إلى أن الداروينية قد أبطلت ذلك الدليل .
أن هذا يدل بكل وضوح أن الملاحدة لم يؤمنوا بالإلحاد لأجل كونه

(١) هزيمة الشيوعية ، أنور الجندى ص ٨٢

(٢) الدين / وحيد الدين خان ص ٣٦ نقله عن كتاب :

Why I am not a Christian 1959,

P.XI.

الاستدلال المنطقي الوحيد ولكنهم آمنوا به المتعصب الأعمى .
والذي يقوله هذا الملحد يقول به أيضا جميع الملاحدة ، وهذا
واطس يقول :

" ان علماء الحيوان يؤمنون بالنشوء لا كنتيجة للملاحظة أو الاختبار .
أو الاستدلال المنطقي ، ولكن لأن فكرة الخلق المباشر بعيدة عن التصور ^(١) .
ويقول د . د سكوت : " ان نظرية النشوء جاءت لتبقى ولا يمكن أن
تتغلب عليها حتى ولو أصبحت عملا من أعمال الاعتقاد " (٢) .
يقول السير آرثر كيث (١٨٦٦ - ١٩٥٥) :

" الارتقاء غير ثابت ولا يمكن اثباته ، ونحن نؤمن من بهذه النظرية
لأن البديل الوحيد هو الايمان بـ (الخلق المباشر) وهو أمر لا يمكن حتى
التفكير فيه " (٣) .
وهكذا رأينا أن الملاحدة القائلين بأن الدين خرافة إنما يقولون ذلك
بأستسهم وتأبي قلوبهم . . .
وبهذا القدر نكتفي للاثبات أن سبب الاحاد عند الملاحدة هو اقامة
الدين على تفسير زائف للخلق التاريخية ، و اقامة " العلم الحديث " على
الحقائق الثابتة لا يمانه بالملاحظات فحسب . وسنرى ان شاء الله في الصفحات
القادمة مقدار صحة هذا الزعم .

(١) مذهب النشوء والارتقاء ، منيرة على الغايات ، تقديم محمد البهي ،

مصر ١٩٦٥ م ص (٦) .

(٢) المصدر السابق ص (٧)

(٣) المصدر السابق ص (٦)

الفصل الأول

أسباب الالحاد العامة

وقبل أن نتكلم في أسباب الالحاد في أوروبا الحديثة ، نود أن نعطى للقارئ فكرة عن أسباب الالحاد عامة . ومن راجع الكتب التاريخية الثابتة ، يجد أن في الالحاد سمة مشتركة بين جميع الملحدين قديما وحديثا . وأن اختلاف الصور الالحادية لأجل ملامح البيئة التي تعيش فيها . . . وملاحظ " الطور " الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي يحيط بهم ، تجدهم دائما يشتركون في خصائص أصيلة هي التي تمنحها سمة الالحاد على مدار التاريخ . . . وذلك أن الالحاد ليس شيئا لا يوجد إلا في فترة من الزمن محدودة ففى ثنايا التاريخ . . . وليس هو الشيء الذي يمثل العلم والحضارة والمدنية والتقدم المادي كما يقولون ، وإنما هو رفض الاهتداء بهدى الله (١) ، قد يكون ذلك ففى التصور الاعتقادي أوفى الشريعة أوفى الشريعة . . . فهذا لا علاقة له بالبيئة والداور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي .

إذا عرفنا ذلك ، فقد تهيأت أذهاننا ونفوسنا للحديث عن الملامح المشتركة بين جميع الملاحدة فى التاريخ القديم والحديث . . .

فما هي - إذن - تلك الملامح والسمة المشتركة . . ؟

فى القرآن الكريم يجد الباحث هذه السمات المشتركة بين الملحدين ففى عدة صور وأشكال ولكن نستطيع أن نجملها فى هذه العناصر الخمسة الآتية :

(١) أزمة العصر ، محمد محمد حسين ص (١٠)

راجع كتاب قذائف الحق ، محمد الغزالي ص ٨

تحيات العلمانية ، الدكتور عماد الدين خليل ص ٢٦

- (١) استنكار هدى الله
- (٢) البحث عن الله عن طريق الحسن والمشاهدة
- (٣) اتباع الهوى
- (٤) الانجراف في الشهوات
- (٥) اتباع الطواغيت

واليك شرحا قصيرا لكل مما ذكر :

أولا - استنكار هدى الله :

ان كل الأمم الملحدة - على مدار التاريخ - تشترك في رفض الاهتداء بما أنزل الله على رسوله، وتستجيب الحمى على الهدى ، وتزعم أن ما هي فيه هو الخير المحض ، وأن ما تدعى اليه من الهدى هو الضرر والخسران (١) . ولقد ضرب لنا القرآن الكريم مئات الأمثلة على ذلك : واليك ما يوضح ذلك :

يقول الجاهليون : * ان تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا * (٢)

* واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها * (٣)

* وسيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا * (٤) هذا بعض ما قاله الملاحدة القدامى . . وسنرى أيضا أن الملاحدة المعاصرين يقولون مثل هذا بدون أى اختلاف الا اختلاف الأساليب . . وأما الحقائق الجوهرية تظل دائما دون ما تغيير في صورتها وفي أفعاليها على مدار التاريخ .

(١) الاسلام والشيوعية ، وزارة الأوقاف ص ٣١
راجع ايضا المسلمون تحت الحكم الشيوعي / محمد سامي عاشور ص ٣٥ - ٥٢
بتصرف
الاسلام أو الشيوعية ص ١٢ تأليف محمد عرفة

(٢) الآية رقم ٥٧ من سورة القلم
(٣) الآية رقم ٢٨ من سورة الاعراف
(٤) الآية رقم ١٤٨ من سورة الانعام

(٤) ويقول السير جيمس جينسر جيمس ستيفن السالف الذكر: "إن بعضهم يظن - أو يقول أنه يظن - أن الحياة كما يصورها العلم لا تستحق أن نحياها وهو عندي رأى باطل ، فنحن في هذه الحالة خلقاء أن نحيا على أصول غير التي تعودوا أن يعتقدوها ..

"وسيقى الحب والاخاء والدمج والمعرفة والأدب والفن وأمور السياسة والتجارة والصناعات والحرف وألوف غيرها - سارية في مسراها كما كانت من قبل دون حاجة الى اله "

"نعم ! وإن الذين يقدررون - مخلصين - أن ينظروا الى الدنيا هذه النظرة لتسمو بهم عقيدتهم وترفعهم فوق صفائر الحياة ، ويحق لهم أن يسرعوا هذه العقيدة امام غيرهم حيث تسويغ العقيدة الى حاملها وجودها ولا يرجع الى صحتها ودلائل ثبوتها ..

"أما اذا وجب أن نحارب هذه العقيدة جانبا فلا أخال أن الحياة "تخسر قيمتها" .. " وأن الاخلاق " على الخصوص تنقطع وتزول .. "

وسوف تموت الديانة .. ولكننا - كما اسلفنا - قادرون على أن نعيش عيشة حسنة بغير الديانة .. وإن أقمناها على أصول غير هذه الأصول قلما تخالف في لبابها أصول الحيش التي يدين بها نفسه كل ذى أخلاق " (١) .

إن هذا الاستعراض السريع لا يدع مجالا للشك من أن الملاحظة قديما وحديثا مشتركون في سمة الرفض لما أنزل الله على رسوله : وصدق الله سبحانه وتعالى إذ يقول * كوهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم * .

ثانيا - : البحث عن الله بطريق الحس وهو السمة الثانية :

ومن تأمل في صفحات التاريخ ، يجد أن أناسا في القديم والحديث أنكروا وجود الله لأنهم لم يدركوه بحواسهم متصورين أن هذا هو الطريق الوحيد إليه . ورموا المؤمنون بأنهم واهمون وضالون وخرافيون ومشوشون وغير علميين إلى آخر السلسلة الطويلة من السب والهزء والسخرية والازدوار التي يوجهونها للملاحدة بالله إلى المؤمنون أنهم آمنوا بالله عن غير طريق الحس (١) (٢) (٣) ويحكى لنا القرآن أن ملاحدة في القديم جعلوا رؤىة الله أو تكليمه شرطاً للملايمان . . (١)

أما الرؤىة يقول فيها القرآن : * فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ، فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم * (٤) وقال أيضا : * قال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أن نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا * (٥)

وأما التكليم يحكىه القرآن بهذا الأسلوب الفذ : * وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم ، قد بينا الآيات لقوم يوقنون * (٦)

-
- (١) الاسلام والشيوعية وزارة الأوقاف الادارة العامة للدعوة (مصر) ص ٢٦
 - (٢) الفكر الاسلامي والمجتمع المعاصر . محمد البهي ج ٢ ص ٨٩ و ٩٢ بتصرف
 - (٣) راجع أيضا المسلمون تحت الحكم الشيوعي : محمد ساهي عاشور ص ٣٥ - ٥٢ بتصرف
 - (٤) الآية رقم ١٥٢ في سورة النساء
 - (٥) الآية رقم ٢١-٢٢ في سورة الفرقان
 - (٦) الآية رقم ١١٨ في سورة البقرة

وهذه الآية الأخيرة تشير - بوضوح - الى أن هذه الخصيصة مشتركة بين جميع الملاحدة بدليل قوله تعالى * تشابهت قلوبهم * . وإذا رجعنا الى تاريخ الملاحدة المعاصرين تجد هذا التشابه الذي أشار اليه القرآن ينطبق فيهم تمام الانطباق . وهم أيضا يشترطون الاتصال الحسى للايمان بالله تعالى . واليك نموذج من أقوالهم :

يقول هيوم الملحد : " لقد رأينا الساعات وهي تصنع فى المصانع ، ولكننا لم نر الكون وهو يصنع فكيف نسلم بأن له صانعا " (١) .

ويقول عالم كبير من علماء النفس :

" ليس الاله سوى انعكاس للشخصية الانسانية على شاشة الكون " (٢) .

ويقول أستاذ أمريكى فى طب للأعضاء :

" لقد أثبت العلم أن الدين كان أقسى وأسوأ خدعة فى التاريخ " (٣) .

ونختتم هذا الجزء بمقالة أخرى لهيوم تؤكد أن الملاحدة انما رفضوا

الايمان لعدم امكانية اتصالهم بالله حسيا يقول هيوم :

" لقد جلى التطور العلمى للانسان كثيرا من سلسلة الأحداث التى لم

يشاهدها من قبل فهو لم يكن على علم بأسباب شروق الشمس وغروبها ، حتى

زعم أن هناك قوة فوق الطبيعة تجعلها تشرق وتغرب . وما قد عرفنا اليوم

أن شروق الشمس وغروبها يحدث لدوران الأرض حول نفسها ، وبذلك انتهت

ضرورة القول بهذه الطاقة تلقائيا بعدما عرفنا الأسباب المؤدية الى هذه الحركة

الكونية : فإذا كان قوس قزح مظهرًا لانكسار أشعة الشمس على المطر ، فماذا

يدعونا الى القول بأنها آية الله فى السماء " (٤) .

(١) الاسلام يتحدى / وحيد الدين خان ص ٣٥ - نقلا عن : Religion

(٢) المرجع السابق ص ٣٦ without, Relation, N.Y. 1958 P. 52

(٣) المرجع السابق ص ٤٠ ونقلا عن كتاب : Lenin, Selected works,

(٤) المرجع السابق ص ٣٥ 1947, vol. II P. 667.

كما رأينا القداى أنهم رفضوا الايمان بالله لعدم امكانية رؤيته أو تكليمه ،
 رأينا هنا أيضا الملاحدة المعاصرين يرفضون الايمان للسبب ذاته وذلك أثر
 من تشابه قلوبهم . كما أخبرنا بذلك كتابنا المبين . ان هذا يكفى للاثبات
 أن التصور الحسى للبحث عن الله سمة مشتركة عند جميع الملاحدة قديما
 وحديثا . .

فكلما يبلغ الانسان الى هذه الدرجة تتعطل فيه أجهزة الاستقبال الفطرى .
 فحينئذ يضطرب كيانه و يشمل هذا الاضطراب جميع تصرفاته ، فتنوع مشاعره
 وأعماله ووجدانه وسلوكه ومبادئه فلا يعود تلك الفطرة الموحدة التى
 كان يتمتع بها منذ ولادته . . والقرآن الكريم أشار الى هذه الحقيقة بقوله :
 * الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون *

وعندئذ يوجد الالحاد ويوجد البحث عن الله بطريق الحس بل توجد
 محاربة الله ودينه ورسوله بصورة علنية دون حياء ولا خلق .

انظر الى هذا الملحد الظالم لنفسه لما افتقد الله من بين ذرات المادة
 (على حد زعمه) ولم يجده هناك بدأ يقول هذه السخافات الآتية :

" ان عقيدة القادر المطلق الظالم في نهاية الأمر ، الذى لا يرضى
 الا بالطاعة الكاملة والوفاء ، كانت أول ما انتجته نظام المجتمع السامى . لقد
 خلق هذا النظام جيرونا غير عادى . . وكانت نتيجته أن شريعة موسى
 خرجت بقوائم ضخمة مفصلة عن المحرمات فى كل مجال من الحياة الانسانية .
 وقد آمن بهذه القوائم الطويلة الصوام الذين كانوا يتقبلون أحكام آبائهم الحمياء
 ويطيعونها . وما التصوير الالهى (اليهودى) الا خيال مثالى لأب سامى .
 مع شيء من المبالغة والتجريد فى الأوصاف والطاقت " (١)

(١) الاسلام يتحدى / وحيد الدين خان ص ٣٧

وراجع كتاب :
 Tree of Culture, Ralph Linton

مرض من الأمراض القلبية

وينبذ وأن هذا الوهم الذي يمسك به كثير من الملاحدة أثر عن أمراض في النفس والقلب . وليس أثرا عن فكر سوى أو عقل مستقيم أو انصاف فسي تحقيق . فقد حدثنا القرآن الكريم أن هذه الأمراض ذاتها ، هي التي ينتج عنها هذا التصور الفاسد والكلام الخاطي ، ويحدد القرآن أسباب هذه الأمراض بأنها : الجهل ، والكبر ، والانحراف ، والظلم .

فلنحط شرحا موجزا لكل كلمة :

١ - الانحراف : يحدثنا القرآن الكريم أن فرعوناً من فراعنة مصر ، لما استد انحرافه صدر قرارا الى وزيره يقال له " هامان " يأمره أن يبنى له بناءً عاليا ليقوم بالبحث عن اله موسى الذي يدعيه ، من بين ذرات المادة الخرقاء ، ومن هنا زين لفرعون هذا التصور الخاطي ، وضل عن طريق الوصول الى الله عز وجل . فلنستمع الى القرآن الكريم بصور لنا هذا المطلب السخيف :

* وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب + أسباب السموات فأطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل * (١) .

اذن ان الانحراف عن منهج الله القويم مرض قلبي ينتج عنه الاحاد والبحث عن الله تعالى عن طريق الحس .

٢ - الكبر : يذكر لنا القرآن الكريم أن قوما آتاهم كبرهم الى أن طلبوا رؤية الله أو نزول الملائكة للإيمان . وبلا شك ان هذا كبر فريد وعتو غريب

(١) الآية رقم ٢٦ في سورة غافر

* وما قدروا الله حق قدره * ان هذا يدل على جهلهم من أن قوانين هذا العالم المادية ليس فيها للحواس من عالم الغيب من نصيب • يقول تعالى عنهم : * وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ، لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا • يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين * (١)

والاية تشير الى أن الذين يريدون أن يروا الله ، انهم الذين يتصورون أن الحياة الدنيا هي كل شيء وليس وراءها الا الخدم • ثم نوهت الاية الى أنه اذا كانت الملائكة في قوانين هذا العالم المادية لا ترى فأولى اذن أن تكون الذات الالهية كذلك • كما بينت الاية ان الكبر وحده هو الذى دفعهم الى مثل هذا المنطق • وليس الوضع السوى للانسان الذى يرغب بالحق ويسلك اليه طريقه الصحيح •

٣ - الظلم : وكما أخبرنا القرآن الكريم أن اليهود قد طلبوا هذا المطلب الاحادى ظلما • فليس العدل هو الذى دفعهم الى أن يطلبوا مثل هذا الطلب ، بل هو ظلم النفوس للحق ، اذ تصرفه وتتنكر له ، فلنقرأ الايات التالية ::

* واذ قلتم يا موسى لن نؤمن بك حتى نرى الله جبهة ، فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون * (٢)

وفى موضع آخر يقول : * فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ، فقالوا : أرنا الله جبهة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم * (٣)

(١) الاية ٢١ - ٢٢ فى سورة الفرقان
(٢) الاية رقم ٥٥ فى سورة البقرة
(٣) الاية رقم ١٥٢ فى سورة النساء

هذه هي من عقائد اليهود القدامى حين نزل القرآن وقبله ، بل وحتى اليوم لأنهم يؤكّدون في البروتوكولات أنهم يمشكون بهذه العقيدة الفاسدة حين يحتلون عرش الدنيا بأسره . فاقرا ذلك في البروتوكول الرابع عشر ان شئت :

" حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة العالم - لن نهيج قيام أى دين غير ديننا ... ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الايمان " .
فالظلم - اذن - من الأمراض القلبية التى ينتج عنها الالحاد فى الله ، ولولا هذا الظلم لما طالب اليهود رؤية الله جبهة فلنتحرر - اذن عن الظلم .

٤ - الجهل : ان الجهل بحقيقة الألوهية يجعل الانسان فى مصاف الملحدين . وقد ذكر لنا القرآن أن كل من أراد أن يتصل بالله حسيا قديما وحديثا نتيجة من الجهل بحقيقة الاله ، لأنه لا يطلبه مؤمن جاد ولا كافر جاد وانما يطلب ذلك الجهال من العلماء يقول تعالى :

* وقال الذين لا يعلمون ، لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ، كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ، تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لهم يوقنون * . ويلاحظ فى الآية أنها أشارت الى أن هذا القول ليس كلام عالمن بل كلام جهال . ان هذا الكلام ليس جديدا بل هو منطق الكافرين دائما قديما وحديثا وذلك أثر عن تشابه القلوب . وأخيرا تقرر أن الطريق الى الله هي آياته ، أى آثاره التى تدل عليه .

(١) ليلاحظ القارئ أن علماء اليهود يجدون كل ما فى وسعهم لهدم الأديان عن طريق المذاهب الاجتماعية والسياسية والفكرية والبيولوجية مثل مذهب (دوركايم) والشبوعية والوجودية ومذهب التطور وأنهم القائمون على دراسة علم الأديان المقارن متوسلين به الى نشر الالحاد ونسف الأديان من النفوس . وأن تلاميذهم من المسلمين والمسيحيين فى كل الأقطار يروجون لأرائهم الهدامة بين الناس جهلا وظلما .

(٢) البروتوكول الرابع عشر ص (١٦٩) (٣) الآية رقم ١١٨ فى سورة البقرة .

واقصهم المادى يكذبهم

ان أمثال هؤلاء الذين يقولون : انهم لا يؤمنون الا بما ادركته حواسهم يكذبهم واقصهم المادى الذى يعيشونه ، فهم مثالا يؤمنون بالجانابية وقوانينها ولم يشاهدوها . بل رأوا آثارها فقط . (١)

ويؤمنون بالعقل ولم يروه بل رأوا آثاره . كما يؤمنون بالمغناطيسية فقد شاهدوا فقط انجذاب الحديد الى الحديد دون رؤية الجناذب .

ويؤمنون بوجود الالكترون والنيutron ولم يشاهدوا الكترونا أو نيutronا . فواقع أمرهم يدل على أنهم آمنوا بأشياء لم تدركها حواسهم ، ولكن آثارها هى التى دلتهم عليها وهم فيها على يقين لا يخالطه شك ، وهذا يعنى بوضوح أن كثيرا من حقائق الوجود يؤمن بها هؤلاء لاحساسهم بآثارها دون احساسهم بها ذاتها .

والعلم الحديث الذى يتبحرون به يقرّ تقريراً جازماً بأن الحواس تعطينا أحيانا صورا كثيرة وهمية . فنضرب على ذلك أمثلة بسيطة :

أولا - فالحصا المغمور بالماء تبدو مكسورة .

ثانيا - والخطوة المتوازية التى تفصل بينها خطوط تبدو غير متوازية

ثالثا - والأرقام البيضاء تبدو أكبر من الأرقام السوداء .

رابعا - ان شمورنا دائما أننا نسير وروءوسنا الى أعلى سواء كنا فى القطب الشمالى أو الجنوبى أو على خط الاستواء والحقيقة خلاف ذلك .

فمثل هذه الصورتين لنا بوضوح أن الحواس - لولا العقل - لا أعطتنا أخطاء بدلا من حقائق ، ولولا العقل لم تكن لنا أى معرفة . والملاحظة

(١) راجع كتاب الدين ، سعيد صوى ص (١٠)

يقرون بكل هذا ثم ينحرفون ! لا لشيء إلا أن الالحاد يعنى القلب ، وهو كالحسد الذى يبتدىء بصاحبه قبل المحسود .

وبعد هذا يقف المسلم يتساءل وهو يهز رأسه السؤال التالى :
هل كان هؤلاء على صواب عندما حصروا المعرفة كلها بالحواس ؟
وهل كانوا مندققين مع أنفسهم عندما رفضوا الايمان بالله لأنه لم تدركه حواسهم ، مع أنهم بالآثار وحدها آمنوا بأغلب الحقائق العلمية الحديثة .
ومع اعترافهم بأن الحواس أحيانا تكون قاصرا . كيف يعتمدون عليها كل هذا الاعتماد ؟

يا ليت شمعى كيف آمنوا بالالكثرون الذى لا يرى بالعين ولم يكن فى وسعهم أن يؤمنوا برب العالمين الذى هو أعرف المعارف كلها . الذى خلق هذا العالم الضخم الفسيح .
فهذه هى الأمراض التى توجد فى كل قلب ملحد كافر ونعوذ بالله من الالحاد والكفر .

الآن ننتقل الى السبب الثالث الذى اشترك فيه جميع ملاحدة الدنيا منذ الماضى السحيق الى يومنا هذا .

ثالثا - الهوى :

وإذا كان الملحد ينكر وجود الله ولا يتبع هداه - لامحالة - أن يتبع هواه وذلك هو السبب الثالث للالحاد قد اشترك فيه جميع الملاحدة على مدار التاريخ .

ولكن هذا السبب الثالث ينبثق عن الأصل الأول الذى هو انكار وجود البارى والابتعاد عن منهجه القويم . ثم ان اتباع الهوى بدوره يجعل الانسان ماديا خالصا لا يركن الا الى الدنيا حيث يجعل حظه من حياته التمتع من

لذائذها الجسدية ، ولا يوجه الى الحياة الروحية عزما ، ولا يهتدى بشي
 مما آتاه الله من آياته المقررة أو المنظورة . والآيات القرآنية الآتية
 تشهد بذلك :

* واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان
 من الخاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثل
 كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا
 بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثالا القوم الذين كذبوا بآياتنا
 وأنفسهم كانوا يظلمون * (١)

والآية توضح أن أى انسان أوتى الهدى فانسلخ منه الى الضلال والالحاد
 ومال الى الدنيا فتلاعب به الشيطان كانت عاقبته البوار والخذلان وخاب
 فى الآخرة والأولى . هذا ما نشاهد فى تاريخ الملاحدة قديما وحديثا .
 ثم أوضحت الآية الكريمة أن سنة الله قد اقتضت أن من يترك الهدى ويتبع
 هواه ويميل الى هذه الدنيا فلا شك أن يصبح فى أسوأ حال كحال الكلب
 الذى فى صفته هذه وهى أقبح حالاتها وأخسها . فهو فى هم دائم وشغل
 شاغل فى جميع عرض الدنيا وزخرفها ، يعنى بخسيس أمورها وجليلها . وتراه
 كلما أصاب سمة وسداسة فى الدنيا زاد طمعا فيها وتاريخ أوربا الحديثة
 شاهد على ذلك . * ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا * .

ثم يأمر الله فى نهاية هذه القصة الغريبة ، نبيه أن يقصص للناس قصة
 ذلك الرجل لعلهم يتفكرون فى المخلص ما هم فيه ، والنظر فى الآيات بعين
 البصيرة لا بعين الهوى والعداوة فقال : * فاقصص القصص لعلهم يتفكرون *
 هذه هى الحقيقة الثالثة التى اشترك فيها جميع الملاحدة فى القديم والحديث
 والعيان بالله من الالحاد واتباع الهوى .

ثم ان الهوى كما يفسد العقائد يفسد أيضا في مجال البحث العلمي
لأنه يزين ضعيف الدلائل ويحسنه لدى النفوس ويكبره ويجسم بالوهم
والتخيل الكاذب وما يزال ينفخ فيه حتى يسيطر على الشاعر ويستحوذ
على أنه حقيقة • وأقرب مثال لهذا الوهم مذهب النشوء والارتقاء الدارويني
الذي لم يصل بعد مرتبة الحقائق العلمية ولكن الملاحظة وطلاب التلمود ،
اتخذوه - بحكم الهوى والاضلال - حقيقة علمية يدرس في الجامعات المشهورة
وهذا ما فعله الهوى بأصحابه ..

رابعاً - الانجراف في الشهوات :

ان السمة الرابعة المشتركة عند جميع الملحددين هي : (الانجراف في
الشهوات) •

المعلوم ، ان الله قد أودع في الانسان دوافع الطعام والشراب والسكن
والطبع والجنس وحب البروز والتملك لتربطه بالحياة وتدفعه الى
الحياة كما قال تعالى : * زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين
والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحراث • ذلك
متاع الحياة الدنيا • • (١)

ولكن الشهوات حين تزيد عن قدرها المعقول ، وتصبح " شهوة " مسيطرة
على كيان الانسان فعندئذ لا تؤدي مهمتها الفطرية التي أوجدها الله من أجلها
وانما تصبح مبددة لطاقت الانسان صارفة له عن مهمة الخلافة وهابطة به عن
مستوى الانسان الكريم الذي كرمه الله وعلاّه الى مستوى البهائم ومستوى الشياطين •
هناك الميل العظيم الذي أخبر به القرآن الكريم بقوله : * والله يريد أن يتوب
عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن يستمروا على ما هم عليه •

(١) الآية رقم ١٤ من سورة آل عمران

والتجربة البشرية خلال القرون تؤكّد هذه الحقيقة • وكثيرون يحسبون أن التقيد بمنهج الله وبخاصة في علاقات الجنسين — شاق مجهّد — والانطلاق مع الذين يتبعون الشهوات ميسّر مريح وهذا وهم كبير • • • فاطلاق الشهوات من كل قيد ، وتحري اللذة — واللذة وحدها — في كل تصرف ، وقصر الغاية من التقاء الجنسين في عالم الانسان على ما يطلب من مثل هذا الالتقاء في عالم البهائم ، والتجرد في علاقات الجنسين من كل قيد أخلاقي ، ومن كل التزام اجتماعي • • • ان هذه كلها تبدويسرا وراحة وانطلاقا ولكنهما في حقيقتها مشقة وجهد وثقل ، وعقابيلها في حياة المجتمع بل في حياة كل فرد — عقابيل مؤذية مدمرة ماحقة •

لقد كانت الفوضى الجنسية هي (الممّول) الأول الذي حطّم جميع الحضارات القديمة والحديثة — وسنرى تفاصيل ذلك في الباب الذي سنعقده في آخر البحث تحت عنوان " من آثار الاتحاد المدمرة " ان شاء الله تعالى •

خامسا — وجود الطواغيت في الأرض :

ان وجود الطواغيت سمة ملازمة للبعد عن منهج الله فحين ينحرف الناس عن العبادة الحقّة يتوجهون الى عبادة كائنات أخرى — بفردتها ، أو بالاشتراك مع الله ، وعندئذ تصبح هذه المعبودات طواغيت •

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : " معنى الطاغوت ما تجاوز به العبد به حدّه من معبود أو متبوع أو مطاع " ثم قال : " والطواغيت كثيرون ، وروؤوسهم خمسة : ابليس لعنه الله ، ومن عبد وهوراض ، ومن دعا الى عبادة نفسه ، ومن ادّعى شيئا من علم الخيب ، ومن حكم بغير ما أنزل الله • (١١)

(١١) راجع أبطال التذبير شرح كتاب التوحيد ، الشيخ محمد بن عبد الله بن عيسى ، ص ١٨ — سنة ١٩٠٠ طبع في نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز بن محمد آل سعود

ثم استدل بقوله تعالى :

* لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الفسى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم *
وبهذا التقرير الواضح نعلم أنه يستوى أن يكون الطاغوت فردا أو طائفة أو جماعة أو عرفا أو تقليدا أو أى قوة تستعبد الناس لها فلا يملكون الخروج عن أوامرها .

والطاغوت — سواء كان فردا أو طائفة أو جماعة . . . الخ — لا يجب للناس أن يؤمنوا بالله ويعبدوه حق عبادته ، فانه لا يستطيع أن يعيش ويتمكن حيث يكون الولاء لله ، ولا يعيش ويتمكن الا بصرف الناس عن عبادة الله ليتمكن هو من أن يفرض هواه . .

ومن ثم يقف الطاغوت دائما موقف المراء من العقيدة الحققة ، لأنها تجعل الولاء الكامل لله وهو يريد لنفسه .

ومن ثم أيضا فان الالحاد — الانحراف عن منهج الله — تتلازم دائما مع وجود الطاغوت .

ان الطفيان من الأسباب المشتركة بين جميع الملاحدة . فقد حدثنا القرآن الكريم ان طاغوتا قد تجبر وازداد فى غطرسته حتى نسي حجمه الطبيعي فأسند الى نفسه احياء واماتا . ورد ذلك فى أثناء الحوار الذى جرى بينه وبين سيدنا ابراهيم عليه السلام حين قرر أن ربه هو الذى يحيى ويميت فانبأرى هذا الطاغوت ليدعى أنه يحيى ويميت ، فلنستمع الى أسلوب القرآن فى ذلك الواقع المضحك :

* ألم ترالى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال : أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان

الله يأتي بالشمس من المشرق فأنت بها من المغرب فبهت الذي كفر
والله لا يهدي القوم الظالمين .

فآيات الكريمة توضح أن الذي أورش ذلك الطاغى ، الكبر
والبطار وحمله على الاسراف في الخرور والاعجاب بقدرته حتى حاج ابراهيم -
هو ايتاء الله اياه الملك - ومن تأمل في الآية يجد بكل وضوح ان هذا
الداغى لم يفهم مراد ابراهيم في الاحياء والاماتة . فابراهيم هو يرشد
بالحياة انشاءها في جميع العوالم الحية من نبات وحيوان وغيرهما
كما يريد بالاماتة ، ازالة الحياة بالموت . ولكن هذا البليد الطاغى
فهم من ذلك ، أن من حكم على شخص بالاعدام ثم عفا عنه فقد أحياه .
كما فهم من الاماتة بالأمر بقتله . وهذا ظاية من الغباوة وقصور فهم .

فلذا لما رأى سيدنا ابراهيم عليه السلام أنه لم يفهم مراده ، وأوضح
جوابه كما حكى عنه سبحانه * قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من
المشرق فأنت بها من المغرب * أى ان ربي الذي يعطي الحياة
ويسلبها بقدرته واراדתه ، هو الذي يطالع الشمس من المشرق ، فهو
الكوّن لهذه الكائنات على ذلك النظام البديع ، والسنن الحكيمة التي
نشأ منها .

فهذا ما كان في شأن الطاغوت في القديم ، والآن نود أن نسمع
من الطغاة المعاصرين لنعلم أن وجود الطواغيت في الأرض سبب من أسباب
الاحاد في جميع العصور .

بعض أقوال الطواغيت في العصر الحديث

وقد قلنا أن الطواغيت لا يريدون للناس أن يعبدوا الله وحده لأن هذا يزلزل عروشهم من تحتهم .. واليك بعض تصريحات طواغيت في العصر الحديث مما يؤكّد أن الطواغيت دائماً - يرفضون الاعتقاد بهدى الله ثم لا يحبن أن يوجد من يقول لا اله الا الله محمد رسول الله .

أصدرت الحكومة السوفيتية في ١٢/١١/١٩١٨ قانوناً يتكف من ثلاثة مواد :
 ١ - كان اثنان الطواغيت في الكبير من وضع هذا القانون ..

ونصت المادة الثانية عشرة منه :

- ١ - بالتحريم على جميع الزعماء الدينيين أن تكون املاكهم وكنائسهم ومساجدهم صفة الشخصية القانونية . وبعبارة أوضح أصدرت هذه الأماكن فاستبعدت من حيز النظام القانوني .
- ٢ - الكنيسة منفصلة عن الدولة .
- ٣ - محظور اصدار أى قوانين أو لوائح محلية في أرض الجمهورية يكون من شأنها عرقلة أو تقييد حرية الضمير أو إيهاد أى امتيازات على أساس معتقدات المواطنين الدينية ..
- ٤ - لا تجرى أية مراسم أو احتفالات دينية في أى عمل من أعمال الدولة أو أى احتفال رسمي عام أو اجتماعي .
- ٥ - لا يستخدم أحد معتقداته الدينية كمبرر للتفصل من واجباته المدنية .
- ٦ - يلغى عمل قسم أو عهد ديني في الأحوال الضرورية . يكفي فقط بالوعد الصادق .
- ٧ - تقوم السلطات المدنية وحدها بجميع أعمال التسجيل المدني عن طرية، مكاتب الزواج والميلاد ..

- ٨ - التعليم الدينى محظور فى جميع المدارس الخاصة والعامة .
- ٩ - حرية القيام بالدقوس الدينية مكفولة الى الحد الذى لا تؤدى فيه الى اضطراب النظام العام ، فاذا كانت غير مصحوبة بالتعدى على حقوق المواطنين فللسلطات المحلية الحق فى اتخاذ جميع التدابير اللازمة فى هذه الأغراض لضمان المحافظة على النظام العام والأمن . (١)
- وظاهر هذه المادة الحرية لكل مواطن أن يعبد الله ان شاء أو يرفض الاعتراف به علنا . أما فى باطنها فقد أمدت الشيوعيين بسلاح مشروع بشن حملاتهم على الأديان فى ظل حماية القانون ورعايته .
- ومما يزيد الأخطورة ما نصت عليه المادة ٥٨ من قانون الجنايات السوفيتية سنة ١٩٥٣ م فقد وضعت هذه المادة التى تتفرع منها ١٤ فقرة (٢) وضعت جميع المتعبدين تحت باب أعداء الثورة . .
- وورد فى المادة (١٤٢) من نفس القانون النص على تحريم تلقيح الأطفال والأحداث ، العقائد الدينية سواء فى مدارس الحكومة أو فى المدارس الخاصة أو المعاهد التعليمية الأخرى ، وجعلت كل مخالفة فى هذا الشأن جريمة تستوجب الحبس الاصلاحى مع الأشغال مدة لا تزيد على السنة . (٣)
- وقد جاء فى كتاب الرد على الماديين للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى :

(١) راجع عرضا كتاب المسلمون تحت الحكم الشيوعى / محمد سامى عاشور ص ٣٥-٤٥ راجع أيضا : مجلة الاعتصام عدد مارس سنة ١٩٧٥ ص ٢٠

(٢) الاسلام والشيوعية ، وزارة الأوقاف ، الادارة العامة فى القاهرة ص ٣١

(٣) المسلمون تحت الحكم الشيوعى / محمد سامى عاشور ص ٣٥-٥٢ بتصرف المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ، محمد شاكر ص ١٢

" في روسيا نجد أن المادية فيها بدأت بحملة قاسية على رجال الدين
فقتل عدد كبير منهم وحرم عليهم الظهور في المجتمعات ، واطقت بيوت العبادة
وصودرت أوقافها وحرموا تدريس الدين ، وألغوا القسم به ، وألغوا
الجمعية للدعاية اللادينية وأصدروا مجلة اسبوعية اسمها " بلا دين " (١) .

رأينا في هذا العرض أن الطواغيت دائما لهم موقف المعطوضة ضد ما أنزل
الله ينكرون وجود الله ثم يقضون على كل ما يتعلق بالدين أو يمت للناحية
الروحانية بصفة . ان الطواغيت ثانيا ، يقومون بعملهم الاجرائي هذا
لتحطيل أكبر مولد للطاعة الدافعة الى الخير في حياة البشرية ألا وهو
الدين ..

وعلى هذا يأمر الله تعالى بقتل الطواغيت اذا وقعوا عندنا في
الأسر ..

يقول تعالى :

* فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون * (٢)

هذا بعض ما فعله الطواغيت في العصر الحديث . فوجود الطواغيت
سبب من أسباب الاحقاد .

(١) الرد على الماديين / محمد عبد المنعم خفاجي : نقلا عن الاسلام

والشيوعية ص ٣١

راجع أيضا مجلة روز اليوسف عدد ١٧ / ٢ / ١٩٧٥ م ص ٦ ، ٧ و ٨ .

(٢) في سورة التوبة الآية ١٤

الفصل الثانى

أسلوب المفكرين فى أسباب الالحاد فى أوربا الحديثة

ومن يتأمل فى كتب المفكرين الاسلاميين وغيرهم ممن بذلوا أقصى جهودهم للوقوف أمام الخطر الالحادى ، يجد أن هذه الأسباب الكثيرة ترجع الى أمرين أساسيين :

أحدهما : خفى والآخى : ظاهر .

فأما الأمر الخفى يتمثل فى شيئين هامين :

أولهما : هو ذلك الميراث النكد الوثنى من الجاهلية اليونانية القديمة ، والجاهلية الرومانية ، الذى كان كميناً فى الضمير الأوروبى .

لقد رجعت أوربا بعدما تحررت من عبودية الكنيسة الطاغية ، الى ارثها اليونانى - الرومانى مع كل اتجاهاته المادية التامة ، فيما يتعلق بالحياة الانسانية وقيمتها الذاتية .

وكان هذا الرجوع ، بالنسبة لأوربا ، بمثابة سد مانع عن النظر

فى أى دين آخر بعد هروبها من سلطان الكنيسة الظالم المعتدى .

وثانيهما : دور اليهود فى افساد أوربا ،

ان هذا السبب لا يقل أهمية عن أى سبب آخر من أسباب الالحاد ، ولكننا

مع ذلك - وجدنا بعض الباحثين لم يفتتروا اليه ، بحجة أن اليهود - من شأنهم أن يستغلوا الأحداث ولا يصنعونها .

ان هذا حق ولكننا لا نأخذ على علمته ، لأن اليهود أنفسهم صرحوا فى

بروتوكولاتهم أنهم كانوا وراء كل منظمة سرية ، وكل نظرية هدامة .

ولأن القرآن الكريم أخبرنا عنهم بقوله : * ويسعون فى الأرض فساداً * .

(١) أحجار على رقعة الشطرنج ، وليام دى كارص

(٢) راجع جاهلية القرن العشرين ، محمد قطب ص (٤٥)

(٣) راجع البروتوكول .

ولا جل ذلك كله قلنا ، ان أسباب الالحاد الخفية في شيئين :

١ - رجوع أوروبا الى ارضها الوثنية القديم

٢ - دور اليهود في افساد أوروبا

ويحسن بنا قبل أن ندخل في تفاصيل هذين السببين ، أن نتحدث أولا عن

الأسباب الظاهرة ، فما هي تلك الأسباب الظاهرة إذن ؟ ؟

الأسباب الظاهرة

ان للالحاد في أوروبا الحديثة ، أسبابا كثيرة وأشكالا متعددة ، قد ذكرها الباحثون في كتبهم النيرة ، ولكننا هنا متبعون اكبر الأسباب التي اقترنت بمسألة العقيدة منذ القرن السادس عشر ، وكان لها شأن قوى في اضعاف العقائد الموروثة على تقدير الباحثين بالاجماع . . .

وقد نرى من تتبعها كيف قويت على اضعاف العقائد التقليدية ، ثم نرى كيف آل الأمر بها أخيرا حتى فقدت قوتها الأولى على زعزعة الايمان واثارة الشكوك ، ونرى من أين طرأ الضعف حتى انتقل بعضها من ترجيح الانكار والالحاد الى ترجيح الاعتقاد واعادة النظر في الموضوع . .
هذه الأسباب على الاجمال خمسة . . ليس في أسباب الالحاد ما هو

(١) ان هذه الأسباب أخذناها من عدة مصادر ، عربية كانت أو أجنبية :

ومن باب المثال نذكر الكتب الآتية : (قذائف الحق ، التعصب والتسامح بين الاسلام والمسيحية " للشيخ محمد الفزالي " في ظلال القرآن ، خصائص التصور الاسلامي ، معالم في الطريق ، الاسلام ومشكلة الحضارة ، الاسلام والسلام العالمي " السيد قطب " جاهلية القرن العشرين ، التطور والثبات في حياة البشرية ، هل نحن مسلمون ، معركة التقاليد والدروس الانسانية في القرآن " محمد قطب " ماذا خسر العالم " أبو الحسن الندوي " العجائب " المودودي " الظاهرة القرآنية " مالك بن نبي " الاسلام يتحدى " وحيد الدين خان " احجار على رقعة الشطرنج " وليام ذي كار " الدين " عبد الله الدراز " وغير ذلك مما لا يتسع المجال لذكرها . .)

أقوى منها وأعظم فصلا في عقول المفكرين الأوربيين ، وفي عقول غيرهم ممن
نظروا الى دلالتها مثل نظرتهم ، وحكموا بها على الأديان مثل حكمهم
وهم غير قليلين بين المفكرين في مختلف الأقوام . .
وهذه الأسباب الخمسة هي :

- أولا - الدين وطغيان الكنيسة
- ثانيا - علم المقارنة بين الأديان والعبادات
- ثالثا - ظهور القوانين الطبيعية التي سميت بالقوانين المادية أو الآلية
منذ عهد لا بلاس فكوبر نيكس ثم نيوتن
- رابعا - الثورة الفرنسية
- خامسا - مذهب النشوء والارتقاء

أولا - الدين -

لقد قامت أوروبا . . . الكثير - مما آل / أمر دينها . . هذه حقيقة لا يختلف
فيها اثنان .

لقد تفتحت آذانها وعيونها . . على دين معقد يصادم العقل ويردقه . .
فمن قائل بأقانيم ثلاثة . . (الأب والابن والروح القدس)
ومن قائل " المسيح ابن الله " (١)
ومن قائل " ان الله هو المسيح بن مريم " (٢)
وهناك رهبانية تصادم فطرة الانسان . .
وهناك خرافات بالنسبة للكون جعلوه قائق مقدسة . . (٣)
وكل ذلك تحريف لدين الله الذي جاء به عيسى عليه السلام ، وخرج عليه .

(١) التمسب والتسامح بين المسيحية والاسلام ، محمد الفزالي ص (١٠٠)

(٢) سورة المائدة / ١٧

(٣) خصائص التطور الاسلامي ، سيد قطب : ص ٦٥

(٥)

وهذا ما أشار اليه المؤرخ الانجليزى (ويلز) لىذ يقول :

" من الضرورى أن نستلفت نظر القارئ الى الفروق العميقة بين مسيحية
نيقية التامة التطور وبين تعاليم يسوع الناصرى . "

ثم زاد قائلا :

" فمن الواضح تماما أن تعاليم يسوع الناصرى ، تعاليم نبوية من الطراز
الجديد الذى ابتداء بظهور الانبياء العبرانيين ، وهى لم تكن كهنوتية ،
ولم يكن لها معبد مقدس . . ولا هيكل ولم يكن لديها شعائر ولا طقوس ،
وكان قرانها قلبا خاشعا ، وكانت الهيئة الوحيدة فيها هيئة من الوعظ . .
وكان رأس مآلديها من عمل هو الموعظة . . بيد ان مسيحية القرن الرابع
الكاملة التكوين ، - وان احتفظت بتعاليم يسوع فى الاناجيل - كنواة لها -
كان فى صلبها ديانة كهنوتية من طراز مألوف للناس من قبل الاف السنين . .
وكان المذبح مركز طقوسها المنمقة ، والممل الجوهري فيها هو القربان
الذى يقربه قديس مكرس للقديس . . ولها هيئة تتطور بسرعة مكونة من
الشماسة والقساوسة والاساقفة . . " (١)

اعتراف مسيحي

والغريب أن بعض كبار المسيحيين يفتخر بوجود اضافات بشرية الى أصل
الكتاب ويعتبر ذلك شرفا للديانة المسيحية .
ان هذا القائل هو الدكتور وليام (تامل) أسقف كنيسة (كتربارى)
وحبر أخبار انجلترا فهو يقول :

(١) معالم تاريخ الانسانية تأليف (ويلز) ص ٧٢ و ٣ ، د. عبد العزيز
توفيق جاور ، القاهرة ١٩٦٧ .

"ان من الخطأ الفاحش ان يظن ان الله وحده هو الذى يقدم الدليلة

أو القسط الأكبر منها". (١)

بهذا التصريح من هذا الحبر الكبير اتضح لنا أن أوربا لم تمتنع دىـن الحق الموحى من عند الله ، وإنما اعتنقت المزيج بالوثنيات التى صنعها أجداد الدكتور (تامبل) من آباء الكنيسة منذ عهد (بولس) اليهودى الى عهد القسطنطين الرومانى الذى قضى على البقية الباقية من هذا الدين . يقول (برنتن) :

" ان المسيحية الظاهرة فى مجلس نيقية — العقيدة الرسمية — فى أعظم أمراطورية فى العالم مخالفة كل المخالفة لمسيحية المسيحيين فى الجليل .. لا بأن مسيحية القرن الرابع تختلف عن المسيحية الأولى فحسب ، بل بأن مسيحية القرن الرابع لم تكن مسيحية بتاتا . " (٢)

ولأجل ذلك كله تفالى بعض المؤرخين — عندما وقفوا على هــذه الخرافات فى الكتب المقدسة (اعنى التوراة والانجيل الأربعة) فقالوا : " ان المسيح كائن أسطورى) فأنكروا وجوده كليا . وأنكروا كل كـاء فى هـذه الكتابين الذين يعتمد عليهما المسيحيون فى عقيدتهم الدينية وعباداتهم .. ولكننا — نحن المسلمين — نعتقد اعتقادا جازما برسالة المسيح وعبوديته لخالقه . كما نعتقد أيضا ان المسيحيين نسوا حظا مما ذكروا به ، وحرفوا وبدلوا وزادوا زيادات كثيرة ..

(١) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين ، محمد على يوسف ص ١١
(٢) أفكار ورجال ص ٢٠٧ ، (قصة الفكر الغربى) جرين برنتن ،
(٣) محاضرات فى النصرانية ، أبو زهرة ص ٤٢
ن، مجود ١٩٦٥

هذه هي الديانة التي وصلت الى أوروبا ، فكيف لا بُناءً عِضْر للنهضة
 (أن يسيغوا ذلك " الخلط والخبط ")
 وكيف بمن سمعوا شيئاً عن عقيدة الاسلام * لو كان فيهما آية الا الله
 لفسدتا * * ليس كمثله شيء * * قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد
 ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد *

كيف بمن سمع بهذه البساطة أن يسيغ ذلك التعقيد ؟
 ثم كيف مع ذلك التعقيد ، بما انحدر اليه رجال الدين الكنسي —
 الانحطاط الخلقى والوقوف أمام التطور العلمى .
 لم يكن بعد ذلك غريباً أن ترتفع الصيحة :
 " اشنقوا آخر ملك ، بامعاء آخر قسيس "
 ثم بأن تكون " الردة " عن ذلك الدين ،
 الى تبني الالحاد ، وانكار كل الغيبيات .
 والى تبني الأفكار الهدامة ودين كارل ماركس .

هذا ، ولما كانت المسيحية تؤمن بالتوراة الكتاب مقدس وتعترف به ،
 ولما كانت الانتقادات التي وجهها أهل التنوير الى المسيحية ، كانت موجّهة
 أيضاً الى هذه التوراة ، رأينا من المستحسن أن نتحدث عن تحريف التوراة
 وعقيدتها بالنسبة الى الله والأنبياء ، لنبين للناس ومعهم الملاحدة ،
 أن المعلومات المضلّة التي اشتملت عليها هذه التوراة ليست من عند الله ،
 المعلومات التي اتخذها الملاحدة سنداً لتبرير الحادهم ، وبها ينظرون
 الى جميع الأديان كشيء لا يستند الى أى أساس فهو لا يعدو أن يكون
 محض عقيدة لا دخل لها في تنظيم أمور الناس سياسياً واقتصادياً وغير
 ذلك . .

بينما جاء كل دين من عند الله ليورد البشر الى ربهم • ويورد نظام حياتهم الى منهجه المتفرد • • • • •
 لا ليبقى مجرد شعور وجداني قابع في ضمائرهم • • • • • ولا مجرد تهذيب روحي في أخلاقهم • • • • • ولا مجرد شعائر تعبدية في محاريسهم ومساجدهم • • • • • ولا مجرد أحوال شخصية في جانب واحد من حياتهم * وما أرسلنا من رسول الا ليطاع * ^(١) وهكذا جاءت التوراة • يوم أن جاءت تتضمن عقيدة وشريعة • وبعبارة أخرى وهي تشمل على الأقسام العلمية والعملية قال تعالى :

* وكتبنا في الألواح من كل شيء موعظة * ^(٢) إشارة الى تمام القسم العلوي • • • • • وتفصيلا لكل شيء * إشارة الى تمام القسم العملي • وكلف الله أهلها أن يتحاكموا اليها في كل شئون حياتهم • لا أن يجعلوها مواعظ تهذيبية لا تتجاوز وجدانهم • ولا شعائر تعبدية يقيمونها في هياكلهم • • • • •

* انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشون الناس واخشوني ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا • ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون * وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون * ^(٣)

فنظم موسى عليه السلام ومن بعده من انبياء حياتهم الواقعية عدة قرون ولقد كانت عقيدة التوحيد التي أسسها جدهم ابراهيم - عليه السلام

(١) سورة الناز / ٦٤

(٢) الأعراف / ١٤٥

(٣) المائدة / ٤٤

عقيدة خالصة ناصحة شاملة متكاملة .. واجه بها الوثنية مواجهة خالصة
كما صورها القرآن الكريم * وصى بها ابراهيم بنيه كما وصى بها يعقوب بنيه
قبل أن يموت * .

* ومن يرفب عن ملة ابراهيم الا به سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا
وانه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم . قال : اسلمت لله
رب العالمين . وصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم
الدين ، فلا تموتن الا وانتم مسلمون أم كنتم شركاء اذ حضر يعقوب الموت
اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا : نعبد الهك واله آباءك ابراهيم
واسما عيل واسحاق الهما واحدا ونحن له مسلمون *

ومن هذا التوحيد الخالص ، وهذه العقيدة الناصحة ، وهذا الاعتقاد
في الآخرة انتكس الأحفاد ، وظلوا في انتكاسهم حتى جاءهم موسى
عليه السلام بعقيدة التوحيد والتغزيه من جديد والقرآن يذكر أصول
هذه العقيدة التي جاء بها موسى - عليه السلام - بنى اسرائيل ويذكر
تراجعهم عنها :

* واذا أخذنا ميثاق بنى اسرائيل : لا تعبدون الا الله وبالوالدين
احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين ، وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة
وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون واذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون
دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون .. ثم
أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم . تظاهرون
عليهم بالاثم والمدوان ... (١)

(١)
بداية انحراف بني اسرائيل

ولقد بدأ انحرافهم وموسى عليه السلام بين أظهرهم .. من ذلك عبادتهم للمجل الذي صنعه لهم السامري من الذهب الذي حطوه معهم من حلي نساء المصريين وقبل ذلك كانوا قد مروا عقب خروجهم من مصر على قوم يعبدون الأصنام فطلبوا الى موسى عليه السلام ان يقيم لهم صنما يعبدونه . وكذلك حكى القرآن الكريم الكثير من انحرافهم وسوء تصرفهم لله سبحانه وتعالى ووثنتهم .. (١)

(١) يقال لهم اليهود كما يقال لهم بني اسرائيل ويطلق عليهم أيضا العبرانيون فهي ثلاثة أسماء أقدمها وأعمها (العبرانيون) وأحدثها وأخصها ، (اليهود) وأحبها لديهم (الاسرائيليون) ولا فرق لمؤداهن جميعا في الأصل . وأما الآن فقد غلب عليهم اسم اليهود . وقد يراد بتسميتهم به التحقير كما يراد بتسميتهم ببني اسرائيل التوقيح .. ويطلق عليهم أخيرا الصهيونية العالمية . والمصريون ينحدرون من العرق السامي الذي ينتسب له الآشوريون والمرب . وكانت بلاد العرب الوسطى والشمالية مهد الساميين ، وقد هاجر فريق منهم الى الشمال في بلاد بابل حيث كان السلطان لحضارة (السومريين والأكاديين) فأما من الزمن ما أشبعوا فيه من تلك الحضارة ، ثم كثرت عددهم فهاجروا من جديد في أدوار مختلفة . فتقدموا نحو الشمال أكثر مما تقدموا قبل ذلك ، وانحدر بعضهم نحو الجنوب ، والساميون الذين بقوا في بلاد العرب هم أجداد الشعب العربي ، والسطميون الذين مروا من موطن الحضارة في الفرات الأدنى ثم انتشروا في جميع آسيا وفلسطين هم الآشوريون والاسرائيليون .. راجع اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص ٢٤ - ٢٥ تأليف غوستاف لوبون .
وأما دائرة المعارف الباني ، تحدد تاريخ بني اسرائيل بأنه كان بهجرة ابراهيم نحو ٣٩٠٠ سنة من أور الكلدانيين في شرق الفرات الى غربيه .. راجع دائرة المعارف الباني ج ١١ ص ٦٦٠ دار المعرفة بيروت لبنان .

كما حكى لنا أنهم ثاروا في وجه أنبيائهم ، ورفضوا الاستجابة لهم ،
 و طرَحُوا العقيدة التي جاء بها هؤلاء الأنبياء ، ثم هاجموا الأنبياء
 وقتلهم أحيانا ، واستبد بهم الضلال والجحود ، فمبدوا غير الله وأنكروا
 البحث ونسبوا لأنبيائهم ما لا يمكن أن يصدر من أنبياء .

و يجدر بنا ونحن لا نزال مع القرآن أن نستعرضه لنقتبس منه بعض الآيات
 التي تحدثت عن بني اسرائيل ووصفت أخلاقهم وصفاتهم ، قال تعالى :
 * وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم
 كانوا يكفرون بآيات الله و يقتلون النبيين بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا
 يعتدون * (١)

* ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة * (٢)
 * أفئتوا منون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك
 الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله
 بخافل عما تعملون * (٣)

* أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتهم
 وفريقا تقتلون * (٤)

* وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا ،
 بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من
 ربك طغيانا وكفرا ، وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ، كلما
 أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، ويسمحون في الأرض فسادا والله لا يحب
 المفسدين * (٥)

(١) البقرة آية ٦١ (٢) البقرة آية ٧٤ (٣) البقرة آية ٨٥

(٤) البقرة آية ٨٧ (٥) البقرة آية ٦٤

* واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا له خوار ، ألم
 يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ، اتخذوه وكانوا ظالمين * (١)
 * ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة
 الدنيا وكذلك نجزي المفترين * (٢)
 * أقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم * (٣)
 * وقالت اليهود عزير ابن الله *

ومن لوثة القومية حكى عنهم القرآن ما يلي :

* ومنهم من ان تأمنه بدینار لا يؤدیه اليك الا ما دمت عليه قائما
 ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل • ويقولون على الله الكذب
 وهم يعلمون *

هذا وليس من أهدافنا في هذا البحث التهجم على التوراة والانجيل
 وفضح تصرفات أصحابهما ، وليس كذلك تبرير الملحدين الذين أعلنوا
 تمردهم على خالقهم في أثناء ثورتهم على خرافات التوراة والانجيل وعلى
 طغيان الكنيسة وحمقات رجالها ، لكن هدفنا هو الحقيقة التي هي
 ضالة المؤمن ••

لا سيما وأن القصة قضية انسانية عامة ، تحدث نطاق أوربا الى العالم
 كله حتى وصلت نيرانها ولهبها العالم الاسلامي فانبهر بهم كثير
 من " المثقفين " فبدوا يرددون مزاعمهم الالحادية •

وعلى هذا الأساس نستعرض موضوع انحراف بني اسرائيل عقيدة وشرعية
 وكذلك تحريف المسيحية أيضا عقيدة وشرعية معتمدين أساسا على كتبهم في
 أغلب الأحيان ••

(١) سورة الاعراف الاية ١٤٨ (٢) الاعراف آية ١٥٢

(٣) سورة يوسف الاية ٤٠

لأن هذه المعلومات أو الخرافات بمعنى أدق - هي التي اتخذها الملاحدة سندا في ابدال فكرة التدين . لقد رأينا فيما سبق من الصفحات أنهم قالوا : (الله ليس أسوا من الشجر)

ولذا نريد أن نوضح هنا أن الدين الذي جاء الى أوربا هو دين محرف وعقيدة منحرفة . وأما ديننا الاسلامي المجيد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يعرف ذلك كل دان وقاص .

ولما كان قصدنا في هذا الفصل - هوبي ن الظروف التي بدأ فيها الالحاد في أوربا الحديثة ، ولم يكن عرض التصورات اليهودية والنصرانية نكتفى بالعناوين التالية :

١ - عقيدة اليهود في الله (يهوه) (١)

(١) يقول الاستاذ الحقاد في كتابه الله ص ١١٣ ان اسم " يهوه " لا يعرف اشتقاقه على التحقيق فيصح أنه من مادة الحياة ، ويصح أنه نداء لضمير الغائب أي (يا هو) . لأن موسى علم بني اسرائيل أن يتقوا ذكره توقيرا له ، وأن يكتفوا بالاشارة اليه ، وهذا الاتجاه هو ما ذهب اليه (Smith) ، ويضيف هذا احتمالا لاتجاه آخر : هو أن الكلمة العبرية المماثلة لكلمة (لورد Lord) هي يهوا . وكانت اللغة العبرية تكتب بدون حروف علة حتى سنة ٥٠٠ م ثم دخلت هذه الحروف ، فأصبحت كلمة يهوا : يا هوفا (وبذلك فكلمة (يهوا) أو (يا هوفا) معناها سيّد واله . راجع كتاب /

نقلا عن كتاب اليهود تأليف احمد شلي ص : (١٥٣)

- ٢ - عقيدتهم في النبائهم .
 ٣ - وعقيدتهم في الآخرة والبحث .
 ٤ - موقف العلم الحديث من التوراة .

أولا - عقيدة اليهود (في الله) :

لقد تضمنت كتبهم المحرفة أوصافا لا لهم (يهوه) لا ترتفع أوصاف
 الا غريق في وثنياتهم لا لهيتهم .

ومن يظن صفات (يهوه) اله اليهود في كتبهم ، يعتقد جازما أن
 (يهوه) ليس خالقا لهم ، وانما هو مخلوق لهم . وهو لا يأمرهم بل يسير
 على هواهم وكثيرا يأتمر بأمرهم . لا فرق بينه وبين البشر في جميع
 تصرفاته . . . وستضع لك هذه الصورة في الصفحات الآتية :

الأوصاف الحسية ليهوه

قالوا : انه كان يسير أمام جماعة بني اسرائيل في عمود سحب . . فقد جاء
 في سفر الخروج : " وارتحلوا من سكوت ونزلوا في ايثام في طرف البويرة . .
 وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحب ليهدىهم في الطريق ، وليلا
 في عمود نار ليضيء لهم " (١) .

هل الفطرة السليمة تؤمن بهذا ولا غرابة ان أن يثور أصحاب النهضة
 الجديدة في وجه هذا الكتاب الجامع جميع خزعبلات الدنيا وترهاتها . .
 واليك قصة أخرى تتجلى فيه بشرية هذا الاله اليهودي :

يقول محرروا التوراة وهم يصفون يهوه بصفات بشرية محضة :
 " ثم صعد موسى وهرون وناداب وأبيهم وسبعون من شيوخ اسرائيل ورأوا

الماسرائيل وتحت رجله شبه صلعة من الحقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء
في النقاوة .. ولكنه لم يمد يده الى أشرف بنى اسرائيل " " .. فيصنمون
لى مقدسا لا سكن فى وسطهم " (١)

ويهموه هذا ليس معصوما ، وكثيرا ما يقع فى الخطأ ، ثم يندم على ما فعل .
واليك بعضا من هذه النصوص :

" فندم الرب على الشرق ^{الذى} قال انه يفعل به بشمبه " (٢)
وفى نص آخر ، " وكان كلام الرب الى صموئيل قائلا : " ندمت على أنى
قد جعلت شاول ملكا لأنه رجع من وراءى ولم يقم كلابى " (٣)
لقد وصف اليهود الهمهم بأنه لا يعلم الأمور الا بعد وقوعها :
جاء فى الاصحاح الثالث من سفر التكوين :

" وسمعا صوت الرب الاله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار ،
فاختبيا : آدم وامراته من وجه الرب الاله فى وسط شجر الجنة .. فننادى
الرب الاله آدم وقال له : أين أنت ؟ فقال : سمعت صوتك فى الجنة فخشيت
لأنى عريان .. فاختبأت .. فقال : من أعلمك أنت عريان ؟ هل أكلت من
الشجرة التى أوصيتك الا تأكل منها ؟ "

هكذا يزعمون . واليك لونا آخر من تلك العقيدة المجيبة :
وقد اجتمعت اليهود عن آخرهم على أن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات
والأرض استوى على عرشه مستلقيا على قفاه ، واضعا إحدى رجله على
الأخرى (٤)

ووصفوا الهمهم بأنه له شعر قطط ، وفرة سوداء وأنه بكى على طوفان
نوح حتى رمدت عيناه .. وأنه ضحك حتى بدت نواجذه . (٥)

(١) الخروج ٢٥ : ٨ (٢) الخروج ٣٢ : ١٤
(٣) صموئيل الأول ١٥ : ١٠ (٤) الملل والنحل ، شهرستان ج ٢ ص ٢٢
(٥) المرجع السابق ص ٢٢

واليك بعض شواهد من كتبهم المحرفة :

يقول كاتب التوراة :

" وفرغ الله في اليوم السادس من عمله فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل ، وبارك الله اليوم السابع وقدرسه ، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا . "

ودعك من الركاة التى صيغت بها هذه العبارة ، فقد يكون المترجم هابط الأسلوب فى التعبير عن معنى ما ، ولكنه لا تستطيع أن تفهم معنى آخر من هذا الكلام الا أن (الله استراح) من جميع أعماله فى اليوم السابع هذه الاعمال التى أداها بوصفه خالقا . .

ما أبعد الشقة بين هذا التصوير ، وبين وصف الله لنفسه فقال :

* أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعنى بخلقهم قادر على أن يحيى الموتى بلى انه على كل شىء قدير *

* ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من

لدوب *

ويا ليت محررى التوراة اكتفوا بذلك ، بل قالوا أيضا ان الله تعالى كان

يخاف من تمرد آدم لما أكل الشجرة ، خاف ربما يزداد تموده حتى

ينازح الله فى ملكه أى كان ملكه مهدد بهذا التمرد الانسانى . .

جاء فى العهد القديم :

" وقال الرب الاله : هوذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر

والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ، ويأكل ويحيا الى الأبد

وأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليحمل الأرض التى أخذ منها ، وطرد

الانسان وأقام شرقى جنة عدن الكرويم ولهييب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة

(١) سفير التكوين : الاسحاح الثانى (٢) سورة الاحقاف اية ٢٣
(٣) سورة ق آية ٣٨ (٤) سفر التكوين الاصحاح الثالث

هل الله يحزن ؟

وأغرب من كل ذلك انهم وصفوا الله بأنه حزن على خلق آدم وأبنائه
ولم يكن الله حين خلقه يعرف أنه سيكون شريرا الى هذا الحد بل لقد فوجئ
بما وقع . ومن أجل ذلك حزن الرب وتأسف في قلبه أن خلق آدم وأبنائه .
قال العهد القديم :

" فحزن الرب انه عمل الانسان و أن كل تصور أفكار قلبه انما هو شرير
كل يوم ، فحزن الرب انه عمل الانسان في الأرض وتأسف في قلبه ، فقال
الرب : أمحو عن وجه الأرض الانسان الذي خلقته ، ... الانسان مع
بهائم ودبابات وطيور السماء ، لأنني حزنت اني عملتهم ... " (١)
ويعلق الاستاذ محمد الغزالي على هذا الاصحاح بقوله :

" الحق أنني أدهش كل الدهشة للطفولة الغريبة التي تنضج من هذا
الحديث الخرافي عن الله جل جلاله " (٢) .

ان الاله - كما ترى - في هذه السياقات الصبغانية كائن قاصر ... متقلب
ضعيف . وما أشك في أن مؤلف هذه السطور كان سجين تصورات وثنية
عن حقيقة الألوهية وما ينبغي لها . ولا شك أن يكون هذا التبلد من الأسباب
التي جعلت عصر التنوير يرفضون أن يكون الكتاب المقدس وحيا من عند الله .

هل الله ينسى ؟

ان محرري التوراة أثبتوا في توراتهم أن الله تعالى ينسى فلذلك وضع
قوس قزح ليتذكر دائما الميثاق الذي أخذه على نفسه كي لا يغرق الأرض مرة
أخرى ... أي كلما يرى هذه القوس يتذكر ، والا يتورط في طوفان آخر ...
فلنقرأ النصوص الآتية :

(١) سفر التكوين الاصحاح : (٢) قذائف الحق ، محمد الغزالي ص ٢٢

" وكلم الله نوحا وبنيه معه قائلا : أقيم ميثاقى معكم فلا ينقض
كل ذى جسد أيضا بمياه الطوفان ، ولا يكون أيضا طوفان ليخرب الأرض .
وقال الله : هذه علامة الميثاق الذى أنا واضعه بينى وبين كل ذوات
الأنفس الحية التى معكم الى أجيال الدهر . . وضعت قوس فى السحاب
فتكون علامة ميثاق بينى وبين الأرض فيكون متى أنشر سحابا أبصرها لا ذكر
ميثاقا أبديا بين الله وبين كل نفس حية فى كل جسد على الأرض "

هل هذا يليق بجلال الله وعزته ودقة علمه ، الذى يعلم السر
وأخفى ؟

فليس غريبا أن يكون هذا الشعب اليهودى شعبا ملعونا على لسان
داود وعيسى بن مريم .

هل الله يصارع الانسان ؟

وبعد هذا نقف - الآن - بازاء قصة أخرى من أغرب وأفجر ما اختلق
الروائيون !!

القصة الجديدة تحكى مصارعة بين " الله " وعبده " يعقوب " وهذه
المصارعة المريعة الفذة ، دامت ليلا طويلا ، وكاد يعقوب يفوز فيها
لولا أن الطرف الآخر فى هذه المصارعة ، وهو الله - بإلجاء الى حيلة
غير رياضية هزم بعدها يعقوب .

ومع ذلك فان يعقوب تعلق بالله ورفض أن يخلق سراحه حتى يعطيه
" لقب اسرائيل " .

وعند هذا المعجز الالهى منحه الله هذا " اللقب الفخرى " ثم تركه يعقوب

ليصعد الى العرش ويدبر أمر السماء والأرض ، بعد ذلك الصراع الرهيب
يا ترى أى عقل يقبل هذه الخزعبات ؟ ..

اذن لم يعد غريبا حينما يرفض المفكرون الكتاب المقدس ومثليه
في أوربا .. فلنستمع الى التوراة تصور لنا هذا الاختلاق :
" فبقى يعقوب وحده وصارعه اسنان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه
لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته
معه ، وقال : أطلقنى ! .. فقال : لا أطلقك ان لم تباركنى ! فقال له :
ما اسمك ؟ فقال يعقوب ، فقال : لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب بل
اسرائيل .. وسأل يعقوب ، فقال : أخبرنى باسمك فقال : لماذا تسأل
عن اسمى وباركه هناك . فدعا يعقوب اسم المكان " فينيثيل " قائلا : لأننى
نظرت الله وجهها لوجه ونجيت نفسى .. لذلك لا يأكل بنو اسرائيل " عرق
النساء " الذى على حق الفخذ الى هذا اليوم لأنه (الله) ضرب حق
فخذ يعقوب على عرق النساء ! ! " .

وكم يفخر اليهود اذا كان أبوهم بهذه المثابة المجيبة من القوة والبطش
الذين يهجز عنهما الاله الذى فطر السموات والأرض وخلق النملات والنور
فلذلك حرموا على أنفسهم أكل الفخذ .

وبهذا القدر نكتفى لبيان أن تبلد الضمير الدينى كان من العوامل
الأساسية التى أبعدت الناس - فى أوربا - عن الدين .

اليهود واللاهوتية عموماً

وهكذا رأينا أن المادية والتطلع إلى أسلوب نفى في الحياة ، من أكبر ما يشغل اليهود ، بل ليست ديانتهم إلا تعبيرا طبيعيا لشعب خاص لا تقبل الغرباء . (١)

والذي يقرأ الأسفار لا يجد فيها ما يدل على أن موسى أو بنى اسرائيل ما كانوا مأمورين بدعوة غيرهم إلى ديانتهم .
وكل ما في الأسفار منصب على كون الديانة اليهودية ديانتهم الخاصة وكون الرب ربهم الخاص .

هذه هي قصة الاله عند اليهود وهي واضحة الدلالة على أن اليهود لم يعرفوا الاله الحق في أكثر تاريخهم ، وهم الآن يتخذون تراب فلسطين الهيا لهم ، ان تراب فلسطين رمز المادة التي تحكمت في الفكر اليهودي على مر التاريخ .

ولولا حبيل من الله وحبل من الناس (٢) لما كان اليهود يستحقون البقاء فوق هذه البسيطة لفساد عقيدتهم وسوء أخلاقهم .

(١) ما يقال عن الاسلام ، العقاد : ص ٥١

محمد دروزة ، تاريخ اسرائيل في أسفارهم ج ١ ص ٧٢

وتاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد على ج ٦ ص ٢٤٦

راجع أيضا اليهود ، أحمد الشلبي ص ١٦٣

(٢) هذا اقتباس من قوله تعالى : ﴿ في سورة آل عمران : ﴾ ضربت عليهم

الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من

الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون

الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

وسنرى فى الصفحات الآتية ألوانا أخرى من عقيدتهم الفاسدة تجاه
انبيائهم الأبرار .. لقد صورهم اليهود فى صور اللصوص والفساق والمنحرفين ..
لم يسلم من ذلك أحد منهم ..

الأنبياء فى التوراة

ان اليهود صوروا أنبيائهم ورسليهم أبشع صورة وأقذرها ليبيحوا
لأنفسهم القذارة والسفالة وكل الأخلاق اللئيمة المقوتة ، وإذا كان
القدوة قدرا سائلا فلا لوم — اذن — على المقتدى أن يكون كذلك
ان كل من يقرأ التوراة بالتأمل يجد أنه لم ينبج واحد من الأنبياء الأول الكابر
من التلطيخ .

فنجح يسكر حتى يفقد وعيه . ولوط يضاجع بناته وهو سكران .. ويحرق
يسرق البركة والنبوة والأغنام والمواشى .. ويهوذا يزنى بامرأة ابنه
وداود يشتبهى زوجة الضابط (أوريا) فيزنى بها ويرسل زوجها للقتل
ليخلص منه .. أما بيت داود النبى العظيم كان بيت الفجور والاجرام
ففيه يضاجع الابن زوجات أبيه فى عين الشمس وأمام جميع اسرائيل
أما سليمان فيختتم حياته المجيدة بعبادة الأصنام .. وهارون يصنع المجل
الذهبي ويعبد .. حتى موسى تقول التوراة انه خان ربه ولم يقده (١)
ولهذا يحرمه الرب من دخول الأرض الموعودة ويموت فى سيناء هو وهارون ويقول
الرب لهما فى التوراة :

” لا تكما خنتما نى ولم تقدسانى لن تدخلوا الأرض التى تفيض لبنا وعسلا
ويدخلها عبدي يشوع بن نون ” (٢) .

(١) راجع عرضا كتاب التوراة ، مصطفى محمود ص ٦٢ بتصرف طفيف .

(٢) المرجع السابق ص ٦٢

حتى أيوب نقلوا عن لسانه أنه ينكر البحث والقيام من القبور • ولم
يسلم واحد من الأنبياء الأول الصالحين الذين بنوا صح الدولة اليهودية
من التلطيخ •

واليك نماذج من هذا التلطيخ من التوراة نفسها :

سيدنا ابراهيم والتوراة

فالتوراة تعرض صورة قذرة لابراهيم ، فهو — كما تزعم التوراة — يعرض
امراته الجميلة الفاتنة ، ويجعلها وسيلة كسب وشر •
تقول التوراة في " سفر التكوين " أول اسفارها الخمسة المقدسة المجمع
على قداستها من مختلف طوائف اليهود والنصارى ومن السامرة (١) :
" وحدث جوع في الأرض ، فأنحدر ابرام الى مصر ليتقرب هناك ، لأن
الجوع في الأرض كان شديدا ، وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي
امراته : اني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر ، فيكون اذا رآك المصريون
أنهم يقولون : هذه امراته ، فيقتلونني ويستبقونك ، قولي : انك اختي
ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك •"
" فحدث لما دخل ابرام الى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة
جدا ورآها رؤساء فرعون ، فأخذت المرأة الى بيت فرعون ، فصنع الى ابرام
خيلا بسببها " (٢) •
" وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء وأتـن وجمال ، فضرب الرب فرعون
وبنيه ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة ابرام •••

(١) راجع اليهود والنصرانية ، أحمد عبد الفخار عطار ص ٤٣ ، دار الاندلس

(٢) راجع سفر التكوين في الاصحاح العشرين • بيروت

"فدعا فرعون أبرام وقال : ما هذا الذى صنعت بي ؟ لماذا لم تخبرني
أنها امرأتك ؟ لماذا قلت : هي أختي ، حتى أخذتها لي لتكون زوجتي ؟
والآن ، هوذا امرأتك ، خذها واذهب ، وأوصى فرعون رجلا فشيخوه
وامراته وكل ما كان له " (١)

وهكذا يصور كاتب هذا الاصحاح سيدنا ابراهيم .. وأما نحن —
المسلمين — نقول : اذا كان كتاب اليهود الذى يدين به النصارى أيضا
تكذب على ابراهيم فتذكر عنه ذلك المسلك الشائن فان كتاب المسلمين ^{تخلف} ذلك ،
وهذا أعظم دليل على ان كتاب المسلمين هو الحق .

يقول القرآن الكريم فى ابراهيم :

- * واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا * (١)
- * ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين * (٢)
- * وان من شيعته لا ابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم * (٣)
- * سالم على ابراهيم ، كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين * (٤)
- * ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يكن من المشركين شاكرا لأنعمه
- اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه فى الدنيا حسنة وانه فى الآخرة
- لمن الصالحين *

- * ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين * ووهبنا له اسحاق
- ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين . وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا
- اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين *
- * ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما *

(١) سفر التكوين فى الاصحاح العشرين (١) مريم آية ٤١
(٢) الانبياء آية ٥١ (٣) الصافات آية ٨٤
(٤) الصافات آية ١٠٩ — ١١١

* ابن ابراهيم لاواه حلیم *

* ان ابراهيم لحلیم أواه منيس *

وغير ذلك من الآيات البينات التي تصف ابراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بما يليق به ، ويكفي أن الله جعله اماما للناس ، وكل هذه المحامد والصفات الكريمة تنفي فريسة سفر التكوين الذي نسجها كاتبه الساقط البهذي .

واذا كان أبو الأنبياء بهذه السقوط الخلق الذي يدعيه سفر التكوين فكيف يؤمن بهذا الكتاب رجال العالم الحديث الهاربون عن رب الكنيسة . وبهذه وتلك يظهر بكل وضوح كلام الشيخ محمد الغزالي حيث قال : ان الاتحاد الحديث لم يحدث في أوروبا المعاصرة الا من تبلد الضمير الديني عند أهل الكتاب والجمود الفكري والتجارة بالدين .

الدفاع عن التوراة

" يقول المدافعون عن التوراة . . ان ما جاء في العهد القديم عن خطايا الأنبياء حقيقة لا تلطيخ فيه ولا مبالغة . . . وأن الله كانت له حكمة وراء ما حدث . فقد أراد أنبياءه أفراد عاديين يخطئون . . ليكونوا أمثلة لنعمة الله ورحمته ومغفرته " (١) .

هذا هو كلام المدافعين

وهو كلام مردود عليه

فكيف نقود قطيعا من الخراف الضالة بكبش ضال مثليهم . . أليس طبيعيا أن يكون القائد قدوة طيبة ونموذجا حسنا . . كيف يدعو الأنبياء الى الوصايا العشر وفي أولها لا تقتل لا تسرق لا تزني . . ويكونون هم أول من يقتل ويسرق ويزني .

(١) راجع كتاب التوراة مصدق محمود ص ٦٤ .

أنا لم أقل ان الانبياء يجب أن يكونوا آلهة •

وانما قلت ان من الطبيعي أن يكون النبي قدوة طيبة ونموذجا حسنا
بحكم كونه المختار من ملايين •• والا سقطت عنه وظيفته — وأصبح تشریف
الله في اختياره له دون الملايين غيره تشريفا بلا معنى •• وتحول من قدوة
حسنة الى مثل سيء وأصبح مضللا بدلا من أن يكون هاديا •

والواقع خلاف ذلك لأننا لم نر نبيا أبدا مضللا بل كانوا هداة ••
وكانوا خير قدوة •• ولكن حرص اليهود على تخريب كل شيء (وهم أبناء
الأنبياء وقتلة الأنبياء) جعلهم يقتلون حتى ذكرى هؤلاء الأنبياء
ويشوهون ويتابعون أعمالهم وأقوالهم بالتحريف •

ولنقف وقفة تأمل أمام تلك الحادثة الفريدة التي توربها التوراة عن

داود وامرأة قائد الجيش (أوريا) •

" وحبلت المرأة (من الزنا مع داود) فأرسلت وأخبرت داود وقالت
اني حبلي •• فأرسل داود في طلب أوريا (ليمنحه اجازة يقضيها مع امرأته
في محاولة لستر هذا الحمل " السفاح ") •

وقال داود لأوريا انزل الى بيتك واغسل رجلك •• فخرج أوريا
من بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل الى بيته بل نام على باب الملك
فأخبروا داود قائلين لم ينزل أوريا الى بيته فقال داود لأوريا أما جئت
من السفر فلماذا لا تنزل الى بيتك فقال أوريا لداود أن تابوت العهد واسرائيل
ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوب (قائد الجيش) وعبيده نازلون على
وجه الصحراء •• وأنا آتى الى بيتي لأكل وأشرب واضطجع مع امرأتي وحياتك
وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر " •

(١) راجع التوراة — مصطفي محمود ص ٦٩

(٢) راجع المصدر السابق •

ومن هو ذلك النبي داود * الذي صورته التوراة ؟
هل يمكن أن يرسل داود مثل هذا الرجل الى الموت ليأخذ امرأته
غنيمة الا أن يكون داود زليما ؟
من أجل ماذا تلك الشناعة ؟
من أجل لحظة نزوة رآها ذات مساء على السطوح
والحفل يقول : ان هذا محال أن يقع لنبي •
تلك هي بعض تصورات اليهود تجاه الهمهم (يهوه) وأنبيائهم
الذين صوروهم للناس في ثياب اللصوص الذين ليس لهم هم ————
جمع حطام الدنيا واقتراف المنكرات •• وليس غريبا ان أن نجد
المفكرين قد ثاروا على هذه العقيدة التي لا تصدقه العقول السليمة
والفطرة السليمة •
وبعد هذا ننتقل الى موقف العلم الحديث من التوراة •

التوراة المحرفة

قد رأينا في السطور الماضية عقيدة اليهود في رسم وفي أنبيائهم الذين صوروهم في صور اللصوص وقطاع الطرق .

فكان ذلك مما يساعد الملاحدة على تكذيب جميع الأديان وجميع الكتب السماوية . . . وهنا نريد أن نقدم للقارئ نماذج من تحريف التوراة ليطلع الملاحدة أن المعلومات المناقضة للحلم الحديث في التوراة ليست من عند الله وإنما كتبت التوراة هم الذين كتبوها بأيديهم فقالوا : هذا من عند الله .

وقبل الخوض في بيّن هذا التحريف الخطير يحسن بنا أن نعطي للقارئ فكرة موجزة عن التوراة نفسها . . .

فكرة موجزة عن التوراة

التوراة : هو الاسم السامي .

أما التعبير اليوناني الذي أعطى كلمة (pentateuque)

الفرنسية فهي تعني مؤلفا يتكون من خمسة أجزاء :

سفر التكوين ، و سفر الخروج ، و سفر اللاويين ، و سفر العدد ، و سفر التثنية . وهي الأسفار التي كونت العناصر الأولى لكتاب العهد القديم من تسعة وثلاثين مجلدا . . .

وتتناول هذه المجموعة من النصوص أصل الكون وحتى دخول الشعب اليهودي أرض كنعان ، الأرض الموعودة بعد الخروج من مصر ، وبالتحديد حتى موت موسى . وتستخدم حكاية هذه الأحداث كإطار لعرض التدابير الخاصة بالحياة الدينية والحياة الاجتماعية للشعب اليهودي . ومن هنا

جاء اسم التوراة يعنى الناموس (١) ، هذه فكرة موجزة عن التوراة ، وإذا
فهمنا هذا قد تهيأنا بعض التهيؤ لننتقل الى استعراض نماذج لتحريف
التوراة من التوراة نفسها . .

نماذج من تحريف التوراة

لقد ظلت اليهودية والمسيحية ، لقرون طويلة ، تعتبر أن موسى
نفسه هو كاتب التوراة .

وربما كان سبب هذا الظن اعتمادهم على بعض النصوص وردت فى
الأنجيل التى توهم أن موسى هو الذى كتبها ومن هذه النصوص
مايلي :

جاء فى سفر الخروج أن الرب قال لموسى : " اكتب هذا تذكارا " (٢)
والمقصود من هذا هزيمة عماليق .

أو اعتمدوا على الآية الثانية من الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر
العدد : " وكتب موسى مخارجهم برحلاتهم حسب قول الرب " (٣) .
أو أنهم اعتمدوا على آية فى سفر التثنية " وكتب موسى هذه التوراة " (٤)
هذه هى بعض أدلة القائلين بأن موسى هو الذى كتب التوراة نفسه حتى
كان بعض المتحمسين - كأمثال (فلافيوس جوزيف) (Lavius Josephe)
وفليون الاسكندري (philon) (٥) ، يرون أن موسى هو الذى كتب
الأسفار الخمسة كلها . وكان هذا التحمس ابتداء من القرن الأول قبل
الميلاد .

(١) يراجع فى هذا الى كتاب دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة
موريس بوكاي ص ٢٦

(٢) الخروج الاصحاح ٢٧ الاية ١٤ (٣) العدد الاية الثانية من الاصحاح ٣٣

(٤) التثنية الاية التاسعة من الاصحاح الحادى والثلاثين

(٥) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاي ص ٢٧

وأما أدلتهم من الانجيل كالتالي :

أولا :- ^(٦) ان بولس قد كتب في رسالته الى اهل رومية يقول :
 " لا ن موسى يكتب في اكبر (١) الذي يصدر من الثاموس . . . " (٢)

وأما يوحنا - ان كان هو الذي كتب الانجيل المنسوب اليه ، فهو يجمع
 المسيح يقول تلك العبارة التالية :

" لا نكم لو كنتم ترون موسى لكنكم تصدقونني لأنه هو كتب عني .
 فان كنتم لستم تصدقون ما كتب فكيف تصدقون كلامي . . . " (٣) وهذه
 بعض ما يعتمد عليه المسيحيون في نسبة كتابة التوراة الى موسى عليه السلام .

ولكن كل ذلك بهتان وزور ويتضح ذلك فيما يلي :
 ذلك ان الله تعالى قد سخر بعض كبار المسيحيين لرد هذا الزعم . . وهو
 الأب ديفو (R. P. De Vaux) الذي يعترف به جميع المسيحيين
 في تمسكه للديانة المسيحية والذي ^(٤) بالقدر حيث كان مديرا لمدرسة
 الكتاب ، وهو الذي قدم لترجمته لسفر التكوين عام ١٩٦٢ م بمقدمة
 عامة لأسفار موسى الخمسة . وهي مقدمة تحتوي على حجج قيمة تناقض
 الدعاوى الانجيلية الخاصة بأبوة المؤلف المعنى به . .

يذكر الأب ديفو أن " التراث اليهودي الذي امتثل له عيسى والرسول "
 " كان مقبولا حتى نهاية القرون الوسطى . . وكان الرفض الوحيد لهذه
 الدعوى " أبين اسرا " (Aben Ezra) في القرن
 (٤)

(١) المقصود هنا المعدل

(٢) الاصحاح الحاشر الاية ٥ من رسالته لأهل رومية

(٣) انجيل يوحنا . الاصحاح الخامس ٤٦ - ٤٧

(٤) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاي ص ٢٧

وقال أيضا :

" وفي القرن السادس عشر أشار كارلشاد (Carlstadt)
الى استحالة أن يكون موسى قد كتب بنفسه كيف مات " (١)

ويذكر أيضا بعد ذلك نقاد آخرين يرفضون نسبة كتاب التوراة

الى موسى ويذكر على وجه الخصوص دراسة ريشار سيمول (-

(Richard Simon) في كتابه " التاريخ النقدي للصحف

القديم " .

(Histoire Critique Du vieux Testament)

(١٦٨٨) . وفيه يؤكّد ر . سيمون على الصعوبات الخاصة بتسلسل

الأحداث والتكرارات وفوضى الروايات وفوارق الأسلوب في أسفار

موسى الخمسة .

وعندما صدر هذا الكتاب جنّ جنون الكنيسة ضده لأنه أشار ضجة

وسخطا ولم يتابع أحد حجة ر . سيمون تقرّيبا . . خوفا من سلطان الكنيسة . . (٢)

وكما استطاع النقاد أن يثبتوا أن التوراة قد عيّنت أماكن بأسماء لم توضع

لها إلا بعد موسى بقرون عديدة (٣) يستطيع القارئ أن يتصور إلى أي حد

كان من الصعب تدحيض هذه الخرافة ، خرافة أن موسى هو كاتب التوراة .

ومع هذه الصعوبات كلها جاء رجل مسيحي آخر فقام بدراسة أخرى

يثبت فيها أن موسى لم يكتب التوراة التي بأيديهم . . وهذا الرجل هو :

جان استروك (١٧٥٣) .

(١) سفر التثنية الاصحاح ٣٤ الآيات من ٥ الى ١٢

(٢) المرجع السابق ص ٢٨

(٣) انظر المشكلة الأخلاقية والفلاسفة ص ١٢٢ تأليف كرسون ، ت عبد الحليم
حمود ط ٢ القاهرة .

ورسالة في اللاهوت والسياسة لسبينورا ترجمة حسن حنفي مصر ١٩٦٣م

ان هذا الرجل كانت لديه شجاعة أن ينشر على الملأ ملاحظة أساسية

هي وجود التناقض في نصوص التوراة • ونذكر من هذه التناقضات ما يلي :

أولا :- وجود نصين جنباً الى جنب في سفر التكوين يحتوى كل منهما على

خاصية مختلفة في تسمية الرب :

اذ يسميه أحدهما " ييهوه " ويسميه الثاني بـ " الوهيم " •

اذ نفسر التكوين يحتوى على نصين جنباً الى جنب •

ثم قام " ايخهون " (Eichhorn) ١٧٨٠ - ١٧٨٣

بنفس الاكتشافات بالنسبة للكتب الأربعة الأخرى •• ثم جاء (ايلجن)

(Ilgen /) ١٧٩٨ ولاحظ أن أحد النصين اللذين

مزيهما (ستروك) وهو النص الذى سعى فيه الرب بالوهيم ، ينقسم هو

أيضا الى قسمين :

وبهذا تفتت كتاب أسفار موسى الخمسة •

واما بحاشة القرن التاسع عشر الميلادى فقد كرسوا جهدهم فى بحث

عن المصادر أكثر دقة ••

وفى سنة ١٨٥٤ م كانت هناك أربعة مصادر مقبولة وتسمى بالأسماء

التالية :

١ - الوثيقة اليهودية

٢ - الوثيقة الألوهيمية

٣ - وسفر التثنية

٤ - للنص الكهنوتى

ومن المدهش ان الباحثين قد أفلحوا فى اعطائها اعمارا فقالوا :

ان الوثيقة اليهودية تقع في القرن التاسع قبل الميلاد (وقد حررت في
مملكة الجنوب) .

واما الوثيقة الألوهيمية فهي أقرب تاريخيا بقليل (وقد حررت بإسرائيل)
وأما سفر التثنية فينتسب الى القرن الثامن من قبل الميلاد في رأى آدموند
جاكوب .

وأما النص الكهنوتي فينتسب الى عصر النفي أو ما بعد النفي ، أى القرن
السادس قبل الميلاد .

بهذا يتضح لنا أن الأسفار الخمسة لم يكتبها موسى عليه السلام . لأنها
ثبت أنها كتبت بعد موته بقرون عديدة . (١) وبالتحديد على ثلاثة قرون
بأقل تقدير . (٢) وليس في استطاعة اليهود ولا المسيحيين الذين يؤمنون
بقُدسية الأسفار الخمسة ، أن يردوا هذا البحث المميق الموضوعي .
وكما يتضح أيضا تكون كتاب أسفار موسى الخمسة من أقوال موروثة مختلفة
جمعتها - بشكل يقل أو يزيد حذفًا - محررون ، وضموها تارة ما جمعوها
جنبًا إلى جنب . وطورا غيروا من شكل هذه الروايات بهدف وحدة مركبة
تأريكين للعين أمورا غير معقولة وأخرى متنافرة . . . كما من شأنها أن قادت
المحدثين الى البحث الموضوعي عن المصادر .

أخبار لا توافق الواقع التاريخي

قد وجدت في التوراة أخبار لم توافق الوقائع التاريخية ، وكل ذلك ساعد
الملاحدة على رفض الأديان . وسنكتفي بذكر شيء واحد من هذه التناقضات
وفيه الكفاية :

(١) يراجع في هذه الأخبار التاريخية الى دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف
الحديثة موريس بوكاي (٢٨ - ٢٩) ومن راجع هذا الكتاب يجد هناك أشياء
كثيرة تثبت عدم نسبة التوراة الى موسى عليه السلام ولكننا اختصرنا الكلام فيه
نظرا الى أن المقام لا يتسع لذلك .
(٢) المرجع السابق (٤٠)

لقد ورد في سفر التكوين أن الله تعالى قد حدد - قبل الطوفان -
بقليل - عمر الانسان بمائة وعشرين سنة . تقول التوراة :

" وتكون أيامه مائة وعشرين سنة " (١)

ومع ذلك يلاحظ فيما بعد في نفس سفر التكوين الاصحاح (١١) الآيات من
١٠ الى ٣٢ أن حياة أنسال نوح المشرقة قد دامت من ١٤٨ الى ٦٠٠
سنة .

ان التناقض بين هاتين العبارتين واضح ويدل دلالة واضحة أن التوراة
ليس من عند الله لأنه لم يمكن بحال من الأحوال أن يوجد في كلامه اختلاف
لأنه ^{هو الذي} يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم . ولا تخفى عليه خافية .

اذن ان هذا يثبت أن التوراة محرفة . ولكن كيف حرفت ؟ فيجب
على ذلك بعض الباحثين الغربيين المعاصرين يقولون :

" ان تحليل ذلك بسيط : فالعبارة الأولى التي وردت في (سفر
التكوين) نص (يهوى) يعود تاريخه - كما مر بنا - الى القرن العاشر
قبل الميلاد .

أما العبارة الثانية في سفر التكوين الاصحاح ١١ - الآيات من ١١ - ٣٢
فهي نص وجد (في القرن السادس قبل الميلاد) في التراث الكهنوتي الذي هو
أصل هذه الأنساب التي تمتنى في احصاء أعمار كل من أتى بعد آدم الى
عهد المسيح . . . (٢) .

ويسبدولنا جليا أن التوراة محرفة . وان دل هذا البحث الذي قام
به هؤلاء المسيحيون ، على شيء فانما يدل على صحة القرآن العظيم الذي
قد سبق العلم الحديث في الاشارة الى هذه النقطة وقال :

(١) سفر التكوين الاصحاح ٦ آية ٣

(٢) المصدر السابق (٤٠)

* يحرفون الكلم عن مواضعه * (١) وقال :

* ونسوا حظا مما ذكروا به * (٢)

وليس غريبا اذن أن ترتفع هذه الضجة الكبرى ضد رجال الكنيسة

و ضد كتبهم وفي مقدمتها التوراة المحرفة .

ولم يكتف محرروا التوراة بهذه التناقضات وانما زعموا أيضا ان الله

تعالى بعد أن خلق السموات والأرض - تعب فأخذ راحته بعد ستة أيام ..

وقد تكلمنا عن هذه النقطة عند الحديث عن عقيدة اليهود في الله ولكننا

أعدنا الكلام عليه لأجل أن نبين مصدر هذه الأسطورة ..

وقد رأى الباحثون أن لهذه الأسطورة تحليلا وهو :

ينبغي أن نتذكر دائما أن رواية الخلق هنا تأتي من النص الذي سمي

بالكنهنوتي ، كتبه الكهنة وهم الوريشون الروحانيون لحزقيل نبي النفسي

ببابل في القرن السادس قبل الميلاد .

ومعروف أن هؤلاء الكهنة قد أعادوا رواية الخلق اليهودية والألوهية

وأعادوا صياغتها على مشيقتهم وحسب اهتماماتهم الخاصة^(٣) على حين لا يشير

النص اليهودي ، الذي يسبق النص الكهنوتي بعدة قرون الى راحة الله

الذي تعب من عمله طيلة الأسبوع .

اذن ان مصدر هذه الأسطورة هو الرواية الكهنوتية وذلك بعد نفسي

اليهود من بابل . ودليل ذلك خلو النص اليهودي من هذه الرواية .. فالتوراة

بهذه المثابة - كتاب محرف كذب على الله . ففضحها الله أمام رجال

الحلم الحديث .. وأما الله - كما يقول القرآن لا يمسه من لغوب يقول الله :

(١) سورة المائدة الآية رقم ١٧

(٢) = = = = (٢)

(٣) سفر التكوين الاصحاح السادس اية ٣

ذلك اختصار شديد لبيان التحريف في التوراة ، التحريف الذي كان ثغرة
 المفد منها الملاحدة لتفديد جميع ما يتعلق بالدين المسطلق ،
 وتكميلا لبيان تحريف التوراة ، نود أن نستمع الى رأى العلم الحديث
 فى شأن التوراة .

وغرضنا فى هذا الجزء - كما قلنا - نريد أن نقول للملاحدة الذين
 الذى ثارت عليه أوربا دين يستحق أن يثار عليه لا شتماله على الخرافات
 والأباطيل .. وأما ديننا الاسلامى بخلاف ذلك ، لأنه كما ينص
 على الاتحاد الذى يعيشه الملاحدة ، ينص أيضا على الخرافات والتدين
 المنحرف الذى كان يتمتع بها رجال الكنيسة الأوربية ...

موقف العلم الحديث من التوراة

ومن يتأمل فى هذه التوراة المحرفة ، يجد فيها حشدا من المتناقضات وروايات
 مختلفة عن موضوع واحد ، وأخطاء تاريخية وأمورا غير معقولة أو يستحيل أن يتفق
 مع المعطيات العلمية الثابتة ..
 ومع ذلك نجد المجمع المسكونى الثانى (١٩٦٢-١٩٦٥) يريد أن يجد
 مبررا لهذه المتناقضات . وذلك بادخال تحفظ على " أسفار العهد القديم "
 التى تحتوى على الشوائب وشيء من البطالان " (١) .

ترى هل يبقى هذا التحفظ مجرد تعبير عن نية طيبة ؟ الجواب لا !
 بل قام أناس فى عصر أدرك فيه المفكرون استحالة اتفاق بين بعض فقرات التوراة مع
 المعارف الحديثة ، - للمقارنة بين ما ورد فى التوراة مما يتعلق بالتاريخ
 والكون وبين المعطيات العلمية ، فوجدوا أن أغلب المعلومات التى وردت فى

(١) المرجع السابق ص (٤٠)

التوراة باطلة لا تمت الى العلم بصلة .. فلندكر من ذلك ثلاث نقاط فقط :

- ١ - خلق العالم
- ٢ - تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الانسان على الارض
- ٣ - رواية الطوفان

واليك تفاصيل ذلك :

أولا - خلق العالم :

ان العلم الحديث لم يوافق ما ورد في التوراة من خلق العالم ، ويرى
ان رواية التوراة في هذا الباب أسطورة محضة . واليك القصة بالنص .
تقول التوراة :

" في البدء خلق الله السماء والارض . وكانت الارض خربة وخالية والظلمات
تغطي اللجة وروح الله على المياه " (١) .

يرى العلم الحديث ان الحديث عن الماء في هذه الفترة ، أسطورة —
أساطير كتاب التوراة .. وأما الذي يمتقده العلم الحديث هو : وجود كتلة
غازية في المرحلة الأولى لتكون الكون ... ولكن القول بوجود الماء
في تلك المرحلة غلط ..

ومن هنا نعلن نحن المسلمين — للعالم بأسره — ان كتابنا خال من الخرافات
التي امتازت بها هذه التوراة ، لأن رأى العلم الحديث في الكتلة الغازية التي
كونت العملية الأساسية لتشكل الكون ، يشبه بما جاء في القرآن العظيم ..
فالقرآن يقول :

* أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا
من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون *

وفي هذه الآية يدعو الله تعالى الى التأمل في خلق الأرض ثم يأمر
النبي صلى الله عليه وسلم بأن يقول : * ثم استوى الى السماء وهي دخان
فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها فقالتا أتينا طائعين *
فيجب الالتفات الى ما يلي :

أ - الإشارة الى وجود كتلة غازية في هذه الفترة • يؤخذ ذلك
من كلمة " دخان " اذ يتكون الدخان عموما من قوام غازي •
ب - الإشارة الى عملية الفتق للكتلة الفريدة الأولى التي كانت عناصرها
في البداية ملتحمة : لأن الفتق هو فعل القطع أو فك . اللحم أو الفصل
وأن (الرشق) فعل اللحم ووصل العناصر •• هذا ما يفهم من هذه
الآيات • اذن العلم الحديث لم يأت بجديد على المسلمين وانما نقول ان الذي
جاء به العلم الحديث بهذا الصدد فيه شبه بهذه الآية الا أننا في الوقت
نفسه لا نوافق العلم الحديث الذي حاول أن يحدد عمر الدنيا بأنه يبلغ مرء
مليارات من السنين تقريبا ^(١) لأن هذا التحديد مبني على الخيال والتخمين
وليس على الحقائق العلمية لقوله تعالى :

* ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ، ولا خلق أنفسهم وما كنت
متخذاً المضلّين عضداً •

بعد هذه الآية الكريمة لا يتردد مؤمن أن يقول ان كل محاولة لتحديد
نشأة الكون محاولة اضلالية • لأن ذلك لا يتم الا بالمشاهدة والمعاونة •
هل هؤلاء هؤلاء شاهدوا ذلك ؟ أو عاونوا الله عند الخلق ؟ الجواب لا !
فتحديدهم اذن في مثل هذا الموطن لا يعنى به • لا من قبل الخرافات
التوراتية ولا من قبل الفروض الكثيرة التي يعتمد عليها أرباب العلم الحديث •

(١) راجع كتاب (لله العلم) تأليف بشير التركي ص (١٣٨)

فكل فكرة تدعى تفسير الكون ينبغي عليها أن تتخذ طريقة ليست فيها الصدفة والافسوس مرفوضة عند المسلم من أساسها • لأن من أسس بنيانه على الرمال فسوف تذريره الرياح ••

إذا كانت التوراة غلطت في تحديد نشأة الكون وعمره ، فغلط العلم الحديث أشنع لأنه يدعم فكرته هذه على نفي وجود الله أولا ثم اثبات شيء خيالي أخيرا ••

الخلاصة :

ان التوراة المليئة بالكاذيب حاولت أن تحدد عمر الدنيا ففشلت ، فاذا بالعلم الحديث أراد أن يكشف هذا الخلط فوق فيما هو أشد اضلالا وهو: نفي تدخل اللفي الكون • والكلام الوسط ما أشار اليه القرآن الكريم وهو — أن أصل الكون كان كتلة دخانية ثم فتقها الله بقدر خاص وحكمة بالغة وغاية مرسومة مقدرة بدون أى تحديد زمنى يقول تعالى :

* أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون * (١) • ومعد هذا نتقدم الى خطوة

ثالثة •

الطوفان

نود في هذا البحث التاريخي الخطير أن نستعرض الآراء بدون أى تحليل ليظهر فيه القارئ برأيه الخاص • وذلك أن التاريخ غيب لا يمكن لأى أحد أن يصل الى معلومات يقينية الا عن طريق السمع أو اشارة من علم • ورغم كل ذلك سنجد العلم الحديث يجد ثغرات كثيرة في روايات التوراة بل يجد

ففيها تناقضات لا يستسيغها أى عقل انساني • واليك تفاصيل ذلك :

أولا - رأى التوراة فى قصة الطوفان :

والرواية كلها فى شمولها هى مايلى من سفر التكوين ثرويسها بالمعنى
لقصد الاختصار ••

لما عم فساد البشر قرر الله تدميرهم مع كل المخلوقات الحية الأخرى •
فحذر نوحا وأمره ببناء السفينة التى سيدخل بها زوجته وأولاده الثلاثة
بزوجاتهم الثلاث وكائنات حية أخرى ••

ويختلف المصدران بالنسبة للكائنات الحية : فهناك مقطع من الرواية (وهو
كهنوتى الأصل) يشير الى أن نوحا قد أخذ زوجا من كل نوع ، ثم يحدد
المقطع التالى وهو من الأصل اليهودى أن الله قد أمر بأخذ سبعة من كل نوع
ذكر وأنثى من الحيوانات المسماة بالطاهرة ، وزوجا واحدا من الحيوانات المسماة
بخير الطاهرة • ولكن بعد ذلك يتحدد أن نوحا لن يدخل الى السفينة فعلا
الا زوجا من كل نوع من الحيوانات •

ويؤكّد المتخصصون ، مثل الأب (ديفو) ، أن المعنى هنا هو مقطع
معدل من الرواية اليهودية •

وهناك فقرة (وهى من الأصل اليهودى) تشير الى أن عامل الطوفان
هو ماء المطر ولكن هناك فقرة أخرى (وهى كهنوتية الأصل) تقدم سبب الطوفان
على أنه مزدوج أى ماء المطر والينابيع الأرضية •

تغطت الأرض حتى قمم الجبال وأعلى منها بالماء ، وتدمرت فيها كل الحياة
وبعد سنة خرج نوح من السفينة التى رست على جبل (أراط) بعد الانحسار^(٣) •

(١) سفر التكوين الاصحاحات ٦ ، ٧ و ٨

(٢) راجع كتاب الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ٥٢ ولكن بالتصرف

(٣) راجع سفر التكوين من التوراة عرضا

ثم لو راجعت التوراة تجد أن للطوفان روايتين مختلفتين : اذ تقول
الرواية اليهودية أربعون يوما فيضانا ، على حين يقول النص الكهنوتي
انها مائة وخمسون يوما . .

ثم الغريب ان الروايات اليهودية ، لا تحدد تاريخ وقوع هذا الحدث من
حياة نوح ولكن الرواية الكهنوتية تحده بحين كان عمر نوح ٦٠٠ سنة .
وتعطى نفس هذه الرواية اشارات عن موقعه الزمني بالنسبة لآدم وبالنسبة
لا ابراهيم . .

وبيان ذلك : ان قوائم الانساب في التوراة تقرر أن نوحا قد ولد بعد
١٠٥٦ عاما من آدم (انظر جدول أسلاف ابراهيم في سفر التكوين) فيكون
الفترة الزمنية بين آدم والطوفان كالتالي :

$$(٦٠٠ + ١٠٥٦) = (١٦٥٦) \text{ سنة}$$

وبالنسبة الى ابراهيم فيحدد سفر التكوين أن ميلاده كان بعد الطوفان
بـ (٢٩٢) سنة ٠٠٠ أى ثلاثة قرون تقريبا .

ولما كانت التوراة نفسها تثبت ان بين ابراهيم وعيسى ١٨ قرنا فنصل الى
النتيجة التالية :

ان الطوفان وقع قبل المسيح في القرن (٢١) فاذا جمعنا ٣ قرون
التي وقعت قبل ميلاد ابراهيم مع ١٨ قرنا التي تعتبر الفترة الزمنية بين ابراهيم
وعيسى عليهم السلام .

وبهذا استطاع محررو التوراة أن يصلوا الى تاريخ محدد لمعرفة زمن
الطوفان .

ثم ان سفر التكوين ، يخص كل الجنس البشرى بهذا الطوفان وأن البشرية
قد أعادت تكوين نفسها ابتداء من أولاد نوح وزوجاتهم . . .

والهك نصوحا من التوراة تدل على طوفان نوح كان عالميا ..

أ - " فقال الله لنوح : ها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لا هلك

كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء ، كل ما فى الأرض يموت " (١)

ب - " وتعاظمت المياه وتكاثرت جدا على الأرض فتفطت جميع

الجبال الشامخة تحت كل سماء . خمس عشرة ذراعا فى الارتفاع تعاظمت المياه

فتفطت الجبال " (٢)

ج - وضعت قوس فى السحاب فتكون علامة ميثاق بينى وبين الأرض .

فيكون متى أنشر سحابا على الأرض ، وتظهر القوس فى السحاب . أنى اذكر

ميثاق الذى بينى وبينكم وبين كل نفس حية فى كل جسد ، فلا تكون أيضا

المياه طوفانا لتهلك كل ذى جسد " (٣)

هذه من أدلة التوراة لاثبات عالمية طوفان نوح عليه السلام (٤) . والآن

نود أن نرى موقف العلم الحديث من هذه الروايات :

(١) سفر التكوين ٦ : ١٧

(٢) سفر التكوين ١٩ : ٢٠

(٣) سفر التكوين ٩ : ١٣ - ١٥

(٤) الآن يريد بعض المسيحيين أن يشبوا عالمية الطوفان بالاكشافات العلمية

الحديثة . فذكروا أشياء مختلفة منها : أنه وجدت عظام حوت فى شمال

بحيرة (أنتاريو) على ارتفاع (٤٤٠) قدم فوق مستوى سطح البحر . هذه

تعتبر علامات على أن الماء كان يوما يغمر الأرض فى أماكن كثيرة ..

ومعنى ذلك أن الطوفان كان عالميا .. هكذا يزعمون .. والعلم عند

الله الله .

(راجع كتاب : الانسان هل هو متطور أو مخلوق بقلم نورس أندرسون

ص ٣٣) .

موقف العلم الحديث من رواية الطوفان

ان العلم الحديث لم يكذب التوراة في وقوع الطوفان ، ولكنه كذبها في

النقاط التالية :

ليس في التوراة رواية واحدة فقط عن الطوفان بل هناك روايتان ولكنهما

حررتا في عصور مختلفة :

— الرواية اليهودية ترجع الى القرن التاسع قبل الميلاد .

— الرواية الكهنوتية التي ترجع الى القرن السادس قبل الميلاد .

والتي أخذت هذا الاسم لأنها مؤلف لكهنة ذلك العصر .

ولا تأتي هاتان الروايتان كل الى جانب الأخرى وإنما تتشابكان وتتداخل عناصر احدهما في عناصر الأخرى وتتماقب فقرات كل مصدر بالتبادل مع فقرات المصدرين الآخرين ، فهذا يدل على خبث محرري التوراة وسوء نياتهم حيث خلطوا

الروايات بعضها ببعض لتوعير الطريق أمام الباحث .

يقول الأب (ديفو) : انهما حكايان للطوفان تختلف فيهما العوامل

التي أدت الى الطوفان كما يختلف زمن وقوعه ويختلف عدد الحيوانات التي شحنها نوح بالسفينة" (١) .

ويقول موريس بوكاي تعليقاً على كلام الأب ديفو :

" ان رواية الطوفان في العهد القديم غير مقبولة في اطارها العام وذلك

لسببين يتضحان على ضوء المعارف الحديثة :

أ — يعطى التوراة للطوفان طابعاً عالمياً

ب — وعلى حين لا تعطى فقرات المصدر اليهودي للطوفان تاريخاً ،

تحدد الرواية الكهنوتية زمن الطوفان عصر لم يكن من الممكن أن تقع به كارثة

من هذا النوع والحجج التي يستند اليها هذا الحكم هي ما يلي :

" تحدد الرواية الكهنوتية أن الطوفان قد حدث عندما كان عمر نوح ٦٠٠ عام غير أنه من المعروف ، بحسب الأنساب المذكورة في الاصحاح الخامس من سفر التكوين أن نوحا قد ولد بعد آدم ب ١٠٥٦ عاما .

وينتج عن ذلك أن الطوفان قد وقع بعد ١٦٥٦ عاما من خلق آدم .

وكما توكد التوراة أن ابراهيم قد ولد بعد الطوفان ب (٢٩٢) عاما .

ولما كنا نعرف أن ابراهيم كان يعيش في حوالي ٢١ أو ٢٢ قرنا قبل الميلاد اذن ان الطوفان قد وقع في القرن ٢١ أو ٢٢ قبل المسيح ، هذا ما لا يتفق مع المعطيات الحديثة : كيف يمكن اليوم تصور أن كارثة عالمية قد دمرت الحياة على كل سطح الأرض (باستثناء ركاب السفينة) في القرن ٢١ أو ٢٢ ق م ؟

ففي ذلك العصر كانت هناك على نقاط عدة من الأرض حضارات قد ازدهرت وانتقلت أطلالها الى الأجيال التالية :

وبالنسبة (لمصر) على سبيل المثال ، كان ذلك في الفترة الوسطى التي تلت نهاية الدولة القديمة وبداية الدولة الوسطى . والنظر الى ما نعرف عن تاريخ هذا العصر فانه يكون مضحكا القول بأن الطوفان قد دمر في ذلك العصر كل الحضارات .

وفي بابل أسرة أور الثالثة . ومن المعروف جيدا أنه لم يحدث انقطاع في هذه الحضارات وبالتالي لم يحدث اعدام يخص البشرية برمتها تقوّل التوراة :

" وبالتالي فلا يمكن اعتبار أن روايات التوراة الثلاث تصف للانسان أمورا تتفق مع الحقيقة . . هل أنزل الله شيئا غير الحقيقة . . ؟ "

هذا ما يقوله العلم الحديث ضد هذه للرواية وطبيعى أن ذلك
يثير افتراض وجود تحريف بواسطة البشر - أما في الأقوال المتوارثة التى
الثقلت شفها من جيل لاخر أولى النصوص بعد تحديد هذه الأقوال
المتوارثة ..

وعندما نصرف أن مؤلفا مثل سفر التكوين قد عدل على الأقل
مرتين وهذا على مدى ثلاثة قرون ، فكيف ندهش حين نجد فيه هذه
الأمور المتناقضة أو روايات يستحيل أن تتفق مع واقع الأشياء .

فليس غريبا أن تكون هذه الديانة فى موضع السخرية والازدراء
لدى الملحدة الذين وقفوا على هذه المضحكات المبكيات فى هذه التوراة
المحرّفة .

وليس غريبا أن يقول الملاحدة :

" ان الدين أسوأ خدعة فى التاريخ "

أو يقولون :

" ان الدين أفيون الشعوب "

ولنكتف بهذا القدر مخافة التطويل ، ولكن قبل أن تنتقل إلى
طغيان الكنيسة الذى يعتبر بحق الناقوس المعلن لمجى الثورات ضد
الدين ، يحسن بنا أن نمطى فكرة موجزة عن موقف القرآن الكريم
من رواية التوراة للطوفان ...

موقف القرآن من رواية التوراة للطوفان

على حين تتحدث التوراة عن طوفان عالمي لعقاب كل البشرية الكافرة ،
يشير القرآن على العكس ، الى عقوبات عديدة نزلت على جماعات محددة جدا
تشير الى ذلك الآيات التالية :

* ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه خارون وزيرا • فقلنا
اذهب الى قوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا *

* وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية
واعتدنا للظالمين عذابا ألينا *

* وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا
له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا * (١)

وعلى هذا فالقرآن يقدم كارثة الطوفان باعتبارها عقابا نزل بشكل خاص
على شعب نوح وهذا يشكل الفرق الأساسي بين الروایتين ...

أما الفرق الجوهرى الثانى فهو أن القرآن، على عكس التوراة : لا يحدد
زمن الطوفان ولا يعطى أية إشارة عن مدة الكارثة نفسها •

وأما أسباب السيل فقد وافق فيها القرآن رواية التوراة التى تقول :

* فى ذلك اليوم انبثقت عيون الماء من الهوة بالسحيفة وانفتحت هواويس
السماء • (٢)

وأما القرآن الكريم فيقول :

* ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر
قد قدر * (٣)

(١) سورة الفرقان ، الآيات ٣٥ الى ٣٩

(٢) سفر التكوين ٧ ، ١١

(٣) سورة القمر ، الآية ٥٤

وكما أن القران يخالف التوراة في تحديد محتوى سفينة نوح حيث يقول :
 * ... احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن .
 وما آمن معه إلا القليل * (١)

وأما رواية التوراة لا تشير الى هؤلاء من بين ركاب السفينة .. ومع ذلك
 ان التوراة قدمت لنا ثلاث روايات عن محتوى السفينة كلها متناقضة .

— على حسب الرواية الكينوتية : نوح وأسرته دون أى استثناء وزوج من كل
 نوع .

— على حسب الرواية اليهودية ، هناك تمييز من ناحية بين الحيوانات الطاهرة
 والطيور وبين الحيوانات النجسة من ناحية أخرى (والسفينة تحتوى
 على سبعة أزواج من الفئة الأولى . ذكر وأنثى وعلى زوج واحد فقط
 من الفئة الثانية) .

في نهاية المطاف نستطيع أن نقول — مطمئنين — أن الاختلافات بين رواية
 القرآن وروايات التوراة موجودة .. وهى هامة

وكما أصبح واضحاً تمام الوضوح عدم امكانية اتفاق رواية التوراة في تقديمها
 للطفان بزمنه ومدته — مع مكتسبات المعرفة الحديثة وعلى العكس من ذلك
 فان رواية القرآن تتضح خالية من أى عنصر مشير للنقد الموضوعى .

والسؤال الآن موجه الى الملاحدة الذين يقولون بوجود تناقض بين
 العلم الحديث وبين الأديان كلها ، نقول لهم :

فمن عصر رواية التوراة الى عصر تنزيل القرآن هل حصل الناس على معلومات
 من شأنها أن تلقى نورا على حدث مثل هذا ؟

بالتأكيد لا ! فمن المصهد القديم الى القرآن كانت الوثيقة الوحيدة
 التي في حوزة الناس عن هذه الحكاية القديمة هي التوراة بالتحديد .
 وإذا لم يكن عند الانسانية كلها علم آخر يبين خطأ التوراة في هذا
 الحدث الا القرآن فقط ، أفلا يتسع في أخلاذ الملاحدة أن يصدقوا
 هذا الكتاب المعجز ؟ وأن يعرفوا أن العلم الحديث لا يناقض الدين
 الصحيح ، وإنما يناقض الأديان المحرفة المبنية على الخرافة والجهل والقصور .
 ثم نقول لهم :

لو لم يكن القرآن من عند الله أنبي لمحمد رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أن يأتي بأسى فكرة عن الاله والكون والانسان ، صحت فكرة الفلسفة
 النظرية كما صحت فكرة العقائد الدينية .

فكان تصحيحه لكل من هاتين الفكرتين ، في جانب النقص منهما — ان هذا
 لهو أعظم المعجزات التي أثبتت له في حكم العقل المنصف والبداهة الصادقة
 أنه وحي من عند الله . . .

وصدق الله تعالى : ﴿ ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾

﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾

﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾

ماذا قال المفسرون عن عالمية الطوفان وعدم عالميته؟

ان المدارس لكث التفسير المختلفة ، يجد أن المفسرين ليسوا على اتفاق تام في مسألة الطوفان ..

منهم من يرى أن الطوفان كان خاصا لقوم نوح ..
والبعض الآخر يرى أنه كان شاملا لجميع سكان الأرض ..
واليك أدلة كل من الفريقين :

وقد رأينا - تلخيصا جيدا للأراء - في تفسير روح المعاني للعلامة
الألوسي البغدادي ، نود أن ننقله اليك بنصه :

يقول الألوسي وهو يشرح قوله تعالى :

* ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم
وجعلنا ذريته هم الباقين *

" وقد روى أنه مات كل من في السفينة ، ولم يعقبوا عقبا باقيا غير أبنائه
الثلاث اسام وحام ويافث وأزواجهم فانهم بقوا متناسلين الى يوم القيامة ..
ثم ساق الحديث الذي يدل على عالمية الطوفان فقال :

" أخرج الترمذي وحسنه ، وابن سعد ، وأحمد ، وأبو علي ، وابن
المنذر وابن أبي حاتم والطبري والحاكم وصححه عن سمرة أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : " سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم .. " (١)
ثم علق عليه بقوله : " ولا أعرف حال الخبر " (٢)

(١) تفسير الطبري ج ٢٣ - ٢٥ ص ٦٧ . راجع أيضا تفسير الكشاف ج ٣ ص ٣٥٣

راجع أيضا الدرر المنثور للسيوطي ج ٤ ص ٣٣٩

راجع أيضا القرطبي ج ١٥ ص ٨٩

(٢) تفسير روح المعاني ، الألوسي ج ٢٢ - ٢٤ المجلد الثاني عشر ص ٩٨

ثم ساق أيضا قول الفريق الثاني للذين يرون أن الفرق لم يكن —
عاما لجميع السكان فقال : :

" وقالت فرقة : أبقى الله تعالى ذرية نوح عليه السلام وصدا في
نسله وليس الناس منحصرين في نسله بل من الأُم من لا يرجع إليه ..
ثم قال :

" وكأن هذه الفرقة لا تقول بعموم الفرق ، ونوح عليه السلام ، إنما
دعا على الكفار وهو لم يرسل إلى أهل الأرض كافة فان عموم البعثة ابتداء من
خواص خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم : ووصول خبر دعوته وهو في جزيرة
الحرب إلى جميع الأقطار كقطر الصين وغيره غير معلوم .
ثم أضاف قائلا :

" والحصص في الآية بالنسبة إلى من في السفينة ممن عدا أولاده
وأزواجهم فكانه قيل : وجعلنا ذريته هم الباقين لا ذرية من معه في السفينة
وهو لا يستلزم عدم بقاء ذرية من لم يكن معه ... وكان في بعض الأقطار
الشاسعة التي لم تصل إليها الدعوة ولم يستوجب أهلها الفرق كأهل الصين
كما يزعمون ..

وهكذا رأينا أنه أجاز الوجهين : العام والخاص ولم يجزم بتقديم
أحدهما على الآخر . والذي يبدو من خلال كلامه أنه يؤيد القول
بخصوص قوم نوح بالفرق بدليل قوله " ولا أعرف حال الخبر " .. أي أنه
لا يستطيع أن يأخذ هذا الحديث سنداً لا ثبات عموم الفرق لأنه (الحديث)
مجهول لدي ..

وإذا لم يصح برأيه الخاص فقد صرح غيره من المفسرين بأن الفرق
لم يكن عاما لجميع سكان الأرض بل كان خاصا بقوم نوح فقط .. ومن هؤلاء
المفسرين الشيخ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره = تفسير المراغي إذ يقول

وهو يشرح قوله تعالى : ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ . أى أهلكنا
من كفر بنا استجابة لدعوته : ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ﴾
ولم يعقب أحد ممن كان في السفينة عقبا سوى أبناء الثلاثة :

(سام وحام ويافث) فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان
من المشرق والمغرب ، ويافث أبو الترك .

ثم قال : " وهذا هو المشهور على السنة المؤرخين ، وليس في القرآن
ولا في السنة نص قاطع على شيء من ذلك كما أنه ليس في القرآن ما يشير إلى
عموم دعوته لأهل الأرض قلدابة ولا أن الفرق عم الأرض جميعا ، وأن
ما تفيد الآية من جعل ذريته هم الباقين إنما هو بالنسبة لذرية
من معه في السفينة ، وذلك لا يستلزم عدم بقاء ذرية من لم يكن معه وقد
كان في بعض الأقطار للشاسعة من لم تبلغهم الدعوة فلم يستوجبوا الفرق
كأهل الصين وغيرهم من البلاد المنائية " (١) .

هذا ما صرح به الأستاذ أحمد مصطفى المراغي من أن الطوفان لم يكن
عاما لجميع سكان الأرض . وهذا ما أبدته مستدلا بقوله . . ﴿ وقوم نوح
لما كذبوا الرسل أغرقناهم ﴾ .

وهذا ما أبدته أيضا كثير من الباحثين . نذكر منهم اثنين : واحدا من
العالم الاسلامي وواحدا من أوربا :

وأما الأول هو : الشيخ محمد الفزالي في كتابه القيم : (قذائف الحق)
وهو يقول : " ورأى أن الطوفان القديم كان عقوبة لقوم نوح وحدهم ، وأنه
ليس غرقا استوعب سكان القارات الخمس . . فما ذنب هؤلاء المساكين ونوح
ورسالته محلية لا عالمية . اللهم الا اذا كان المعمور يومئذ من هذا الكوكب
ديار نوح وحسب " . (٢) .

(١) تفسير المراغي ج ٢٢ - ٤٤ - أحمد مصطفى المراغي ص ٦٧

(٢) قذائف الحق ، محمد الفزالي ص ٢٢

موريس بوكاي يتكلم

وللباحث الآخر الغربي هو : الاستاذ (موريس بوكاي) • يرى هذا الاستاذ أن للطوفان لم يكن عاما بل كان خاصا بقوم نوح فقط فلنقرأ له هذه الكلمات التالية :

" ولكن ، كما يقول سفر التكوين ، يخص الطوفان كل الجنس البشرى • وكل الكائنات الحية التي خلقها الله قد أهدمت على الأرض حسب هذه الرواية • ان البشرية ، والامر هكذا تكون قد أعادت تكوين نفسها ابتداء من أولاد نوح وزوجاتهم • • بحيث انه عندما يولد ابراهيم بعد ذلك بثلاثة قرون تقريبا • فانه يجد الانسانية قد أعادت تكوين نفسها في مجتمعات • • كيف يمكن لاعادة البناء هذه أن تتم في زمن قليل الى هذا الحد • • ثم قال :

" ان هذه الملاحظة البسيطة تنزع عن النص أية محقولية • أكثر من ذلك فالمعطيات التاريخية تثبت استحالة اتفاق هذه الرواية مع المعارف الحديثة • • (١) (٢)

بهذا نكتفى للاثبات أن محرري التوراة هم الذين جعلوا الطوفان كارثة عالمية وتبعهم في ذلك رجال الكنيسة • ثم انتقلت هذه المعلومات الى عقول سائر الناس • • والحمد لله الذي وفقنا لا زالة هذه الخرافة عن عقول الناس • •

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة • موريس بوكاي ص ٥٣

(٢) ان المعارف الحديثة التي يريد ها هنا ، قد تكلمنا عنها سابقا عند كلامنا على موقف العلم الحديث من التوراة • • فليراجع هناك •

الفصل الثاني

طغيان الكنيسة

قد مر بنا في السطور الماضية ، تبدل الضمير الدينى عند اليهود ، ورأينا كيف انحرفوا عن العقيدة السليمة التى رسمها لهم الرسولان العظيمان : ابراهيم وموسى عليهما السلام . وكما رأينا ان التوراة المحرفة ، لا تستطيع أن تقوم على قدميها أمام المعارف الحديثه لاشتمالها على الخرافات والترهات والباطيل فى أغلب الأحيان . . .

وفى هذه الصفحات ، نود أن نتكلم عن طغيان الكنيسة وتبدل الضمير الدينى عند رجالها المحتكرين ، لنرى كيف أصبحت هذه الديانة عوننا لقيام الاتحاد الحديث ، وكيف صارت غمولا بشما تطارد الناس فى يقتلتهم ومنامهم . . .

ومن يلقى على هذه الديانة نظرة فاحصة ، يجد أن الحال لم يكن معها خيرا مما كانت عليه اليهودية ، بل كان الأمر أدهى وأمر . . . لأنهم — بعد ما أن طمس "بولس" معالمها ، انتقلت الى الدولة الرومانية (١) و(٢) و(٣)

(١) هو بولس " القديس " من أعظم رجال المسيحية ، ولد فى طرسوس بآسيا الصغرى اسمه الاصلى (شاول) روماني الجنسية . درس فى القدس ونشأ نشأة يهودية متحمسا لأبيه ووطنه ، وكان يضطهد المسيحيين . . . كلف من قبل رئيس الكنيسة بالذهاب الى دمشق لمقاومة المسيحية سنة (٣٥) وفى طريقه يقول : أنه رأى بفتة نورا ساطعا وسمع صوتا يقول : " شاول شاول لم تضطهدنى ؟ فقال : من أنت يا رب ، فأجابه الصوت : " انه يسوع الذى تضطهده " . فأجاب شاول وذهب الى دمشق حيث نزل عند المسيحيين وانخرط فى مسلكهم . . . راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ٤٤٢ .

(٢) راجع معالم تاريخ الانسانية هـ و ويلز ج ٣ ص ٩٠٢ . ت : عبد الميزن توفيق جاويد ، القاهرة ١٩٦٢ هـ ولكن بتصرف طفيف .
(٣) راجع أيضا مقارنة الأديان المسيحية ، أحمد شلى ص ٧٥ — المرجع ايضا تاريخ الدعوة الاسلامية آدم عبدالله الأملوى ص ٣٢ .

الوثنية التي قد بلغت من الوثنية غايتها ، ومن الانحلال الخلقي والفساد الاجتماعي منتهاها (١) وفي هذا الجو الوثني ، بدأت هذه الديانة تنتشر في هذه الدولة حتى دخلت فيها الامبراطورية الرومانية بقيادة قسطنطين (الامبراطور) في سنة ٣٠٠ م . . . وكان دخوله فيها خيرا للنصرانية لانها ربحت ملكا عظيما ، ولكنها في الوقت نفسه خسرت دينا جليلا . . . لان الوثنية الرومانية مسخت دين المسيح ومسخت أهله . . . وكان قسطنطين اكثر الناس افسادا له ، بسبب ولائه لوثنيته الاولى . . .

انه دخل في النصرانية لا لتخضع الوثنية للنصرانية ولكن لتخضع النصرانية للوثنية الرومانية . . .

وفي هذا يقول الكاتب الأمريكي داربر في كتابه (الدين والعلم) :

(١) لقد ذكر المؤرخون الكثير من أخلاق الروم المنحطة : منها ما ذكره (سنيكا)

الفيلسوف الروماني الشهير (٤ ق م) يندب كثرة الطلاق ويشكو تفاقم خطبه بين بني جلدته فيقول :

" انه لم يعد الطلاق - اليوم - شيئا يندم عليه أو يستحي منه في بلاد الرومان ، وقد بلغ من كثرة وذيوع أمره ان جعلت النساء يعددن أعمارهن بأعداد أزواجهن .

وأغرب من ذلك ما ذكره القديس جيروم (٣٤٠ - ٤٣٠) عن امرأة تزوجت في المرة الأخيرة الثالث والعشرين من أزواجها . . . وكانت هي أيضا الزوجة الحادية والعشرين لبعليها . . . راجع التطور والثبات في حياة البشرية تأليف محمد قطب ص ٦٨ .

وكانت عندهم لعبة وحشية حيث يتجمعون اليها وينفقون في سبيلها بسخاء يتصارعون فيها بالسيوف والختاجر ، يشق بعضهم بطون بعض ويقطعون أوصال بعضهم . . . وسادات الرومان يشهدون ذلك بلذة وشغف . راجع جاهلية القرن العشرين محمد قطب ص ٣١ .

" دخلت الوثنية والشرك في الغصانية بتأثير المنافقين ، الذين تقلدوا وظائف خطيره ومناصب عالية في الدولة الرومانية ، لتظاهروهم بالنصرانية . ولم يكونوا يحفلون بأمر الدين ولم يخلصوا له يوما من الأيام . وكذلك كان قسطنطين (١) ، فقد قضى عمره في الظلم والفجور ولم يتقيد بأوامر الكنيسة الدينية الا قليلا في آخر عمره سنة ٣٣٧ ميلادية .

" ان الجماعة النصرانية ، وان كانت قد بلغت من القوة بحيث ولت قسطنطين الملك ولكنها لم تتمكن من أن تقطع دابر الوثنية ، وتقتلع جرثومتها . وكان نتيجة كفاحها ان اختلطت مبادئها ، ونشأ من ذلك دين جديد تتجلى فيه النصرانية ، والوثنية سواء بسواء - هنالك يختلف الاسلام عن النصرانية ، اذ قضى الاسلام على منافسه (الوثنية) قضاء تاما ونشر عقائده خالصة بغير غش .

" وان هذا الأباطور الذي كان عبدا للدنيا والذي لم تكن عقائده الدينية تساوى شيئا رأى لمصلحته الشخصية ولمصلحة الحزبين المتنافسين - النصراني والوثني - أن يوحدهما ويؤلف بينهما ، حتى ان النصراني الراسخين أيضا لم ينكروا عليه هذه الخطة ولعلهم كانوا يعتقدون أن الديانة الجديدة سيزدهر اذا طمست ولقحت بالمقائد الوثنية القديمة . وسيخلص الدين النصراني عاقبة الأمر من أديان الوثنية وأرجاسها " (٢) .

(١) قسطنطين : أباطرة رومان وبيزنطيون : قسطنطين الأول (الكبير)

(٢٨٨ - ٣٣٧) ابن قسطنطين الأول والقديس . راجع الموسوعة

العربية الميسرة ص ١٢٨١ .

(٢) راجع كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي -

ص ١٦٦ - ١٦٧ .

القرآن يذكر بعض انحرافاتهم

وقد ورد في القرآن الكريم بعض الاشارات الى هذه الانحرافات الخطيرة في الديانة النصرانية التي أفقدها الثقة على أن يعطى التفسير الالهي للوجود وحقيقة صلته بخالقه ، وحقيقة هذا الخالق وصفاته وحقيقة الوجود الانساني وغايته وطريقه . فلنقرأ الآيات التالية لتوضح لنا مدى انحراف هذه الديانة الغريبة .

* لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم . وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، وماواه النار وما للظالمين من أنصار *

* لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة . وما من اله الا اله واحد . وان ينتهوا عما يقولون ليمسّ الذين كفروا منهم عذاب اليم . أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ؟ ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظر أني يؤفكون . قل: أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا ؟ والله هو السميع العليم . قل : يا أهل الكتاب لا تغفلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل * (١) .

* وقالت اليهود عزير ابن الله . وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل . قاتلهم الله أني يؤفكون ؟ * (٢)

(١) سورة المائدة الآية : ٧٢ - ٧٧

(٢) سورة التوبة الآية : ٣٠

* واذا قال الله يا عيسى ابن مريم ، أنت قلت للناس ا اتخذوا نبيي
وأمي المهيمن من دون الله ؟ قال : سبحانك ! ما يكون لي أن أقول ما ليس
لي بحق . ان كنت قلته فقد علمته . تعلم ما في نفسي ولا أعلم
ما في نفسك انك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتني به : ان
اعبدوا الله ربي وربكم . وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم . فلما توفيتني
كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد . ان تعذبهم فأنهم
عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم * (١)

وهكذا نرى مدى الانحراف الذي دخل على النصرانية ، من جراء
تلك الملابسات التاريخية ، حتى انتهت الى تلك التصورات الاسطورية
التي دارت عليها الخلافات والمذاهب عدة قرون (٢) .

(١) سورة المائدة الآية : ١١٦

(٢) قال ابن القيم في كتابه القيم : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ،
مبينا أسباب هذا الانحراف فقال : " وما زال أصحاب المسيح بعده على
ذلك - على منهجه - قريبا من ثلاثمائة سنة ثم أخذ القوم ففسى
التفسير والتبديل والتقرب الى الناس بما يهون ومكايدة اليهود ومناقضتهم
بما فيه ترك دين المسيح والانسلاخ منه جملة . ثم قال : " وفي عهد
قسطنطين الرومى ابن هيلانة الحرانيه الخندقية ، وفي زمنه
بدل دين المسيح . وهو الذى أشاد دين النصارى المبتدع وقام به
وقعد . وكان عدتهم زهاء ألفى رجل فقرروا تقريرا ولم يرتضوه ثم اجتمع
ثلاثمائة وثمانية عشر رجلا منهم . والنصارى يسمونهم الآباء فقرروا ألوهية
المسيح " وهذا ما يسى في التاريخ مجمع نيقية في سنة ٣٢٥ ميلاديه .
راجع الكتاب المذكور ص : ١٥١ .

وهذه هي العقيدة الوثينة التي ثارت عليها أوروبا ، العقيدة التي
 شوهت معالمها منذ أول خطوة لها . . . وهؤلاء هم رجال الدين الكنسي
 الذين قدموا هذه الجناية على أنفسهم وعلى الدين وعلى البشرية ، والذين
 أتاحوا الفرص للملاحدة أن يكذبوا بجميع الأديان والمبادئ والقيم
 الأخلاقية بل بوجود الباري - سبحانه - أيضا . غير أن الأمر
 لم يقف عند تبليد الضمير الديني ، وفساد التصور الاعتقادي بل أضافت
 الكنيسة إلى ذلك بما يحزن منه القلب وتدمع منه العين . وهو بيع غفران
 الله بالصكوك . . . واليك تفاصيل ذلك :

صكوك الغفران

لقد قررت الكنيسة أن تمنح نفسها الحق في إعطاء صكوك الغفران ، في
 إحدى المجامع الكنسية الكثيرة التي كانت تجتمع بين الحين والحين وتفسير
 وتبدل وتحرف وتنشئ وتضيف ما تشاء " الأهرام " المقدسة " إلى
 العقيدة النصرانية . . .

إن مما أثار الممارسة الشديدة بين رجال الدين الكنسي وبين المفكرين
 في أوروبا هو التوسع في بيع صكوك الغفران . . . وابتدأ هذه الصكوك - كما
 أفاد بذلك د . عبد الحميد البطريق - يرجع إلى عام ١٣٠٠ م ^(١) عندما ابتكر
 البابا بونيفاس السابع (٧١١) () مرسوما بابويا مقدسا

(١) راجع كتاب التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمراتنا ، تأليف
 الأستاذ الدكتور عبد الحميد البطريق والدكتور عبد العزيز نوارس ٩٣ -
 دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ص ب ٧٤٩ .

يعرف بالغفران (Indulgence) (١) ويقضى بأنه اذا اعترف شخص
اعترافا كاملا بذنوبه وتبرا وندم ندما حقيقيا على خطاياہ فانه يتخلص من
عقاب الآخرة . ولكي يحصل على هذه المغفرة عليه أن يدفع لقاء ذلك هبة
مالية . . . وعلى هذا أفرط رجال الدين في اعطاء حق بيع الغفران افراطا
شديدا . وأنشأوا له صكوكا تباع وتشترى . فباعوها كأنها عرض من أعراض
الدنيا ، ومتعة من متعها . وبذل المعاة في سبيلها المال الكثير . وفي
هذا يقول العلامة ابن القيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ :
(٢)

" وليس عندهم على من زنى أو لاط / حد في الدنيا أبدا ولا عذاب في
الآخرة لأن القس والراهب يغفر له . فكلما أذنب امرؤ ذنبا أهدي
للقس هدية أو أعطاه درهما أو غيره يغفر له . وإذا زنت امرأة أحدهم
بيتها عند القس ليطيبها له ، فإذا انصرفت من عنده وأخبرت زوجها
أن القس طيبها ، قبل ذلك منها وتبرك " (٣) .

-
- (١) الأصل في نشأة هذه الصكوك ، هي فكرة الاعتراف أمام القسيس لقبول توبة
المعترف الذي لا يدخل الجنة في الحال بعد موته . بل يمضي فترة
من الزمن فيما يسمى بالمطهر الذي يقضى فيه المذنبون حكم الله بالعذاب
الى أن يتطهروا من ذنوبهم ولتخفيف عذاب المطهر ، ابتكرت الكنيسة صكوك
الغفران التي كانت موردا ماليا در عليهم أموالا كبيرة جعلها تتفالى في
إباحة بيعها حتى لمن يريد غفران خطاياہ القادمة في مستقبل أيامه .
راجع التاريخ الأوربي الحديث ، د . عبد الحميد البطريق ص ٩٤ .
(٢) راجع كتاب هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ص ١٤٢
(٣) الدارس لكتاب حرية الفكر ، يجد فيه أن الكنيسة أباحت لنفسها حقوقا
كثيرة منها حق التحلة فهو حق خاص يبيع للكنيسة أن تخرج عن تعاليم
الدين وتتخلي عن الالتزام بها متى اقتضت المصلحة . راجع كتاب حرية
الفكر تأليف سلامة موسى ص ٥٦ .

وهذا نص صك الغفران ، الذى كان يباع ببيع السلمة !

" ربنا يسوع يرحمك (يا فلان) ويحك باستحقاقات الآم الكلية القداسة . وأنا بالسلطان الرسمى المعطى لى ، أحلك من جميع القصاصات ، والأحكام والطائعات الكنسية التى استوجبتها وأيضا من جميع الافراط والخطايا والذنوب التى ارتكبتها - مهما كانت عظيمة وفظيمة - ومن كل علة - وان كانت محفوظة لا بينا الاقدس البابا والكرسى الرسمى - وأمحو جميع أقدار الذنوب ، وكل علامات الملامة ، التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه الفرصة . وأرفع القصاصات التى كنت تلتزم بمكابدتها فى المطهر وأدرك حديثا الى الشركة فى أسرار الكنيسة ، وأقرنك فى شركة القديسين . أردك ثانية الى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند محموديتك ، حتى أنه فى ساعة الموت يفتح أمامك الباب الذى يدخل منه الخطاة الى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذى يؤدى الى فردوس الفرح . وان لم تمت سنين مستطيلة ، فهذه النعمة تبقى غير متغيرة حتى تأتى ساعتك الأخيرة . باسم الأب والابن والروح القدس " .

هذه صورة صك الغفران تذكر أنها تمحو الآثام ، وتغفر ذنوب الماضى ما تقدم منها وما تأخر ، تفسله من ذنوبه الماضية حتى يصير طاهرا ، ثم لا يصير قابلا لأن تؤثر فيه الذنوب مهما يرتكب من خطايا ومهما ينغمس فى المعاصى ، كأن ذلك الصك جوازا للمرور الى النعيم القيم لا يعوق حامله عاق ، ولا يردده عن الوصول خازن أوحارس .

(١) راجع كتاب محاضرات فى النصرانية . للاستاذ الشيخ أبوزهرة ص ٢٠٦ -

الطبعة الخامسة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م : دار الفكر العربى .

ان هذه المسألة - كما قلنا - كان لها أثر في الفكر المسيحي ، وبسببها وغيرها تقدم المصلحون في جراءة ، داعين الى اصلاح الكنيسة بالحسنى أو بخير الحسنى . ترتب على ذلك ظهور المذهب "البرتستانتي" على يد المصلح الكبير "مارتن لوثر" وأمثاله . فأرادت الكنيسة أن تقضى على هذه الحركة اللوثرية ، بأن أصدر البابا (لويس العاشر) قرار الحرمان من الكنيسة ضد لوثر (ديسمبر ١٥٢٠) وكان رد (مارتن لوثر) أن أحرق قرار البابا علانية أمام الناس . لذا اعتبر (مارتن لوثر) خارجا على القانون وحكم عليه باهدار دمه . ورغم ذلك استمرت الحركة في طريقها حتى جاء رجلا عظيمي وهما : أولبرخ زونجلي (١٢٨٤ - ١٥٣١) و جون كلفن (١٥٠٩ - ١٥٦٤) وكان لهما أثرهما الفعال في توجيه حركة الاصلاح . (١)

مسألة الاستحالة

ان الكنيسة لم تكف بهذه المهزلة ، مهزلة صكوك الغفران ، بل أضافت اليها شيئا آخر مستحدا ما جاء به الكتاب المقدس عندهم وما تعرض لــــه النصارى الأولون ولا المجامع المقدسة الأولى ، وهو مسألة الاستحالة . وهي مسألة تتقزز منها النفوس (٢) ولذا كانت هي أيضا إحدى الحالات التي ثار عليها مارتن لوثر وكالفن وزونجلي فيما يسمى بالاصلاح الديني (٣) قصتها كما يلي :

(١) راجع عرضا كتاب التاريخ الأوربي الحديث . الدكتور عبد الحميد البطريق والدكتور عبد العزيز نوار ص ١١٠

(٢) أنظر التعصب والتسامح ، محمد الفزالي ص : ٩٠

(٣) راجع الكتاب المستقبل لهذا الدين ، سيد قطب : ص ٤٨

" أن المسيحيين يأكلون يوم الفصح خبزا ويشربون خمرًا ويسمون ذلك
الحشاء الرباني ، ولقد زعمت الكنيسة أن ذلك الخبر يستحيل إلى جسد المسيح ،
وذلك الخمر يستحيل إلى دم المسيح المسفوك . فمن أكلهما وقد استحالا هذه
الاستحالة فقد أدخل المسيح في جسده بلحمه ودمه " (٣) و(٤)

فلا غرابة إذن أن يثور الثائرون على هذه العقيدة الغريبة التي لا يستطيع
العقل البشري أن يستسيغها بيسر وسهولة بل لا يستطيع أن يستسيغها قط . .
وإن الكنيسة فرضت على الناس قبولها ومنعتهم من مناقشتها ولا عرضها للطرد
والحرمان .

هذه هي القاصمة

ثم لم تكف حماقة الكنيسة بهاتين المسألتين الغريبتين على العقل البشري
بل اتبعتهما بأمثالهما في الكون والحياة ، فادعت آراء ونظريات جغرافية
وتاريخية وطبيعية مما كان سائدا في عصرها مليئة بالأخطاء والخرافات
عن الكون وما يحويه ، وعن الحياة والإنسان . . وجعلتها مقدسة لا تجوز
مناقشتها ولا تصحيحها ولا تجربتها ولا القول بسواها لأنه قد سادت في أفكار
الناس - آنذاك - النظرية القائمه بأن الباطل اخل الله في الأرض . .

وكانت هذه هي القاصمة لأنها الباطل الذي يسهل على التجربة بيان
بطلانه وكشف زيفه ولأنها المنطقة التي أطلق فيها العقل الإنساني ليرتادها
ولم يفرض عليه منها نظرية معينة . .

-
- (١) راجع أيضا كتاب محاضرات في الفهرانية ، للشيخ أبنة زهرة ص ٢٠٤ .
(٢) راجع كتاب المسيحية للدكتور محمود الشلبي ص : ٦٦ الطبعة الثانية (١٩٦٥)

واليك نموذجاً بسيطاً من هذه النظرية المسيحية آنذاك !
 وبرجوع سريع الى كتاب معالم تاريخ الانسانية ، نجد فيه أن الفلسفة المسيحية
 كانت تشتمل على معلومات تفصيلية عن الكون تقول : " ان الله خلق العالم ابتداءً
 سنة ٤٠٠٤ ق م وتبع ذلك بخلق الانسان في جنة عدن على مسيرة يومين
 من البصرة بالضبط " والمعجب أن هذه النظرية المسيحية ظلت مستمرة
 حتى مطلع القرن التاسع عشر فقد طبع كتاب الأسقف (آثر) الذي يحمل هذه
 النظرية سنة ١٧٧٩ م .
 (١)

ومن الطرائف أن مجلساً كنسياً كان قد أعلن في بداية القرن العاشر
 للميلاد أن القرن الأخير من حياة العالم قد استهل لأن الله قد جعل
 المدة بين انزال ابنه ونهاية العالم الف سنة فقط " (٢) .

المسيحية والطوفان

ان المسيحيين لم يكتفوا بهذه الروايات المتضاربة بل أيدوها أيضاً
 بمعلومات بشرية تؤكّد أن الطوفان كان عالمياً واليك شيئاً من ذلك :
 يقول (نورس أندرسون) وهو يؤيد عالمية الطوفان :

" وبما أنه حدثت طوفانات محلية كثيرة منذ أيام نوح . . . فان علامة
 العهد التي وضعها الله تكون فلا معنى اذا لم يكن طوفان نوح عالمياً
 في مداه " (٣) .

-
- (١) انظر معالم تاريخ الانسانية هـ ج ويلز ج ١ ص ١٦
 (٢) انظر قصة الحضارة ، ول ديورانت ، ت : محمد بدران ، القاهرة ١٩٥٧ م
 (٣) الانسان هل هو متطور او مخلوق ، نورس أندرسون ص ٣٩ .

ثم قال : " (نحن نعتقد) أن الطوفان كان عالميا في مداه .. وذلك
استنادا على اكتشافات ومشاهدات علمية مختلفة ، نقدم منها العينة القليلة
الآتية :

أ - تحتوى بعض طبقات الصخور ذات اللون البنى الموجودة فى ألمانيا
على نباتات دفنت فى الأرض على الفور . ولكنها جاءت من خطوط
العرض .. وحفريات حيوانية مختلفة لقرود وتماسيح وحيوانات جرابيه وخطايات
من آسيا ، وطيور استرالى ونسر امريكى . وأيسط تفسير لهذه المجموعه
غير العاديه هو أن الطوفان اكتسح هذه النباتات المختلفه الى مكان واحد
حيث ضغطت نتيجة للتحركات العظيمه للقشرة الأرضيه .

ب - ان الطرق الاشعاعية لتحديد التاريخ قد أثبت أن عمر النفط فى خليج
المكسيك لا يتعدى الاف السنين ، وليس ملا بين السنين كما كان الاعتقاد
سابقا . فان كان عمر النفط الاف فقط ، فلا بد ان يكون قد تكون بفترة
(ربما بفعل الطوفان) بدلا من تكوينه ببطء فى عصور طويله من الزمن
كما يعتقد أغلب الجيولوجيين .. (١)

هذه كانت بعض أدلة المسيحيين فى كون الطوفان عالميا وأنه
وقع فى المدة التى حددتها التوراة

ولكن هذه الاكتشافات لا يمكن بحال من الأحوال أن تتخذ دليلا
على صحة مقررات الدين ، لأن علوم الانسان فى تطور دائم لا تثبت على
حالة مستمرة .. فمن بنى دينه على هذه المعلومات فكأنما بنى بيته على
الرمال .. ومع ذلك جعلت الكنيسه المعتمدية أمثال هذه المعلومات

معلومات مقدسة لا يجوز الخروج عنها .. فأنشئوا محاكم التفتيش التي
تعاقب كل من يخرج عن تعاليمها ..

فكان ذلك إحدى الحالات التي ثار الملاحدة ضدها ثم ضد
فكرة التدين نفسها ..

فاجتهدت الكنيسة في هذا العمل الاجرامى البغيض أن لا تدع فى
العالم النصرانى عرقا نابضا ضد الكنيسة ، وأحصت على الناس الانفس
وناقشت عليهم الخواطر حتى يقول عالم نصرانى :

" لا يمكن لرجل أن يكون مسيحيا و يموت حتف أنفه " (١)

ثورة رجال النهضة

هناك عيل صير المتنورين .. لأن ذلك وقع فى عصر انفجرت فيه
بركان العقلية فى أوربا ، فزيف العلماء هذه الخرافات وانتقدوا الكتب المقدسة
فى صراحة وصراحة واعتذروا عن عدم اعتقادها والايان بها .. وأعلنوا اكتشافاتهم
واختباراتهم . فقامت قيامة الكنيسة كما قلنا . واستحل رجالها دماء العلماء
وأموالهم فى سبيل الدين المسيحى وأنشأوا محاكم التفتيش التي تعاقب - كما
يقول البابا :

" أولئك الملحدون والزنادقة الذين هم منتشرون فى المدن
والبيوت والأسراب والغابات والمفارات " (٢) .

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوى ص ١٢٦

(٢) المرجع السابق ص ١٢٥ .

الكنيسة تضطهد العلماء

ويقدر - كما ورد ذلك في كتاب ماذا خسر العالم بالخطايا المسلمين - عدد من عاقبت هذه المحاكم بثلاثمائة ألف • أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفا أحياء كان منهم العالم الطبيعي المعروف " برونو " نمت منه الكنيسة آراء - أشدها قوله بتعدد العوالم ، وحكمت عليه بالقتل ، واقترحت بأن لا تراق قطرة من دمه • وكان ذلك يعني أن يحرق حيا ! وكذلك كان ! وكذلك عوقب العالم الطبيعي الشهير " جاليليو " بالقتل لأنه كان يعتقد بدوران الأرض حول الشمس (١) •

وما يذكر في هذا أن أحد العلماء واسمه " بيلاد " كان له رأى فى تفسير خطيئة آدم خالف به رأى الكنيسة فقال : ليست حياة المسيح وصلبه وما لاقى فى ذلك من تعذيب سبيلا لا رضا الله وانزال عفوه عن خطيئة الانسان فغفوا الله أيسر من ذلك وأقرب ، وانما لاقى المسيح ما لاقى اعلانا لما يكنه قلبه من حب الله وعسى أن يثير فى الناس عاطفة الشكر وعرفان الجميل فيعيدهم الى طاعة الله • ولكنه ما ان قال ذلك القول حتى انمقد مجلس محاكمته ، فكان نصيب كتابه التحرييق • ونصيبه السجن الدائم حتى وافته منيته • (٢) •

(١) راجع كتاب ماذا خسر العالم بالخطايا المسلمين ، ابو الحسن الندوى ص

(٢) محاضرات فى النصرانية ، أبوزهرة ص ٢٠٠

راجع ايضا الاسلام والنصرانية لمحمد عبده ص ٢٧

راجع ايضا تاريخ الدعوة الاسلامية آدم عبد الله الألوورى ص ٤٠

الاتاوات المالية

لقد فرضت الكنيسة لنفسها سلطانا على الجماهير ، استغلته أبشع استغلال
في فرض الاتاوات المالية الباهظة التي تجبى اليها مباشرة مما جعل الناس
يثنون تحت هذا الارهاق . والآ ن الكلمة للراهب جرم (Jarum)
ليصور لنا ما كانت عليه البابوية من ترف وأكل أموال الناس بالباطل وانحطاط
خملقى :

" ان عيش القسوس ونعيمهم كان يزرى بترف الأُمراء والأغنياء المترفين
وقد انحطت أخلاق البابوات انحطاطا عظيما واستحوذ عليهم الجشع وحسب
المال ، وعدوا طورهم ، حتى كانوا يبيعون المناصب والوظائف كالسلع ، وقد
باع بالمزاد الحلنى ويؤجرون أرض الجنة بالوثائق والصكوك وتذاكر الغفران ،
ويأذنون بنقض القانون ويمنحون شهادات النجاة وإجازات من المحرمات والمحظورات
كاوراق النقد وطوابع البريد ، ويرتشون ويرابون . . . وقد بذروا المال تبذيرا
حتى اضطر البابا (انوسنت) الثامن ، أن يرهن تاج البابوية ، ويدعى
البابا (ليوالماشر) أنه انفق ما ترك البابا السابق من ثروة وأموال . وأنفق
نصيبه ودخله وأخذ ايراد خليفته المرتقب سلفا وأنفقه او يروى أن مجموع
دخل ملكة فرنسا لم يكن يكفى البابوات لنفقاتهم وأرضاء نفوسهم .

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوى ص ١٢٣

نقله عن كتاب : Conflict of Religion, And Science

(٢) المستقبل لهذا الدين ، سيد قطب ص ٤٣

فرض سلطانها على الملوك

بالفت الكنيسة - كما رأيت - في شدتها ولم ينج حتى الملوك من طغيانها . لقد صار البابوات غير خاضعين بأي نوع من أنواع الخضوع لأي ملك من الملوك وعلى النقيض من ذلك ان البابا له سلطان على كل ملك ، لأنه مسيحي وله السلطان الكامل على كل المسيحيين . ولأن البابا خليفة لبطرس الرسول ، وبطرس الرسول أقامه المسيح رئيسا على الحواريين من بعده ، فالبابا على هذا الاساس خليفة للمسيح ينطق باسمه ويتكلم بخلافته وينفذ بسلطانه ومن خرج عن طاعته فقد خرج عن طاعة المسيح وحارب دينه لأنه - كما قلنا - ظل الله في الأرض .

ونذكر للقارى على سبيل المثال الأمثلة التالية تبين مدى طغيان الكنيسة وحقاقتها :

١ - قرارات الحرمان تنال الملوك :

فقد جاء في كتاب سوسنة سليمان : المجمع الثالث عشر انعقد في ليون من أعمال فرنسا سنة ١٤٥٥ بأمر البابا " اينوسنت " لأجل عزل فريدريك ملك فرنسا وحرمانه " (١) .

٢ - اشتداد النزاع والمنافسة بين البابوية والامبراطورية :

وكان ذلك في القرن الحادى عشر حيث انتصرت فيها البابوية أولا حتى أن هنرى الرابع مثل الامبراطورية اضطر سنة ١٠٧٧م أن يتقدم بخضوع نحو البلاط البابوى في قلعة كانوسا ولم يسمح له البابا بالدخول الا بعد أن شفع له الرجال بالمثل بين يديه فدخل الامبراطور صاغرا حافيا لا بسا الصوف وتاب على يديه

(١) محاضرات في النصرانية ، أبوزهرة ص ٢٥

٣ - الخضوع المذل لرجال الدين :

بلغ الخضوع المذل لرجال الدين ، الى حد المسجود في الأرض الموحلة بالطين عند مرور أحد رجال الكهنوت ، وفوق ذلك ، راحت الكنيسة تفرض على الناس ضرائب مالية كما قلنا - وتحصيله - (٢) فالحشور والاتاوات والعمل المجاني في أراضي الكنيسة الاقطاعية ، والتجنيد في جيوشها التي تحارب بها الملوك والمصاة وتؤدبهم . . . ذلك لون من طغيان الكنيسة وسلطانها المفروض على العباد . . . لم ينج اذن الملوك من قرارات الحرمان والطرده .

٤ - وقوف رجال الدين في صفوف الظلمة ضد الشعب الكادح : الذين فرضت

عليهم حقوق غير مفهومة . مثل حق الصيد للنبل ، وبيع الوظائف عليهم والامتيازات الضرائبية والاقطاعية وغير ذلك من الحقوق التي كانت للطبقة الارستقراطية (النبلاء ورجال الدين) .

وتلك " بعض " انحرافات الكنيسة التي قامت بها في العصور الوسطى في أوروبا زد على ذلك أن الكنيسة الأوربية كانت قيمة على الجبريل وحريصة عليه ، فلما ثار عليها ثائرون فما كان من الكنيسة الا أن تحافظ على جبريلها ليضمن لها استئانة الجماهير لسلطانها الطاغى . فبدأت تحارب العام - كما رأينا - وكان أمرا طبيعيا أن تقوم " الحركة " في أوروبا على غير أساس الدين كان أمرا طبيعيا من جميع الوجوه .

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي ص ١٢٣ .

(٢) راجع كتاب جاهلية القرن العشرين ، محمد قطب ص ٣٤

راجع كتاب معركة التقاليد للمؤلف ص ١٤

راجع كتاب التطور والثبات للمؤلف ص ١٦ - ١٧

راجع كتاب تاريخ أوروبا العصور الوسطى : ١/١٧١ أعده فشرهت / مصطفى زيادة مصر ١٩٦٦ م

فالدين كما تصورهم الكنيسة الأوربية وصورته للناس كان يمثل الثبات المطلق في جميع الأمور . وقد تحولت هذه الديانة من معنى الرحمة كما رأيناها مع الملوك والطبقة الكادحة والعلماء الباحثين ، قد تحولت الى سلطان دنيوى قاهر مذل (١) و (٢) .

من طفيان الكنيسة هذه الرهبانية العاتية

لقد ابتدعت الكنيسة رهبانية ضد الترف الرومانى ولكن رجال الدين الكنسى ما رعوها حق رعايتها . . لديها كانت شرا على الانسانية والمدنية من بهيمة رومة الوثنية . .

وقد تخطت هذه الرهبانية المبتدعة حدود القياس . . وكان من أهم نتائجها أن تزلزلت دعائم الحياة الاجتماعية وأصبحت المدنية بحكمهم ورهبانيتهم فى صميمها ، فلم يتضاعف عدد سكان انكلترا فى (خمسمائة سنة) ولم يتضاعف عدد سكان القارة الأوربية فى (الف سنة) (٣) . وعمت القسوة على الأقارب . . فكان المرهبان الذين تفيض قلوبهم حنانا ورحمة وعيونهم من الدمع ، تقسو قلوبهم وتجمد عيونهم على الآباء والأمهات والأولاد فيخلفون الأمهات ثكالى والأزواج أيتام والأولاد يتامى عالة يتكفون الناس ، ويتوجهون قاصدين الصحراء . . همهم الوحيد أن ينقذوا أنفسهم فى الآخرة لا يبالون ماتوا أو عاشوا . . وحكى ليكى فى كتابه تاريخ أخلاق

(١) قصة الحضارة ، ول ديورانت ، ت/ محمد بدران ، القاهرة ١٩٥٧ م ٣٥٢ / ١٤

(٢) أما البابا الطاغية (جريجورى السابع) فقد أعلن أن الكنيسة بوصفها نظاما الهيما خليفة بأن تكون صاحبة السلطة العالمية . . راجع المصدر السابق

ج ٣٩٤ / ١٤ + وفشر ١٤٧ / ٢

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوى ص ١٧٤

أوربا ما يحزن القلوب ، يقول فيه مايلي :

" زاد عدد الرهبان زيادة عظيمة ، وعظم شأنهم واستفحل أمرهم واسترعوا الأنظار وشغلوا الناس ، ولا يمكن الآن احصاؤهم بالدقة ، ولكن مما يلقي الضوء على كثرتهم وانتشار الحركة الرهبانية ما روى المؤرخون أنه كان يجتمع أيام عيد الفصح (خمسون ألفا من الرهبان) .

وفي القرن الرابع المسيحي كان راهب واحد يشرف على (خمسة الاف راهب) .. وكان الراهب (سرايين) يرأس (عشرة الاف) .. وقد بلغ عددهم في نهاية القرن الرابع عدد أهل مصر .. " (١) .

جناية الرهبان على أنفسهم

لقد أصبح تعذيب الجسم تقربا الى الله في هذه الديانة المجيبة . روى المؤرخون من ذلك ما تمجه الأسماع و تستنكره الطبيعة الانسانية ..

قالوا : ان الراهب ماكاريوس (Makarius) أنه نام ستة أشهر في مستنقع ليقصر جسده العارى ذباب سام .. وكان يحمل دائما قنطار من حديد ..

(١) اقرا تاريخ أخلاق أوربا " ليكي "

(Lecky: History of European Morals)
Chapter 14

نقلا عن كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوى

وكان صاحبه المراهب يوسيبس (يحمل
 نحو قنطارين من حديد .. وقد أقام ثلاثة أعوام في بئر نزع ، وقد
 عبد الراهب يوحنا) ثلاث سنين قائما على رجل
 واحدة ولم ينم ولم يقعد طول هذه المدة . فاذا تعب جدا أسند ظهره الى
 صخرة .

و كان بعض الرهبان لا يكتسبون دائما ، وانما يتسترون بشعرهم
 الطويل ويمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام ..
 وكان أكثرهم يسكنون في مغارات السباع والأبواب النارحة والمقابر ،
 ويأكل كثير من الكلاب والحشيش .

وكان أزهد الناس عندهم وإتقاهم أبعدهم عن الطهارة وأغلبهم
 في النجاسات والدنس .

يقول الراهب (اتهميس) : ان الراهب (أنتوني) لم يقترب اثم غسل
 الرجلين طول عمره .. (١)

وكانوا يفرون من ظل النساء ويتأثمون من قريبهن والاجتماع بهن ، وكانوا
 يعتقدون أن مصادفتهم في الطريق والتحدث اليهن ولو كن أمهات
 وأزواجا أو شقيقات تحبط أعمالهم وجهودهم الروحية " (٢) . وروى
 المؤرخون الشيء الكثير من ذلك .

ان هذه الرهبانية كما رأينا فلا شك أن تكون سببا من أسباب الالحاد
 في أوروبا الحديثة .. لأنها شيء فوق مقدور الانسان ..

(١) المرجع السابق ص ١٦٨

(٢) المرجع السابق ص ١٦٩

من طفيا ن الكنيسة غيا ب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم

عن الأناجيل الأربعة

لقد قال القرآن الكريم بشكل قاطع أن المسيح ، قبل أن يصعد إلى السماء أخبر حواريه بأن الله تعالى سيرسل اليهم وسيطاً آخراً ينوب عنه في ابلاغ رسالة الله وهو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

فقال تعالى : ﴿ ٠٠٠ ﴾ ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴿ ٠٠٠ ﴾ (١)

هل حافظت الأناجيل على هذه الوصية الهامة التي تعتبر بحق خلاصة

دعوة المسيح عليه السلام ؟ أم حذفتها أو حذفوها ؟

فلا - بد - اذن - من رجوع الى دراسة الأناجيل الأربعة :

ان الدارس للأناجيل الأربعة للبحث عن هذه الوصية يخرج منها -

بالنتائج التالية :

١ - ان الأناجيل الثلاثة (انجيل لوقا وانجيل مرقس وانجيل متى)

لا يوجد فيها أثر لهذه الخطبة التي عليها مدار مسائل أساسية في المسيحية .

٢ - ان الذي ذكرها هو انجيل يوحنا وحده . . . واليك نصها -

من انجيله بالترجمة المسكونية :

" اذا كنتم تحبونني فستعلمون على اتباع أوامري ، وسأصلي للأب الذي

سيمطيكم " *paraklet* . (٢) (براكليت) .

" رحيلي فائدة لكم ، لأنني اذا لم أرحل فالـ "

لن يأتي اليكم ، وعلى العكس فاذا رحلت فسأبعث به اليكم ، وهو بمجيئه -

سيذهل العالم فيما يخص الخطيئة والعدل والحكم . . . " (٣) .

" عندما سيأتي روح الحقيقة ، فسيجعلكم ترقون الى الحقيقة بكاملها لأنه لن

يتكلم بأرادته وانما سيقول ما يسمع وسيعرفكم بكل ما سيأتي وسيمجدني " (٤) .

(١) سورة الصف آية : ٦

(٢) انجيل يوحنا بالترجمة المسكونية (١٤ ، ١٥ - ١٦)

(٣) = = = = (١٦ ، ٧ - ٨)

(٤) = = = = (١٦ ، ١٣ - ٤)

نقلا عن كتاب دراسة الكتب المقدسة ، موريس بوكاي ص ١٢٥ - ١٢٦ .

فما معنى هذه الكلمة (paraclet) (براكليت) ؟

لقد اختلف المسيحيون في تحديد معناها • فكل فريق منهم فسرّها حسب ما يتناسب مع رغباته •

ان الذين يعتقدون أن المسيح هو آخر من يرسل من عند الله ، فسروا الكلمة بمعنى " الروح القدس " •

فقالوا ان الروح القدس هو الذي سينزل بعد رفع عيسى الى السموات ، ويذكّرهم كل ما نسوا من تعاليم المسيح • وحملوا على الروح القدس كل الصفات الواردة في هذه الوصية ••• من الكلام والسمع وتكوين المجتمع المثالي لبنى البشر على ظهر هذه البسيطة ••

واليك ما يقولون في معنى الكلمة ••

كاتب انجيل يوحنا جعل المسيح يقول :

" ال (paraclet) هو الروح القدس الذي سيرسله الاب

باسمى سـيـلـفـكم كل شـئ " وسـيـجـعلـكم تـتـذكـرون كل ما قلت لكم " (١)
" هو نفسه يشهد " (٢) •

ويعطينا " المعجم الصغير للعهد الجديد " للأب تريكو (Tricot)

معنيين لهذه الكلمة ، الا أنه يؤيد معنى (الروح القدس) •• فهو

يقول : " هذا الاسم أو هذه الصفة المنقول من اليونانية الى الفرنسية غير

مستخدم في العهد الجديد الا في انجيل يوحنا ، فهو يذكر الكلمة

أربع مرات عند سرده لخطاب المسيح بعد المساء الأخير •• (٣)

ثم بيّن مراده من الكلمة فقال : " ان الكلمة تنطبق على (الروح القدس) (٤) •

(١) انجيل يوحنا بالترجمة المسكونية (١٤ ، ٢٦)

(٢) = = = = (١٥ ، ٢٦)

(٣) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، موريس بوكاي ص ١٢٦

(٤) الواقع أن المسيح ، في قول يوحنا ز يلقى خطابه الطويل في أثناء وفيه يتحدث عن ال (paraclet) وهو خطاب لم يسرده المبشرون الآخرون ••

ثم أضف قائلا :

" لقد كانت كلمة (paraclet) سائدة لدى اليهود الهلنستين في القرن الأول بمعنى " الوسيط أو المدافع " ^{يقول} اذن لهذه الكلمة معنى - ان : أولهما : (الوسيط) • وثانيهما : (الروح القدس) وبعد ذلك يخلق بقوله :

" فالمسيح يعلن ان الروح سيرسل بالآب والا بن في دوره الانقاذى الذى يؤديه فى أثناء حياته الفانية على الأرض وذلك لصالح تلاميذه وان الروح القدس يتدخل ويعمل كبديل للمسيح باعتباره (paraclet) أو وسيط قادر على كل شئ " (١) .

يفهم من هذا التعليق أن الروح القدس هو الذى سيأتى بعد ما يرفع عيسى الى السماء مرشدا أسى للبشرية جمعاء ••• ويتدخل فى الشؤون الاجتماعية ويقدم حلولاً لجميع المشكلات الانسانية •

يا ترى فهل هذا الشرح يتفق مع نص يوحنا ؟

نقول بدون تأخير بأن نسبة الصفات الواردة فى انجيل يوحنا ، الى الروح القدس نسبة غير محقولة ••• بل تنطبق على الروح القدس لما يأتى :

ان الـ (paraclet) الذى رأيناه فى نص يوحنا لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون الا كائنا بشريا مثل المسيح ، يتمتع بحاستى السمع والكلام •• وهما الحاستان اللتان يتضمنهما نص يوحنا بشكل قاطع ••

فيكون تفسير الخطبة على النحو التالى :

" ان المسيح يصرح بان الله سيرسل - فيما بعد - كائنا بشريا على هذه الأرض ليؤدى الدور الذى عرفه " يوحنا " أى وسيطا بين الله وبين خلقه •• انه دور نبي من بنى آدم • وليس هو دور الروح القدس الذى

(١) المرجع السابق ص ١٢٧ •

لا يتصل بالناس الا عن طريق الالهام ان صح هذا التعبير ؟

النبي هو الذى يتكلم ويسمع ويذكر الناس ويكرر رسالة عيسى على مسامح

الناس ويكون المجتمع المثالى المبني على العدل ...

يا ترى ، هل بعد ما رفع المسيح فعل الروح القدس المزعوم شيئا من

ذلك ؟ هل كَوْن مجتمعا يربى أفراداه ؟ وأتى بكتاب يصدق الانجيل ؟

لا والله ! ان الروح القدس لم - ولدن - يستطيع أن يفعل شيئا من ذلك

لأن الأرواح المجردة من المادة لا تتصل بالناس اتصالا ماديا ..

ونحن نتحدثهم في ذلك .. هل في استطاعة احد من المسيحيين أن يثبت

ثبوتا قطعيا أن " الروح القدس " المزعوم كَوْن مجتمعا انسانيا بعدما رفع

المسيح ؟ هل كان تلاميذ المسيح يلتفون حوله لاستماع رسالات الله كما

كانوا يفعلون ذلك في أيام عيسى عليه السلام ؟؟

هل جاء هذا الروح القدس المصطنع بكتاب آخر غير الانجيل يذكر

الناس فيه تعاليم المسيح التى نسبت * ويمجد المسيح وينفى عنه جميع

الشبهات التى أثبتت حوله ؟

والجواب لا ! اذن ان (paraclet) (براكليت) الذى

تحدث عنه انجيل يوحنا (١٦ ، ١٤) بقوله : " سأصلى لله وسيرسل لكم

(paraclet) آخر " ، وهو شئ آخر غير الروح القدس المزعوم ..

لأن الصفات التى حددتها هذه الوصية ، صفات انسان مثل المسيح ، سيكون

وسيطا بين الله وبين خلقه ، سيرسله في صالح البشر في اثناء هياتته

على الأرض ..

فلنسأل التاريخ الانسانى العام بالسؤال التالى :

هل جاء بعد المسيح ، وسيط بين الله وبين خلقه استطاع أن يكون مجتمعا

مثاليا غير محمد صلى الله عليه وسلم ؟

هل جاء احد بعد ه يكرر رسالات السماء السابقة على مسامح البشر غير
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؟ الجواب عند المسيحيين .. فان ام يأتوا
بجواب حاسم نقول لهم :

ان التفسير المنطقي للنص يوحنا هو ان الله سيرسل رسولا من البشر مثل
عيسى يقوم بالدور الذي قام به عيسى من تربية الناس و ردهم الى توحيد الله
هو وجل . ولان لكون من المبشرين ه ان قلنا ان المسيحيين حرقوا معنى
هذه الكلمة حاجة في نفوسهم ! وهي اعتقادهم أن عيسى هو الله
رسل الله وأنبيائه . لا أنهم يعرفون جيدا أن الكلمة ان بقيت على أصل معناها
وهو (الوسيط) لفهم الناس مجيء رسول آخر بعد عيسى يؤدي نفس الدور
الذي كان يؤديه .. فلذا حرقوا معنى الكلمة فقالوا انه هو " الروح
القدس " الذي لا يرى ولا يخاطب .

وبعيد هذه المناقشة المبررة مع كاتب انجيل يوحنا الذي أثبت هذه
الخطبة في انجيله مع تحريف المعنى الصحيح ؟ نود الآن أن نوجه
أسئلة الى المسيحيين جميعا والى كتاب الاناجيل الثلاثة (انجيل متى وانجيل
لوقا وانجيل مرقس) بصفة خاصة . فنقول لهم :

كيف يمكن أن نشج الغياب التام (في اناجيل متى و مرقس ولوقا) لرواية
الوداع المؤثر الذي يحتوى على وصية المسيح الروحية ؟

هل كان النص موجودا اولا عند المبشرين الثلاثة الاولين ؟

ألم يحذف من أناجيلهم فيما بعد ؟

ولماذا ؟

وانقل فورا انه لا يمكن الاتيان بأية اجابة ..

انما ثغرة في رواية المبشرين الثلاثة ...

انما ثغرة كبيرة حيث خلت أناجيلهم من آخر حديث للمسيح وهو يتحدث
عن مستقبل البشرية بروحها .. معطيا ارشاداته وأوامره ومعددا بشكل نهائى

المرشد الذي على الانسانية أن تتبعه بعد اختفائه ..
انه لغريب جدا وبعيد عن الاحتمال أن ثغيب هذه الوصية عن مرقس
ومتى ولو قايلاً

فإذا قالوا ان هذا النص كان موجوداً عندنا ثم نسيناه .. نقول لهم
كما قال تعالى : * ونسوا حظاً مما ذكروا به *

فأناجيلهم اذن ناقصة .. لا تصلح أن تكون كتاب دين صحيح .. وإذا
قالوا ما نسيناه ولكن حذفناه من أناجيلنا !

نقول لهم لماذا ؟ .. ليس هناك الا جواب واحد .. وهو ان النص
لا يتناسب مع عقيدتنا فلذلك حذفناه من أناجيلنا !

فتتلو عليهم قول الله تعالى : * يحرفون الكلم عن مواضعه *
فأناجيلكم - اذن كتاب محرف . والكتاب المحرف باتفاق جميع العقلاء
لا يحتج به أبداً ، لا في العقائد ولا في الأحكام ولا في العبادات .. وبهذا
وجدنا أن المسيحيين قد حكموا على كتابهم أنه كتاب نسي فيه عن كثير
من تعاليم المسيح أو حُرف فيه كثيراً من تعاليمه ..
وليس غريباً اذن أن تقوم هذه الثورة العاتية ضد هؤلاء المنحرفين -
المحرفين .. ان مثل هذه الأمور غير المعقولة هي التي قادت المحدثين
الى البحث الموضوعي عن قيمة هذا الكتاب .

ان يتوبوا فهو خير لهم ، فيعلنوا للناس رسالة محمد صلى الله عليه
وسلم . فعندئذ يكونون في تعداد * الذين يتبعون الرسول النبي الأمي
الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم
عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث .. ويضع عنهم اصرهم
والأغلال التي كانت عليهم .. فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور
الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون * (١)

ان هذه الوصية التي اخفيتوها فقد بينها القرآن العظيم — رغم أنفكم —
على لسان نبيه العظيم محمد صلى الله عليه وسلم وكشف عن نواياكم الخبيثة
اذ يقول : * واذ قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل اني رسول الله
اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه
أحمد .. فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين " (١)
وهكذا رأينا أن الطغيان أدى بهؤلاء الى هذه الخيانة العلمية الكبرى ...

حقائق وأباطيل

وقد رأينا في الصفحات الماضية أن بعض الباحثين قد تغلوا في تكذيب
جميع المعلومات المسيحية ، حتى قالوا ان سيدنا عيسى (كائن اسطوري) ..
نود هنا أن نسوق آيات قرآنية لهؤلاء المنكرين الذين أنكروا عيسى ورسالته
متعللين بأن خلقه لم يكن وفق السنن الطبيعية .. نقول لهم : ان هذا لا غرابة
فيه . فان كان عيسى قد خلق من غير أب فان آدم عليه السلام قد خلق من
غير أب . (٢)
* ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن —
فيكون *

هذه هي الحقيقة .. وأما انكار وجوده باطل من أباطيل ..

*

كما ردونا على هؤلاء المنكرين ، نرد أيضا على هؤلاء الذين أطروا عيسى
ابن مريم الذين قالوا انه ابن الله أو انه هو الله . (٣)

(١) سورة الصف آية : ٦

(٢) راجع قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ص ٣٧٢

(٣) تفسير الطبري ص ٤٦٨ .

نثبت لهم أولا : بشرية عيسى
 ثانيا : أن عقيدة التثليث عقيدة وثنية ، معتمدة بن أساسا على
 القرآن الكريم والآناجيل . . واليك نموذجا لكل من ذلك :
أولا - بشرية عيسى عليه السلام :

يقول تعالى : ﴿ إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاهــا
 الى مريم وروح منه ﴾ (١)
 ومن تأمل في هذه الآية يعلم أن عيسى بشر لا غلو فيه ولا أباطيل
 ولا نسوت ولا لاهوت ولا أقانيم ثلاثة هو بشر مخلوق لا اله خالق . ذلك هو ابن
 مريم لا ابن الله (٢) وليس هو كائننا أسطوريا كما يدعى الملاحدة .
 وبعد أن اثبت القرآن بنوة عيسى الى مريم أثبت له بعد ذلك بعض صفات
 تثبت بشريته وهي ثلاث كلمات :

١ - رسول الله

٢ - كلمته

٣ - روح منه

واليك أدلة على كل من هذه الصفات الثلاثة :

(١) - الرسالة ، تتحدث آيات كثيرة عنها في القرآن منها ما يلي :

﴿ ورسولا الى بني اسرائيل ﴾ (٣)

﴿ ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ (٤)

﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض و منهم من كلم الله ورفع بعضهم

درجات وآتيناه عيسى بن مريم البينات وأيدناه برح القدس ﴾ (٥)

(١) الآية في سورة

(٢) الأُمثال في القرآن ، محمود بن الشريف ص ٣٦ طبعة دار المعارف .

(٣) سورة آل عمران الآية : ٤٩

(٤) سورة المائدة الآية : ٧٥

(٥) سورة البقرة الآية : ٢٥٤ .

أى رسولا الى بنى اسرائيل لما حرقوا شريعة موسى وحرقوا التوراة وعهدوا
 يمهودا وعزير ، أرسله اليهم بالتوحيد وعبادة الاله الواحد •

(٢) - كلمة الله :

فمعنى وصف عيسى بالكلمة - أنه المكوّن بالكلمة من غير أب •• أى انه
 تكون بكلمته وأمره الذى هو " كن " من غير واسطة أب ولا نطفه ••
 قال الله لعيسى : كن فكان •• أى كان عيسى بكن وليس عيسى هو
 (الكن) يقول قتادة : " ليس الكلمة صار عيسى ولكن بالكلمة
 صار عيسى " (١)

ان هذا دليل قاطع على بشرية عيسى خلافا لما يعتقد المسيحيون
 المحرفون المنحرفون ••

(٣) - وروح منه :

ان تفسير هذه الكلمة كالتالى : (روح منه) أى ذو روح منه •• أضيف
 اليه تعالى تشريفا كما يقال (بيت الله) و (ناقة الله) •• (٢)
 ثم ان لفظ الروح ليس خصيصة قرآنية اختص بها عيسى بل وردت لفظية
 (الروح) فى القرآن لمعاني عدة ••
 اطلقت على آدم ، وعلى القرآن ، وعلى الوحي بمعناه العام وعلى من
 نزل الوحي ، وعلى النصر ، وعلى نوع ممتاز من المخلوقات أعظم من
 الملائكة •

(١) تفسير الجلالين ج ١ ص ٤٥١ حاشية الجمل •
 وراجع ايضا كتاب الجواب الصحيح لابن تيمية ص ٢٧ •

(٢) راجع تفسير الجلالين ج ١ ص ٤٥١

على آدم .. * فاذا سويته وتفتخت فيه من روحي فقموا له ساجدين * (١)

وعلى القرآن .. * كذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب * (٢)
* والایمان *

وعلى مطلق الوحي .. * ينزل الملائكة والروح من أمرنا على من يشاء من عباده * (٣)

وعلى جبريل .. * فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا * (٤)

وعلى النصر .. * أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم برح منه * (٥)

وعلى النوع الممتاز المختار من الملائكة .. * يوم يقوم الروح والملائكة صفا * (٦)

وبهذه الآيات يتضح لنا أن كلمة الروح تطلق على عيسى كما تطلق على غيره وليست خاصة به ..

وقبل أن نختم هذه الفقرة بحسن بنا أن نزيل شبهة كانت ولم تزل تشوش بعض الحقول ..

فما هي هذه الشبهة ؟؟

انها شبهة قد وقع فيها كثير ممن لا يتدبرون الآيات القرآنية ^{وهي} القول بأن عيسى جزء من الله تعالى و روح منه ؟

فلنقرأ الكلمات التالية : " أن طييسا نصرانيا جاء للرشيد فناظر عليا بن الحسن الوافدي ذات يوم فقال له :

(١) سورة الحجر آية : ٢٩

(٢) سورة الشورى آية : ٥٢

(٣) سورة النحل آية :

(٤) سورة مريم آية : ١٧٣

(٥) المجادلة : ٢٢

(٦) النبأ : ٢٨

ان في كتابكم ما يدل على أن عيسى جزء من الله وتلا قوله تعالى : * وكلته
ألقاها الى مريم وروح منه * *

فقرأ الوافدي * وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه *
وقال : اذن يلزم أن تكون جميع تلك الاشياء جزءا منه سبحانه فانقطع النصارى
وأسلم .. (١) و (٢)

وعلى هذا الأساس المتين نقول للملاحدة : ان كانت المسيحية مفرطة
في شأن عيسى ، وأنتم في نفس الوقت مفرطون فيه حيث نفيتم وجوده
اطلاقا ولم يكن لديكم من الصبر على الدراسة والتفكير ومن العقل والاجتهاد
ما تميزون به بين الدين ورجال المنحرفين وتفرقون بين ما يرجع الى الدين
من مسئولية ، وما يرجع الى اضافات رجال الكنيسة وسوء تمثيلهم .. فلا
تنبدوا عيسى نبذ النواة .. وكان في استطاعتكم أن تراجعوا القرآن
الكريم الذي يدين به أم معاصرة لكم .. القرآن الذي يقول :

* لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح * ولكن الاستحجال لم يسمح
لكم بالنظر في ذلك الأمر حتى وقعتم في هذا التفريط المذل ...

ثانيا - التثليث :

لقد جلى القرآن الكريم هذه القضية وعرض زيفها وزعمها .. ودعا
أهلها دعوة منطقيه بأن لا يفلو في دينهم ولا يشتطوا في عقيدتهم
وأن يلتزموا جادة الايمان الحق بأن يحكموا عقولهم ويحكموا بما أنزل
الله اليهم في انجيلهم وأن يلتزموا بمضامينه وما فيه من دعوة الهيبة صريحة
 لعبادة الله الواحد الأحد ، والايمان برسوله عيسى وبمحمد الذي يجده اسمه
وصفته مكتوبين في انجيلهم ...

(١) حاشية الجمل على تفسير الجالين ج ١ ص ٤٥٢
(٢) وأما حقيقة الروح لا يعلمها الا الله * ويسألونك عن الروح * قل الروح من أمر
ربي . وما أوتيتم من العلم الا قليلا * سورة الاسراء اية : ١٨٥

وعقيدة للتثليث تزخر بمزاعم وأضاليل وأباطيل ، فهي تزعم أن الله
ثالث ثلاثة .. وأنه ثلاثة أصول (أقانيم) متساوية .. الله الأب .. الله
الابن .. والله الروح القدس .. ثم ترجع فتقول : ان الاقانيم الثلاثة
واحدة .. اي أن $1 + 1 + 1 = 1$ (١)

فمئذ هم ان المسيح اله ، وهو ابن الله وفي الوقت نفسه هو بشر واله هو
لاهوت وناسوت .. هو الله وابن الله .. وأصل من الأصول الثلاثة المكوّن
لله .. سبحانه وتعالى عما يشركون ..

ويصدر القرار حكمه في هذه القضية العقيدية ويحكم بكفر من اعتقدها
أو اعتقد فيها :

* لقد كهر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله
شيئا ان أراد أن يملك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا .. (١)
ان هذه الآية ستظل مسجلة على أهل التثليث غلوهم و انحرافهم ، ولعلهم
ان كانوا أتباع المسيح حقا أن يثوبوا الى عقيدته الحقّة وكما ينبه القرآن الى أن
المسيح وأمه كانا يأكلان الطعام .. ومن البين أن الذي يأكل الطعام
فيتحول في جسمه دما ولحما وعظاما وينضح عرقا ، ويخرج فضله لوبقيت
في الجسم لا ضرته ..

من الواضح أن كائنا من هذا النمط لا يمكن أن يكون الا بشرا ، خاضعا
لكل قوانين البشرية التي لا تؤدي الى نقص في مرتبته (٢) كرَسُول ..

(١) سورة المائدة الآية : ٧

(٢) كتاب التفكير الفلسفي في الاسلام للدكتور عبد الحلیم محمود ص ٧٤ .

التثليث عقيدة وثنية

ثم اذا دققنا النظر في التاريخ نجد أن التثليث عقيدة وثنية ، فهو ليس بطارىء على العقيدة المسيحية ، ولكنه يمتد بجذور عميقة في أرض العقيدة الوثنية العالمية القديمة . . ويتصل بها بأقوى الوشائج والصلات . . فالعقيدة المسيحية زعمت أن الله ثلاثة أقانيم (أب وابن والروح القدس) وهي نفس الثالوث الجاهلى " اللات والعزى ومناة الثالثة " . وهي نفس الثالوث البرهمى في الديانة الهندية " (براهما وسيفا وفشنو)" (١) وهي نفس الثالوث الالهى لقبائل الباتوا الافريقية " مزيمو وبيبو ومولنجو" اليس هذا أرل علم أن عقيدة الثالوث وثنية . .

*

وبعد هذا نود أن نقوم بجولة تفتيشية في الأناجيل الأربعة ، لنذكرهم أن كتبهم — وان كانت جل معلوماتها محرقة — لم يزل فيها قبس من — النور الالهى الذى يدل على وحدانية الله — وعلى عبودية عيسى وأنه ابن ^{نعماني} الانسان لا ابن الله . وانما هو رسول من الله / الى بني اسرائيل . .

(١) راجع كتاب الأديان في القرآن محمود الشريف ص ٢٠٢

راجع أيضا الأسفار المقدسة ، دكتور وافي ص ١٠٧

شواهد من كتب النصارى على عبودية عيسى عليه السلام

(٦)

ورد في انجيل يوحنا ما يلي :

" قال المسيح في خطاب مريم المجدلية " لا تلمسيني لأنني لم أصدق
بعد الى أبي ولكن اذهبي الى اخوتي وقولي لهم اني أصدق الى أبي
وأبيكم والسبي والمهمكم " (١) .

فحكم ببشريته وانسانيته عندما قال " الى أبي وأبيكم والسبي والمهمكم "
ان هذه الآية رد على مزاعم رجال الكنيسة القائلين بأن عيسى ابن الله ..
وتوافق أيضا ما ورد في القرآن ..

* ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم * (٢)
* وقال اني عبد الله * (٣)

عن رسالته :

ورد في انجيل يوحنا ما يدل على ذلك وهو قوله :

" الكلام الذي تسمعون له ليس لي بل للأب الذي أرسلني " (٤)

في ذلك اعتراف برسالته وبأن دعوته وحى من عند الله .

وفي انجيل متى ما يلي :

" لا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات " (٥)

فهذا اعتراف صريح بوحدانيته لله تعالى .

(١) انجيل يوحنا الآية ١٧ من الاصحاح ٢٠

(٢) سورة المائدة آية : ١١٦

(٣) سورة مريم الآية : ٣٠

(٤) انجيل يوحنا آية ٢٤ باب ١٤

(٥) انجيل متى باب ٢٣ آية ٩

انسانيته في الاناجيل

في انجيل متى :

" قال يسوع : أقول الحق الآن تبصرون ابن الانسان " (١) في نفس

الانجيل يقول :

" أما ابن الانسان فليس له أن يسند رأسه " .

وكذلك وردت لفظة ابن الانسان في الاصحاح التاسع آية ٦ من هذا الانجيل

السابق ..

وعلاوة على ذلك ان متى نفسه قال أول كلمة في انجيله في الاصحاح الأول :

" كتاب ميخايل يسوع المسيح ابن داود بن ابراهيم .. فذكر نسبه

المسيح ولم يقل انه ابن الله ولا انه اله من اله " (٢) .

وفي انجيل يوحنا يقول :

" الحق الحق أقول لكم ، من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة السماء

يصعدون وينزلون على ابن الانسان " (٣) .

هذه مقتطفات من الاناجيل قد ثبتت بشكل واضح أن فكرة التثليث أو القول

بأن عيسى ابن الله أو هو الله فكرة مستحدثة من هؤلاء البغاة المسيحيين

وصدق الله تعالى :

* وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ؟

وهذه هي المسيحية الباغية وهؤلاء هم رجالها المعتدون المتطعنون

المطربون .. وتلك هي خرافاتهم في عيسى وفي الكون التي كانت سببا

(١) انجيل متى اصحاح ٢٦ آية ٦٤

(٢) الاديان في القرآن ، محمود شريف ص ١٩٤ .

للكفاح المشئوم بين الدين والعلم والعقل الذى انهزم فيه الدين .. ذلك
الدين المختلط بعلم البشر الذى فيه الحق والباطل والخالص والزائف -
هزيمة منكرة .. وسقط رجال الدين سقوطا لم ينهضوا بعده ، وشر
من ذلك كله وأشام أن أوربا أصبحت لا دينية .

*

ولا يشك أحد أن تبلد الضمير الدينى عند رجال الدين الكنائسى
كان من أكبر العوامل لقيام الاتحاد فى أوربا الحديثة .. وهذا
لا ينفى أن تكون هناك أسباب أخرى وإن كانت أقل درجة من طغيان الكنيسة
ولكن بعضها ساندت بعضها حتى وقع هذا الفصل النكد بين الدين
والدنيا وبين الخالق وخلقه ...

فى الصفحات التالية محاولات لبيان شئ من هذه الأسباب .

الفصل الثالث

قوانين المادة (٨)

لقد اتخذ الملاحدة قوانين المادة سندا للالحاد فاعتبروا هذه القوانين المادية التي نسميها " السنن الربانية " بدلا عن اله مديركم . . والذي يجب أن نفهمه هنا هو : ان المذاهب المادية نشأت قبل العلوم التجريبية فالمذاهب المادية تنكر وجود الله ، وأما العلوم التجريبية تدعو الى الايمان به كما صرح بذلك . كريسى موريسون بقوله :

" وقد يقودنا هذا الضوء الى الاعتراف بوجود عقل عام أسمى ، أى الى وجود الخالق " (١) .

وكانت فضيلة المذاهب المادية عند الماديين ، أنها تقوم على الوقائع والحقائق ولا تقوم على الظنون والأوهام . وكانت المادة عندهم حقيقة الحقائق الثابتة التي لا يعترىها الشك ولا يلم بها الباطل ، لأنها محسوسة ملموسة محصورة في مكان محدود .

يخطأ أحدهم على المادة بيده ، أو يضرب على الأرض بقدمه ، ويقول لمن يجادله : " هذه هي الحقيقة التي ألمسها بيدي وقدى أوراها بعيني وأسمعها بأذني ، وليست ما تخطون فيه من الظنون والأوهام " (٢) .

وكان العهد بدعاة الالحاد أن يحتجوا لدعوتهم المادية بأدلة يحسبونها علمية ، حتى لقد ظن البعض أن العلم والايمان نقيضان لا يجتمعان بل ألف أحد العلماء الغربيين - وهو جوليان هكسلى - كتابا في ذلك المذهب المادى سماه : " الانسان يقوم وحده " (Man Stands Alone) زعم فيه أن العلم ينكر وجود الله . (٣)

(١) العلم يدعو للايمان ، كريسى موريسون ص ٤٧ ترجمة صالح محمود صالح الفلكي .
(٢) عقائد المفكرين ، عباس محمود العقاد ص ٥٥
(٣) العلم يدعو للايمان السابق ص ١٧ - ١٨

فرد عليه ٠ ا كريسى موريسون السالف الذكر فى كتاب سماه :
 "الانسان لا يقوم وحده" (١) (Man Does Not Stand Alone)
 أثبت فيه بمختلف العلوم أن الله باري الكون وهو خالق كل شىء

*

ثم شاعت العلوم التجريبية فى القرون الأخيرة ، وشاعت معها قوانين الحركة
 والحرارة والضوء وسائر القوانين من الجاذبيه وغيرها التى سميت بالقوانين
 الطبيعیه عند الماديين .

فقالوا : هذه هي قوانين الكون التى تسيطر على حركاته وسكناته وتفسير
 كل ظاهره من الظواهر ، على الافلاك العلويه كما تسرى على المصادين
 الأرضيه ، ولا يشذ عنها حكم واحد من الأحكام التى تشمل الماده فى جميع
 صورها وأشكالها ، ومنها ماده الأجسام الحيه أو ماده الحياة ..
 وبهذه التصورات الماديه الالحاديه أصبحت قوانين الماده تستعمل
 ضد فكرة وجود اله لهذا الوجود .. وأصبحت فكرا ماديا بقسميه الميكانيكى
 (٢)
 والديالكتيكى .

(١) المرجع السابق ص ١٨

(٢) الفكر المادى العلمى ينقسم الى اتجاهين :

— الاتجاه الميكانيكى (Mechanistic Materialisme)
 وهو اتجاه مادى لا يرى وجودا للروح أو العقل فضلا أن ينسب اليهما تدبير
 الجسم .

— الاتجاه المادى الديالكتيكى (Dialectic Materialisme)
 ويرى أن وجود الروح والعقل تابع لوجود الماده ، والاتجاهان بذلك
 ينكران الغيب أو يستبعدانه .

راجع كتاب : الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ، د .
 البهى ص ٨٦ .

كما أن النظريات الجديدة عن الكون في هذا القرن ، قرن السابع عشر
قد غمرت الأفكار الفلسفية واستأثرت بالاهتمام البالغ من قبل الأوساط الدينية
والعلمية على السواء وأعظم هذه النظريات " نظرية الجاذبية " لا سحاق
نيوتن .

ان هذه النظريه الضئيله تشير الى امكانه تفسير ظواهر الطبيعه
بربط بعضها ببعض دون حاجه الى تدخل قوه خارجيه عنها .^(١)

وبهذا كان هذا الاكتشاف الضئيل بمثابة النواة للمذهب " الطبيعي "
والنظريه الميكانيكيه اللذين كان لهما صدى واسع في قادمات الأيام ..
وكان موقف الكنيسه تجاه هذه النظريه ، الرفض التام بل شنعت
على معتنقيها قائله : ان الأشياء لا تعمل بذاتها ولكن عناية الله
هي التي تسيرها .

ولم تكن الكنيسه من سمعة الصدر على جانب يسمح لها بتفهم عدم
المنافاة بين نسبة الأفعال الى الله تعالى باعتباره الفاعل الحقيقي ، وبـدـن
نسبتها الى الأسباب باعتبارها وسائط مباشرة ، بل كان حنقها على كل
جديد صارفا لها عن ذلك .

كما أن أصحاب النظريه اندفعوا اندفاع الفراش الى النار — فأنكروا عمل
الحنايه الالهيه وربطوا الأسباب بالمسببات معتقدين أن كل ما عرفت علته
المباشره فلا داعي لا افتراض تدخل الله فيه — حسب تصريحاتهم

واليك بعضا منها . يقولون مثلا " لقد اثبت (نيوتن) أنه لا وجود
لا له يحكم النجوم وأكد (لابلاس) بفكرته أن النظام الفلكي لا يحتاج الى
أي أسطوره لا هوتيه . "

(١) (Religion, And The Scientific Outlook, p. 20)
نقلا عن كتاب الاسلام يتحدى، وحيد الدين خان ص ٣٤ - ٣٥

وقام بهذا الدور عالمان " داروين " و " باستور " في ميدان البيولوجيا
وقد ذهب كل من علم النفس المتطور والمعلومات التاريخية الثمينه التي حصلناها
في هذا القرن بمكان الاله الذي كان مفروضا أنه هو مدير شؤون الحياة الانسانية
والتاريخ " (١)

هذا ما يقوله الملاحدة بعد اكتشاف قوانين المادة ...

ما آلت اليه المادييه

وشاء الله بحكمته البالغه أن حدثت في السنوات الخمس الأخيرة
من القرن التاسع عشر حوادث " علميه " غيرت كل صورة من صور المادة
عرفها الاقدمون ...

فقد عرف الكيميائيون قبل ذلك أن عناصر المادة أكثر من أربعة ، وأنهم
ليست محصوره في النار والتراب والهواء والماء .
وعرفوا أن ذرة " الهيدروجين " أخف العناصر ليست هي أصغر
جسم من أجسام المادة ينتهي اليه التقدير ...

عرفوا الكهرباء الذي تحسب ذرة الهيدروجين جبلا ضخما بالقياس
اليه ، ثم تقدموا في معرفة الكهرباء والذرة حتى أفلتت المادة كليها
من بين أيديهم ولم يبق منها غير حسبة رياضييه ... حسبة رياضييه كانوا
يحسبون بها ، مثلا في الدقة ، والضبط والعصمة من الخلل ، فإذا هي في
النهايه حسبه لا يضبطها الحساب الا على وجه التقريب .

أفلتت من المادة كل شيء ثابت أو كانوا يحسبون به مضرب المثل في
الثبوت و " الحقيقه " .

فاللون من الشماع ، والشماع هزات في الاثير ...
 والوزن جاذبية ، والجاذبيه فرض من الفروض ...
 والجسم نفسه متوقف على الشحنة الكهربائية وعلى سرعة الجسم في الحركة
 ونصيه من الحرارة ..
 والحرارة ما هي ؟ حركة ..
 والحركة في أى شىء ؟ في الاثير ...
 والاثير ما هو ؟ فضاء أو كالفضاء ... (١)
 وصدق القائل : " ان العلم الحديث بدا بالاحتمال وانتهى الى الاحتمال (٢)
 وهكذا رأينا أن الدعاوى الملحدة ليس لها سند من العلم التجريبي
 ومع ذلك تستحق النظر فيها وسوف نناقشها عند مناقشة الآراء ان شاء
 الله تعالى .

(١) راجع عقائد المفكرين عباس محمود العقاد بتصرف طفيف ص ٥٦-٥٧
 (٢) راجع الله يتجلى في عصر العلم : مقال لـ (وولتر أومر) راندوج ص: ٢٢

الفصل الرابع

مقارنة الأديان

توطئة :

من نظر الى شيوخ التدين في جميع الأجناس يعلم يقينا أن التدين فطري في الانسان ، لا تكاد تجد أمة من الأمم الماضية أو الحاضرة في قلب الحضارة المادية الا وتجد فيهم من يميل الى التدين وأحيانا يدافع عنها

ان هذه الظاهرة ، ظاهرة التدين تدل على أمرين هامين :

هما : قانونا (السببية والغائية) .

ولوتدبر الملاحظة في هذين القانونين لا دياهم الى أسمى المقائيد

الدينية :

" عقيدتي التوحيد والخلود " وأن عقيدة الشرك والوثنية والفناء

انما هي وليدة ضرب من القفله أو الكسل العقلي الذي يمنعهم من البحث

الصحيح . .

وبيان ذلك : ان قانون السببية يقرر أن شيئا من " الممكنات " (١)

(١) التعبير المشهور هو أن شيئا لا يحدث من لا شيء ، وقد أضفنا عبارة :

" من الممكنات " تحديدا للمجال الحقيقي الذي يطبق فيه هذا المبدأ . ودفعنا

للخطأ الذي ينجم من أخذه على إطلاقه . ذلك أن الأمور " الضرورية الوجود "

لكون الكل أكبر من جزئه ، وكون الشيء عين نفسه ، الى غير ذلك - تحمل

في طبيعة مفهوميها سبب وجودها ، فهي موجودة بنفسها لا بسبب خارجي

والأمور " المستحيلة لكون الجزء أكبر من كله وغير ذلك من أحكام التناقض -

تحمل في نفسها سبب عدمها ، فلا تقبل الوجود بنفسها ولا بغيرها . أما الممكنات

التي تقبل الوجود والعدم ولا تقتضي طبيعتها واحدا منها ، فان وجودها انما يرد

اليها من سبب خارج عنها حتما اذ لو وجدت بنفسها لكانت واجبة الوجود وهو

خلاف المفروض . . . راجع : (الدين) د . عبدالله دراز ص : ١٠٤

لا يحدث بنفسه من غير شيء " لأنه لا يحمل في طبيعته السبب الكافى
لوجوده " ولا يستقل باحداث شيء " لأنه لا يستطيع أن يمنع غيره شيئاً
لا يملكه هو .

كما أن الصفر لا يمكن أن يتولد عنه عدد ايجابى . فلا بد له فى
وجوده وفى تأثيره من سبب خارجى . وهذا السبب الخارجى ان لم يكن
موجودا بنفسه احتاج الى غيره . فلا مفر من الانتهاء الى سبب ضرورى الوجود
يكون هو سبب الاسباب . .

واذا قال الملحد : ولماذا لا يمكن لنا معرفة كنه هذا السبب الاول ؟
فنبادره بالقول : انه غيب عنا . فالانسان لم يعط الوسائل بعد لمعرفة
الغيب . . نو من به لا تاره كما آمنا بوجود الالكترون والبروتون بآثارهما ولم
نشاهد الكترونا ولا بروتونا . .

وقد آمنا بالمغناطيس ولم نشاهده بأعيننا وانما شاهدنا فقط انجذاب
حديد الى حديد دون رؤية الجاذب وهكذا دواليك . . .
وأما قانون الغائية فمن وجبه أن كل نظام مركب متناسق
مستقر لا يمكن أن يحدث عن غير قصد ، وأن كل قصد لا بد أن يهدف الى
غاية ، اذا لم نجد عند الماديين مصنعا للسيارات يصدرها بدون غاية ؟
فلا بد - أن يكون من وراء هذا العالم غاية . . .

نعم ان طاقة البشر ، وطبيعة المخلوق ، أعجز من أى تحصي مراحل
الاسباب والغايات مرحلة مرحلة ، وتتابع سلسلتها حلقة حلقة ، حتى
تشهد بداية العالم ونهايته . . ولذلك يؤس الماديون الذين قاموا بمقارنه
الاديان من معرفة أصول الأشياء وغاياتها الأخيرة ، وأعلنوا عدولهم
عن هذه المحاولة فقالوا : ان الديانات ما هى الا منظمات مستحدثة ، وأعراض
ظارئة على البشرية حتى قال (فولتير) : ان الانسانية لا بد أن تكون
قد عاشت قرونا متطاولة فى حياة مادية خالصة قوامها الحرث ، والنحت ،

(١)

والبناء ، والحداده والنجاره قبل أن تفكر في مسائل الدينيات والروحانيات
بل قال :

ان فكرة التأليه انما اخترعها دهاة ماكرون ، من الكهنه والقساوسة
الذين لقوا من يصدقهم من الحمقى والسخفاء . (٢)

هذه هي مقاصد علماء الأديان المقارنة . فهم يستهدفون الى تحديد
الأصل للمقيدة ، والمظهر الذي ظهرت به في أول الأزمنة باطلا .
فقالوا : ان الأمم البدائية هم أحسن أرضية لهذا البحث . وتجاهلوا
عن موكب الرسل من لدن آدم الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واعتبروا
القول في اثبات رسالتهم عن الله ، خرافه ووثنيه . .

وهم انما يفعلون ذلك ، لأن المنهج كله انما قام ابتداء على أساس
العداء والرفض للمنهج الديني ، بسبب ما ثار بين الكنيسة والأوربيين
والبحث العلمي في كل صوره في فترة من فترات التاريخ . . فبدأ المنهج
وفي عزم أصحابه أن يصلوا الى ما يكذب مزاعم الكنيسة من أساسها للوصول الى
تخطيم الكنيسة ذاتها . .

ومن أجل هذا جاء منهجا منحرفا منذ البدء لأنه يعتمد الوصول سلفا
الى نتائج مصينه ، قبل البدء في البحث . . .

وحتى حين هدأت حدة العداء للكنيسة بعد تحطم سيطرتها العلمية
والسياسية والاقتصادية الفاشمه ، فان المنهج استمر في طريقه . . لأنه لم
يستطع أن يتخلص من أساسه الذي قام عليه . . والتقاليد التي تراكت على
هذا الأساس ، حتى صارت من أحوال المنهج . .

أما خطأ النتائج فهو ضرورة حتمية لخطأ المنهج من أساسه ، هذا الخطأ
الذي طبع نتائج المنهج كلها بهذا الطابع . . وإذا كان المنهج والحالة هذه ؟
فما موقف المسلم من تعلم هذا العلم كحقيقه علميه ؟

(١)

(٢) راجع كتاب الدين ، عبد الله دراز ص ٨٠

موقف الاسلام من تعلم علم مقارنة الأديان

وللاجابة على هذا السؤال لا نتوانى أن نقول : انه لا يجوز لمسلم بحال من الأحوال ، أن يأخذ بهذه النتائج ، لأن تقريراته مخالفة مخالفته أساسيه للتقريرات الالهيه كما يعرضها القرآن الكريم ..
 وإذا جاز للملاحده أن يأخذ بنتائج تخالف مخالفته صريحه قول الله سبحانه في مسأله من المسائل ، فانه لا يجوز لباحث يقدم بحثه للناس على أنه " مسلم " أن يأخذ بتلك النتائج ، ذلك أن التقريرات القرآنيه في مسأله الاسلام والاحاد ، وسبق الاسلام الاحاد المادى في التاريخ البشرى ، وسبق التوحيد للتعهد والتثنيه .. قاطعة ، وغير قابله للتأويل ..
 فهي مما يقال عنه : انه معلوم من الدين بالضرورة .. (١)

وعلى من يأخذ بنتائج علم الأديان المقارنه في هذا الأمر ، أن يختار بين قول الله سبحانه وقول علماء الأديان .. أو بتمبير آخر :
 أن يختار بين الاسلام وغير الاسلام لأن قول الله في هذه القضية منطوق وصريح ، وليس ضمنيا ولا مفهوما .. كقوله تعالى :

* ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت * (٢)
 وعلى أية حال فان هذا البيان عن موقف الاسلام في هذا المنهج ليس هو المقصود بالذات هنا ، انما نستهدف هنا الى اثبات أن ظهور هذا العلم ، علم مقارنة الأديان كان سببا من أسباب الاحاد في أوربا الحديثه . وكان ضربة قاصمة على أصحاب الكنيسة ولكن بمرور الزمن أصبح سندا لأصحاب الأديان أيضا يحتجون به على فطرية التدين وفطرية التوحيد .. ولا بد من ايضاح هذه المفارقات العجيبة .

(١) ان هذه التقريرات مستفادة من كتاب (فقه الدعوه) ، جمعة احمد حسن من ظلال القرآن ص ١٦٠
 (٢) في سورة البقرة الآية : ٢٦

قصة مقارنة الأديان في أوروبا

يذكر لنا التاريخ أنه لما اكتشفت أمريكا الوسطى ، ووجد الأسبان فيها أقواما يتعبدون على أديان لا يعرفونها — توافد القساوسة والمبشرون الى البلاد المكشوفة لبيحثوا في أديانها ويحولوا أقوامها الى العقيدة المسيحية فأدهشهم بعد قليل أن يروا لهم شعائر الأديان المعبودة في الدنيا القديمة وأنهم سمعوا منهم كلاما عن التفكير والخلاص ومثاسك الأديان على شئ من الشبه بنظائره في الديانة المسيحية ، وثاروا في تحليل تلك المشابهة . . فخطر للقساوسة والمبشرون الذين توافدوا الى هذه الدنيا الجديدة ، أن هذه العبادات التي يتعبد بها هؤلاء القوم المنكرون ، بقية من بشاره قديمه نسيت واندثرت ونتجت عنها هذه العبادات المسموخة

وكان هذا^{هو} التفسير الذي اكتفى به الناس لفهم أسرار المشابهة بين الأديان في الدنيا القديمة والأديان في الدنيا الحديثه التي رجح عندهم أنها كشفت لأول مرة ، وظل هذا التفسير كافيا من اوائل القرن السادس عشر الى أواخر القرن الثامن عشر ، ثم اتسعت كشوف الرحالين وتبذمت أخبار القبائل والسلالات التي تتشابه بينها شعائر الأديان والعبادات ، وتقدم علم الأجناس ومعه على المقارنه على أيدي هؤلاء الباحثين الذين يريدون ازاله الكنيسه بكل ما تمد اليه أيديهم : فاحتاج الأمر الى تفسير غير ذلك التفسير عند المتدينين والمعتقدين . . . فقالوا ان الأديان كلها من وضع البشر فاتخذوا من هذه المشابهات دليلا على صحة ما قرروه . (١)

وكانت صدمة قويه لأنصار الدين ، لأن القرن الثامن عشر على الخصوص قبض لهم مشاكل كثيره لم يفرغوا منها أثر في نفوس الأجيال الجديده شكوكا تعالجها الكنائس واحده بعد واحده ، ولا تنتهي من علاجها .

(١) عقائد المفكرين في القرن العشرين ، عباس محمود العقاد ص ٢٤ - ٢٥

فلما أسفرت المقابلة بين الأديان والعبادات عن تلك المشابهة المتكررة كانت ضربه قويه محرجه بعد ضربات مثلها في القوه والاحراج ، كادت أن تخذل عوامل الايمان والاعتقاد أمام عوامل الشك والالحاد . . .

هذا أن الملاحده بعد ما اتفقوا في أن الدين خرافه ، اختلفوا في العوامل الأولى لا يقاظه في النفوس الى مذاهب شتى . . . اهمها كالتالى :

أولا - مذهب التطور التقدي

ان هذا المذهب يرى أن الدين بدأ في صورته الخرافه وأن الانسان قد ترقى في دينه وتطور ، على مدى الأجيال حتى وصل الى الكمال فيه بالتوحيد كما تدرج نحو الكمال في العلم الطبيعى والصناعى . . . (١) وقد أشرنا سابقا الى أشهر رجاله . .

ثانيا - المذاهب الكونية أو الطبيعى

ترى هذه المذاهب أن العامل الأول في اثاره الفكرة الدينيه كان هو النظر في مشاهد الطبيعه ولا سيما الأفلاك والعناصر . . . (٢)
أشهر مقررى هذه النظرية هو العالم الألماني ماكس ميلر (Max Muller) فى كتابه عن الأساطير المقارنه (Comparative Mythologie) وليس هنا مناقشة هذه الخزعبلات وانما قصدنا عرض هذه التصورات الخاطئة التى يريد بها أصحابها أساسا محاربته الكنيسه لا للبحث العلمى والوصول الى الحق .

ثالثا - المذاهب الروحيه المشهوره باسم الحيويه : (Animisme)

ان هذه المذاهب ترى أيضا أن الأديان ليست من عند الله ولم يرسل

(١) الدين ، عبدالله دراز ص ١٠٧ مع تفسيرات طفيفة .
(٢) المرجع السابق ص ١١٤

أحدا من الرسل وإنما نشأت الأديان في الإنسان من (أجل عبادة أرواح الموتى) .
 وهذه النظرية الروحية قررها تيلور (Tylor) في كتاب
 "المدنية البدائية" (La Civilisation primitive)
 وتابعه عليها مع تعديل سير الفيلسوف الانجليزي هربرت سبنسر -
 (Herbert Spencer) في كتاب مبادئ علم
 الاجتماع (principles De Sociologie) (١).
رابعا - المذاهب النفسية :

هذه فصيلة أخرى من النظريات تتلخص فكرتها العامة في أنه لا أجل
 الوصول الى العقيدة الالهية لم يكن بالناس حاجة الى التأمل في الطبيعة
 وجمالها ولا في التقلبات الكونية وأحوالها . ولا الى التجارب المجيبه
 في عالم الأرواح وأسرارها ، بل ان تجارب الانسان النفسية ، في حياته الحادية
 المألوفة له في كل يوم ، كانت كافية لتوجيه نظره بقوة الى تلك الحقيقه
 العليا ... (٢) .

ومن أشهر رجالها أوجست ساباتييه (Auguste Sabatier)
 في الفصل الأول من بحثه عن (فلسفة الدين) .
 (Esquisse D'une philosophie De Religion)
 و (هنري برجسون) (H. Bergson) في كتابه عن "يتابع
 الخلق والدين" :

(Les Deux Sources De La Morale Et De
 La Religion.

(١) الدين ، عبد اللهدراز ص ١٢٧

(٢) المرجع السابق ص (١٣٥)

خامسا - المذهب الاجتماعي :

يخالف الملا مه (دوركايم) (Durkheim)

جميع المذاهب المتقدمة في دعواها أن التدين حاله نفسه تنبع من فطرة الفرد كلما فكر في الآفاق أو في نفسه ويرى هو أن التدين ليس فطريا في الكيان الانساني وانما هو وليد أسباب اجتماعيه فسي هذا المذهب " بالمقل الجمعي " (١) هذا النظام هو نظام التوتيم (Totem) (٢) فزعم أن هذا المقل الجمعي هو الذي يوجد في الانسان عناصر التفكير وأساس المعرفة العقلية .

هذه أهم المذاهب التي حاولت أن تحلل نشأة التدين في الانسان بعدما اتفقوا جميعا على أن الدين لم يكن يوما من الأيام في الفطرة الانسانية . ان هذه المذاهب كلها لا تستحق الوقوف عندها للمناقشة لأنها ليست في نياتها الخير للانسانيه وانما أرادت أن تصل الى نتيجة معينة - كما قلنا سابقا - وهي اباداة الكنيسة عن طريق قتل العقيدة الدينية فسي الانسان ... قبل البحث عن حقائق الأديان ...

ولكن لما كان المذهب الأخير ، الذي هو المذهب الاجتماعي أكثر انتشارا في الأوساط العلمية ، سوف نقاشه قليلا لزالة اللبس عن الذين يعتبرونه حقيقة علمية ثابتة ...

(١) (Reinach, ouv. cite, p. 23; Durkheim)
ouv, cite p. 144

(٢) هذا الاسم مأخوذ من لغة الهنود الحمر في أمريكا الشمالية : وهم اسم

لم يتفق بعد على ضبطه قيل () وغير ذلك تستعمل

تارة في موطن المشيره أو العلامة والشمار .

هذا ما كان من شأن علم المقارنه بين الأديان ، حتى انجلي النزاع
الذى أثاره هذا المنهج بين الكنيسه ورجال علم المقارنه ، عن هذا
الموقف في أوائل القرن العشرين . . .

فلما أفاق الكنيسه من سكراتها بعد هذه المعركة المنيفه ، أدركت أن
هذا المنهج وان كان أساسا يحارب الأديان ، ولكنه يصلح أن يستخدم
في نظرية التدين وضرورة التدين وأنه بديهيه مركبه في طبيعته
البشر ، ولولا ذلك لما أجمعوا على التدين متفرقين في أرجاء الأرض مع
اختلاف الأزمان وتفاوت الحضارات وتباعد الثقافات وطبقات التفكير . . ولكن
هيئات وقد انتشر هذا المذهب في جميع العلوم بل اعتبروها أساسا لجميع
العلوم الانسانيه . . .

الا أننا نقول : يصدق على مقارنة الأديان ما يصدق على القوانين الطبيعية
في مسألة العقيدة ، وقد رأينا أنها شككت العقول زمنا في أصول الاعتقاد
ثم أصبحت في القرن العشرين سندا لمن يؤثرون الاعتقاد ويشككون في
الاحاد . . . بهذا انسدل الستار على هذا المذهب السخيف . . .

الفصل الخامس

الثورة الفرنسية

ومن يتأمل في صفحات التاريخ الموثوق بها يخرج بالتأمل التالي :

— ان الثورة الفرنسية^{لها} صفتان مختلفتان :

— صفحة مشرقه نيره : وهى ضد ظلم القوانين وسوء توزيع الثروة العامة .

— وصفحة سوداء مظلمة : وهى ضد الدين والمبادئ الأخلاقية بل ضد فكرة وجود الله مدمر لهذا الكون .

واليك توضيحا لكل من الصفتين :

الصفحة الأولى :

كانت هذه الصفحة ضد الظلم والقوانين وسوء توزيع الثروة العامة (١)

وبيان ذلك : كان الفرنسيون الى القرن الثامن عشر يعيشون تحت ظل نظاماتهم

المتيقنة التى بلغت الى الفساد السياسى ، والتدهور الاقتصادى غايتيهما . . .

حتى أن (كالون) وزير الخزانة الملكية اعترف بذلك سنة ١٧٨٧ م ، وأرادت

الحكومة سدّ عجز الميزانية بارهاق الشعب بضرائب جديدة فادحه ، فازدادت

أحوال الطبقات المسحوقة سوءا وعمفت فى البلاد موجة من الجوع ونقص

المؤن . . .

فى الوقت الذى بلغ فيه صبر الشعب الى نهايته وانتهكت المجاعة والبؤس

كان هناك طبقتان تنفسان فى مختلف الملذات هما :

(١) الدين ، د . عبدالله دراز ص ٨١

— طبقة رجال الدين ، وطبقه الأشراف بالاضافة الى الأسره المالكيه
 التي كانت عبئا ثقيلا على المجتمع الفرنسي . . كانت هناك ارادة الملك
 لا راد لها ولا معقب لها وكان الفلاحون يباعون مع أرضهم كالبهائم ، وكان
 رجال الدين يستغلون جهل العامة استغلالا لا حد له ويتحكمون في رقابهم
 بالاتحاد مع رجال الحكومه . . من هنا وقف الشعب بكل فئاته : الفلاحين ،
 والمهنيين ، والقساوسة الصفار ، جبيه واحد ضد الجبيه الأخرى
 التي تتألف من الطبقتين المحتكرتين : رجال الدين والأشراف . .
 وفي ٥ أكتوبر دفع الجوع بنساء باريس الجائعات الى القيام بزحف
 كبير صوب (فرساي) فذهبن ومعهن أعداد غفيرة من العاطلين —
 والحرس الوطني بقيادة (لافاييت) للمحافظة على المسير . .
 هذه من ناحيه ، ومن ناحيه أخرى ، هناك حكم جائر تقوم به
 هاتان الطبقتان المجرمتان ضد الشعب الفرنسي ، ولقد ذكر لنا التاريخ
 الكثير من هذه المبكيات المضحكات . ومن أشهر تلك المساساة الانسانية ،
 هذا السجل الظالم الذي سموه بـ (الباستيل) . . لقد لقي هذا السجن
 ما لا يوصف فنكتفى بالحادثه الأخيره وهي التي انتهت بهدمه وذلك
 في عهد الثورة الفرنسيه سنة ١٧٨٩ م (٤) .
 ولكننا قبل الدخول في هذا الموضوع ، نصف بعض ما كان يلقاه
 المسجونين فيه :

-
- (١) التطور والنبات في حياة البشريه ، محمد قطب ص ١١١
 (٢) أوربا العصور الوسطى ، دكتور عبد الفتاح عاشور ج ٢ ص ٢٥٨
 (٣) دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى ج ٢ ص ١٤٥
 (٤) التاريخ الأوربي الحديث مد عبد الحميد البطريق ود . عبد العزيز نوار ص ٣٧٣

ما لقيه المسجونون في الباستيل

يذكر التاريخ أن أمكنة السجن من هذا الممقل كانت موبوءة داخل البرج التي كانت مقسمة الى خمسة أدوار ، في كل دور منها غرفة ذات ثمانية أضلاع ليس فيها الا نافذة صغيرة في حائط عرضه ستة أقدام ، فيما كان ينفذ الى هذه الغرف من أشعة الشمس الا نور ضئيل . . .

وكان يوجد غير ذلك غرف تحت الأرض على بعد ٦٦ ر ٦ أمتار من سطحها ، تقتل من فيها برطوبتها وظلمتها وهي مع ذلك لم تكن بأسوأ حالا من حجرات موجوده في قم تلك البروج معرضه لحرارة الصيف وزمهرير الشتاء ، كان المسجونون المراد تعذيبهم يوضعون فيها بقصد تعريضهم لأفاعيل الطبيعة المتناقضة مع عدم السماح لهم باتقائها بوقايه . هذا وصف مختصر لهذا السجن الظالم . .

وكان المتهم يعتبر مجرما حتى تثبت براءته . فلذلك كان يقاد المتهم لهذا السجن وقد لا يعلم الأمر الذي اتهم به ، فينزل الى ظلماته مسوقا بأيدي حديدية ويقف أمام رجال أشبه بالجلاميد قسوة وفظاظه فيسأل عما نسب اليه ، ويناقش فيه ويتمق معه في الأخذ والرد رجاء أن يكون منكرا أو معه شركاء . . هذا كله لا يعلم أهله أين ذهب ولا يسمح لهم بشيء من خبره ولا له بشيء من خبرهم ، فيبقى هناك منقطعا عن أهله وذويه والعالم كله تحت رحمة سجانين لم يتمتعهم الله بمحاطفة حنان ولم يخلقهم بخلق صالح . .

في هذا السجن ذاق رجال العلم والفضل في فرنسا أشد انواع العذاب في عهد الاستبداد . فكم هلك فيه فيلسوف عظيم ؟ وتلاشى دون جدران المظلمة مصلح كبير ؟ وكم من سياسي جنت عليه مباحثه لخير البلاد فيهوى منه في مستقر سحيق ما خرج منه الا حرضا لا يفيد ولا يستفيد ؟

فلا جرم أن كره الفرنسيون الباستيل ، معبد المسف ومهبط القسوة
والفسومة فلم يكادوا يشيرون ضد حكوماتهم حتى كان أول غرضهم الباستيل
فيهدموه هدمًا واقتلعوا أصوله اقتلاعًا وأخذت فتات أحجاره فجعلها النسوة
عقودًا تحلين بها في أمكنة اللآلئ ، أشاره إلى غلبة الأمه على الظلم
وانتقامها من الظالمين وقد أقيم اليوم مكان هذا البناء تمثال الحرية . . .

هذا جزء ضئيل مما كان يمارسه هؤلاء الطفافة ضد الشعب الفرنسي ،
وقضت سنة الله أن ينتصر الشعب على جلاديه وأن تحصد معظم
الرؤوس المترفة الطاغية .

وفي يوم ١٤ يوليو ١٧٨٩ م كان يوما مشهودا في باريس إذ تغلب الشعب
الفرنسي على الضاغطين عليه فخلص من أسرهم وحصل على حريته
بجده وجلاده (١) .

هذه هي الصفحة البيضاء لهذه الثورة الخافرة على الظلم والقسوة . . .
أما الصفحة المظلمة لهذه الثورة التي جعلتها سببا من أسباب الاتحاد
تتضح في الصفحات الآتية ان شاء الله .

(١) دائرة معارف القرن العشرين ، فريد وجدي ج ٢ ص ٣٥ .

الصفحة المظلمة للثورة الفرنسية

ان هذه الثورة التي قامت أساساً ضد الظلم والظفیان ، قد تمخضت عن نتائج بالغة الأهمية ، فقد ولدت لأول مرة في تاريخ أوربا المسيحية دولة جمهوریه لا دينیه تقوم فلسفتها على الحكم باسم الشعب وليس " باسم الله " وعلى حرية الدين بدلا من الكتلکة .. وعلى الحرية الشخصية بدلا من التقيد بالأخلاق الدينية وعلى دستور وضمی بدلا من قرارات الكنيسة .

ان هذه النتائج والتطورات التي تمخضت عن ثورة قامت ضد الظفیان فحسب ثم تحولت الى ثورة ضد الدين والأخلاق ، شىء يستحق أن يقف عنده الانسان باحثا عن أسبابها ودوافعها .

شىء عجيب كهذا لا بد أن تتوفر فيه عدة عوامل وأسباب تفوق حد الوصف ، ولكننا نود أن نذكر هنا أهم تلك الأسباب ..

أولا - وقوف الكنيسة ضد مطالب الجماهير :

ولولا وقوف الكنيسة ضد مطالب الجماهير الجائعين الذين يبحثون عن الخبز ، لولا ذلك لم تعتنق الجماهير المسيحية أفكار الكتاب الملحدین ، ولم تتخل عن عقيدتها الراسخة .

وكيف لا تعتنق الجماعير من الفلاحين وغيرهم أفكار الملحدین وهم يسمعون من (توماس جيفرش) نفسه يقول :

" ان القسيس في كل بلد وفي كل عصر من أعداء الحرية وهو دائما حليف الحاكم المستبد يحينه على سيئاته في نظير حمايته لسيئاته هو الآخر " . (١)

(١) أفكار ورجال تالیف - جرین برتن ص ١١ ترجمة محمود محمود مصر ١٣٧٧هـ
يراجع أيضا المفسدون في الأرض ص . ناجی دمشق ١٩٧٣ م ص ١٤٦ فمابعدھا .

ان كان هذا هو من تصريحات رجال الدين الكنسى فى أوربا الجاهله
فلا غروبة - اذن أن نرى الجماهير ترتفع فيهم الصرخات التالىة حلف
(ميرابو) :

"أشنقوا آخر ملك بامعاء آخر قسيس"

وبهذه الرؤى الواضحة ندرك جيدا أن وقوف الكنيسة المجرمه فى
صفوف الظلمه سبب من أسباب تنفير الجماهير عن فكرة التدين والمبادئ
الاخلاقية ..

وكما ندرك أن الثورة أقيمت فى أول أمرها - ضد نواحي الضعف
من رجال الكنيسة والأشراف • ولكن وقوف هؤلاء الرجال الحمقى فى صفوف
الظلمه قد زاد الطين بلة فتحوّلت الثورة عن ثوره ضد المظالم الى ثوره
ضد الأديان كلها .. هذا ما أيسده الكاتب الانجليزى ، (ويلز) حيث
يقول :

" كانت ثورة الشعب على الكنيسة دينيه .. فلم يكن اعتراضهم على قوة
الكنيسة بل على مساوئها ونواحي الضعف فيها ، وكانت حركات تمردهم على الكنيسة
حركات لا يقصد بها الفكك من الرقابه الدينيه بل طلب رقابه دينيه أتم
وأوفى ..

وقد اعترضوا على البابا لأنه الرأس الدينى للعالم المسيحى بل لأنه
لم يكن كذلك أى لأنه كان اميرا ثريا دنيويا بينما كان يجب أن يكون
قائدهم الروحى .. (١)

ولأجل ذلك قلمت الثورة بأعمال غريبه فقد سرحت الرهبان والراهبات
وصادرت أموال الكنيسة وألغت كل امتيازاتها ، وحوربت العقائد الدينيه ، هذه
المرة ، علنا وبشدة وأصبح رجل الدين موظفا لدى الحكومه •

(١) فيما يتعلق بأسباب ونتائج الثورة الفرنسيه ، يراجع كتاب أوربا فى العصر
الحديث فى الفصل الأول ..

هذا شيء يسير مما جنته الكنيسة على نفسها وعلى جميع الأديان السماوية وقد ذكرنا بعضها سابقا في باب طغيان الكنيسة . وهنا رأينا لونا آخر أيضا من هطال الطغيان ، رأينا أن الكنيسة هي المسئولة في الدرجة الأولى عن هذا الاتحاد الأحمر ..

ثانيا - الخلايا الخفية في الجسم الأوربي :

وقد يكون أن تغضب الجماهير على الكنيسة لأجل موقفها الخبيث ضد الحقوق الشرعية للشعب ، ولكنها تبقى دائما في دائرة الدين والایمان بالله والتمسك بالأخلاق الفاضلة ، لولا أنه وجدت هذه الخلايا الخفية التي كانت تعيش في الجسم الأوربي وتمتص دماؤه بحيث لا يشمر .. وهذه الخلايا القوى الشيطانية الخفية اليهودية أعداء الله وأعداء البشرية جمعاء .

وقد أخبرنا الله تعالى : انهم * يسمعون في الأرض فسادا * وستحدث عن هذه القوى الشيطانية في باب مستقل ان شاء الله . ونكتفي هنا بالإشارة إلى أن هذه الخلايا الخفية لها دور حاسم في تغيير أهداف الثورة الفرنسية التي هي البحث عن الخبز والخبز فقط ... وبين عشية وضحاها لقت هذه القوى الشيطانية الخفية ، الجماهير الثائرة هتافات أخرى يذهب بها كل فكر ديني وكل فكر أخلاقي وهي :

” شعار الحرية والمساواة والاخاء ” .

ثم تلى هذا الشعار ، شعارا آخر : ” لتسقط الرجعية ” وهي كلمة تعني أول ما تعني الدين والأخلاق .

وقد أقر اليهود أنفسهم هذه الحقيقة في كتابهم الخطير : ” بروتوكولات حكماء علماء الصهيون ” . فهم يقولون فيه :

" تذكروا الثورة الفرنسية التي نسميها (الكبرى) أن أسرار تنظيمها التمهيدي معروفه لنا جيدا لأنها من صنع أيدينا " . ويقولون :

" كذلك كنا قديما أول من صاح في الناس " الحرية والمساواة والأخاء " كلمات ما افكت تردد ها منذ ذلك الحين ببغاوات جاهله متجهمه من كل مكان حول هذه الشعائر " (١) .

ثالثا : الفكر اللاديني الذي طبع عصر التنوير :

هناك سبب ثالث له أخطاره الكثيره ، ومع ذلك لم يذكره كثير من الباحثين في ضمن أسباب الثورة الفرنسية . .

فما هو هذا السبب الخطير ؟ ؟

انه الفكر اللاديني الذي طبع عصر التنوير الذي تحدثنا عنه في الباب الذي عقدناه تحت عنوان " صورته عن أوروبا الحديثه " .

ان هذا الفكر اللاديني كان يسرى في عقول المفكرين آنذاك ، سريان الدم في العروق ، وكانت له مدارس كثيرة ، قد سلكت كل مدرسه منحى خاصا لتحقيق هدف واحد ، وهو : تقويض الدين واجتثاث مبادئه من النفوس .

واليك فكره موجزه عن كل من هذه المدارس :

أولا :- مدرسة ذات طابع اجتماعي وسياسي ، كان رأس هذه المدرسة الكاتب (روسو) (١) صاحب (العقد الاجتماعي) الذي أطلق عليه " انجيل الثورة الفرنسية " و (مونتسكيو) (٢) صاحب (روح القوانين) .. ومن كتابات هؤلاء استلهم زعماء الثورة مبادئهم واقتباساتهم .. والفرض الوحيد لهذه المدرسة هو احوال (عبادة المجتمع) في محل عبادة الله — وذلك ما نادى به الثورة الفرنسية أخيرا ...

ثانيا :- مدرسة ذات طابع فلسفي هدام ، انها تنادى الى الدين — الطبيعي أو " القانون الطبيعي " وربما كان الفيلسوف اليهودي (سبينوزا) رائد هذه الفكرة الشنيعة . ذكر ذلك في كتابه " رساله في اللاهوت والسبيل سه " . ثم اكملت لدى (فولتير) فكرة الدين الطبيعي التي ورثها عن (سبينوزا) و (لا بينتر) واستقى منها فكرة " القانون الطبيعي " حيث نجده يقول :

(١) ترجمة روسو : هوروسو هجان جاك : ١٧١٢ — ١٧٢٨ م فيلسوف فرنسي ، ولد بجنيف وقد رافق دافيد هيوم الملحد في رحله الى انجلترا .. وله أثر في مختلف مجالات الفكر ، سياسيه وأدبيه وتربويه وكان مجمل مذهبه السياسي : ان الانسان الطبيعي ، لا هو بالخير ولا بالشرير ، وأن مساواة الناس قد زالت بظهور الزراعة والصناعة والملكيه .. وأن القوانين شرعت لتثبيت الظالم على المظلوم فالسيادة يجب ان تكون للمجتمع .. فلا تشريع القوانين بغير رضا الجماعه كلها .. الموسوعه العربيه ص ٨٩٤ .

(٢) مونتسكيو ، شاول لوى دى سلوندا : ١٦٨١ — ١٧٥٥ م كاتب فرنسي قد نادى بالديمقراطيه النيابيه . وقد كان لآراء مونتسكيو ، وبخاصة نظريته في الفصل بين السلطات أثر كبير على رجال الثورتين ، الفرنسيه والامريكيه : المرجع السابق ص ١٧٩٠ .

" ان دين اهل الفكر دين رائع خال من الخرافات والاساطير المتناقضة
وخال من العقائد المبهمة للعقل والطبيعة .. لقد منع الدين الطبيعي
الآف المرات المواطنين من ارتكاب الجرائم ... أما الدين المصطنع فانه
يشجع على مظاهر القسوة .. كما يشجع على المؤامرات والفتن وعلى أعمال
القرصنة وقطع الطريق ... ويسير كل فرد نحو الجريمة مسرورا تحت حماية
قدسيته ... " (١)

واستمرت هذه الفكرة بعد موت روسو وفولتير الى أيام الفيلسوف الألماني
" كانت " الذي أدرك أيام الثورة الفرنسية ، وقد اشتهر ^{هذا} /الفيلسوف
في تأييدها وهو الذي طور فكرة العقد الاجتماعي في كتابه " الدين في
حدود العقل وحده " . (٢)

وهكذا بتأثير الفكر اللاديني جسدت الثورة الفرنسية الفكر الفلسفي
القديم باقامة مجتمع يرفض القيم والأخلاق الدينية ويجعل الطلقات النفعيه
المحضة هي الرباط المقدس الوحيد ..

وهكذا أيضا استغلت اليهوديه العالميه هذه الثورة الفرنسيه وهذه
الأفكار اللادينية لمحاولة السيطرة على العالم بأسره .

هذه هي الثورة الفرنسيه التي بدأت ثوره على الظلم ثم مشت شوطا فصارت
ثوره على الأديان والعقائد والقيم والبمادى والأخلاق وجميع التقاليد الموروثة
على الإطلاق .

وبعد هذه الفرحه الثوريه العظمى حدث شيء جديد يجعل الحليم حيران،
شيء لا مثيل له في التاريخ مع أن في التاريخ مثلا بل أمثله لكل حادث غريب .
وما هو هذا الشيء ؟ ؟ هو مذهب النشوء والارتقاء الذي نحاول التحدث عنه في
الجزء التالي .

(١) مختطفات من القاموس الفلسفي لفولتير : سلسلة تراث الانسانيه ج ٨ ص ٢٠٧

(٢) أنظر رجال وأفكار ص ٤٨٩ .

الفصل السادس

مذهب النشوء والارتقاء

توطئة :

ان هذا المذهب - باجماع المفكرين - يعتبر من أخطر المذاهب المهدامة التي وقفت ضد الدين لا أنه قد أعطى احياء بين متضادين :

الايحاء بالتطور الدائم الذي يلغى فكرة الثبات ، والايحاء بحيوانية الانسان وماديته بارجاعه الى الاصل الحيواني من ناحية ، وحصر القوى التي تؤثر فيه من ناحية أخرى بالقوى المادية في " البيئة " أو على الأقل في " الطبيعة " واغفال الجانب الروحي اغفالا تاما ، واغفال تدخل الله في عملية الخلق أو عملية التطور سواء .

قال داروين : " ان تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله ، هو بمثابة ادخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت " (١)

وبهذين الايحاءين صار هذا المذهب من أخطر المذاهب على الأديان بل هو بمثابة الناقوس المعلن لمجى الأحداث على الكنيسة ..

يقول جوليان هكسلي في كتابه " الانسان في العالم الحديث " (Man In The Modern World) (٢) وهو من علماء الداروينية الحديثة :

"وبعد نظرية داروين لم يعد الانسان يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيوانا " هذا ما يوحى به هذا المذهب الالحادى . ولكننا قبل أن نتحدث عن الآراء التي قيلت حول هذا المذهب من قبول ورد يحسن بنا أن نعطي القارئ فكرة قصيرة عن هذا المذهب الذي زلزلت به أقدام رجال الكنيسة وأزيلت به فكرة الثبات المطلق التي كان يعتقد رجال الدين الكنسى .

(١) التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ، ص ٣٥

(٢) ترجمة حسن خطاب ومراجعة عبد الحلیم منتصر .

نقلا عن المرجع السابق ص ٣٥

فكرة عن مذهب النشوء والارتقاء

قبل أن يأتي هذا المذهب ، كان الايمان المسيحي والأخلاق المسيحية قد تعرضا لضربات قاسية وهزات عنيفة :

وقد رأينا كيف كانت الضربات التي نزلت على المسيحية منذ أن ظهرت نظرية نيوتن بالنظرية الجاذبية الميكانيكية الآلية للكون .. وكيف كانت هزيمتها المبررة أمام نظرية " كوبرنيكس " في مركز الأرض . كما رأينا انتقادات فولتير وأمثاله تمهيدا للثورة الفرنسية ، وما أصاب الكنيسة على يدى هذه الثورة من نكبات ..

وكما رأينا الدين الطبيعي الذي نادى به الفلاسفة العقليون ، ونظرية التطور الفكرى كما تخيلها " كانت " وأمثال ذلك التي مرت بنا في هذا الفصل قد رأينا أن كل ذلك لا يظهر الا ويترك أثرا بليفا في جسم المسيحية ، أو ينهش منه نهشة أويزيل من بنيان الكنيسة لبنة أو عدة لبنات ..

لكن كل ذلك لم يزل الايمان من قلوب الجماهير ، ولم يكن يسمح لأى مفترض بأن يتنبأ بانتهيار كامل للمسيحية أو يقول انه لا توجد في الانسان قيم ثابتة ولا أخلاق ثابتة ولا تقاليد ثابتة ..

ولقد صدق الناس الكثير من أقوال المفكرين وانتقاداتهم ضد الكنيسة ولكنهم مع ذلك كله كانوا مؤمنين بوجود اله يدبر هذا الكون ، وبأن آدم هو أبو البشر بكيانه المنفرد .. حتى جاء داروين بتأليفه المجيب الذى غير مجرى التاريخ الانسانى ..

(١)
لقد ألف داروين أصل الأنواع سنة ١٨٥٩ فأحدث ضجة عنيفة لم يحدثها أى مؤلف آخر في التاريخ الأوربي جميعا وكان له من الآثار في المجالات الفكرية والعملية ما لم يكن في الأذهان .

بعد هذا يحسن بنا أن نشير ولو طفيفا الى ملخص تاريخي لهذا المذهب ، لنعرف كيف طرأ على العالم ...

(١) راجع التطور والانسان الدكتور حسن رينوس ٤٢ وعقائد المفكرين ، عباس محمود العقاد ص ٦٨ .

ملخص تاريخي لتدرج القول في فكرة " أصل الأنواع "

والواقع ان الجديد الذي جاء به داروين ليس فكرة التطور العام أو المصوى ولكنه (داروين) زاد على الفكرة القانون الذي تسير عليه عملية التطور بغض النظر عن قيمته العلمية ..

أما فكرة التطور العام قد عرفه بعض الباحثين ونخص بالذكر (بافون) الذي يعتبر حق أول من كتب فيه بأسلوب علمي في العصر الحديث . الا أنه لم يبحث في أسباب استحالة الأنواع ووسائلها .. حتى جاء عالم آخر تقدم الى خطوة أبعد منه : وهو (لامارك) +

وكان (لامارك) أول من نبهت نتائج بحوثه الأفرار لهذا الموضوع .. ففي سنة ١٨٠١ م نشر هذا العالم الطبيعي آراءه في الناس ، وفي سنة ١٨٠٩ زاد اليها كثيرا في كتابه " فلسفة الحيوان " ثم عقب عليها في مقدمة كتابه " تاريخ اللافقاريات الطبيعية " الذي نشر في سنة ١٨١٥ فأبيد فيه الكتب التي تقول ان الأنواع ومنها الانسان ناشئة من أنواع أخرى ..

(١) بافون : جورج لويس بكلا ر ، كونت دي - Compté(2)

عالم فرنسي ولد سنة ١٧٠٧ وتوفي بباريس في سنة ١٧٨٨ ، له كتاب في التاريخ الطبيعي ظهر في مجلدات من سنة ١٧٤٩ الى سنة ١٧٨٨ اي سنة وفاته عالج فيه كثيرا من مشكلات علم الحيوان .. راجع أصل الأنواع : تشارلز داروين ص ١٠٣ .

(٢) لا مارك : جان باتيست ببيرا أنطوان () عالم فرنسي ولد سنة ١٧٤٤م

وتوفي سنة ١٨٢٩ م درس الظواهر الجوية والنبات . وله كتاب في نباتات فرنسا في ثلاث مجلدات . وظهر كتابه " فلسفة الحيوان في باريس سنة ١٩٠٨ في ثمانية مجلدات ، فوضع فيه من المبادئ والنظريات ما كان له أكبر الأثر فيمن عقب عليه من العلماء في بابيه .. المرجع السابق ص ١٠٣ .

وأول ما قام به ، هو تنبيه الأذهان إلى أن للتطور من سنن الوجود

ولا أثر لمعجزة في شيء من ذلك .

ثم بعد ذلك تتابع المؤلفون في هذا الباب كأمثال " جفرى سانتيلير "

(١٧٩٥) ودكتور (ولز) سنة ١٨١٣ . والاستاذ جرانت سنة ١٨٢٦ والاستاذ

هكسلى وغيرهم . . . ولا س، وراى وباركنسون ولينو (١) وجاء تشارلز

داروين الذى نسب اليه المذهب التطورى أخيرا . .

وقد يتساءل بعض الناس ويقول : اذا كان بعض الأوربيين قد سبقوا داروين

في هذا المجال ، لماذا أهملت نتائج بحوثهم ولم تؤثر في العقيدة الدينية

مثل ما أتى به داروين ؟

فنقول : ان الذى يسبى في عدم انتشار مذهبهم مثل مذهب داروين ،

راجع الى التفسيرات التى قدموها للتطور . . فقد قال هؤلاء : ان التطور خطة

مرسومة وفيها رحمة للعالمين .

ولذلك وصفت نظريتهم بأنها " لا هوتية " . . ان هذا كان كافيا

أن يجعل نتائج بحوثهم للتطور في زاوية النسيان . .

وكان الناس في ظروف مريرة وصراع شديد مع الكنيسة ، يريدون أن يتغلبوا

عليها بأية وسيلة ولو كانت أوهى من نسج المنكوت . . ولما كانت هذه

النتائج تشتمل فيها رائحة اله الكنيسة السفاح الحقود ، رفضوها . . .

وكانت الظروف تتطلب أن توجد فكرة أيضا عن الانسان والحيوان على الطريقة

الميكانيكية لطريقة نيوتن في الفلك .

ولما جاء داروين تفوق على الجميع لا استطاعته العثور على هذه القوانين

الطبيعية الأربعة كما يزعم .

وفي الصفحات التالية نود أن نتحدث عن تلك القوانين الأربعة . .

(١) انظر الطريق الطويل الى الانسان ص ١٩٧ فصاعدا

(٢) سلسلة تراث الانسانية ، مجموعة من الأستاذة الهيئة العامة مصر ص ٣٢٩ .

الفرض الاساسى لهذه النظرية

والفرض الذى يدور حوله الكتاب هو كالتالى :

- أولا : (قانون الانتخاب الطبيعى) ثانيا : (قانون تنازع البقاء)
 ثالثا : (قانون بقاء الاصلى) وقيل له ناموس المطابقة .
 رابعا : (قانون الوراثة)

١ - قانون الانتخاب الطبيعى :

يعنى به أن الطبيعة تنتخب من الموجودات ما يصلح للبقاء .. فالحيوانات مثلا تنسل عددا لا يحصى ، ولا يبقى منه الا القليل ، ولم يبق ما يبقى من قبل نفسه ، ولكن لأنه هو الذى قام الحوادث المختلفة وفواعل الطبيعة ، فصلح للبقاء ، بدون أى تدخل خارجى .. فالقوى يبقى والضعيف يفنى ، فالطبيعة هى المصدر الوحيد فى ذلك واليهما تصير الامور ..
 فما تفعله الطبيعة على حد زعمه - من انتخاب اصلح الموجودات لتمنحه ميزة البقاء سمي " الانتخاب الطبيعى " ..
 وبتمبير آخر : ان الطبيعة هى التى تمنح الحياة والبقاء لمن تشاء ، وتزيلها عن تشاء بيدها التصرف الكامل فى الكون ، انه لا يقف أمامها أى معارض أو منافس .

٢ - قانون تنازع البقاء :

يأتى تفسيره كالاتى : يرى داروين أن المخلوقات فى نزاع شديد ، فبين الأنواع حرب ضروس ترى أسدا يفترس ذئبا .. وذئبا يفترس خروفا ، وانسانا يفترس كثيرا من الحيدوانات البرية والبحرية .. أضف الى ذلك ، أن النوع الواحد قد يتنازع بعض أفراده مع بعض عند الازدحام على شىء لا يكفى لسد رغباتها جميعا كما ترى من تنازع القطط على قطعة اللحم .
 وكما ترى من تنازع الانسان مع الانسان .. وهذا التنازع الذى يجرى بين

الأنواع والأفراد هو الذى سعى (تنازع البقاء) .. يعنى التنازع لأجل البقاء .. (١)

وهكذا فسر داروين الهدف الأساسى لهذه الحياة الدنيا .. يعنى أن الحياة مبنية — بطبيعتها — على التنازع والصراع المرير بين جميع المخلوقات . إلا أن أكبر دليل على كشف هذه الخرافة الداروينية ، ظهور الأمة الإسلامية فى العالم .. وقد يعلم العدو قبل الصديق أن العالم الإسلامى لم يأت نتيجة من هذا الصراع المزعوم وإنما ظهر للوجود لتحقيق الغايات الثلاث الآتية :

* كنتم خير أمة أخرجت للناس : تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وتؤمنون بالله .. *

أين الصراع فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله فإن قالوها عصم منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام " (٢) .

أين هذا الصراع البغيض فى قول أول خليفة للمسلمين وهو سيدنا أبوبكر الصديق رضى الله عنه حيث يقول فى أول خطبة إلى الأمة الإسلامية الفتية : " أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم .. فإن أحسنتم فإعنيونى وإن أسأت فقومونى .. الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندى حتى أرجع إليه حقه إن شاء الله .. والقوى فيكم ضيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله .. "

(١) يراجع فى هذا التفسير إلى دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى ج ٤ ص ٣٠

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ٣٠١ — مطبعة السعادة — مصر

بها خصاصة ... ولا تريد علوا في الأرض ولا فسادا . ان من يكذب هذا الصراح المفترض قول هذا الصحابي الجليل (ربيع) بن عامر حين دخل على (رستم) وهو يتوكأ على رمح فوق النمارق فخرق عامتها ، فقالوا له : ما جاء بكم ؟

فقال : " الله ابتعثنا لمخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام " . ثم قال :

" فأرسلنا بدبنة الى خلقه لندعوهم اليه ، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفى الى موعود الله ... قالوا : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقى ... " (١)

ومن يقرأ هذه القصة يعلم يقينا أن داروين كان كذابا في ادعائه ... كما يعلم أيضا أن الاسلام المجيد خرج للناس بمفاهيم وقيم انسانية كريمة بعيدة عن النزاع الدارويني المزعوم . انه رفعهم من شريعة الغاب وشريعة المخلب والنا ب وشريعة المنجل والفأس وشريعة رأس المال الظالم والشيوعية الماكرة الى مستوى قيم الانسان ، وأخلاق الانسان وكرامته في سبيل خالق الانسان ... وليس في سبيل البقاء على الأرض .

الذنوب سبب هلاك الأُم وليس الانتخاب الطبيعي

ثم ان داروين يدعي ان سبب هلاك الأُم هو الانتخاب الطبيعي وبقاء الأُصلح ... هل عند داروين دليل واحد ملموس على ذلك ؟ الجواب لا انما هو ظن فحسب ...

ثم قال رضى الله عنه : " لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله الا خذلهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم الا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوننى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله " .

ولم تكن مبنية على الوثام والتوافق ولا التعاون .. فلا شك ان هذه النظرية تصادم الميكان وتخالف الفطرة البشرية .. بل تخالف مخالفة أساسية القرآن الكريم القائل :

* انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم *

ان الآية تقر بأن خلق الانسان كان لأجل التعارف والتوافق لا لأجل القتال والصراع على البقاء .. كما أشارت الآية أيضا ان الذى يجب أن يتسابق فيه الناس هو شئ واحد .. وهو التقوى وتطبيق أوامر الله عز وجل .. نعم ! يوجد هناك بعض النفوس الشريرة التى تعدلت فيهما اجهزة الاستقبال الفطري ، تتصارع على البقاء في هذه الدنيا وتقاتل ، كما حصل ذلك في الحربين العالميتين الماضيتين ، ولكنها تبقى دائما نفوسا خارجة عن الفطرة الانسانية هذا ما نوهت اليه الآية الكريمة الآتية :

* ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها *

اذن ان النفوس المتصارعة على البقاء هي النفوس التى دسها اهلها في ظلمات الاحاد .. ومن هنا فقط نلتقى مع داروين في أن بعض النفوس تتصارع لأجل البقاء .. ولكننا - في الوقت نفسه - نخالفه في تحميل هذا الحكم .

نخالفه لأننا نرى دائما نفوسا ظاهرة تممر ولا تخرب ، تجمع ولا تفرق ، ترحم وتتصدق ولا تختصم ، بل تؤثر غيرها على نفسها ولو كانت

وأما القرآن الكريم يقرر لجميع الناس في كل زمان ومكان • أن الذنوب هي سبب هلاك الأمم فقط وليس هو الانتخاب الطبيعي المزعوم •

* أفلم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم ببعض ذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون • • • (١)

* ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل • (٢)

انه مقياس رباني للأمر ليس مقياس الصالح الذي يعتمد على الكثرة وليس مقياس المال ولا القوة • •

وانما الايمان والعمل الصالح وهما طريقا بقاء الأمم في الدنيا والخلود في الآخرة • • قال تعالى :

* فلولاً كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد الا قليلاً من أنجيناً منهم واتباع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين *

ولولا هذا المقياس الرباني ، كيف يتغلب الأصحاب على أهل الكفر والالحاد في غزوة بدر • • • ولم يكن تعداد المسلمين كتعداد الكفار • • وليست عدتهم كمدة هؤلاء الكفرة • • ومع ذلك كانت الغلبة للأصحاب • انها آية من آيات الله وليس للانتخاب الطبيعي أن يتدخل في هذا الأمر انصح هذا التعبير • اسمع ما يقول القرآن في هذه القصة المجيبة :

* قد كان لكم آية في فتنتين التقتا ، فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة • • يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لأولي الأبصار *

وهكذا اتضح لنا ان الانتخاب الطبيعي أوبقاء الأصلح افتراء على تاريخ الانسان وتضليل لهؤلاء الدهماء السذج الذين لا يعرفون شيئاً من هذا النور

(١) الآية في سورة الاعراف : ١٠٠

(٢) الآية في سورة هود : ٧٤

(٣) الآية في سورة هود : ١١٦

وأخيرا : لا يجوز لمسلم أن يؤمن بهذه الخرافة المخلقة ، وكما لا يجوز له أن يتردد في بطلانه ولا يظن أبدا أنها ستكون صحيحة يوم ما . وبهذا نعلم يقينا أن الصراع الذي زعم الداروين أنه حتى من حتميات التاريخ تطاول على التاريخ ، وقد فنده التاريخ الاسلامي ..

فلا شك أن داروين قد استلهم هذه الفكرة من الشاردين الهاربين عن الدين . لأن الصراع فكره استعماريه نشأت في عصر النهضة الاستعماريه التي كانت تعتمد على القوة وسيلة لفلبة القوى على الضعيف ..

فهي شريعة الغاب التي سارت في الحرب الاستعمارية وانطبعت بها العقلية الغربية .. والصراع بفلبة القوى على الضعيف فكرة استعماريه لا أخلاقية ، تهدف الى الاستيلاء على موارد وممتلكات الغير والثورة والحنف ، وقد ظهرت نتائج هذه العقلية في العقائد الأوربية التي سادت في القرنين الماضيين وأدت كما قلنا الى حربين عالميتين وإلى الثورة الفرنسية والثورة الروسية وإلى ظهور الفاشية والنازية والشيوعية .

الصراع على البقاء في هذه النظرية ، لا من أجل مقل ومبدأ انساني أخلاقي . ولكن من أجل المادة وسيلة الناب والمخلب .

ان هذا فيه الكفايه للبيان أن الصراع لم يكن من حتميات التاريخ الانساني وانما وجد ذلك في فترة من فترات التاريخ الأوربي ... فعم داروين هذا الأمر الخاص .. لحاجة في نفسه ..

أما ناموس الوراثة :

هو ان الصفات المرضية التي تحدث في الآباء بواسطة اختلاف الأحوال والأوساط المعيشية تنتقل الى الأبناء ، فتنشأ تلك الأبناء مختلفة فيما بينها ..

ومثلا ان النسل المتولد من الأقوياء قوى ، ومن الضعفاء ضعيف ومن تولد من ضعاف الصدر كان عرضة لمرض الصدر ، وهكذا واليك ..

ولا يزال هذا الاختلاف بين الأُولاد - على زعم داروين - يقوى على
مرّ الأجيال والقرون ، حتى يستحيل ذلك الاختلاف المرضي الى اختلاف
جوهرى توهم الرأى لها انها اختلافات نوعيه من أصل الخلقة ، وهى
فى الحقيقة اختلافات بسيطة فى مبدئها ، توالى عليها الحقب حتى ازدادت
تأصلا فى الكائن الحى ونمت فيه فأدت الى مباينة الأصل الذى نشأ
منه تمام المباينة . . حتى ان الرأى لهما يظنهما من نوعين مستقلين -
وهما من نوع واحد كما نرى ذلك ^{فجيا} بين الحمار والحصان فانهما (على
مقتضى مذهب داروين) من نوع واحد وانما اختلف الحمار عن الحصان هذا
الاختلاف تبعا لمقتضيات الوسط الذى عاش فيه الحمار والجهاد المعيشى
(١)
الشديد الذى بلي به .

هذه هى القواعد الأربع التى بنى عليها داروين مذهب التطور والنشوء
والارتقاء .

فما أحسن هذا الكلام من تفكير ؟ ولكن هل عند داروين دليل من
العلم الحديث ؟

وقد أجاب عن هذا السؤال العالم الطبيعى " الكبير " أ. كرسى
موريسون بقوله :

(١) دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى ج ٤ ص ٣٠ - ٣١

وكتاب الآيات البينات للسلطان صالح بن غالب القعيطى ص ٦٩ ط
راجع كتاب الاسلام ومذهب داروين ، محمد باشمبيل -
ص : ٤٥

(٢) راجع كتاب قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، نديم الجسر ص
راجع أيضا الأخلاق ، موسوعة أحمد أمين الأدبية ص (١٠٩)

" ان القائلين بنظرية التطور (النشوء والارتقاء) لم يكونوا يعلمون شيئاً عن وحدات الوراثة (الجينات) ، وقد وقفوا في مكانهم حيث يبدأ التطور حقاً ، أعني عند الخلية ذلك الكيان الذي يحتوى الجينات ويحطمها " .

اذن ان العلم الحديث يتنافى مع هذا المذهب السخيف لأنه ظنون وتخمينات ... المعلوم ان طريق العلم هو البحث والتحقيق والاثبات والبرهان ، وطريق الفلسفة هو الظن والخرص والهوى ..

ان مسألة التطور يجب ان تتم دراستها في البحث عن بقايا وهياكل الأحياء المنقرضة في التاريخ الجيولوجي الفابر .. فهي الطريقة العلمية الوحيدة التي يمكنها ان تثبت ان شكلاً ما تغير وتطور من عصر أقدم الى عصر أحدث .

أما التخيلات والأوهام التي يقول بها بعض من يدرسون الحيوانات والنباتات الحالية ويقارنون أعضاءها ببعضها ليقولوا انها نشأت من بعضها البعض ان ذلك يخالف قواعد العلم والبحث والتحقيق ..

وفي مآهات هذه الظنون المتناقضة يتفلسف داروين وأعوانه ليقولوا ان أصل الانسان من قرود وهذا من جربوع وذلك من ضفدعه أو سمكه الخ .. وبالاختصار ، فكل من يدعى ان شكلاً من الأحياء نشأ من شكل آخر ينبغي أن يثبت ذلك بالأدلة المستحاثية طبقه وطبقه وشكلاً أو في بعض الأحيان النادرة كما في مثال الذباب بطريقة علم الوراثة بأجـراء تجارب موضوعية يقينية .. ولكن حشا داروين أن يفعل شيئاً من ذلك ... ومن ثم يرفض العلم كل تخربات الملحدين الذين تدور مقالاتهم كلها حول أصل الانسان من أحياء منحطة صغيرة ، وهدفهم من ذلك نفى وجود آدم عليه السلام ومن ثم انكار الديانات السماوية وانكار الخالق عز وجل .

فالمسألة التي يدور حولها الحوار والنزاع هي في النهاية وفي البدايه أيضا
مسألة العقيدة والايمان بالله ، بخالق الكون والاحياء فيه ولهذا لاقت قضية
التطور ونشوء الانسان مجالا رحبا واسعا تخطى آفاق اليقين الشجري
الى متاح الشكوك والترهات والخرافات التي تزعمها الملحدون ...
ان مبدأ التحكيم الى العلم الحديث هو الفاصل بيننا وبين الملاحدة ..
لا لأنه ينقل الانسان الذي اكرمه الله تعالى من الظن والهوى والخرافة
والسخافة الى العلم والنظر واليقين فحسب .. بل لأنه يجرد كذلك الملحد
وأعوانهم من السلاح الذي يعملون به ضد المؤمن ... فيكون العلم هو
السلاح الذي يقترن بالايان في معركة الانسان المؤمن من ضد ابليس
اللعين .

انه لسلاح عجيب يجمع يقين الايمان بيقين العلم ودليل الحق بدليل
البرهان . وقد أشار القرآن الكريم في اكثر من آية الى هذا السلاح القوي
فقال :

* قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة
الآخرة * (١)

وبهذا تبقى هذه النظرية بدون برهان فيضاف الى مصاف الخرافات القديمة
التي عرفت في التاريخ الانساني .
انى أعلم أن هذا التصريح سيثير غضبة كل من يريد أن ينتسب
الى القروء والديدان ... ولكن الحقيقة يجب ان تقال .
وبعد هذا ننتقل الى استماع رأى الكنيسة في الموضوع .

موقف الكنيسة من مذهب التطور

ولما ظهر هذا المذهب التطوري نشبت معركة من أعظم الممارك الفكرية في التاريخ الأوربي واشتط أصحاب النظرية في موقفهم وتطرفوا الى حد انكار وجود الله وانكار الأديان جملة وإعلان الحادهم الصريح . كما تطرفت الكنيسة وأشياعها فأعلنت كفر وهرطقة كل من لم يكن في جانبها . .

وانتهت المعركة الى نتيجة مفزعة : فقد تزلزلت العقائد الدينية جملة ، وانتشر الالحاد وشاع بطريقة غريبة شاذة . . .

ويكفيك أن تعلم من حملة رجال الدين على هذا المذهب التي استمرت في ضراوتها الى نهاية القرن التاسع عشر ، مثلاً : ان أسقف أوكسفورد ، وهو من اكبر العلماء ، أعلن ، في خطبة ألقاها أمام مجمع تقدم العلوم البريطاني " أن داروين ارتكب أشنع جريمة حينما حاول أن يحدد مجد الله في فعل الخلق " (١) وأن الكاردينال (ماننخ) قال " ان مذهب داروين هو فلسفة وحشية تؤدى عقلاً الى انكار الاله " (٢)

وأن الدكتور (به رى) كبير أساقفة مطبورن وضع كتاباً حمل فيه على داروين واتهمه بأنه يزرع في نفوس الناس بذرة الكفر وانكار الكتب السماوية " (٣)

وأن المونسنيور (سه غور) في فرنسا قال عن مذهب داروين (انه من المذاهب المردولة التي لا يؤيدها الا أخط النزعات وأسفل المشاعر ، فابوها الكفر وامها القذارة . . " (٤) .

وفي ألمانيا أعلن بعض العلماء أن مذهب داروين يناقض كل فكرة موجودة في الكتب المقدسة .

(١-٢-٣-٤) نقلنا هذه النصوص عن كتاب قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ص ١٩٣ للشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس .

وأعلن (لوناردت) استاذ اللاهوت في لا يزيغ (ان فكرة النشو
والارتقاء تناقض الحكمة الالهيه مناقضة تامه ، وان فكرة الخلق ملك الدين
لا للعلم الطبيعي وأن كل الهيكل الأعلى للدين ، انما يقوم على مذهب الخلق .
ودعا احد علماء اللاهوت في سويسرا الى القيام بحرب صليبيه ضد هذا
المذهب الخاطيء المفسد . . . وقالت مجلة جامعة دبلن (ان داروين يبحث
كيف يخلق الله عن عرشه) .

ووصف العلامة الدكتور قسطنطين (جمس) في كتابه (الدار وينزم
أوالانسان القردي) الذي نشر في باريس سنة ١٨٧٢ مذهب داروين بأنه
(أسطورة اضحوة) .

وقال الدكتور موفيلد من الجامعة نفسها : (ان التوفيق بين مذهب
النشوء وبين التنزيل غير ممكن ، وأن من يؤمن به ، ولو ثبت علميا ، يكون كافرا
بالله . ”

وقال الدكتور (لي) (أنه لا يمكن بأي اسلوب من اساليب التفسير أن
نؤول لغة الكتاب المقدس بتوسع يحتمل القول بهذا المذهب ، ونعت
داروين واتباعه مبشروا البلايع القدرة .

وفي الكلية الأميركية في بيروت طرد الاساتذة الذين ظهروا أنهم
يقولون بمذهب داروين (١) .

وهكذا رأينا موقف الكنيسة من هذه النظرية ، وهي تقول انها ترفض
حتى في حالة ثبوتها علميا يقينيا . .

وللواقع أن طبيعة الفلسفة المسيحية تجعلها أكثر الأديان تعرضا للانهار
في حالة ثبوت النظرية ، صحيح أن الأديان كلها تؤمن بمقيدة الخلق المستقل
لكن المسيحية تزيد على ذلك بأنها تجعل هذه المقيدة قطب الوحي للايمان
المسيحي برمته .

فالمسيحية البولسية والقسطاطيلية^(١١) ، تعتقد أن الله خلق آدم وحواء
ونهما عن الأكل من شجرة معرفة الخير والشر فأغرتهم الحية فأكلتا
من الشجرة فارتكبا بذلك خطيئة لا تغتفر إلا أن يرسل الله ابنه الفرد-
* كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذبا * - الذي يعتبر بحق -
عندهم - الأَقْنوم الثاني من الثلاث المزعوم ، فقتله الروم في عهد
(بيلاطس) بايعاز من اليهود ، على الصليب ليخلص البشرية من
الخطيئة الموروثة عن أبيهم آدم عليه السلام . وهذه العقيدة هي محور
التعاليم الكنسية ولا يمكن بحال أن يعد المرء مؤمنا بالمسيحية ما لم
يمتقدها . . .

وبهذه الرؤى الصادقة عن عقيدة المسيحية لم يعد غريبا أن نجد
النظرية تقضى مضاجع رجال الدين الذين يرون أن التصديق بأن الإنسان
خلق بالطريقة التطورية من الخلية الواحدة (الأُمِّيبا) إلى القرد و
فالإنسان معناه بكل وضوح نفي وجود آدم وحواء بل نفي الخطيئة الأولى
التي أسس عليها التعليم المسيحي

والخلاصة أن الكنيسة ترى أن تعاليمها تناقض مذهب النشوء والارتقاء
مناقضة صريحة حتى في حالة ثبوت النظرية . . . وقد رأينا تصريحات
علمائهم كلها تدور حول هذه الفكرة وحدها .

وقد أحسن ويلز في مقالته في هذا الصدد :

" الحق أنه لم يخل عصر من المصور من متشككة في المسيحية . . .
على أن هؤلاء كانوا أناسا غير عاديين أما الآن (أي بعد نظرية
داروين) فقد أصبحت كل المسيحية بوجه الأجمال متشككة إذ
مست الخصومة كل إنسان قرأ كتابا أو محاضرة بين

وبعد هذا الموقف المبرر من الكنيسة تجاه النظرية للداروينية ، نود
أن نسمع أيضا شيئا ولو يسيرا من الطرف الثاني في المعركة وهو طرف الملاحدة
الذين اتخذوا النظرية سنداً علمياً للاحاد الذي اخترعوه ..

موقف الملاحدة من النظرية

ان الملاحدة - بصرف النظر عن عدم ثبوت النظرية علمياً - قد اتخذوها
قاعدة من القواعد الثابتة التي لا يزيج عنها الا هالك ... واليك شيئا من
تصريحاتهم :

يقول ماندير : " لقد ثبت صدق هذه النظرية ، حتى اننا نستطيع
أن نعتبرها أثرب شيء الى الحقيقة " (٢)

ويقول (سبيس) في هذا الصدد :

" ان نظرية النشوء والارتقاء حقيقة ثابتة اخيرا وكلها ، وليست بقياس ،
أو (فرض بديل) صيغ للبحث العلمي " (٣)

ويعتقد محرر دائرة المعارف البريطانية ١٩٥٨ : أن نظرية الارتقاء في
الحيوانات " حقيقة " وأن هذه النظرية قد حظيت بموافقة عامة بين
العلماء والمثقفين بعد داروين " (٤)

(١) معالم تاريخ الانسانية تاليف ويلز ج ٤ ص ١١٣ وما بعدها

(٢) Clearer Thinking p.56 IBLA. p. 113

(٣)

Meaning Of Evolution p. 127 (٤)

نقلا عن كتاب الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٦٥ .

هذان موقفان متضادان أو متناقضان بأدق الأسلوب :
الكنيسة تقول : أنا لا أؤمن بالمذهب التطوري ولو أصبح حقيقة
علمة يومها ما ..

الإنسان القردي لماذا هذا أيتها الكنيسة المسكينة ؟
الكنيسة : لأن هذا المذهب يخالف عقيدتي بالخطيئة الأولى التي تعتبر
قطب الرحى للمقيدة المسيحية الحالية ؟

الإنسان القردي : أنا لا أترك هذا المذهب أبداً ولو يدى لي بطلانها
الكنيسة : لماذا هذا أيها الإنسان القردي المسكين ؟
إن المذهب جاء ليبقى لأنه يخالف الخلق المباشر الذي تعتقده المسيحية ..
إن هذا الحوار البسيط بين الكنيسة والإنسان القردي الملحد يسبين
أن كل واحد منهما خالف قواعد مذهبه .

فالكنيسة خالفت قواعد الأديان الصحيحة ، منها :
أن العلم الصحيح لا يتعارض مع دين صحيح لأن الدين بدون علم أعشى
والعلم بدون دين أعرج ..

الذي ينبغي لصاحب الدين أن يطالب أصحاب النظريات أن تأتي بالبرهان
كما قال تعالى : * فأتوا برهانكم إن كنتم صادقين * (١)
* فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين * (٢)

وأما إن يتعصب صاحب الدين لمقيدة معينة بعد وضع الدليل العلمي الذي
يخالفها ، فهذا خروج عن قواعد الدين نفسها ..

هذا ما فعلته الكنيسة .. أنها لم تفرض النشوء والارتقاء لكونها باطلة
فحسب ولكن لكونها لا تتماشى مع عقيدتها التي تبنتها ..
فالدين الإسلامي لا يؤيدها على ذلك ^{شهر} يقول : " الحكمة ضالة المؤمن من يأخذها
حيث وجدها " .. ولكن الكنيسة رفضتها قبل البحث عن حقيقتها ..

(١) سورة البقرة آية : ١١١

(٢) سورة آل عمران الآية : ٩٣

والانسان القردى الملحد كذلك خالف قواعد العلم الحديث التى تقول :

ان العلم الحقيقى ما يدخل تحت التجارب الحسية والملاحظات .. هل هذا

المذهب الداروينى ما ينطبق عليه هذا الشرط ؟ الجواب : لا

اذ ان هذين الموقفين متطرفان . فكل واحد منهما يحارب الطرف

الآخر فى عمالة وجهالة بغير علم ..

فالكنيسة مخطية فى رفضها كل فكرة صحيحة ما دام تخالف معتقداتها ..

الملحد

والانسان القردى مخطى فى تبنيه هذه الفكرة بدون دليل علمى ..

هذا ما صرح به بعض المنصفين من الغربيين . يقول (ستيوارت تشيس) :

" أيد علماء الأحياء جزئيا قصة آدم وحواء كما تروونها الأديان ... واذا

تواريخ سفر التكوين فى التوراة خاطئة وحوى كثيرا من الحذف والتهديب والبيان

الشاعرى فان الفكرة صحيحة فى مجملها " (١)

وليت شعرى ماذا لاسيقول هذا الرجل لوقرأ القصة كما وردت فى

القرآن فى آيات كثيرة منها :

* واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا اتجعل فيها

من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح لك ونقدس لك قال انى اعلم

ما لا تعلمون .. وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني

بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك

قال يآدم انبئهم بأسمائهم فلم

انبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون

وما كنتم تكتمون * (٢)

أو قوله تعالى : * الذى أحسن كل شىء خلقه *

(١) الانسان والعلاقة البشرية تأليف ستيوارت تشيس ، ت / احمد حمودة ،

مصر ١٩٥٥ م

(٢) سورة البقرة الآيات :

أى خلق الله تعالى كل مخلوق على أتم وجه وسخر له كل الأعضاء
 والوسائل التى تمكنه من العيش فى الوسط المقدر له ... اذا تغير الوسط
 الذى يحف بالكائن كأن صار بحرا بدل البرقما ! أن ينجو بنفسه عن طريق
 السباحة أو يموت ويندثر .. ولكن هذا التغيير أبعد ما يكون بأن يحصل
 الحيوان البرى مائيا كأن يجهزه بفلاصم⁽¹²⁾ تنفس كالسمك كما يدعيه داروين ..
 أن هذا الكذب واضح .. ولنضرب مثلا بداروين نفسه : ولو جعلناه فى الماء
 هل يستطيع أن يعيش فيها كالسمك وبتعبير آخر هل يستطيع الانتخاب
 الطبيعى أن يعطيه أجهزة السمك .. لا ! بل يموت فورا أن لم يحسن
 السباحة ...

اذن ليس هناك شئ يسمى الانتخاب الطبيعى بل هناك الانسجام والاحسان
 كما أشارت الآية الكريمة .

ان الذى يقرأ هذه الآية كيف يؤمن بعدها بخرافات داروين وولا سحيث
 يقولون ان طول رقبة النعامة او الزرافة سببه طول الاشجار وذلك ان
 تأثير الوسط الذى يعيش فيه المخلوق هو الذى يغير شكله ..
 نقول ان هذا كذب وبهتان .. بل المعقول هو أن طول أعناقهما تابع
 الى ارتفاع قوائمه ، اذ لو كانتا أقصر مما عليه ما كانت تتمكن من شرب
 الماء على ظهر الأرض وأكل النباتات القصيرة التى لا ساق لها .
 وبهذا يبدو جليا ان هذه النظرة لا أساس لها من الصحة وانما اعتنقها
 الملاحدة فرارا من الخلق المباشر الذى تبنته الكنيسة .

وقال ر . س لل :

" ظلت نظرية الارتقاء تحصل على تأييد متزايد ، يوما بعد يوم بعد
 داروين ، حتى أنه لم يبق لدى المفكرين والعلماء شك فى أن هذه
 هى الوسيلة المنطقية الوحيدة التى تستطيع أن تفسر

عملية الخلق وتشرحها " (١) .

وبعد هذه التصريحات من الملاحدة على مختلف تخصصاتهم ، لا يبقى

خافيا عنا أن المعركة كانت معركة عنيفة بين الفريقين .

فكل منهما يدعى أن صاحبه ليس على شيء . . . تقول الكنيسة أنها

ترفض رفضا باتا هذا المذهب . . لأنه يريد (أن يخلق الله عن عرشه)

والملاحدة يقولون : ان المذهب هو التفسير الوحيد لعملية الخلق . .

ان هذا الموقف المتأزم يقتضينا أن نرجع سريعا الى موقف العلم

الحديث لنرى موقفه في هذه التصريحات . . ثم ننظر في موقف بعض

المفكرين الاسلاميين من المذهب . ثم نبدي رأينا الخاص في الموضوع .

أولا - موقف العلم الحديث من نظرية داروين :

ان هذه النظرية التي اجمع العلماء الملاحدة على صحتها ، هل لاحظها

أحدهم أو جربها في معمله ؟ . . . والجواب : لا ! هذا الذي دفع

" السير آرثر كيث " الذي يعتبر محاميا متحمسا لنظرية الارتقاء - أن يسلم

بأن هذه النظرية ليست بملاحظة أو تجربة . وانما هي مجرد عقيدة .

ومن كلماته :

" ان نظرية الارتقاء عقيدة أساسية في المذهب العقلي " (٢)

وعرف أحد المحاجم العلمية نظرية داروين بأنها : " نظرية قائمة

على تفسير بلا برهان " (٣) .

Organic Evolution, P. 15 (١)

Revolt Against Reason, p. 112 (٢)

Ibid, p. 111 (٣)

وقد سئل الأستاذ (ديتار سبارليسن) (النمساوى) المختص فى علم الموروثات : " هل صحيح أننا لا نعلم الى الآن كل الحلقات الوسيطة فى تطور الانسان انطلاقا من الحيوان ؟ "

فأجاب الأستاذ : " طبعا . فهو قريب الاحتمال أننا لم نعرفها أبدا " .
ويقول الأستاذ (بيار بيسارسون) الفرنسى فى كتاب " أصل الانسان " :
" ويعتمدون - بدون حجة علمية على احتمال وجود انسان فى العهد الثالث وعلى الحلقات المفقودة فى السلسلة الرابطة بين الفرد والانسان " .
يقول الدكتور الكسيس كاريل :

" لقد أصبح جليا أن تقدم كل العلوم المتعلقة بالانسان لا يكفى لا شباب احتياجاتنا عنه ؟ ومايجاز شديد ، ان علمنا عن ذاتنا لا يزال فى حال بدائية " (٢) .

يقول عباس محمود المقاد : " واذا رجعنا الى مكان مذهب التطور من العلم لم نجد من يحسبه علما قاطعا مفروغا من اصوله وفروعه . وأكبر أنصاره لا يدعى له أكثر من أنه صحيح فى بعض ملاحظاته ومقارنته " .
ومن أشهر التطوريين المحدثين " ليكونت دى نوى " وهو فى الحقيقة صاحب نظرية تطورية مستقلة ، ومع ذلك فهو يقول :

(١) لله العلم ، بشير التركى ص ٦٥

(٢) الدكتور الكسيس كاريل فى كتابه :

راجع الدين ، وحيد الدين خان ص ٨٢

راجع الاسلام ومشكلة الحضارة ، سيد قطب ص :

(٣) عباس محمود المقاد ، عقائد المفكرين ص ٢٢

" أما تطور الكائنات الحية بجملتها فانه يناقض علم المادة الجامدة تناقضا تاما وهو يتنافى مع المبدأ الثانى من مبادئ علم القوة الحرارية وهو حجر الزاوية فى علمنا المرتكز على قوانين المصادفة فلا سبب التطور ولا حقيقته يدخلان فى نطاق علمنا الحاضر وليس من عالم يستطيع انكار ذلك " (١)

ان كان هذا موقفا من مواقف أنصار الداروينية ، فكيف يكون موقف الممارضون من العلماء الغربيين أيضا :

يقول كريسي موريسون " ان القائلين بنظرية التطور لم يكونوا يعلمون شيئا عن وحدات الوراثة (الجينات) وقد وقفوا فى مكانهم حيث يبدأ التطور حقا أعنى عند الخلية " (٢) .

أما (انتونى ستاندى) فى كتابه " العلم بقرة مقدسة " ينفى فيه أن تكون حلقة واحدة مفقودة بل هناك حلقات كثيرة مفقودة ان كانت هناك حلقة فقدت . يقول : " انه لا أقرب من الحقيقة أن نقول ان جزءا كبيرا من السلسلة المفقودة وليس حلقة واحدة بل اننا نشك فى وجود السلسلة ذاتها " (٣)

وهذا أوستن كلارك ينفى قطعا المذهب التطورى فيقول :
" لا توجد علامة واحدة تحمل على الاعتقاد بأن أيا من المراتب الحيوانية الكبرى ينحدر من غيره ، أن كل مرحلة لها وجودها المتميز

(١) انظر العلم أسواره وخفاياه مقدمة ج ٣ هارولد نابلى وزميلاه ، ت/الفندى وزميله ، مصر ١٩٧١ م

وراجع كتاب تاريخ العالم ، ج ١ فصل نظرية التطور

وراجع أيضا مصير الانسان ص ٣٢٣

(٢) موريسون كريسي : العلم يدعوللايمان ص ١٤٧

(٣) مذهب النشوء والارتقاء ، ص ٢٣ ، منيرة على الخاياتى تقديم محمد البهى ، مصر ١٣٩٥ هـ

الناتج من عملية خلق خاصة متميزة ، لقد ظهر الانسان على الارض فجأة
وفي نفس الشكل الذي نراه عليه الآن " (١)

وهكذا رأينا أن انصار الداروينية ومحايديه اتفقوا على أن المذهب
لا يؤيده العلم الحديث وانما مجرد افتراض وتخمين ، مما يبدو جلياً
أن الملاحدة لم يعتنقوا هذا المذهب لأجل كونه من الحقائق العلمية
وانما اعتنقوه للتعصب ضد الكنيسة ولشهوة الالحاد والحرية المطلقة
والتخلص من نير الكنيسة .. هذا ما أشار اليه بعض أنصار الالحاد ..

ولقد كفانا السير آرثر كيت في اثبات هذه الحقيقة حيث يقول :
" ان نظرية النشوء لا زالت حتى الآن بدون براهين وستظل
كذلك والسبب الوحيد في أننا نؤمن بها هو أن البديل الوحيد الممكن
لها هو الايمان بالخلق المباشر وهذا أمر غير وارد على الإطلاق " (٢)
وأيد في ذلك واطسرفيقول :

" ان علماء الحيوان يؤمنون بالنشوء لا كنتيجة للملاحظة
أو الاختبار والاستدلال المنطقي ولكن لأن فكرة الخلق المباشر
بعيدة عن التصور " (٣)

ويقول د . هـ سكوت : " ان نظرية النشوء جاءت لتبقى ولا يمكن
أن تتخلى عنها حتى لو أصبحت عملاً من أعمال الاعتقاد " (٤)
وبعد هذا نود أن تنتقل الى آراء بعض الاسلايين في هذا
الموضوع .

مواقف مفكرين اسلاميين من الداروينية

ان الباحثين الاسلاميين في نظرية داروين لم يتفقوا على رأى واحد بل لهم آراء مختلفة .. ومن أهمها رأيان أساسيان :

أولهما : رأى يرفض هذه النظرية ، بدليل وجود تعارض بينهما وبين النصوص القرآنية المتعلقة بخلق آدم عليه السلام ..

وأما الرأى الثانى : لا يرى أى تعارض بينهما بدليل أن النصوص التى وردت في القرآن والتى تتعلق بخلق آدم ، نصوص غير صريحة يفهم منها الخلق المباشر والخلق المتمهل على حد سواء ..

فاليك نموذجاً من أدلة كل من الفريقين :

أولاً :- الرأى المعارض :

أصحاب هذا الرأى وهم - الجمهور - يرون التناقض بين هذه النظرية وبين تعاليم الاسلام .

فلندع الكلام للشيخ محمود شلتوت ليتكلم :

يقول : " ان نظرية التطور ، لم يدل عليها برهان ، ولم يشهد بصحتها حس أو تجربة ، وقد قرر الدين ، رفض كل الفروض التى من هذا القبيل فلا غرو اذن أن يرفض نظرية التطور ... " (١) ثم قال فضيلته :

ان نظرية التطور تخالف صريح القرآن لقوله تعالى :

* لقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون * (٢)

هذا بالنسبة لجوهر النظرية ، وأما القوانين الأربعة التى أشار اليها داروين ، فبرى الأستاذ الدكتور المهندس (حسن زينو) الذى أخذ الدكتوراة فى الجيولوجيا والتنقيب ، أن هذه القوانين باطلة لمعارضتها للنص القرآنى

(١) أنظر كتاب " الفتاوى " لفضيلة الشيخ محمود شلتوت صفحة ٣٦٩ وما بعدها

طبعة الادارة العامة للثقافة الاسلامية بالازهر (جمادى الآخرة ١٣٧٩ هـ -

ديسمبر ١٩٥٩ م) .

(٢) سورة الحجر الآية : ٢٦

وبيان ذلك أن خلاصة القوانين الأربعة هي أن الطبيعة وهبت بعض الكائنات عوامل البقاء ومو هلات حفظ النوع ، بإضافة أعضاء أو صفات جديدة تستطيع بواسطتها أن تتواءم مع الظروف الطارئة بدون أي تدخل خارجي .
 ان هذا - لا شك - ينفي (أولا) تدخل الله في عملية التطور المزعوم . كما يدل على أن الكون يتخبط خبط عشواء بدون حكمة ولا غاية (ثانيا) وكما يلغى جميع التكاليف الربانية عن الانسان (ثالثا) لأنه جاء في هذه الدنيا عن طريق هذا التطور الأعشى ، ولم يخلقه خالق فكيف يعبد إليها ؟ . ولما كانت القوانين والحالة هذه قال الدكتور (حسن زينو) :
 ان ذلك يتنافى مع قوله تعالى :

* الذي أحسن كل شيء خلقه * (١)

* قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى * (٢)

لأن الآيتين تدلان على أن الله تعالى خلق كل شيء على أتم وجهه وسخر له كل الأجزاء والوسائل التي نمكته من الحبش في الوسط المقدور له . . . وليست البيئة التي تكيف الكائنات الحية كما يدعي داروين ذلك . . (٣)

هذا ما أشار إليه الاستاذ ، فإذا جاز للملحد أن ينكر القرآن فلا يجوز

لمسلم قرأ هاتين الآيتين ثم يشك في بطلان هذه القوانين المصطنعة . .
 فالأية صريحة في أن الله تعالى قد أعطى كل مخلوق ما يحتاج إليه من أعضاء وهو في بطن أمه . .

(١٤)

فهو الذي جعل (الخلد) مثلا ، يسكن تحت الأرض لكونه خلق دون عيني . .
 ولكن داروين يقول : لا ! . . ان سكناه تحت الأرض كان سببا لمحوها ومحو أثرها . . لأنه لا يحتاج الى عيني . .

ان هذا المثال البسيط يبين الفرق الأساسي بين الفكر الأحادي

(١) سورة السجدة آية : ٧

(٢) سورة طه آية : ٥٠

(٣) التطور والانسان د . (حسن زينو) ص

وبين الايمان بالله تعالى .. ثم ضرب الاستاذ مثلا آخر وناقشه فقال :
 " من حكمته البالغة أن جعل الأفعى تسلك في المسالك الضيقة لأنها
 خلقت دون أطراف فهيأ الله لها هذه الأماكن لمناسبة حالها .. وأما
 داروين وأعوانه يقولون : لا ! ان المسالك الضيقة هي التي صيرتها
 دون أعضاء ..

فأضاف قائلا : ان كان جسد الأفعى صار أملاسا من ضيق المسالك فأى
 ضيق في الماء جعل ديدان الماء ملساء ؟
 ولم لم تنبت للسماك أيادى وأرجل طوال ؟
 ولماذا لم يكن جسد من يسكن الأرض كالخرباء والفار والنمل والقنفذ
 وما أشبهه كجسد الأفعى أملس ؟

هذا ما قاله الدكتور من أن هذه القوانين التي اخترعها داروين ، قوانين
 باطلة لا يؤيده الواقع الملموس ولا يؤيده النقل الصحيح بل لا يؤيده
 العلم الحديث فلذلك قال :

" قد تبين من دراسة علم الوراثة أن الهيكل الأساسى للكائن الحي
 ليس سببه العوامل الخارجية وإنما من أصل ذاتى حسب اقتران الصفات (١٥)
 والناسلات لكل نوع وحده " (١)

من العلماء الذين عارضوا مذهب داروين الشيخ (سعيد صوى) فى
 كتابه " القيم والله جل جلاله " قال :

" وقد ذكرنا هذه المقدمات ، لأن دارس ظاهرة الحياة لا بد أن يطالبنا
 بتوضيح الرأى الصحيح فى نظرية التطور ، كنظرية تحليل تنوعات
 الأحياء ، وظهور الانسان ، واليك ما نقول فى هذا الموضوع :

(١) يراجع كتاب التطور والانسان د . حسن زينو ص :

(١) - ان القول بأن انساننا الحالي الذي أتى من أب واحد ، وأم واحدة

كان متحدرا من قرد خطأ ، لا شك فيه ولا ريب ، نقول هذا بلغة العلم
ولغة القرآن ، ولا يتناقضان :^(١)

أما بلغة القرآن فلأن الله تعالى يقول : ﴿ ان مثل عيسى عند الله كمثل
آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ (٢)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " ان الله عز وجل ، خلق آدم من
قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم :
الأحمر والأصفر ، وبين ذلك ، والسمر والحزن ، والطيب والخبيث " قال
الترمذى : حديث حسن صحيح .

وقال عليه السلام : " لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح ، عطس ، فقال :
الحمد لله ، فحمد الله بأذنه ، فقال له ربه : رحمك الله يا آدم ، اذهب
الى أولئك الملائكة - الى ملائكتهم جلوس - فقل : السلام عليكم
فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع الى ربه فقال : ان هذه
تحيتك وتحية بنيك بينهم " .

وأما بلغة العلم :

ان التاريخ كله ، كل سفر فيه ، وكل حجر من أحجاره ، وكل رواية يتناقلها
الأبناء عن الآباء تذكر أن أبا البشر آدم .

(٢) - الفوارق الكبيرة بين الانسان والقرد أو أى حيوان آخر ، تثبت
أنه لا صلة توالدية بين الانسان الحالي وأى حيوان ، هذه الفوارق التى تبدأ من
الناحية الجسمية وتنتهى عند الأخلاق وبين ذلك الفكر والعلم والارادة
... الخ

(١) الله جل جلاله ، سعيد صوى ص ٤٩ - ٥٠

(٢) سورة آل عمران آية : ٥٩

ثم قل :

" وهذه القضية هي التي جعلت حتى بعض أنصار داروين " كوالدس " يقول : (ان الارتقاء بالانتخاب الطبيعي لا يصدق على الانسان ولا بدا من القول بخلقه رأسا) .

وقال " فرخو " : (انه يشبه لنا من الواقع أن بين الانسان والقرود فرتا بعيدا ، فلا يمكننا أن نحكم بأن الانسان من سلالة قرد أو غيره من البهائم ، ولا يحسن أن نتفوه بذلك) .

(٣) - ان اكتشاف الكرمسومات (الصبغيات) وهي العامل في انتقال الصفات الوراثية ، جعلت العلماء يتخرجون بادعاء ، أن الانسان منحدر من قرد ، وذلك أن هذه الصرى الملونة ، لها عدد ثابت في كل نوع من انسان أو حيوان حيث بها يختلف النوع ويتميز الجنس (١) .

وبعد هذا التقرير الواضح يقول :

" واذا كان العلم والقرآن يقولان بما أسلفنا ، فلا كلام لغيرهما بل ولو شك العلم وقال القرآن ، لما كان عاقل الا مع القرآن ، وذلك لأن الله الذي خلق الانسان ، أعلم به كيف خلق .. "

* ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم * (٢)

* * *

وأما الاستاذ (محمد قطب) يرى أن النظرية تتعارض مع الاسلام من ناحية الأحياء .. فانها توحى الى عدة أشياء لا تتفق مع ديننا الحنيف .

(١) المرجع السابق ص ٥٠

(٢) سورة الكهف آية : ٥١

منها الأحياء إلى مادية الإنسان وحيوانيته : (١)

وقد أجمع الداروينيون على الإنسان أنه حيوان مادي لا فرق بينه وبين
أي حيوان آخر .. مثل البراغيث والفيران والضفادع فهذا جوليان هكسلي
يقول :

" من المسلم به أن الإنسان في الوقت الحاضر سيد المخلوقات ولكن قد
تحل محله القطرة أو الفأر " (٢)

ومن هنا الأحياء إلى نفي تدخل الله في الخلق .. وقد رأينا سابقا أن داروين
قال :

" أن تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله ، هو بمثابة إدخال عنصر خارق
للطبيعة في وضع ميكانيكي بحث " (٣)

منها الأحياء إلى نفي الفأية والقصد .

توطئة :

أن من الحقائق التي اتفقت عليها الأديان السماوية وآمنت بها العقول
السليمة وتذكره الفطر السليمة ، أن الوجود الإنساني على الأرض غاية مقصودة
أرادها خالقها .

فكل ذرة من ذرات هذا الكون المادي تشهد بذلك . بل إن كل الكرون
أوبروتون شاهدة على ذلك ..

فلذا نجد رسالات الله ، لم تأتْ لاثبات هذه الحقيقة بل للتذكير بها
وايضاح ما قد يخفى منها على العقول ..

يقول تعالى : * أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ، وأنكم ألينا لا ترجعون * (٤)

فلذلك كان الفلاسفة القدامى ركزوا جهودهم على الخوض في الملل الفائية
للأشياء ليسبنوا عليها نظرياتهم الفلسفية عن الكون والحياة ..

* * *

(١) التطور والثبات في حياة البشرية محمد قطب ص ٤٩

(٢) معركة تقاليد ، محمد قطب ، ص ٥٢

(٣) التطور والثبات ، محمد قطب ص ٤٩

(٤) سورة المؤمن آية : ١١٥

فلما ظهرت نظرية التطور المصنوع دارويني ، وادت بأن الانسان
وليد سلسلة طويلة من التطورات المتعاقبة ، بدأت من جرثومة في مستنقع
آسن وانتهت في خط سيرها المتخبط الى صورته الراهنة (١) ، لم يجد
هناك ما يدعو الى التفكير في الغاية من خلق الانسان ..

فلذا قال داروين : " ان الطبيعة تخبط خبط عشواء " ..

أى ليس هناك قصد ولا غاية ولا حكمة للوجود الانساني ومن العبث
أن نبحث عن غاية مرسومة وهدف مقصود لعملية الخلق " .

ويشهد الفيلسوف الملحد (برتراند رسل) بالأثر الدارويني في هذه
الحقيقة ، اذ يقول :

" بالرغم من أنه لا يزال في امكان الفيلسوف أو عالم اللاهوت أن يقول ان لكل
شيء غرضاً ظاهراً أن الفرض ليس فكرة نافعة حين نبحث في القوانين العلمية ،
وقد قيل في الاُنجيل ان القمر قد خلق لتنير بالليل ولكن العلماء مهما كانوا
مدينين لا يعتبرون ذلك ايضاحاً علمياً لأصل القمر ولقد كان عمل داروين
فاصلاً بهذه المناسبة .. فالذى فعله جاليلو ونيوتن من أجل علم الحياة .. " .
" ان الذى جعل من الممكن تفسير التكيف دون الكلام عن الفرض لم يكن
حقيقة التطور بل كان الميكانيكية الداروينية كما تتضح من تنازع البقاء وبقاء
الأصلح فالاختلاف الاعتباري واختيار الطبيعة لا يستخدمان الا المعلن
الصورية " (٢)

هكذا رأينا الداروينيين قد اتفقوا على نفي الغاية والقصد لخلق الانسان ..
ان هذا بدون أى شك مما يتعارض مع تعاليم الاسلام المبنية على نفي العبث
عن الخلق والخالق ..

نحن لا نناقشهم أكثر مما نقول ..

(١) خلق الانسان بين الطب والقرآن د . محمد على البار ص ١٠

(٢) أثر العلم في المجتمع ، برتراند رسل ، ت / تمام حسان ، مصر ص ١٢ ١٣٦

إذا لم نر مصانع تصدر الطائرات بدون قصد وغاية فكيف نسلم بأن هذا الخلق ليس لها قصد ولا غاية :

* فأنها لا تحصى الأبصار ولكن تحصى القلوب التي في الصدور * (١)
ان هذا الايحاء (يعنى نفي القصد والغاية عن الخلق) أصبح منتشرًا
في جميع العلوم الغربية .. لذا أهملت فكرة (الفائية) ، بعد ظهور الداروينية ،
في البحوث العلمية الحديثة ، من علم الطب والفلك والجيولوجيا والاحياء
وسائر العلوم .

ومنها الايحاء الى (الصدفة العمياء) :

فقد أوجت هذه الفكرة الى اعتناق فكرة الحادية هزلية لا قيمة لها ولا وزن
في حساب العلم .. تلك هي فكرة المصادفة العمياء ..
ولولم يكن هناك ايحاء آخر غير هذا الايحاء لكان كافيا للمسلم أن يرد
هذه النظرية الملحدة ..

لأن كل تفسير للتاريخ الانساني وللتطور الاجتماعي ، يفتل ارادة الله
وقدره وتدخله المباشر في حياة البشرية ، هو تفسير قاصر ، لا يفسر حقائق
الوجود ، بل هو تخمينات وظنون ، لا سند لها من علم ولا برهان . قال
تعالى :

* ان يتبعون الا الظن ، وان الظن لا يغنى عن الحق شيئا * (٢)

ومنها الايحاء الى ترك عبادة الله تعالى :

ولقد صارت هذه النظرية سببا مباشرا لصد الناس عن الاستماع لوحى الله
عز وجل . لأنهم توخى بأن الله لم يخلقهم وانما جاءوا على الأرض نتيجة من
التطور الحيواني الأصم .. وبهذا أنكر الملاحدة الرسالات والرسول أصلا بل

(١) سورة الحج آية : ٤٦

(٢) سورة النجم آية : ٢٨

لجوا في غيبها الى انكار وجود الله وعرضوا عن جميع الآيات الدالة
على الاله .

* وان يروا سبيل الحق يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا
عنها غافلين * (١)

آثار الداروينية في الحياة الأوربية

ولقد كانت النتيجة المنطقية لا انتصار الداروينية على المسيحية ، أن عمت
فوضى في عقائد الناس في المجتمعات الأوربية وانتقلت منها الى بقاع الأرض
الأخرى وصارت أفكارهم خاضعة للمادية والحيوانية ، وتخلت جموع عبادة
عن ايمانها بالله تخليا كاملا أو شبه كامل وطفئت على الحياة الأوربية
الأفكار الالهادية الغريبة ..

ولئن بقي في الغرب أثار من دين وسط التيار المادي العام .. فلنفسها
" غلالة " رقيقة لا نحسب أنها تصمد طويلا .. ودليل ذلك احصائيات
كثيرة .. ودليله كذلك لجوء رجال الدين في الولايات المتحدة من
أجل ترويج بضاعتهم الى وسائل لا تتفق أبدا مع الدين .. وهو ما يحدث
من دعوتهم الشباب من الجنسين عقب الصلوات الى حفلات راقصة .. تخفف فيها
الأنوار وتتلاصق الأجساد ، وتنطلق الأنغام خافتة حالمة .. توقظ الرغبة ،
وتشعل الشهوة .. (٢)

هذا هو مصير المسيحية بعد ظهور هذه النظرية .. وتلك هي آثارها
الدمرة .. حتى أصبح الشيطان هو المعبود في أوروبا أولا وفي الأرض ثانيا ..
ان دعاة المادية الملحدة قد أوهموا الناس أن الانسان حين يلقى عنه عبادة الله

(١) سورة الأعراف آية : ١٤٦

(٢) أساليب الغزو الفكري ، د . علي محمد جريشة ، ومحمد شريف زيبق ص ٨

سيصبح سيد نفسه ، ويصبح هو (الله) ! يقول أحد كتّابهم الملحدّين -
وهو جوليان هكسلي - في كتاب " الانسان في العالم الحديث " :
" لقد تعلم الانسان وأصبح مسيطرا على البيئة ولم يعد جاهلا بالكون
ولا عاجزا عن السيطرة على طاقته كما كان من قبل ومن ثم فقد آن للانسان أن
يأخذ على عاتق نفسه ما كان يلقيه من قبل في عصر الجاهل والمجزر - على
عاتق الله ، ويصبح هو " الله " (١) ! وهذا مصداق قوله تعالى !
* كلا ان الانسان ليطغى ، أن رآه استغنى * (٢)

* * *

انطلاقا من هذا التفكير الشارد صار الناس في أوروبا عبيدا للطغاة بصورة
لم يشهدها التاريخ سواء طغاة الرأسمالية في الغرب أو طغاة الشيوعية في
الشرق ..

عبدت أوروبا الشيطان بطرق متعددة :

عبدته عن طريق عبادة الطبيعة ...
يقول داروين ، نبي هذه العبادة :
" ان الطبيعة تخلق كل شيء ولا حدّ لقدرتها على الخلق " .
وعبدته أيضا عن طريق عبادة الانسان .. وقد رأينا الفيلسوف اليهودي
نيشة قائلا : ان الاله قد مات وأن الانسان الأعلى (سوبرمان) ينبغي أن
يحل محله ..

وعبدته عن طريق عبادة المادة .. وكان نبيها يهوديا أيضا وهو كارل ماركس في
الديانة التي تدّين بها اليوم الملايين من البشر .. في الاتحاد السوفييتي وما
حولها ..

(١) مقرر علم التوحيد ، وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية للصنف الثالث
الثانوي ص ٥٣

(٢) سورة الملق آية : ٦ - ٧

كما عبدته أيضا عن طريق عبادة " الجنس " .. وكان لليهودى فرويد هو بطل هذه المباد ..

وعبدته مرة أخرى عن طريق عبادة المجتمع التى دعى اليها الملحــد دور كايم ..

وهكذا نجد أن نظرية التطور أسهمت اسهاما عظيما فى هدم العقيدة الدينية وابعادها عن الحياة الاجتماعية كلها ..

وعبدته عن طريق عبادة الآلة .. هى التى تحركهم وتسيرهم وتكيف أفكارهم ومشاعرهم . وصار الناس عبيدا للشهوات تملكهم ولا يملكونها .. وتدمر حياتهم ولا يستطيعون استنقاذ أنفسهم منها .. سواء شهوة الجنس أو الخمر أو المال والسلطان ..

وبعبارة موجزة أصبح الانسان - فى ظل هذه النظرية - عبدا للشيطان .. ولاجل هذا كله قال علمائنا - كما سبق - أن هذه النظرية كما تصادم النصوص القرآنية ، تصادم ايحاءاتها الفطرية الانسانية أيضا . والدليل على ذلك انخماس أوروبا فى هذه الشهوات المدمرة التى ذهبت بكرامة الانسان وعزته ورفعته وحرية ..

بل يكفى دليلا على ذلك فساد أخلاق الناس فى أوروبا ، والعزلة الفردية والانعزالية التى يعيشون بها ، وغلبة المنافع المادية عليهم - أفرادا وشعوبا ، أودولا أو تكتلات - ولو خالفوا فى سبيل ذلك للوصول اليها كل القيم والمبادئ والأخلاق . وخذ مثلا - قضايا الاستعمار والتمييز العنصرى نماذج للأخلاق المعاصرة المنبثقة عن التطور الحيوانى .

وخذ كذلك قضية فلسطين التى أصبحت بين المستعمرين تارة نسمع هناك مبادرة أمريكية ، وطورا نسمع مبادرة أوربية ومرة أخرى نسمع دورا سوفيتيا . وهكذا دواليك .

فمرجع كل هذه الأخلاق الثعلبية ، حيوانية الانسانية وماديتها ...
اللتان توحي اليهما هذه النظرية .

وأما أحوال الانسان الأوربي فيكفي شهادا عليها الاضطرابات النفسية
والمصبية والجنون والقلق والانتحار ، ومحاولة الهروب من الواقع بالادمان على
المسكرات والمخدرات .

ويكفي شهادا عليها معدل انتشار الجريمة وهو معدل يتزايد باستمرار .
وسوف نتحدث عنه في الباب الذي سنمقده تحت عنوان آثار الاتحاد فسي
أوروبا الحديثة ..

ويكفي شهادا عليها النظم السياسي والاقتصادي والاجتماعي الواقع على
جمهرة أهل الأرض تحت أسماء براقية من الديمقراطية والاشتراكية والعدالة
والحرية والاخاء والمساواة ...

تلك هي بعض نتائج المذهب التطوري الذي أبعد الناس عن عبادة الله
وهذه هي جناية النظرية المادية التي رجع بها الانسان الى الحضيض لافرق
بينه وبين أى بعوض أو أى حشرات . بل سيصبح حسب هذه النظرية
جرادا منتشرا وتصبح الجراد أصحاب القوانين الدولية وملاك البنوك وأصحاب
البرلمانات والندوات ..

وأخيرا يقول الملحد جوليان هكسلى الكلمة الختامية لنظرية داروين ،
تصور لنا مدى الانحطاط الذي بلغ اليه الانسان بعد هذه النظرية وهو يقول :
" بعد نظرية داروين لم يعد الانسان يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيوانا ^(١) " .
وداروين لم يكف بأن جعل بين الانسان وبين القردة أخوة ، بل زعم أن
الجد الأصيل لآدم هو (أميبا) جرثومة صغيرة كانت - بعد ما سقطت من بعض
الكواكب - تعيش في طين المستنقعات التي تتصاعد منها الغازات الكبريتية
الرائحة ، وذلك قبل ملايين السنين .. على حد زعمهم ..

* * *

ان الأمانة العلمية تقتضينا أن نقول ان داروين لم يصدر أحكاما مستقلة على الانسان ، ولكن ابحاث النظرية - كما قلنا توحى الى هذه النتائج المدمرة .

ثم الذين جاؤا من بعده زادوا الطين بلة ..

ذلك أنهم تلقوا النظرية أصلا بدوافع مفرضة ووجهوها لتخدم أهدافا خفية .. كانوا - ولا يزالون - ينفثون أفكارهم الهدامة التي تنظر للانسان على أنه حيوان وتحدد مطالبه بمطالب الحيوان وتدرسه كما تدرس الحيوان ..

فالانسان في نظر الداروينية - لم يتطور مختارا بل كان تطوره مظهرا لخضوعه المطلق للبيئة الطبيعية أى لعوامل خارجية حتمية ..

ومن تأمل في مقالاتهم يجد أن الحيوانية والمادية ليستا هما الاثر الدارويني الذي أحط كرامة الانسان ولكن الداروينية تقول ان (آدم) الانسان الأول - بعد ما أن تطور من الجرثومة الصغيرة ، فالنبات فالحيوانية ثم القرد ، قد كان (لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم)^(١) .

وتقول أيضا أن العوامل الطبيعية وحدها صانعة التطور ، والانسان ما هو الا مرآة تنعكس عليها تقلبات الطبيعة المفاجئة وتخبطاتها غير المنهجية .. وعليه نستطيع أن نقول : ان فكرة التطور في ذاتها أوحى بحيوانية الانسان بينما أوحى تفسير العملية التي سار عليها التطور بماديته ..

وقد ظهرت آثار هذه الأبحاث جليا في الدراسات الاجتماعية والنفسية التي تناولت موضوع الانسان .

ومن أبرز الأمثلة على الأفكار التي استمدت من الداروينية : النظرية الشيوعية والنظرية الاجتماعية والنظرية النفسية ...
الك شرحا موجزا لكل واحد منها ..

(١) الاسلام ونظرية داروين ، أحمد باشميل ص ١٢٠

اليهودى كارل ماركس ونظرية داروين

ان اليهودى (كارل ماركس) - قبحه الله - استمد من هذه النظرية فكرة حيوانية الانسان وماديته ، فبنى على ذلك المذهب الشيوعى الملمصون وحسده فى البيان الشيوعى المطالب الرئيسية للانسان الشيوعى بالافذاء والسكن والجنس ...

ثم لم يكتف بذلك بل جعل المادة أصلاً لكل شىء . وفسر التاريخ الانسانى تفسيراً مادياً . . . فيرى ان القوة المادية أو القوى الاقتصادية هى التى تكيف الحياة البشرية وتحطيمها طابعها وتنشئ أفكارها ومفاهيمها وعقائدها حسب درجتها من التطور . . . فاذا انتقلت البشرية من طور الى طور بحكم قوة التطور الدائمة المفروضة على الانسان من خارج نفسه والتى لا علاقة لها بإرادته الذاتية . . . فان صورة الحياة تتغير ومشاعر الناس تتغير وأفكارهم ومفاهيمهم وعقائدهم تتغير وتتغير كل شىء فى المجتمع من أخلاق وعادات وتقاليد تغيراً حتمياً " (١)

وكتب ماركس فى هذا الموضوع ما يلى :

" ليس الادراك هو الذى يحدد معيشتهم بل على العكس من ذلك ان معيشتهم الاجتماعية هى التى تحدد ادراكهم " . (٢)

واما ستالين يصح بالتصريحات التالية :

" يجب البحث عن منشأ حياة المجتمع العقلية ، وعن أصل الأفكار والنظريات الاجتماعية ، والآراء السياسية والأوضاع السياسية . . . لا فى الأفكار والنظريات ، ولا فى الآراء والأوضاع السياسية نفسها ، بل فى شروط الحياة المادية للمجتمع فى الوجود الاجتماعى الذى تكون هذه الأفكار والنظريات والآراء وما إليها انعكاساً له . . . " (٣)

(١) معركة التقاليد محمد قطب ص ١٨
 (٢) كارل ماركس ، مساهمة فى نقد الاقتصاد السياسى - المقدمة - عن ستالين
 المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ص ٣٧
 (٣) المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ، ستالين ص ٣٧

ولذلك فقد تطورت للحياة الاجتماعية وتدرجت من طور الى طور ونلتك
وفقا لتغير و تطور أدوات الانتاج ، حيث مر المجتمع البشرى - كما قلنا - فى
خمسة ادوار وهى على التوالى :

المشاعبة البدائية (الشيوعية الاولى) ونظام الرق ، والاقطاعية والرأسمالية
فالشيعية " (١)

هذا بعض ما جنته هذه الفكرة الداروينية الملحدة * وهذا ما قام به هذا
اليهودى لتوسيع الهوة بين الدين وفكرة التطور * فأسسوا أول دولة
الحادية محضة تحارب الدين علنا - وتعادى كل متدين ومو من * وحذفوا
أسماء الأنبياء والرسل من قواميس التاريخ الانسانى - فقالوا * ان تاريخ
الانسان كله تاريخ البحث عن الطعام * (٢)

هذا ما أكد أنجلس فيلسوف الشيوعية بقوله :
" وهكذا برهنت العلم الطبيعية ^{أن} تعمل فى النتيجة بصورة دياكتيكية ،
لا بصورة ميتافيزيقية ، وأنها تتحرك فى دائرة تبقى هى ذاتها دائما وتتكرر
الى الأبد ، بل ان لها تاريخا واقعا * وبهذه المناسبة ينبغى أن نذكر
بالدرجة الأولى (داروين) الذى وجه ضربة قاسية الى الفهم الميتافيزيقى
للطبيعة باثباته أن العالم المضمون بأسره ، كما هو موجود اليوم ، أى أن
النباتات والحيوانات ، وبالتالى الانسان أيضا هو كله نتاج يجرى منذ
ملايين السنين " (٣)

وبهذه التصريحات من قمة الشيوعية ، ندرك مدى خطورة هذه النظرية
الداروينية * *

(١) راجع ل * سينغال * لمحة عن تطور المجتمع منذ بدء التاريخ - المكتبة الاشتراكية

دار دمشق ص ١٢

(٢) أصول الفلسفة الماركسية ، جورج بوليتزر ، مى بيبسى موريس كافين

ج ٢ ص ٥٨

(٣) ضد دوهرنغ - دياكتيك الطبيعة ، كارل ماركس وفردريك أنجلس ص ٢٥ ،

موسكو الطبعة الألمانية ١٩٣٥ م

اليهودى دوركايم ونظرية داروين

أما اليهودى (دوركايم) صاحب المذهب الاجتماعى ، خرج للناس بفكرة فريدة ، يرى هذا الملحد ان الانسان حيوان خاضع لجبرية اجتماعية أوقهر اجتماعى يفرض عليه العقل الجماعى وسوى هذه الخرافة (بالعقل الجمعى) " .
 هذا ما فعلته نظرية داروين بهذا اليهودى حتى/التدين/فطريا فى
 الانسان وانما ينتج من العقل الجمعى الذى هو فى خارج نطاق الفرد ..

اليهودى فرويد ونظرية داروين

أما فرويد فلم يأخذ من الداروينية الجانب التطورى ، وانما أخذ عندها حيوانية الانسان فى تفسير السلوك الانسانى .
 فهو يرى أن الدافع الجنسى هو دافعه الوحيد ، فالمولود يرضع ثدى أمه بدافع جنسى ويتبرز بدافع جنسى ويظل يقعامل مع الآخرين بناء على هذا الدافع وحده " (٢)
 والدين والأخلاق والمثل العليا كلها تابعة من هذا الدافع الجنسى أيضا ..
 وهكذا صار الانسان عند فرويد ليس حيوانا فحسب بل هو حيوان جنسى ..
 وراء كل حركة منه شهوة جنسية ظاهرة أو خفية : ويقول ان الكبّ وعقدة أوديب هما مصدر الدين ، وليس فطريا فى الكيان الانسانى " (٣)

-
- (١) قواعد المنهج فى علم الاجتماع ، تأليف اميل دوركايم ترجمة الدكتور محمود قاسم ومراجعة الدكتور السيد محمد بدوى مقدمة الطبعة الثانية ص ٤٢ و ٢٢٢
 (٢) انظر الموجز فى التحليل النفسى لفرويد : ٢٢ - ٣٤
 راجع أيضا الانسان بين المادية والاسلام ص ٥١ محمد قطب
 راجع أيضا كتاب (Totem And Taboo) ص ١٤٥ لفرويد
 نقلا عن كتاب التطور والثبات فى حياة البشرية ، محمد قطب ص ٤٩
 (٣) دراسات فى النفس الانسانية ، محمد قطب ص ٢٢٥

تلك هي بعض ابحاث هذه النظرية .. التي جردت الانسان من كل
مثل أخلاقية وجعلته تابعا ذليلا لشهواته فقط .. فلاشك أن هذه الابحاث
التي تحط من كرامة الانسان تتعارض مع قوله تعالى :

* ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا *

اننا لا نناقشهم ^{هنا} / انما نريد فقط أن نثبت أن ابحاث التطور قد شملت
جميع الأفكار الأوربية : في الاقتصاد والاجتماع وعلم النفس * بل وجميع
علومهم ..

ولم يكتفوا بهذه المجالات بالتطور المضوي بل يرون أن كل شيء في
الدنيا يتطور مثل العقائد والقيم والمبادئ والأخلاق وما لا يقبل التطور
بذاته يجب أن يطور بالقوة ..

وهذه بعض أدلة هؤلاء العلماء الفضلاء في رفض هذه النظرية
وهناك أدلة كثيرة كلها تؤكّد أن هذه النظرية تتعارض مع ديننا الحنيف ..
ولكن ما ذكرناه هنا فيه الكفاية لإثبات وجهة نظرهم في هذه النظرية ..
وبعد هذا يحسن بنا أن نقدم صورة ولو صغيرة عن وجهة نظر الفريق
الثاني : وهم الذين يرون أن هذا المذهب التطوري لا يتعارض مع الاسلام ..

ثانياً - الرأى المؤيد :

وقد أشرنا في مطلع هذا الفصل الى أن هناك رأيين للباحثين الاسلاميين حول نظرية داروين ، وقلنا هناك ان الرأى الأول ، يعارض هذه النظرية ويقول بعدم موافقتها مع القرآن ، وقد تحدثنا عنه طويلاً . . .
والآن نريد أن نتحدث عن الرأى الثانى القائل بوجود ملائمة بينهما وبين الاسلام : واليك بعض آرائهم فيها :

يقول الشيخ محمد رضا آل العلامة التقى الاصفهاني فيما نقله عنه الأستاذ محمود العقاد وهذا نصه :

" ان فلسفة النشوء والارتقاء ليست مما ينافى الدين ، ان الذى يجب علينا اعتقاده ، هو أن جميع الموجودات بأراضيها وسماواتها وما فيها من صنوف المخلوقات صنع اله واحد قادر حكيم وسع كل شئ علما ، واتقنه صنما ، خلق جميع الأنواع عن قصد واختيار . وهذا أمر متفق عليه فى جميع الأديان . . . وأما كيفية الخلق ، وأن هذه الأنواع كلها خلقت خلقا مستقلا ووجدت من كتم الحدم ابتداء ، وأنها لم تتغير عما وجدت عليه فى أوائل الخلق . . . فهيذا لم يرد فيه نص من الكتاب ولا متواتر من السنة . (١)

هذا ما صرح به هذا الشيخ . فلننتقل الى شيخ آخر من الشيخ الذين يريدون التوفيق بين مذهب داروين وبين القرآن العظيم . . .
وأما الأستاذ محمد فريد وحدى يؤيد ما قاله الاصفهاني ويزيد على ما قال بقوله :

" ان هؤلاء الناس الذين يعادون قوانين مذهب داروين كله لا أجل نتيجه ، لا يدرون أنه قد أقام أقوى البراهين الحية على حقائق قرآنية ، كان الغربيون لولاه يتوهمون أنها جهاتنا الضعيفة التى يبرهنون بها على عدم حقيقة ديننا " (٢)

(١) أنظر الانسان فى القرآن الكريم ، عباس محمود العقاد ، طبعة دار الهلال ص ١٠٦

(٢) الدين والعلم الحديث . ابراهيم عبد الباقي ص ٢٥-٢٦

وأما الشيخ نديم الجسر ، فكانت نتائج بحوثه في هذه النظرية ، أن ترك
في قلوب السذج وضماف القلوب شكوكا فاقت حد الوصف . يرى أن موقف المسلم
من هذه النظرية التوقف وعدم الجزم بالخلق المباشر الذي ورد في القرآن
ولا بالخلق المتمهل التطوري . فلندعه يعبر عما في قلبه :

... نعم ليس في تلك النصوص صراحة بأن الله خلق الانسان الأول
من تراب (دفعة واحدة) أو بتكوين (متمهل) على انفراده .. فسبيل هذا
عندنا التوقف وعدم الجزم بأحد الأمرين .. وان كان قد يظهر من بعض النصوص
الاحادية أن تكون الانسان الأول وهو (آدم) كان يتمهل ومرت عليه مدة من
الزمان ، ولكن ظواهر النصوص التي عليها مدار الاعتقاد تدل على الخلق
المستقل . ولا يجوز تأويل هذه النصوص ، وصرفها عن معناها الظاهر ، الا اذا
قام الدليل العقلي القاطع على مذهب النشوء وعندما تقوم الدلائل العقلية
القاطعة على وجود الانسان بطريق النشوء يمكن تأويل هذه النصوص ، والتوفيق
بينها وبين ما قام عليه الدليل القاطع ولا ينافي في ذلك اعتقاد المسلمين
في شيء ، ما دام الأصل عندهم ان الله تعالى هو خالق الانسان في
كل حال ... (١)

ونجد الأستاذ محمود المقاد يقول ما يلي :

" عاش (داروين) بقية حياته مؤمنا بأن مذهبه لا يقتضي من العقل
أن ينفي وجود الله ، ولا أن يمس عقائد المؤمنين بوجوده ، وأن الايمان
بأي ديانة من الديانات لا يتوقف على الفصل في قضية التطور الى الرفض
أو الى القبول .. "

وهو صريح في أن داروين عاش مؤمنا بالله تعالى ، كما أن مذهبه لا يتعارض
مع الديانات .. ولكن سوف نوضح أن داروين مات وهو ملحد كافر ..

وهذه هي أهم ما يقوله المؤمنون في نظرية داروين ، والآن نود أن نقف على أهم فقرات هذه التقارير لنبدى فيها رأينا ...

* * *

ان المتأمل في هذه الأقوال يصل الى النتائج التالية :

أولا :- قولهم ان النصوص التي تتعلق بخلق آدم في القرآن غير صريحة في الخلق المبسشر ..

ثانيا :- قولهم ان النظرية أثبتت حقائق قرآنية ، لولاها لا نكرها الملاحدة ..

ثالثا :- قولهم ان داروين عاش مؤمنا بالله تعالى ..

الحقيقة ان هؤلاء العلماء الأجلاء ، لا يوجد أحد اطلع على آثارهم العلمية ، ثم / لا يعترف بأهم / في سمو التفكير ودقة التعبير والدفاع عن بيضة الدين الاسلامي ، من الذي لا يعترف بجهد الأستاذ (محمود الحقاد) ؟ والشيخ (نديم الجسر) مفتي طرابلس ؟ وكذلك الاصفهاني ؟ وأما الأستاذ محمد فريد وجدي غني عن التعريف ويكفيه شهرة كتابه المشهور (دائرة معارف القرن العشرين) .

الا أن الحكمة هي ضالة المؤمن .. فمن هذه الحبيثة نود أن نقف قليلا على هذه النتائج الثلاثة التي توحى اليها تصرحا بهم ..

النتيجة الأولى : قولهم بأن النصوص التي وردت في القرآن أو السنة غير صريحة لا نوافقهم على ذلك ولا نؤيدهم أبدا . وذلك بأدلة من القرآن والسنة .

أولا - أدلة من القرآن :

نحن نتحدى أي قائل يقول بأن النصوص القرآنية لا تدل على الخلق المباشر ، ونقول لهم ان هناك مئات الآيات الدالة على الخلق المباشر ولكننا نختار

لکم الآيات الثالثة

يقول تعالى : ﴿ وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ، ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان (متشابهة وغير متشابهة) أنظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه ، ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان (متشابهة وغير متشابهة) كلوا من ثمره إذا أثمر وأتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ﴾ (٢)

هاتان الآيتان هما المعين الذى لا ينضب ، الذى منه تستقى كل العلم وترتوى

ثمرتا الشمس والدرق ، (١٦) (١٧) أليستا متشابهتين ؟ ولنقل نصفهما عادة فى فصيلة واحدة ، وليست كليهما من أصل واحد وهو ماء السماء ؟ انهما تشبهان أن تكونا شيئا واحدا فى الشكل أو الأصل . كذلك النحلة والدبور . . أليس يشبهان فى الفصيلة والشكل والأعضاء وشىء من نظام الحياة الخ ولكنهما كذلك غير متشابهين فى الكثير الكثير . .

وهناك وقع داروين وأعاناه فى هذا الخطأ الفاحش . . انهم لما رأوا هذا التشابه بين بعض المخلوقات قالوا : ان أصل الأنواع واحد لأجل تشابه بعضها ببعض ولكن الله الحكيم الذى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ترك لنا - معشر المؤمنين - هذه الآيات الناطقات عن أصل الكون وهو الماء . لى نرد مزاعم الملاحدة فى كل زمان ومكان القائلين أن هذا الكائن الحى تطور من ذاك الكائن . .

ومن تلك الآيات قوله تعالى : ﴿ وجعلنا كل شىء حى من الماء أفلا يؤمنون ﴾ (٣)

(١) سورة الأنعام آية : ٩٩
(٢) = = = ١٤١ :
(٣)

لقد ألمقت هذه الآيات بالضوء الكاشف على حقائق العلم وأثبتت
أن المخلوقات كل منها خلقها الله وحدها ولم تنشأ من مخلوقات أخرى
غيرها ..

ان أصل الكائنات وهو (الماء) واحد ، مهما تعددت وتنوعت وأفرطت في
الاشتباه ، لكنها تبقى دائما غير متشابهة ..

ما أفهلم هذه الصيغة (متشابهة وغير متشابهة) .. لو تأملنا علماءنا
الذين يريدون أن يجعلوا القرآن ملحقا للنظرية الداروينية ؟ ؟
إنها القاعدة الحقيقة في معرفة أصل الأنواع ، وليست هذه الفروض
والتخمينات الداروينية ..

صنوان وغير صنوان

ينص القرآن المجيد أن المخلوقات ، لم ينشأ بعضها عن بعض وإنما خلقها
الله تعالى لنفسها خلقا مستقلا لا تطور فيه لا في الماضي السحيق ولا في
المستقبل البعيد ..

في هذا يقول تعالى :

* وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل ، صنوان
وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في
ذلك لآيات لقوم يعقلون * (١)

يا ليت علمائنا القائلين بالتطور المعنوي ، تأملوا في قوله تعالى :

* صنوان وغير صنوان * .. وقوله تعالى * يسقى بماء واحد * وقوله

تعالى : * ونفضل بعضها على بعض في الأكل *

لو تأملوا فيها : لعرفوا أن الآية صريحة في الخلق المباشر ولرجعوا عن

قولهم ذلك .

فالأية تشير بوضوح إلى أن الصنوان الذي معنله ، الأصل المجتمع في منبت واحد كالرمان والتين وبعض النخيل ونحو ذلك .. وأن غير الصنوان الذي معناه : ما كان على أصل واحد كسائر الأشجار ، لم ينشأ بعضها عن بعض وإنما أصلهما الماء فقط رغم تعدد أنواعهما وتنوع ألوانهما . وكما تشير إلى أن هذا التفضيل بين الأنواع أثر من آثار الحكمة الإلهية وليس من ناموس الوراثة الذي اخترعه داروين من بنات أفكاره المنحرفة .. بدليل قوله تعالى :

* ونفضل بعضها على بعض في الأكل *

ثم أشارت الآية بهذا التعقيب المخيف إذ قالت :

* إن في ذلك لآية لقوم يعقلون *

ومعنى ذلك أن الذين لا يؤمنون بضمون هذه الآية ليسوا من العقلاء ! الذين لا يؤمنون بأن هذا التشابه تشابه ظاهري فقط وإنما في الحقيقة غير متشابه ليسوا من العقلاء !

والذين لا يؤمنون بأن صنوان و غير صنوان خلقا خلقا مستقلا من أصل مائي رغم التفاضل الذي بينهما ، ليسوا من تعداد العقلاء وإنما هم من الجيلاء الدهماء الذين ينظرون إلى ظواهر الأمور دون تعمق فيها .. لأن الذي يتعمق في التأمل في هذه المخلوقات ، يعلم بقينا أن هذا التشابه الظاهري حكمة ربانية . وأن هذا التنوع تدل على عظمة خالقه ..

ومن نفس هذه الحكمة أن خلق الله مخلوقا أو مخلوقات تشبه الإنسان في

الشكل نوعا ليذكر الإنسان بنعمة النبوة والكتاب والعقل والهمم والبيان ..

إن هذه النعمة الكبرى ، نعمة وجود التشابه مع نفى التشابه الحقيقي قد جعلها داروين وأعوانه نقمة كبرى بأن جعلوا بين الإنسان وبين القرد نسا ..

خلق آدم

وبعد ما تأكدنا من خلال هذه الآيات النبيرة ، من أن الكائنات لم يتطور بعضها عن بعض نود أن نتقدم خطوة أخرى لتري أن أبانا آدم لم يمر قط بهذه المراحل التي يصورها دارو ين وأعوانه .. ولثبت لعلمائنا الأفاضل الذين أنكروا وجود النصوص الصريحة الدالة على خلق آدم خلقاً مستقلاً ، بأن هناك نصوصاً قاطعة في الخلق المباشر .. ثم ننقل بهم إلى السنة المطهرة ليري العالم كله أن القول بعدم وجود نص قاطع في الخلق المباشر قول لا يساعد القرآن ولا السنة ..

النصوص التي وردت في القرآن :

يقول تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ﴾ (١)

ورد في تفسير ابن كثير : من سلاله من طين وهو آدم عليه السلام خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون .

وقال قتادة : استل آدم من الطين .. فان آدم عليه السلام خلق من طين لا زب وهو الصلصال من الحمأ المسنون وذلك مخلوق من التراب كما قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ﴾ (٢)

الآية توضح بشكل واضح أن خلق آدم كان قبل أن ينفخ في روح من الطين على هيئته السوية دون أن يمر بمراحل ودون أن يتطور من مخلوقات أخرى لتتضح معجزة الخلق الأول : ﴿ كن فيكون ﴾ .

هذا ما أشارت إليه الآية التالية :

﴿ وان قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ .

(١) سورة المؤمن الآية : ١٢

(٢) سورة الروم الآية : ٢٠

والآية تدل على الحقائق التالية :

١ - أن خلق آدم كان من الصلصال الذى كان من حمأ مسنون ..
والحمأ المسنون هو الطين الأسود الممتن . والمسنون : الذى أسن وتختبر
وهو صفة للحمأ ..

اذن ان بشرية آدم جاءت مباشرة من الصلصال لا من القروء .. هذا
ما فهمناه من كتاب ربنا .. والذى فهم / هذا فعلبه أن يأتي بدليل
آخر من القرآن نفسه ..

٢ - أن خلق آدم كان أولاً بدون الروح : والداروينيون لا يقولون
بهذا وإنما قالوا ان نشأة الحياة كانت من طين المستنقعات التى تتصاعد من
الفازات الكسريية الرائحة .. وهى غاز الميثان ()
وغاز كبريتوز الهيدروجين () وغاز النشادر (الأمونيا)
(١) .

فقالوا ان هذه الحياة هى التى تطورت حتى تفرعت عنها الانواع كلها ..
والغريب أن نجد بعض المفكرين الاسلاميين يصدقون هذه الخرافة كأشغال
الدكتور محمد البار فى كتابه : (خلق الانسان بين الطب والقرآن) يقول فيه :
" وترى صورة ضخمة فى قاعة المتحف الطبيعى (بلندن) تصور كيف
تجمعت هذه الفازات المنتنة من الحمأ المسنون لتكون الأحماض الأمينية
ثم كيف تطورت هذه لتكون البروتينات وأهمها الحامض النووى الذى
به سر الحياة " (٢) .

ثم استدل بقوله تعالى :

* وإذ قال ربك للملائكة ، انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ،
فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * .

(١) راجع كتاب خلق الانسان بين الطب والقرآن د . محمد البار ص ١٠

(٢) المرجع السابق ص ١٠

فقال : الحمأ : الطين الأسود المصطنع . والمسنون : الذى أسن وتغير
ويرى أن هذه الآية تدل على ما قاله العلم الحديث من أن الحياة نشأت من
الطين الآسن .

فنحن نقول : ان هذا الاستدلال في غير محله وذلك للأمر الآتية :
ان الآية تشير بوضوح الى أن الريح أو الحياة ، ليست من الطين الآسن ،
وانما هى شئ زائد على الطين قد نفخه الله في آدم بعد ما أتم خلقه
من الطين .. بينما العلم الحديث — كما قال الدكتور — تشير الى أن الحياة
جاءت مباشرة من الطين وكانت جرثومة صغيرة ثم تفرعت منها جميع الكائنات الحية ..
فشتان بين هذه الصورة ، وتلك الصورة ..

لأن الصورة الأولى تقول : ان الله هو الذى نفخ الريح في آدم بعد أن
جاوز المراحل الطينية كلها (أى التراب — ثم الطين المسنون — ثم
الصلصال كالفخار) ولكن الصورة الثانية ، تصرح بأن الحياة بدأت بصدفة
على وجه الأرض ثم تطورت من (أميبا) الى النبات ثم الى الحيوان
وكان آدم (الانسان الأول الذى لا يتكلم وليس له ادراك) في نهاية
هذا التطور ...

هل هذه هى الصورة الطاهرة تشبه تلك الصورة القذرة ؟
ثم لم تكف الآية بذلك ، ولكن قالت ان خلق آدم تم في السماء على
مشهد من الملائكة وفي حفل حافل ..

ولكن التطوريين يقولون : ان خلقه بدأ في الأرض وتم فيها بدون أية
حكمة ولا ارادة ولا أى تدخل خارجي وانما كانت الجرثومة تتخبط خبط عشواء ..
فاذا البرغوث أصبح جملاً واذا الجمل أصبح بموضة واذا (الفوريل) يقطع
ذنبه ليصبح انساناً ذا عقل وروية وتفكير هل هذه الصورة كذلك ؟ الجواب
لا !

فكان من حق الدكتور أن يكفر كل قائل بنفى تدخل الله في الكون
أو في عملية التطور ومن حقه أيضا أن يكفر (١) كل من يقول : ان أبانا آدم
كان غير مكمل العقل وكان لا يتكلم ولا يدرك شيئا ، لأنه تكذيب للقرآن
الكريم ، ولأنه ينفي قصة آدم وحواء (الوارد ذكرها صراحة في القرآن)
نفيا تاما ..

يضاف الى هذا أن قصة وجود انسان أول لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم
(كما هي قواعد نظرية داروين) هي قصة مبنية (باعتراف قطبها داروين)
على الفرض والتخمين والظن . ومن السفه أن ينفي الانسان (وخاصة المسلم)
قصة آدم وحواء المذكورة في القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه . ليصدق قصة ليس لها أي ظل من الحقيقة ، قصة أساسها
الفرض والحدس والتخمين لا القطع واليقين .. ان الخرافة تظل دائما
خرافة ولو وجدت صورتها في المتحف البريطاني والفرنسي والامريكانسي
أو الروسي .

* * *

وان كنت تعجب فاعجب قولهم : اذا أصبحت هذه النظرية حقيقة
سوف نوول النصوص التي تدل على الخلق المباشر للتوفيق بين القرآن وبين
النظرية ..

(١) ان الدكتور بعد ما أكد صحة هذه النظرية بالآية السابقة ، رجح
فقال في الصفحة التالية : " ولم ينشج صدرى لما توصلت اليه .. " اذا كان
قوله هذا حقا فلم يستدل بالآية لأجل بيان صحتها .. ولم يكتف بذلك بل
استشهد على صحتها بأقوال لابن خلدون في مقدمته .. فقال : وأنت ترى
ما جاء في كلام ابن خلدون تصريحاً أقوى مما جاء في نظرية (داروين) في
كتاب النشوء والارتقاء .. ان هذا يدل على أنه كان يؤمن بالنظرية
التطورية الداروينية الخرافية .

نقول لهم : هل رأيتم باطلا انقلب حقيقة ؟

هل رأيتم حقا انقلب باطلا ؟

اذا شذرت ذلك فكيف تصبح النظرية التي ثبت بطلانها ، حقيقة ؟
وكيف ينتقل الحق الواضح الذي رأيناه الى باطل ؟
في كتاب ربنا

ولن نتحقق أمنيتم هذه حتى يشب الغراب ان شاء الله ..

أدلة من السنة :

قد رأينا نصوص قرآنية تؤكد أن آدم قد خلق خلقا لا تطور فيه ،
والآن نريد أن نأتي بأحاديث صحاح لنؤكد بها أن القول بأن النصوص
التي وردت في الكتاب والسنة نصوص محتملة ، قول قد جانب الصواب ولا يجوز
لمسلم أن يتفوه به أبدا .. واليك أحاديث بهذا الصدد ..

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

" ان الله عز وجل ، خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ،
فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم : الأحمر والأسود وبين ذلك ،
والسهيل والحزن ، والطيب والخبيث " قال الترمذى : (حديث حسن صحيح)
وقال عليه الصلاة والسلام : " لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح ، عطس ،
فقال : الحمد لله ، فحمد الله بأذنه . فقال له ربه :
رحمك الله يا آدم ، اذهب الى أولئك الملائكة - الى الملائكة منهم جلوس
فقال : السلام عليكم .. فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع الى ربه
فقال : ان هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم " (١)

ان هذين الحديثين لا يدعيا مجالا للشك من أن آدم خلق خلقا مباشرا
وهو كامل في عقله على تمام الادراك .. وقد تم خلقه في السماء في وسط
الملائكة ، ان هذا يخالف أبا طليمهم التي تقول ان تطور الحياة كله حصل في الأرض ..
وتم فيها .. ولست أدري كيف يؤولون هذين الحديثين اذا أصبحت النظرية حقيقة
لمؤسسة كما يرجون ؟

(١) الله جل جلاله ، سميدى ص ٥٥

التطور في المستقبل

يدعي أنصار داروين أن التطور كما حصل في الماضي السحيق فهو مستمر
الى المستقبل البعيد :

وقد قال جوليان هكسلى كلمته الشهيرة :

" من المسلم به أن الانسان في الوقت الحاضر سيد المخلوقات ولكن قد تحل
محلّه القطة أو الفأر " .

نحن نتحداهم بالقرآن قائلين : ان ذلك لن يحصل أبدا كما لم يحصل
في الماضي . وذلك أن الله تعالى أخبرنا أن هذا القرآن محفوظ في
الحجة البالغة الى يوم القيامة : * نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون * (١)
ان كان القرآن محفوظا فالنوع الانساني كذلك يبقى غير متطور . . لأنه
لو تطور فمن الذي يقرأ القرآن ؟ أتقرأه القطة أو الفأر ؟
ان هذا مستحيل : وبدل دلالة واضحة أن لا تطور في المستقبل كما تخيله
هؤلاء الداروينيون .

ثم ان الله تعالى أخبرنا أن القيامة تقوم والنوع الانساني باقى على انسانيته .
يقول تعالى : * اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيّرت
واذا الحشار عدلت واذا الوحوش حشرت الى قوله تعالى علمت نفس ما
أحضرت *

ان هذه الأمثلة البسيطة تدل على عدم التطور في المستقبل والا يأتي يوم
القيامة لا يوجد على وجه الأرض أحد من الناس لأنهم قد يتطوروا الى
الديدان التي لا تكلف عليها .

هل رأيت كيف أدت هذه الفكرة التطورية الى الفناء يوم القيامة ؟ والى
تمطيل تعاليم القرآن العظيم ؟ لأنه قد تأتى أزمان لا يوجد أحد يحفظ القرآن
لأنهم قد تطوروا الى أنواع من الحشرات . .

هل يرضى علمائنا الذين يرجون تحقيق الفكرة التطورية في المستقبل ،
بهذه النتائج ؟

ان كانوا لا يرضون بها فليقولوا للناس صراحة أن لا تطور في المستقبل ..
آية أخرى تنفي التطور المضوى بنامله :

* وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما
يصرشون ، ثم كلى من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا ، يخرج من بطونها
شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس . ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * (١)
ان هذه تنقض التطور في المستقبل وفي الماضي معا .. لأن النحل كان
ولم يزل يخرج لنا العسل منذ أن وجد فوق الأرض انسان ..

فمنذ أن عرف الانسان النحل والعسل ، ومنذ وجد هذا النحل على
وجه الأرض (ومنذ الاف السنين) وطريقتهما في الانتاج هي كما
أخبر به القرآن .. ان دل هذا على شيء فانما يدل على أن التطور لم يحصل
في الماضي .. ولو كانت هذه النظرية صحيحة للاحظ الانسان طيلة هذه
الاف من السنين - شيئا من التطور والارتقاء على هذا النحل .. لا سيما وأن
النحل قد تواتر أمره في جميع بقاع الأرض منذ أقدم المصور لا رتباط وجوده
بوجود العسل الذي لا يمكن انتاجه الا عن طريق هذا النحل وحسب النظام
الالهي الذي يسير عليه دائما ..

ولن يحصل هذا التطور أبدا في المستقبل بدليل أن هذا النحل لو يحدث
عليه شيء من التطور والتحول (وحسب النواميس التي وضعها الداروينيون لنظرية
التطور والارتقاء) لا فتقد الانسان مادة العسل الى الأبد .. لأنه قد يكون
قد تطور وارتقى الى أي نوع من الأحياء لا يسمح له تركيبه الجديد ، وشكله
الجديد بانتاج هذه المادة .. لأنه قد يصبح ديكاً أو نسرًا أو ظبيا أو ما شابه
ذلك من الحيوانات ..

وهكذا فان واقع النحل والعسل لمن أقوى الأدلة على عدم صحة نظرية التطور والا رتقاء ، في الماضي والمستقبل ..
ولا جل هذا كله نستغرب من هؤلاء العقول الكبار حين صدقوا هذه النظرية ، حتى توقعوا صحتها في المستقبل ..
نظرية قد رفضها كل ذوى العقول في أوروبا ، فكيف يؤمن بها علماءنا الكبار ان هذا لغريب من غرائب الكون ..

علماء غربيون يرفضون النظرية

وقبل أن ننتقل الى الجزء التالي ، نسوق اليك تصريحات من أنصار الداروينية قد تراجع أصحابها عن هذه النظرية لما تأملوا فيها بالدقة . يقول العلامة (والاس) : " ان الارتقاء بالانتخاب الطبيعي لا يصدق على الانسان ، ولا بد من القول بخلقه رأساً " (١) . وهذا الأستاذ كان من أشد مناصري هذه النظرية . ومع ذلك أنكر على استاذ داروين القول بأن يكون الانسان قد تم تكوينه على طريقة التطور والارتقاء ..

وقال الأستاذ (فرضو) انه يتبين لنا من الواقع بين الانسان والقرود فرقاً بعيداً ، فلا يمكننا أن نحكم بأن الانسان سلالة قرود أو غيره من البهائم ، ولا يحسن أن نتفوه بذلك .

وقال (ميفرت) : ان مذهب داروين لا يمكن تأييده وانه رأى من آراء الصبيان .

أما العلامة (أغاسير) فقد حكم على مذهب داروين بالبطلان وذلك في رسالة أصدرها تحت عنوان (أصل الأنواع) وتلاها في ندوة العلم الفكتورية فقال فيها ما خلاصته :

" ان مذهب داروين خطأ على باطل في الواقع ، وأسلوبه ليس من أساليب العلم بشيء ، ولا طائل تحته . "

هكسلى يرد على صديقه داروين :

أما العلامة (هكسلى) فبالرغم من أنه على مذهب (اللأدرية) وصديق حميم لداروين ، فقد تراجع عما كان عليه من تأييد جميع القوانين الداروينية فقد صح عنه أخيرا أنه قال :

" انه بموجب ما لنا من البينات لم تبرهن قط أن نوعا من النباتات أو الحيوان نشأ من الانتخاب الطبيعى أو الانتخاب الصناعى " (١)

ودعا العلامة (تندرل) الى عدم الاهتمام بمذهب داروين فقال :
" انه لا ريب فى أن الذين يعتقدون الارتقاء يجهلون أنه نتيجة مقدمات لم يسلم بها .. ومن المحقق عندي أنه لا بد من تغيير مذهب داروين " .

وأخيرا قال العلم الايطالى (روزا) ان الاختيار الاصطناعى الذى جربه بنو الانسان فى خلال الستين سنة الماضية دليل عظيم ضد نظرية داروين . (٢)

وبعد هذه الجولة الطويلة نستطيع أن نثبت الحقائق التالية :

- (١) - أنه توجد فى القرآن الكريم نصوص صريحة فى الخلق المباشر لأبينا آدم عليه السلام خلافا لما ذهب اليه بعض علمائنا ..
- (٢) - التطور العضوى للكائنات الحية تتعارض مع القرآن كله .. وذلك أن القرآن الكريم قد عين أسماء بعض الكائنات الحية كالنحل وغيرها وذكر أن فيه شفاء ، ولو تطور النحل تبقى هذه الآية المتعلقة به بلا معنى ، لأن الناس لن يعرفوا النحل بعد تطوره فيما بعد .
- (٣) - ثم ان الانسان لو تطور الى كائن آخر من الذى يقوم - حينئذ - بالتكايف الربانية ؟

(١) هذه النقول عن كتاب الاسلام ونظرية داروين - أحمد باشمى ص ٤٥

(٢) المرجع السابق ص ٥٤

وكل هذا بوضوح توضيحا لا غموض فيه أن الانسان لن يتطور أبدا
 في المستقبل فضلا عن أن يكون متطورا في الماضي ..
 يبدو أن علمائنا الذين أرادوا التوفيق بين هذه الفكرة وبين القرآن لم
 يلاحظوا هذه الناحية .. أو لاحظوها ولكنهم أعرضوا عنها لحاجة
 في نفوسهم .. فما هي هذه الحاجة إذن ؟

حاجة في نفوسهم

ومن يتأمل في أقوال علمائنا الذين أيدوا مذهب التطور ، يجد أن الذي
 دفعهم الى هذا القول يرجع الى الأمور الآتية :

١ - مجارة الأوربيين حتى لا يتهموا ديننا بأنه دين تأخر وجمود
 كما حصل ذلك فعلا في الديانة المسيحية ..

٢ - اثبات أن ديننا يتمشى مع كل زمان ومكان ..

٣ - الاسلام دين الفكر والعلم والبحث يتوسع لجميع الأفكار ..

استخلصنا هذه الأمور الثلاثة من تقرير الشيخ محمد فريد جدي السابق
 الذي يقول فيه :

" ان هؤلاء الناس الذين يعادون قوانين مذهب داروين كله لأجل
 نتيجته لا يدرون أنه قد أقام أقوى البراهين الحية على حقائق قرآنية ، كان
 الغربيون لولاه يتوهمون أنها جهاتنا الضعيفة التي يبرهنون بها على عدم
 حقيقة ديننا " (١)

فنقول نعم ! ان الاسلام فرض على الناس الفكر والبحث ، وآيات القرآن
 في هذا المعنى كثيرة ..

* أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ؟ (٢)

* قل انظروا ماذا في السموات والأرض ؟ (٣)

* أولم يتفكروا في أنفسهم ؟ ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى * (١)

نعم ! ان الاسلام فرض على الناس العلم ، والآثار الواردة في الحث على العلم كثيرة وكذلك الايات التي تبين أن العالمين بالكون أعرف بالله :

* ومن آياته خلق السموات والأرض ، واختلاف السنتكم واللوانكم ان في ذلك لايات للعالمين * (٢)

* ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه . كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء * (٣)

ومن البديهي بعد هذا ، أن ما وصل اليه الفكر والعلم يفترض على المسلم أن يقول به ، ولا يقول بخلافه ، وقد يحدث أن يوجد بعض المسلمين الجاهلين ، وحتى ممن ينتسبون الى العلم ، ومن يمارض بعض الحقائق العلمية ، ولكن في هذه الحالة يبقى رأيهم شخصيا ، وهم فيمخاطئون ويؤخذهم على ذلك عامة المسلمين وعلماءهم .

ولقد قال أبو حامد الخزالي الامام في كتابه (تهافت الفلاسفة) حاملا على علماء الدين ، المنكرين للحقائق العلمية ، كمعرفة وقت الكسوف والخسوف وغيرها : " ومن ظن أن المناظرة في ابطال هذا من الدين فقد جنى على الدين وضعف أمره ، فان هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية وحسابية لا تبقى مصيها رية فمن يطلع عليها ويتحقق من أدلتها ، ثم يقال له : ان هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه ، وإنما يسترب في الشرع ، وضرر الشرع من ينصره لا بطريقه أكثر من ضرره ممن يطمئن فيه ، وهو كما قيل : (عدو عاقل خير من صديق جاهل) (٤) ، انه ليس من المحقول أن يأمرنا الله عز وجل بالبحث والعلم والنظر

(١) سورة الروم آية : ٨ (٢) سورة الروم آية : ٢٢

(٣) سورة فاطر آية : ٢٧

(٤) راجع الله جل جلاله ، سعيد صوى ص ٤٧

والمعرفة ، ثم يحرم علينا أن نأخذ بنتائج هذا العلم والبحث والمعرفة ؟
بل على العكس اذا أمرنا بالفكر أمرنا بالأخذ بنتائج الفكر
وهكذا ...

ولكن اذا كان الاسلام ديناً علمياً والمسلم على التفكير والاتجاه
وهدفه أن يصل الى الحقيقة العلمية المركزة ، فليس معنى هذا أن يقبل
الظن ، أو الفرضية ، أو النظرية على أنها حقيقة علمية ..
ان المسلم يجب أن يقف أبداً على أرض من صخر في عالم الفكر .
ان الله الذي حرم علينا أن لا ندعن للحقيقة ، لم يرز لنا أن نقبل
شيئاً دون برهان ، أو نعتبر الفرضية والنظرية حقيقة ، فنأخذ على
أنها مسلمة ..

* ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك
كان عنه مسؤولاً * (١)

وهذا هو الفارق الكبير بين العقلية الاسلامية والعقلية الاخرى .
العقلية الاسلامية عقلية علمية ثابتة لا تقبل شيئاً دون برهان وعلى
ضوء هذا نود أن نقف وقفة عند تقرير الشيخ محمد فريد وجسدي
السابق ...

الأستاذ محمد فريد وجدى والتطور

وأما قول الأستاذ فريد وجدى أن الداروينية قد أقام أقوى البراهين الحية على حقائق قرآنية ، نود أن يوضحه هنا ، وبيان ذلك أن الأستاذ يرى أن القوانين الداروينية حقيقة من حقائق الكون فلذا سنجد ، بعد قليل يقارن بين تلك القوانين وبين بعض النصوص من القرآن ليسر هن على صحتها . كتب يقول :

" أساس مذهب " داروين " أن العالم خاضع لنواميس : منها ناموس تنازع البقاء ونصه ، في الكتاب الالهي :

+ * ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض *

ثم قال وهو يشرح الآية على طريقته الخاصة :

" قد أشار الله تعالى الى سر الغلبة في هذا التنازع وهي القوة لقوله

تعالى : * وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة *

وأضاف قائلا :

" بهذه الآيات جمع النبي صلى الله عليه وسلم الى صفات القوة الجسدية

أعلى صفات الكمالية الانسانية ، وبشرها في أفئدة أصحابه فدانت لهم الدنيا وأصبحوا ملوك الأرض .. "

ثم قال أخيرا :

" ويقول (داروين وأحزابه : اذا سلمت أن تنازع البقاء ناموس من نواميس الكون ، فلا مناص لك أن تسلم بحصول غلبة لبعض المتنازعين ، وخذلان للبعض الآخر .

ومعنى تلك الغلبة وذلك الخذلان بلسان علم الحياة : (البقاء والتلاشي)

بمعنى أن الحزب الغالب يبقى متمتعا بما افتتحه بقوته ومهارته .. وأما الحزب

المفلوب سيزول ويدع الجو خاليا لخصومه .. " هذا ما قرره الأستاذ محمد (١)

فريد وجدى . واليك ما نراه في الموضوع .

(١) تلخيص عن كتابه الاسلام في عصر العلم نقلا عن كتاب الدين والعلم الحديث ، تأليف ، ابراهيم عبد الباقي ص ٧٨ - ٧٦

الاستدلال فيه نظير

ومن تدبر في تقرير الاستاذ (فريد وجدي) يجد أنه يدور حول شيئين أساسيين :

أولا - ان الأنواع الدنيا الضعاف ، لا تجتمع مع العليا لأنها ستزول وتخلي الجو لخصومها .. بل تتعاقب وتسبق الأولى الثانية أبدا ..

ان هذا التقرير خلاص ما نجده في عالم المستحاثات وتسلسلها الزمني التاريخي حسب الأعمار كما نجده في الأحياء جنبا إلى جنب .. (١)

إذا عدنا إلى القرآن الكريم وجدناه يؤكّد على أن الله يختار من خلقه للبقاء في الكون ما يشاء * وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون * (٢)

الآية تنص على أن أي شخص يسند الخيرة إلى الناس أو إلى القوة دون الله فهو من المشركين .. لأنه أشرك غير الله مع الله في تسيير الكون .. وبذلك نكون قد نفينا تعبيرات الشرك التي نجدها في كل مؤلف كتب عن هذا الموضوع .

ثانيا - مفهوم الأصلح : يؤكّد مذهب داورين أن الأصلح هو من يستطيع أن يستولي - بأي وسيلة كانت - على ممتلكات الغير ، بالقوة والثورة والعنف كما يفعل سكان الغاب من ذئب ناب ومخلب وظفر ..

هذا الذي أبداه الأستاذ (فريد وجدي) واستدل له بآيات قرآنية ؟

منها قوله تعالى : * وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة *

ان كانت الآية تأمر المسلمين بالاستعدادات الحربية إرهابا لقلوب أعداء الله ، ولكن لا يفهم منها أبدا الحث على أخذ ممتلكات الغير لأجل الغلبة

(١) راجع التطور والانسان ، حسن زينو ص ٢٠

(٢) سورة القصص الآية : ٦٨

والعلو في الأرض فحسب .

المسلمون في جهادهم لم تكن تهمهم أنفسهم بتدريما بهمهم اعلاء كلمة الله . . اذن لا يمكن الاستدلال بهذه الآية وأمثالها تأييدا لمذهب تتنازع البقاء الذي اخترعه داروين وأعوأنه . .

وأما مفهوم الأصلح في الاسلام يتمثل في الدينونة لله تعالى في التصور الاعتقادي ، وفي الشريعة والاتباع والشعائر التعبدية . .

وبتعبير آخر : هو الايمان بالله وتطبيق شريعته . . ان ذلك هو سبب بقاء الأمم والحضارات في الدنيا وسبب تغلب الضعفاء المتقين على الأقوياء الكافرين والشيطان . .

وكما ان الذنوب والفسق عن أمر الله واتباع المنكر والشيطان هي سبب الهلاك والزوال . .

ولا ينكر عاقل أن الاستعداد قبل الحرب من أسباب النصر أنه مأثور به ، ولكنه بدون الايمان والصالح يصبح هزيمة نكراء على أصحابه . . هذا ما تشهد به الآية التالية :

* فلما نسوا ما ذكروا به ، فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرجوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون *

نسوق اليك قصتين لتوضح هذه النقطة التي خفيت على كثير من الباحثين . قصة في الماضي البعيد ، وقصة أخرى في الماضي القريب :

القصة الأولى :

هي قصة استخلاف بني اسرائيل ونصرهم على الفراعنة ، انها ليست صراع ذئاب ولا غلبة القوى على الضعيف وانما المكس انتصار الايمان والحجة على يد موسى ضد طاغوت فرعون مصر ، انتصار قلب عليه السحرة فأمنوا وآثروا الموت من تلك اللحظة * قالوا لن نؤثر على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض ، انما تقضى هذه الحياة الدنيا . . انا آمنا بربنا ليغفر

لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى .. انه من هات
ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا .. ومن يأتيه مؤمننا
قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى * (١)

* ثم أورثنا الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا
فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان
يصنع فرعون وقومه وما كانوا يمرشون * (٢)

* قالوا يا نوح انا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت
علينا بمعزيز * (٣)

والقصة واضحة ولا تحتاج الى توضيح آخر . فهي اذن تخالف تقريرات
الأستاذ محمد فريد وحيدى مخالفة تامة الذى يرى أن الغلبة للقوى دائمة
فأرجو من القارئ الكريم امعان النظر فيما قلنا ..

القصة الثانية :

هي قصة قيادة سعد ووصية عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ..
وانتخب عمر رضى الله عنه لقيادة هذا الجيش العظيم سعد بن أبى
وقاص الزهرى القرشى خال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فولاه ووصاه ، وكان
فيما قال له :

* بسم الله الرحمن الرحيم *

أما بعد :

" فانى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فان تقوى
الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيده فى الحرب ، وآمرك ومن معك
أن تكونوا أشد احتراسا منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من

(١) سورة طه الاية : ٢٤

(٢) سورة الأعراف : ١٣٧

(٣) سورة هود الاية : ٩١

عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولو ذلك لم تكن لنا بهم
 قوة ، لأن عدونا ليس كعددهم ، وعدتنا ليست كعدتهم ، فان استويننا
 في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، والا نتصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم
بقوتنا ..

فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظاً من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا
 منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله .
 ولا تقولوا ان عدونا شر منا فلن يسلط علينا ، فرب قوم سلط عليهم
 من هو شر منهم ، كما سلط على بني اسرائيل لما عملوا بالمعاصي كـ
 المجوس فجاسوا خلال البئر ، وكان وعدا ففعلوا .
وسلوا الله المحون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم وأسأل الله
ذلك لنا ولكم " (١) "

وهناك العديد من الأمثلة ، ولكن الذي ذكرنا فيه الكفاية من التطويل ..
 وهكذا رأينا أن الصراع على البقاء ليس هدفاً اسلامياً ، وإنما هو
 فكر مادي استعماري بحث ، لا أخلاقي .. لانه يهدف - أول ما يهدف -
 الى الاستيلاء على الشعوب الضعاف .
 ولا يجبر أحد من العقلاء أن الانتصار لا يتم في هذا العالم المادي بدون
 معرفة أساليب الحرب ومعرفة كيفية الاستعمال للآلات الحربية ، ولكن
 ذلك ليس هو القانون العام الذي يسير عليه العالم في بقاء الأمم وانقراض الآخرين .
 كما عرفنا أن شجاعة شخص ما مهما بلغت لا تكفيه ليدق المسار بقبضته
 اليدوية فلا بد له من مطرقة .. ولكن هذه الوسائل وحدها لا تكفي - كما هو
 ظن الملحدين - فلا بد من الصبر على الطاعة أولاً والصبر عن المعصية ثانياً
 والصبر على ضربات العدو ثالثاً ..

(١) اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، محمد الخضرى رحمه الله تعالى ص ٦٨ مكتبة
 دار الدعوة بحلب . الطبعة الأولى المحققة ١٣٩٨ هـ

وأية أمة تتوفر فيها هذه الشروط الثلاثة هي الغالبة ولن كانت لقل عددا
وأضعف جندا .. هذا ما تشهد عليه الآية الثالثة :

* كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بأذن الله والله مع الصابرين * (١)
هذه الشروط هي التي ثورت في الفاتح الكبير (صلاح الدين الأيوبي -
حين هزمت أمامه جيوش الأفرنج * ان لم يكن يتمتع بالشجاعة فقط ومعرفة
فنون الحرب * أولم تكن بلاده تتبوأ - من الناحية العسكرية - المكانة التي
تحتلها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي * فحسب .. ولكنه أيضا يتمتع
بما هو أقوى من كل ذلك : وهو الايمان بالله وتطبيق شريعته واجتناب
المنكرات * يقول الله تعالى * لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين
اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم
وليتم مدبرين * (٢)

وانطلاقا من هذا المبدأ السامي ندرك أن الذين أرادوا أن يدافعوا
عن الاسلام بهذه النظرية التي لم تصل بعد إلى الحقائق - ولن تصل أبدا -
قد جانبوا الصواب * ولكن الله تعالى سيجزيهم عن نيتهم الطيبة ان شاء
الله .. وأما نحن لا نأخذ بهذه النظرية لبعدها عن الصواب .. ولأقامة
البراهين القاطعة على بطلانه ..

وبعد هذا ننتقل إلى الجزء الأخير ، وهو مصير داروين ..

مصير داروين

ان الذي يتأمل في المعطيات التاريخية ، يجد أن لداروين ثلاثة تطورات
- الطور الأول كان فيه مؤمنا
- الطور الثاني كان فيه شاكاً
- الطور الثالث كان فيه ملحداً

واليك شرحا موجزا لكل من هذه الأَطوار الثلاثة :

الأول : أن داروين كان في البداية أمره ينفي عن نفسه تهمة الكفر والالحاد فقد كتب مرة إلى أحد أصدقائه يقول . . " انه لا يعرف لماذا يتهمه الناس بالكفر والالحاد مع أنه لا يعتقد أن نظريته تنفي وجود اله للكون (١) " هذا يدل على أنه كان مؤمنا . . فلننتقل إلى الطور الثاني .

الثاني :- بينما نرى داروين هكذا ينفي عن نفسه تهمة الكفر والالحاد ان بنا نجده في موضع آخر يعلن تردده في الاعتراف بوجود الله تعالى فقد كتب سنة ١٨٧٩ م إلى المستر (فوردايس) صاحب كتاب ملامح من الشكوكية ، عندما سأله عن عقيدته الدينية ، كتب اليه يقول :

" ان آرائى الخاصة مسألة لا خطر لها ولا تعنى أحدا غيبي ، ولكنك سألتنى فاسمح لنفسى أن أقول اننى متردد ، ولكننى فى أقصى خطوات هذا التردد لم أكن قط ملحدا بالمعنى الذى يفهم فيه الالحاد انه انكار وجود الله واحسب أن وصف اللاأدرى يصدق فى أكثر الأوقات - لا فى جميعها - كلما تقدمت الأيام " .

وقد كتب قبل ذلك . . سنة ١٨٧٣ م إلى طالب هولندى سأله عن عقيدته الدينية فقال :

" ان استحالة تصور هذا الكون العظيم المجيب وفى نفوسنا الشاعرة قائما على مجرد المصادفة - هى فى نظرى أقوى البراهين على وجود الله ولكننى لم أستطع أن أقرر قيمة هذا البرهان . .

وأخيرا كتب ^{الآتيه} هذه المقالة / إلى الطالب نفسه فيقول : " انه لا يرى دليلا على الوحي وأن الايمان بالبعث متروك لكل من يشاء أن يتخذ له فيه معتقدا بين الاحتمالات المتضاربة . . " (٢)

(١) عقائد المفكرين ، العقاد ص ٥٥ راجع ايضا الانسان بين المادية والاسلام ، محمد قطب ص ٢٣

(٢) الاسلام ونظرية داروين ، محمد احمد باشميل ص ١١٢

ان هدفه للتصريحات من داروين ان دل على شيء فانما يدل على ان داروين
كان في هذه المرحلة شاكاً في وجود الله عز وجل ، وقد يكون أكثر ميلاً
الى الالحاد والكفر .

ولكن داروين لم يصرح بالالحاد في هذه المرحلة المتوسطة من حياته
فانه قد صرح في آخر عمره عن الحاد وكفره بالله تعالى .

الثالث : كفر داروين والحاد :

فقد صح عنه قوله : " لم أكن واثقاً من اعتقادي بالله ، ولكنني واثق
تماماً من اعتقادي بالانسان .

ونقل عنه أنه قال :

" ان الاعتراف بوجود خالق له ارادة في الخلق ، هو بمثابة ادخال
عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت " (١)

ان هذه اشارة صريحة من داروين الى أنه ينفي تدخل الله في
عملية التطور وأن وجوده ليس ضرورة لرعاية هذا الكون المادي .

هل اكفى داروين بنفي تدخل الله في الكون فحسب ؟ لا ! بل ذهب
الى أبعد من ذلك ، انه قد أعلن كفره والحاد قبل أن يموت . .

وقد اعترف بالحاد في خطاب وجهه الى صديقه (غراي) في جامعة
(هارفارد) ، قال فيه : علي أن أخبرك - كرجل شريف - بأنني بلفت
غاية الهرطقة والالحاد في قولي أنه ليس ثمة من أنواع مستقلة الخلق ولعلك
مستحقرني من أجل ذلك " .

ولم يكتف داروين بهذا الاعلان الالحادي بل ندم على استعماله
لفظ الخلق في كتابه أصل الأنواع . . فهذا الاستاذ يوسف كرم يوضح
ذلك بقوله : (٢)

(١) الانسان بين المادية والاسلام ، محمد قطب ص ٢١
(٢) عباقرة العلم ص ١٧٦ نقلاً عن كتاب الاسلام ونظرية داروين ص ١١٤

" وقد كان (داروين) مؤمناً بالله الى وقت ظهور كتبه (أصل الأنواع)
الذى قال في ختامه ان الصور الحية الأولى مخلوقة ، ثم تطور فكره شيئاً فشيئاً
حتى أعلن أسفه لاستحالة لفظ الخلق مجازاة للرأى العام ، وصرح بأن الحياة
لفر من الأنغاز وأن ما فى العالم من ألم يعدل بنا عن القول بحنايئة
المهيبة .. " (١)

فقد ظهر لنا هنا أن داروين اتخذ وجود الشرفى الكون دليلاً لا نكار
وجود الله عز وجل ..
وشهد شاهد من أهله :

ولعل أقوى شهادة لدينا على كفر داروين والحاده هي شهادة زوجته
التي قالت بعد موته :

" لا ريب عندى فى أن داروين قد كفر بالله سبحانه وتعالى ، ولكن
الله غفور رحيم وهو سيصفح عنه " (٢)

وهكذا كان مصير داروين .. لقد اتضح سراً اختلاف الناس فى ايمان
داروين . وأن الكل صادق فيما وصف به داروين .
قد كان مؤمناً فى أول أمره ولذا قال الفريق الأول انه مؤمن ولعل هذا
الفريق لم يطلع على ما صرح به داروين من كفر والحاد . ثم صار شاكاً وممانعاً
للرأى العام ، ولذا قال الفريق الثانى انه منافق ، ثم كان مصيره الى الإلحاد
والتعطيل الصريح آخر أيامه .. ولذا يقول الفريق الثالث انه ملحد ويدعو
الى محاربته ومحاربة أفكاره الإلحادية التى كتبها فى كتابه المشهور
(أصل الأنواع) .

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم ص ٣٣٦

(٢) عباقرة العلم ص ١٨٤ نقلاً عن كتاب الاسلام ونظرية داروين ، باشميل

موقفنا من النظرية

لقد نقلنا الأقوال في خلال هذا البحث ، وناقشنا بعض الآراء لنبرهن على أن نظرية التطور ليست إلا من قبيل الفرضيات التي لم يقم عليها برهان قاطع ، ولولا أن الصهيونية العالمية والشبوعية ، كل واحد منهما تتبناها ، لهدى في النفس كامن ، لنقضت من زمن نتيجة للحملات العلمية المركزة التي قام بها آلاف من العلماء عليها . . . ان بروتوكولات حكماء صهيون ، تذكر أنها هي التي مهدت لنجاح داروين وقصدها من ذلك تحطيم الأديان في أنفس البشر غير اليهود . .

والشبوعية تتمسك بها - كتمسك لا بد منه ولو باطلا - لا ثبات للمادية الجدلية .

أما موقفنا نحن المسلمين من هذه القضية فهو الذي ذكرناه سابقا كموقفنا من كل شيء : ما قام عليه البرهان قبلناه ، ولا توقفنا فيه اذا كان النص القرآني محتملا ، أما اذا جزم النص القرآني وشك فنحن مع النص جزما . .

* * *

ولا يفهم أحد منا أن البحث عن نشأة الكون ممنوع شرعا ، فقد أمرنا الله أن نبحث عن نشأة الحياة :

* قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق *

* أولم يروا كيف يسبدى الله الخلق ثم يعيده * (١)

ولقد أمرنا أن ننظر كيف وجدت الأحياء : * أفلا ينظرون الى الأبل كيف

خلقت * (٢)

وعند الله علم الباقين : قال تعالى * فما بال القرون الأولى ؟ قال : علمها

عند ربى في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى * (٣)

(١) سورة العنكبوت الآية ١٩ - ٢٠

(٢) سورة الفاشية الآية : ١٧

(٣) سورة طه الآية : ٥١ - ٥٢

فما أخبرنا عنه من ذلك لا يكون غيره ، حقا ولا يكشف العلم عن سواء .
 فقد رأينا أن النصوص التي تتعلق بخلق آدم كلها توءم كد الخلق المبشر .
 ولا تجد نصا صريحا يدل على الخلق المتميل المتطور .. اللهم الا اذا كان
 من قبيل الفرضيات العقلية ..

وقد رأينا العلم الحديث أيضا لا يؤيد هذه النظرية بحال من الأحوال
 بل اعتبرها أسطورة من الأساطير ..

وآخر دعوانا في ذلك قوله تعالى :

* ان مثل عبسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون *

* الذى أحسن كل شئ خلقه *

* سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى ، والذى

أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى *

* والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى

على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل

شئ قدير *

سبحان الذى خلق الخليقة وسوى كل مخلوق فى أحسن الهيئات وجعل

بعضهم يمشى على بطنه من أصل خلقته وبعضهم على رجلين منذ بدايته

خلقهم وبعضهم على أربع كما أراد الله لأنه يخلق ما يشاء ولا يعجزه

شئ .. ولم يسند هذا للطبيعة الممياء ولا للانتخاب الطبيعى كما يدعون ..

والحمد لله الذى أعطى كل حيوان ما يحتاج اليه من أعضاء وآلات وحواس .

وهيا الانسان تهيفة خاصة لتحمل أعباء المسئولية والتكاليف الرأبسية

أحمده وأشكره وأصلى وأسلم على النبي الكريم .

الفصل السادس

دور اليهود في افساد أوروبا

لقد رأينا في السطور السابقة أن من أهم العوامل التي أدت إلى تمكين الفكرة
الاحادية في أوروبا الحديثة الأسباب التي ذكرناها ..

ولذلك أن نتحدث عن الأسباب الخفية التي قد أهملها كثير من الباحثين :

وهما : (١) دور اليهود في افساد أوروبا

(٢) رجوع أوروبا إلى آرائها الوثنية القديمة .

فلنحط .. كلا .. لحظة سريعة ..

دور اليهود في افساد أوروبا :

لقد استغلت اليهودية العالمية ، هذه الظروف المحيطة بالكنيسة ورجالها ،
لتوسيع الهوة التي قامت بين فكرة الدين وفكر الاحاد .. استغلتها تحقيقا
لحقدهم القديم ضد غير اليهود عامة ، وحقدهم على المسيحيين بصفة خاصة
من أجل ما لا قوه منهم من اضطهاد .. (١)

(١) ثأرهم مع المسيحية في أوروبا ثأر قديم .. ثأر الاضطهاد الفظيع الذي نالوه
من الحكم الروماني المسيحي ، والاذلال الذي أصابهم في كل مجتمع مسيحي
فلنضرب على ذلك مثلا واحدا .. كان المسيحي يحتاج إلى المال فيقترضه من
اليهودي ومع ذلك يأبى إلا أن يحقر مقرضه ، فلا يسلم عليه بيده ولا يلمسه
إنما يوقفه بعيدا عنه كالمنبوذ ويقول له آمرا موبخا : (ضع المال بعيدا واغرب
عن وجهي يا خنزير . فإذا ابتعد خطوات في ذلة ذليلة ، اقترب (السيد)
المسيحي ليأخذ المال الذي اقترضه من اليهودي .. اذلال لا تنساه ذاكرة
اليهود .

راجع التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص ٣٢

راجع أيضا مكائد يهودية عبر التاريخ ، عبد الرحمن حسن حبكة المبدئي ص ٢٢٢

وراجع أيضا كتاب أحجار على رقعة الشطرنج ، الأميرال وليلم . كار ص ١

(١) تفكرت هذه اليهودية العالمية في أن اعظم مادة تبني بها هذا الجدار اللصين مادة الاحاد والكربا لله عز وجل ، لا قامة الحسابات الرياضية والرفقات المادية مقامه .

لأنهم يدركون جيدا أن هذه المبادئ السامية متى انهارت في قلوب الناس فقدوا - بالضرورة - كل الروادع الداخلية التي تردعهم عن الشر ... فيقصون صرعى لهذه الشرذمة الملحونة أو يكونون خميرا ليركبها * شعب الله المختار .

وتلك كانت مهمة اليهودية العالمية . وقامت بها بنجاح منقطع النظير (٢) ونستطيع أن نجمل المخططات التي قامت بها اليهودية لافساد أوروبا ، في دورين هامين :

أحدهما :- دور نظري ، وثانيهما :- دور عملي . فكل دور منهما له أخطاره الكبيرة فلا بد من ايضاح كل منهما ولو قليلا :

الدور العملي :

وأما الدور العملي الذي قام به اليهود لافساد أوروبا فأسبابه كثيرة ومتنوعة ولكننا نستطيع أن نجملها في شيئين اثنين :

(١) الثورة الفرنسية

(٢) الثورة الصناعية

(١) راجع كتاب مكائد يهودية عبر التاريخ ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٢٢٥

(٢) التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص ٢٢

راجع ايضا كفاحي : ترجمة الاستاذ لويس الحاج ص ١٤٦ ، ١٤٧

راجع أيضا كتاب اليهود في القرآن ، غيف عبد الفتاح طبارة ص ٥٠ ط : السابعة .

أولا - الثورة الفرنسية الكبرى :

خلال القرن الثامن عشر الميلادي دبر اليهود مكائدهم لا قامه الثورة الفرنسية الكبرى التي اندلعت نارها في عام ١٧٨٩ م^(١) كما سبق واستطاعوا أن يجنسوا الثروات لأنفسهم ، على حساب الأمم والشعوب . والدماء التي اهرقت من جرائمها لا تعد ولا تحصى واستطاعوا أن يظلوا في الخفاء بحديد ين عن الأضواء ، وأن يزوروا كثيرا من الحقائق التاريخية لستر مكائدهم وغاياتهم وأن يصوروا هذه الثورة وما جرت وراءها بالصورة المحببة الجميلة ، وأن يجعلوها إحدى الأعمال التاريخية المجيدة . وذلك عن طريق الدعايات والاشاعات المزخرفة المقرونة بالشعارات البراقة التي انخدعت بها الجماهير وأخذت ترددها بغفلة وحماسة وجهد بما تهدف اليه كما تردد البيخاوات الكلمات التي تسمعها وهي لا تعلم ما تدل عليه .

واليك جملة تدل على صدق ما نقول :

قالوا في بروتوكولاتهم : (١٨)

" لقد أقمنا الأُمميين بأن مذهب التحررية سيؤدي بهم الى ملكة العقول وسيكون استبدادنا من هذه الطبيعة لأنه سيكون في مقام يقمح كل الثورات ويستأصل بالعنف اللازم كل فكرة تحررية من كل الهيئات .

" حينما لاحظ الجمهور أنه قد أُعطي كل أنواع الحقوق باسم التحرر تصور نفسه انه السيد وحاول أن يفرض القوة . وان الجمهور مثله مثل كل أعى آخر قد صادف بالضرورة عقبات لا تحصى ، ولأنه لم يرغب في الرجوع الى المنهج السابق وضع عندئذ قوته تحت اقدامنا . ثم قالوا وهو محل الشاهد :

" تذكروا الثورة الفرنسية التي نسميها (الكبرى) ان اسرار تنظيمها التمهيدي

معروفة لنا جيدا لأنها من صنع أيدينا . ونحن من ذلك الحين نقود الأمم قدما من خيبة الى خيبة " (٢)

(١) أحجار على رقعة الشطرنج ، الاميرال وليام غاي كارص ١٤

(٢) البروتوكول الثالث ص (١٢٩)

هذا ما يقوله اليهود بأنهم هم الذين نظموا هذه الثورة والمعلوم أن اليهود ليسوا هم الذين ينشئون الأحداث ولكنهم يستغلونها للقيام بدورهم الخطير. وقد عرفنا أن المظالم وسوء توزيع الثروة العامة كانت قائمة من قبل الأشراف والنبلاء ورجال الدين ولكنهم (اليهود) استغلوا هذه البهيسة الفاسدة لبث مخططاتهم كما قلنا سابقا وليجعلوا من ذلك سندا للعامة والجماهير حتى يعرفوا أن التمسك بالدين والأخلاق والتقاليد تهممة ينبغي التبرؤ منها..

هذه هي الثورة اليهودية التي سموها - بهتاننا وزورا بالثورة الفرنسية - وهكذا جرت الأمور وتتابعت لصالح اليهودية العالمية وزوروا الحقائق التاريخية هذا ما اعترفت به دائرة المعارف الماسونية على لسان المؤرخ السياسي الاقتصادي لويس بلان : " أن الماسونية كانت ممحلا للثورة .. فقد مكثت الماسونية - نحو نصف قرن - تعد محافلها أفكار الشعب الفرنسي للقيام بثورته الكبرى ولا غرابة في الأمر .. فالماسونية ، قد اتخذت شعارا لها ، كلمات ثلاث : حرية - مساواة - اخاء اتخذها قبل ان تتخذها الثورة الفرنسية شعارا " (١)

تمويل الثورة الفرنسية

أما عن تمويل الثورة الفرنسية فتعترف دائرة المعارف اليهودية أنه كان وراء الثورة عدد من اليهود قاموا بتمويلها وتذكر أسماءهم صريحة وهم :

دانيال انزج	(١٧٢٢-١٧٩٩) من برلين
ديفد فريد لاندر	(١٧٥٠-١٨٣٤) من برلين
هرز سيرفيبر	(١٧٣٠-١٨٩٣) الالزاس
بنجامين جولد سمد	(١٧٥٥-١٨٠٨) من لندن
ابراهيم جولد سمد	(١٧٥٦-١٨١٠) من لندن
موزس موكاتا	(١٧٦٨-١٨٥٧) من لندن

(١) البروتوكول الأول ص ١١٩

وراجع حنا أبو راشد ص ١٥٢

نقلا عن كتاب الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام ، عبد الله التل ص ١٣

وهم عم المليونير الانجليزى مونتفيورى (١) ومن المعروف ان نيكر (—) اليهودى السويسرى كان وزيرا لمالية لويست السادس عشر ملك فرنسا ، فاغرق هذا الوزير فرنسا بالديون حتى وصلت الى ١٧٠ مليون جنيه استرليني ، وهى ديون باهظة في ذلك الحين ، فرسموا خطة تجويع فرنسا .. وحينئذ لم يبق للشعب الفرنسى صبر على تحمل هذه المجاعة العامة فقاموا بهذه الثورة اليهودية التلمودية ..

ولن يعد غريبا مثل هذه الافكار الهدامة والاعمال المجرمة ، اذا قرأنا الوثيقة الخطيرة التى وجدت بين أوراق ميرابو (Miraboh) التى ضبطت في منزل (مدام لجاي) زوج ناشركب ميرابو وذلك فى ٦ اكتوبر (١٧٨٩) ونصها :

” يجب أن نسحق كل النظام ، وأن نلغى القوانين ، وأن نمحو كل السلطات وأن نترك الناس فى فوضى ، وقد لا تنفذ القوانين التى نسنها فى الحال ، ولكن متى اردنا السلطة الى الشعب فانه سوف يقاتل من أجل حريته يمتقد أنه يقاتل لصونها ،

ولكن لما كان الشعب آلة يحركها المشرعون طبق ارادتهم فمن الضروري أن نستخدمه لتأييدنا ، وأن نحمله على بغض كل ما نرى الى هدمه ، وأن نغذيه بالخيالات والأوهام ، كذلك يجب ان نشترى كل الاقلام المرتزقة التى تبث مبادئه ، والتى تعرف الشعب باعدائنا الذين نهاجمهم .

” فرجال الدين — مثلا — وهم أقوى الطوائف تأثيرا فى رأى العام لا يمكن هدمهم الا بالسخرية من الدين ، والتشهير بأقطابه ، وتصويرهم أوفادا منافقين

(١) راجع :

نقلا عن كتاب الأفي اليهودية في معاقل الاسلام تأليف عبد الله التل ص ١٣

ذلك لأن (محمدا) مهد لانشاء دينه بالطعن في الوثية التي يعتنقها
الحرب ، ومن الواجب ان تقوم النشرات القاذفة في كل وقت بحملات جديدة على
رجال الدين ، فتبالغ والقتل والكفر كلها مباحة في أوقات الثورة . ثم يجب
ان نشين من قدر النبلاء وأن نرجعهم الى أصل ساقط^(١)
وهكذا كان شأن الثورة الفرنسية . . . فهي كانت - كما قلنا سابقا - من أسباب
شتاء العالم واذلال الشعوب وتسخيرها لخدمة اليهودية العالمية التي خططت
للثورة ومولتها ونفذتها وجنت أرباحها .

ويبقى أن نذكر الحقيقة المرة وهي أن فرنسا منذ ثورتها اليهودية
الماسونية سنة ١٧٨٩ م قد تحولت تدريجيا الى مزرعة يهودية بمالها
وثقافتها وعلمها وسياساتها واقتصادها .

كما غدت فرنسا بفضل التسامح الذي فرضته الثورة اليهودية بؤرة فساد .
توزع الرذيلة والدعارة والفجور على العالم بأسره واذ فهمنا ذلك فلننتقل
الى الدور الثاني الخطير الذي قام به اليهود في بث الأفكار الهدامة ضد
الكنيسة ورجالها ، وهو الثورة الصناعية . . . فالى هناك !

ثانيا - الثورة الصناعية :

وقد قلنا - وسنظل نقول دائما - ان اليهود لا ينشئون الأحداث ولكنهم
يستغلونها لتنفيذ مخططاتهم الماسونية التلمودية الصهيونية .
نعم ! قد فرحت اليهودية العالمية أبما فرحة بقيام النهضة الأوروبية الحديثة
على أساس لا ديني (Secularité) . ولم تكن فرحتها - بعد ظههور
الداروينية - أشد من الثورة الصناعية فبذلت اليهودية جهود الجبابرة لتوسيع
المهوة التي قامت بين الدين وبين هذه الثورة .

* * *

(١) تاريخ الجماعات السرية والحركات الهدامة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر
ط ٢ ، ١٩٥٤ ص ١٤٤ ، ١٤٥

لقد استغلت اليهودية العالمية هذا الانقلاب الصناعي استغلالا يتجاوز حدود القياس ...

استغلته لتفتت الروابط الأسرية وانسداد الأخلاق ..
كما استغلته أيضا لنشر التعامل الربوي في أوروبا أولا وفي جميع بقاع العالم أخيرا ..

فلا بد - اذن - من إيضاح لهذهين الاستغلالين ...
الا أننا نود - قبل هذا الإيضاح - أن نعطي للقارئ الكريم فكرة موجزة عن الثورة الصناعية التي كانت بمثابة (النذير العريان) (١) لمجيء الأحداث على الدين والأخلاق والتقاليد في أوروبا الحديثة ...
فاليك شرحا مختصرا لهذه الثورة الصناعية :

ان هذه الثورة العجيبة بدأت بظهور الآلة .. فأحدثت انقلابا شاملا للحياة الأوربية .. لا يقف عند حدود العلاقات الاقتصادية أو الاجتماعية فحسب ، وإنما يتعداها الى كل نواحي الحياة في أوروبا ..

في البيت والشارع ..
في العمل وفي الأفكار ..
في التقاليد والقيم ..
والمبادئ والأخلاق ..

لم يبق شيء على الاطلاق الا أصابته سومه ..
ان هذا الانقلاب ظهر أول ما ظهر في المدن تله الصناعة ، حيث بدأت تجذب اليها الشباب من الرجال المزب ليحملوا في المصانع الجديدة ويمشون في المدن على صفة لم يعرفوها سابقا ...
جاءوا بدون أسر .. فاجتمعوا في زمالة العمل .. غير متعارفين ولا مترابطين وفجأة بدأت الحياة الأوربية تتغير ..

(١) هو الذي ينذر قومه وهو عريان ليعلموا أن الأمر شديد فيستعدوا بالجد قبل نزول الغارة أو المصائب .

الفلاحون الذين كانوا يعملون في الأرض ، أخذوا يعملون في المصانع " التي
تجمع حولها الشبان الأقوياء المفتولي العضلات .. الذين يقدرون على الجهد
المضني العنيف ..

وجاء دور تشغيل المرأة في المصانع :

ولما كان العمال الشبان يعملون فوق ما يطبقون ولا يأخذون الا بخس دراهم ،
فساءت العلاقة بين العمال والسادات .. فكروا حينئذ في تشغيل المرأة بأقل
الأجور من الرجال " (١)

ثم جاءت المرأة لتعمل مع الشبان في المصانع .
جاءت أيضا بدون أسر .. تشترك مع الشبان في العمل ، وصارت تملك
مالها ملكا تاما .. وتعامل مع الرجال الأُجانب في المصنع والمتجر والطريق ..
فأحست المرأة أنها "تحررت"
فكان ذلك انقلابا في نفسها ..
فاذا هي تلتقي مع الشباب المتحررين أيضا ..
من هنا خبثت أخلاقهم وانحلوا من ربة الدين والتحلى بالفضائل ..
ولكن الأمر لم يتوقف عند هذه الحدود ، بل قامت المرأة المتحررة تطالب
بجميع حقوقها كاملة غير منقوصة ..

وتطالب المساواة مع الرجل في الأُجور ..
تطالب المساواة مع الرجل في التحلل والاباحية والانطلاق ..
تطالب دخولها في الجامعات مع الرجال جنبا الى جنب ..
تطالب دخولها في البرلمان والانتخابات والتمثيل الشعبي والمهني والنقابي ..
تطالب الحرية في القول والعمل ..

" فتحررت المرأة " وتحرر الناس من قيود الدين والأُخلاق والتقاليد
وأصبحت الاباحية ديانة معترفا بها ، ويقوم بالدعاية اليها رجال على مسع من الحكومة ،

(١) التطور والثبات ، محمد قطب ص ٢٣ ولكن بالتصرف .

كتبوا وقصصا وبحوثا وصحافة واذاعة وسينما وتلفزيون ..

(وكان شعارهم في جميع أنحاء أوروبا : دعه يفعل)

(دعه يمر)

ومعنى ذلك دع " الفرد " يعمل كما يشاء بلا قيود ودعه يمر لحاجاته
بلا حواجز ولا عوائق ..

فاندحرت أوروبا في ظلمات الالحاد والاباحية ..

هذا جزء ضئيل من قصة الثورة الصناعية ..

وجاء اليهود في وسط هذه الاباحية المطلقة الحرة لينفخوا في
صورها ويزينوها للناس في صورة براقعة خلافة .. فافهموا هؤلاء المجانين
أن الجنس عملية بيولوجية بحثة لا علاقة لها بالأخلاق . فبدوا
يحيطون بالمجتمع الأوربي المفتون المسكين ، من المخريات بشتى أشكالها
من القصص والمسرحيات وسينما ، وتلفزيون والاذاعة والصحافة ..
كل ذلك بصور الحياة من خلال الجنس ! الجنس فقط .. وتصوره على أنه
شيء طبيعي ..

ان اليهود أنفسهم قد اعترفوا بهذا الدور الفظيع الذي قاموا به فقالوا
في البروتوكول مايلي :

" يجب أن نعمل لتنهيار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا .. ان فرويد
منا ، وسيظل يعرض العلاقة الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب
شيء مقدس ، ويصبح همه الأكبر هوارواء غرائزه الجنسية وغدئذ تنهار أخلاقه^(١)
وقالوا أيضا فيه :

" لقد رتبنا نجاح داروين وماركس ونيتشة بالترويج لآرائهم وأن الأثر
الهدام للأخلاق الذي تنشئه علومهم في فكر غير اليهودي واضح لنا بكل تأكيد^(٢)

(١)

(٢) البروتوكول الثاني ص ١٢٣

وهكذا جعلت اليهودية العالمية ، أوروبا بكاملها بين " فكي الكماشة " ولم تستطع أوروبا التخلص من بينهما حتى وقعت صريعة بين أيدي اليهودية العالمية . فأسست لها النظريات التي أسس عليها بنیان المجتمع الغربي الحديث ، يمكن حصرها في ثلاثة عناوين :

١ - المساواة بين الرجال والنساء

٢ - استقلال النساء بشؤون معاشهن

٣ - الاختلاط المطلق بين الرجال والنساء

ولا يخفى على كل ذي عقل ان هذه الكلمات الثلاثة فيها ما فيها من تدمير الأخلاق والخروج بالنساء من الانسانية الكريمة الى البهيمية الهابطة .

١ - أنهم فهموا من ساداتهم - اليهود ، أن معنى المساواة أن يرخص للمرأة غنان القيود الخلقية مثل ما أرخص للرجل من ذي قبل . . . فهذه الفكرة الخاطئة جعلت المرأة غافلة بل منحرفة عن أداء واجبها الفطري الذي يتوقف على أدائه بقاء المدنية بل بقاء الجنس البشري وهو تربية الأولاد في البيوت وترك هذا الواجب الفطري وصلت أوروبا الى نتائج فادحة . .

ومن نتائج هذا الاتجاه المنحرف أن تفككت الأسرة

لماذا ؟ الأب يعمل . .

الأم تعمل . .

والأولاد يعطون . .

فقد أدى هذه الاعمال المرهقة الى تعاطي موانع الحمل وقتل الأولاد ، لأنهم يمنعونهم من أعمالهم . . هل يرضى بذلك البهائم والوحوش من سكان الغاب والبراري ؟ لا والله !

هكذا صارت بنات حواء في المجتمع الغربي الحديث . .

اذا فهمنا هذا فلنتقدم الى خطوة ثانية . .

استقلال المرأة بشؤونها :

٢ - نود هنا أن نلقى الأضواء على النظرية الخبيثة التي تقسول :
 باستقلال النساء بمعايشهن وأن يقمن بحالهن وبشؤونهن الاقتصادية ..
 ان هذه النظرية اليهودية ، نظرية باطلة لما ظهر منها من نتائج سيئة
 تتعارض مع الفطرة الانسانية ..

وبيان ذلك أن هذه النظرية تدعو أن تفوض شؤون البيت الى الفنادق
 والشركات .. لأن المرأة قد تحررت اقتصاديا ، تذهب صباح مساء الى الشغل
 وليس عندها وقت لاعداد الطعام في البيت ..
 الرجل وكذلك/ لا يوجد لديه وقت ، لأنه مشغول عن نفسه في كل ما يتعلق بشؤون
 المنزل .

فلم يبق بعد هذا الانقلاب بينهما من صلة ترغيبهما في العشرة البيتية
 وتجبرهما على الحياة الزوجية المشتركة غير صلة الشهوات وغرائز النفس
 الحيوانية .

ومن الظاهر أن مجرد اطفاء أوار الشهوة البهيمية ليس بأمر يضطر الرجل
 والمرأة الى أن يتعاشرا في بيت واحد ، مقرونين في نير الرابطة الزوجية الأبدية .
 لأنه من الميسور أن يجد كل واحد منهما مكانا آخر لا طفاء هذه الشهوة ،
 فما للمرأة - اذن - ترهق نفسها باعباء خلقية وأثقال قانونية في غير طائل .
 وان كانت تخاف من ولد الزنى الذي تلده من فاجر مغمور ، ولكن قد أذهب
 عن تفسيها هذا الخوف ما ابتكر أخيرا من أساليب التخلص منه : وأولها تدابير
 منع الحمل . فان أخفقت ، فلا بأس باسقاط الجنين .. وان لم يتحقق ، فلا
 حرج في قتل المولود من وراء الجدران ، في جنح الليل وان أبت عا طفة الأمومة
 قتل المولود ، فلا لوم على الفتاة في كونها أمًا لا بن زنية ..

وبهذا فقد أصبح الناس في المجتمع الصناعي لا يعتبرون الاتصال الجنسي
 غير المشروع ، عيبا وازدراء وخطا من شأن الانسان ، بل العكس عندهم

هو الصحيح • وهو أن يفعل الانسان هذا الاتصال الجنسي البهيمي تخلصا من
تهمة الرجعية وحكم التخلف والجمود ••

هذا هو الذي أفسد أخلاق أوربا من القواعد • وزلزل كيانه زلزالا
شديدا ولا يستطيع أحد أن يتصور مقدار هذه البهيمية التي يحشونها
الا من أتصل بالأوربيين عن كتب ، بل عن كتب أيضا •• يقول أبو
الأعلى المودودي في هذه المناسبة :

" كل قطر من أقطارهم ترى مئات الألوف من الفتيات والنساء عوانس ، يرتدن
موارد الفحشاء والشهوات من غير تحفظ ولا خجل ••

" ويتفوقهن في كثرة العدد اللاتي يتزوجن في سورة من عاطفة
الحب المارضة ، ولكنه لم يبق بين الرجل والمرأة من صلة غير صلة
التمتع الجنسية - تحوج أحدهما الى الآخر ••

وقد عادت أمثال هذه الأواصر الزوجية كأوهن ما يكون من الأمور ••
" وهذه الحال الراهنة هي السبب في شيوع المفساد من منع الحمل واسقاط
الأجنة وقتل الأولاد وانخفاض تناسب المواليد وكثرة أولاد النفل ، وكذلك
لها يد وأى يد في انتشار الفاحشة والخلاعة وازدياد الأمراض السريسة
الفتاكة •• (١)

فلا بد أن يصلوا الى هذه النتائج المخيفة لأنهم في انحرافهم هذا قد خالفوا
الفطرة الانسانية ، فلا بد اذن من عقوبة الفطرة •

ان فطرة الانسان ترى دائما أن المبدأ الصحيح أن يكسب الرجل وتدبر
المرأة شئون البيت •• هناك يحصل التوازن ويحصل الوثام بين الطرفين •
بل يحصل هناك السكون والرحمة والمودة ••
النظيف

هذا ما قرره الاسلام في تكوين المجتمع المسلم / فقال تعالى :

(١) الحجاب لأبي الأعلى المودودي ص ٣٠ ، دار الفكر للطباعة والنشر •

* ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا انتم بشر تنتشرون *

* ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم

مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * (١)

أى أن البيت السعيد هو الذى يكون فيه السكون والرحمة والمودة .. ويكون

الفرض الأساسى للاتصال الجنسى تشجيع على الانجاب والتكاثر الذى يرثك

ويدعوك بعد الموت .. وليس الفرض هذه الشهوات الحيوانية النكراء ...

٣ - ولم ينته المكر اليهودى في تشليل الأوربيين حتى جردهم من كل خلق

انسانى ، قد استبدله لهم بأخلاق " الكلاب " و " الذئاب " .. قد استبدل

هذا البيت السعيد الهادى ، بالاختلاط المطلق بدون حياء ولا مروءة ...

فنتجت عن هذا الاختلاط المطلق ، نتائج فادحة ..

(١) التبج والعمرى في النساء .. لأن الجاذبية الجنسية -

(Sexual Attraction) التى أودعها الله سبحانه

وتعالى - في فطرة الرجل والمرأة ، لها سلطانها الذى لا ينكر ..

ان هذه الجاذبية - كما يعرف ذلك الجميع حتى الملاحدة - تزداد

قوة واشتدادا باختلاط الجنسین ..

(٢) ولا ينتهى هذا الافتتان بابداء الزينة والجمال عند حد ...

بل يتجاوز الحدود كلها واحدا بعد الآخر ، حتى ينتهى أمره الى غيات العمرى

المشين ..

ان أوربا الجاهلة شاهدة على ذلك .. فقد ازدادت - ولا تزال تزداد فى

المرأة الأوربية ، غريزة التجميل وحب الظهور بالمظاهر الجذابة للرجال

الى حد لا تكاد تظن أنها تعتبر نفسها انسانا ..

تراها تكاد تتجرد من ملابسها وتريد ألا تستر جسمها هدية ثوب مشرق ..

هذه حال المرأة عندهم ..

كل ذلك من تخطيط هذه الخلايا الخفية " اليهودية العالمية " .
وأما رجالهم فما تزيدهم كل هذه المظاهر الخلابة من الجمال النسوي الا نهمة
وشرقا ..

لأن نار الشهوة والعاطفة البهيمية المتأججة في الصدور لا تخدم بكل
منظر جديد من الخلاعة والسفور .. بل تزداد دائما وتزداد ... (١)
ولا يزال هذا الداء الوبيل - من غلبة الشهوة البهيمية - ينخر في كيان
الأمم الغربية و ينقص من قوة حياتها بسرعة هائلة ..
والتاريخ يشهد أنه ما سرى هذا الداء في مفاصل أمة الا أوردتها موارد
التلف والفناء ..

ذلك بأنه يقتل في الانسان كل ما آتاه الله من القوى العقلية والجسدية
وتقدمه في الحياة ..

وسنتكلم على ذلك بالتفصيل في الباب الذي سنمقدمه - ان شاء الله -
تحت عنوان (من نتائج الاتحاد الحديث) .

اندفاع غريب الى الشهوات

لقد تقرر معنا أن اليهودية العالمية ، لا تنشأ الا أحداث وانما تستغلها
وتنفخ فيها وتغير أهدافها ، ... اذن تعلم أن الاندفاع الى هذه الشهوات
الحيوانية كانت موجودة في عروق الأوربيين .. فلا بد أن يكون ذلك لسبب من
الأسباب .. لأننا لم نراهم ديانة يتجردون من دينهم بهذا الشكل
الغريب الفظيع الا الأوربيون .. فما هو سبب انحلالهم من الأخلاق
بهذا الشكل ؟

(١) حكم التريج والاختلاط في الاسلام ..

الحقبة أن الدارس لا خلاق المسيحيين يجد أن هذا الاندفاع إلى الشهوات

بهذا الشكل السريع وقع ، كـرد فعل ضد الكبت الكسبي . .

وتفصيل ذلك : أن الفكرة التي كان يحملها الآباء المسيحيون — كما قلنا سابقا —

في باب طفيلان الكيسة — عن علاقة ما بين الرجل والمرأة ، كانت قد جاوزت

حد التطرف في جانب ، وكانت حربا على الفطرة البشرية في جانب آخر . .

فاليك شرحا موجزا من نظرتهم إلى المرأة . .

(١) أن المرأة ينبوع المعاصي وأصل السيئة والفجور . .

(٢) وهي باب من ابواب جهنم لأن منها انبجست عيون المصائب

الإنسانية جمعاء

(٣) فيحسبها ندامة وخجلا أنها امرأة . . وينبغي أن تستحي من

جنسها وجمالها . . لأنه سلاح إبليس الأقوى . .

هذه نموذج من الفكرة التي كان يحملها آباء الكيسة تجاه المرأة . .

وكان ذلك رد فعل لا ندلاع هذه النار الشهوانية في ظل الثـمـورة

(١)

الصناعية .

فلنستمع إلى ترتوليان (Tertullion) الذي هو أحد

أقطاب المسيحية الأول وأئمتها مبينا نظرية المسيحية في المرأة :

" أنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان . . وأنها دافعة بالمرء إلى

الشجرة المنوعة ، ناقضة لقانون الله ، ومشوهة لصورة الله — أي الرجل (٢) . .

وكذلك يقول كراي سوستام (Chrysostem)

الذي يعد من كبار أولياء الديانة المسيحية في شأن المرأة . .

" هي شر لا بد منه ، ووسوسة جبليّة ، وآفة مرغوب فيها ، وخطر على الأسرة

والبيت ، ومحبة فتاكة و

مظلي ممّوه " (٣)

(١) الحجاب ص ٢١

(٢) المصدر السابق ص ٢٢

(٣) المصدر السابق ص ٢٢

أما نظرتهم الثانية في باب النساء ، فخلاصتها أن الملاقة الجنسية بين
الرجل والمرأة هي نجس في نفسها ، يجب أن تجنب ، ولو كانت عن طريق
نكاح وعقد رسمي مشروع " (١)
وأن كلاً لا يجد مهراً لئلا لحال ، ولكلاً نقول ان الكبت الكسى له يد في اندفاع
الناس الى هذه الشهوانية البهيمية الحقاء .

الخلاصة : ان هاتين النظريتين ما وضعتا المرأة المكانة اللائقة بها ..
هناك تنفير منها ، وهناك دعوة الى عبادتها .. فالكل متطرف ..

تنبيه :

اذا قلنا أن الدول الأوربية المتحدة قد فسدت أخلاقها وخبثت ليس معنى
ذلك انهم لا يوجد لديهم شيء ما من الأخلاق ؟
لا ! ان لديهم ألواناً من الفضائل في مجال التعامل الفردي : الصدق والاخلاص
في العمل والاستقامة والأمانة ونظافة التعامل .. ولكنهم - لبعدهم عن منهج
الله ، تنحرف عن طريقها القويم .
فقد تحولت - كما سنرى في آخر هذا البحث - الى فضائل " نفعية "
يتبعها من يتبعها ، لأنها في مجموعها " نافعة " في التعامل .. تجعل عجلة
الحياة تسير بلا احتكاك ..

أما حين تفقد نفوسهم تجد الأوربي غير الأوربي وتصبح الأخلاق في
نظره حماقة وعدم الفهم لا تستحق الاتباع ومستعمراتهم تشهد على ما
نقول ..

هذا ما أريد أن أنبه اليه ..

الثورة الصناعية والتعامل الربوي

قد مررنا أن الانقلاب الصناعي بدأ بظهور الآلة ، وهي تحتاج إلى رؤوس الأموال الضخمة لإدارتها . . فليس هناك من كان عنده مثل هذه الأموال إلا اليهود المرابون ، لا عند ملاك الأرض الاقطاعيين ولا غيرهم . . فكانت هذه الفرصة بالنسبة لليهود فرصة سانحة أيضا . . لأنهم يعلمون جيدا أنهم كما أفسدوا الأخلاق بواسطة النظريات والمنظمات السرية يستطيعون أيضا أن يفسدوا الجو في عالم الاقتصاد بسبب التعامل الربوي . .

فبدوا يقرضون الرأسماليين عن طريق (الربا) غير مباليين تعاليم التوراة التي تقول : " لا أخيك لا تتبع ربا " (١)

أي لا تتبع ربا لا أخيك في الانسانية . . ولكن اليهود - بنيتهم الخبيثة -

حرفوا معنى النص فقالوا : ان معناه كالتالي :

لا تتبع ربا لا أخيك اليهودي . . أما (الأميون) غير اليهود فلا جناح

عليك أن تمتص دماءهم بكل سبيل . .

* ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل * (٢)

من هنا أباح اليهود الربا لأنفسهم ، فانتشر التعامل الربوي في الرأسمالية

الناشئة . . فاتسمت - منذ البدء - برغبة الحصول على الربح الفاحش . .

ومن أسهل سبيل .

وهذا هو بدء الكارثة التي أفسدت اقتصاديات أوروبا . وأبعدتها من كل

معنى الرحمة ومن كل معنى الانسانية . . (٣)

(١) سفر اللاويين ، الاصحاح ٢٥ آية ٣٦

(٢) سورة آل عمران الآية : ٧٥

(٣) يراجع في هذا جاهلية القرن العشرين ، محمد قطب ص ١٤٢ ، ١٤٥ ،

ولكن بالتصرف .

من نتائج التعامل الربوي

ان هذا التعامل الربوي الذي يراه الناس شيئا تافها أو موردا من الموارد المالية ، قد نتجت عنه كوارث عالمية كبرى .

١ - قد أدى الى الاحتكارات الخانقة :

وذلك ان تضخم الرأسمالية المتزايد ، والتقدم العلمي المتزايد ، أدى الى أن رؤوس الأموال الكبيرة صارت أقدر على الربح - بامكانياتها العلمية - من رؤوس الأموال الصغيرة فأكلتها ! أو اضطرتها الى الدخول معها في اتحادات .

من المعلوم ، حين تتداخل كل رؤوس الأموال العاملة في صناعة ما ، وتكون اتحادا واحدا ، يصبح هذا الاتحاد بالضرورة محتكرا لهذه الصناعة وحده . . . بدليل أنه لا يستطيع أصحاب رؤوس الأموال الصغيرة ان ينافسوه في هذا الميدان الذي تخصص فيه وتبها لاحتكاره . . .

فمن هنا قلنا : ان التعامل الربوي تؤدي الى الاحتكار والآنانية فلذا حاربه الاسلام بقوله تعالى : * أحل الله البيع وحرم الربا * (١)

ولأجل هذا نجد عالمنا كله اليوم يريدون نظاما اقتصاديا عالميا جديدا يخرجهم من هذه الاحتكارات التي تسود عالمنا اليوم الى الاستقرار الاقتصادي . هذا من مساوي اليهودي في أوروبا أولا وفي العالم بأسره أخيرا . . .

٢ - الاحتكار أدى الى فتح باب الاستعمار :

وبيان ذلك : ان الصناعات قد زادت وتكثرت الانتاج هنا وهناك . . . وأصبح لا بد من تصريف فائض الانتاج . . .

ومن هنا سمت الدول الرأسمالية الى الاستعمار والتوسع " الامبريالي " لكي تضمن الأسواق لفائض الانتاج . . .

* * *

فكان من نصيب الدول الاسلامية والافريقية أن رقمتا تحت نير الاستعمار الأوربي ..
ولم يكف هؤلاء المستعمرون بمحاولة بيع فائض الانتاج فحسب بل صاروا
يقتصون دماء تلك البلاد المستعمرة وينقلون خيراتها الى بلادهم
الأوربية .

هذه بعض نتائج التعامل الربوي الذي فتح بابه اليهود المرابون
وبعد : حان الأوان أن تنتقل الى الدور النظرى الذى استعمله اليهود في
افساد أوربا الجاهلة الخالصة ...

الدور النظرى :

وأما الدور النظرى : فهو بث النظريات الالهادية التى تفكر وجود الله
وتتفى تدخله في الكون ، وتنزع الأفكار الدينية كلها من رؤوس الناس
وقلوبهم . يقول البروتوكول الرابع في ذلك :

" يجب علينا أن ننتزع فكرة الله ذاتها من عقول غير اليهود وأن نضع
مكانها عمليات حسابية ورغبات مادية " (١)

ومما لا يختلف فيه اثنان ان رباط الأمة الوثيق الذى يجعلها في مأمن
من التدهور والانحطاط هو الايمان بالله وكذلك لا أخلاق التى هى
أثر من آثار الهداية الالهية والتي سمحت للأديان الى اشاعتها فكما سارت
الأمة في مضمار الهداية شوطا ازدهرت حياتها ويشمل السلام ربوعها +
ولذا كان ضد هور الأخلاق في أمة ما نذيرا بالخراب . ومن الأهداف
المرسومة عند هؤلاء الصهاينة تقويض الأخلاق عند الغير لضعافه
والسيطرة عليه فاستغلوا لذلك النظريات الهدامة والأفكار المضللة . هذا
ما صرحت به سياستهم في البروتوكول .

(١) راجع البروتوكول الرابع - ترجمة خليفة التونسي ص ١٣١ الطبعة الرابعة .

" ان الشباب قد انتابه الحته لانغماسه في للفسق المبكر الذي دفعه اليه
أعواننا من المدرسين والخدم والمربيات اللاتي يعملن في بيوت الاثرياء والموظفين
والنساء اللواتي يعملن في اماكن اللهو ونساء المجتمع المزعومات اللواتي
يقلدنهم في الفسق والترف " (١)

وهذا ما اعترف به " أدولف هتلر " اذ قال : " فمئذ أن وضع اليهود
والبلاشفة نصب أعينهم تقويض صرح الدولة الالمانية ، رأينا الرذيلة تنصب
شراكها في طريق الشبيبة الالمانية ، كيفما اتجهت ، وأنا وجدت ، ورائنا
عرش الاباحه والخلاعة ينتصب في دور العرض السينمائي والمرايح والحانات
وحتى في الساحات العامة "

ثم أبدى أسفه بقوله :

" كيف يرجى من شبيبة هذا شأنها أن تهيب للذود عن الوطن وأن تستميت
في الدفاع عن مؤسساته وتقاليده .. " (٢)

ومن الروائع أن القرآن الكريم سبق أن قرر هذه الحقيقة منذ أربعة
عشر قرنا ، بما جاء في قوله تعالى عن اليهود :

* و يسمون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين * (٣)

وقال تعالى في اليهود أيضا : * وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان
وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون • لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن
قولهم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون * (٤)

فما ذكره القرآن الكريم ينطبق على اليهود الصهاينة - اليوم - أشد الانطباق ،
فهم لا يتورعون عن الآثام وفساد الخير يشق الطرق للسيطرة عليه • ومن طرقهم
المنحرفة استغلال النظريات التي توحى الى هدم قواعد الدين وازالة أهله • واليك
نموذج لذلك •

(١) راجع اليهود في القرآن ، عفيف طبارة ص ٥٠ الطبعة السادسة

(٢) راجع كفاحي ترجمة الاستاذ لويس الحاج ص ١٤٦ ، ١٤٧

(٣) سورة المائدة الآية : ٦٤

(٤) المصدر السابق الآية : ٦٣

نظرية داروين ودور اليهود

لقد طرحت اليهودية العالمية أعظم فرجة يوم ظهر داروين المسيحي -
بنظرية المسألة الذكر في أصل الأنواع وأصل الإنسان . فقد أدركت بذلك
بما وراء ذلك الحدث الضخم من صدام عظيم مع الكنيسة يقول كتاب بروتوكولات
حكما صهيون :

" ان داروين ليس منا ولكننا عرفنا كيف ننشر آراءه على نطاق واسع ونستغلها
في تحطيم الدين المسيحي " (١)

واستغلت اليهودية العالمية نظرية (داروين) أبشع استغلال ..
استغلتها على يد ثلاثة من أكبر علمائها .. قاموا بصياغة الفكر الأوربي
كله في ميدان الاقتصاد وعلم النفس والاجتماع .. أخطر ميادين ثلاثة في علم الفكر .
أولئك هم ماركس وفرويد ودوركايم . وقد أشار اليهود الى هذا الاستغلال
في بروتوكولاتهم فقالوا : " لقد رتبنا بنجاح داروين وماركس ونبثشة بالترويج
لآرائهم . وان الأثر الهدام للاطلاق الذي تنشئه علومهم في الفكر
غير اليهودي واضح لنا بكل تأكيد " (٢)

ونكتفي بهذا القدر هنا مخافة السطويل والا لو أردنا أن تأتي بأكثر
من هذا لفعلنا لأن كثيرهم قليلة لذلك . وانما أردنا هنا أن نثبت فقط
انهم استخدموا النظريات لهدم الأديان والأخلاق .

استغلال المنظمات السرية لمحاربة الدين

كما استغلت اليهودية العالمية النظريات لمحاربة الأديان ، استغلت أيضا
المنظمات السرية للغرض نفسه . ومن أخطر هذه المنظمات السرية المنظمة الماسونية .

(١) البروتوكول الثاني ص ١٢٣

(٢) المصدر السابق

قد استغلت اليهودية هذه المنظمة للخبثية بشكل فريد • ونصوصهم في هذا
المبدآن كثيرة جدا • واليك نموذج من هذه النصوص الدالة على حق اليهود
على جميع الأديان والمبادئ النبيلة • ففي إحدى الكلمات التي القيت في مؤتمرو
المشرق الأعظم الماسوني لعام ١٩٢٣ م قول أحدهم (١)

” يجب أن لا تقلص الماسونية على شعب دون غيره ولتحقيق الماسونية العالمية،
يجب سحق عدونا الأزلي الذي هو الذين مع ازالة رجاله ” • •

” سلقصر رجال الدين وشعاليهم على جانب صغير جدا من الحياة وسيكون
تأثيرهم وبيلاسيئا على الناس حتى ان تعليمهم سيكون لها أثر مناقض للأثر
الذي جرت المادة بأن يكون لها ” • • (٢)

ثم لم يكتف اليهود بافساد المسيحية بل حاولوا العبث بالمؤسسات والهيئات
والجمعيات الدينية وادخال عناصر فاسدة فيها وتولية أمورها السذج من رجال
الدين الذين لا قدرة لهم على التبصر في الأمور الدقيقة •

جاء في نشر المشرق الأعظم الماسوني الفرنسي لسنة ١٩٢٣ م قولهم :

” على الاخوان أن يتخللوا في صفوف الجمعيات الدينية وغيرها بل لعلهم -
ان احتاج الأمر أن يقوموا بتأسيس تلك الجمعيات على ان لا تشتم فيها أية
رائحة حقيقية للدين • عليكم أن تلموا شمل قطيعكم أينما كنتم • حتى في المعابد
الصغيرة وعلبكم أن تولوا أمورها السذج من رجال الدين وليطعموا خفيصة
ذوي القلوب الكبيرة من الرجال بقطرات من سمومكم ” •

ثم قال : ” وبغية التفرقة بين الفرد وأسرته عليكم ان تنتزعوا الأخلاق من
أسسها لأن النفوس تميل الى قطع روابط الأسرة والاقتراب من الأمور المحرمة • لأنها
تفضل الشر في المقاهي على القيام بتبعات الأسرة • وأمثال هؤلاء من الممكن
اقتلاعهم بالدرجات والرتب الماسونية ، وعلبكم أن تنتزعوا من بين أطفالهم وزوجاتهم
وتقذفوا بهم الى ملاذ الحياة البهيمية ”

(١) مكائد يهودية ، عبر التاريخ ، عبد الرحمن حسن حبكة المبدائي ص ١٣٨

(٢) المصدر السابق ص ١٣٨ (٣) المصدر السابق ص ١٨

هذه هي مهمة الماسونية وهذه هي مخططاتها الفريدة . لقد أثبتت تاريخ هذه الجمعية أنها من أخطر الجمعيات السرية العالمية التي لعبت أدوارا خطيرة في تاريخ العالم والأمم ، وأثرت تأثيرا مباشرا على مصائر كثير من الشعوب ، وتحكمت في سياسة معظم دول العالم ، من حيث لم تشعر هذه الدول أنها قد كانت فريسة خديعة يهودية دخلت اليها عن طريق المحافل الماسونية التي تديرها من وراء الستار أصابع المكر اليهودي ، ولقد يبلغ الدهش عند من يبحث عن مخططات هذه المنظمة السرية ، مبلغه العظيم حينما يعلم أن حروبا عالمية كبرى قد كان اليهود هم الحاملين على اثارها واشعال ناراها عن طريق الجمعية الماسونية ومحافلها في العالم .

وحينما يعلم أن كثيرا من القادة والزعماء المنحرفين في العالم قد أرسلتهم الى مراكزهم من الحيل اليهودية العالمية عن طريق الجمعية الماسونية ومحاقلها في البلاد . . .

فتقدرى بعض السطحيين وقصيرى النظر ان هذا ضرب من الوهم ، وبالفئة من مبالغات الحدس ولكن الحقيقة التاريخية والواقعية جدرة بأن يكشفها الباحثون ، ويفتحوا أعين الناس حتى يروها ، مهما كانت بعيدة عن مدى حدسهم ومهما استهان بهم عدم معرفتهم لذلك . ولا أجل هؤلاء البسطاء نسوق هذه الأدلة التالية :

جاء في البروتوكول الرابع :

” من ذا وماذا يستطيع أن يخلق قوة خفية عن عرشها ؟ هذا ما/حكومتنا الآن . ان المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم يعمل في غفلة كقناع لأغراضنا ، ولكن الفائدة التي نحن دائبون على تحقيقها من هذه

(١) راجع عرض كتاب مكائد اليهود عبر التاريخ ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

القوة في خطة عملنا وفي مركز قيادتنا ما تزال على الدوام غير مصروفة للعالم كثيرا " (١)

(٢)

وجاء في البروتوكول الحادي عشر قولهم :

" ان الأُميين (اي غير اليهود) كقطيع من الغنم ، واننا الذئاب فيهم تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب الى الحظيرة انها لتخفض عيونها عن كل شيء " .

وقضية محاربة الماسونية للدين قضية لا تحتل أى جدل أو مناقشة ، لأنها من الأمور الكثيرة التي كشفتها تصرفاتهم الدائمة ثم اعترافهم وأقوالهم المنتشرة في كثير من الوثائق الصادرة عنهم من تصريحات وخطب وكتابات . وقد جاء في مضابط مؤتمر بلغراد الماسوني لسنة ١٩٢٢ قولهم :

" ويجب أن لا ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأديان ، وعلينا أن لا نألوجسها في القضاء على مظاهرها " (٣)

وجاء في مضابط المشرق الأعظم الماسوني لسنة ١٩١٣ م قولهم :

" سوف نتخذ الانسانية غاية من دون الله " (٤)

وجاء في مضابط المؤتمر الماسوني الحالي لسنة ١٩٠٠ م قولهم :

" اننا لا نكتفي بالانتصار على المتدينين ومحابدهم ، انما غايتنا الأساسية هي ابادتهم من الوجود " (٥)

(١) البروتوكول الرابع ص ١٣١

(٢) البروتوكول الحادي عشر ص ١٥٨

(٣) مكائد يهودية ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ١٣٧

(٤) المصدر السابق ص ١٣٧

(٥) المصدر السابق ص ١٣٧

وفي مجلة لُقاسيا للماسونية سنة ١٩٠٣ م قولهم :

" ان النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته الا بعد فصل الدين عن الدولة (١)

وجاء في مجلة الشرق الاكبر التركية الماسونية قولهم :

" لا يعنينا كفر الملحدين أو ثواب المتدين أو وصف الجنة والنار ، وإذا وجد

من يحاول العمل في ساحة الدين فنتركه وشأنه مع الله ، وإذا أصر على رأيه

فندخله أن يتركنا وأن يدخلنا بينه وبين الله " (٢)

وفي النشرة الرسمية التي أذاعها الشرق الأعظم في فرنسا في تموز سنة ١٨٥٦ م

قولهم : " نحن الماسون لا يمكننا ان نتوقف عن الحرب بيننا وبين الأديان لأنه لا

مناص من ظفرها أو ظفرنا ، ولا بد من موتها أو موتنا ، ولن يرتاح الماسون

الا بعد أن يخلقوا جميع المعابد " (٣)

وقال " كوقيل " في محفل مفيس بلندن :

" اننا اذا سمحنا لنسلم أو نصراني بالدخول في احد هياكلنا ؟ فانما ذلك

قائم على شرط أن الداخل يتجرد من أضراليه ، ويجحد خرافاته وأوهامه التي خدع

بها في شبابه ؟ "

وفي المحاضرة الرابعة لمحفل السلامة الماسوني قولهم :

" ان الماسونية تجرد الافكار من الخرافات والنظريات اللاهوتية المدسوسة

من قبل الأديان " (٥)

وفي محاضرات محفل الشرق لعام ١٩٢٣ م قولهم :

" انه يجب أن تبقى الماسونية لملة واحدة ، وعليه يقتضى محو الأديان

ومتسببها من الأساس " (٦)

واليك نموذجا آخر من نماذج التخطيط اليهودي لهدم الخلافة الاسلامية عن

طريق الماسونية .

(١) مكائد يهودية ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ص ١٣٧

(٢) المصدر السابق ص ١٣٧ (٣) المصدر السابق ص ٢٣٧

(٤) المصدر السابق ص ٢٣٨ (٥) المصدر السابق ص ٢٣٨

(٦) المصدر السابق ص ٢٣٨

الماسونية والخلافة الإسلامية

لقد رأينا في تصريحات الماسونية ، أن اليهود يسمون دائما لمحـ
الديان ومنتسبيها من الأساس . . . فعلا قد رأينا الأعمال للتخريبية التي
قاموا بها ضد المسيحية . . . فمن المستحسن أيضا وقبل أن تنتقل الى الثورة
الصناعية التي أفسدت أخلاق أوروبا — أن نعطي فكرة موجزة عن دور
الماسونية في هدم الخلافة الإسلامية ليتضح لنا :

الدور الخطير الذي قام به اليهود لافساد العالم بأسره

ولما كان تفصيل ذلك وتأبيده بالواقع مما لا يحتمله الا كتاب ضخم فاننا نكتفي
بذكر الباعث الحقيقي الذي جعل اليهود يقومون دائما بالمؤامرات ضد
الاسلام وأهله .

ان الدارس للتاريخ يجد أن الذي دفع اليهود للقيام بهذه المؤامرات
ضد الاسلام وأهله يرجع الى عدة أسباب . ولكن نذكر في هذه المجالـة
سببين أساسيين بارزين هما :

(١) الحسد ضد الاسلام .

(٢) موقف السلطان عبد الحميد من الماسونية .

فلنحط فكرة سريعة لكل من هذين السببين :

أولا — الحسد ضد الاسلام :

ان اليهود قاموا بعدة مؤامرات ضد الاسلام منذ البداية ، حسدا من عند أنفسهم
فقد حاربوا الاسلام في البدء ظاهرا أعنف حرب ، حتى فشلوا في ذلك ^(١) فارتدوا
يسالمونه سلا ما كان شرا عليه من حربه الظاهرة . . (٢)

(١) راجع الخطر اليهودي ، برتوكولات حكماء صهيون ، محمد خليفة التونسي ص ٧٤
(٢) أباطيل يجب أن تمحي من التاريخ د . ابراهيم علي شحوط ص ٤٥ سنة ١٣٩٦ هـ
١٩٧٦ م شارح يعقوب بالمالية ص ٥١

فلنضرب على هذه الحرب الخفية أمثلة بسيطة :
فكعب الأخبار - مثلاً - يفسر القرآن ويروى الأخبار ويملاً ذلك كله بما يسعى
عندنا " الاسرائيليات " (١) حتى أصبح من الصعب تخلص الكتب الاسلامية
الجليلة من الاسرائيليات .. ثم انه من جهة اخرى يشترك في المؤامرة بقتل
عمر رضي الله عنه .. (٢)

وينشط عبد الله بن سبا نشاطاً من نوع آخر .. فهو يثير غشبة المسلمين
على خليفاتهم (عثمان) لما أحدث من بدع (على حد تعبيرهم) و كان
ينتقل بين العراق ومصر والشام مؤسساً " الخلافة الخفية " التي تثير النقمة
على عثمان رضي الله عنه انتهى الأمر بقتل عثمان وانقسام المسلمين أحزاباً ..
وهو من ناحية أخرى ينشط لنشر المبادئ الهدامة للإسلام فبدعو إلى
الايهان برجعة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته (٣) .. وغير ذلك
من المؤامرات اليهودية الكثيرة المنتشرة في كتب التاريخ ..
وهكذا انخدع المسلمون فحشدوا في كتبهم خرافات التوراة (٤) ، وجرى
بعضهم وراء تلك الأفكار الهدامة التي كان يبيتها هذا اليهودي الخبيث
(ابن سبا) .

وهذه أمثلة بسيطة من المؤامرات التي قام بها اليهود ضد ديننا
الاسلامي الحنيف ..

* * *

(١) الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير محمد بن محمد ابوشهبه ص ١٢١ سنة

١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

(٢) البروتوكولات ص ٧٦

(٣) المصدر السابق ص ٧٦

(٤) أباطيل يجب ان تمحي من التاريخ د . ابراهيم علي شعوط ص ٥١ - ٥٢

ط ٤ سنة ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م

فلنقفز قفزة واسعة الى الفقرة الثانية ، وهى موقف عبد الحميد من الماسونية
 لنرى أن أصبحا من الأصابع اليهودية كأمّة وراء كل دعوة تستخف بالقيم
 الأخلاقية ، وترى الى هدم القواعد التي يقوم عليها مجتمع الانسان
 في جميع الأزمان .. فاليهود كانوا وراء هدم الخلافة الاسلامية العظيمة .
 واتخذوا لذلك وسائل متعددة .. سنبين بعضها فيما يأتي ..

(20)

ثانيا - موقف السلطان عبد الحميد من الماسونية :

وبذكرنا التاريخ أن السلطان عبد الحميد ، قد تعرض لضغط الصهيونية
 العالمية برئاسة (تيودور هرتسل) الذي زاره في سنتي ١٩٠١-١٩٠٢ وعرض
 عليه السماح لليهود باستيطان فلسطين على نطاق واسع مقابل كميات كبيرة
 من أموال اليهود .. (١)

وكان مع هرتسل يهوديان آخران هما : (ايمانويل قره صو) رئيس الجالية
 اليهودية في سلانيك ، والحاخام (موسى ليوى) .
 وبعد مقدمات مفعمة بالرياء والخداع ، فصّح هرتسل عن مطالبه ، فلقى من
 السلطان الازدراء التام لذهب اليهود واطماعهم ووقاحتهم .. وما قاله السلطان
 ردا على هرتسل :

" ان أرض وطننا لا تباع بالدراهم ، ان بلادنا التي حصلنا على كل شبر منها
 ببذل دماء أجدادنا لا يمكن أن نفرط بشبر منها دون أن تبذل أكثر ما بذلنا
 من دماء في سبيلها " .. (٢)

وحينما أدرك اليهود ثبات السلطان عبد الحميد في وجه اطماعهم زادوا من
 تأمرهم لا سقاطه ، واستعانوا في هذا السبيل بشتى الوسائل نذكر أهمها :

(١) خطر اليهودية العالمية ص ٤٥ عن كتاب الأنفى اليهودية في معاقيل

الاسلام ، عبد الله التل ص ٨٤

(٢) جواد رفعت ص ١٢٤ عن المرجع السابق ص ٨٤

الماسونية والقومية العربية واستغلال المبشرين للوصول الى هدفهم ..

واليك كلمة لكل واحد من هذه الأمور الثلاثة :

أولا - الماسونية :

لقد جندت الماسونية قواها لخدمة اليهود وهدم الخلافة الاسلامية * واستخدم اليهود محافل الماسون في فرنسا وإيطاليا لنشر الدعاية الكاذبة ضد الخلفاء وبخاصة عبد الحميد الثاني الذي كان عدوا للماسون (١) .

ولم تترك أبواق الماسون عيبا من عيوب الحكم الا والصقته بحكم عبد الحميد الثاني ، حتى أصبح رمزا للظلم والاستبداد والقسوة .. وأخيرا شئت الاقذار أن تسقط هذه الخلافة العظيمة التي كانت رمزا للقوة عند المسلمين .. والخريب أن الماسون لا يخفي علاقتهم بالانقلاب العثماني الذي أطاح بالسلطان عبد الحميد الثاني * بل انهم يفخرون بالأدوار الاجرامية التي قاموا بها في تلك المجالات .. فقد قال الفيلسوف الماسوني (شاربيا) في حفل اقيم للماسون :

” انظروا الى اخوانكم الماسونيين الذين قاموا بالحركة الدستورية التي قلبت الحكم العثماني في آخر عهد السلطان عبد الحميد دون أن تسيل نقطة دم واحدة .. أجل فيمثل هذا الشعب الماسوني تفخر الماسونية ويعظم من شأن وسائلها السلمية السلمية .. ” (٢)

-
- (١) اعلان الحرية والسلطان عبد الحميد الثاني ، استانبول ١٩٦٠ ، نظام الدين نظيف ص ١١ وراجع أيضا مجلة المنار العدد الأول سنة ١٣٢٩ هـ مقالة للسيد محمد رشيد رضا . وراجع أيضا تركية الفتاة د . أرست رامزور ، ترجمة الدكتور صالح العلي . مكتبة الحياة بيروت - ١٩٦٠ م ص ٤١
- (٢) دائرة المعارف الماسونية ص ١٦٦ نقلا عن كتاب الأفي اليهودية في معاقل الاسلام ، عبد الله التل ص ٧٨

وكذلك ضمت جمعيات الماسون السرية المجرمين والارهابيين من اليهود والبلغار واليونان وغيرهم : فهو " عماد الثورة التي زحفت على استانبول وعزلت السلطان عبد الحميد ..

وكان يرأس الوفد الذي قدم للسلطان وثيقة العزل اليهودي الماسوني (قره صو) الذي صده السلطان مع (هرتسل) في المحاولات الصهيونية الأولى (١) .
وبعد عزله أخذت النكبات تتوالى على الأباطورية الاسلامية العظيمة (٢)
فضاعت " ليبيا " واحتلتها (ايطاليا) ، ثم ضاعت مراکش ١٩١٢ م ..
وهكذا تتابعت الولايات اثرويات على الخلافة حتى جاء الشيطان الكبير ..
مصطفى كمال الذي تم به كل مخططات الماسونية الماكدة ..
واليك نموذجاً مما قام به هذا الشيطان الكبير ..

مصطفى كمال رأس الأفعى اليهودية

لقد اختارت اليهودية العالمية هذا الشيطان الكبير (مصطفى كمال) للقيام بهدم الخلافة الاسلامية ، لما كانت تعلم أن مصطفى كمال هو الجواد الرابع الذي ينفذ أوامرها ويهدم الخلافة ..
والطريف في الأمر ، أن مصطفى كمال قد نجح في حشد القوى الشعبية التركية بسلاح الاسلام ، حيث يستنهض همهم للدفاع عن الوطن الذي استباحته الصليبية اليونانية ..
وكان يتظاهر بالتدين والتعلق بأهداب الدين ويصلى في مقدمة الجنود البسطاء ..
وكان يتملق العلماء ويحطف عليهم ويستغلهم لشحن النفوس ودفعها الى الاستشهاد في سبيل الله . (٣) (أنظر الصورة المرفقة) ..

(١) عمر مفتي زادة ، جهاد ناطق ، الدار البيضاء ١٩٦١ ، ص ٨

(٢) الفارة على العالم الاسلامي ص ١٧٨

(٣) جهاد ناطق ص ١٠ عن كتاب الأفعى اليهودية في معادل الاسلام ، عبد الله التل ص ٨٨

وحالما استتب له الامر وأصبح ابلا للأتراك كما كانوا يسمونه (أتاتورك) شرع بتنفيذ الخطة الجهنمية التي رست له لمحاربة الاسلام ولهدم الخلافة (١) وكانت الخطة الجهنمية ، بعد تفاوضه مع الخلفاء اليهود في الاتفاقية المبرورة باتفاقية " كهرزن " ذات الشروط الأربعة :

- (١) - إلغاء الخلافة الاسلامية نهائيا من تركيا .
 - (٢) - أن تضمن تركيا تجميد وشل حركة العناصر الاسلامية الباقية في تركيا .
 - (٣) - أن تقطع تركيا كل صلة مع الاسلام .
 - (٤) - أن يستبدل الدستور العثماني القائم على الاسلام بدستور مدني بحت (٢) ولم يقدم مصطفى كمال على تنفيذ خطط اليهود والماسون دفعة واحدة وإنما تدرج بها ، ونفذ أجزاء الخطة بحسب الظروف المواتية . .
- ففي أول نوفمبر ١٩٢٢ م خلع وحيد الدين (محمد السادس) من الخلافة وسويح عبد المجيد بدلا عنه ، وفي اغسطس ١٩٢٣ م أنشأ حزب الشعب الجمهوري وأغلب اقطابه من يهود الدونمة والماسون .
- وفي ٢٠ اكتوبر ١٩٢٣ م أعلنت الجمهورية التركية وانتخبت الجمعية الوطنية " مصطفى كمال رئيسا للجمهورية " .
- وفي ٢ مارس ١٩٢٤ م ألغيت الخلافة التي طالما كانت خنجرا في صدر اعداء الاسلام (٣) .

فلنستمع الى المؤرخ " آرمسترونج " يصف هذه الخطوات المملونة ،
بالقول ::

-
- (١) انظر ايضا فصل صناعة الزعيم ، من كتاب عندما يحكم الطغاة د . جريشة . وفي ظلال القرآن ، سيد قطب ٨٦:٨ والدبلوماسية والميكافيلية ، محمد صادق ص ١٤٩
 - (٢) المخططات الاستعمارية لمكافة الاسلام ، محمد محمود الصواف ١٣٨٩ هـ ص ١٢٤
 - (٣) كتاب ترك واتاتورك ص ١٨-٢٠ وراجع ايضا ، مصطفى كمال الذئب الاغبر أرمسترونج دار الهلال ١٩٥٢ ص ٢١٢

" انطلق كمال اتاتورك يكمل عمل التحطيم الشامل الذي شرع فيه وقد قرر انه يجب عليه أن يفصل تركيا عن ماضيها المتخلف الفاسد ، يجب عليه أن يزيل جميع الانقاض التي تحيط بها ، هو حطم فعلا النسيج السياسي القديم ، ونقل السلطة الى ديمقراطية ، وحول الامبراطورية الى قطر فحسب ، وجعل الدولة الدينية جمهورية عادية ، انه طرد السلطان (الخليفة) وقطع جميع الصلات عن الامبراطورية العثمانية ، وقد بدأ الآن في تغيير عقلية الشعب بكاملها وتصوراتها القديمة واعاداته ولباسه وأخلاقه وتقاليده وأساليب الحديث ومناهج الحياة المنزلية التي تربطه بالماضي .. " (١)

هذا ما فعلته الماسونية بالخلافة الاسلامية . وكانت ترغب أن تحول الأمة الاسلامية بكاملها الى دولة الحادية كما فعلت ذلك في أوروبا ولكن العقيدة الاسلامية الصامدة حالت بينها وبين مآربها .

ومع ذلك استطاعت أن تغير جانبا كبيرا من الحياة الاجتماعية الاسلامية في تركيا ونحوها ..

فلذا نجد مصطفى كمال نصب نفسه اليها من دون الله بـ" شرع للأمة " كما يشاء فلفق قانونا فريدا يتكون اكثره من القانون السويسري والقانون الايطالي وغيرهما وأكمل الباقي من عنده ومع ذلك يدعى أنه كله من عنده قائلا :

" نحن لا نريد شرعا فيه قال وقالوا ولكن شرعا فيه قلنا ونقول " (٢)

ثم اقتفاه وزير العدل شارحا وفسرا :

" ان الشعب التركي جدير بأن يفكر بنفسه بدون أن يتقيد بما فكر غيره من قبله وقد كانت كل مادة من مواد متبنا القضائية مبدوءة بكلمة قال (وقالوا) ::

(١) الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية ، النورى ، القاهرة ص ١٦

(٢) حاضر العالم الاسلامي ، حواش شبيب ارسلان ٣/ ٣٤٣

فأما الآن فلا يهنا أصلاً ماذا قالوا في الماضي بل يهنا أن نفكر نحن
(١)
ونقول نحن :

ولم يكف مصطفى كمال بهذه الخطوات الماسونية اليهودية بل تجاوز كل ذلك
فقام وألقى بالعنف والارهاب ما يلي :

- ١ - الكتابة التركية بالاحرف العربية .
 - ٢ - وحرم الاذان بالعربية
 - ٣ - وكتب المصحف بلغة الهجين التركية
 - ٤ - وحدد عدد المساجد
 - ٥ - وألقى وزارة الأوقاف
 - ٦ - وألقى الأعياد الاسلامية
 - ٧ - وأخرج النساء من الحشمة والحياء الاسلاميين
- ماذا بقي للدين ؟

وبعد هذه الدسائس اليهودية والمؤامرات الماسونية وقعت تركيا في شبكة
اليهود واصبحت - كما وصفها الأدمير شكيب أرسلان " ليست حكومة دينية من طراز
فرنسا وانجلترا فحسب ، بل هي دولة مضادة للدين كالحكومة البلشفية في روسيا
سواء بسواء .

اذ أنه حتى الدول اللادينية في الغرب بثوراتها المعروفة لم تتدخل
في حروف الاناجيل وزي رجال الدين وطقوسهم الخاصة وتلغى
الكنائس " (٢)

(١) المصدر السابق : ٣ : ٣٤٦ ، ٣٤٥

ويراجع كتاب الرجل الصنم ضابط تركي سابق ، ت / عبدالله عبدالرحمن ،
بيروت ص ٢٠٥

(٢) حاضر العالم الاسلامي ، الأدمير شكيب أرسلان ٣ / ٣٣٦

النموذج للحكام

وبهذه الحقيقة المرة صار هذا الشيطان الكبير (مصطفى كمال) النموذج الصارخ للحكام في عالمنا الاسلامي أعنى الحكام الذين اتبعوه فـ في هذا الاتجاه المنحرف ..

ولقد كان لأُسلوبه الاستبدادي الفذ أثره في سياسة من جاء بعده ، منهم ..
كما أعطى الاستثمار الغربي مبررا كافيا للقضاء على الاسلام .. ولكن ربك لرب المرصاد ...

بهذا القدر نكتفي لتثبيت أن الخلايا الخفية لها يد خفية في جميع الحروب والثورات التي تعصف بحياتنا ، والفوضى التي تسيطر على عالمنا وبعد كل ذلك ندرك يقينا أننا لسنا مع مخلوقات عادية من لحم ودم ، بل مع القوى الروحية والفكرية التي تعمل في الظلام وتسيطر على معظم هؤلاء الذين يشتغلون المراكز العليا في العالم بأسره .. (١)

رأيها قد أنزلت الولايات على المسيحية حتى أصبحت أوروبا دولة الحادية وكما رأينا أصابعها أيضا تحرك الأمة الاسلامية المجيدة حتى أسقطت خلافتها المريقة ، ان دل هذا على شيء فانما يدل على أن القرآن المجيد وحى من عند الله حيث أخبرنا عنهم قبل أربعة عشر قرنا بقوله :

* ويسمون في الأرض فسادا *

* * *

ولكن ليس بأعجب من هذا الرجل عميل الماسونية وزمرته من ينادون اليوم — من عالمنا الاسلامي — باقامة حكومات علمانية ويقولون ان مصطفى كمال هو قائدهم الروحي .. يا للعجب !!

(١) أحجار على رقعة الشطرنج ، الاميرال وليام ذى كار ص ٧

ان السرفي قولهم هذا مجرد تقليد أعني وليس عن دراسة وعلم وانصاف في التحقيق ..

انهم قلدوا في هذا القول بعض الأوربيين الذين يمدحون مصطفى كمال على فعلته هذه ..

فمثلا نجد (توينبي) يمدح مصطفى كمال على عمله واعتبره أعظم من هتلر عبقرية في معرفة فن الهدم وقطع الصلة بالماضي ، وقال :
 " ان الدولة القومية التركية التي أقامها مصطفى كمال على النسق الغربي تبدو - وقت كتابة هذه السطور - عملا ناجحا لم يتحقق مثله حتى ذلك الوقت في أي بلد اسلامي آخر " (١)

وكما امتدحه (ولفر دكانتول سميث) - على طريقته الخاصة - قائلا :
 " رأينا تركيا في سبيل رفعة شأنها وخلق مثل عليا جديدة لم تتردد في سحق السلطات الدينية وألغت تعاليمها وحررت الاسلام وكشف النقاب عن الدين الحق القويم " (٢)

وبهذه الأقوال انخدع هؤلاء الدعاة الى اقامة الدولة العلمانية في العالم الاسلامي . ولكن الله غالب على أمره .

(١) مختصر دراسة التاريخ ، أرنولد توينبي ، ت فؤاد نبيل القاهرة ١٩٦١ م .
 ١١٣/٣

(٢) الاسلام والخلافة ، على الحسن الخربوطلي ، بيروت ١٩٦٩ م -
 ص ٢٨٥ .

ثانيا - الدعوات المفرضة للقومية العربية :

ان هذه الدعوات قد أسهمت في تحقيق مآرب اليهود في القضاء على الخلافة وقد استغل اليهود بعض مفكرى العرب من النصارى الذين لم يروا الا فساد الخلافة وظلمها فأبرزوا المساوىء على نطاق واسع ودعوا الى القومية العربية بأساليب بعثت الشك في اولئك الدعاة الذين نادوا بتحرير العرب وفصلهم عن الخلافة مقلدين النزعات القومية التي اجتاحت دول أوروبا في القرن التاسع عشر .. (١)

ويعترف مؤرخو العرب من النصارى ، بأن الرواد الاوائل لحركة القومية العربية كانوا من (النصارى) ، وأنهم تعاونوا مع الماسونية الاوربية وفروعها ومحافلها في المشرق العربى .. وكان لهذه الحركة اثر فعال في هدم الخلافة الاسلامية ..

وأسهم ادباء النصارى وشعراؤهم في نشر الافكار القومية منددين بالحكم التركى ومتعذرين بأمجاد العرب كما قال شاعرهم ابراهيم اليازجى :

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب	فقد طوى الخطب حتى غاصت الركب
كم تظلمون ولستم تشتكون وكم	تستغضبون فلا يسبد ولكم غضب
أقذاركم في عيون الترك نازلة	وحقكم بين أيدي الترك مفتصب
فشمروا وانهبوا للأمر وابتدروا	من دهركم فرصة ضمنت بها الحقب (٢)

* * *

(١) الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام ، عبدالله التل ص ٨٠

(٢) القومية العربية في القرن العشرين ، تأليف دكتور توفيق برو ، دمشق ،

الأعمال السياسية

وعلى ضوء هذا كان نصارى العرب على صلة وثيقة بالجمعيات الهدامة
اليهودية وشبكات الجاسوسية العالمية ..

ولذلك كونوا الجمعيات السرية التي تناهض الخلافة الاسلامية وتدعو
الى حكومة لادينية وطنية او قومية .

ولنذكر على سبيل الاختصار عددا من هذه الجمعيات منها :

جمعية بيروت (فارس نمر) وجامعة الوطن العربي (نجيب عازوري)

والجمعية القحطانية ، ثم الحزب القوي السوري (أنطون سمادة) واخيرا

حزب البعث (ميشيل علق) (١)

ولم تكف هذه الجمعيات في تنفيذ المخططات الماسونية في الحقل السياسي

وانما نفذوها أيضا في الأعمال الفكرية أيضا . واليك نموذجا من ذلك :

الأعمال الفكرية :

حاول هؤلاء النصارى تنفيذ هذه المخططات الماسونية في الفكر والثقافة

فاستعملوا لهذه الوسائل الآتية :

١ - الصحافة : فأصدروا صحفا كثيرة منها : الجنان والمقتطف والهلال وكان

محرروها أمثال نصيف البازجي وبعقوب وجرجي زيدان يمثلون طلائع اللادينية

في الشرق الاسلامي .

ب - التراث الاسلامي : اتجه قسم منهم الى التراث الاسلامي اتجاها يشابه طريقة

المستشرقين فألفوا المعاجم اللغوية والقواميس والموسوعات للترجمة .. ومن

(١)

هؤلاء أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني ولويس شيخو .

(١) القومية العربية في ضوء الاسلام (رسالة ماجستير) صالح المبود ، جامعة

الملك عبد العزيز ص ٨٠

ج - الفلسفة : قد انكب بعضهم - تنفيذاً لمخططات الماسونية الجهنمية - على الفلسفات العزبية فنشروا مؤلفاتها ومجدوا زعمائها ، وداعوا العرب الى اعتناقها واقامة حياتهم على أسسها .
من هؤلاء شبلي شميل الدارويني المتطرف وسلامة موسى ..

د - الشعر : قد ظهر من هؤلاء النصارى شعراء أذكو بشعرهم الحماس القوي ضد الاسلام مثل ابراهيم البازجي وبشارة الخوري والشاعر القروي وشعراء المهجر ..

يقول شبلي شميل :

"... الا تم تقوى بقدار ما يضعف الدين فهذه أوروبا لم تصبح قوية ومتمدنة - فعلاً - الا عندما حطم الاصلاح والثورة الفرنسية سلطة الكليروس على المجتمع وهذا يصح أيضا على المجتمعات الاسلامية" (١)

ان هذا مما لا يدع مجالاً للشك أن الماسونية لها يد في اسقاط الخلافة الاسلامية المجيدة ..

فلنتقل اذن الى الجزء الثالث والاخير لنرى كيف أسهم المبشرون ايضا في الفارة على العالم الاسلامي وفق مخططات الماسونية اليهودية العالمية ..

ثالثا - الصليبية الغربية الحاقدة :

قد مرّ بنا أن اليهود لما حاربوا بث مخططاتهم في قلب نظام الخلافة الإسلامية استعملوا خطوات عديدة قد ذكرنا منها أولا الماسونية ثم القومية العربية ثانيا والآن نحاول أن نتكلم عن الصليبية الحاقدة بكل ابهاسها... لأن قصدا هنا بيان خبث الماسونية التي كانت من أسباب الالتفات الخفية في أوروبا الحديثة ثم تجاوزت أوروبا حتى امتدت إلى هدم الخلافة الإسلامية .

الصليبية الماكرة الحمقاء ، بعد أن رأت امتداد رقعة الاسلام ولا سيما بعد سقوط القسطنطينية على يد السلطان محمد الرابع وزحف الاسلام حتى أبواب فيينا - فقد وضعت الصليبية الحاقدة نفسها في خدمة اليهودية العنصرية ليسخرها رأس الأفعى في مساعدته على تحقيق خططهم والتخريب .

ومن أجل هذا تحالفت قوى الصليبية الأوروبية في دول عديدة هي :
(22) (23) (24) (25) (26) (27)
بلغاريا ورومانيا والنمسا وفرنسا وروسيا واليونان وإيطاليا ، لمحاربة الدولة العثمانية وحرمانها من الهدوء والاستقرار والتفرغ البناء .

وقد أدى الضغط الصليبي المستمر إلى تفريق رقعة الاسلام في أوروبا .. كما أدى إلى تقطيع أوصال السلطة التي كانت تمتد من تركيا شمالا إلى حضرموت جنوبا ومن إيران شرقا إلى طنجة غربا . فضاعت الجزائر سنة ١٨٩٠ م ثم احتلت مصر سنة ١٨٨٢ م ومن بعدها تونس وليبيا والمغرب (١) . وفي الختام نشبت هنا ما قاله رئيس رساليات التبشير الألمانية في تقرير وضعه من أعمالها سنة ١٩٠٠ م :

(١) انظر الأفعى اليهودية في معازل الاسلام ، عبد الله التل ص ٧٦ .

" ان نار الكفاح بين الصليب والهلال لا تتأجج في البلاد النائية ولا في مستعمراتنا في آسيا وافريقيا ، بل ستكون في المراكز التي يستمد الاسلام فيها قوته وينتشر سرياً اكان في افريقيا ام في آسيا وبما أن الشعوب الاسلامية تولى وجهها نحو الاستانة عاصمة الخلافة ، فان كل المجهودات التي نبذلها لا تأتي بفائدة اذا لم نتوصل الى قضاء لبناتها فيها ..

ويجب أن يكون جل ما تتوخاه جمعية ارساليات التبشير الالمانية هو بئذ مجيوداتها نحو هذه العاصمة وهي قلب العالم الاسلامي .. " (١)

عنا اننا عاصمة الخلافة - الاستانة - هي المقصودة أولاً ، لأن الخلافة كانت المبعج الرهيب الذي يقض مضاجع المبشرين والمستشرقين من اليهود

كيف لا ! وهي التي كانت يهيئتها وسيطرتها تزلزل عروش أوروبا وتحمل لواء الاسلام بصدق وأمانة .. وتذود عن المقدسات ، التي توحدت دون حدود أو حدود طوال خمسمائة عام ..

ومن أجل هدم الخلافة ابتدع شياطين اليهود فكرة القومية التركمية (الطورانية) أولاً ثم القومية العربية اقتداءً بها ، ونكاية ...

وهذه هي اليد الخفية في أوروبا وفي العالم الاسلامي وفي العالم كله ...

(١) الفارة على العالم الاسلامي راول شاتليه ، محب الدين الخطيب ط ٢

ثانيا - رجوع أوروبا الى ارثها القديم

في الجزء الأول قد تحدثنا عن دور اليهود في افساد أوروبا وقلنا أنه أحد السببين الخفيين من أسباب الالحاد ، وهنا نود أن نتحدث عن السبب الثاني الذي هو رجوع أوروبا الى ارثها القديم . ان أوروبا - بعد ما كبرت برب الكنيسة رجعت الى ارثها القديم . وهو الوثنية الاغريقية . فخير نموذج له الأسطورة الاغريقية الشهيرة .

" زيوس حورب الالهة والناس جميعا ، وكانت الصراعات بينه وبين الالهة تشب باستمرار وكان بينه وبين الاله " بروميتون " عداوة أيضا . . فخلق بروميتوس الانسان من الطين وعندما انتهى من تشكيله نفخت فيه الروح الالهية " أثينا " وحقد زيوس على الجنس البشرى وقصد حرمانهم من كل خير فى الدنيا وابتلاهم بحرمانهم من النار التي هي ضرورة جدا للانسان ، ولكن (بروميتوس) سرق النار من السماء أو من مصنع (هيفايستوس) اله النار والحرف . وبخاصة الحدادة كما علم البشر الفنون والحرف متحديا الاله الأكبر . فلما تعلم الانسان ذلك ، يئس زيوس من قدرته على اهلاكه لكنه ظل على الدوام يتحين الفرصة للانتقام منه وتقليل فرص المعرفة أمامه كيلا يتجاوز حدوده فيصبح الاله . . " (١)

هكذا ورثت أوروبا الحديثة هذه الفكرة المنحرفة ، من الاغريق ، وفهمت من هذا الارث " الكبير " أن كل ظفر للانسان في مجال العلم والمعرفة إنما هو هزيمة لارادة الاله وكل كشف يصل اليه إنما هو انتصار على هذا الاله المزعوم .

وبقيت هذه الفكرة في أخلاق الناس في أوروبا ، وحتى بعد أن تخلت أوروبا عن عبادة زيوس وغيره ، ورفضت عبادة اله الكنيسة معتنقة عبادة الطبيعة ، وظلت

(١) انظر مثلاً أساطير الاغريق ج ٥ سلسلة تراث الانسانية ، مجموعة من الاساتذة
الهيئة العامة للكتاب ، مصر . .

في أفكارهم هذه الأنسية يعني انتصار الانسان على (الله) عز وجل عن طريق انتصاره على الطبيعة . .

وكلمة اليونسكو في كتاب " تاريخ البشرية توضح هذه النية . .
 " كانت الفكرة العامة في معظم المجتمعات في الماضي ، ان الطبيعة موجودة ببساطة ، تؤثر في حياة الانسان على نحو لا يتغير ، وازاء قوتها العارمة لم يحاول أن يطوعها كثيرا لاحتياجاته بل كان عليه أن يكيف نفسه وفـقـ ما بلائها ولكن انسان القرن العشرين . قد أخذ بخناق الطبيعة مصمما على أن يستخرج أسرارها وأن يستغل مواردها وأن يقهر آثاره الخطرة (١)
 ويقول نخبة من العلماء السوفييت في كتاب أصدره مايلي :

" الطبيعة كنم لا تتبع بأسرارها . فهي تكتب قوانينها بنظام غامض ثم تحكم ظقها واخفائها بعيدا في خزانات متينة . . وهي لا تكشف عن أسرارها الا قسرا فلا تعطى الباحثين من هذه الأسرار في كثير من الأحيان الا بدلائل للحقيقة فقط . . " (٢)

هذه هي فكرة العلماء الماديين الى الله عز وجل . فهم يحاولون - بكل ما أعطوا من قوة العلم أن يتغلبوا على الله حتى يصبح الانسان هو الله كما مر بنا ذلك سابقا . واعتمادا على هذه الفكرة اللاحادية ، ذهب بهم الخلو الى حد أنهم يرفضون ذكر اسم الله على أي بحث علمي .
 يحكي لنا استاذ من أساتذتنا في جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة . . انه قد شهد في أوروبا بحثا قدمه طالب من المسلمين فكتب في الصفحة الأولى -
 (بسم الله الرحمن الرحيم) . . ولما رآه بعض الأساتذة الأوربيين استغرب فقال له : لماذا تكتب اسم الله على كتابك ؟ هل هو الذي بحث لك هذا البحث . .
 ألسنت أنت الذي قمت بهذا العمل بدون أي تدخل منه . . فلماذا تكتب اسمه ؟؟

هذا ما فعله هذا الارث اليوناني في افكار الملاحدة الأوربيين الى هذا الحد يظهر لنا بكل وضوح آثار التراث اليوناني في البحث العلمي الحديث.

- (١) الفضاء الخارجي والانسان تأليف مجموعة العلماء السوفييت ت/ زكريا فهمي ١٩٧ ص ٢٥
- (٢) على مفترق الطرق ، محمد أسد ص ٦١
- (٣) هذا الاستاذ هو محمد قطب قال ذلك في أثناء القائه لنا الدرس في السنة المنهجية بجامعة الملك عبد العزيز .

حواشي الباب الأول

- (1) برتراند رسل (١٨٧٢ -) (فيلسوف ورياضي انجليزي تعلم
بكامبريدج حيث تولى التعليم بعدئذ .. عارض الحرب لانه الحرب العالمية
فسجن .. وبعد الحرب كتب مؤلفاته في الاصلاح الاجتماعي .. سمي
مذهبه الفلسفي (بالواحدة المحايدة) لانه يرى انه لا فرق بين عقل ومادة
الا في طريقة التكوين .. وذلك ان الحوادث لا هي عقل ولا هي مادة .
- (2) ستالين جوزيف فساريفو نفتش (١٨٧٩ - ١٩٥٣) سياسي
ودكتاتور روسي وزعيم شيوعي اتهم انه اشترك في سرقة بنك ١٩٠٦ في تغليس
وقبض البوليس القيصري عليه خمس مرات بين (١٩٠٢ - ١٩١٣) ولكنه كان
يمهرب في كل مرة ثم صار يحكم روسيا بيد من حديد حتى وفاته في مارس ١٩٥٣
- (3) افبون له رائحة قوية وطعم مر .. ان تحاطى الافبون بالتدخين
او المضغ ينتج عنه الادمان مما يسبب تدهورا في عقلية وصحة المدمنين ..
وقد منعت بعض الحكومات زراعة الافبون الا ان كل هذه القوانين لم تفلح في منع
التجارة فيه واستعماله بطرق غير مشروعة .. الموسوعة ص ١٨٣
- (4) جينتر ، سيجيمس (١٨٧٧ - ١٦٤٦) عالم رياضي
وفيزيقي وفلك بريطاني ..
- (5) ولز هربرت جورج (١٨٦٦ - ١٩٤٦) ادب صحفي انجليزي
ولد في بروملي وتخرج في جامعة لندن ١٨٨٨
- (6) يوحنا الرسول " احد الرسل الاثني عشر " اخو يعقوب بن زبدي
صاحب الانجيل الرابع وله ثلاث رسائل وكتاب الرؤيا كان التلميذ الذي كان
يسوع يحبه (يوحنا ١٣ : ٢٤ ، ١٩ : ٢٦) اوصاه المسيح عندما كان
مصلوبا ان يتكفل بوالدته (مريم) توفي يوحنا حسب اخبار القرن ؟ في
جزيرة باتموس - (رؤيا ١ : ٩) توفي أمس .
- (7) متى القديس : احد الرسل الاثني عشر كان عشارا من كهروناحوم
واجب انجيل متى ١٣ : ٩ - ١٢ .. ولوقا ٥ : ٢٧

(٨) مادة : كل ما يشغل حيزا من الفراغ وله وزن ومرونة وعزم وقصور هذا هو تعريف المادة في السابق . وعلى هذا يقول الماديون : ان المادة لا تخلق ولا تنعدم بل تتحول من صورة الى اخرى . وطبقا للنظرية الجزيئية ، تتكون المادة من جسيمات صغيرة تسمى " جزيئات " في حركة دائبة داخل الجسم . للمادة ثلاث حالات طبيعية : الصلابة ، والسيولة والغازية ، وأما الان أصبحت المادة لا يمكن تعريفها على وجه الدقة . لانها أصبحت تنقسم خلافا لمن قال انها لا تنقسم . ثم أصبحت المادة كهرباء من بروتين والكرون . فانفلت من أيدى الماديين كل ما كانوا يعتبرون حقيقة . تفاصيل ذلك في الصفحة () .

(٩) فرساي : مدينة سكانها ٦٣١١٤ نسمة عاصمة محافظة السين ولواز (سن) فرنسا الى الجنوب الغربي من باريس بدأ ١٦٦١ لويس ١٤ تشييد القصر . ونقل اليه بلاطه ١٦٨٢ وكرهت الثورة الفرنسية لويس ١٦ على الانتقال لقصر التويلري بباريس ١٧٩٠ . حول لويس فيليب القصر الى متحف وطني . تشتهر هذه المدينة بكثرة قصورها وحدائقها . وفيها وقعت معاهدة فرساي في نهاية حرب استقلال الولايات المتحدة ضد انجلترا ١٧٨٣ وفي نهاية الحرب العالمية ١٩١٩ م راجع الموسوعة ص ١٢٨٩ .

(١٥) باستيل ، حصن وسجن حكومي بباريس كان يقع - حتى هدم ١٧٨٩ م - بالقرب من موضع ميدان الباستيل الحالي . بدأ تشييد ١٣٦٩ م تقريبا هيو اوبريو حاكم باريس في عهد شارل / ٥ / ثم وسع . ومن بين نزلائه المسجونين السياسيين : نيقولا فوكيه ، وذو القناع الحديدي وفولتير . وفي ١٤ يوليو ١٧٨٩ م هجم شعب باريس الذي غضب لطرده نيكرو - على الباستيل أملا في الاستيلاء على الاسلحة . وقتل حاكمه (المركيز دي لونى) واطلق سراح نزلائه السبعة . فكان هذا الحادث البداية الحقيقية للثورة الفرنسية واكتسب أهمية رمزية . وأصبح يوم ١٤ يوليو العيد القومي للجمهورية الفرنسية . راجع الموسوعة ص ٣١١

(١١) القسطنطينية : المراد بها هنا المسيحية التي غيرها الامبراطور القسطنطين في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ واما القسطنطينية : وهي استنبول اليوم مدينة في تركيا على ضفتي البوسفور ٨٤٥٠٠٠ ر ٨٤٥ هي بيزنطا القديمة أسسها الاغريق الاقدمون (القرن ٧ ق م) وجعلها قسطنطين من عواصم الامبراطورية الرومية بعد ان سماها باسمه القسطنطينية ٣٣٠ ثم اصبحت قاعدة الامبراطورية البيزنطية الى ان فتحها الاتراك المثلانيون ١٤٥٣ م وفيها استقر السلاطين وهي مركز تجاري هام ونقطة عسكرية حساسة في الشرق ، وبلد علم وفن المباني التاريخية وابدعها آجيا صوفيا وجامع السلطان سليم وخزانات المخطوطات النفيسة والمتاحف .. راجع شمس العرب ص ١٠٦

(١٢) غلاصم

(١٣) شلتوت محمود (١٨٩٢ - ١٩٦٣) عالم بالدين وشيخ الازهر ١٩٥٨ - ١٩٦٣ ولد بمنية بني منصور بالبحيرة ، بمصر التحق بمعهد الاسكندرية الديني ١٩٠٦ وكان ترتيبه الاول في جميع سني الدراسة حصل على شهادة العالمية ١٩١٨ م عين مدرسا بالقسم العالي بالازهر ١٩٢٧ م . فصله الشيخ الظواهري من المعهد ١٩٣١ م فمارس المحاماة .. وبعد شهور اعيد الى منصبه مدرسا بكلية الشريعة ثم عضوا في لجنة الفتوى ثم وكيلا لكلية الشريعة ثم عضوا بالمجمع الفقهي عين شيخا للازهر في ٢٢ اكتوبر ١٩٥٨ م وظل في منصبه الى وفاته .. مؤلفاته : " الاسلام عقيدة وشريعة " و " الدعوة المحمدية " و " القتال في الاسلام " و " المسؤولية المدنية والجنائية في التشريع الاسلامي " و " فقه القرآن " .. الموسوعة ص ١٠٩١

(١٤) خلد الماء : حيوان ثديي نصف مائي استرالي يضع البيض ويسمى ايضا منقار البط وهو بني اللون . والرأس والجذع والذيل كلها عريضة مفلطحة وطول الذكر البالغ ٥٠ سم .. الموسوعة ص ٧٦٢

(١٥) صبنى أو كروموسوم : شكل تتخذه المادة الصبغية في نواة الخلية في اثنائها مراحل الانقسام غير المباشر والانقسام الاختزالي ويعتمد شكل عدد الصبغيات على النوع . فهي في الانسان ٤٨ وفي ذبابة الفاكهة ٨ واما الاعداد الشائعة في النباتات فهي : ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٤ ، وكلها اعداد زوجية . . واما الخلايا الجنسية فتحتوى بعد عملية الانقسام الاختزالي ، نصف هذا العدد وعندما يتحد المشيج الذكرى بالانثى يعود العدد الى اصله . . وتحتوى الصبغيات على الموروثات (الجينات) التي تحدد الصفات الوراثية المميزة وهي جوهرية في الوراثة وتحديد الجنس . . الموسوعة ص ١١١٥

(١٦) شمش : نبات اسمه العلمى برونس أرمينياكا ، يتبع الفصيلة الوردية موطنه المناطق الاسهبوية المعتدلة .

(١٧) دراق ويسى ايضا خوخ اسمه العلمى برونس دومستكا من الفصيلة الوردية . . موطنها اسيا وتنتشر زراعتها في المناطق المعتدلة شجرتها صغيرة ازهارها وردية اللون جميلة المنظر تخرج مبكرة في اواخر الشتاء . . الثمرة كروية بديعة الالوان .

(١٨) برتوكول : لفظ يطلق على الوثائق الرسمية : والاتفاقات التي تقرر قواعد سياسية عامة . . صفاتها موجزة غالبا . . تعقد الوثيقة السياسية باجراء مفاوضات ويجتمع لها مندوبو الدول المتعاقدة كما انهما تعقد بالمراسلة ومثل هذه الاتفاقات لا تكون طريقة الاجل بل نافذة لمدة معينة - الموسوعة ص ٣٥٧

(١٩) بلغراد : مدينة ٩٨٨ ر ٤٦٩ نسمة عاصمة يوغسلافيا على نهر الدانوب والساف وهو مقر لكبرى اساقفة كاثوليكى روماني وباربرك أرثوذكسى سعى مفتاح البلقان . . نظرا لاهمية موقعها الاستراتيجى منذ عهد الرومان . . اصبحت عاصمة صربيا في القرن ١٢ . استولى عليها الاتراك ١٥٢١ م

(20) عبد الحميد الاول ١٧٢٥ - ١٧٨٩ سلطان تركي . . بدأ حكمه

بعقد معاهدة " كوجوك قيترجى " ليس هو المراد هنا . . وإنما المعنى هنا

هو عبد الحميد الثاني :

(عبد الحميد الثاني) : ١٨٤٢ - ١٩١٨ سلطان تركيا واجلس مكانه مراد

أخا عبد الحميد . . ولكنه انزل عن العرش بحجة جنونه واعتلى عبد

الحميد الثاني مكانه . . قبل دستور مدحت باشا ولكنه ما لبث ان الغاه .

استمر على الحكم حتى اكرهوه على منح دستور للبلاد سنة ١٩٠٨ ثم خلعوه

١٩٠٩ م وسجن أولا في سالونيك . . ثم في جهة قريبة من ازمير . . الموسوعة

العربية ص ١١٨٠

(21) مصطفى كمال : أتاتورك ١٨٨٠ - ١٩٣٨ مؤسس تركيا الحديثة . .

اتخذ هذا الاسم ١٩٢٤ بدلا من اسمه الذي كان معروفا به وهو مصطفى كمال

ومعنى (أتاتورك) : أبوالاتراك ولد بسالونيك . أقام جمهورية " تركيا "

١٩٢٣ م وانتخب رئيسا لها . . واعد انتخابه في ١٩٢٧ و ١٩٣١ و ١٩٣٥

ثم شرع في حزم ونشاط كبيرين في تنفيذ برنامج واسع النطاق " من التغيير

الداخلي " واقتباس النظم الغربية . . فغير معالم تركيا تغييرا كليا دون اية

معارضة . فالقى الخلافة ١٩٢٤ م وفصل بين الدين والدولة . . واستبدل

بالحروف العربية الحروف اللاتينية . . واستعمال الطربوش والعمامة . . والحجاب . .

وجعل القانون المدني يقوم على اصول التشريعات الاوربية بدلا من الشريعة الاسلامية

وكان يشرب الخمر فأضرادمانه الخمر بصحته . . ومات في سن الثامنة والخمسين . .

راجع الموسوعة ص ٤٥

(22) روما : مدينة سكانها ١٩٤٤٠٠٠٠ في وسط ايطاليا قرب الساحل

الغربي على شفتي نهر التيبر عاصمة ايطاليا . . وفيها الفاتيكان مقر البابوية

بطلق عليها (المدينة الخالدة) وكذلك (المدينة المقدسة) وهي مركز ثقافي

وفني وديني منذ عهد طويل . . وقد مرت على روما عصور مختلفة :

(١) قبل عصر اغسطس (٢) وعهد الامبراطورية (٣) وروما في العصور الوسطى

(٤) وروما في عصر النهضة والعصر الحديث . . الموسوعة ص ٨٩٩

(23) النمسا او (اوستريا) جمهورية اتحادية ٨٢٨٥١ كم ٢ و ٦٢٠٢٠٣ نسمة باوربا الوسطى بخرقها نهر الدانوب و تحد بوعسلافيا و ايطاليا جنوبا و سويسرا و (ليختنشتاين) غربا و باقريا وتشيكوسلوفاكيا شمالا و المجر شرقا و عاصمتها فيينا ومقاطعاتها تسع و هي ممثلة في المجلس الاعلى من البرلمان الاتحادى ذى المجلسين و يغلب على سكانها المذهب الكاثوليكى واللغة الالمانية .

(24) فرنسا : جمهورية ٥٥٠٨٩٣ كم ٢ و ٤٥٨٤٠٠٠٠ نسمة في اوربا و يحدها شمالا القنال الانجليزى و غربا المحيط الاطلنطى وجنوبا غربا اسبانيا والبحر المتوسط و شرقا ايطاليا وسويسرا و المانيا وفي الشمال الشرقي لكسمبورغ و بلجيكا و عاصمتها باريس . وفرنسا اهم اعضاء (الاتحاد الفرنسى) وتشمل ٨٩ قسما اداريا و يغلب على فرنسا الثقافة اللاتينية والدين الكاثوليكى و يرجع الفصل بين الكبيسة والدولة الى الصراع الذى دار ١٩٠٥ - ١٩٠٦ م وقامت الثورة سنة ١٧٨٩ م . راجع الموسوعة ص ١٢٩٢ - ١٢٩٣

(25) روسيا و الاسم الشائع الذى يطلق على اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية . قامت بالثورة الشيوعية سنة ١٩١٧ م . (اليونان : اسمها الاغريقى القديم (هيلاس او الاثين) تؤلف ملكة ١٢٩٨٨٠ كم ٢ و ٨٣٥٨٠٠٠٠ نسمة وتقع في جنوب شرق اوربا وعاصمتها (اثينا) راجع الموسوعة ص ١٩٩٤

(26) ايطاليا : جمهورية مساحتها ١١٠٢٠٢٠٣ كم ٢ وعدد سكانها ٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ تقع جنوب اوربا وعاصمتها روما و تفصل جبال الالب شمال ايطاليا عن فرنسا وسويسرا والنمسا ويوجسلافيا و هي شبه جزيرة على شكل حذاء و تحتوى على مدينة الفاتيكان و سان مارينو .

رقم الصفحةالموضوع

٢٢ - ١

المقدمة

١

تعريف الالحاد

٢

الاشتقاق

٣

المعنى اللغوى

٨

تحديد معنى الالحاد الاصطلاحي

١١

موقف البشرية من الالحاد

١٤

موقف الاسلام من الالحاد

١٥

انواع الالحاد

١٦

كلمات مزيفة

١٧

كلمة الحضارة

١٨

الحضارة في الاصطلاح

٢١

مفهوم الحضارة عند الماديين المعاصرين

٢٣

كلمة العلمانية

٢٥

العلمانية في تعريف الغربيين الماديين

٣١

كلمة التطور

٣٥

فكرة عامة عن اوربا الحديثة

٣٦

بداية العصور الوسطى

٣٩

بداية العصر الحديث

٤١

الاكتشافات الجغرافية

٤٢

اوربا في النهضة العلمية والأدبية

<u>الموضوع</u>	<u>رقم الصفحة</u>
<u>شهادات من اوروبا</u>	
شهادة من النمسا	٤٤
شهادة من فرنسا	٤٦
شهادة من ألمانيا	٥٠
شهادة من أمريكا	٥٢
شهادة من بريطانيا	٥٣
شهادة من الهند	٥٥
شهادة جوستاف لومون	٥٨
هدايا الحرب للغرب	٦٢
طريقة الاستدلال العلمي	٦٣
سرتفوق الحرب على الاغريق في الابحاث العلمية	٦٥
سرتقدم الحرب على المسيحية	٦٦
فرقة عظيمة	٦٩
من هدايا الحرب موسوعات الطب الاسلامية	٧٣
كتاب القانون ه ابن سينا	٧٤
الترجمة	٧٩
كلمات عربية في اللهجات الاوربية	٨١
<u>الصراع في تاريخ الفكر الاوربي</u>	
سيادة الدين	٨٣
سيادة العقل	٨٥
سيادة الحس	٩٠
بناة المذهب الوضعي	٩٣
كارل ماركس	٩٤

<u>الموضوع</u>	<u>رقم الصفحة</u>
الصراع بين الطبقات	٩٧
الدين مخدر	١٠١
المذهب المادي التاريخي	١٠٢
الماركسية كنظام سياسي للجماعة	١٠٤
<u>ظروف عامة مهدت لقيام دولة الاتحاد في الارض</u>	
اول ملحد يعرفه تاريخ اليونان	١٢٩
اول من فتح باب الرهينة في اليونان	١٣٢
نقد مذهب الذرى الديمقراطي	١٣٢
العهد الروماني	١٣٣
العهد الجاهلي	١٤١
في عهد الكنيسة	١٤٤
اوربا المادية	١٤٦
حواشي التعريفات	١٤٨

الباب الاول

الفصل الاول :

لماذا الحد الناس في اوربا الحديثة	١٦٣
اسباب الاتحاد العامة	١٦٧
استنكار هدى الله	١٦٨
البحث عن الله عن طريق الحس	١٧٠
مرض من الامراض القلبية	١٧٣

رقم الصفحةالموضوع

١٧٦

واقصهم المادى بكذبهم

١٨٣

بعض اقوال الطوائف في مصر الحديث

الفصل الثاني :

١٨٦

اسلوب المفكرين في اسباب الالحاد

١٨٧

الاسباب الظاهرة

١٨٨

الدين

١٩٨

عقيدة اليهود في الله

١٩٨

الاصناف الحسية لليهود

٢٠٤

اليهود والا لوهية عموما

٢٠٥

الانبياء في التوراة

٢٠٦

سيدنا ابراهيم والتوراة

٢٠٨

الدفاع عن التوراة

٢١١

فكرة موجزة عن التوراة

٢١٢

نماذج من تحريف التوراة

الفصل الثالث :

٢٣٦

طغيان الكنيسة

٢٣٩

القرآن يذكر بعض انبياءهم

٢٤١

صكوك الغفران

٢٤٥

هذه هي القاصمة

٢٤٦

المسيحية والاطوفان

٢٤٩

الكنيسة تضطهد العلماء

٢٥٠

الاتاوات المألوبة

<u>الموضوع</u>	<u>رقم الصفحة</u>
فرض سلطانها على الملوك	٢٥١
قرارات الحرمان	٢٥١
الخضوع والمذل لرجال الدين	٢٥٢
وقوف رجال الدين في صفوف الظلمة ضد الشعب المكافح	٢٥٢
جناية الرهبان على انفسهم	٢٥٤
من طغيان الكنيسة غيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من	
الاناجيل الاربعة	٢٥٦
حقائق وأباطيل	٢٦٢
بشرية عيسى عليه السلام	٢٦٣
التثليث	٢٦٦
شواهد من كتب النصارى على عبودية عيسى عليه السلام	٢٦٩
انسانيته في الاناجيل	٢٧٠
<u>الفصل الرابع :</u>	
قوانين المادة	٢٧٢
ما آلت اليه المادية	٢٧٣
<u>الفصل الخامس :</u>	
مقارنة الأديان	٢٧٧
قصة مقارنة الأديان في أوروبا	٢٨١
مذهب التطور التقدمي	٢٨٢
المذاهب الروحية المشهورة باسم الحيوانات	٢٨٢
المذاهب النفسية	٢٨٣
المذهب الاجتماعي	٢٨٤

الفصل السادس :

- الثورة الفرنسية ٢٨٦
- ما لقبه المسجونون في الباستيل ٢٨٨
- الصفحة المظلمة للثورة ٢٩٠
- وقوف الكنيسة ضد مطالب الجماهير ٢٩٠
- الخلايا الخفية في الجسم الاوربي ٢٩٢
- الفكر اللاديني الذي طبع عصر التنوير ٢٩٣

الفصل السابع :

- مذهب النشوء والارتقاء ٢٩٦
- فكرة عن مذهب النشوء والارتقاء ٢٩٧
- ملخص تاريخي لتدرج العقول في فكرة اصل الانواع ٢٩٨
- الفرض الاساسي لهذه النظرية ٣٠٠
- الذنوب سبب هلاك الامم وليس الانتخاب الطبيعى ٣٠٢
- موقف الكنيسة من مذهب التطور ٣٠٩
- موقف الملاحدة من النظرية ٣١٢
- مواقف بعض المفكرين الاسلاميين من النظرية ٣٢٠
- اثار الداروينية في الحياة الاوربية ٣٢٨
- عبدت أوروبا الشيطان بطرق متعددة ٣٢٩
- الرأى المؤبد ٣٣٧
- خلق آدم ٣٤٣
- الاستاذ محمد فريد وجدى والتطور ٣٥٥
- مصير دارون ٣٦٠
- موقفنا من النظرية ٣٦٤

٣٦٦	دور اليهود في افساد أوروبا
٣٦٧	الدور الحملي
٣٨٣	من نتائج التعامل الربوى
٣٨٤	الدور النظري
٣٨٦	نظرية دارون ودور اليهود
٣٨٦	استغلال المنظمات السرية لمحاربة الأديان
٣٩١	المأسونية والخلافة الاسلامية
٣٩٥	مصطفى كمال رأس الأفعى اليهودية
٣٩٩	النموذج للحكم
٤٠١	الدعوات المفروضة للقومية العربية
٤٠٦	الصليبية الغربية الحاقدة
٤٠٨	رجوع أوروبا الى أرضها القديم حواشى الباب الأول

جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة

الإلهام

وأشارة في الحياة الأوربية الحديثة

رسالة مقدمة لنيل درجة التخصّص الأولى (المابستير)

من الطالب:
صالح السوي بابا صالح

بإشراف الاستاذ:

محمد الغزالي

١٤٠٠ - ١٤٠١ هـ

الجزء الثاني

الباب الثاني

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

مناقشة الملحد يـــــــمن

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

الفصل الأول : قضا يا الملحد يــــمن

الفصل الثاني : نشأة الحياة وتنوعها

الفصل الثالث : الطبيعة او الصدفة

الفصل الرابع : الدين يتعارض مع العلم الحديث

الفصل الخامس : موقف الاسلام ازاء الكشف الكوبرنيكي

الباب الثاني

مناقشة الملحدين

مستندات الملحدين في انكار وجود الله سبحانه :

توطئة :

قبل أن نخوض في مناقشة الملاحدة ، كان علينا أن نهيئ أولا نقطة هامة وهي :
اننا عندما نناقش مستندات الملاحدة في انكار وجود الله لا لكونها أدلة قائمة
على الحق ، وانما نناقشها باعتبارها شبهة تمسك بها الملاحدة في انكار وجود
الله - سبحانه - والا لا يوجد أحد - على الاطلاق - من الملاحدة ومن غير
الملاحدة ، يستطيع أن يثبت خطأ الفكرة التي تقول " ان الله موجود " كما
أن احدا لا يستطيع أن يثبت صحة الفكرة التي تقول " ان الله غير موجود " .
وقد ينكر منكر وجود الله ولكنه لا يستطيع أن يؤيد انكاره بدليل . وأحيانا
يشك الانسان في وجود شيء من الأشياء ولا يد في هذه الحالة أن يستند شكه
الى أساس فكري (١) . ولكني لم أقرأ ولم أسمع في حياتي دليلا عقليا واحدا ولا حسيا
واحدا على عدم وجوده سبحانه وتعالى .

وقد قرأت وسمعت في الوقت ذاته أدلة كثيرة على وجوده ، منها مقروءة في
الكتب ومنظورة في كتاب الكون من الذرة الى المجرة . . . (٢)

ولكن لما تسربت تعاليم الملاحدة في عقول كثيرة من الناس فألحدوا ، كان علينا
أن نقوم بدورنا من مقاومة هذه الأفكار الهدامة وبهتان بطلانه وبعده عن
الحقائق العلمية .

وعلى هذا الأساس نحاول هنا أن نناقش شيئا من أفكارهم الخطيرة التي يضللون
بها الدماة وضماف القلوب . .

واليك بعضا من أفكارهم ومناقشتها :

(١) راجع كتاب الله يتجلى في عصر العلم ، تأليف نخبة من العلماء الأتراكيين بمناسبة
السنة الدولية لطبيحيات الأرض ص (١٤٤)

الفصل الأول

قضايا الملاحدة

لقد قامت قضايا الملاحدة على مغالطات كثيرة وشبهات متعددة لا تعدولا

تحصى • الا أننا متبعون هنا أهمياتها وأهمها وهي كمايلي :

أولا - اصل الكون ونصيب الصدفة منه

ثانيا - نشأة الحياة وتنوعها

ثالثا - الدين يتعارض مع العلم مطلقا

تلك هي اهم حجج الملاحدة التي يتذرعون بها •• وقد سارت هذه التعاليم ،
بواسطة الاستعمار والاستشراق والتبشير ، الى بعض الناس من الدهماء فألحدوا ••
ولسوف ننظر في صحة هذه القضايا الثلاثة ، على أسس علمية ان شاء
الله تعالى ••

جهيد جهيد بذله الاستعمار والاستشراق والتبشير لتحقيق هذه الغاية ، ثم
تلقفه منهم " تلاميذهم " المسلمون في العالم الاسلامي كأمثال " د • عظم
وطه حسين " فأخذوا يرددون الاسطوانة في عالمنا الاسلامي ••
يقولون : أن أوربا متقدمة ••

وليست متدنية ••

فتقدمت وتحضرت ووصلت الى القمة والسلطان ••

ونحن متدينون ••

وفي الوقت نفسه متأخرون ••

فينبغي أن نسلك الطريق القويم •• ننبذ ديننا - كما فعلت أوربا ••

فنتقدم ونتحضر ونصل الى القوة والسلطان ••

وتلك خلاصة السمو في حياة البشرية ، التي وضعها التبشير والاستشراق والاستعمار ••
(١)

(١) التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص ٢٦٦
وراجع ايضا (صراع مع الملاحدة حتى العظم) عبدالرحمن حسن هبنكة الميداني
ص ٢٥١ سنة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م فيه مقال للدكتور عظم بهذا الصدد . وراجع كتاب
الشعر الجاهلي للدكتور طه حسين ص ١٢

أولا - أصل الكسـون :

من الدعاوى العريضة التي يدعيها أصحاب المذاهب الهدامة ، أنهم
يعتمدون على الحقائق العلمية وعلى مناهج البحث العلمي الصحيح ، ويتجنبون
الآوهام ، والخيالات التي تعلق بها دعاة الأديان الخادعون والمخدوعون
في كل زمان ومكان . .

وان كان أصحاب المذاهب الهدامة ، مضللين في كثير من الأمور ، فالأمر
الأول منها هو هذه الصفة العلمية التي يزعمون بها مذاهبهم اللاحادية . .
وهو مناقض لكل علم ، مخالف لكل حساب . .

سنرى عما قريب أن النظريات التي ترمى الى تفسير الكون تفسيراً آلياً فانيها
تعجز عجزاً تاماً عن تفسير كيف بدأ الكون . . وكيف انفصل الكوكب الأرضي عن
السموات . . (١)

تعجز لأنها وقعت في الخطأ من حيث المبدأ لكونها تسند كل ما حدث من
الظواهر التالية للنشأة الأولى الى محض "المصادفة" . .

ان هذا يخالف مخالفة تامة قواعد البحث العلمي ، يخالف ما يجب على رجال
العلم أن يتبعوها في تفكيرهم وعملهم وحياتهم ، فهو يتبع المبدأ الذي يقول بأنه
لا يمكن أن توجد آلة دون صانع . .

وهو يستخدم الحقل على أساس الحقائق المعروفة ويدخل الى معمله لكي
يصل الى النتائج الصحيحة عن طريق الملاحظات والتجربة . .

(١) قلنا : " عن السموات " ، ولم نقل : " عن الشمس " كما في تعبيرات
الملاحدة . لأن القرآن لم يقل بذلك . ولم ندر أي سماء انفصلت عنها الأرض
اذن ان القول بأن الأرض انفصلت عن الشمس بالذات ، مجرد ظن وليس
من باب التجربة الحسية التي يعتمد عليها العلم الحديث .

سنرى - عما قريب - أبرز العلماء الطبيعيين الذين ^{قد} حاولوا أن يعطوا
صفة الخالق للمصادفة العمياء ، وأنها هي التي خلقت نفسها بنفسها ..
أليس هذا سخرية على عقل البشر جميعا ؟ واحتقار من قيمة العلم الحديث
نفسه ؟

ألا يجب على معجزات المعرفة العلمية المعاصرة في هذا الميدان وغيره ،
أن تقود الانسان الذي يتأمل الى نتيجة عكسية تماما ؟ ..
ان ذلك التنظيم الذي يتحكم في الكون ، وفي الحفاظ عليه ، ألا يراه كسل
من يدرسه متزايدا في التعقيد .. ؟

أفلا يرون كلما تقدمنا في امتلاك العلم ، وخاصة فيما يتعلق بكل ما هو
مستناه في الصغر مثل ذرة ، ازدادت الحجج القائلة بوجود الخالق المبدع
الحكيم العليم الخبير ؟ .. ؟

ولكن الملحدين بدلا من أن يستلوا بالتواضع أمام هذه الوقائع ينتفخ
تكبرا على خالقهم وبارئهم ..

ذلك هو المجتمع المادي في تمام توسعه - الآن في الغرب ..

* * *

فيجب على المؤمن بالله - اذن - أن يجابهوا أولياء الشيطان الذين
لوثوا عقائد الناس وأفكارهم بهذه الخرافات التي تحمل الصفة العلمية زورا
وبهتاناً ...

يجابهوهم بحقائق القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه ..

* * *

نعم ! ان هذه الموجة المادية وغزو الاتحاد للغرب لم تظهر الا بسبب عجز
المسيحية عن الصمود .. لماذا ؟ لأنها كانت مشغولة بطغيانها وحقاقتها ودهانيتها

والتمسك بجهلها الموروث (١) .. هكذا كانت .. حتى أصبح الملحد لا يرى فيها الا نظاما تبناه البشر منذ حوالي الف عام لا رساء سلطة لا قلبية قليلة على بشر مثلها .. ولا يجد في كتابها المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) لفة تتشابه مع لفته ولو من بعيد ..

ولكننا - (المسلمين) نريد أن نجابه هؤلاء بقرآتنا العظيم لكى نردهم الى حجمهم الطبيعي .. نفهم كل ملحد أن فكرة المصادفة فكرة لا يتبناها الا الجهال " من العلماء " .

* * *

وأثال هؤلاء الباحثين اذا سألتهم :

- كيف ظهرت مادة الكون الى حيز الوجود ؟
- ومن أين جاءت ؟ يقولون : انها جاءت من المصادفة ..
- وما هونوع القوى التى أدت الى نشوئها وانتظامها ؟ يقولون : هى المصادفة ؟
- يا عجا ! من الذى قام بتزويد المادة بطاقة لا زمة لهذا النشوء ؟ يقولون : هو المصادفة !

- لو قلنا أيضا هل كانت لهذا الكون بداية ؟ يقولون : لا ! ليست لها بداية ولا نهاية لانها ترجع الى المصادفة
- ما حظ المصادفة - اذن فى نشوء هذا الكون ونظامه ، أهى ممكنة أو مستحيلة ؟ ترى الملاحظة يصدون عنك صدودا ...
- فأصبحت القضية اذن - قضية صيدانية .. ومع ذلك كله .. سوف ندرس هذه الادعاءات على أسس علمية مستوحاة من القرآن الكريم والواقع المسلمون .. ان شاء الله تعالى ..

(١) أى ورثت هذا الجهل المطبق عن آباء الكنيسة الذين غيروا تعاليم المسيح ونسوا حظا مما ذكروا به ... وأما أصل ديانة المسيح كان يفيض بالملم والنور ..

أصل الكون والفروض التي قدمها الملاحدة

ان المتأمل في كتب الباحثين الغربيين عن أصل الكون ، يجدهم من خرجتى مدرستين اثنتين :

١ - مدرسة المذهب الذرى ..

٢ - مدرسة الفلكيين الطبيعيين ..

وأما المدرسة الأولى هي التي أسسها الفيلسوف الملحد اليونانى (ديمقريطس)

(٤٦٠ - ٣٧٠ ق م) وقد سبق أن تحدثنا عنه ، وقلنا انه يرى العالم

مؤلّفا من ذرات متجانسة في طبيعتها .. ولا تنقسم ، ولا تفنى . (١)

فقد ناقشنا هذا المذهب في مطلع هذا البحث فلا داعى لاعادته هنا ، وأما الذى يهمنى هنا هو المدرسة الثانية .. لأنها هي التي تدعى أن ما وصلت اليه من علم نفى للدين من تلقاء نفسه .. وأن الذى أتت به قومها ، هو النهاية .. ولا قول لأحد بعده .. وأنه هو الجسد .. وغيره .. هو الباطل .. (٢)

ان اصحاب هذه المدرسة قد عللوا أصل الكون ، بكثير من الفروض المتعارضة

أشهرها ثلاثة و نوجزها في الكلمات التالية :

(٣)

الفرض الأول :- فرض (دى بوفون) (*Bofone*) العالم الفرنسى

(١٨٠٨ - ١٨٨٨) الذى يقول في كتابه (التاريخ الطبيعى) الذى نشره

عام ١٧٤٩ : ان المنظومة الشمسية نشأت من اصطدام الشمس بأحد المذنبات

السابحة في الفضاء .. وأن الصدمة أطارت منها السيارات فطفت تدور حولها

بحكم الحركة المركزية والجاذبية (٣).

(١) الموسوعة العربية ص ٨٣٧

(٢) الزحف الأحمر ، محمد الخزالي

(٣) راجع عقائد المفكرين ، محمود العقاد ص ٣٥ - ٣٦

ولكن العلماء الذين تبصروه عرفوا من تركيب المذنبات ما لم يكن يعلمه
(بوفون) في عصره ، فاستبدلوا بالمذنبات نجما عظيما يقارب الشمس فسمى
المظم ، لأن قوام المذنبات أخف من أن يحدث ذلك الاصطدام العنيف الذي
فرضه (بوفون) . . .
وبذا أصبحت نظرية بوفون ، في زاوية النسيان . . . وانتقلوا الى نظرية
أخرى وهي :

* * *

الفرض الثاني :- وهو فرض (لا بلاس) (Laplace) الفرنسي
انه أظهر خطأ آخر في نظرية (بوفون) . . . لأنه يرى أن السيارات طارت من
الشمس على اثر انفجار شديد في باطنها . . . وأن هذه السيارات على شكلها الذي
نعيده اليوم . . . (١)

لا شك ان هذا يخالف فرض (بوفون) مخالفة تامة بل نقول : ان بينهما
تناقضاً بيننا لأن (بوفون) يرى أن الانفجار كان بسبب خارجي . . .
وأما (لا بلاس) يقول انه كان بسبب داخلي .

فأي الفرضين نأخذ به اذن ؟ ومع ذلك يدعون أنهم هم العلميون
الباحثون الحقيقيون وغيرهم هم الجاهل لا يعلمون شيئاً . . .

(١) قد تقدم أن أشرنا في مطلع هذا البحث أن نابليون بونابرت وجه
سؤالا الى (لا بلاس) هذا عن عمل القدرة الالهية في تنظيم الأفلاك
السموية . . . فقال (لا بلاس) : " اننى لم أجِد في نظام السماء ضرورة
القول بتدبير اله " . انطلاقا من هذا التفكير الشارد ، ندرك مدى الضالة
التي وقع فيها هؤلاء الباحثون الفلكيون . . . راجع عقائد المفكرين
محمود المقاد ص ٣٠

ثم قال (لابلاس) ان الأجسام التي تتطير من الشمس ينبغي أن تدور
 في شكل بيضاوى ، خلافا لافلاك السيارات التي تستدير وتقرب من
 شكل الدائرة التامة ، فأثبت بذلك خطأ (بوفون) الذي يقول ان الدوران
 كان بشكل دائرى .. فأى القولين أولى بالصواب ؟ (١)
 فلنتقدم الى فرض آخر ..

* * *

(4)

فرض "كانت" (Kante) : الفيلسوف الالماني وله رأيا آخر وهو يشبه
 نظرية (لابلاس) الا أنه يفوق عليه بالقول ان الشمس هي التي كونت
 مجموعتها السيارة بنفسها (٢) دون تدخل أى جرم سماوى آخر ولا خالق
 مدبر حكيم .. يوافق بهذا القول قول (لابلاس) الذي يقول : "ان
 نظام الكون لا يحتاج الى أى اسطورة لاهوتية" .
 وإذا قلنا للفيلسوف "كانت" .. كيف كونت الشمس نفسها ومجموعتها ؟
 يقول :

"كانت الشمس في مراحلها الاولى كتلة ضخمة من الغاز المنخفض الحرارة
 نسبيا . تملأ حيز المجموعة السيارة الحالي بأكمله .. وتدور حول محورها
 ببساطة ، وأخذت حرارتها تنخفض باستمرار لفقدائها قسما منه بالاشعاع فى
 الفضاء المحيط بها ، مما جعلها تنقلص تدريجيا ، ثم تولدت قوة مركزية
 طاردة ناتجة عن هذا الدوران حول المحور أدت الى التفلطح التدريجى
 لمادة السديم ، أو الغاز الأصلية مما ترتب عليه طرح عدد من الحلقات
 الغازية من حافة خطها الاستوائى الممتد .. انظر الشكل (٢) ..

(١) عقائد المفكرين ، محمود المقاد ص : ٤٦

(٢) للتوسع انظر ايضا المريخ ، من ص ٦٠ الى ٧٠ وكتاب الجغرافية الطبيعية
 ص ١٢ وكتاب الفضاء الكونى ، ص ٢٢٠ وكتاب "وجه الأرض" للدكتور
 محمد متولى .

"وتكوين مثل هذه الحلقات من موارد تدور حول محورها .. ثم تفرض النظرية أن الحلقات الغازية المتكونة بهذه الكيفية تقطعت فيها بعد .. وتكونت منها الكواكب السيارة ، أما نواة السديم ، وهي الجزء الأوسط والأكبر ، فقد بقيت ولم تنفصل منها حلقات ، وتكونت منها الشمس " .

والفيلسوف صريح في أن الصدفة العمياء هي الخالقة الصائفة المدبرة

كما ترى .

فلما جاء العالم الانجليزى " كلارك مكسويل " خالفه في شكل الغازات فقال : " ان الغازات - في هذه الحالة - لا تتجمع على شكل كرة بل ينبغي أن تتعلق حلقات متفرقات " .

ولكنه وافقه في أن الصدفة العمياء هي المصدر الوحيد في تشكل الأجرام السماوية كلها ..

ثم صار الناس في أوروبا يؤمنون بهذه النظرية الأخيرة ويدرسونها في مدارسهم حتى تبين لهم أنها خطأ فانتقلوا الى فرض آخر وهو :

الفرض الثالث :- وجاء العالم الروسى الملحد (جورج جاموف) (4) -

(GAMW) فهو يرى : " أن انشقاق السيارات انما نشأ من مرور نجم آخر على بعد من الشمس لم يبلغ من قربه أن تصطم بهما ولم يكن من البعد بحيث يعبرها في طريقه فبرز من الشمس ، نتوء منجذب الى ناحية نجم آخر .. ثم انفصل على شكل مخروط تقطع رؤوسه على التوالي وتداركها الجاذبية وفعل الحركة المركزية فتنجم منها هذه السيارات واحداها هذه الكرة الأرضية " (1) .

فلما ظهرت هذه الفكرة الجديدة ، قامت أوروبا وقعدت ، فأمنت بها بشكل
 قاطع ، واعتبرتها من الحقائق العلمية التي لا تجارى ولا تماثل ٠٠ وبقيت
 هذه النظرية مقبولة حتى عهد قريب ، فظهرت في كل المؤلفات والكتب المدرسية
 التي تبسط العلم للجمهور ٠٠ (١)

عودة الى نظرية التصادم

فبينما هم كذلك اذ هم يرجعون أيضا الى نظرية التصادم التي رفضوها أولا ٠٠
 وكانت هذه العودة على يد ثلاثة من علماء الفلك وهم : (ساميرلن ، ومولتون
 وجيمس جينز) .

ان هؤلاء الثلاثة ، رفضوا نظرية الانفجار الداخلي التي تبناها
 الفيلسوفان " كانت " و " لا بلاس " ورجعوا بأوروبا مرة ثانية الى نظرية
 التصادم التي قد رفضت من قبل ٠٠

الا انهم قالوا : ان سبب التصادم ليس كما يقول (بوفون) ولكنه كان بسبب
 هجوم جرم كبير على الشمس فاجتزأ من الشمس أجزاء هي " الكواكب " .

تعديلات جديدة على النظرية

ثم ان العلماء الفلكيين غيروا آراءهم خلال العقدين ، تغيرا تاما عن أصل الكون ٠٠
 لأنهم بدؤوا يقولون : " ان تكوين المجموعة السبارة ، لم يكن حادثا استثنائيا ٠٠
 — كما يدعيه الفلكيون الأول ٠٠ بل لا بد أنه تكرر عند تكوين الغالبيات المظلمى
 من نجوم الكون ٠٠

وبناء على ذلك : لا بد أن يوجد في مجموعتنا المجرية وحدها ملايين
 السبارات التي تكاد تماثل الأوضاع الطبيعية لسطح الأرض " (٢)

(١) مثل كتاب جورج جامو : " ميلاد الشمس وموتها " الذي صدر عام ١٩٤٠م

وكتاب " حياة الأرض " الذي صدر عام ١٩٤١م

راجع كتاب : " تاريخ الأرض " لجامو ص ٢١

(٢) نقلا عن كتاب الانسان بين العلم والدين ، شوقي أبوخليل ص ٣٢

هذه هي النتائج التي قدمها علماء أوروبا للعالم ، فأمنوا بها لمجرد
التحصب الأعمى ...

انها نكسة كبرى ورجعية نكراء ان صح التعبير ..

ان القوم في بداية الأمر اتفقوا جميعاً ^{على} أن أصل الكون كان كتلة غازية
ثم تفرعت الكواكب ... قلنا هذا جميل ولكن كيف تفرعت عن الأصل ،
هل تفرعت بارادة منها أو من شيء آخر ؟

قالوا : ليس باختيار نفسها ولكن بصدفة عمياء : قلنا كيف ذلك : ..
قالوا : ان الشمس تصادمت مع مذنبات صغار .. ثم تبين لهم ان ذلك
مستحيل .. فقالوا انها تصادمت بنجم أضخم من الشمس نفسها ثم تركبوا
هذا الرأي بكامله .. فقللوا : ان الصحيح هو الانفجار الداخلي ..
فأمنوا بذلك برهة من الزمان ، حتى جاء اليوم الذي أعلنوا فيه مرة أخرى
أن الصحيح كل الصحيح هو نظرية التصادم ولكن بسبب هجوم نجم أكبر
من الشمس بكثير .. وهي النظرية السائدة الى هذه اللحظة ..

وأخيراً قرروا أن هذا التصادم لم يكن حادثاً فريداً في تاريخ الكون
— كما هو المظنون — وانما وجد هناك تصادمات عديدة في الكون .. واستنتجوا
من ذلك : ان مجرتنا تحتوى على العديد من السيارات .. أى أن العالم متعدد
في السماء . والأُسرة الشمسية هذه واحدة من هذه العوالم ..

تلك هي النتائج المتطرفة التي حاربوا بها الأديان جميعاً ..
وكيف لا تكون النتائج من هذه الفروض متطرفة عندما نعرف المواقف المتطرفة
التي اتخذها ابرز العلماء كهؤلاء .. الذين حاولوا أن يعطوا صفة الخلق
للمصادفة العمياء وانما خلقت نفسها بنفسها .. هذه سخريّة على عقول
البشر جميعاً واحتقار من قيمة العلم الحديث نفسه . . الا يجب على معجزات
المعرفة العلمية المعاصرة في هذا الميدان وغيره — كما قلنا — أن تقود الانسان
الذى يتأمل الى نتيجة عكسية تماماً ؟ .. فذلك التنظيم الذى يتحكم فى

الكون وفي الحفاظ عليه لا يراه كل من يدرسه متزايدا في التحقيد ؟
كلما تقدمنا في امتلاك العلم • وخاصة فيما يتعلق بكل ما هو متناه في الصغر
مثل الذرة • ازدادت الحجج القائلة بوجود الخالق المبدع الحكيم المليم
الخبير • كما قلنا سابقا ••

ولكن الملاحظة بدلا من ان يمتلىء عقولهم بالتواضع أمام هذه الوقائع ينتفخ
تكبرا • هو يعتقد أن من سلطانه السخرية من " فكرة الله " كما يسخر من
كل ما يتصل بالدين من أخلاق وعفة وأمانة وإيمان •

ذلك هو المجتمع المادي في تمام توسعه - الآن - في الغرب (١)

ما هي اذن القوى الروحية التي يمكن دفعها لمجابهة تلويث هو لا الملاحظة
من العلماء الغربيين المعاصرين ؟

فقد رأينا فيما مضى من أول هذا البحث ان هذه الموجة المادية
وغزو الاتحاد للغرب لم تظهر الا بسبب عجز اليهودية والمسيحية عن الصمود ••
كل منهما غارق في الحيرة ••• ان المادي الملحد لا يرى في المسيحية الا نظاما
ابتناه البشر منذ حوالي ألفي عام لا رساء سلطة لأقلية قليلة على بشر مثلها ••
ولن يجد في الكتب المقدسة (العهد القديم والعهد الجديد وغيرهما)
لغة تتشابه مع لغته ولو من بعيد •• فهذه الكتب كما رأينا سابقا - تحتوي
على كثير من الأمور التي لا تتفق مع المعطيات العلمية الحديثة ومن المتناقضات
والأمور غير المعقولة وهل القرآن كذلك ؟ ؟ هذا ما نحاول الاجابة عنه في
الصفحات التالية ••• ان شاء الله تعالى ••

(١) وقد تحدثنا عن هذه الجملة في الصفحات السابقة • وأعدناها هنا
للأهمية ••

موقف القرآن من أصل الكون

ان هذه الدراسة ، دراسة موقف القرآن من اصل الكون ، قد يبدو للبعض الناس انها قليلة الفائدة بدليل ان الناس منذ عهد نزول القرآن قد آمنوا بدون معرفة هذه الأشياء ، وهكذا ، يجب ان يؤملوا دون أن يحتاجوا الى هذه الدراسة الكونية ..

فنحن نخالف هذا الرأي مخالفة حاسمة فنبادرهم بالقول بأن دراسة الآيات الكونية لها مكانة خاصة في الدعوة الى الله في هذا العصر ، عصر العلم الكونية التي كشف الانسان بعض أسرارها فبلغ من القوة المادية ما بلغ ، وان لم يرح في استنطارها واستغلالها ما شرع الله له . ولكن هذا النوع من الدراسة يمجز الالحاد أن يجد موقفا للتشكيك في الدين الا أن يتبرأ من العقل ..

اذا كانت الكتب المقدسة المسيحية عجزت عن مقاومة الالحاد لما اشتملت عليه من معلومات مظلمة ، فجاء القرآن الكريم بحقائق علمية كونية لم تعرفها الانسانية الا في القرن التاسع عشر أو العشرين ، أفلا يدل ذلك عند كل ذي عقل على أن خالق هذه الحقائق هو منزل القرآن ؟ ؟ .

ونكرر دائما أننا لسنا مع الذين يريدون أن يشبوا القرآن بالعلم الحديث ولكننا نريد ان نبرز لهؤلاء الملاحدة جانباً من الكوز العلمية التي احتواها هذا الكتاب العظيم . سواء وافق معطيات العلم الحديث أو لم يوافق وسنرى عن قريب أن اشارات القرآن الكريم الى نشأة الكون تخالف جوهرياً - كل معطيات العلم الحديث في هذا الميدان .

وقد رأينا الفروض الثلاثة التي ذكرها هؤلاء (بيوفون ولا بلاس وجونج جامو) ومن لف لفهم ... كلها تشير الى نقطة واحدة وان اختلفت في مظاهرها وهذه النقطة هي :

ان الكون جاء عن طريق المصادفة ولا يحتاج الى تدبير اله خالق . وأن الكون
تطور الى ما وصل اليه تطورا عشوائيا بدون ارادة ولا حكمة . هذا ما بينا كذبته
في السابق . ولكن هنا نريد أن نبين للناس ان القرآن الكريم تناول الموضوع نفسه
ولكن بطريقة نظيفة يقبلها كل عقل سليم . . يقول تعالى :

﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من
الماء كل شيء حتى أفلا يؤمنون ﴾ (١)

ان الآية الكريمة من عجائب الاعجاز العلمي في القرآن لأنها سبقت علماء
الفلك المحدثين الى ما قرروه من أن الكون كله ، قبل ان يتشكل عوالمه
وجاراته ونجومه ، كان كيانا سديما غير متميز عن بعضه البعض ثم
أخذ يتميز ويتطور ، وهنا وقف العلم وصار ينتقل من فرض الى فرض لكي يصل كيف
تطور الكون وتميز بعضها عن بعض الى أن انتهى الى هذه الفروض الثلاثة
المذكورة .

* * *

ولكننا اذا رجعنا الى الآية مرة ثانية نجدها تشير الى أن الفتق كان
بأمر الله وإرادة الله ، هذا ما يفرضه الملاحظة فقال : ﴿ ففتقناهما ﴾ اذن

ان القرآن خالف العلم الحديث في كيفية تطور الكون بعدما كان سديما أو
دخانا على التعبير القرآني (٢) فانه يرى أن ذلك كان بفعل الله وإرادته وأما

أرباب العلم الحديث أسندوا كل ذلك الى الصدفة العمياء الخرقاء .

ثم اذا رجعنا الى الآية مرة ثالثة نجد فيها اعجازا آخر مدهشا . . نجد أنها
تشير بوضوح الى أصل الحياة وهي المسألة التي شغلت العقول في كل
عصور الانسان .

(١) الآية في سورة الانبياء : ٣٠

(٢) اشارة الى قوله تعالى ﴿ ثم استوى الى السماء وهي دخان ﴾

ان القرآن قد ذكر ذلك بايجاز فقال * وجعلنا من الماء كل شىء حى
أفلا يؤمنون *

فلا يسهل على من كل شىء مصدره المادة كمادة جوهريه ، أو تعنى أن أصل
كل شىء حى هو الماء . ويتفق هذان المعنيان تماما مع العلمية . . . فالمعلم
الحديث انتهى إلى القول إلى أن أصل الحياة مائى وأن الماء هو العنصر
الأول المكون لكل خلية حية (١) ولكنه لا يعرف من الذى خلق الماء فأُسندته
إلى المصادفة الحمقاء . . . فهل هناك غباء أكبر من هذا ؟ ؟

* * *

ان كلمة الماء في الآية شاملة لجميع انواع المياه ، من ماء المطر
أو ماء المحيطات أو أى سائل آخر .
تدل على ذلك الآيات التالية :

* . . . وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى * (٢)
* والله خلق كل دابة من ماء * (٣)

واذن فسواء كان المقصود هو أصل الحياة عموما أو العنصر الذى يجعل النبات
تولد في التربة ، أو كان المقصود هو بذرة الحيوان فان كل عبارات القرآن تتفق
تماما مع المصطلحات العلمية الحديثة الصحيحة ولا مكان مطلقا في نص القرآن
لأى خرافة من الخرافات التى كانت سائدة في العالم في عصر تنزيل القرآن
الكريم . . .

فالحاد الملاحدة بعد ذلك الحق المبين يصبح مجرد التعصب أو مجرد
شهوة الإلحاد التى لا دليل عليها . . .

(١)

(٢) سورة (طه) ٢٠ - الآية ٥٣

(٣) سورة النور ٢٤ - الآية ٤٥

القرآن معجزة قديما وهدى بنا

ان هذه الايات بقيت معجزة لعصرنا نحن ، كي يبقى القرآن في جملة
وكانه أنزل ليومه هذا ..

معجزات وآها الصحابة من خلال آيات كتاب الله ، لم نرها نحن .. نقول له
تعالى : ﴿ غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ﴾ (١)
وتحقق ما أورده القرآن الكريم ، فغلبت الروم وانتصر الفرس .. ثم قال
عز شأنه مخبرا عن ستكون له العاقبة ﴿ وهم من بعد غلبهم سيغلبون ﴾
وحدد لها ﴿ في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد .. ﴾ (١)

هذا ما حدث فعلا حسب أخبار القرآن الكريم ، حيث جمع هوقل جموعه
بتركيز كبير وهاجم الفرس الذين استكانوا للنصر ولذاته ، وقتلوا عن الحفاظ
عليه ، فانتصر عليهم ، أيام انتصار المسلمين في بدر (٢) .
ولما ملك " شيرويه " في فارس صالح الروم عام ٦٢٨ م ورد أسراهم
وردا وأسرا ..

انها لمعجزة كبيرة تفوق حدود القياس والمخارف الانسانية ...

* * *

معجزة الوعد والوعيد :

وقال عز وجل قبل غزوة بدر الكبرى ﴿ وان يمدكم الله احدى الطائفتين
انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق
بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كسر
المجرمون ﴾ (٣)

(١) سورة الروم : الآية الكريمة ٣ ، ٤

(٢) في شهر أيار عام ٦٢٤ ميلاديا : عن كتاب الانسان بين العلم والدين ، خليل

شوقي ص ٤٣

(٣) سورة الانفال : الآية الكريمة ٧ ، ٨

هذه الالبات تنبأت بمستقبل غيبى آت .. انها ايات دقيقة وحساسة
جدا ..

فالدعوة الاسلامية في بدء بها . فلو جاءت آية واحدة مخالفة لما تنبأت
به ، لشك الناس بالنبوة وشكوا بصحة القرآن الكريم ولجعلها الكافرون والمشركون
سلاحا اعلاميا مضادا ..

ولكنه القرآن الكريم .. وحى السماء الى الارض .. لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد * (١)

* * *

هذه من المعجزات التى رآها الصحابة .. وها نحن اليوم نرى معجزات كثيرة
من معجزات القرآن الكريم .. ومن هذه المعجزات (أصل الكون) وتكوينه
من الدخان ثم فقهه الى ما شاء الله تعالى .. وعندما أراد العلم الحديث
أن يتناول الى ذلك أخفق وسرى في هلال هذا الفصل معجزات أخرى كلها
تؤكد أن القرآن وحى من عند الله .. ولكن الملاحظة قصارى النظر .. لا يهتمون
بالدين وكل ما يتصل به .. فلذلك تراهم في طغيانهم يعمهون ..

* * *

ومن أهم ما اتخذته الملاحظة سنداً لنقض الأديان هو قضية نشأة الحياة
انهم يدعون أنهم قد عرفوا ذلك بطريقة العلم الحديث ..
وفي الصفحات الاتية محاولات لبيان كذبهم وافتراءهم .. وقبل ذلك نود أن
نسجل هنا كلمة لبعض الباحثين المنصفين من الغربيين وهو (د . وابن أولت)
اذ يقول :

" أما النظريات التى ترى الى تفسير الكون تفسيراً آلياً فانها تعجز عن تفسير
كيف بدأ الكون .. ثم ترجع ما حدث من الظواهر التالية للنشأة الأولى الى محض
المصادفة * (٢)

(١) سورة فصلت الآية الكريمة : ٤٢

(٢) الله يتجلى فى عصر العلم ص : ٣٨

الفصل الثاني

نشأة الحياة وتنوعها

لقد رأينا في السطور الماضية أن الملحدين يقولون : ان الحياة بدأت خلية واحدة ، ثم بدأ التكاثر بعمل عمله (١) ، والانتخاب الطبيعي يعمل عمله بطور — حيناً — بعض الكائنات من جرثومة صغيرة الى حيوان كبير .. ثم يتطور الكبير الى جرثومة صغيرة أيضا .. وهكذا يعمل التطور عمله حتى وصلت الحياة الى ما وصلت اليه الآن ..

ولكن هل لهم على هذا من برهان ؟ ..

والجواب لا ! لو كان عندهم برهان لفعلوا ذلك في معاملهم ، لأنهم يدعون أن كل شيء في الحياة معروف — وكل شرط تحتاجه الحياة يمكن أن تتوفر في المصنع .

والعناصر التي تتركب منها الاحياء — يقولون — انها معروفة ، ونسبها معروفة ، وأجزائها معروفة ..

فبقيت الظروف ، لأنهم يقولون : ان الظروف الأولى التي ولدت فيها الحياة لا تتوفر بالسهولة ..

فنقول لهم : يمكن لكم أن تقدروها وتوجدوا ظروفها مثلها ؟

هيئات ! لن تستطيعوا أبدا ! والا فجربوها !

وقد ناقشهم القرآن — ومن قبل مناقشة هادئة لا مفر منها أبدا فقال :

﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب .. ما قدروا الله حق قدره ﴾ (٢)

(١) الله جل جلاله ، سعيد ص ٥٦

(٢) سورة الحج الآية : ٧٣ — ٧٤

روسيا الموحدة تبحث عن نشأة الحياة

ولقد حاول المحدثون في روسيا الموحدة أن يبرهنوا على امكانية نشأة الحياة كيمائية ، وذلك - في زعمها - كدليل تثبت به مذهبها الالهادي .. وكيف كانت النتيجة ؟

كانت النتيجة كالتالي :

وقد كلفت هذه الدولة الموحدة ، بهذا الموضوع " أوبارين " رئيس المعهد الكيميائي في الاتحاد السوفياتي ، وطلبت أن يتفرغ للبحث في أمر واحد ، وهو مدى امكانية ايجاد الحياة عن طريق التفاعل الكيميائي . وبعد عمل متواصل قارب (عشرين عاما) أعلن حوالي سنة ٦٢ عن انتهاء من دراسة هذا البحث ، وأعلن عن النتيجة التي توصل اليها ، في تقرير رسي أذاعته جميع وكالات الأنباء في العالم اذ ذاك ، وهي :

أن العالم الكيميائي عاجز عن ايجاد الحياة في المختبر ..
والعلم لا شأن له الا بالمادة المحسنة ..

* * *

وكانت الفرصة مهيأة لهذا الرجل ولاهل روسيا أن يؤمنوا بالله ويتوبوا عن الحادهم وتمردهم على الله ، ولكن سبقت اليهم شقوتهم .. وبدل أن يعترف هذا الباحث الموحّد بأن الله هو خالق الحياة ، أجاب على سؤال كانت صيغته :

" هل التفاعل الكيميائي في المادة قادر على بحث الحياة ، كما انبعثت الحياة الأولى منذ ملايين السنين وعلى الصورة التي دعاها أرنست هيكل ؟

- ان هذا ممكن ولكن في كواكب أخرى غير كوكبنا هذا . (١)

هل رأيت - أيها القارئ الكريم - تهربا واضحا اكثر من هذا الجواب ؟

(١) راجع الله جل جلاله ، سعيد صوري ص ٥٧

ومع هذا التهرب الواضح نقول لهم :

اذن لم لم تستطيعوا صناعة الحياة وكل شيء متوفر ؟

أفلا يدل هذا العجز الانساني على أن هناك قوة عظيمة أقوى من كل ما

يتصور ؟ هي موهب الحياة كلها ؟

أفلا يدل ذلك على أن تلك القوة هي خالق الحب والنوى ؟

يخرج الميت من الحي .. ويخرج الحي من الميت ؟

ويحيى الأرض بعد موتها ؟ ؟

* * *

والواقع ان عامة الذين لا يؤمنون بالله يشهر بون من هذا الموضوع بمثل

هذه الادعاءات ؟

تصور معنا أيها القارئ في قولهم :

" ان الحياة قد جاءت من بعض الكواكب في شكل جرثومة انسلت دون

أن يصيبها تلف ، وبعد أن بقيت زمنا غير محدود في الفضاء استقرت

على الأرض ، ومن ثم تسلسلت الحياة عن تلك الجرثومة ، أو يقولون .. انها

وصلتنا عن طريق نيزك أصاب أرضنا " (١)

هل هذا الكلام معقول ؟

هل هذا الكلام يفسر لنا حقيقة علمية ؟

الجواب : لا !

اذ كيف استطاعت هذه الجرثومة أن تبقى حية في درجة الصفر المطلق

في هذا الفضاء الواسع ؟

فلنقل نعم استطاعت أن تبقى رغم ذلك ، ولكن كيف نجت من الاشعاع الكثيف

ذي الموجة القصيرة الذي يقتل أمثالها ؟

فلنقل أيضا - مجازاة معهم - انها بقيت حية رغم ذلك ، ولكن كيف وجدت
لنفسها مكانا ملائما في الأرض ؟

وكيف وجدت هذا الاتفاق المدهش في الظروف ، حتى توالدت فبدأت الحياة ،
وكم من السنين استغرقت هذه الرحلة التطورية حتى وصلت ؟

* * *

فلنقل نعم ! كل ذلك ممكن وحق ..

ولكن كيف بدأت الحياة على ذلك الكوكب الأول ؟

هذا سؤال يبقى دائما - بدون جواب الى يوم القيامة ..

اذن ان المنطق الوحيد المعقول ، هو أن الله الحي هو وحده خالق الحياة ..

* والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون .. أموات غير
أحياء وما يشعرون آيات يبعثون * (١)

ولا يستويان في منطق العقل :

* أئمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون * (١)

ولا يستويان كذلك عقليا :

انسان نسب الحياة الى المصادفة الحمياء ، وآخر ينسبها الى الله ...

والقرآن يقول ان الذي يجعل الملاحدة ينسبوننها الى المصادفة هو : الغفلة ..

فهم لا يستعملون قلوبهم ، استعمال الفقه والفهم الصحيح ، ولا ينظرون الى المخلوقات

نظرا الاعتبار والتفكر ، ولا يسمعون نداء الله بواسطة رسوله - سماع من يطلب الخير

لنفسه .. فلذلك نزلوا بقلوبهم هذه ، وأعينهم هذه ، وآذانهم هذه ، الى

مستوى البهيمية .. وبتعبير أدق ان البهيمية أعمق وأبصر وأسمع من

هؤلاء الملحددين :

(١) سورة النحل الاية : ٢٠ - ٢١

(٢) المصدر السابق الاية : ١٧

* ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ،
لهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام
بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون * (١)

* أبشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون * (٢)

ان الكون مخلوق لا خالق ، ومن أعطى الكون أو الطبيعة صفة الخلق ،
فقد أشرك بالله جهلا وسفهاة • بل قد ألحد في الله تعالى •

فنشأة الحياة لا تحلل الا بالله •

وجود الأنواع والأجناس لا يحلل الا بالله •

وما في الحياة من عجب لا يحلل الا بالله •

وكل جزئية من هذا كله آية من آيات الله •

* ويسألونك عن الريح قل الريح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا * (٣)
ونختم هذا الفصل بقولنا :

ان نشأة الحياة دليل على الله •

وتسديدات الحياة دليل على الله •

وتنوع الأحياء دليل على الله •

ومركز الانسان في هذا الكون بصفاته العليا دليل على الله •

وفي النفس البشرية - اخلاقها وعجائبها - دليل على الله •

فيل يبقى لمحدد بعد ذلك من حجة أو سبيل ؟ الا حجة الجليل وسبيل
السوي المؤدى الى البوار ثم النار * ألا لعنة الله على المحدثين * والحياذ
بالاه من الألحاد ..

(١) سورة الاعراف الآية : ١٧٩

(٢) = = = : ١٩١

(٣) سورة الاسراء الآية : ٨٥

الفصل الثالث

الطبيعة أو الصدفة

بعد ما تبين لنا ، بما لا يقبل الشك ، أن الاحاد ينتج عن الجهل لا عن العلم ، وتبدت أمامنا تلك الشبهات بقيت هناك شبهة من شبهات العصر وضلالة أخرى من ضلالتة وهي — كما يظهر لك — مصنعة كما تصنع الأصنام .. مخيطة على الافكار كما تخيم الأوهام ، ولكنها — بكل أسف — مع اصطناعها هذا ، وعدم استنادها الى أساس ، نجدها مسيطرة على عقول كثير ممن يدعون " الثقافة والمعرفة " ، وقد أصبحت غشاوة على قلوبهم دون أن يكتفوا أنفسهم عناء البحث والتحصيل .. تلك الشبهة هي : قولهم : ان الطبيعة هي التي أوجدت نفسها .. وبتعبير آخر ، ان الطبيعة وجدت عن طريق المصادفة الى العصر المزعوم

* * *

حينما تبادل أحد الطبيعيين بالقول :

من خلق السموات والأرض ، يقول : الطبيعة ..

من خلق النبات والحيوان ؟ يقول : الطبيعة ..

من خلق الانسان ؟ يقول لك : الطبيعة ..

من يدبر جميع هذه الأمور الفلكية ، والحيوانية والفرزية . وكل بحساب دقيق ونظام لا يحيد ، فسيقول لك : الطبيعة .. (١)

وكل ما خفى عن الادراك ، سببه ، فسببه الطبيعة ..

واذا قلت كيف جاءت الطبيعة نفسها ؟ قالوا : انها جاءت عن طريق المصادفة أو أوجدت نفسها بنفسها .. يا للعجب !

(١) راجع كتاب الله جل جلاله ، سعيد صوى ص ١٢٣

وكل منطق يؤدي في نهايته الى التسليم بوجود خالق مدبر حكيم عند المؤمنين ينتهي عند الملاحظة بوجود شيء لا وجود له هو المصادفة .. وكل ما كان وكل ما يكون ، وكل ما هو كائن فعلته الأولى هي المصادفة وأساسه الحقيقي هو المصادفة ، منها صدر ، وعليها يقوم ، وبها يتخذ ما شاءت له المصادفة من شكل أو كيف أو اتجاه .. (١)

وليس شأننا في هذا البحث أن نكفي بالتسفيه والتشنيع ، ولكننا نناقش الأمر من جميع الوجوه .. نناقشه بأقوال الكثرة الكاثرة والأغلبية الساحقة من أمثالهم من أساطين العلم الحديث ..

ثم نترك المجال للطبيعة نفسها لتكذب فكرة الصدفة العمياء . وبعد ذلك ننتقل الى مناقشة افكار بعض الملاحدة المؤيدين للصدفة وأخيرا نقرر للملاحدة قانون الصدفة للبيان أن الصدفة ليس لها عمل في الخلق ..

* * *

أولا - الطبيعة والكون :

الطبيعة في اللغة ، تعني الخلق والسجية ، وقد جاء في تاج العروس قوله : " والطبع والطبيعة والطباع ككتاب الخلقة والسجية التي جبل عليها الانسان " (٢)

أما الكون في اللغة : فهو (الحدث) (٣) اذ أن لفظة (كون) في الأصل تدل على حدوث شيء اما في زمان ماض أو زمان حاضر .. (٤)

اذن ان كلمة الطبيعة تختلف عن كلمة الكون اختلافا بينا ..

(١) راجع الجفوة المفتعلة بين العلم والدين ، محمد علي يوسف ص ٣٤ - ٣٥

(٢) الزبيدي . تاج العروس من جواهر القاموس ج ٥ ص ١٤٣٨

(٣) ابن منظور لسان العرب ج ١٣ مادة الكون

(٤) ابن فارس ، مقاييس اللغة ج ٥ مادة الكون

ولذلكون عند المتكلمين مرادف للوجود (١) . وأما معنى الكون في القرآن هو عبارة عما يكون بالارادة الالهية من الموجودات على اختلاف الوانها واشكالها بعد أن لم تكن (٢) . يقول تعالى ﴿ اذا قضى أمر فانما يقول له كن فيكون ﴾ (٣) وتطلق الكلمتان : الكون والعالم على كل شيء سوى الله لعدم اتصافه بالحدوث . . . وقد استعمل الأوربيون كلمة الطبيعة (Nature) بمعنى الكون أو العالم . فالطبيعة في اصطلاحهم : هي العالم بما فيه من أشياء مختلفة (٤) وهي تنقسم الى مفهومين في عقولهم :

المفهوم الأول :- انها عبارة عن الأشياء بذاتها ، فالجماد والنبات والحيوان كل هذه الكائنات هي الطبيعة وهو مفهوم غير دقيق ، وحكم غير سديد كما سيتضح لنا فيما يلي :

المفهوم الثاني :- انها عبارة عن صفات الأشياء وخصائصها فهذه الصفات من حرارة وبرودة ، ورطوبة ويوسية وملامسة وخشونة ، وهذه القابليات من حركة وسكون ، ونمو واغذاء وتزاج وتوالد كل هذه الصفات والقابليات هي : الطبيعة .

هذان هما المفهومان لمعنى الطبيعة عند الأوربيين . فما نصيغهما من الحق اذن ؟ ؟

أما القول الأول فلا يخرج بالطبيعة - بالنسبة لخلق الوجود - عن تفسير الماء بالماء . يقولون : الأرض خلقت الأرض ، والسماء خلقت السماء والأصناف صنفت نفسها وكل شيء أوجد ذاته . وهو في الوقت نفسه ، الخالق والمخلوق ، والحادث والمحدث . .

(١) البستاني ، بطرس ، محيط المحيط مادة الكون مكتبة البيان

(٢) التهانوني . كشاف مصطلحات الفنون مادة التكوين

(٣) سورة مريم ٦ اية رقم ٣٥

(٤) الجفرة المفتعلة بين العلم والدين : محمد علي يوسف ص ٤١

وبطلان هذا القول واضح ، لا يحتاج الى أية مناقشة ، فهو ادعاء بان
الشيء وجد بذاته من غير سبب . وقانون السببية عند جميع العقلاء - ما عدا
الملاحدة - يحطل ذلك . . فمذهبهم هذا يدل على اندماج الخالق والمخلوق
في كائن واحد فالسبب هو عين المسبب وهو مستحيل ، بل هو من التيهات
والتناقض الصريح بحيث لا يحتاج الى الوقوف والشرح . .

أما القول الثاني : الذى هو جعل قابليات الاشياء خالقا لها . نقول :
لو تكلف هؤلاء في البحث عن قابليات الأشياء التى اعتمدوا عليها فـي
خلق الأشياء لوجدوها سرايا خادعا يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم
يجد شيئا . . ولا بد من توضيح ذلك بطريقة علمية :

لو أردنا استنبات حبة قمح ، نضعها في التراب أو القطن المبلل بالماء
فتنتفخ هذه الحبة وتنفلق فيظهر منها - أولا - الجذر متوجها نحو الأسفل
ثم يظهر الساق يتوجه الى الأعلى ، ثم تظهر الأوراق فالأزهار فالثمار .
وفي هذه الحالة ، اذا سألت الملحد من الذى أنبت هذه الحبة يقول انه
القابلية . . القابلية فقط !

فلا بد - اذن - أن نبحث عن هذه القابلية وعن حقيقتها :

لو لم تنتفخ الحبة وتنفلق لما نشأ شيء . . فمن الذى نفخها وفلقها ، لو كان
للحبة عقل وتدبير لقلنا : ان عقلها هو الذى هيأ لها ذلك ، ولو أن الماء هو
الذى نفخها وفلقها ، لا يمكن للماء أن ينفخ في الحديد ويفلقه ، اذن فلا
بد من مؤثر وقبول لذلك المؤثر ، وان كانت الحبة بذاتها - جدلا - انتفخت
وانفلقت فلماذا لم يجمد وتضمر بدلا من أن تنتفخ وتنمو ولكي يحصل التكاثر والبقاء
يحتاج الأمر الى عقل وادراك ، ومضاهج مرسوم من قبل تلك البذرة ونعلم ومعنا
الملاحدة ، أن البذرة لا تملك شيئا من ذلك ، فكيف حصلت اذن ثمرة بعينها ؟
بل كيف حصلت ثمار كثيرة متنوعة ؟ ؟

وكيف كُنت الغاية المحيطة والصفات المقصودة في صميم كل بذرة منها ؟

والحقيقة أن من أنعم النظر في تعبير الملاحظة المستندين الى القابلية حينما يقولون : طبع النبات على ذلك ، انتفخت الحبة وانفلقت وتوالدت الخلايا ، تميل الخلية الحية الى الانقسام ... يجد أنها افعال مبنية للمجهول لجبرلهم أو تجاهلهم الفاعل الحقيقي .. فكان الملحد الطبيعي أغض العين عن السبب الحقيقي وبنى الفعل للمجهول تخلصا من ذكر الله تعالى .

فتقول له : فمن الذى نفخ في الحبة ؟ ومن الذى فلقها ؟ ومن الذى أدى الى التوالد ؟ ومن جبل الخلية على الانقسام ؟ ومن الذى جعلها تنتفخ بدلا من أن تضمر ، كل هذا التحقيق لا تصل اليه نظرة الملاحظة الطبيعية القصيرة ! بل هي مقتصرة على وصف الظواهر دون الذهاب الى أسبابها ، بل هي مخطئة في جعل الصفة المنفصلة سببا فاعلا ، والقابلية مؤثرا ، والظاهرة المجهولة عاملا مكونا ..

والمعجب أن تجد الملحد الطبيعي يجعل من مجموع هذه الصفات مفهوما مركبا سماه (قابلية التوالد والنمو) ، فجعل من القابلية التى هى عرض من أعراض الشئ سببا فى الخلق ومن الصفة الانفعالية التى لا تسمى ولا تدرك سببا فاعلا واعيا فى تكوين الأشياء !

اذن فمن الذى ركز الطبيعة فى العناصر ؟ ومن الذى نوع تلك الطبائع ؟ اذا قلت ذلك ترى الملحد ين - بدون حياء - يقولون : ان ذلك كله من فعل الصدفة ! الصدفة وحدها التى اعطت الطبيعة قانون الطبيعة

واذا قلت ان بذرة الشمس وبذرة الارز مثلا حين توضعان فى التراب تنتج كل واحدة منهما ثمرا يختلف عن الآخر ، بلونه ، وطعمه ، ورائحته مع أنه يسقى بماء واحد ، ومع اتفاقنا على أنه ليس للبذرة عقل ولا لجذر الشجرة ادراك ، فكيف كان الجذر يمتص الماء ويصطفى ذرات بعينها ، ويكون الحصاره ، وينشئ الحلاوة اذا قلت له ذلك يرجع الى صنمه الاول فيقول : ان ذلك من فعل الصدفة وقوانين الطبيعة واليك قول هكسلى :

إذا كانت الوقائع نتيجة لعقل طبيعية فهي بالطبع ليست نتيجة لعقل
ما فوق الطبيعة " (١)

* * *

أين يكمن الضعف في استدلال الملاحدة الطبيعيين ؟
اننا نستطيع فهم هذا الضعف من المثال البسيط التالي :
قد يشاهد احد الرجال قاطرة تجرى على قضبان الحديد فيتبادر الى ذهنه
سؤال : كيف تجرى هذه المجالات الثقيلة ؟
وبعد قليل من المشاهدة يصل الرجل الى الات وتروس القاطرة فيرى ان المجالات
الثقيلة تتحرك بتحريك التروس والالات . أفبعد هذا الاكتشاف يحق لهذا الرجل
أن يزعم أن الات القاطرة وحدها هي السبب في تحريك عجالاتها .
ومن الواضح أن الأمر ليس كذلك بهذه البساطة ، لأنه يجب أن نعترف
بالسائق الذي يدير الماكينات ، ثم بالمهندس الذي صنع تلك الماكينات وأوجد
القاطرة ، فلا وجود في الحقيقة للقاطرة ولا يمكن احداث الحركة في الاتها
بدون عمل المهندس والسائق . فالماكينات الداخلية ليست هي الختام في قصة
القاطرة بل ان الحقيقة النهائية هي " العقل " الذي أوجد تلك الماكينات
ثم أدارها وحركها وفق ارادة مرسومة .
لقد أصاب عالم مسيحي حين قال : " ان الطبيعة لا تفسر الكون ، وانما هي
نفسها في حاجة الى تفسير " (٢)

وذلك لأن الطبيعة مجرد حقيقة من حقائق الكون وليست تفسيراً له ..

(١) راجع الدين ، وحيد الدين خان ص ٦٥

(٢) نفس المرجع السابق ص ٦٦

ولنفهم هذا من مثال آخر .

ان الككوت يعيش أيامه الاولى داخل قشرة البيضة القوية ، ويخرج منها بعد ما تتكسر مضغة لحم . لقد كان الانسان القديم يؤمن بأن الله أخرجه ، ولما شاهدنا اليوم - بالمنظار - أنه في اليوم العاشر ينظرون قرن صغير على منقار الككوت يستعد ، في تكسر قشرة البيضة لينتقل خارجا منها ثم يزول هذا القرن بعد بضعة أيام من خروجه من البيضة .

* * *

هذه المشاهدة - كما يزعم الملاحظة - أبطلت الفكرة القديمة القائلة بأن الله يخرج الككوت من البيضة اذ قد رأينا يقينا أن قانون " الواحد والعشرين يوما " يحدث هذه العملية . والحقيقة أن المشاهدة الجديدة لا تدلنا الا على طاقات جديدة للحادث ، ولا تكشف عن سببه الحقيقي ، فقد تغير الوضع الان فاصبح السؤال لا عن (تكسر البيضة) بل عن (كيف يطير لارون) ؟ ان السبب الحقيقي سوف يتجلى لأعيننا حين نبحث عن الحلة التي كانت بهذا القرن ، الحلة التي كانت على معرفة كاملة بأن الككوت سوف يحتاج الى هذا القرن ليخرج من البيضة ، فمن لا نستطيع أن نعتبر الوضع الأخير (وهو شاهدتنا بالمنظار) الا أنه مشاهد للواقع على نطاق أوسع " ولكنه ليس تفسيراً له .

ان الاكتشاف الذي اعتبروه بديلاً " لاله " يمكننا أن نفسره بسهولة بأنفسه " أسلوب عمل الطبيعة " . اننا نستطيع أن نقول بكل قوة ، ان الله يجرى ارادته في الكون بواسطة هذه القوانين التي كشفت علومنا الحديثة بعض اجزائها فقط حتى الآن - يقول الله تعالى ﴿ وآتيناه من كل شيء سبباً فاتبعه ﴾ (١) فالله تعالى جعل هذه القوانين اسباباً لتسيرها وتنفذها .

وليست هذه الأسباب أو هذه القوانين هي الخالقة المدبرة • وأما الفاعل الحقيقي هو الله جل جلاله وعز كماله ••

ولو قصر النظر عند الملاحظة على هذه الأسباب • لمجدنا الجواب شافيا منطقيا منسجما مع ما تقدم من التحقيق العلمي في الآية الكريمة التالية :

* ان الله فلق الحب والنوى • يخرج الحي من الميت • ويخرج الميت من الحي ذلكم الله ربكم فأنى تؤفكون * (١) بذلك ترجع الاسباب كلها الى الخالق الاول وتمرف المجاهيل • ويحسم الأمر •••

* * *

ولكى نزيد الأمر وضوحا • نضرب لذلك مثلا آخر :

لنفرض ان رجال الدين يعتقدون ان الله ياتى بالمد والجزر في البحار ثم يأتى عالم من " علمائنا " الجدد ويقول لنا : ان المد والجزر له سببان هما قوة الجاذبية في القمر • والتكوين الجغرافي أى الوضع الجغرافي لأجزاء الأرض البرية والبحرية •

اننا سنقبل هذا الكشف العلمي بكل سرور فليس هناك من داع يقتضى رفض هذا الكشف لأنه لا يؤثر اطلاقا على صواب عقيدتنا • اننا نسلم بأن حدوث المد والجزر يقتضى قوة الجاذبية القمرية • ويقتضى وضعا جغرافيا معينيا لأجزاء الأرض • ولكن ما هي قوة الجاذبية • وما هو الوضع الجغرافي الأرضى ؟ انهما — ايضا — من خلق الله • والله يستخدم هذه الوسائل لتنفيذ ارادته وفعله • ولولا استخدامه لهذه الوسائل المحددة لتنفيذ مشيئته لحلت الفوضى في الكون ولا نخدم النظام • فالله سبحانه وتعالى لا يزال هو السبب الاول والحقيقي لطوفان البحار وفلق الحبوب والزراع الحقيقي كما ورد ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى :

* أفرايتم ما تحرثون ؟ أنتم تزرعونه ام نحن الزارعون ؟ لو نشاء لجعلناهم حطاما فظلمتم تفكهيون : انا لمفرومون بل نحن محرومون * (٢)

(١) فى سورة الانعام : ٩٥ (٢) فى سورة الواقعة : ٦٣

هذا الزرع الذي ينبت بين ايديهم وينمو ويأتي ثماره • ما دورهم فيه ؟
انهم يحرثون ويلقون الحب والبذور التي صنعها الله • ثم ينتهي دورهم
وتأخذ يد القدرة في عملها المعجز الخارق العجيب • • • تأخذ الحبة أو
البذرة طريقها لاعادة نوعها • تبدو • وتسير فيه سيرة العاقل العارف الخبير
بمراحل الطريق • الذي لا يخطئ • مرة كما يخطئ • الانسان في عمله ولا ينحرف
عن طريقه ولا يضل الهدف المرسوم ! • •

هل هذه البذرة الصغيرة عاقلة حتى تحمل هذه الاعمال العجيبة ؟ لا !
والله ! بل يد القدرة الالهية هي التي تتولى خطاها على طول الطريق •
ولولا ذلك تصبح هذه البذرة الصغيرة اعقل من الانسان ! لأن الانسان
يخطئ في جميع أعماله • حتى اتخذ العلم الحديث الخطأ والاحتمال
قاعدة تنطلق منها للوصول الى الحقائق العلمية • وإذا انتفى أن هذه
البذرة عاقلة لا يبقى هناك الا ان نقول ان العجيبة التي نراها في هذه
الحبة هي من صنع الله المليم الحكيم •

* * *

ولولا ذلك كيف تأخذ هذه الحبة رحلتها العجيبة • الرحلة التي ما كان
تد العقل ليصدقها • وما كان الخيال ليتصورها • ولولا أنها حدثت وتحديث
وبراها كل انسان في صورة من الصور • ونوع من الأنواع • والافأ عقل
كان يصدق • وأي خيال كان يتصور أن حبة القمح — مثلا — يكمن فيها هذا
المود وهذا الورق وهذه السنبلة • وهذا الحب الكثير ؟ أو أن النواة تكمن فيها
نخلة كاملة سامقة بكل ماتحتويه ؟ !

* * *

(١) هذا الشرح أخذناه من كتاب في ظلال القرآن ، سيد قطب ج ٢٧ ص ٧٠٣
المجلد السابع ولكن بالتصرف •

أى عقل كان يتناول به الخيال الى تصور هذه العجيبة • لولا أنه يراها
تقع بين يديه صباح مساء ولولا أن هذه القصة تتكرر على مرأى ومسح من
جميع الناس ؟

وأى انسان يمكنه أن يدعى انه صنع شيئاً في هذه العجيبة سوى الحرث
والقاء البذور التى صنعها الله ؟

ثم يقول الناس : زرعنا !! وهم لا يتجاوزون (الحرث) والقاء البذور • أما
القصة العجيبة التى تشملها كل حبة وكل بذرة ، وأما الخارقة التى
تنبت من قبلها وتنمو وترتفع فكلها من (صنع الله) الخالق الزارع الحقيقى •
بل ولو شاء الله لم تبدأ رحلتها • ولو شاء لم تتم قصتها • ولو شاء لجعلها
حطاما قبل ان تؤتى ثمارها وهى بمشيئته تقطع رحلتها من البدء الى
الختام !

ولو وقع ذلك لظل الناس يلونون الحديث وينوعونه يقولون : * انا المضمون *
: غارمون * بل نحن محرومون * ولكن فضل الله يمنحهم الثمر ويسمح للنبتة
أن تتم دورتها ، وتكمل رحلتها ، وهى ذاتها التى تقوم بها الخليقة
التي تمنى •• وهى صورة من صور الحياة التى تنشئها القدرة الالهية
وترعاها •• (١)

ومع هذا كله نقول للملاحظة : ان القابليات والاسباب كل اولئك ارادة الله
في الكون • وان الطبيعة مجرد حقيقة من حقائق الكون ، وليست تفسيراً له ••
ومع كل ذلك تجد الملاحظة يصدون عنك صدودا ويقولون : ان فاعل ذلك
كله ، هو الصدفة ! الصدفة هي تحمل عملها في الظلام بدون ارادة ولا علم
ولا عقل وانما هي تخطب تخطب عشواء •••

(١) لخصنا هذا الشرح أيضا من كتاب في ظلال القرآن ، لسيد قطب المجلد

وان بدت سخافة هذه المقالة الصيغانية ،فانها تستحق النظر لانها
 افسدت في العالم قلوبا وأفكارا ..
 اذن فما هي الصدفة وما قيمتها عند العلماء وعند البحث العلمي الصحيح
 البعيد من الهوى والاحاد ؟

العلم والدين يقاتلان فكرة المصادفة العمياء

كثيرا نسمع من الملاحدة المعاصرين يقولون : " ان هذا الكون المادى
 لا يحتاج الى خالق وبلخص بيرتراندرسل هذه النظرية المادية المتطرفة
 فيقول :
 " ليس وراء نشأة الانسان غاية او تدبير . ان نشأته وحياته وآماله ومخاوفه
 وعوائفه وعقائده ليست الا نتيجة لاجتماع ذرات جسمه عن طريق المصادفة ..
 ولا تستطيع حماسته او بخلولته او فكره او شعوره ان تحول بينه وبين الموت ..
 وجميع ما قام به الانسان عبر الاجيال من اعمال فذة وما اتصف به من ذكاء واخلاص
 مصيره الفناء المرتبط بنهاية المجموعة الشمسية . ولا بد أن يدفن جميع
 ما حققه الانسان من نصر وما بناه من صروح المدنية تحت انقاض هذا الكون ..
 ان هذه الامور جميعا حقائق لا تقوى فلسفة من الفلسفات على انكارها (١)
 ذلك هو منطق الملحد الذي عبر عنه هذا الملحد العاتى ولكنه منطق
 سليم .. لانه ليس كل العلماء الطبيعيين يعتقدون في قدرة العلم على كل
 شىء حتى تستطيع أن تجد تفسيراً لكل شىء . كما مر ذلك سابقا .
 فالعلم لا يستطيع أن تحلل (الحق والجمال والسعادة) وذلك باعتراف جميع
 الماديين . كما أنها عاجزة عن ان تجد تفسيراً لظاهرة الحياة او وسيلة لادراك
 غايتها .. بل ان العلم اشد عجزا عن ان تثبت عدم وجود الله سبحانه
 وتعالى ..

والكل يعلم - حقيقة - أن العلم لا يستطيع أن تفسر لنا كيف نشأت تلك الدقائق الصغيرة المتناهية في صغرها والتي لا يحصيها عدّ وهي التي تتكون منها جميع المواد . كما لا يستطيع العلم أن تفسر لنا بالاعتماد على (فكرة المصادفة) وحدها كيف تتجمع هذه الحقائق الصغيرة لكي تكون الحياة . ولا يوجد عند أحد دليل قديما وحديثا على ذلك . . .

بل نتحدى هذا الملحد وغيره أن يبين لنا كيف تستطيع المصادفة أن تخلق هذا الكون . بل أن العلم نفسها قد أبدت فعلا كثيرا من النبؤات التي جاءت بها الأديان الحقّة . كما قاتلت العلوم ، فكرة المصادفة - مع الأديان جنباً إلى جنب كأنها من مشكاة واحدة . بل انهما من مشكاة واحدة لأن الأديان أتت بكتب الله المقرّوة وأما العلوم فهي تدرس كتب الله المنظورة وهي هذا الكون الفسيح من الذرة إلى الأجرام السماوية . . . هذا ما صرح به العالم الطبيعي والكاتب اللامع (أوليفر وندل) في هذه المناسبة : " كلما تقدمت العلوم ضاقت بينها وبين الدين شقة الخلاف ، فالفهم الحقيقي للعلم يدعو إلى زيادة الإيمان بالله " (١)

وأيدّه (إيرفنج وليام نوبلوتشي) أستاذ العلم الطبيعية - الحاصل على درجة الدكتوراة من جامعة أيووا - أخصائي الحياة البرية في الولايات المتحدة - أستاذ العلم الطبيعية في جامعة ميشيغان منذ سنة ١٩٤٥ م أخصائي في وراثة النباتات ودراسة شكلها الظاهري . أيدّه بقوله : (٢) " أما بالنسبة إلى نفسي بوصفي أحد المشتغلين بالعلم ، فأنني لا أستطيع أن أنفي قوانين المصادفة (٣) لأنني أرى نتائجها في كثير من أمور حياتنا

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص ٥٣

(٢) المرجع السابق ص ٥٣

(٣) يرى فريق من العلماء المعاصرين أن استخدام لفظ المصادفة هو تخلص من تفسير الظاهرة أو الأمر الذي حدث تفسيراً طبيعياً ، وعلة ذلك أننا لم نصل بعد إلى تلك التفسيرات الطبيعية . هذا يقصده هذا العالم في استعمال لفظة المصادفة .

اليومية • ولا أستطيع كذلك أن أرفض النظريات المادية رفضاً باتاً لأن نجاح
المشتغلين بالعلم يتوقف على مدى وصولهم الى تفسيرات طبيعية للظواهر
الموجودة التي يدرسونها ••

” ولكنى أو من بوجود الله • اننى اعتقد فى وجوده - سبحانه - لأننى
لا أستطيع أن اتصور ان المصادفة وحدها تستطيع أن تفسر لنا ظهور
الالكترونات والبروتونات الاولى او الذرات الاولى او الأحماض الأمينية الاولى
او البروتوبلازم الاول أو البذرة الاولى او العقل الاول • اننى اعتقد
فى وجود الله لأن وجوده القدسى هو التفسير المنطقي الوحيد لكل ما يحيط
بنا من ظواهر هذا الكون التى نشاهدها “ (١)

وبعد هذا التقرير الصريح من عالم أتيحت له هذه الفرصة السانحة
للإطلاع على نتائج هذه العلم كلها ، ننتقل الى استعراض صورة من العلم
الحديث فى ابطال المصادفة ، واستعراض بعض الايات القرآنية للاشبات
أن العلم والدين يقاتلان معاً ضد المصادفة العمياء •

العلم يبطل فكرة المصادفة

أولاً - شهادة علم الهندسة :

ان هذه الشهادة يؤيد فيها عالم من العلماء الطبيعيين بل هو الذى استطاع
أن يخترع المخ الالكترونى (٢) فلندعه يتكلم : (٣)

(١) المرجع السابق ص ٥

(٢) مختار هندسى - حاصل على درجة الماجستير من جامعة كلورادو ومختار
هندسى بمعامل جنرال (الكثريك) - مصمم العقل الالكترونى للجمعية العلمية
لدراسة الملاحة الجوية بمدينة لانجلى (فيلد) اخصائى فى الآلات الكهربائية
والطبيعية للقياس •

المرجع السابق ص ٨٨

(٣) تنبيه : لا اعتراض بين ما قررنا أولاً أن الملاحظة اتخذوا العلم لضرب الأديان
وبين ما نقره هنا من أن العلم يدل على الإيمان •• فى التقرير الاول / هم الذين
اتخذوا العلم سلاحاً للحاد والعلم برئ من ذلك •
ان الملاحظة

"وانى احب ان أبدأ بذكر الحقائق التي لا سبيل الى انكارها والتي لا أشك
فى أن غيرى ممن اسهموا فى هذا الكتاب قد تناولوها : وهى ان التصميم
يحتاج الى مصمم • وقد دعم هذا السبب القوى من اسباب ايمانى بالله ما أقوم
به من الاعمال الهندسية • • فبعد اشتغالى سنوات عديدة فى عمل تصميمات
لأجهزة وأدوات كهربائية ، ازداد تقديرى لكل تصميم أو ابداع ابنى وجدته • •
وعلى ذلك فانه مما لا يتفق مع العقل والمنطق أن يكون ذلك التصميم
البديع للعالم من حولنا الا من ابداع اله أعظم لا نهاية لتدبيره وابداعه
وعبقريته • •

* * *

"حقبة ان هذه طريقة من طرق الاستدلال على وجود الله ، ولكن العلوم
الحدیثة قد جعلتها أشد بيانا وأقوى حجة منها فى أى وقت مضى • •
ثم زاد قائلا :

" ان المهندس يعلم كيف يمجّد النظام ، وكيف يقدر الصعاب التي تصاحب
التصميم عندما يحاول المصمم أن يجمع بين القوى والمواد والقوانين الطبيعية
فى تحقيق هدف معين ، انه يقدر الابداع بسبب ما يواجهه من الصعاب والمشكلات
عندما يحاول ان يضع تصميمها جديدا •

* * *

لقد اشتغلت منذ سنوات عديدة بتصميم مخ الكرونى يستطيع ان يحل بسرعة
بعض المعادلات المعقدة المتعلقة بنظرية " الشد فى اتجاهين " • وقد حققنا
هدفنا باستخدام مئات من الانابيب المفرغة والادوات الكهربائية والميكانيكية
والدوائر المعقدة ووضعها داخل صندوق بلغ حجمه ثلاث اضعاف حجم اكبر " بيانو"
ولا تزال الجمعية الاستشارية العلمية فى (لانجلى فيلد) تستخدم هذا المخ
حتى الان • • وبعد اختراعى هذا الجهاز سنة أو سنتين ، وبعد أن واجهت كثيرا
من المشكلات التي تطالبها تصميمه ووصلت الى حلها ، صار من المستحيلات بالنسبة

التي أن يتصور عقل أن مثل هذا الجهاز يمكن عمله بأية طريقة أخرى غير استخدام العقل والذكاء والتصميم .." (١)

" وليس العالم من حولنا الا مجموعة هائلة من التصميم والابداع والتنظيم وبرغم استقلال بعضها عن بعض ، فانها متشابكة متداخلة ، وكل منها أكثر تعقيدا في كل ذرة من ذرات تركيبها من (ذلك المخ الالكتروني) الذي صنعه ..

فاذا كان هذا الجهاز يحتاج الى تصميم أفلا يحتاج ذلك الجهاز الفسيولوجي الكبير البيولوجي الذي هو في جسي ، والذي ليس - بدور - الا ذرة بسيطة من ذرات هذا الكون اللانهائي في اتساعه وابداعه ، الى مبدع يبدعه .. ان التصميم أو النظام أو الترتيب ، أو سمها ما شئت لا يمكن أن تنشأ الا بطريقتين : طريق المصادفة أو طريق الابداع والتصميم . وكلما كان النظام أكثر تعقيدا ، بعد احتمال نشأته عن طريق المصادفة .. ونحن في خضم هذا اللانهائي لا نستطيع الا أن نسلم بوجود الله تعالى .. (٢)

شهادة العلم الطبيعية

بتساءل العلامة أ. كريسي موريسون عن سر الحياة وهل هي من صنع المادة : " ان المتفق عليه عموما هو أنه لا البيئة وحدها ولا المادة مهما كانت موائمة للحياة ولا أي اتفاق في الظروف الكيماوية والطبيعية قد تخلقه المصادفة يمكنها أن تأتي بالحياة الى الوجود " (٣) ويقول :

" فالحياة هي المصدر الوحيد للوعي والشعور وهي وحدها التي تجعلنا ندرك صنع الله ويظهرنا جماله وان كانت أعيننا لا تزال فوقها غشاوة " .

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص ٨٩

(٢) المصدر السابق ص ٩٠

(٣) العلم يدعو الى الايمان . تأليف أ. كريسي موريسون ص ٩٧

(٤) المصدر السابق ص ٩٠ الطبعة الخامسة يونية سنة ١٩٦٥ م .

ويقول : " والطبيعة لم تخلق الحياة ، فان الصخور التي حرقها النار ، والبحار الخالية من الملح ، لم تتوافر فيها الشروط اللازمة " .

" نرى انه مما يدعو الى الدهشة على الاقل ان يكون تنظيم الطبيعة على هذا الشكل بالغاً هذه الدقة الفائقة . لأنه ، لو كانت قشرة الأرض أسماكاً هي بمقدار بضع أقدام ، لا متص ثاني اوكسيد الكربون والاوكسجين ، ولما أمكن وجود حياة النبات ، وهناك احتمال بأن قشرة الأرض والمحيطات السبعة قد امتصت كل الاوكسجين ، وأن ظهور جميع الحيوانات التي تستنشق الاوكسجين وأن الحساب الدقيق قد يجعل هذا المصدر للأوكسجين في حيز الامكان ولكن مهما كان مصدره فان كميته هي بالضبط مطابقة لاحتياجاتنا .

ولو كان الهواء ارفع كثيراً مما هو ، فان بعض الشهب التي تحترق الان كل يوم بالملايين في الهواء الخارجي ، كانت تضرب في جميع أجزاء الكرة الأرضية . وهي تسير بسرعة تتراوح بين ستة اميال واربعين ميلاً في الثانية ، وكان في امكانها ان تشعل كل شيء قابل للاحتراق

وعجلة الموازنة العظيمة هي تلك الكتلة الفسيحة من الماء أى المحيط الذى استمدت منه الحياة والغذاء والمطر والمناخ المعتدل والنباتات ، وأخيراً الانسان نفسه . . . فدع الذى يدرك ذلك يقف في روعة أمام عظيمته . ويقر بواجباته شاكراً .

(١) العلم بدعوى الايمان ٠١ كريسي موريسون ص ٨٩

(٢) العلم بدعوى الايمان ٠١ كريسي ص ٦٦ .

قد أصاب هذا الباحث حيث اثبت ان الحياة مستمدة من الماء لأن الله تعالى يقول : * أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون * سورة النساء

وقد استدللنا بهذه الآية في مبحث " موقف القرآن من أصل الكون ولكننا رجعنا إليها هنا لملاققتها الواضحة بما نحن بصددده .

شهادة علم الفلك في ابطال فكرة المصادفة

ورائدنا في هذه الشهادة رائد الفضاء الامريكي الذي يقول :

”... عندما وقع علي الاختبار لبرنامج الفضاء كان بين اوائل الاشياء التي اعطيت لي ، كتيب (صغيرة) يحوى الكثير من المعلومات عن الفضاء ، وكان بين محتوياته فترتان تتعلقان بضمخامة الكون اثرتا في تأثيرا بالغا...“

” ولكي ندرك هاتين الفترتين يجب ان تعرف أولا ما هي السنة الضوئية :

ان الضوء يسير بسرعة تبلغ ٣٠٠ الف كيلو متر في الثانية - أى ما يعادل الدوران حول الأرض حوالى سبع مرات في الثانية - فاذا أطلقت هذا الشعاع من الضوء وجعلته يستمر لمدة عام فان تلك المسافة التي يقطعها - وتبلغ حوالى ٩٥ مليون مليون كيلو متر - وهي السنة الضوئية !

وانى اقتبس هنا ما ورد في الكتيب عن حجم الكون الذى نعيش فيه .. وعندما نذكر أن المجرة التي تضم كوكبنا يبلغ قطرها حوالى ١٠٠ الف سنة ضوئية

نشعر بدعشة .

” ولما كانت الشمس نجما لا يمتد به يقع على مسافة حوالى ٣٠ الف سنة ضوئية من مركز المجرة ، ويدور في مدار خاص به كل ٢٠٠ مليون سنة أثناء دوران المجرة فاننا ندرك مدى صعوبة المقياس الهائل للكون الواقع وراء المجموعة الشمسية ..“

” بل ان الفضاء الذى يقع بين النجوم في مجرتنا ليس نهاية هذا الكون فورا ، ما بين من المجرات ، الأخرى تندفع جميعا فيما يبدو ومتباعدة عن بعضها البعض بسرعة خيالية وتمتد حدود الكون المرئى بالمجهر مسافة ٢٠٠٠ مليون سنة ضوئية على الأقل في كل اتجاه .“

” ان هذا الوصف يظهر مدى ضخامة الكون الذى نعيش فيه ...“

(١) راجع كتاب قذائف الحق ، للأستاذ محمد الفزالي ص ١٦ -

منشورات المكتبة المصرية صيدا - بيروت .

”... ولنجد الآن لما نعرفه عن تكوين الذرة وهي أصغر جسم حتى الآن فنجد ان هناك تشابها كبيرا بين الذرات ومجموعتنا الشمسية في الكون ...”

” ذلك ان هذه الذرات لديها الكترونات تدور حول النواة بصورة منتظمة كدوران الأسرة الشمسية حول امها الشمس .. ”

ثم قال :

” والآن ماذا أريد أن أقول ؟ أريد التحدث عن نظام الكون بأسره من حولنا ...

” من أصغر تكوين ذري الى أضخم شيء يمكن تصويره . مجرات تبعد ملايين السنين الضوئية ، كلها يسير في مدارات مرسومة محدودة تضبط علاقة كل منها بالآخرى . فهل يمكن ان يكون ذلك كله قد حدث اتفاقا ؟

” أكانت مصادفة ان حزمة من نفايات الغازات الطافية بدات فجأة في صنع هذه المدارات وفقا لاتفاقها الخاص ؟

فقال في صراحة وصرامة :

” انني لا أستطيع تصديق ذلك .. بل ان ذلك مستحيل .. والمؤكد ان ذلك تم وفق خطة مرسومة محددة .. وهذا واحد من الأشياء الكثيرة في الفضاء التي تبين لي أن هناك اليها ... وأن قوة ما قد وضعت كل ذرة الأشياء في مدارات وأبقتها هناك تؤدي وظيفتها العتيدة ..

” ولنقارن السرعة في مشروعنا ” عطار ” مع بعض هذه الأشياء التي نتحدث عنها :

” اننا نظن أحيانا ان المشروع على ما يرام و فقد بلغنا سرعة تصل الى حوالي ٢٩ الف كيلومتر في الساعة في الدوران حول الارض - أي حوالي ٨ كيلومترات في الثانية - وهي سرعة كبيرة حقا بالنسبة لمقاييسنا الأرضية كما أنها سرعة

مرتفعة الى حد مناسب ونحن على ارتفاع يسر يد قليلا على ١٦٠ كيلومتر .
أما بالنسبة لما يجرى فعلا في الفضاء فان مجهوداتنا هذه تعد ضئيلة
جدا " ا.هـ . (١)

وصدق رائد الفضاء في كلمته تلك ، فان ما يصل اليه الانسان بجهدده وفكره
شيء محدود القيمة بالنسبة الى ما يقع في العالم حوله ، ان الذي يتجول في
مصانع السكر - مثلا - يرى الانابيب الطافحة بالعصير والاُفران المليئة
بالوقود ، والآلات التي تغطي مساحة شاسعة من الأرض . . . فلا يد
ان يتعجب من ذلك . . .

ولكن لو تأمل هذا الانسان في بحان نحلة صغيرة يؤدى هذه الوظيفة . .
وظيفة صنع السكر دون كل تلك الاجهزة الدوارة والضجيج العالي : لو تأمل
في ذلك لقال سبحان الله * هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من
دونه ؟ (٢)

وأين نصيب المصادفة في كل ذلك ؟ هل للمصادفة نصيب في قطرة
الماء التي ترى تحت المجهر وهي تحتوى الكروونات تدور حول نواة في المركز
وهي تتشابه بتلك النجوم التي تشاهد خلال المنظار المكبر ؟ ؟
ان العقل السليم لا يقبل هذا بحال من الأحوال . بل لا يسعه الا أن يمجّد
ذلك النظام الرائع وتلك الدقة البالغة والقوانين التي تعبر عن تماثل
طواف الكروونات حول كمبتها (البروتون) وطواف الأسرة الشمسية حول كمبتها
أيضا التي هي الشمس . هل في ذلك نصيب للمصادفة المزعومة . ب * فانها
لا تحصى الأبصار ولكن تسمى القلوب التي في الصدور * (٣) .

(١) المصدر السابق ص ١٩

(٢) الآية من سورة النحل / ١١

(٣) الآية من سورة الحج / ٢٦

هذا غريب من غرائب الفكر الالحادى

ولست أدري كيف يفسر الملاحدة على أساس المصادفة ما أثبتته العلم الحديث للأرض من صور الملاءات العديدة .. ان العلم الحديث يرى أن الأرض كرة معلقة في الفضاء تدور حول نفسها ، فيكون في ذلك تتابع الليل والنهار ، وهى تسبح حول الشمس مرة في كل عام ، فيكون في ذلك تتابع الفصول الذى يؤدى بدوره الى زيادة مساحة الجزء الصالح للسكنى من سطح كوكبنا ويزيد من اختلاف الأنواع النباتية اكثر مما لو كانت الأرض ساكنة ..

ولست أدري/يفهمون كيف أساس المصادفة ما قرره العلم الحديث من أن الأرض محيطة بخلاف غازى يشتمل على الغازات اللازمة للحياة ويمتد حولها الى ارتفاع كبير يزيد على ٥٠٠ ميل .. ويبلغ هذا الغلاف الغازى من الكثافة درجة تحول دول وصول ملايين الشهب القاتلة .. والغلاف الجوى الذى يحيط بالأرض يحفظ درجة حرارتها في الحدود المناسبة للحياة ، ويجعل بخار الماء من المحيطات الى مسافات بعيدة داخل القارات حيث يمكن أن يتكاثف مطرا يحيى الأرض بعد موتها ، والمطر مصدر الماء العذب ، ولولاها لأصبحت الأرض صحراء جرداء خالية من كل أثر للحياة . ومن هنا نرى أن الجو والمحيطات الموجودة على سطح الأرض تمثل عجلة التوازن في الطبيعة (١) كما أفاد بذلك كريس موريسون في شهادته السابقة

ان الغريبة كل الغريبة كون الملاحدة يؤمنون بكل ذلك ولكنهم ينحرفون عن نتائجها اللازمة وهى اثبات انه لهذا الكون الغريب .

(١) يراجع في ذلك كتاب الله يتجلى في عصر العلم ص ٦ - ٧

ولست أقهرهم أيضا كيف يقررون للماء خواصا هامة ثم ينسبونها الى شئى
لا عقل له بل هو يخبط — على زعمهم — خبط عشواء — ان ذلك ليهو
الضال المبين .

فهم يقررون ما أقره العلم الحديث من أن الماء يمتاز بأربع خواص هامة تعمل على
صيانة الحياة في المحيطات والبحيرات والانهار ، وخاصة حبثما يكون الشتاء
قارسا وطويلا ، فالماء — كما يقرر العلم الحديث — يمتص كميات كبيرة من
الاوكسجين عندما تكون درجة حرارته منخفضة . . وتبلغ كثافة الماء
أقصاها في درجة أربعة مئوية . . والثلج أقل كثافة من الماء مما يجعل الجليد
المتكون في البحيرات والانهار يطفو على سطح الماء لخفته النسبية فهى
بذلك الفرصة لا استمرار حياة الكائنات التي تعيش في الماء في المناطق الباردة .
وعندما يتجمد الماء تنطلق منه كميات كبيرة من الحرارة تساعد على صيانة حياة
الأحياء التي تعيش في البحار . . هذا بعض ما قرره العلم الحديث (رب
الملاحدة) ولكنهم يهربون من دلالات العلم الحديث . العلم يقول ان التصميم
لا بد أن يكون له مصمم . . . ولكن الملاحدة يرون خلاف ذلك . . فهم
يعترفون بالتصميم الموجود في الكون ولكنهم ينكرون المصمم ويقولون : ان نظام
الكون لا يحتاج الى أية اسطورة لا هوتية ، واذا وضعنا خواص الماء جانبا
وانتقلنا الى الأرض اليابسة التي تعمل في صمت ولكنها عجيبة . نجد الملاحدة
يعترفون بتلك الأعاجيب كلها ثم ينحرفون عن لوازمها ودلالاتها .
فالأرض اليابسة — كما يقول العلم الحديث — فى بيئة ثابتة لحياة كثيرة
من الكائنات الأرضية ، فالتربة تحتوى العناصر التي يمتصها النبات ويحولها
الى أنواع مختلفة من الطعام يفتقر اليها الحيوان . . ويوجد كثير من المعادن قريبا
من سطح الأرض ، مما هي السبيل لقيام الحضارة الراهنة ونشأة كثير من
الصناعات والفنون .

وعلى ذلك فان الأرض - بلغة العلم الحديث - مهياة على أحسن صورة للحياة وهذا - بلا شك - من تدبير حكيم عليم لا يفضل ولا ينسى ، وليس من المعقول ولا من المألوف ان يكون كل ذلك مجرد مصادفة أو خبط عشواء .. وأخيرا لست ادرى كيف عميت قلوبهم حينما يعترفون بوجود البروتونات وتوانينها المعقدة التي تحيرت منها قلوب الباحثين ، ثم يقولون بالمصادفة الحمياء .

أليس العلم الحديث (خالقهم الأوحى) يقول على لسان (فرانك ألن) البيولوجى .. " ان البروتينات من المركبات الاساسية في جميع الخلايا الحية . وهي تتكون من خمسة عناصر هي : الكربون ، والايديروجين والنيتروجين والاكسجين ، والكبريت .

" ويبلغ عدد الذرات في الجزيء البروتينى الواحد ٤٠٠.٠٠٠ ذرة ، ولما كان عدد العناصر الكيميائية في الطبيعة ٩٢ عنصرا موزعة كلها توزيعا عشوائيا ، فان احتمال اجتماع هذه العناصر الخمسة لكي تكون جزيئا من جزيئات البروتين يمكن حسابه لمعرفة كمية المادة التي ينبغي أن تخلط خلطا لكى تؤلف هذا الجزيء ، ثم لمعرفة طول الفترة الزمنية اللازمة لكي يحدث هذا الاجتماع بين ذرات الجزيء الواحد ...

" وقد قام العالم الرياضى السويسرى (تشارلز بوجين جاى) بحساب هذه الحوامل جميعا فوجد أن الفرصة لا تتهيأ عن طريق المصادفة لتكوين جزيء بروتينى واحد الا بنسبة (١) الى ١٦٠/١٠ أى بنسبة الى رقم عشرة مضروبا في نفسه ١٦٠ مرة . وهو رقم لا يمكن النطق به اول للتعبير عنه بكلمات . وينبغي أن تكون كمية المادة التي تلزم لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة بحيث ينتج جزيء واحد اكثر مما يتسع له كل هذا الكون بملايين المرات ويتطلب تكوين هذا الجزيء على سطح الأرض وحدها عن طريق المصادفة بملايين لا تحصى

من السنوات قدرها العالم السويسرى بأنها عشرة مضروبة في نفسها ٢٤٣ مرة
من السنين (٢٤٣١٠ سنة) .

ثم يقول متسائلا :

" ان البروتينات تتكون من سلاسل طويلة من الأحماض الأمينية فكيف تتألف
ذرات هذه الجزيئات ؟

اخرى غير التي تتألف بها . تصير غير صالحة للحياة ، بل تصير في بعض
الأحيان سموما . وقد حسب العالم الانجليزي ج . ب ليتز (J. B. Letz)
الطرق التي يمكن ان تتألف بها الذرات في أحد الجزيئات البسيطة — من
البروتينات فوجد أن عددها يبلغ (١٠^{٤٨}) وعلى ذلك فانه من المحال عقلا
أن تتألف كل هذه المصادفات لكي تبني جزيئا بروتينيا واحدا .

* * *

ثم صح بأن المصادفة لا تعجز عن تأليف الذرات فقط ولكنها تعجز
بشكل واضح عن ايجاد الحياة في المواد الكيميائية فقال :

" ولكن البروتينات ليست الا مواد كيميائية عديمة الحياة ، ولا تدب فيها
الحياة الا عندما يحل فيها ذلك السر العجيب الذي لا ندري من كنهه
شيئا . انه العقل الانهائي^(١) ، وهو الله وحده ، الذي استطاع أن يدرك
ببالغ حكمته أن مثل ذلك الجزيء البروتيني يصلح لأن يكون مستقرا للحياة
فبنائه وصوره وأغدى عليه سر الحياة . . ."^(٢)

(١) اننا لا ننكر المجهود الجبار الذي قدمه العالم للوصول الى الايمان بالله وحده
ولكنه لم يزل — بعد — يحمل في ذاكرته بعض المصطلحات الالحادية وهو :
تسمية الله سبحانه وتعالى " بالعقل الانهائي " ان هذه التسمية ولو كان يراد
بها اثبات وجود الله ، ولكنها في الوقت نفسه لا يجوز لمسلم أن يسمي الله بها
لانها ليست من الاسماء الحسنى . ولقوله تعالى * فله الاسماء الحسنى فادعوه
بها . وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون * .

(٢) راجع الله يتجلى في عصر العلم ص ١٠

وقد رأينا في هذا الاستعراض السريع ان العلم الحديث يحارب فكرة الصدفة
محاربة شديدة الا أن الملاحظة الجبرلاء الذين ليس لديهم علم واسع في
العلوم الطبيعية ولا في العلوم الدينية ، هم الذين ينكرون وجود الله الخالق
المدير . هذا ما أكدته " آينشتاين " :

" ان التجربة الدينية للكون افضل وأقوى من كل ما يتفجر من أعماق البحوث
العلمية والذي لا يفهم المجهودات الجبارة والثقة بالنفس التي من دونها
لا يكشف شيء جديد في التفكير العلمي فهو لا يستطيع أن يقدر قوة الشعور
الذي ينشأ من خلال هذا العمل العلمي البعيد عن الحياة اليومية المباشرة .
ولا بد أنه يوجد عند كيبليبر ونيوتن مثلا ايمان عميق بحكمة نظام
الكون وارادة قوية لفهمه وحتى لو لم يكن هذا الفهم الا شعاعا ضئيلا
من الحكمة المنزلة في الدنيا " (١)

ويقول أيضا : " ان العلم لا يستطيع أبدا أن ينفي بجد وجود الله
الواحد الذي يقدر جميع الحوادث الطبيعية " .

ويقول : " والعلم لا يكشف الا من طرف من هو متشبع جدا بطموح معرفة
الحقيقة بتمامها وانما هذا الشعور مستمد من الدين ومن أيضا يظهر الايمان
بأن القواعد المطبقة في عالمنا هذا منطقية أي ان العقل يدركها وانى لا
أتصور عالما لا يملك هذا الايمان العميق وانى أعبر عن الحالة تلك بهاته :
الصورة : " العلم بلا دين أعرج والدين بلا علم أعمى " (٢)

هكذا يتضح خلال هذا المثال البسيط الذي يخص الضوء أن الموقف
الفكري عند أصحاب العلم الحديث الجبرابذة ، يتنافى مع فكرة الصدفة وبعد
هذا نود أن نرى أيضا موقف الدين .. في هذا المجال ..

(١) راجع كتاب الله العلم : بشير التركي ص ٣٣

(٢) المرجع السابق ص ٣٣

الدين يبطل عقيدة الصدفية الحمياء

ليست مصادفة ان تكون اول كلمات القرآن الكريم امرا بالدعوة الى القراءة ..
 وأن تدعو اول آياته الى العلم .. فان أول ما نزل من الآيات الشريفة
 هي :

* اقرأ باسم ربك الذي خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الاكرم
 الذي علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم * (١)

وهي دعوة صريحة لتعلم القراءة والكتابة .. بل وجهت نظر الانسان
 الى ادق العلوم التي تخرجه من ظلمات فكرة المصادفة الى العلم بالايمان
 الصحيح .. وهي علم الحيلة وخلق الانسان ..

فما نصيب الصدفية الحمياء في خلق الجنين في بطن امه كما أخبرنا به القرآن
 الكريم في الايات التالية :

* ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين • ثم جعلناه نطفة في قرار مكين •
 ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا
 العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * (٢)

ثم بعد مئات السنين يقرر العلم الحديث ، بعد الاستعانة بالمجاهر وأجهزة
 للتصوير والأشعة ، أن الترتيب المنصوص عليه في هذه السورة هو ترتيب
 خلق الجنين ، والأكثر من هذا أنه حتى لم يمكن الاستعاضة من ألفاظ
 القرآن بخيرها • فهي الألفاظ التي تدل على المعنى بغير لبس أو غموض
 أو زيادة أو نقصان .. فهذا ان دل على شيء فانما يدل على أن الدين
 والعلم يقاتلان معا هذه الفكرة الخاطئة ، فكرة الصدفية الحمياء التي لا وجود
 لها في عالم الواقع .. كما يدل أن القرآن حق •

ثم تتابع الايات التي توجه النظر الى دقائق خلق الانسان فيقول الله سبحانه
 وتعالى : * فلينظر الانسان مم خلق .. خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب
 والترائب * (٣)

(١) في سورة العلق آية : ٥ (٢) في سورة المؤمن آية : ١٤

(٣) في سورة الطلاق آية : ٧

ثم يقرر القرآن حقائق وراثه الصفات في خلق الانسان فيقول المولى في سورة الانسان :

* انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سبيها بصيرا * (١)

أفبعد ذلك مكان للصدفة الحمياء في العقول النيرة ؟ أفليس ذلك دعوة صريحة من الله عز وجل للمسلمين بأن يتعلموا ؟ وليست مصادفة كذلك أن تتكرر في القرآن الكريم آيات الدعوة الصريحة الى النظر في خلق السموات والأرض وما فيها مثل :

* قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون * (٢)

* أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء * (٣)

* أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج * (٤)

ولم يكف القرآن بذلك بل دعا الى النظر في خلق النبات ومراقبة نموه

ودراسة حياته ان يقول المولى :

* وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا

نخرج منه حبا متراكبا ومن النخيل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب * (٥)

وقال : * أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا * (٦)

تؤكد هذه الآيات ان مراقبة نمو النبات ودراسته حياته شيء ينفي الصدفة

الحمياء التي لا تتفق مع العقل السليم ثم أكدت الآيات كذلك على اهمية الحيوان

المائية وتموينها بماء المطر الذى يتجه اليها . ويستحق الأمر وثقة لنذكر

بتسلط بعض المفاهيم في القرون الوسطى كمفهوم (أرسطو) الذى كان يرى أن

الينابيع المائية تتمون بواسطة بحيرات جوفية . ويصف ر . آمينبراس

(R. Remeneras) الأستاذ بالمدرسة الوطنية للمهندسة الزراعية

- | | |
|------------------------------|-----------------------------|
| (١) سورة الانسان آية : ٢ | (٤) سورة قى آية : ٦ |
| (٢) سورة يونس آية : ١٠١ | (٥) سورة الانعام آية : ٩٩ |
| (٣) سورة الاعراف آية : ١٨٥ | (٦) سورة الرعد آية : ١٧ |

والمياه والغابات في مقاله " الهيدرولوجيا " (Hydrologie)

بدائرة معارف أونيفرسال يصف المراحل الرئيسية في علم المياه ويستشير بأعمال الرى القديمة الرائعة وخاصة تلك التى انجزت في الشرط الاوسط ، وهو يلاحظ أن المعرفة العلمية قد سادت كل هذه الانجازات على حين كانت الافكار صادرة عن مفاهيم مغلوطة . ويردف المؤلف قائلا : " ويجب أن نتظر حتى عصر النهضة ما بين ١٤٠٠ و ١٦٠٠ تقرىبا حتى تغلبي المفاهيم الفلسفية الصرفية المكان لأبحاث تعتمد على الملاحظة الموضوعية للظواهرات الهيدرولوجية " (١)

فقد ثار (ليوناردو دافنشى) (Leonardo De Vinci)

(١٤٥٢ - ١٥١٩) على دعاوى أرسطو ..

ويعطى (برنارد باليس) (Bernard paleissy)

في بحث له بعنوان " خطاب في روعة طبيعة المياه والعيون الطبيعية

منها والصناعية Discours Admirable De La Nature Des Eaux Et Fontaine Tant Naturelles qu'artificielles.

(باريس ١٥٧٠) يعطى تفسيراً صحيحاً في دور المياه وخاصة عن تكوين الأمطار (٢)

للينابيع " ..

ليست هذه بالتحديد هي الإشارة التى نجدها في الآية التالية التى تذكر

اتجاه مياه الأمطار نحو الينابيع في الأرض ..

* ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق

يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال من برد فيصيب به من يشاء ويعرفه

عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار * (٣)

(١) راجع عرضا كتاب دراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاي

ص ٢٠٢

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٢ (٣) سورة النور آية : ٤٣

ويقول تعالى : * أفرايتم الماء الذي تشربون ؟ أنتم أنزلتموه من المزن
(١)
أم نحن المنزلون لو نشاء لجعلناه أجاجا فلولاً تشكرون *
الاستشهاد بأن الله تعالى كان يستطيع أن يجعل الماء الطيب بطبيعته
مالحا شديد اللوحة هو يدل على عجز الانسان وقصور فهمه عن طبائع
المخلوقات ومنها المياه .

وقد كتب م ١٠٠ فاس (M.A. Facy) مهندس عام الارصاد
الجوية الوطنية في مقالة " المواطن " بدائرة معارف (أوفيزسالييس)
مايلي (٢) :

" لن يمكن أبدا اسقاط المطر من سحابة لا تحتوي على سمات السحابة القابلة
للإطول او من سحابة لم تصل الى درجة مناسبة من التطور (أو النضج) ،
وبالتالي فان الانسان لا يستطيع الا أن يجعل بعملية الإطول مستعينا
في ذلك بالوسائل التقنية الملائمة ، على شرط ان تكون الظروف الطبيعية
لذلك جاهزة سلفا . ولو كان الامر غير ذلك لما كان الجفاف عمليا . وهذا غير
حادث . كما هو واضح . التحكم في المطر والطقس الجميل ما زال حتى
اليوم حلما . .

" لا يستطيع الانسان ان يقطع كيفما يشاء الدورة الثابتة التي تضمن حركة
المياه الطبيعية وعلى حسب تعليمات (الهيدرولوجيا) الحديثة فيمكن تلخيص
هذه الدورة كما يلي :

" يشير الاشعاع الحراري للشمس تبخر الماء في المحيطات وكل السطح الأرضية
المغطاة أو المشبعة بالماء . يتصاعد بخار الماء بهذا الشكل نحو الجو ويشكل
سحبا عن طريق تكاثفه . . عندئذ تدخل الرياح لتؤدي دورها في نقل
السحب بعد تشكيلها الى مسافات متنوعة . . وقد تختفي السحب دون أن تعطى

(١) سورة الواقعة الايات ٦٨ - ٧٠

(٢) الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٢٠٣

مطرا . كما يمكن أن تلتقى كتل السحاب مع كتل أخرى لتعطي بذلك
سحابا ذات كثافة كبرى ، وقد تتجزأ لتعطي مطارا في مرحلة من تطورها .
وسرعان ما تتم الدورة بوصول المطر الى البحار التي تشكل ٧٠ ٪ من سطح الكرة
الأرضية .

أما المطر الذي يصل الى الأرض فقد يمتص جزئيا بواسطة النباتات . مساهما
بذلك في نموها وهذه بدورها تقوم خلال ترشحها باعطاء جزء من الماء الى
الجو . أما الجزء الآخر فإنه يتسلل بمقدار قد يقل أو يكثر الى التربة ليتجه
نحو المحيطات عبر مجارى الماء أو قد يتسرب في التربة ليمود نحو
الشبكة السطحية عن طريق الينابيع أو الأماكن الأخرى التي يخرج منها
الماء الى السطح .

ولوقارنا معطيات علم الهيدرولوجيا الحديث بتلك التي نجدها في كثير
من الآيات القرآنية المذكورة في هذه الفقرة ، سنلاحظ وجود توافق رائع
بين الاثنين .

فعلى أى يدل هذا التوافق المجيب ؟ ؟ يدل على أن العلم والدين
من منبع واحد ، لأن أحدهما كتب تتلى ولآخر كتب تنظر ^{فيها} . . ان النتيجة
الاحتمية لهذا التوافق تراجع الى شيء واحد لا ثانى له هو :
أن خالق هذا الكون اله واحد لا شريك له وليس له معين في الخلق لا من
المقلاء ولا من غير المقلاء مثل الصدفة المزعومة . .

الآفاق والأُنفس

فمخلوقات الله في السماء والأرض أكثر من أن تحصى ، فهل الى ذكرها
من سبيل ؟ الجواب : لا ولكننا لو اتبعنا طريقة القرآن في عرض هذه
الأشياء لكان أبسر لأن القرآن يحض على النظرة الشاملة الكاملة حين يقول :

* أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء * (١)
ثم نجد القرآن الكريم يقسم هذه النظرة الشاملة الكاملة الى قسمين : ويقول :
* سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق * (٢)
إذا يحسن بنا أن نسير في هذه الفقرة على طريقة القرآن في اختيار بعض
آياته في الآفاق بالذكر . وقصدنا في كل ذلك : اثبات ان العلم والدين
لا يحترقان — بحال من الأحوال — بوجود المصادفة المزعومة بل انهما
يحاربانها محاربة عنيفة ، فلنقرأ هذه الآيات من كلمات ربي . يقول الخلاق
العظيم في كتابه الكريم :

* والسماء بنيناها بأيدينا وإنا لموسعون * (٣)
* أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء * (٤)
* أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج * (٥)
* الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها * (٦)
* وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون * (٧)
* الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع
البصر هل ترى من فطور * (٨)
* أنتم أشد خلقا أم السماء بناها ورفع سمكها فسواها وأغطس ليلها * (٩)
* ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا * (١٠)
* تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا * (١١)
* والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز الحكيم . والقمر قد رنا منازل حتى عاد
كالمرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار
وكل في فلك يسبحون * (١٢)

* فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لا تعلمون عظيم * (١٣)

-
- (١) سورة الاعراف اية : ١٨٥ (٢) سورة فصلت اية : ٥٣
(٣) الذاريات اية : ٤٧ (٤) الاعراف اية : ٧٥
(٥) ق اية : ٧ (٦) الرعد اية : ٢ (٧) الانبياء اية : ٣٢
(٨) سورة الملك آية : ٦ (٩) النازعات آية : ٢٨ (١٠) فاطر آية : ٤١
(١١) الفرقان آية : ٤١ (١٢) يس آية : ٢٨ (١٣) الواقعة اية : ٧٦

فتعال أيها الملحد المفترى ، ننظر ، كما أشارت الايات على ضوء العلم الحديث الذي تعتبرونه الخالق المدبر ، الى ما في هذه السماء من مخلوقات ثم تبدى رأيك في الصدفة الخرقاء الحمياء ..

هل نظرت الى هذه السماء وما تحتويه من شيء مخلوق بلا تفاوت ، وبينان مشيد بلا عمد وسقف محفوظ بلا فطور وسمك مرفوع بلا فروج والى ما فى بنائها من نجوم لا تعد ولا تحصى وما لهذه النجوم من (مواقع) تستحق أن تكون محلا للقسم العظيم يقسمه الخالق العظيم .

بماذا أحدثتك هذه الجولة عن سعة السماء يا ملحد وان كنت لا تؤمن بهذه الايات القرآنية النبيرة المباركة وما تحدثت عنه من سعة السماء ؟ فتعال مرة ثانية الى معطيات العلم الحديث في هذا المجال ستري ان السعة التى عرفها العلم اليوم عن السماء لم تكن تخطر على قلب بشر في العصر الذى نزل فيه القرآن .

انت قد درست فيها درست معنا فيما مضى من هذا البحث ، وبالتحديد في بحث " شهادة علم الفلك " ، " وأن الضوء يقطع في الثانية ١٨٦ الف ميل أو ٣٠٠ ألف كيلومتر أى أنه يقطع في الثانية (١١ مليون و ١٦٠ الف ميل) في السنة الواحدة من سنينا يقطع ستة ملايين مليون او ستة الاف مليار ميل تقريبا) . وهذه المسافة هي التي اصطالحوا على تسميتها (السنة الضوئية) ليحبروا عن ابعاد السماء الهائلة ، فمضى قيل لنا ان نجما يبعد عنا سنة ضوئية فمعنا أنه (١) يبعد عنا ستة ملايين مليون ميل ..

أليس هذا ما تؤمنون به يا ملحد ! نعم ! نعم ! هذا هو الحق ان العلم لا ينطق الا بعد التجربة الحسية .

اذن نتقدم خطوة اخرى معك يا ملحد !

(١) راجع كتابه قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، نديم الجسر ص ٣٠٥

" فللقمر يا ملحد ، وهو اقرب الاجرام السماوية الى الأرض ، يصل لوره البينا في أقل من ثانيتين لأن بعده عن الأرض ٢٤٠ ألف ميل تقريبا أليس هذا يقره العلم الحديث يا ملحد ! نعم هذا هو ما نعتقد وموت عليه . أحسنت يا ملحد فلنتقدم أيضا الى الأمام ..

" أما الشمس فيصل نورها البينا في نحو ٨ دقائق لأن بعده عن الأرض ٩٣ مليون ميل تقريبا . فهل أزيدك يا ملحد ! نعم زدني ! فاعلم أن اقرب نجم البينا بعد الشمس يسجد عنا أربع سنوات ضوئية تقريبا ومعنى ذلك انه يسجد عنا ٢٣ مليون مليون ميل تقريبا . أتو من بهذا التقرير العلمي الحديث يا ملحد ! طبعا طبعا فكل ما يصدر عن العلم لا مساومة فيه ابدا .. طيب ! ان هذا العدد تافه جدا امام التقارير الحديثة التي تقول : " ان وراء ذلك (النسر الطائر) الذى يسجد عنا ١٤ سنة ضوئية و (النسر الواقع) الذى يسجد عنا ٣٠ سنة ضوئية و (السمك الراح) الذى يسجد عنا ٥٠ سنة ضوئية أى ٢٩٤ مليون مليون ميل تقريبا .

(١) فما رأيك في هذا ؟ يا ملحد ! ان الحقيقة ان هذا الاخير شئ " مذهش " . وهذا أيضا تافه يا ملحد !

" فورا ذلك نجوم تبعد عنا الف سنة ضوئية ، ووراء مجرتنا هذه سديم مضى سديم " المرأة المسلسلة " الذى يسجد عنا مليون سنة ضوئية ، ووراءه من السدم ما هو أبعد في تقدير العلماء " .

أليس هذا الذى وصل اليه العلم الحديث يا ملحد ! انه هو ! هذا في سعة السماء ، أما عدد النجوم فيماذا أحدثك عنه العلم الحديث يا ملحد ؟ واصل حديثك اننى موافق لكل ما ذكر ..

(١) ان هذا الحوار نقلناه عن المصدر السابق مع تغييرات كثيرة ص ٣٠٥

" ان العلم يذكر ان النجوم بعد اليوم بالملايين بعد ان كان الناس في السابق يعدونها بالآلاف ... فقد وصلوا - الآن - الى ثلاثين مليار في مجراتنا التي نحن من عالمها * هذا شيء * يسير في سعة هذا العالم * اليس كذلك يا ملحد ! نعم لأنه من نتائج العلم الحديث الصرفة .. أفلا تحدثنا يا ملحد عن مواقع النجوم؟

لا ! لا ! واصل كلامك اذا وجد هناك خطأ فسوف أبينه !

" لقد رأى العلماء ان لهذه النجوم مواقع لا تتبدل ولا تتغير ، فظنوها ثابتة وسموها (الثوابت) ومنها شمسنا * وما هي بثوابت كما حقق العلماء في هذا العصر ، بل كلها تدور وتجرى لمستقر لها في مجريين مختلفين متداخل احدهما في الآخر ..

هل توافق العلم في تقريره الاول أم الثاني ؟

الملحد : أوافق في الثاني ! ولماذا لا توافقه في الاول ؟

الملحد : انه قد تبين انه خطأ *

أيق العلم الحديث في خطأ ؟ ؟

الملحد : وكيف لا ! انه في تطور دائم ومحاولات جديدة مستمرة ..

وكيف تؤمنون بشيء في كل شؤونكم مع الاعتراف بأنه متعرض للخطأ ؟ ولما طالبت مدة انتظار الجواب من الملحد قلنا : فلنتقدم اذن يا ملحد الى الامام مع هذا المأخذ الواضح على العلم الحديث الذي لا مفر منه ..

يا ملحد ! الست قرأت معنا الايات السابقة أن القرآن يقول : * والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم *

الملحد : نعم قد قرأنا هذه الآية *

هل هي تتنافى مع حقائق العلم الحديث التي توصل اليها اخيرا ؟

الملحد : لا منافاة بينهما !

لماذا لا تؤمن بالحقائق التي جاءت بها الأديان والتي وافقت معلوماتك ؟

الملحد : أعرف بعد هذا الحوار ان الدين كذلك قام على حقائق علمية
ولكننا لا نستطيع ان نتصور ان لهذا الكون خالقا لأن بعض علمائنا المشهورين
مثل برتراند رسل أثبت أن هذا الكون لا يحتاج الى موجد ومثل لا بلاس الذى
يقول : ان هذا الكون لا يحتاج الى اية اسطورة لا هوتية وكما قال داروين :
ان تدخل الله في الكون بمثابة / فكيف اذن أترك هذه التقارير من هؤلاء
العلماء الفطاحل ؟

يا ملحد : ما زلت على ضلالك القديم ؟ اذن نغير معك اسلوب الحوار
فلننتقل سريعا الى قانون المصادفة لنرى معك نصيب المصادفة من هذا
العالم المنظم المتفق ..

الملحد : طيب فلننتقل اليه فهو الفصل في هذا الباب ..
وهكذا رأينا ان الالحاد مبنى على تقليد أعى اكثر من ان يكون مبنى
على علم ودراسة . ان الملحد اقر بأن الشمس تجرى كما قال القرآن
ولكنه لا يستطيع أن يؤمن بقيمة هذه النتيجة لأن علمائهم اثبتوا في
اقوالهم أن هذا العالم لا يحتاج الى موجد مدبر حكيم . فلا يؤمن بالله
الا اذا اثبتنا علميا أن الصدفة عاجزة عن خلق هذا الكون ،
اذن - / قانون الصدفة الذى اتفق عليه علماء الطبيعة ومصير الملاحظة
ايضا .

قانون الصدفة

ان المصادفة تبدو شاردة ، غير منتظمة ، وغير خاضعة لأي طريقة
من طرق الحساب ، ولكن اذا كنا تدهشنا مفاجأتها فانها مع ذلك خاضعة
لقانون صارم نافذ (١) ولا بد من ايضاح ذلك بضرب الأمثلة :

(١) العلم يدعو للايمان ، ١٠ كريسى موريسون ص ١٣

إذا أخذنا - مثلا - لوحا ، واغرزنا فيه ابرة ، ووضعنا في ثقبه ابرة ثانية
أخرى وقل لي يا ملحد ، إذا رأى انسان عاقل هاتين الابرتين ، وسأل كيف
أدخلت الثانية في ثقب الأولى ؟ فأخبره انسان ، معروف بالصدق ، ان الذى
ادخلها رجل ماهر قذف بها ، من بعد عشرة أمتار ، فاستطاع أن يدخلها
في شق الابرة الاولى ..

ثم أخبره انسان ، معروف بالصدق ، ان الذى ادخلها في ثقب الاولى ، صبي
صغير ولد من بطن أمه أعمى ، فوقعت في الشق (بطريق المصادفة)
فأى الخبرين تصدق يا ملحد !

الملحد : انه ولا ريب أميل الى تصديق الخبر الأول وكما يميل اليه كل
عاقل ، ولكننى مع ذلك أرى أن المصادفة ممكنة ، فلذا لا أستطيع بهذا
المثال أن أجزم بترجيح أحد الخبرين على الآخر ... اذا كان عندك
شيء آخر غير هذا فات به ! (١)

فاسمع اذن يا ملحد ! لو اذا رأى هذا الرجل ابرة ثالثة مغروزة في شق
الابرة الثانية ايضا ، فهل يبقى عدم الترجيح على حله عندك ؟
الملحد : كلا بل يتقوى ترجيح (القصد) على المصادفة ، ولكنه مع كل
ذلك لا أستطيع أن انفى فكرة المصادفة كليا وانما ارجح القصد ترجيحا
ضعيفا ..

يا عجباً . ولكن اذا رأيت أن هناك عشرات ، كل واحدة منها مغروزة في
ثقب الاخرى التى تليها ، فهل ترجح فكرة القصد ترجيحا ضعيفا أو قويا .
الملحد : الآن القصد مرجح عندى ترجيحا قويا حتى يبدو ان أقول
ان فكرة المصادفة كادت أن تتلاشى .. ولكنى أجد في نفسى دائما - أن
المصادفة موجودة ولكنها تكون مستبعدة احيانا كهذه الحال وليست مستحيلة ؟

(١) راجع كتاب قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، نديم الجسر . ولكن أغلب
الالفاظ قد تصرفنا فيها .. ص ٢٩٢

الى الان ما زلت على فكرتك القديمة يا ملحد ؟

اذن فلا بد أن نغير معك اسلوب الحوار أيضا وصدق الله : * وكان الانسان

اكثر شئ * جدلا * فخذ مثلا آخر لحملك به تهتدى :

يا ملحد ! لو رأيت احدا يقول لك ان حرف مطبعة كونت بنفسها عند

اختلاطها ، بالمصادفة كتابا كاملا من (٥٠٠) صفحة ينطوى على قصيدة

واحدة تؤلف بمجموعها وحدة كاملة مترابطة متلائمة منسجمة بالفاظها واوزانها

وقوافيرها ومعانيها ومغازيرها ، فهل كنت تصدق ذلك يا ملحد ؟

الملحد : لا ! لا ! أبدا لا أصدقه !

(١)

ولماذا لا تصدقه يا ملحد !

الملحد : لأننى هنا أجد الاستحالة بد بديهية حقا بخلاف الابر العشر ،

لا أجد وجه الاستحالة واضحا وبديها كما أجد في مثلال الكتاب .

أتدرى - يا ملحد - ما هو السبب في ذلك ؟

السبب يتركز على قانون المصادفة نفسه : فالتزام بين الابر يجرى بين

عدد قليل فيجعل خط المصادفة بنسبة معينة ٠٠ وهذه النسبة وان كانت

تكفى لا بطلان لفكرة المصادفة ، ولكن التزام بين حروف الكتابة يجرى بين

(٥٠٠) الف حرف على تكوين (١٢٥) ألف كلمة تقريبا ، بأشكال وترتيبات

لا تعد ولا تحصى أبدا . وهذا ما يجعل خط المصادفة بنسبة واحد ضد

عدد هائل جدا جدا لو قلت عنه أنه طيار طيار لمبار لكان قليلا ٠٠٠

هذا في كتاب المطبعة وكلماته المحدودة المحدودة يا ملحد !

فما قولك في كتاب الله الأعظم وكلماته التي يقول عنه جلت قدرته :

* قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي

ولو جئنا بمثله مددا *

ويقول : * ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة

أبحر ما نفدت كلمات الله * ٠٠ ؟

وبهذا الاستعراض نصل الى النتيجة التالية :

" ان حظ المصادفة ، من الاعتبار يزداد وينقص ، بنسبة معكوسة مع عدد الامكانيات المتكافئة المتزاحمة " (١)

وتوضح ذلك : انه كلما قل عدد الاشياء المتزاحمة ، ازداد حظ المصادفة من النجاح ، وكلما كثر عددها قل حظ المصادفة . فاذا كان التزاحم بين شيئين اثنين متكافئين ، يكون حظ المصادفة بنسبة (واحد ضد اثنين) واذا كان التزاحم بين عشرة يكون حظ المصادفة بنسبة (واحد ضد عشرة) وهكذا الامر حتى تصبح المصادفة في حكم العدم ، بل المستحيل . فتعال نتصور في عدد ما في عالم الخلق (من شئ) في ملكوت السموات والارض ، من الذرة الى المجرة ، وعدد ما يربط بينهما ، في عالم الامر ، من روابط وعلائق على اختلاف النواميس ، والاقدار ، والمدد ، والاشكال والحركات والاضاح . . هل يتصور ان توجد هذه الاشياء بطريق الصدفة ؟ انه مستحيل في حكم العقل السليم . . ؟

هنا ما أكدّه الدكتور (وابن اولست) بقوله :

" أما النظريات التي ترضى الى تفسير الكون تفسيراً آلياً فانها تعجز عن تفسير كيف بدأ الكون ، ثم ترجح ما حدث من الظواهر التالية للنشأة الاولى الى محض المصادفة ، فالمصادفة هنا فكرة يستعاض بها عن فكرة وجود الله بقصد اكمال الصورة والبعد بها عن التشويه . . ولكن حتى بغض النظر عن الاعتبارات الدينية عامة ، نجد ان فكرة وجود الله اقرب الى العقل والمنطق من فكرة الصدفة ولا شك ، بل ان ذلك النظام البديع الذي يسود هذا الكون يدل دلالة حتمية على وجود اله منظم وليس على وجود مصادفة عمياء تخبّط خبط عشواء " (٢)

(١) قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن - نديم الجسر ص ٢٩٣

(٢) عن كتاب الله يتجلى في عصر العلم ص ١٣٣ - ١٣٤

ويقول (أدوين فاست) : " وإذا نظرنا إلى الكائنات الحية الراقية فإننا نرى من بينها ما لديه من الذكاء ما يجعله قادرا على التخطيط والابتكار والقيام بأعمال تقرب من حد الإعجاز وتحاول أن تتغلب على القوانين الطبيعية ... فإذا تصورنا أن كل ذلك يتم بمحض المصادفة التي تجعل الجزئيات تجتمع بصورة معينة لكي تكون ذرات يتألف بعضها مع بعض لكي تكون أجساما تقوم بدورها بالتكاثر وأداء سائر وظائف الحياة ويكون لها عقل وتفكير دون أن يكون وراء كل ذلك إله مدبر هو الذي خلق فصور فأبدع ... فان ذلك ما لا يقبله عقل أو يتصوره فكير ... (١)

" وحتى إذا فطنا ذلك فإننا نكون قد أخذنا بفرض مستحيل من الوجهة العلمية ، و طرحنا وراء ظهورنا فرضا منطقيا ألا وهو وجود الله الذي أنشأ هذا الكون وبدأه بقدرته . فالله هو المبدئ " (٢)

وهكذا رأينا مع الملحد أن نظرية المصادفة لا تقوم على أي دليل علمي مقبول ولا يقبلها أي عقل سليم ... و لهذا نرى القرآن يخاطب هؤلاء المشككين بأسلوب اقناعي يبين فيه أن الكون لا بد له من مسبب وهو الله سبحانه (أفى الله شك فاطر السموات والأرض) أى أفى وجود الله وألوهيته وحده شك وهو خالق السموات والأرض ؟

ويلفت القرآن النظر إلى الحكمة المتمثلة في خلق المخلوقات والتي تدل على خالق في نهاية العلم والحكمة * صنع الله الذي أتقن كل شيء * فالمصادفة لا تخلق وجودا فيه علم وحكمة واتقان صنع ...

والفرض في هذه الفقرة ، إثبات أن العلم والدين يحاربان المصادفة معا . وقد حصل ذلك بمنه وكرمه ... وقد رأينا مختلف العلوم الحديثة قد حاربت هذه الفكرة وكما رأينا القرآن حاربها ثم رأينا أخيرا قانون الصدفة الذي يعترف به الملاحدة قد حاربها : والحمد لله على ذلك .

وليس معنى ذلك أن الملحد يرفض الالحاد بمجرد اثبات الدليل على بطلانه لا إنا ذلك بتوفيق الله وعنايته لأن الملحد قد تعدالت فيسه أجهزة الاستقبال الفطري فليس في استطاعته أن يؤمن بمجرد وضوح دليل هذا ما أشار إليه القرآن بقوله :

- * الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون * (١)
- ولولا ذلك كيف يلحد الانسان وهو يتلو الآيات التالية :
- * أنا كل شيء خلقناه بقدر * (٢)
- * وخلق كل شيء فقدره تقديرا * (٣)
- * وكل شيء عنده بمقدار * (٤)
- * والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون * (٥)
- * وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم * (٦)
- * وأنزلنا من السماء ماء بقدر * (٧)
- * الذي أحسن كل شيء خلقه * (٨)
- * لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم * (٩)
- * قل انظروا ماذا في السموات والأرض * (١٠)
- * ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت * (١١)
- * وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون * (١٢)
- * سنريهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق * (١٣)

(١) سورة الانعام اية : ١٣	(٢) سورة القمر اية : ٤٩ (٣) الفرقان آية : ٢
(٤) سورة الرعد اية : ٨	(٥) سورة الحجر اية : ٢٩
(٦) سورة الحجر اية : ٢١	(٧) سورة المؤمنون اية : ١٨
(٨) سورة السجدة اية : ٧	(٩) سورة التين اية : ٤
(١٠) سورة يونس اية : ١٠١	(١١) سورة الملك اية : ٣
(١٢) سورة يوسف اية : ١٠٥	(١٣) سورة فصلت اية : ٥٣

هذا يا ملحد بعض آيات الله التي أنزلها على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم النبي الأمي سليل القبيلة الأمية وربيب البيئتين الأمية ، منذ أربعة عشر قرناً .

والملاحظة قديماً وحديثاً إذا اقيمت عليهم أدلة الإثبات لوجود الله تراهم ينتقلون إلى حجة شيطانية خبيثة لا يستطيع المؤمن أن يردّها إلا بعد تحقق في العلوم الدينية والفلسفية والمادية .

فما هي إذن هذه الحجة الشيطانية ؟

وفيما يلي محاولات لبيانها وإبطالها :

حجة شيطانية

رغم أننا قد ابدلنا في الفقرة السابقة ، فكرة المصادفة ، ولكن تبقى هناك حجة شيطانية يتمسكون بها - قديماً وحديثاً - لاثارة الشكوك في قلوب المؤمن الذين لم يجربوا الأمور . . .

وهذه الحجة الشيطانية قولهم : " إذا كان الله هو الخالق ، فمن الذي خلقه " ؟ ^(١) كبرت كلمة تخرج من أفواههم . سبحان الله عما يشركون *
إن هذا المزدبان لا يقوله مؤمن جاد ، ولا عالم طبيعي جاد ، وإنما يقوله جاهل بالدين وجاهل بالعلم الحديث " والقديم " .

فالمؤمن الجاد يعلم يقيناً أن للخالق صفات تخصه ، وللمخلوق صفات تخصه فلا يجعل من كان وجوده ذاتياً وواجباً في درجة من كان وجوده جائزاً أن الخالق ليس بحادث ، فينطبق عليه قانون الحوادث في السؤال عن خالق له فذلك غير سائغ . لأنه كامل مطلق . والكامل المطلق لا يحتاج إلى غيره . . .

(١) الوجود الحق ، الدكتور حسن الهويدي ص ٣٢

وقول الملحد هنا ، بعد اقراره بأن الله يجب ان يكون هو الكامل المطلق :
 أين موجود الكامل للمطلق ؟ تناقض بين ، وخطأ ذريع تشتمل عليه
 الجملة في طرفيها ، فأولها عجز وافتقار : (أين موجد) ؟ وآخرها
 (كمال مطلق) لا يتطرق اليه العجز والافتقار ! اذن فالكامل المطلق
 لا يفتقر بحكم كماله الى سبب يحدثه ، والا كنا مضطرين الى نقض كماله . وذلك
 أمر ثابت مقرر عندنا . .

ولحل بعض السحاحيين يظن أن هذه المفاجأة بهذا السؤال غريبة على
 عقول المؤمنين بالخالق . والحق ان السؤال ليس مفاجئاً ، فقد أشار اليه
 الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يأتي الشيطان احدكم فيقول من خلق
 كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول من خلق ربك ؟ فاذا بلغه
 فليستحذ بالله ولينته " (١)

وقد ورد معناه في حديث آخر ، برويه البخاري ايضاً ومسلم عن ابي هريرة قال
 " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال : هذا
 خلق الله الخلق . فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل : آمنت
 بالله ورسله " .

والتورط في هذا الخطأ راجع الى علة نفسية وجعل صاحب السؤال بالدين
 والعلم . ذلك ان شدة سيطرة القاعدة الاولى الخاصة بالحوادث (لا بد لكل
 حادث من محدث) والتي تبرز لا عيننا في مئات الحوادث كل يوم ، جعلته يطبق
 (بقصد او بغير قصد) هذه القاعدة على الله الذي ليس كمثله شيء .

(١) رواه البخاري في باب الاعتصام^{١٢} ورواه مسلم في باب الايمان ٢١٢

(٢) رواه البخاري ، بدء الخلق ١١ ورواه مسلم ٢١٤
 ٢١٥
 ٢١٧

وشأنه في هذا القياس الشمولي ، شأن رجل يشتغل طوال عمره بكيمياء
النحاس فعرض له الذهب فجاءه ، فراح يطبق عليه قوانين النحاس ، افتراه
يصيب أم يخطئ ؟ لا جرم انه مخطئ .. وأن خطأه نشأ من انه ما كنه
الدائم في قانون معين وعقلته عن التفريق بين القوانين حينما اختلفت مجالاتها
التطبيقية و تعرف كل فطرة سليمة أن خالق الحوادث لا يتصف بالحدوث قطعا
فكيف نطبق عليه قانون الحوادث .

ان هذه الشبهة مع سخافتها و حماقتها ، بقيت في ظلماتها الكثيرون ، هي
التي ردت كثيرا من الناس اليوم عن قبول الحق ، وهي نتيجة سيئة لامتداد
الفلسفة الى ما وراء حدود اهلها ، حتى بلغت عقول العامة من المتطفلين
على الفلسفة ، أو ادعاء العلم الحديث ، فأصبحوا في كل واد يهرمون و يتكلمون
فيما لا يعرفون ، وهم لقصور باعهم في هذا المضمار ، لا يستطيعون تحييص
الحق من الباطل ، ولو اخلصوا في ذلك ، لعدم الاستعداد ، كالرجل الذي
لم يدرس الهندسة والحساب ، ويحاول ان يبرهن لك صحة نظريته
(فيثاغورس) مثلا واليك نموذج من هؤلاء المتطفلين :

الدكتور العظم والحجة الشيطانية

خذ مثلا الدكتور صادق جلال الدين العظم ، الذي ألف كتابا سماه : نقد
الفكر الديني . ومن قرأ هذا الكتاب يرى فيه عجا من المغالطات والباطل
والافتراءات . وسائر وسائل الجدل بالباطل كدحض قضية الحق ..
ومن هذه الافتراءات قوله :

” ان قولنا باحتضار الله في المجتمعات المتخلفة يشكل تمثيلا رمزيا لحالة
الثورة والفوران ، وفقدان الجذور التي تعانيتها هذه المجتمعات في محاولاتها
الوصول الى نوع من التعايش المرحلي بين الافكار العلمية الجديدة وتطبيقاتها

المعطية والصناعية ، وبين تراشها الديني السحيق . دون أن يتنازل كلياً
ومرة واحدة غماً في ماضيه من قيم غيبية . لذلك نسمع دائماً أصداء صرخة
تقول :

" حتى لو سلمنا كلياً بالنظرة العلمية للأشياء ستبقى أماننا مشكلة (المصدر
الأول) لهذا الكون .

لنفترض مع (رسل)^(٢) أن الكون بدأ بسديم . ولكن العلم لا يقول لنا : من
أين جاء هذا السديم . أنه لا يتبين لنا من أين جاءت هذه المادة الأولى
التي تطور منها كل شيء ؟ فلا بد للعلم اذن من أن يتصل بالدين ففى
نهاية المطاف .

" ولكن السؤال بهذه الصورة يبين لنا مدى تحكم تربيتنا الدينية ، وتراثنا
الغيبى في كل تفكيرنا . .

" لنفرض اننا سلمنا بأن الله وحده هو مصدر وجود المادة الأولى ، هل
يحل ذلك المشكلة ؟ هل يجيب هذا الافتراض على سؤالنا عن مصدر
السديم الأول ؟

والجواب هو طبعا بالنفي . أنت تسأل عن علة وجود السديم الأول وتجب
بأنها (الله) . .

وأنا أسألك بدورى : " وما علة وجود الله " ؟

وستجببنى بأن الله غير معلول الوجود .

وهنا أجيبك : ولماذا لا نفترض أن المادة الأولى غير معلولة الوجود ؟

ابعدا يحسم النقاش دون اللجوء الى عالم الغيبيات ، والى كائنات روحية بحته
لا دليل لدينا على وجودها . علما بأن ميل الفلاسفة القدماء بما فيهم المسلمون
كان دائماً نحو هذا الرأي اذ قالوا : (بقدّم العالم) ولكنهم اضطروا

(١) راجع ايضا كتاب صراع مع الملاحدة حتى المعظم ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني
ص ١٠١

(٢) يقصد (رسل) الملحد الحاتى (برتراند رسل) الذى تحدثنا عنه مرارا .

(١)
للمداورة والمداورة بسبب التعصب الديني ضد هذه الفكرة الفلسفية للموضوع.
" في الواقع علينا أن نعتزف بكل تواضع بجهلنا حول كل ما يتعلق بمشكلة
المصدر الأول للكون ..

عندما تقول لي : " وما علة وجود الله ؟ " ان أقصى ما تستطيع الاجابة
به ، " لا أعرف الا أن وجود الله غير محلول " (٢)
ومن جهة اخرى عندما تسألني : وما علة وجود المادة الأولى فان أقصى
ما أستطيع الاجابة به : " لا أعرف الا أنها غير محلولة الوجود " .
في نهاية الأمر اعترف كل منا بجهله حيال المصدر الأول للأشياء .
ولكنك اعترفت بعدى بخطوة واحدة ، وأدخلت عناصر غيبية لا لزوم لها لحل
المشكلة . ثم قال :

" والخلاصة ، اذا قلنا : ان المادة الاولى قديمة وغير محدثة ، أو أن
الله قديم وغير محدث ، نكون قد اعترفنا بأننا لا نعرف ولن نعرف كيف يكون
الجواب على مشكلة المصدر الأول للأشياء .
فالأفضل - اذن - أن نعتزف بجهلنا صراحة وبباشرة عوضا عن الاعتراف
به (بطارق ملتوية) وبكلمات وعبارات رنانة ..
ليس من العيب أن نعتزف بجهلنا ، لأن الاعتراف الصريح بأننا لا نعرف ما لا
نعرفه من أهم مقومات التفكير العلمي .
وتعترفون أن العالم ملزم على تعليق الحكم عندما لا تتوفر لديه الأدلة والشواهد
والبراهين الكافية لاثبات أولنفي قضية ما .
" هذا هو الحد الأدنى من متطلبات الأمانة الفكرية في البحث الجاد
عن المعرفة والحقيقة " (٣) .

* * *

(١) المصدر الأول ص ١٠٢

(٢) المصدر الأول ص ١٠٣

(٣) المصدر الأول ص ١٠٣

هذا كالم دة العظم " حرفيا ، وعلينا أن نقوم بدورنا لتعريه أبا طيلسه
أمام القارئ وبيان مغالطاته السخيفة ..

اننا لا نرد عليه في سخافته حيث أطلق على هذا الخلاق العلى القدير كلمة
(الاحتضار) * وقد سبق لنا في هذا البحث أن (نيتشة) يقول : ان الله
قد مات * ان مثل هذه الحماسة لا تستحق الوقوف عندها ولا تدخل في أى مجال
أوفي أى مستوى من مستويات النقاش العلمى أو البحث المنطقى * ولا جواب لها
في الحقيقة الا أن ينزل الله عليه صاعقة * ولكن الله يمهل ولا يمهل حتى
إذا أخذه بالعذاب لا تجد له من نصير ..

ومن تأمل هذه المقالة الشنيعة ، يجدها تتركز على النقاط التالية :

أولا :-
_____ ان المؤمن والملحد سواء * فكل منهما لا يجد جوابا في اثبات ما
يمتقده الا أن يقول : لا أعرف الا أن وجود هذا الاصل غير معلول ..
اذن فلا فضل للإيمان على الالحاد .. لأن كلا منهما يؤمن بشىء غير
معلول * وكلاهما قديم .

ثانيا :-
_____ وبعبارة اخرى : ان كلا من الله والسديم يصلح أن يكون هو الموجد
لهذا الكون على حد سواء ..

ثالثا :-
_____ اذا كان الله - سبحانه وتعالى - علّة لوجود الكون فما هو علّة
وجوده ؟ لأن القاعدة الفلسفية تقول : " كل موجود لا بد له من موجد " .
فهذه هي أهم النقاط التي دار حولها كلام هذا الملحد : فلنعط " كلا "
كلمة ..

أولا - قوله ما دام الله غير معلول فلم لا يكون السديم غير معلول أيضا ؟
ولدى البحث المنطقي الهادى * يتبين لكل ذى فكر صحيح * ان هذه الحجة
التي ساقها ليست الا مغالطة من المغالطات الفكرية ..

وهذه المفالطة قائمة على التسوية بين أمرين متباينين تباينا كليا ولا يصح التسوية بينهما في الحكم . وفيما يلي تمهيد تامة لهذه المفالطة من كل التلبسات التي جلدتها بها .

فإذا أردنا أن نبين المفالطة في قوله هذا ، يكون التعبير كالتالي :
ما دام الموجود الأزلي غير محلل الوجود فلم لا يكون الموجود الحادث غير محلل الوجود أيضا ؟

وقد رأينا في الصفحات السابقة أن قياس الحادث على القديم الأزلي الذي لا أول له . من سخافة القول ومن حماقة والجهل . .
وإذا قال الملحد : ولم لا تكون المادة الأولى لهذا الكون (كالسديم مثلا) قديمة أولية غير حادثة + يصدر منها الخلق ثم يعود عليها ؟

نقول ان جوابه يؤخذ من طبيعة هذا الكون وما فيه من صفات وخصائص .
لقد اتفق العلماء الطبيعيون المنصفون على حدوث العالم . وقد رأينا فيما مضى حينما ناقشنا الملحد الأول (ديمقريطس) القانون الثاني للحرارة الديناميكية وهو القانون الذي يسمونه (قانون الطاقة المتاحة) أو يسمونه (ضابط التنفير) ان هذا القانون يثبت أنه لا يمكن أن يكون وجود الكون أزليا :
ان هو يفيد تناقض عمل الكون يوما بعد يوم . ولا بد من وقت تتساوى فيه حرارة جميع الموجودات . وحينئذ لا تبقى أية طاقة مفيدة للحياة والعمل وتنتهي العمليات الكيميائية والطبيعية وبذلك تنتهي الحياة . .

يذكر هذا التحقيق العلمي عالم امريكي في عالم الحيوان ، هو : " ادوارد لوثر كيسل " ثم يقول :

" وهكذا تلقائيا وجود الاله ، لأن كل شيء ذي بداية لا يمكن أن يتبدى بذاته . ولا بد أن يحتاج الى المحرك الأول الخالق الاله " .

ونجد مثل هذا في كلام (السير جيمس) ان يقول في كلام له :

"تو من العلم الحديثة بأن (عملية تخير الحرارة) سوف تستمر حتى تنتهي طاقتها كلية . ولم تصل هذه العملية حتى الان الى آخر درجاتها . لأنه لو حدث شيء مثل هذا لما كنا الآن موجودين على ظهر الأرض حتى نفكر فيها . ان هذه العملية تتقدم بسرعة مع الزمن . ومن ثم لا بد لها من بداية ، ولا بد أنه قد حدثت عملية في الكون يمكن أن نسميها (خلقا في وقتا) حيث لا يمكن هذا الكون أزليا " (١)

اذن - فحدوث الكون أمر معترف به عند العلماء الماديين . ولكن الملحدين بالله يغالطون في الحقائق . ويتظاهرون بالانتماء الى قافلة العلم والبحث العلمي زورا وبهتانا .

فيبدو لنا بعد ذلك - أن تسوية (العظم) بين الاله الخالق الأزلي وبين العالم المخلوق الحادث في موضوع الأزلية ، تسوية مبنية على الهوى لا على العلم والانصاف في التحقيق . . .

وقد حققنا فيما مضى أن من كان أصله الوجود ، ووجوده أزلي . فانه لا يحتاج أصلا الى علة لوجوده . واذا كان لا يحتاج الى علة لوجوده فالسؤال عن هذه العلة خطأ وضلال . . ومخالف للمنطق السليم . .

وأما قوله ان المؤمن بالله ليس في استطاعته أن يثبت وجود الله الا أنه غير محلول . ان القول فيه حقائق وأباطيل .

وأما الحقائق في هذا القول ان الانسان لا يستطيع أن يدرك كنه الله لأنه لم يحط - بعد - الوسائل الكافية في معرفة الله عز وجل حسبا ، بل أن المنطق الصحيح يقضي أن الصغير لا يستوعب الكبير ، وأن الناقص لا يحيط بالكامل ، وقد عرفنا أن الانسان لا يتمتع اكثر من الكمال النسبي وأن الخالق يتصف بالكمال المطلق . .

(١) نشقلا عن كتاب صراع مع الملاحدة حتى العظم ص ١٠٧

ومعنى ذلك ان الكمال النسبي لا يمكن ان يحيط بالكامل المطلق ، كما
لا يحيط العدد المحدود باللانهاية ، أى : ان الانسان لا يمكن ان يحيط
بالخالق حين البحث في معرفته أو أن يدركه ادراكه للمحسوسات التي بين
يديه ..

ولكن ليس معنى ذلك ان عدم الاحاطة يقتضى عدم المعرفة ، كما يظنه هذا
الدكتور العظيم ، فان الطفل الصغير يمكن أن يعرف رجلا كبيرا دون ان يحيط
بجميع صفاته فالطفل عرفه ولكنه لم يحط به ، فالمجز عن درك الادراك
ادراكه " فمن نفي ذلك فانه اما صاب في عقله او متعصب للحاده واغوائه ..

الفطرة السليمة تقر معرفة الله بدون احاطته

ان هذا يعرفه كل ذى فطرة سليمة . تجد ذلك مصورا تصويرا حسيا فيما
يرى " عن رجل مرتاب مر برجل مؤ من على ساحل البحر ، فدعاه
الى الايمان فأبى الا أن يرى الله جبهة - كما يحتج بذلك كل ملحد -
فانتحى المؤ من جانبا وحفر حفرة صغيرة وأخذ يصب من ماء البحر والماء يطفح
من جوانبها ، واستمر على ذلك حتى عجب منه صاحبه الملحد ، فأقبل
عليه قائلا :

ماذا تفعل ؟ قال : أريد أن انقل البحر الى هذه الحفرة ! قال : وهل
يفعل ذلك عاقل ؟ وهل يستوعب هذه الحفرة الصغيرة مياه البحر الكبير ؟ قال
المؤ من : " وهل يستوعب هذا الانسان الصغير الخالق الكبير ؟ " . انك لتجد
تحديد هذا النوح من المعرفة في آيات القرآن الكريم " (٢)

* لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير * (٣)

لأن ادراك الاحاطة من خصائص الأكبر بالنسبة الى الأصغر ، وهو مفقود
في الأصغر بالنسبة الى الأكبر .

(١) الموجود الحق الدكتور حسن هويدى ص ٣١

وراجع أيضا في ظلال القرآن ط ١ ص ١٣ في المقدمة

(٢) المرجع السابق ص ٣١ (٣) سورة الانعام اية : ١٠٣

* واذ قلت يا موسى لن نو من لك حتى نرى الله جبهة فلخذتكم الصاعقة
وأنتم تنظرون * (١) لا استحالة اشتغال العين عليه ، لأنه ليس من الحوادث
المحسوسة فينتقل بطريق الحس . أي انه غير مادي فينطبق عليه قانون
المادة .

* قال رب أرني انظر اليك ، قال لمن تراني ولكن انظر الى الجبل
فان استقر مكانه فسوف تراني ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى
صمقا * (٢)

وفيه اشارة الى أن الخالق لم يحجب نفسه ضنا على المخلوق بل ان نقص
المخلوق الذي يتناسب مع الخلافة في الأرض هو الذي حجبته عن الرؤى
ولذا يقول تعالى :

* وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا * (٣)
لماذا لا يستطيع البشر أن يرى الله في هذه الدنيا ؟ فتجيب الآية :
* ليس كمثله شيء وهو السميع البصير * (٤)

وما دام لا يماثل الأشياء ولا تماثله فلن يدرك ادراك الأشياء اذن فالذي
نخلص اليه أن المبدع الأول لا يمكن أن يحيط به حين معرفته ولا أن ندركه
ادراك المحسوس فهو يعرف معرفة كما قال تعالى :

* وقالت رسلهم أنى الله شك فاطر السموات والأرض * (٥)

ولكنه لا يحاط به احاطة .. وهذا تتضح للناس مغالطات الدكتور العظيم
وتدرفاته بل الحادة المضل .

* * *

(١) سورة البقرة آية : ٥٥

(٢) سورة الاعراف آية : ١٤٣

(٣)

(٤) سورة الشورى آية : ١١

(٥) سورة ابراهيم آية : ١٠

وهنا يطرح الملحدون على عوام المسلمين مغالطة في سوق الدليل على وجود الله فيقولون لهم : أستم تقولون : " ان كل موجود لا بد له من موجد " وان هذا الكون موجود فلا بد له من موجد ، وذلك هو الله تعالى ...
 فيقول^{له}العامي الذي لا يعرف أصول المغالطات : بلى . عندئذ يستدرجه الملحدين فيقول له : الله موجود وهو على حسب الدليل لا بد له من موجد فيجد العامي نفسه قد انقطع اذ لم يستطع جوابا ..

لكن الخبير الذي يسير على ضوء الكتاب والسنة ، لا يقبل أصلا صيغة الدليل على هذا الوجه القائم على المغالطة ..

وذلك لأن المقدمة (كل موجود لا بد له من موجد) مقدمة كاذبة غير صادقة . فالخبير لا يسلم بها لفسادها لأنه قياس شمولي .
 فالله تعالى لا يتناوله القياس الشمولي ولا قياس التمثيل والذي ينبغى فسي حقه هو قياس الأولي ..

فماذا يقول الخبير ؟ فالخبير يقول بدل ذلك (كل موجود حادث لم يكن ثم كان لا بد له من موجد) .. ثم يقول :

(وهذا الكون موجود حادث لم يكن ثم كان بشهادة العقل وشهادة البحوث العلمية) عندئذ تتحصل النتيجة على النحو التالي : (اذن فلا بد لهذا الكون من محدث) وهذا المحدث للكون لا بد أن يكون موجودا أزليا غير حادث ولا بد أن يكون منزها عن كل الصفات التي يلزم منها حدوثه ، حتى لا يحتاج الى موجد يوجده ، بمقتضى الدليل الذي أثبتنا فيه وجود الله ..
 وهكذا تجرى مغالطات الملحدين ، ليقصدها بها الجهلة والغافلين من المسلمين .. بغية استدراجهم واحراجهم . ونقلهم من مرحلة الايمان الى مرحلة التشكك .

فالمؤمن يعلم أن الخالق أزلي ليس له من الصفات ما يلزم حدوثه ، وليس من الكائنات التي ندركها في العالم الخارجي . لأن الكائنات عرضة للتفسير

والأقول ، وأن صفاتها الطارئة تملأ عليها أملاء وتتحكم بها قهرا والزاما ،
 وأن اكمل الكائنات هو هذا الانسان الذي نجده مقهورا لأسباب كثيرة فهو
 يولد ، ثم يعاني الام الحياة ثم يموت ، يجرى عليه كل ذلك رغم أنه .
 فما أروع ما استدل به أبوحنيفة على الفرق بين واجب الوجوب وبين
 الانسان العاجز لقد سئل أبوحنيفة رضي الله عنه عن الدليل . فتمسك
 بأن الانسان يريد أن يكون له ابن فتكون انثى وبالعكس فدل على وجود
 الصانع المختار . . . وهو الله تعالى وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك
 فيقول * يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم * (٢)
 وانك لتجد ذلك التحقيق واضحا في القرآن الكريم في عدة صور . ومنها
 ما ورد بشكل حجة منطقية ، ومنها ما استند الى الواقع في آياته الكونية
 والله أعلم . . .

(١) مع الله نظرات في الكون والحياة ، عبد الجواب رجب ص ٥٣

(٢) سورة آل عمران آية ٦

الفصل الثالث

الدين يتعارض مع العلم الحديث

ان الدين - كما يزعم الملحدين - من " العلماء " : شيء لا حقيقة له ، وهو مظهر للفرية الانسانية الباحثة عن حقائق الكون .. بل لا يعتقدون بأن للوجود خالقاً ، انما يقولون أن كل ما في الوجود أزلي صادر عن المادة ..

فلذا سخرنا جميع علومهم لمحاربة الله ودينه ، وتشنيع " الغيبيات " وتسفيه المؤمنين بها .. (١)

فهذا الفيلسوف الفرنسي " أوجست كونت " يدعى لن التاريخ الانساني قد وصل - الان - الى المرحلة الأخيرة .. يعنى المرحلة الوضعية (Positive Stage) حيث لا تذكر الأرواح والالهة والقوى المطلقية .. فقد سبق وتحدثنا عن كل ذلك وأما هنا نود أن نشير الى منشأ هذا الضلال وهذه السخافة التي يترنم بها الملاحدة أمام المصوام السيفج البسطاء ..

* * *

ان المتبع لأقوال الملاحدة ، يجد أن قضية المصراع الحاضر ، ضد الدين هي : قضية " طريقة الاستدلال الملقى " (٢) أغنى الطريقة التي اتخذوها للوصول الى الحقائق العلمية المادية .. هذه الطريقة الجديدة ، هي معرفة الحقيقة بالتجربة والملاحظة ، على حين تتصل عقائد الدين - في زعمهم - بعالم ما وراء حواسنا ، ولا يمكن إخضاعها للتجربة وهو ما يجعله متعارفا للعلم ..

(١) أسس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ، تأليف سبيركين ، " ياخوت "

ت ، محمد الجندى ، دار التقدم موسكو ص ٤٤

(٢) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٦٠

هذا هو مصدر الضلال والالحاد الذى حال بين الملاحدة وبين الايمان

بالله وقد نقلنا عنهم قولهم :

" كل معرفة حقة ، مرتبطة بالتجارب ... بحيث يمكن فحصها أو

اثباتها بصورة مباشرة أو غير مباشرة " (١)

بناءً على هذا يدعى الملحدون المعاصرون أن التطور الذى بلغ به الانسان

— اليوم — أعلى مستوى من الانسانية ، وهو نفي للدين من تلقاء نفسه ...

وذلك أن (نيوتن) أثبت " أنه لا وجود لاله يحكم النجوم " ..

وقال (لابلاس) الفرنسى قولته المشهورة ، التى تحدثنا عنها مرارا —

وهي : " ان النظام الفلكي لا يحتاج الى أى اسطورة لاهوتية " (١)

* * *

وقبل ان ننقل اليك اقوال بعض العلماء الطبيعيين الذين ردوا على

الملاحدة ، نقول اولاً : ان قضية العصر الحاضر باطلة .. لأنها

لا تقوم على أسس علمية .. وذلك ان الطريقة الجديدة ، لا تنفي وجود أشياء

لم تجرب مباشرة ، كما لا تنفي الأشياء التى لا تدخل — بطبيعتها — تحت

التجارب الحسية .. مثل وجود الارواح ، والعقل ، والذات الالهية ...

وما أشبه ذلك .. ان مجاله أن يسأل فقط عن (ما هذا) ؟ ولا يدخل

في نطاقه السؤال الذى صيغته : (لماذا) ؟ .. فالدين من النوع الثانى ..

فليس من الممكن البحث عن حقائق الدين ، كما يبحث عن تطورات فتون

العمارة ، والنسيج والحياسة والسيارات ..

فالدين علم على حقيقة يقبلها المجتمع أو يرفضها ، أو يقبلها فى شكل

ناقص كالمسيحية مثلاً .. ويبقى الدين فى جميع هذه الأحوال ، حقيقة

واحدة فى ذاتها .. وانما تختلف فى أشكاله المقبولة ..

(١) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص : ٢٤ نقلاً عن كتاب :

ولهذا لا يمكن ان نفهم حقائق (الدين) بمجرد فهرسة مماثلة لجميع
 الاشكال الموجودة في المجتمعات باسم الدين .. أو بدراسة الشعوب البدائية
 في استراليا أو في افريقيا كما فعل ذلك (أميل دوركايم) وأمثاله ..^(١)
 وكما فعل (كارل ماركس) الملمون الذي يقول : " ان الدين وليد
 التطور الاقتصادي ولا ارادة للانسان أن يتخلص منه أو هو أفبون الشعوب .."^(٢)
 اننا لا نرد على كارل ماركس هنا اكثر من اشارتنا : اذا كانت هذه السخافة
 صحيحة ، فكيف تمكن كارل ماركس - وليد النظام الرأسمالي - من أن يفكر
 ضد العوامل الاقتصادية الرائجة في عصره ، حل صعد القمر لكي يبحث
 في أحوال الأرض ؟

وبعبارة أخرى : لو صح أن الدين وليد عصر مخصوص فكيف لم تكن
 الماركسية وليد النظام الرأسمالي لعصرها ؟ ..
 وإذا لم تسخ هذا الوضع فيما يتعلق بالماركسية فكيف نسيفه بالنسبة
 الى الدين ؟

الحق ان هذه الفكرة ، فكرة معارضة الدين لحقائق العلم ، عبث مشير
 لا يحمل على ظهره أى دليل علمي أو عقلي كما ترى ..^(١)
 فلذا تصدى لهم علماء آخرون من علماء الطبيعة وبينوا أن العلم الحقيقي
 لا يتنافى مع الدين الصحيح .. وأن الالحاد ينتج عن الجهل .. الجهل فقط
 واليك بعضا من أقوالهم :

يقول الفيلسوف الانجليزى فرانسيس بيكون الذي نقلنا عنه قوله سابقا : " ان
 قليلا من الفلسفة يقرب الانسان من الالحاد وان التعمق في الفلسفة فيرده الى
 الدين .. "

(١) تهاافت العلمانية ، الدكتور عماد الدين خليل ص ٣٦ / مؤسسة الرسالة .

(٢) قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، نديم الجسر ص ١٢٥

ومما يسجل للقرآن كونه سبق أن قرر هذه الحقيقة منذ أربعة عشر
قرناً فقد حصر خشية الله على وجهيها الأكمل في العلماء .. قال تعالى :
﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (١)

لأن العلماء - بما أوتوا - من صفات النظر العميق والتحقيق الدقيق يتقون
على أسرار الابداح الإلهي في الوجود ونواحي الإعجاز فيما لا يتلوه لغيرهم
من الملاحظة المادية .

ويؤكده العلامة المؤرخ الطبيعى (فابر) (٢)

” كل عهده له أهواء جنونه ، فاني اعتبر الكفر بالله من الأهواء الجنونية
وهو مرض المهد الحالى وأبسر عدى ان ينزعوا جلدى من أن ينزعوا منى
الحقيدة بالله ” .

هذه بعض أقوال المنصفين من العلماء الطبيعيين . وهناك أقطاب آخرون
يروون ان العلم هو سبب تقوية إيمانهم .

يحسن بنا اذن ان ننقل اليك بعض تصريحاتهم في هذا المجال
ليعرف حشرات الالحاد أنهم بعيدون عن العلم والدين مما ...

(١) سورة فاطر / ٢٨

(٢) روح الدين الاسلامي ، عفيف طيارة ص ١٣

العلم يدعو الى الايمان

ان الماديين صرحوا أن الكفر من ضرورات العلم ، وأن أكثر الناس علما
هم أكثرهم الحاداً (١) فتصدى لهم جمهرة من اقطابهم فقالوا ان العلم
يدعو الى الايمان وان الالحاد ينتج عن الجهل ..

واليك شواهد على ذلك ..

قد نشر الدكتور " ديمسرت " الالماني بحثا حلل فيه الاراء الفلسفية
لأكابر العلماء الذين أناروا العقول في القرون الاربعة الأخيرة وتوخى
أن يدقق في تعرف عقائدهم فتبين له من دراسات ٢٩٠ منهم أن :

٢٨ منهم لم يصلوا الى عقيدة ما ..

٢٤٢ أعلنوا على رؤوس الأشهاد الايمان بالله ..

٢٠ فقط تبين أنهم غير مباليين بالوجهة الدينية أو ملاحدة (٢) ..

واذا اعتبرنا غير المباليين ملاحدة ، وجدنا ان ٩٢ في المئة من كبار

العلماء يعتقدون بوجود الله تعالى ..

فهذه النسبة الكبيرة تدل دلالة واضحة على أن التناقض بين الايمان

والعلم الذين يزعم الماديون أنه وصف مميز للعلماء ، ليس له أصل ..

وكما تشير ايضا الى أن الايمان والعلم يتكاملان ولا يتنافيان ..

واذا أردنا مزيدا فلنقرأ الكلمات الآتية :

يقول ا. كرسبي موريسون :

" ان وجود الله - تدل عليه تنظيمات لا نهاية لها .. تكون الحياة

بدونها مستحيلة " ..

وان وجود الانسان على ظهر الأرض ، والمظاهر الفاخرة لذكائه .. انما

هي جزء من برنامج ينفذه باري الكون ..

(١) الله والعلم الحديث ، عبدالرزاق نوفل ص ٥ ط الثالثة سنة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

(٢) روح الدين ، غفيف طبارة ص ٨٢

وقال :

" واني لا أورد قول أوسبورن (Osborn) في هذا المجال : " بين جميع الأشياء التي لا يمكن ادراكها في الانسان ، تتركز الصعوبة الكبرى فيما له من مخ ، وذكاء ، وذاكرة وآمال ، وقوة كشف وبحث ، وقدرة على تدليل الحقائق . . (١)

ولنقرأ ايضا للدكتور (وتز) الكيميائي وعضو اكاديمية العلوم وعميد كلية الطب الباريزية فقد كتب يقول :

" اذا احسست في حين من الاحيان ان عقيدتي بالله قد تزعزعت ، وجهت وجهي الى اكاديمية العلوم لتثبيتها . "

وقال (فاي) : " من الخطأ القول بأن العلم يفضي بصاحبه الى نكران وجود الله " .

فلندع الكلام - الان - للجيولوجي الذائع الصيت (أدمون هربرت) المدرس بجامعة السوربون ، ان يقول :

" العلم لا يمكن أن يؤدي الى الكفر ولا الى المادية ، ولا يفضي الى التشكيك " .

وقال الأستاذ الرياضي المشهور (كوشي) : ليست عقائدي ثمرة أوهامي الوراثة ولكنها نتيجة تحقيقاتي الحميقة " (٢) .

وهكذا رأينا ان الالحاد ينتج عن الجهل ، وليس ما يقابل العلم والدين الصحيح . . لأن اكبر دعائم العلم . . كل العلم - هو الايمان بقانون السببية ثم قانون العناية في الخلق . .

ولما كان الالحاد لا يؤمن بمبادئ القانونيين الذين - بدونهم - لا تستقر الحياة الدنيا - عرف انه ينتج عن الجهل والخرافة . .

(١) تراجع العلم يدعو الى الايمان : ا. كرسبي موريسون ص ٤٦ من الطبعة العربية

(٢) روح الدين الاسلامي ، عفيف طيارة ص ٨٣

أوينتج عن جهل مركب بتعبير أدق ، ، وبيان ذلك : ان الملاحظة لما
 رأوا ان الذى يدعو الباحثين الى الايمان بالله ونسبة الأفعال الكونية
 اليه هو ما يروونه في الكون من دقة وحكمة واتقان تدل بوضوح على أن له
 غاية محدودة ، وهدفا مقصودا ، مما يدعّم الايمان بالله - لما رَأَوْا ذلك -
 بحثوا عن احدى السبل للحيلولة دون الوصول الى هذه النتيجة فلم
 يجسدوا الا القول المتعصب المتحكم بأن الوجود ليس له غاية أصلا (١) وأن
القول بذلك يناقى فن البحث العلمي لذا قال قائل منهم :

" ان العلماء يجب أن يتساءلوا عن " الكيفية " لا عن السبب . . ان السؤال
 عن السبب يعنى ان هناك غرضا عاقلا وراء تصميم الأشياء . . وأن عوامل
 فوق الطبيعة توجهه الأفعال نحو غايات معينة . .
 ولهذا عرفنا ان هؤلاء الملاحدة الذين يرفضون الدين باسم العلم
 يرفضونه بجهل مركب فلذا يقول (فون بروكه) ذات مرة قائلا :
 " ان الغائية سيدة لا يقدر عالم بيولوجى ان يحيا بدونها ومع ذلك فهو
 يخجل ان يظهر بصحتها امام الناس " (٢)

(١) مصير الانسان ، ليكونت دى نوى ، خليل الجسر ، المنشورات العربية
 ص ٢٢٧

(٢) في البحث العلمي د . ا . ب . بفروج ، ت ذكر يا فهمي ، الألف كتاب
 ١٩٦٣ م ص : ١٠٧ - ١٠٨

المادة أم الله ؟

ولنقف قليلا ، عند أولئك الذين يقدسون التجربة والحس الحلي . .
 ويعلمون بكل وقاحة : " اننا لا نؤمن بأن فكرة ، ما لم تثبت بالتجربة ،
 ولم يبرهن عليها عن طريق الحس . ومادامت المسألة الالهية مسألة غيبية ،
 وراء حدود الحس والتجربة ، فيجب أن نطرحها جانبا ، وننصرف الى ما
 يمكن الظفر به في الميدان التجريبي ، من حقائق ومعارف . . . " (١)
 ويقول ولهم جيمس لا يزال بعض رجال العلم يقولون : " ان الحقيقة
 العلمية ، هي الهنا الوحيد ، فهو ليس له الا امر واحد وقول واحد ، وهو
 أن ليس لكم أن تؤمنوا بالله " (٢) نقف عندهم لنسألهم ، ماذا تريدون
 بالتجربة ؟ وماذا تمنون برفض كل عقيدة لا برهان عليها من الحس ؟
 فان كان نحوي هذا الكلام ، انهم لا يؤمنون بوجود شيء ، ما لم يحسوا
 بوجوده احساسا مباشرا ، ويرفضون كل فكرة ما لم يدركوا واقعها الموضوعي .
 بأحد حواسهم ، فقد نسفوا بذلك الكيان الحلي كله ، وأبطلوا جميع
 الحقائق الكبرى ، المبرهن عليها بالتجربة التي يقدسونها . فان اثبات
 حقيقة علمية بالتجربة ليس معناه الاحساس المباشر بتلك الحقيقة ، في
 الميدان التجريبي . فلنضرب على ذلك أمثلة بسيطة . .
قانون الجاذبية :

ف (نيوتن — مثلا — حين وضع قانون الجاذبية العامة ، على ضوء التجربة
 وانما اكتشفها عن طريق ظاهرة اخرى محسوسة لم يجد لها تفسيراً الا بافتراض وجود
 القوة الجاذبة . . (٣)

(١) فلسفتنا ، محمد باقر الصدر ج ٣٤٢

(٢) العقل والدين ، ولهم جيمس ، ت محمود حسب الله ، مصر ١٣٦٨ هـ ص ٩٨

(٣) فلسفتنا محمد باقر الصدر ص ٣٤٣

فقد رأى أن السيارات لا تسير في خط مستقيم ، بل تدور دوارنا ، وهذه الظاهرة لا يمكن ان تتم - في نظر نيوتن - لو لم تكن هناك قوة جاذبية لأن مبدأ القصور الذاتي يقضي بسير الجسم المتحرك ، في اتجاه مستقيم ما لم يفرض عليه أسلوب آخر من قوة خارجية .. فانتهي من ذلك إلى قانون الجاذبية ، الذي يقرر ان السيارات تخضع لقوة مركزة هي الجاذبية . والجاذبية ، لم تزل فرضا من الفروض .. وما يزال الأثير فضاء أو كالفضاء . ولا ريب أن هذا مأزق من أشد مأزق التجريبيين .. (١)

* * *

ثم نسألهم ماذا تعنون - أيها التجريبيون - الذين ينادون بالتجربة ويقدمونها ؟

هل تعنون نفس الأسلوب الذي تم به ، علميا - قوى الكون وأسراره ، وهو درس ظواهر محسوسة ثابتة ، بالتجربة ، واستنتج شيء آخر منها استنتاجا عقليا ، باعتبار التفسير الوحيد لوجودها .. فهذا هو أسلوب الاستدلال على المسألة الإلهية تماما .. بل ان الاستدلال بالمخلوقات على الخالق أبين وأظهر من استدلال دوران الأجسام حول نفسها على وجود الجاذبية ..

وذلك ان ظاهر الحياة يدل على الله ،
أعني نشأتها وتنوعها والانسان والأخلاق ..

- ظاهرة الاجابة تدل عليه ..
- ظاهرة الهداية تدل عليه ..
- ظاهرة الابداء تدل عليه ..
- ظاهرة الحكمة تدل عليه ..
- ظاهرة المنايا تدل عليه ..

(١) هزيمة الشيوعية ، أنور الجندی ص ٩٣

- ظاهرة وحدة الكون تدل عليه
- ظاهرة الكون بخصامته تدل عليه
- ظاهرة الليل والنهار تدل عليه
- ظاهرة الحياة والموت تدل عليه (١) (بل) •• في كل له آية تدل على أنه واحد
- حقيقة المادة ومصدرها :

كان تعريف المادة عند الماديين هو : " كل ما تقع عليه الحواس " ••
 وكان هو التعريف الوحيد عندهم حتى تقدم العلم من بعد •• وتوالى
 الاكتشافات العلمية •• فاذا هم بالمادة تتجاوز ما يقع عليه الحس الى عالم
 الذرة •• ومن ثم أعددوا صياغة التعريف فقالوا :
 " ان المادة هي الموجود الموضوع خارج الذهن " (٢)

وبدراسة الذرى ، ثبت أن كل ذرة ، تشابه المجموعة الشمسية في
 تركيبها ونظامها فكما كان المجموعات الشمسية ، تتكون من الشمس التى
 تدور الكواكب حولها في سباحة طويلة ••
 كذلك الذرة تتكون من بروتونات مركزية موجبة الشحنة ، والكثرونات
 سالبة الشحنة ، وتدور حول البروتونات •• مما تعتبر في ذاتها سرعة
 خيالية •• (٣)

* * *

- (١) راجع لتفاصيل كل ذلك الكتاب " الله جل جلاله " سعيد
 حوى من ص ٥٥ - ١١٨
- (٢) هزيمة الشيوعية في العالم الاسلامي ، أنور الجندى ص ٩١
- (٣) الله والعلم الحديث ، عبد الرزاق نوفل ص : ١٩٧
- راجع فلسفتنا ، محمد باقر الصدر ص ٣٤٤

فقد افتتح في باريس في أوائل عام ١٩٥٦ م معرض للسرعة .. ثبت أن سرعة مرور الدم في عروق الانسان هي (٣٠ سنتمتر في الثانية) وسرعة أسرع كائن حي ، وهو نوع من الذباب اسمه : سيفينوميا ، بلغت (١٣٠٨) كيلو متر في الساعة ..

أما سرعة الالكترونات في ذرة الهيدروجين فقد بلغت (ألفي كيلومتر) في الثانية .. وهذا فيما يعرفه العلم والعلماء ، أقصى سرعة أمكن أو يمكن معرفتها على وجه الأرض إطلاقا ..

* * *

وهم يقفون حائرين - اليوم - بعد أن أفلتت جميع التعريفات من أيديهم فصاروا يعرفونها بالتعريفات الآتية ..

قال (أرستوالد) : " ان المادة صورة من صور الطاقة فحسب "

وقال (ليبون) : " ان المادة صور مختلفة من الطاقة " .

وقال ادنجتون : " ان المادة مركبة من بروتونات والكترونات " أى

شحنات موجبة وسالبة من الكهرباء ..

وقال (هوايتهد) : " ان مفهوم الكتلة في طريقه الى فقدان امتيازه

الواحد الدائم في النهاية فالكتلة الآن اسم لكمية من الطاقة في علاقتها ببعض آثارها الديناميكية " .

وقال ليبون (أيضا) :

" ان عناصر الذرات التي تتحلل تفتى تماما ، فهي تفقد كل صفة المادة بما فيها ذلك الثقل الذى هو اكثر صفاتها الأساسية ، ذلك أن الميزان يتجزأ عن وزنها ولا شئ يستطيع أن يعيدها الى حالة المادة فقد اختفت في علامة الاثير والحرارة والكهرباء والضوء ، يمثل آخر من مراحل المادة قبل اختفائها في الاثير ..

ولكن ما هو الأثير : لا أحد يعرف ..

يقول (لورد سالسبوري) : : " ان الأثير ليس اسما على الفعل يتموج ..
والأثير خرافة ابتدعت لا خفاء جهل المثقف للعلم الحديث فهو غامض غموض
الشيخ أو الروح .

ونختتم هذه النقول بقول الأستاذ (ادنجتون) :

" ليس الأثير نوعا من المادة فهو لا مادي " (١)

وهكذا انفلت من المادة كل شيء ثابت أو كانوا يحسونه مضرب المثل في
الثبوت ونتيجة تقدم العلم بالكهرب والذرة أصبحت المادة كلها كهربا و ذرات ..
وإذا بالذرات تنطلق فتنطلق شعاعا كشعاع النور ..

* * *

سؤال :

كيف عرفوا أن الذرة بها فيها من بروتونات والكثرونات ، طاقة ؟

ويجب على هذا السؤال أنشتين في معادلته ان يقول :

" ان الطاقة = كتلة المادة x مربع سرعة الضوء (وسرعة الضوء تساوي

٨١٦.٠٠٠ ميلا في الثانية ..

كما ان الكتلة = طاقة ÷ مربع سرعة الضوء " (٢)

وبذلك ثبت ان الذرة بها فيها من بروتون والكثرون ليس في الحقيقة

الطاقة متكاثفة ، يمكن تحليلها وارجاعها الى حالتها الأولى .

وكما ثبت ان المذهب الذري (الديمقريطيسي) الذي يقول ان المادة

لم تخلق ولا تفنى ولا تنقسم ، خرافة من خرافات الدنيا ..

* * *

(١) هذه التحريفات نقلناها عن كتاب هزيمة الشيوعية ، أنور الجندی ص :

٩١ = ٩٢

(٢) فلسفتنا : محمد باقر الصدر ص ٣٣٨

ان هذم الطاقة هي الاصل العلمي للعالم في التحليل الحديث ، وهي التي تظهر في اشكال مختلفة ، وصور متعددة ، صوتية ، ومفناطيسية وكهربائية وكيمائية ، وميكانيكية ..

اذن فاسمحوا - أيها الملاحدة - أن المادة لها بداية . فما كان له بداية فلا بد أن ينتهي الى نهاية .. اذن ان المادة حادث ، فيجب أن يبحث عن خالقها .. (انه هو الله تعالى) وبهذا تسقط مزاعم جوليان هكسلي حيث يقول :

" ان الطبيعة تحتوى في ذاتها على كل القوى المطلوبة لاجداث جميع صور الوجود فيها والأنواع ينشأ بعضها من بعض بالتحول طبقا لقوانين وتبعاً لترتيب في الامكان منذ الان تحديد .. فلا شيء في الطبيعة لا يفسر بالطبيعة ولا شيء تقدم على الطبيعة ولا شيء يسمو عليها .. فالطبيعة عند من يصرف قوانينها وبخاصة الانتخاب الطبيعي والتطور هي ذاتها التي خلقت نفسها " (١)

مفهوم المادة والمادوية

قبل أن ننتقل الى موضوع (قوانين المادة) يحسن بنا أن نقدم فكرة موجزة عن مفهوم المادة والمادية لأننا نرى كثيراً من الناس يغالطون فيهما .. نقول : المادة شيء ، والمذهب المادي شيء آخر .. ان المادة هي الحياة .. والمذهب المادي .. هو الايمان بهذه المواد وحدها بحركاتها وقوانينها ، دون شيء آخر .. نحن المسلمون لا نرفض المادة " لأننا لا نرفض الحياة التي أعطانا الله .. ولكننا نستعملها بحقيقة أخرى .. نرى المادة وسيلة ، والله غاية .. المادة اذن ليست (حراماً) لأنها نعمة الله بالحياة .

(١) العلم والدين في الفلسفة المعاصرة (اميل بوترو) : ١٠٥ - ١٠٦

ولكن الحرام :: هو سوء استخدام هذه النعمة بالاسراف الذي يصنع الترف...
أو اعتبارها هي الخالقة الصانعة... كما فعله الملاحدة قديما وحديثا...
(١)

الاحاد وقوانين المادية

قد سبق أن قلنا أن فضيلة المذاهب المادية ، كانت عند الماديين
أنها تقوم على الوقائع والحقائق ولا تقوم على الظنون والأوهام...
ثم شاعت القوانين التي سميت بالقوانين الطبيعية... وبطل هذا
الانقلاب هو (نيوتن) الذي عرض على الدنيا فكرة تثبيت أن الكون
مرتبط بقوانين ثابتة تتحرك في نطاقها الأجرام السماوية...
ثم جاء بعده آخرون فاعطوا هذه الفكرة مجالا علميا أوسع حتى قيل :
" ان كل ما يحدث في الكون من الأرض الى السماء خاضع لقانون معلوم...
فقال هكسلي : " اذا كانت الحوادث تصدر عن قوانين طبيعية فلا ينبغي
أن ننسبها الى أسباب فوق الطبيعة " (٢)
فلما تقدمت الايام بهم وانتبهى هذا الجوالملئ بالحقد ضد الأديان ،
عاد التجربيون الى القوانين الطبيعية التي تحكم الحرارة والحركة والضوء
وكل ما في علم المادة من كهارب وذرات فوجدوا لها قانونا واحدا هو :
(الخطأ والاحتمال) وعرفوا أن للعلم الحديث مجالات لا يمكن أن يتجاوزها
لكونها لا تدخل تحت نطاقه...
ان هذه الحقيقة ليست من بنات أفكارنا وانما أخذناها من تقارير بعض

(٣)

أقطابهم العالميين وهم :

(١) راجع كتاب الاسلام وقضايانا المعاصرة ، احمد موسى سالم ص ٢٢٢... دار

الجيل بيروت سنة ١٩٧٥م

(٢) راجع الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص

(٣) عقائد المفكرين عباس محمود العقاد ص ٥٨

راجع أيضا موقف العقل والعلم ، تأليف مصطفى صبري ج ٢ ص ٢٢٨

(١) - (ماكس بلانك) بولوني

(٢) - (ورنر هيزنبرج) الثاني

(٣) - (أروين شرودنجر) النمساوي

والأولان منهم صاحب جائزة نوبل في العلوم الطبيعية عن سنة ١٩١٨ وعن سنة ١٩٣٢ والثالث مكمل النظريات التي اشتهر بها الأولان . وحجة لا يخلو عليها حجة في مسائل الطبيعة على العموم . والبك بحثنا من آرائهم التي تؤكّد ان العلم الحديث قاصر في معرفة كنه الأشياء :

أولا - الأستاذ بلانك :

" فالأستاذ بلانك هو صاحب نظرية المقدار أو الكوانتم ، وخلاصتها : أن الاشعاع قفزات لا تعرف القفزة الثالثة من القفزة الأولى إلا بالتقدير والترحيح ، وأن صحة التقدير لا تتفق إلا لأن أجزاء تحسب بملايين الملايين ، فلا يظهر الخطأ فيها إلا بمقدار يسير " .

والملاحظة هنا هي أن العلم الحديث يصبر عن عجزه في معرفة قفزات الاشعاع وأنه لا بد أن يقع خطأ في حساباته ولو كان ذلك الخطأ بمقدار بسيط .

ثانيا - الأستاذ هيزنبرج :

" وهو صاحب نظرية الخطأ والاحتمال في قوانين الطبيعة ، وخلاصة براهينه الكثيرة في هذا الباب ان الموضع والسرعة للكهرب معين لا يمكن تحقيقها في لحظة معينة على وجه البقين ، وأن موقع الكهرباء بعد ثانية يتراوح اختلافه الى مدى أربعة سنتيمترات . .

ثم يقل مدى هذا الخطأ في الثانية التي تليها وأن التجريبيين في أية قاعدة من قواعد العلم الطبيعي لا تأتبان بنتيجة واحدة بالفة ما بلغ المجرب من الدقة وبالغا ما بلغ المسار من الاثقان " (٢)

ان هذا واضح ولا يحتاج الى توضيح آخر من أن العلم الحديث قاصر في معرفة الغيبيات .

" والاساذ (شرودنجر) هو المجرى المحقق الذى أسفرت تجاربه كلها عن نتيجة واحدة تؤيد نظرية (اكسز) ($EXNER$) وهى :
 " أن تقدير ما سيحدث تطبيقا للقوانين المادية ممكن ، ولكنه غير محتوم " .
 هذا هو كالم أساطين العلم الحديث وجهابذته ، فهم يرون بكل تأكيد أن هذا العلم قاصر في معرفة كنه الأشياء وخاصة ما يغب عنا . وبتعبير آخر : يرون أن العلم الحديث مهمته قاصرة على السؤال التالى : (ما هذا) ؟ وليس من شأنه أن يسأل : (لماذا) ؟ كما قلنا سابقا . .

ثم ان هؤلاء الثلاثة لا يتفردون بتقرير ذلك وتأبيده ، فانه تقرير عام يقره معهم علماء الطبيعة جميعا ولا يخالفونهم في مبادئه . وقد سبق لنا في هذا البحث ان ذكرنا قول (جود) (١) بهذا الصدد حيث قال : " لقد كانت وجهة النظر في القرن التاسع عشر تنحو الى الظن بأننا قد أشرطنا على بلوغ أقصى ما يمكن من اكتمال الفهم للانسان والكون أما في الوقت الحاضر فقد أخذنا نكشف جهلنا نسبيا بكلبيهما . . "

وأما الدكتور الكسز كاريل الذى سنتحدث عنه في الفصل الذى سنحقده تحت عنوان : " من نتائج الالحاد " فهو يرى أن جهلنا بالنسبة للانسان جهل مطابق . "

ان هؤلاء العلماء حينما يقررون هذه الحقيقة كأنما يقررون قول الله تعالى :
 * ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا *

وبهذا نرى تطابق العلم الصحيح مع القرآن الكريم على أن العقل البشرى والبحث العلمى التجريبي لا يمكن ان يصلا - بحال من الاحوال - الى نتيجة

(١) عقائد المفكرين في القرن العشرين ، محمود العقاد ص ٥٩
 ينقله عن كتاب فلسفة العلم الطبيعي تأليف (أونجتون) في الكلام عبر نظرية الكوانتم .

حاشية من نشأة الخلق وخلق الانسان . وليس معنى ذلك أنهما مقصران في تأدية واجبهما ؟ لا ! ولكنهما يتجاوزان موضوع العلم . . . وموضوع التجربة والمعمل . حينما يبحثان في نشأة الكون والانسان . لأن ذلك لا يدخل تحت التجربة ولا يرى بالعين لأنه أمر غيبي عنا . . . وما دام الأمر غيبيا عنا . . . فان الله الذي خلقنا هو الذي يحدثنا . . . كيف خلقنا . . . أما نحن فاننا لا نعرف كيف خلقنا ولا نعرف ذلك العلم التجريبي ولا العقل المجرد الفلسفي .

ومن هنا فاننا لا يمكن ان نتحدث علميا عن المنصرين الذين يتكلمون منهما الانسان : (المادة والروح) لكي نصل الى معرفة الأسبق منهما . وإذا صمنا على ان نبحث في هذا المجال . . . نكون قد شغلنا أنفسنا بعلم لا ينفعنا عن جهل . بل يضرنا لأننا نستخدم طاقاتنا في شيء لا طائل تحته . وستكون النتيجة لا محالة وهو الالحاد والاضلال كما أشارت الاية السابقة الى ذلك * وما كنت متخذ المصلين عضدا * .

والعلم يجب ان يتم على مادة صماء . . . يمكن أن تدخل المعمل الأصم ، وقطبي حقائق صماء . . . أليست هذه هي الحقيقة ؟ ؟
والدليل على ذلك أن المعسكرات المتصارعة - قديما وحديثا لا تختلف في مذاهب العلم التجريبي كاختلافهم في مذاهب النظريات لا سيما اذا صاحبها الهوى لا توجد هناك كهرباء امريكية . . . وكهرباء روسية . . . ولا توجد كيمياء ألمانية ولا كيمياء انجليزية أو فرنساوية . . . وكل علم الكيمياء . . . في أي دولة من دول العالم خاضع لما تعطيه التجربة الصماء لأنه من مجالات العقل الانساني ومجالات العلم التجريبي . . . وبهذا تكون النتيجة واحدة . . . سواء كان المعمل انجليزيا أو امريكيا . . . أو سوفيتيا . . . أو أي معمل من معامل الدنيا . . .

ولكن يحدث الخلاف حينما يتجاوز العلم التجريبي والعقل البشري محل وظيفتها الذي هو القياس والتجربة . هناك ايمان والحاد . . . ورأسمالية

وشيوعية ، انكار للروح وابمان بها .. لماذا .. ؟ لأن كل ذلك ليس
 مما يدركه العقل البشرى المجرد والبحث العلمى التجريبي لأنهما لم يكونا
 حاضرين عند خلقه ولم يكونا مساعدين لخالقه ، وصدق الله : * ما أشهدتهم
 خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم *

وهكذا رأينا أن الالحاد ليس له سند من العلم الحديث ولا الفطرة .
 ولكن الملاحدة ، لما أرادوا أن يهربوا من الكنيسة اتخذوا جميع
 العلوم المادية سندا للالحاد وساقوا بها السفج البسطاء الى سوق
 الالحاد .

ولما كانت شبهاتهم كثيرة ومتعددة ، نود أن نذكر هنا أهمها
 وأشهرها :

ف نقول : لقد قامت قضية معارضى الدين على أسس ثلاثة :

١ - اللاشعور في علم النفس .

٢ - علم مقارنة الأديان

٣ - الكشف الكوبرنيكى لمركز الأرض

وهذه هي أهم الأسس التي اتخذها الملاحدة دليلا لتوطيد أركان
 الالحاد .. فصارت الجماهير تتشرب ابحاثهم المختلفة التي يصبونها
 في أذهانها ..

ان هذه الأسس أصبحت بمثابة الفرملة التي تمنع المودة وتسمح
 فقط بالمضى المجنون في طريق الشيطان ..

فلا بد اذن من اصلاح ..

الأساس الأول : اللاشعور ونقضه :

ان من الأسس التي اتخذها الملاحدة المعاصرون سندا علميا لمناقضة الدين فكرة (اللاشعور) .

في مطلع هذا البحث وفي " فصل صورة عن أوربا الحديثة " بالذات ، قلنا ان الملاحدة اتخذوا (علم النفس) أساسا لمحاربة جميع الأديان بل حاربوا فكرة التدين نفسها .. قد رأينا هناك انهم قالوا : ان العقل الانساني مركب من شيئين هما :

١ - الشعور ..

٢ - اللاشعور ..

فأما الشعور ، يزعمون انه مركز الافكار التي تخطر على قلوبنا في ظروف عادية .. وأما اللاشعور ، يدعون انه مخزن الافكار التي مرت بنا ونسيناها ، ولا تظهر الا في احوال غير عادية ، كالجنون والهستيريا ..

فالأديان كلها - كما زعموا - صادرة عن اللاشعور ، فلذلك قالوا : ان الأديان ليست فطرية في الانسان انما هي نتيجة الجنون والهستيريا .. أي أن الانبياء كانوا مجانين ومصابين بهذا المرض (الهستيريا) (١) .. والله يشهد ان الملاحدة لكاذبون .. اتخذوا هذه الخرافة علما فصدوا عن الايمان والتدين .. فأصبح العوام لا يفهمون عن الوحي الا أنه نوبات صرعية كان الأنبياء يسمعونها فرددوها لتصبح تورا أو انجيلا أو قرآنا ..

(١) هستيريا : عصاب . من سماته البارزة القابلية الشديدة للايحاء والتقلب الانفعالي ، وضعف الشحنة الانفعالية وتفكك فحوى الشعور .. وعلاج الهستيريا لا يكون بالنسوان أو بالايحاء بل بالاعتماد على التحليل النفسي للقضاء على العقد النفسية .

نقد هذه الفكرة :

ان النقد الذي نود أن نوجهه الى هذه الفكرة المزعومة يكون في

ناحيتين :

١ - ناحية تتعلق بالفكرة نفسها ..

٢ - ناحية تتعلق بعلم الطب .

فأما الناحية الأولى : ان فرويد (نبي هذه الفكرة) وأتباعه قاسوا كلام المجانين

بكلام الأنبياء .. ان هذا قياس مع الفارق لما يأتي :

١ - ان اللاشعور - كما هو في تعريفهم - فراغ في أصله لا شيء

فيه قبل مولد الانسان .. أي انه ليس سوى مخزن للمعلومات والمشاهدات

التي شاهدها الانسان في حياته ، ولو مرة .

ثم يقولون : انه من المستحيل ان يختزن اللاشعور حقائق للم

يعلمها من قبل ..

نقول :

ان الذي يثير الدهشة - ان كان اللاشعور كما عرفوه - ان الدين

الذي جاء على لسان الأنبياء - وخاصة الاسلام - يشتمل على حقائق أبدية

لم تخطر على بال احد من الناس في أي زمان ..

فلو كان اللاشعور هو مخزن هذه المعلومات ، فمن أين يأتي بها هؤلاء

الذين يتكلمون عن أشياء لا طريق لهم الى العلم به ؟

* * *

ب - ان الدين الذي جاء به الأنبياء يتصل بجميع العلوم المعاصرة ..

يتصل بعلم الطبيعة * والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر

قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم .. لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر

ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون (١)

هل هذا الكلام من اللاشعور ؟ أو هو كلام المجانين ؟

و يتصل بالفلك ، وعلم الحياة وعلم الانسان وعلم النفس والتاريخ
والحضارة والسياسة والاجتماع وغيرها من العلوم .

ولم يكتف بما حسوا من العلوم بل يتحدى العالم بأسره أنهم عاجزون أن
يأتوا بمثل كتابه " القرآن " وجاء فيه :

* ان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا
شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا
النار التي اعدت للكافرين * (١)

ويستمر في التحدى ويقول :

* قل لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً * (٢)

ويقول * يسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من
العلم الا قليلاً * (٣)

فيأتي القرن المشرون بتحقيقاته العلمية الضخمة فتبقى قضية الروح
سراً مكتوماً ، لا يستطيع العلم الحديث أن يتكلم فيها . . .

هل هذا الكلام من اللاشعور ؟ أو هو كلام من يعلم السر وأخفى ؟

ولم يكتف بذلك بل كان يخبر أتباعه بما هو آت في المستقبل القريب . .
كقوله تعالى * ألم . غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم
سيخلبون ، في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، فيوشك بفرج
المؤمنين بنصر الله * .

والمعطيات التاريخية العالمية قد صدقت هذا الواقع . . أغنى تاريخ
الروم في الغرب وتاريخ الفرس في الشرق وتاريخ العالم الاسلامي . . ولم
يستطع احد ان يكذب هذا الخبر القرآني . .

(٢) سورة الاسراء : ٨٨

(١) سورة البقرة : ٢٤

(٣) سورة الاسراء : ٨٥

هل هذا الكلام من اللاشعور ؟ أو هو وحى من عند الله تعالى ؟

بل فعل ما يدهش كل ذى عقل وكل ذى فطرة سليمة ..

يحين هذا النبي صلى الله عليه وسلم انسانا بحبسه من أشد اعدائه فيقول له :
انك ستموت كافرا ولن تدخل في الاسلام أبدا ثم اذا مت تدخل في النار
يقول هذا على مسمع من جميع كفار مكة وهم يريدون ان يجدوا أى عيب لتكذيب
دعوته — وكان في استطاعتهم أن يأمرؤا هذا الانسان أن يدخل في الاسلام
نفاقا لتكذيب دين محمد وأخبار محمد صلى الله عليه وسلم ولكنهم ما استطاعوا
ذلك .. لماذا ؟ لأن محمدا كان يتكلم من اللاشعور ؟ لا ! والله !
بل كان يقرأ القرآن الذى يقول :

* تبت يدا أوى ليهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات
لهب وامرأته حمالة الحطب في جبهدها حبل من مسد *

ان هذا الانسان هو أبو لهب وامرأته .. لماذا لم يدخل في الاسلام
نفاقا لأجل ابطال دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ؟

هل هذا الكلام أيضا من اللاشعور ؟ أو هو كلام من يعلم خائنة الأعين
وما تخفي الصدور ؟

* * *

والذى يدل على أن اللاشعور فكرة خرافية لا أصل لها من الصحة أننا
وجدنا معلومات في التاريخ الانساني مصدره (الشعور) الذى يقولون انه لا
يفضل ولا ينسى ، لا تخلو من الأغلط والأكاذيب والأدلة الباطلة ..

وجدناهم يقولون : ان المادة لا تنقسم . ثم وجدناهم يقولون : ان المادة
تنقسم الى بروتونات والكثرونات ..

وجدناهم في القرن التاسع عشر يقولون ان الشمس واقفة ، ثم وجدناهم يقولون
ان الشمس متحركة ..

وجدناهم يقولون ان الأرض انفصلت عن الشمس بسبب انفجارها الخارجى
ثم وجدناهم يقولون - بدون حياء - انها (الحادثة) كانت بسبب انفجار داخلى ..
وجدنا ديكارت الفيلسوف البارح يغلط ويقول : ان الدم هي النفس
في الانسان هل هذا صحيح ؟

ثم وجدنا (كانت) الفيلسوف الكبير يغلط ويقول : ان وجود اللغ لا يعرف
بالعقل هل هذا صحيح ؟

ومن قبل وجدنا الفيلسوف اليوناني الكبير افلاطون (٤٢٧ - ٣٤٧ ق م)
يتخيل فيرى نفسه في المدينة الفاضلة (التي تسمى في التاريخ بالمدينة
الأفلاطونية) أو (عالم المثل) .

ان المدينة الفاضلة التي تخيلها كصورة مثالية للدولة يتراج سكانها
بين أربعة الاف وستة الاف نسمة .. ينقسمون الى ثلاث طبقات :

الأولى	طبقة (الحكام) وهم الفلاسفة
والثانية	طبقة (الجنود) وهم الحماة عن المدينة الفاضلة
والثالثة	(أصحاب الاعمال) وهم الزراع والصناع والتجار الذين يقدمون للحكام اسباب المعيش المادى من مطعم وملبس ومسكن ومال .. بل هم العبيد لهاتين الطبقتين (١)

هل تقسيم الناس الى هذه الطبقات من اللاشعور أو من الشعور ؟ هل
هذا هو الأقرب من كلام المجانين أم قول النبي الذي يقول : * يا أيها الناس
انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند اللغاتناكم *
فقارن بينهما لتعلم أيهما أقرب الى اللاشعور ! أيها فرويد الملحد اليهودى !

* * *

(١) تاريخ الفكر العربى الى ايام ابن خلدون ، عمر فرخ ص ٩٧ بيروت طبعة دار
العلم للملايين لبنان ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م
وأىضا جمهورية افلاطون لنظام الحكيم ومحمد مظهر سعيد القاهرة دار المعارف
١٩٦٣ م

ولقد وجدنا أيضا في اليونان هذا الفيلسوف الذائع الصيت الذى يقال
انه معلم البشرية (أرسطو) (١) قد أتى بأغلو طات فادحة في تعيين
صفات الله تعالى بل يقول : (ان العالم قديم) .. فجاء العلم الحديث
ليكذبه ويجهله ..

وأما الدين الذى يقال انه من كلام المجانين ، لما جاء أثبت أن العالم
حادث فقال * أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون *
فقارن بينهما لترى أى القولين أقرب الى كلام المجانين ؟
هكذا رأينا - من خلال هذا الاستعراض السريع - أن الكلام النبوى
برئ - ولا شك - من كل هذه العيوب .. رغم اتصاله بجميع العلوم ..
ولقد مرت قرون اثر قرون ، أبطل فيها الآخرون ما ادعاه الأولون . وما
زال صدق كلام النبوة باقيا على الزمان ، ولم يستطع احد ان يدل على شيء
باطل جاء به .. وكل من حاول ذلك أخفق .. كما أخفق فرويد وكارل ماركس
ودوركايم .. وغيرهم من اصحاب المذاهب الهدامة التى عرفت في التاريخ
الانسانى العام ..

اذن ان فكرة اللاشعور خرافة لا أصل لها من العلم الصحيح ..

فلنتقل الى الجزء الثانى وهو الناحية الطبية ..

ثانيا - الناحية الطبية :

قد ادعى بعض الملاحدة أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة
كان مريضا بالصرع وأن ما يعتر به في ساعات الوحي انما هو نوبات الصرع ..
التى كان يسمح اثناءها كلاما رده فاصبح قرآنا .. فرد عليهم (الدكتور
يحيى طاهر) اخصائى وأستاذ الأمراض العصبية بكلية طب ومستشفى القصر
العيسى بجامعة القاهرة .. فنحن نلخص ما قاله تلخيصا شديدا فيما يناسب
مع هذه المجالة .. فهو يقول :

(١) أرسطو (٣٦٧ - ٣٢٢) ق م المصدر السابق ص ١٠٧ (عمر فروخ) .

يقول:

" لقد أراد بعض الناس أن يطعنوا الدين الاسلامي في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم فقللوا : ان النبي محمدا كان مريضا بالصرع ، وان الوحي الذي كان ينزل على الرسول بالقرآن ما هو الا نوبات صرعية كان يسمع أثناءها كلاما رددته ليصبح قرآنا والذي يدرس الصرع من أى ناحية من نواحيه الطبية او العلمية او الفسيولوجية يتبين له جسامه هذا الافتراء (١) اذ ان النوبات الصرعية ليست نوبات نفسية كما يتبادر الى الذهن ، ولكنها ناتجة عن تغيرات فسيولوجية عضوية في المخ ، بدليل انه امكن تسجيل تغيرات كهربائية في المخ أثناء تلك النوبات الصرعية مهما كان مظهرها الخارجى ومن المعروف ان هناك مظاهر خارجية عديدة ومختلفة للنوبات الصرعية ، وذلك تبعا لمراكز المخ التي تبدأ فيها التغيرات الكهربائية و طر يقه وسرعة انتشارها .

فاذا بدأت في مراكز الحركة كانت النوبة على شكل تقلصات او تشنجات عضلية واذا بدأت في مراكز الاحساس كانت النوبة على شكل احساسات مختلفة واذا بدأت في مراكز الابصار كانت النوبة على شكل ذكريات او احلام هكذا .. ثم قال :

ويكفي ان نشرح نوعا واحدا من النوبات الصرعية الذي يشتبه ان يكون هو النوح الذي قيل عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مصابا به ، ألا وهو النوبات الصرعية النفسية ، ففي هذه النوبات الصرعية النفسية يكون التغير الحقل هو المظهر الاساسي للنوبة ، ولا يفقد المريض شعوره تماما كما في الأنواع الأخرى من النوبات ، ويمكنه الى حد ما تذكر التجارب النفسية التي حدثت له أثناء النوبة بعد انتهائها .

وتكون هذه التجارب النفسية التي تمر بالمريض أثناء النوبة اما على شكل انفعالات مثل الخوف ، أو على شكل تفكير في اتجاه معين كأن يردد

(١) راجع كتاب الاسلام والعلم الحديث ، عبد الرزاق نوفل ص ٥٥

المريض في ذهنه " يجب ان اقول لفلان كذا وكذا " او على شكل خيالات
او هلاوس . وفي هذه تمس بذهن المريض ، ذكريات او احلام مرثية
او سمعية أو الاثنين معا . . . (١) هذا ما يقوله الطب بالنسبة لهذا المرض .
تمال نحاول تطبيقه على الوحي الذي كان ينزل على رسول الله صلى
الله عليه وسلم .

" وبتطبيق ما وصلنا اليه من هذا العرض السريع للصرع على الافتراء الذي
يفترقه خصوم الاسلام على الوحي الذي نزل على سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم نجد ان الهلاوس والاحلام التي تمر بذهن المريض بالصرع ما هي
الا أجزاء من ذكريات قديمة نبيهتها النبوة ، ولا يمكن للمريض بالصرع ان
يؤلف اثناء النبوة شيئاً ، فكيف بالقوانين والآداب والقصص والعلوم وغير
ذلك مما اشتمل عليه القرآن الكريم .

كذلك لا يمكن ان تتحسن لفظة المريض في أثناء النوبات الصرعية تتكرر
بعضها او كلها بنفس الشكل بتكرار النوبات كما أن المريض لا يمكنه ان يصفها
وصفاً دقيقاً .

أما القرآن الكريم فانزلت آياته واضحة محدودة متممة بعضها بعضاً
شاملة كل ما يهم الناس في شئون دينهم ودنياهم .

فهل يمكن ان يقال بعد هذا المرض العليلي البحث ان القرآن الكريم ما هو
الا هلاوس رجل مصروع ؟ ؟ ؟ ان هذا الا افتراء فليحكم الناس بأنفسهم
بعد هذا العرض العليلي . . .

وللدكتور عبد العزيز الشريف اخصائي واستاذ الأمراض الباطنية بكلية
طب القصر العيني وعضو كلية الأطباء بأدبيرة مقاله في هذا الأمر يحسن
بنا أن نشبه هنا لأن كثرة الحديث تزيد قوة ومثانة .

فهو يقول : " المرض علة تصيب اى عضو من أعضاء الجسم ، فتسبب خللاً فيصبح الانسان لذلك معتلاً • والشخص المريض هو الذى تغيرت حالته بسبب المرض فأصبح غير عادى ، اذ يقل في قوته وصحته وبالتالى انتاجه وتفكيره ••

ولم يعرف الطب ، ولم يحدثنا التاريخ العلمى ، ان شخصاً اصاب بمرض فوهبه المرض علماً •• أو عقلاً •• أو مقدرة •• اذ ان العقل السليم في الجسم السليم ••

فكيف يقولون عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم انه اصاب بالصراع فتتحسن لغته تحسناً بحيث لا يمكن ان نقارن بين حديثه العادى وبين القرآن الكريم الذى يقولون انه حديثه وهو في نوبة الصراع ؟ وكيف يشرح المريض هذه التشريعات التى تعتبر الاسس القويمة لكل القوانين التى تهدف الى العدالة والرحمة والتقدم •

وهل يستقيم ذلك والصراع حالة تتميز باختلال المفاجىء في وظيفة المخ ؟ وكيف يكون ما عند الرسول نوبات صرع ، وهذه النوبات تسبب للمريض الاماً شديدة في عضلاته تكون مصحوبة بالصداع والغثيان وتبقى مدة بعد النوبة التى هى تشنج وتصلب في العضلات ••• فاذا غابت عنه حزن ووجل ؟ فقد فتر الوحى عن الرسول فترة فتولاه الخوف والوجل وحزن حتى نزل قول الله سبحانه وتعالى له :
(١)

* والضحى والليل اذا سجى • ما ودعك ربك وما قلى * (٢)

وعلاوة على ذلك ان الدب يقرر ان الخيالات التى يراها أو يسمعها المريض اثناء نوبته لا بد ان يكون قد رآها أو سمعها في طفولته أو شبابه أو قبل مرضه ، كما يقول فرويد صاحب الشعور والاشعور •

(١) المرجع السابق ص ٥٩

(٢) سورة الضحى الآية (١)

نسألهم : هل يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد رأى الاقوام قبل عصر الاسلام وعاش بينهم واستمع الى احاديث الرسل والانبياء مثل الآيات التالية :

* كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب * (١)
* قالوا يا موسى لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون * (٢)

وهل كان الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية الخلق حتى يرى ما كان بين الله وآدم من حوار مثل قوله تعالى :

* وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * (٣) وهكذا الكذب الطبعي اباطيلهم هذه ..
الأساس الثاني - مقارنة الأديان :

لقد اتخذ الملحدون علم مقارنة الأديان ، سببا من اسباب الالحاد ، وذلك أن جمهور الباحثين في هذه المسألة لا يطلبون من بحثهم الوقوف على الأسباب العامة التي تتيسر دراستها ويمكن التحقق من وجودها في كل عصر ، بل يفهمون من كلمة " نشأة الدين " الصورة التي ظهرت فيها الأديان اول ما ظهرت في الوجود بمعنى أولية زمانية مطلقة ، تقتصر بظهور الانسان على هذا الكوكب .

والمنهج الذي يسلكونه للوصول الى هذا المطلب هو التنقيب عن أديان الأمم القديمة أو اديان الأمم المعاصرة غير المتحضرة ، حتى اذا ما انتهى بهم السير في تلك المصور المظلمة ، او تلك الأقطار المنعزلة ، الى

(١) آل عمران / ٣٧

(٢) المائدة / ٤٦

(٣) البقرة / ٢٥

أقدم مظهر معروف من مظاهر التفكير الديني ، اعتبروه مطابقة لما كان عليه الانسان الأول ..

فعلى هذا انقسم الباحثون في أوروبا الى شعبتين عظيمتين ، تسيران في خطين متعاكسين : هما (المذهب التطوري ، والمذهب الفطري .

أما المذهب التطوري : يرى ان الدين بدأ في صورة الخرافة والوثنية وأن

الانسان تطور في دينه حتى وصل اخيرا الى التوحيد او عقيدة " الاله الواحد " وعلى رأس هؤلاء دوركايم (Durkheim) فقد أشرنا الى هذه النقطة في مبحث علم الاجتماع السابق (١) .

أما المذهب الفطري : يرى أن فكرة " الاله الأعظم توجد عند جميع الشعوب الذين يحدون من أقدم الاجناس الانسانية " .

وقد انتصر لهذا المذهب علماء الأجناس وعلماء الانسان وعلماء النفس وعلى رأسهم لانج (Lang) غير أنه مهما تفاوتت النتائج في نظر المذهبين : " التطوري والفطري " فانهما متفقان على موضوع البحث هو : اتخاذ العقيدة البدائية الصورة الحقيقية لفهم نشأة الأديان في الكون . هذا خطأ ولكنه يتجلى عندما نقرأ الصفحات التالية :-

(١) راجع الدين ، د . محمد عبدالله دراز ص ١٠٦

راجع ايضا عقائد المفكرين ، عباس محمود العقاد ص ٧٤

(٢) (Schmidt. Ouv, cite, p. 30) نقلا عن كتاب

الدين السابق ص ١٠٨

خطأ علماء المقارنة للأديان

ان الذين يستدلون بالتاريخ او الاجتماع كدوركاهم مثلا ، خطوءهم
الأساسي انهم لا يدرسون الدين من وجهه صحيح ، ولهذا يبدولهم
الدين شيئا غريبا .

ومثال ذلك ان ترى شيئا مربعا من زاوية منحرفة فيترأى لك مثلثا . .
ان رأس الخطأ الذي يقعون فيه هو : انهم يتناولون الدين على أنه " مشكلة
موضوعية " (Objective Problem)
فهم يجمعون في سلة واحدة كل ما أطلق عليه (اسم دين) من رطب وبابون
في أي مرحلة من التاريخ الا شيئا واحدا أعني موكب الرسالة فيهم
يذكرون كل شيء في بحوثهم الا الرسل (مما يدل على أنهم لم يتجردوا
في بحوثهم (من الهوى) فهم يريدون ان يصلوا الى نتيجة معينة قبل البدء
بالبحث . هذه النتيجة هي : تكذيب فطرة التدين وتكذيب الرسل فسي
دعواتهم . . فلا يجوز لمسلم - اذن - أن يأخذ بنتائج هذا " العلم " علم
مقارنة الأديان وكيف لا ! ان ربنا سبحانه وتعالى : أخبرنا في كتاب لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . أخبرنا ان اول الرسل أبونا نوح عليه
السلام وآخرهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم طبيب القلوب والأبدان . .
فقال تعالى :

* شرح لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به
ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما
تدعوهم اليه ، الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب (١)

فكيف نترك هذا الحق المبين ونجرى وراء هذه النتائج المتعارضة التي
لا تستند على مقدمات صحيحة . . فلا يجوز لمسلم أن يؤمن بهذا العلم
لأنه يحارض القرآن صراحة . . .

موقف منحرف

ان موقفهم هذا من الأديان بنحرف من أولى مراحلهم ، فيبدو لهم الدين — من جراء هذا الموقف الفاسد — عملا اجتماعيا لا كشفا لحقيقة .

* * *

فهم يقرون في العلم الحديث ان طريقة البحث عن الحقيقة من الحقائق فلا بد أن تدرس مظاهرها وتاريخها في ضوء مثله الأعلى .. أما الأمور التي تأتي بها أعمال اجتماعية فليس لها مثل أعلى وبقاؤه رهن بحاجة المجتمع لها . (١)

ولماذا لا يطبقون هذه القاعدة على الأديان ؟ هل الأديان من الأعمال الاجتماعية ؟ ؟

فالدين يختلف عن ذلك كل الاختلاف ، فليس من الممكن البحث عن حقائقه ، كما يبحث عن تطورات فنون العمارة والنسيج والحياكة والسيارات . لأن الدين علم على حقيقة يقبلها المجتمع او يرفضها او يقبلها فسي شكل ناقص ، ويبقى الدين في جميع هذه الاحوال حقيقة واحدة في ذاتها ، وانما يختلف في اشكاله المقبولة ، ولهذا لا يمكن أن نفهم حقائق (الدين) بمجرد فهرسة مماثلة لجميع الأشكال الموجودة في المجتمعات باسم الدين .

* * *

ونحن نسأل قبل كل شيء عن الأصل الذي بنى عليه هذا القياس هل صحيح أن قوى النفس المختلفة تسير في نموها على قدم المساواة ؟ ؟ وأن حياة الناس الروحية ، تمشي في كل أديانها جنبا الى جنب مع حياتهم المادية ؟ ؟ الجواب لا !

(١) الدين ، وحيد الدين خان ص ٥٠

أولسنا نرى هاتين الظاهرتين تسيران أماناً في طريقين متعارضين ؟ ؟
 فإذا صح ما يقوله الملاحدة الهاربون من الكنيسة ، من أن الإنسان
 كان في بدايته في الكهوف ، ويتستر بجلود الحيوانات ، ولا يأكل إلا من
 الأعشاب ، أن صح ذلك ، قلنا أن نقول : أن قلة مشاغل هذا الإنسان
 " البدائي " كما تدعون ؟ هي الدافعة القوية إلى التأملات في الكون
 والاهتمام بمصدر كل شيء ..

وكما اشتغال الإنسان بالماديات والاخلاد إلى الأرض يقل الاهتمام بالتأمل
 في الالهيات . ذلك أن الفرائز المتقابلة تضعف وتتقلص بقدر ما تنمو
 وتقوى أضدادها . مثل كفتي الميزان : لا ترتفع أحدهما إلا إذا انخفضت
 الأخرى .. (١)

اذن فقلة شواغل البدائي بالماديات من بواعث تأملاته في الالهيات
 وكثرة شواغل المتحضر في الماديات تضعف الغريزة الدينية في قلبه ... هذا
 ما شهيد به (لاروس) للقرن العشرين . وقد أشرنا إلى هذه الشهادة في
 مبحث (شهادة التاريخ) من هذا البحث ، ولكننا نستشهد^٩ هنا لعلاقتها
 بما نحن بصدده : وهذا نصه :

" أن الغريزة الدينية : مشتركة بين جميع الأجناس البشرية ، حتى
 أشدها همجية ، وأقربها إلى الحياة الحيوانية .. وأن الاهتمام بالمعنى الالهي
 وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية ويقول :
 " أن هذه الغريزة الدينية " لا تخفى بل لا تضعف ولا تذبل إلا في
 فترات الاسراف في الحضارة وعند عدد قليل جداً من الأفراد " (٢)

(١) انظر أول صفحة من كتاب العقاد عن نشأة العقيدة الالهية (الله) .

وراجع الدين ، د . محمد عبدالله دراز ص ١١٠

(٢)

وبهذا نعلم يقينا ان هذا القياس فاسد غير علمي بل هو سفسطة علمية (Sophisme Scientifique) ذلك ان علماء هذا العصر يعالجون قضاياهم في ضوء العلم الحديث ، غير ان هذه المعالجة لا تجدى نفعا ، لأنها قائمة على العلم المحض وحسب ، على حين لا بد من اعتبار اشياء أخرى تخيب عن العلم الحديث ..

ومثال ذلك ان أرباب هذا العلم بشرعون في دراسة علمية لأشياء علمية ناقصة ، فسوف تؤدي هذه الى نتائج غير علمية ناقصة باطلة .
فلنضرب على ذلك مثلا رائعا يذكره الأستاذ وحيد الدين خان في كتابه القيم "الاسلام يتحدى" : هذا نصه :

" لقد عقد في دلهي في يناير ١٩٦٤ مؤتمر دولي للمستشرقين اشترك فيه ألف ومائتان من العلماء من جميع انحاء العالم ، وقدم أحدهم بحثا يدعي فيه مآثر كثيرة لمسلمي الهند ليست من عمل المسلمين وانما هي من عمل الملوك الهندوس . وضرب لذلك مثلا منارة قطب في دلهي المنسوبة الى الملك (قطب الدين ايبك) ، حين بناها الملك الهندوسي سامودرا جويت قبل ٦٣٢ قرا ، وقد أخطأ المؤرخون المسلمون فنسبوها الى الملك قطب الدين . ويستدل في هذا البحث بأن في المنارة المذكورة بعض أحجار قديمة نحتت قبل عصر الملك قطب الدين ...

" وهذا - كما يبدو - استدلال علمي ، إذ أن بعض أحجار المنارة فعلا من الصنف الذي ذكره "العالم" ولكن هل كفى مشاهدة بعض أحجار المنارة في أمر بانيتها ، أو أنه لا بد من نواح أخرى كثيرة لنشاهدها في هذا الصدد . ومن هنا فان هذا التفسير لا يصدق على منارة قطب - ككل . هذا تفسير ..

وهناك تفسير آخر هو أن هذه الاحجار القديمة التي توجد بعضها
 في المنارة ، إنما جاءت من أنقاض ابنية قديمة ، كما هو معروف في كثير
 من الأبنية التاريخية الحجرية . ولا مانع من أن نقبل هذا التفسير
 الثاني حين نشاهد منارة قطب الدين في ضوء طابعها المعماري ورسومها
 وتصميمها ، والمسجد الناقص بجوارها ، والمنارة الثانية التي لم تكتمل
 ثم ننتمى الى أن التفسير الأول ليس الا قياسا خاطئا قائما على المفالطات (١)
 ان المثال الذي ذكره الاستاذ وحيد الدين خان ينطبق تمام الانطباق
 على علماء المقارنة بين الأديان ، لأنهم ينظرون الى حقائق ناقصة
 وجزئية ، لا تصل بعضها بالموضوع مطلقا واعتقدوا أن الدراسة
 العلمية الحديثة قد أبطلت الدين ، على حين أننا لو نظرنا الى الواقع
 جمة وتفصيلا فسوف نصل الى نتيجة تختلف عن الأولى كل الاختلاف .
 وهذا يتجلى بوضوح عندما نقف وقفة قصيرة عند العقل الجمعي
 الذي اخترعه (دوركائم) (٦) ليكون مصدرا للحقبة الدينية عند جميع
 الشعوب والأمم .

واليك تفاصيل ذلك :

(١) المصدر السابق ص ٥٥

العقل الجمعى ونشأة الدين

يخالف " العلامة " دوركايم (Durkheim) جميع المذاهب التي تعرضت لنشأة العقيدة الدينية ، كما يخالف جميع الأديان الحقنة .. وذلك ان الأديان وبعض المباحث الحديثة ، ترى أن التدين فطرى في الانسان كما نص على ذلك القرآن الكريم بقوله :

* فأقم وجهك للدين فطرت الله التي فطر الناس عليها .. *

ومع ذلك نجد (دوركايم) اليهودى يزعم ان التدين وليد أسباب اجتماعية بل يذهب الى أبعد من ذلك فيزعم أن عناصر التفكير ، وأسس المعرفة العقلية نفسها ، ما هي صور ولدتها حياة الجماعة ، وطبعتها على غرار النظم الاجتماعية .. وسى هذا النظم الاجتماعية " بالعقل الجمعى " الذى يكيف للناس مشاعرهم و عقائدهم ..

الأسس التي قامت عليها النظرية

لوحاولنا أن نختصر مذهب دوركايم لوجدنا أن محوره ثلاثة أسس :

- (١) - عقل جمعى عشوائى خارج عن شعور الافراد ..
- (٢) - هذا العقل يصدر أوامره على شكل " ظاهرة اجتماعية " تتقلب وتتغير بطريقة غير منطقية ..
- (٣) - هذه الظاهرة تقهر الافراد وتخضعهم لسلطوتها شعروا أولم يشعروا (١)

* * *

ثم بيت القصيد في مذهب دوركايم هو تطبيق هذه الأسس الوهمية على الدين وما يتصل به من عقائد وأخلاق ، ويتلخص هذا التطبيق في ثلاث قضايا هي :

(١) من مقتطفات من قواعد المنهج على التوالى : ٢٧٩ ، ٣١ ، ٥١ ، ٢٠٣ ، ١٠٠ .
 ١٠٠ . معنى قواعد المنهج ، علم الاجتماع ، أمين دوركايم ، ت محمود قاسم
 القاهرة ١٩٧٤ م

١ - ان الدين ليس الهيا لأن فكرة الألوهية - في نظره - ليست الا تعبيرا عن البيئة الاجتماعية في مرحلة من مراحل تطورها ويكون الا لله فيها رمزا للدرجة التي وصل اليها تطوره .. (١)

٢ - ان الدين - بناء على ما سبق - ظاهرة اجتماعية يفرضها العقل الجمعي بقدرته القاهرة على الأفراد في بعض المراحل والبيئات دون أن يكون لهم دين مطلقا لكانوا غير متدينين ولا يملكون الا الانصياع لذلك ..

٣ - ثم يصل دوركائم الى نتيجة خطيرة وهي ان الدين ليس فطريا ومثله الأخلاق والأسرة .. ان الأسف الشديد أن نجد هذه الفكرة اليهودية في جميع أبحاث علم الاجتماع وعلم مقارنة الأديان بدون أن يعرف الذين جاءوا ~~من بعده~~ أن ذلك تخطيط يهودي تلمودي .. (٢)

الطوطمية (Totem)

ان دوركائم يرى أن اصل التدين ناشئ من نظام الطوطمية أو اللقب الأسرى .. وهو نظام - كما يزعم - يقوم على نظام القبائل (Tribus) والفصائل (phatries) والعشائر (Clans) .. و بين ذلك بقوله :

"ومعروف ان العشائر (وهي النواة الصغرى في تلك المجتمعات) قوامها وحدة اللقب المشترك بين أفرادها وهو لقب يشتق في الغالب من اسم حيوان ..

(١) المصدر السابق ص ٥١

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٩ - ٢١٠

(٣) الدين ، عبدالله دراز ص : ١٥٨

"وتعتقد المشيرة أن لها بمعنى هذا الاسم ، صلة قديمة حيوية أو روحية اما على انها تسلسلت عنه ، أو أنه كان حليفا او حارسا لجدها الأعلى أو نحو ذلك .. فلذلك تعظم المشيرة ولا تأكل لحمة ..
وقد بلغ الأمر ببعض القبائل في افريقيا او استراليا او في أمريكا أن يتخذ بعض أفرادها (وشما) يطحنونه على وجوههم وأجسامهم كأنه بذاقة شخصية ليتحقق انتساب كل منهم الى عشيرته ..

نقض نظرية دوركائيم

اننا لا نخالف دوركائيم اليهودي في وجود هذه الطوطمية في الأمم البدائية ولقد رأيناها بأعيننا في افريقيا بالذات ، التي ننتهي اليها جغرافيا ولكننا نستغرب من هذا الفيلسوف الذي يدعي أن هذه القبائل البدائية هي أخصب مكان لدراسة نشأة التدين في الانسان .. وأن استراليا أنسب من كل الأماكن ..

بل يرى ان الاسم المشترك بين الحيوان وبين الجد الأعلى وبين أفراد المشيرة سبب في عبادة المجتمع ..
وبهذا يكون الاجتماع مبدأ التدين وغايته ، وتكون الجماعة انما تعبد نفسها من حيث لا تشعر ..

* * *

ان هذه النظرية الحقيرة التي تصادم فطرة البشرية لأول وهلة ، تبدو صفحتها لضروب من النقد لا تحصى ولكن نجملها في شيئين اثنين :

أولا - ملاحظة عامة .

ثانيا - النظر في أسس النظرية ..

١ - أما الملاحظة العامة تتمثل فيما هوآت :

ان النظرية تقوم بالبحث عن العقليات البدائية لتقرير الدين ، والمعلوم أن أية نظرية تقوم على مثل هذا الأسس فهي نظرية مشكوك فيها ..

ولا بد في قبوله من التحفظ للبليغ .. وبيان ذلك :

ليس كل السائحين على جانب من علوم النفس والمنطق والدين والأخلاق
بكثيرهم لا ستبطلان غور الأمور ، ووضع الأسئلة الدقيقة المحددة
في هذا الشأن ..

ثم ان هذه المعلومات لا تنقل عن آثار مكتوبة ، وانما تؤخذ من
أفواه قوم محرومين من العلم والفنون المدونة ... فمن الراجح اذا سئل
أحد هؤلاء يسرع الى الاجابة بكلمة : " نعم " أو " لا " من غير
مراجعة لحقولهم بل ان الكتاب أنفسهم قد يتناقضون في وصفهم لتلك
القبائل ..

* * *

ولنجاز - الآن - هذه الملاحظات العامة لننظر في أسس النظرية
نفسها ..

٢ - النظر في أسس النظرية :

وقد رأينا ان صاحب هذه النظرية ، يرى ان (نظام الطوطمية) ،
هو أساس العقيدة الالهية وأن أقدم نظام معروف للقبائل هو ما عرف في
استراليا الوسطى .. اذن .. توجد أمامنا مقدمتان ..
واليك كلمة لكل منهما :

أما المقدمة الأولى وهي : أن نظام الطوطمية هو أساس العقيدة الالهية .. نقول :
انها لا تحدو أن تكون سفسطة علمية وتحديات سافرة لما اجتمعت عليه الأديان
السموية .

بل لا نرى في هذه الالقاب والرموز عند البدائيين الا شمارا قوميا يحرفهم انسابهم
وينسب فيهم شعور الوطنية وباعثة التعاون . فهم بكل تأكيد لا يعبدون تلك
الرسوم ولا مدلولاتها ، بل لديهم محبوب روحي يعتمدون عليه في جلائل أعمالهم
ودقائقها .. كما أنهم في تحريمهم لبعض المحرمات انما يستندون الى روايات متوارثة
عن اسلافهم ينسبون بها الى امر الله .

أهل مكة أدري بشعائهم

ان هذا المثل يكذب مزاعم دوركائم الذي قد تعدى على عقيدة الناس في افريقيا وغيرها بخير علم بطبيعة تلك البلاد وأهلها :
نحن الأفرقة الذين نحرف هذه القضية حق المعرفة لأننا كما نعيش معه ، وما زلنا نعيش معه الى اللحظة ..

وكل افريقي يحرف ما أقول هنا وهو : ان الطوطمية لم توضع لأجل العبادة وإنما وضعت شعارا للقبائل لا أقل ولا أكثر ..

ودليلنا على ذلك ان قبيلة (ويرا) أو (بامبا) أو (جارا) مثلا .. تعظم الحيوان الذي انتسبت اليها ، ولا تأكل لحمه تعظيما له .. ولكن لا تعبدوا أبدا .. بدليل أنك تجد بعض أفراد هذه القبيلة مسلمين وبعضهم مسيحيين وبعضهم وثنيين ..
ولو كان قول دوركائم حقا لكانوا جميعا مشتركين في عبادة ذلك الحيوان ولا يشذ منهم أحد عن عبادته ، الى عبادة غيره ..
ان هذا المثل البسيط يفقد الصحة من نظرية دوركائم وأضرابه ..

* * *

وقد يقول القائل : لعلمهم كانوا جميعا في الأصل على عبادة هذا الحيوان ثم انتقل بعضهم الى اعتناق الاسلام او المسيحية أو غيرها ..
فنسارع ذلك القائل بقولنا : ان هذا ليس صحيحا أبدا لأن المحقول والمألوف اذا تاب أحد من الشرك أو عبادة الوثنية يتوب عن كل ما يتعلق به ..
يتوب عن عبادته .. وعن الانتساب الى ذلك الحيوان وعن عدم أكل لحمه ..
هذا هو المعروف في التاريخ .. وكذلك الطوطمية الموجودة في افريقيا وغيرها ..
فأهل (كوليبالي) مثلا : فيهم مسلمون ومسيحيون ووثنيون .. ومع ذلك ينتسب كلهم الى هذا النسب المشترك .. وأوضح مثال هو : ان المسلمين القرشيين كانوا - ولم يزالوا ينتمون الى قبيلة قریش - مع اختلافهم ^{عن} مشركي قریش

في التصور والسلوك .. ان دوركائم لم يعرف شيئا عن هذا الا القليل المزيج باليهوى
والاحاد .. تلك هي المقدمة الاولى ..

وأما المقدمة الثانية وهي قوله : ان أقدم نظلم القبائل هو ما تمثله قبائل
(استراليا) الوسطى ..

ان هذا زعم باطل من ناحيتين : ناحية تاريخيه ، وناحية دينية ..

فأما الناحية التاريخية : هذا (روبرت شميت) من كبار الباحثين الذين
قاموا بدراسات شخصية دقيقة في (استراليا) .. بقرر هذا البحاثة :
أن القبائل المذكورة هي أحدث القبائل في (استراليا) وأكثرها تقدما ..
وكما قرر ان أقدم قبائل (استراليا) هم سكان جنوبها الشرقي .. ومع
ذلك ان هؤلاء لا يعرفون نظام الالقاء الحيوانية السالفة الذكر (١) ..

وفي الوقت نفسه توجد عندهم عقيدة (الاله الأعلى) بصفة واضحة ..
بل يحترف رئيس المدرسة الاجتماعية الفرنسية بأن عددا من قبائل (استراليا)
قد وصلوا الى فكرة (الاله الأعلى) أو (الاله الأحد) (٢) .

* * *

هذا ما يقوله هذا البحاثة : من أن دوركائم لم يكن دقيقا وموضوعيا في
أكاذيبه وأباطيله والحاداته .. (نقل فيه ماشئت) ..

ونحن نحلم يقينا .. ان دوركائم اليهودي والوف من أمثال دوركائهم
لا يصلون الى أية نتيجة في هذا المجال وذلك لما يأتي ..
— انهم أرادوا أن يصلوا الى نتيجة معينة قبل البحث الحر .. وتلك النتيجة
هي محاربة الكنيسة بالعلم الحديث . اذن فخطأ النتيجة تبع لخطأ المقدمات ..

(١) راجع الدين .. د عبدالله دراز ص ١٥٦

(٢) المرجع السابق ص ١٥٦

من هنا أكدنا أن علم مقارنة الأديان لا يجوز لمسلم أن يعتبره علماً
حقيقياً لا هماله موكب الرسالة من لدن سيدنا نوح إلى نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم .

وأما الناحية الدينية : — ان هذه النظرية تصرح في أن الإلحاد هو الأصل
والإيمان هو الفسور وأن الوثنية سابقة للإيمان والتوحيد . . أن هذا
زعم باطل في باطل . . فقد رأينا — آنفاً — أن التاريخ قد كذبهم . .
والآن سنرى أن الدين الإسلامي بكذبهم . . وذلك ان الله تعالى
قد أخبرنا في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أن الأصل
هو التوحيد والإيمان . وأما الإلحاد والشرك طارئان على البشرية . . .
فلنقرأ خاتمة الآيات التالية :

* كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . وأنزل
معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . وما اختلف فيه
الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم — فهدى الله
الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه . والله يهدي من يشاء
إلى صراط مستقيم * (١)

وقفات عند الآية :

الوقفة الأولى : * كان الناس أمة واحدة * على نهج واحد ، وتصور

واحد أغنى الإيمان بالله تعالى وتوحيده . .

ثم اختلفت التصورات وتباينت وجهات النظر ، وتعددت المناهج ، وتنوعت
المعتقدات . وعندئذ بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . .

ان هذا التقرير الإلهي يجعل مزاعم دوركائم باطلا زهوقا . .

وهذا الذي يقرره القرآن في هذه الآية ، هو النظرية الإسلامية الصحيحة

في خط سير الأديان والمقائد . .

كل نبي جاء بهذا الدين الواحد في أصله ، يقوم على القاعدة الأصلية ،
قاعدة التوحيد المطلق : * يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره * ..
ثم يقع الانحراف عقب كل رسالة ، وتتراكم الخرافات والأساطير ، حتى
يبعد الناس نهائياً عن ذلك الأصل الكبير ..
وهنا تجيء رسالة جديدة .. تجدد العقيدة الأصلية ، وتنقي ما علق
بها من انحرافات ، وتراعى أحوال الأمة وطوارها في التفاصيل ..

* * *

وهذه النظرية أولى بالاتباع من نظرية (دوركاهم) اليهودي وأتباعه
من الباحثين المنحرفين ، في تطور العقائد من غير المسلمين .. والتي كثيرا
ما يتأثر بها باحثون مسلمون ، وهم لا يشعرون ، فيقيمون بحوثهم على أساس
التطور في أصل العقيدة ، وقاعدة التصور ، كما يقول المستشرقون وأمثالهم
من الباحثين الغربيين الملحدون الجاهلين ..

الوقفة الثانية :- * كان الناس أمة واحدة * ، وقد تكون هذه الإشارة
إلى حالة المجموعة البشرية الأولى الصغيرة من أسرة آدم وحواء وذريتهم ..
قبل اختلاف التصورات والاعتقادات ..

فالقرآن يقرر أن الناس من أصل واحد وهم أبناء الأسرة الأولى :
أسرة آدم وحواء ..

وقد شاء الله أن يجعل البشر جميعاً نتاج أسرة واحدة صغيرة ، ليقرر
مبدأ الأسرة في حياتهم .. وليجعلها هي اللبنة الأولى .. فكانوا كذلك
في مستوى واحد ، واتجاه واحد ، وتصور واحد ، في نطاق الأسرة الأولى
حتى نمت وتعددت وكثر أفرادها .. وتفرقوا في المكان .. وتطورت معاشهم
وبرزت فيهم الاستعدادات المكنونة المختلفة التي فطرهم الله عليها لحكمة
يعلمها .. وبعلم ما وراءها من خير للحياة في التنوع في الاستعدادات
والطاقات والاتجاهات .. (١)

(١) يراجع في هذا الشرح الجيد تفسير في ظلال القرآن سيد قطب ج ٢
المجلد الأول ص ١٥٢ ولكن بالمعنى والتصرف

الوقفة الثالثة :- * ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه * وهنا تتبين تلك الحقيقة الكبرى .. ان من طبيعة الناس ان يختلفوا ، لأن هذا الاختلاف اصل من اصول خلقهم ، يحقق حكمة عليا من استخلاف هذا الكائن في الأرض .. ان هذه الخلافة تحتاج الى وظائف متنوعة ، واستعدادات شتى من ألوان متعددة ، كي تتكامل جميعها وتتناسق ، وتؤدي دورها الكلي في الخلافة والعمارة ، وفق التصميم الكلي المقدّر في علم الله ..

* * *

فلا بد - اذن - من تنوع في المواهب يقابل تنوع تلك الوظائف ولا بد من اختلاف في الاستعدادات يقابل ذلك الاختلاف في الحاجات : * ولا يزالون مختلفين - الا من رحم ربك - ولذلك خلقهم * (١)

هذا الاختلاف في الاستعدادات والوظائف ينشئ بدوره اختلافًا في التصورات والاهتمامات والمناهج والطرائق ..

ولكن الله تعالى - بحكمته البالغة - يحب أن تبقى هذه الاختلافات المطلوبة الواقعة داخل اطار واسع عريض يسهلها جميعا حين تصلح وتستقيم ..

هذا الاطار هو اطار التصور الايماني الصحيح * الذي يفسخ حتمية يضم جوانحه على شتى الاستعدادات ، وشتى المواهب وشتى الطاقات .. فلا يقتلها ولا يكبحها ، ولكن ينظمها وينقيها ويدفعها في طريق الصالح .. ومن ثم لم يكن بد أن يكون هناك ميزان ثابت يقيء اليه المختلفون وحكم عدل يرجع اليه المختصون ، وقول فصل ينتهي عنده الجدل ، ويشوب الجميع منه الى البقين : .. لكل ذلك : * فبحث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه *

* * *

الوقف الرابعة :-

ولا بد أن نقف عند قوله تعالى * بالحق * ..
 فهو القول الفصل .. بأن الحق هو ما جاء به الكتاب ، وأن هذا
 الحق قد أنزل ليكون هو الحكم العدل ... والقول الفصل ، فيما عداه
 من أقوال الناس وتصوراتهم ومناهجهم وتبصيرهم وموازينهم ..

لا حق غيره ...

ولا حكم معه ...

ولا قول بمده ...

- وبغير هذا الحق الواحد الذي لا يتعدد ..
- وبغير تحكيمه في كل ما يختلف فيه الناس ..
- وبغير الانتباه الى حكمه بلامحاكمة ولا اعتراض ...
- وبغير هذا كله لا يستقيم أمر هذه الحياة ولا ينتهي من الخلاف
والفرقة ..

- ولا يقوم على الأرض السلام ، ولا يدخل الناس في السلم بحال ...

* * *

هذا ما قرره القرآن .. قرر أن الناس كانوا على ملة التوحيد ، ثم
 دبست اليهم الخلافات فاختلوا .. فرجع بعضهم الى الوثنية .. وبعضهم
 الى اللادينية وبعضهم الى الالحاد .. فلما جاء (دوركائم) وأضرابه
 جعلوا هذا التراجع عن التوحيد قاعدة أساسية يقاس عليها
 في معرفة دين الله ..

انها الانتكاس ...

انها الضلالة ...

انها الالحاد الأحمر ...

الوقفـة الخامسة :-

ان الآية تشير بوضوح الى ان هذا الكتاب ، قاعدة للحياة البشرية

ثم تمضي الحياة ..

فاما اتفقت مع هذه القاعدة ، وظلت قائمة عليها ، فهذا هو الحق ..
 واما خرجت عنها وقامت على قواعد اخرى .. فهذا هو الالحاد ، والباطل ..
 هذا هو الباطل ولو ارتضاه الناس جميعا ... في فترة من فترات التاريخ ..
 فالناس ليسوا هم الحكم في الحق والباطل .. في الايمان والالحاد ..
 وليس الذي يقرره هؤلاء الملاحدة في معرفة الدين الحق من الباطل ، هو
 الحق ..

وليس الذي يقرره علماء الأديان المقارنة ، هو الدين ..
 ان أقوال الناس : لا تحبل الباطل حقا ..
 وان أفعال الناس لا تجعل الشيء حقا اذا كان مخالفا للكتاب ..
 وهذه الحقيقة ذات أهمية كبرى .. فتأمل ! ثم طبق !

* * *

الوقفـة السادسة :-

البغي هو الذي يقود الناس الى المضي في الاختلاف على أصل
 التصور والمنهج . والمضي في التفرق واللجاج والعناد ..
 حقا ان بغي الحسد .. وبغي الطمع .. وبغي الحرص .. وبغي
 الهوى .. هو الذي يفعل ذلك كله ..
 ولو ألقينا نظرة عابرة في تاريخ الأديان نجد هذه الحقيقة كامنة فيه :
 ما يختلف اثنان في كتاب انزله الله الا في نفس أحدهما بغي وهوى أو نفس
 نفسيهما جميعا ..

فأما حين يكون هناك ايمان فلا بد من التقاء واتفاق ..

يقول تعالى في آية أخرى * ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر *

ان الله لا يهدي الا من كان في نفسه صفاً .. وفي روحه رحمة
وتجرد ، وفي قلبه رغبة في الوصول الى الحق * فيهدي الله الذين
آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه *

كانت هذه بعض الملاحظات لاحظناها في هذه الآية الكريمة ، فاذا
هي تقرر تقريراً حاسماً أن التوحيد قد سبق الالحاد والوثنية .. وأن
الوثنية طارئة على الانسانية .. وأما أرباب الجهالة العلمية يقولون
-- جهلاً -- ان الوثنية سابقة على التوحيد ..

وصدق الله تعالى * وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً *
وبعدا هذا الاستطراد نعود الى موضوعنا وهو أن الملاحظة لما
أرادوا توطيد أركان الالحاد اتخذوا أشياء سندا للحاديا ليصدوا الناس
عن الايمان فقد ذكرنا حتى الان اثنين منها : ذكرنا أولا اللاشعور ثم
ذكرنا هنا علم مقارنة الأديان .. فنود أن نذكر في الصفحات الآتية
الأساس الثالث والأخير الذي هو الكشف الكوبر نيكي ..

ولكن قبل أن نخوض في هذه المعركة يحسن بنا أن نبدي رأينا
في مدى تأثير المجتمع في الفرد .. لئلا يقول بعض المطرفين : انتم
تسكرون " العقل الجمعي " ونحن نلمسه في حياة الأفراد والجماعات ..
فلنقرأ - اذن - السطور التالية : ..

مدى تأثير المجتمع في الانسان

لقد رأينا في هذا الجزء الأخير أن العقل الجمعي الذي ادعى دوركائم أنه هو الذي يصنع للناس عقائدهم ومساخرهم ، رأينا أنه أسطورة أضحوكة .. ولكن ليس معنى ذلك أننا ننكر تأثير المجتمع على الفرد ، لا ! ان للبيئة والوراثة من سلطان بليغ على نفوس الأفراد ومالهما من أثر في تكوين آرائهم وعقائدهم ، وقد سجل القرآن ذلك وجعله حقيقة واقعة ..

* بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا * * * وانا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون * (١)

* * *

الا أن القرآن حين يقرر هذا الأمر الواقع ، لا يذكره الا في معرض التقرير والذم ناعيا على العامة رضاهم بما فيه من استمبات فكري .. وهبوط من الكرامة الانسانية الى مستوى القطعات من الماشية التي تسير وراء كل ناعق .. ويقول تعالى :

* ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء ضم بكم عسى فيهم لا يعقلون * (٢)

القرآن يلومهم على تعاطيلهم وظليفة آذانهم والسنتيم وعيونهم .. وهذه منتهى الزرابة بمن تفكيره .. ويخلق منافذ المعرفة والهداية ويتلقى في أمر نفسه من غير الجبهة التي ينبغي أن يتلقى منها ..

هذا هو الفرق الجوهرى بين تأثير المجتمع على الفرد في المجتمع المسلم ، وبين تأثيره في اصحاب العقل الجمعي ..

(١) سورة الزخرف : ٣٣

(٢) سورة البقرة : ١٧١

الفرد في مجتمع العقل الجمعي يتلقى التقاليد والأوامر الشيطانية بدون وعي ولا ادراك .. وأما في المجتمع الاسلامي لا يتلقى شيئاً من المجتمع الا ما وافق شريعة الله الذي يعلم السر وأخفى ..

ولذلك كله نجد القرآن الكريم يهيب بالناس أن يميزوا الخبيث من الطيب .. وأن يلتمسوا مثلهم العليا في أهل الفضائل ..

* فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه * (١)

* أولئك الذين هدى الله فبهم اهتداهم اقتده * (٢)

وفي هذا المعنى تقول الحكمة النبوية :

" ولا تكونوا امعة : تقولون ان احسن الناس احسنا وان ظلموا ظلمنا .. ولكن وطنوا أنفسكم : ان احسن الناس أن تحسنوا وان أساءوا فلا تظلموا .. " (٣)

(١) في سورة الزمر : ١٨

(٢) في سورة الأنعام : ١٠

(٣) أخرجه الترمذي في باب البر (٦٢)

الأساس الثالث - الكشف الكوبرنيكي :

ان اكتشاف " كوبرنيكس " مركز الكون كان أحد المعاول التي ضرب بها
الملاحدة جميع الأديان ...
وقالوا : ان الدين خرفة لأنه مبني على الخيالات والأوهام .. ومن
خيالته ، أنه اثبت أن الأرض ثابتة ومبسوطة ... ولكن العلم الحديث
جاء فأثبت أن الأرض ليست ثابتة ، بل هي متحركة .. وليست مبسوطة
بل هي كروية ..

وعلى هذا الأساس قالوا : ان الدين مبني على غير الحقيقة ..
وقبل أن نبدي رأي الاسلام في هذا الموضوع ، يحسن بنا أن نعطي
للقارئ فكرة موجزة عن هذا الكشف الكوبرنيكي توضيحاً لما قلنا سابقاً
في أول البحث .

* * *

لقد اجمعت المخطابات التاريخية أن " كوبرنيكس " نشر كتابه الذي ذكر
فيه هذا الكشف قبل وفاته بسنة ١٥٤٢ وتدد طويلاً قبل نشره كأنه
قدر - بحق - أنه سيفض عليه الملائمة ويحضره للسخط والنقمة ..
ويؤمئذ بدأ العلماء والمفكرين ومنهم رجال الدين يتساءلون :
" ترى أي شيء في هذا الكشف الكوبرنيكي ؟
هل خالف قواعد الدين وخرج على سنن الايمان ؟ ولاي شيء صدور الكتاب
وأجمعت شعاب الكنيسة من رومانية الى لوثرية على تحريمه ومنع تعليمه ؟

* * *

فأما الملاحدة صاروا يقولون : " في دنيا العلم هذه نرى أنه لا محل
للدبابة المشبهة ، ولا للإله المشبه .. ونرى أن القلب الانساني قد ضيع
نفسه مستسلماً للمقل في كفاحه بين يدي الله .. "

" ان الأرض وعليها الانسان ضائعة في آفاق ليس لها نهاية ، وهذه الآفاق الكونية بما وسعت محكومة كلها بالقوانين الآلية " (١) .

وأما الكنيسة فقد أسست محاكم خاصة لمحاكمة رجال العلم والفكر ...

وكانوا اذا ثبت على أحدهم شيء استتب وأخذت عليه الموثيق بأن لا يعود اليه ... فاذا عاد قبضوا عليه وألقوه حيا في النار أو رموا به من عال الى مكان سحيق ، فأهلك على هذه الصورة في مدى القرون الوسطى ، كثير منهم ... كما تحدثنا عن ذلك سابقا ...

* * *

هذه صورة صادقة للعالم كما بدا في أعين الناس بعد أن جاء "كوبرنيكس" فأخرج الأرض من مركز الكون وأطلقها مع الشمس في أجواء الفضاء ...

لكنها في أساسها صورة كاذبة لا أصل لها على الإطلاق في المعتقدات الدينية ، فليس في الأديان الكتابية عقيدة توجب على انسان أن يؤمن بجمود الأرض في مكانها ودوران الأفلاك من حولها . وليس في الأديان الكبرى قاطبة حكم من الأحكام يطلق مقاصد الخلق على وضع من أوضاع الفلك ...

لقد كانت صورة الأرض في وسط العالم من عمل " أرسطو " (٢) و "بطليموس" الا أنهما لم يتفقا على وضعها في ذلك الموضع ، ولا على تقدير الحركات الفلكية التي تحيط بموضعها ، وليس شيء من ذلك من فعل الأديان الكتابية الكبرى أبدا ...

وسنرى في الصفحات التالية مصداق ذلك ان شاء الله تعالى .

(١) راجع كتاب ديانة المستقبل تأليف "جون آلف بودين" ... نقلا عن

كتاب عقائد المفكرين ، عباس محمود الحقاد ص ٣٩ ط : دار الكتاب

العربي بيروت - لبنان .

(٢) المرجع السابق ص ٣٩

(8)

موقف الاسلام ازاء الكشف الكورنيكي

أما موقف الاسلام فعموما كان ازاء العلم مختلفا عن موقف رجال الدين الكسبي . . . اذ ليس هناك أوضع من ذلك الحديث الشهير للنبي صلى الله عليه وسلم . الذي يقول :

" اطلب العلم ولو في الصين " (١) . أو ذلك الحديث الآخر الذي يقول :

" ان طلب العلم فريضة على كل مسلم " (٢)

وهناك أمر رئيسي : القرآن الى جانب أنه يدعو الى المواظبة على الاشتغال بالعلم . فانه يحتوى أيضا على تأملات عديدة خاصة بالظواهر الطبيعية وبتفاصيل توضيحية تتفق تماما مع معطيات الحديث . وليس هناك ما يحادل ذلك في التوراة والانجيل . . .

ومن تأمل في هذا القرآن الذي يقول الله فيه * ما فرطنا في الكتاب من شيء * وقوله * وهو تبيان لكل شيء * يجد هناك كثيرا من دواعي الإعجاز لا يتنبه اليها العقل الا بعد ان يبحث ويعين وينشط . هذا الإعجاز يظهر في دقة التعبير في القرآن الكريم وقد يرا الانسان بنظرة متسارعة ببعض الآيات تدل على دورات الأرض أو على كرويته ، لا يشعر به الا بعد أن يتأمل بالدقة ولنضرب مثلا بدوران الأرض وكرويته . . . ولكن قبل ان نمضي في التحدث عن هذا المثل . . . فاننا يجب أن نجيب على سؤالين هامين :

السؤال الأول :- هل تجوز محاولة ربط القرآن بالنظريات العلمية نقول : ان

هذا أخطر ما نواجهه . . . ذلك أن بعض العلماء في اندفاعهم في التفسير وفي محاولاتهم ربط القرآن بالتقدم العلمي . . . يندفعون في محاولة ربط كلام

(١) الحديث أخرجه

(٢) أخرجه ابن ماجة ، مقدمه ١٧

الله بنظريات علمية مكشفة يثبت بعد ذلك أنها غير صحيحة .. وهم
 في اندفاعهم هذا يتخذون خطوات متسرفة .. ويحاولون اثبات القرآن
 بالعلم .. ولكنه كتاب عبادة .. ومنهج .. ولكن الله سبحانه وتعالى في علمه
 علم أنه بعد عدة قرون من نزول هذا الكتاب الكريم .. سيأتي عدد من الناس
 .. ويقولون انتهى عصر الايمان .. وبدا عصر العلم .. ولذلك وضع في
 قرآنه ما يعجز هؤلاء الملاحدة الذين لا يؤمنون الا بالعلم التجريبي ..
 ويثبت ان عصر العلم الذي يتحدثون عنه قد بينه القرآن في صورة حقائق
 العلم .. بينه كحقائق كونية منذ أربعة عشر قرناً .. ولم يكشف العقل
 البشري معناها الا في السنوات الماضية ..

فمطاء القرآن متجدد دائماً كما يفهم هذا التجدد من قوله تعالى :
 * سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق *
 اذا لا يجوز تفسير القرآن بأية نظرية ما لم تكن حقيقة علمية ..

السؤال الثاني :- واذا قال بعض الناس هل يفهم من القرآن الآن ما لم يكن
 مفهوما لدى الأولين ؟ فيجيب عن هذا بأن في الآية التي ذكرناها
 ما يدل على هذا وهو حرف " السين " في كلمة * سنريهم * لأن معناها
 المستقبل .. والمستقبل هنا لا ينتهي .. بل أن عطاءه مستمر لهذا الجيل
 والجيل الذي بعده .. والجيل الذي بعده .. الى يوم القيامة .. ومن هنا
 فان الله سبحانه وتعالى قد أعلمنا أن هناك حقائق وآيات سيكشف عنها
 كل جيل .. ولكن كما قلنا - ونقول دائماً - ليس معنى هذا أن نحمل
 معاني القرآن أكثر مما تحتمل .. كما فعل ذلك كثير ممن انبهروا بالكشوف
 العلمية الحديثة ..

(١) يراجع في هذا الشرح الوافي الى كتاب معجزة القرآن ، محمد متولى
 الشعراوي ص ٨٦ - ٨٧ ولكن بتصرف طفيف .

وأن نتعامل معه على أساس أنه كتاب جاء ينبئنا بعلم الدنيا .. فالقرآن لم يأت ليخفي أسرار علم الهندسة .. أو علم الفلك .. أو علم الفضاء إلى آخر هذا .. ولكن القرآن كتاب هدى إلى الصراط المستقيم يقول تعالى *

الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين *

ولكن الله - كما قلنا - وضع في كتابه الكريم ما يمكن أن نرد به على الذين يحاربون هذا الدين حتى يوم القيامة ..

ومن هنا فإن آيات الكون الكبرى التي أنبأنا الله بها في القرآن الكريم والتي نحرف بعضها .. وبعضها لا نعرفه معرفة اليقين حتى الآن ...

أرادنا الله سبحانه وتعالى أن نفهم بها أولئك الذين يقولون انتهى عصر العلم

الايمان وبدأ عصر العلم ...

فليعلم الثقلان من الملاحدة وغيرهم أنه لا يمكن - بحال من الأحوال - أن يتعارض العلم الصحيح مع هذا القرآن المجيد ، فأى علم يتناقض مع القرآن الكريم يعلم كاذب وغير صحيح ... (١)

بل أثبت العلم الحديث (٢) أنه لا توجد حقيقة كونية واحدة تتصادم مع ما جاء في القرآن .

وإذا وجد هناك - في الظاهر - أن بعض المكتشفات العلمية يتصادم مع القرآن ، فنحن نؤكد مرة ثانية أن هذا التصادم المزعوم يأتي أحياناً عن حقيقة قرآنية أسى تفسيرها تبدو في غير معناها الحقيقي .. أو حقيقة علمية كاذبة يحاول الناس استغلالها ضد القرآن ..

إننا لا نثبت كتاب ربنا بالعلم ، وإنما العلم هو الذي يحتاج إلى أن يثبت ولكن نحاول أن نرد على هؤلاء الملاحدة أن كروية الأرض لا يتعارض مع القرآن الكريم .. أن القرآن الكريم قد أشار إلى هذا الدوران في كلمتين فقط فاقراً

(١) المرجع السابق ص ٨٩ بتصرف طفيف

(٢) دراسة الكتب المقدسة على ضوء العلم الحديث - موريس بوكاي ١٣٩

ما يلي :

(كروية الأرض • الأرض • • • مددناها) • •

فهاتان الكلمتان قد أسىء فهمهما بحيث يستدل بهما بعض الناس
من يريد النيل من الاسلام على أنهما يتعارضان مع كروية الأرض اذا قيل
لهم : " ان الأرض كروية الشكل " يقولون : لا ! انها مبسوطة وممدودة
لماذا ؟ لأن الله تعالى أخبرنا في كتابه العزيز بقوله * والأرض مددناها *
فلذلك يجب أن نقف عندها قليلا لئلا يكون هذا سلاحا بأيدي الكفرة

الملحدون :

* والأرض مددناها *

ومعنى المد • • البسط (١) : أى بسطناها • • هذه حقيقة لا نزاع فيها
وليس في استطاعة أحد أن ينكر هذه الحقيقة الملموسة في الكون ونحن
نرى الأرض مبسوطة أمامنا • • فلا تناقض بين القرآن وبين الظاهر الموجود • •
ولكن عندما اكتشفت كروية الأرض • • ثار علماء الدين واتهموا كل من
يقول ان الأرض كروية بالكفر • • لأنه يخالف في رأيهم القرآن الكريم • • ومن
أمثال هؤلاء المتزمتين موجودون في العالم الاسلامي الى يومنا هذا •
فنقول لهؤلاء وهؤلاء لقد أسأتم تفسير حقيقة علمية قرآنية • • الله تعالى
أعطانا بنفس الكلمتين اللتين احتججتم بهما على بساطة الأرض ، دليلا على
كروية الأرض بل أعطانا أكثر من دليل على ذلك في القرآن • ولنتناقص هذا
كله :

اذا قالوا ان الأرض مبسوطة لأننا أينما ننظر الى الأرض نراها مبسوطة
اذا كنت في خط الاستواء • • فالأرض أمامك مبسوطة • • فاذا انتقلت الى
القطب الجنوبي فالأرض أمامك مبسوطة • • واذا كنت في القطب الشمالي فالأرض
أمامنا مبسوطة • • واذا كنت في أوروبا • • أو أميركا • • أو آسيا أو أى قارة

من قارات الأرض الخمس فالأرض أمامك مبسوطة وبالأرض مبسوطة أمام
البشر جميعا في كل موقع موجودين فيه فالأرض اذن مبسوطة - لأنها
لا يمكن أن يحدث هذا في جميع أماكن الأرض الا اذا كانت مبسوطة ..
هذا دليل المعارضين في عدم كروية الأرض استدلالا بقوله تعالى :
* والأرض مددناها *

وأما نحن نستدل أيضا بما استدلوا به على كروية الأرض :
كون الأرض مبسوطة في جميع جهات الأرض دليل على كرويته بدليل
أنها لو كانت الأرض في أى شكل من الأشكال غير الكروية لوصل الماشى
في الأرض الى حافة ٤ فمثلا ان المثلث له ثلاث حفات لو مشى عليه ماش لبصل
الى احدى حافته ان طالتمدة المشى أو قصرت .
وهكذا المربع أو المسدس أو غير ذلك فالشكل الوحيد الذى نراه مبسوطة
أمانا باستمرار ولا يمكن أن نصل الى حافة لها مهما مشينا عليه هو الشكل الكروى
فقط لا ثاني له أبدا .

وهكذا أبلغنا القرآن في كلمتين اثنتين * والأرض مددناها * .. الى
كروية الأرض تتناسبان مع كل زمان ومكان بدون أن تتصادمان مع مفهوم الذين
نزل القرآن في أيامهم ، ولا مع الذين بلغوا الى سطح القمر في القرن العشرين ..
وصوروا الأرض وهم على سطح القمر .. يا لها من عجب واعجاز !
اذن فالأرض مبسوطة أمانا في كل مكان ، لأنها كروية الشكل ولو
ذلك لوصلنا الى حافة ما صدق الله : * والأرض مددناها * .
ويتضح القول بما مضى ، في أن الكشف الكوبرنيكي لمركز العالم لا يتعارض
مع القرآن العظيم . ومن الروائع أن القرآن المجيد قد أثبت كل ذلك قبل أن يصل
اليه العقل البشرى منذ قرون عدة .

وكما نؤكد أيضا أن هذا الكشف - لو كان - في جيونظيف بعيد عن طغيان
الكنيسة ومكائد اليهود ، لما حصل هذا الاتحاد الفظيع الذى شمل كل شىء ..
وكل كيان .. وبعد هذا تنتقل الى آية أخرى تؤكد الآية السابقة وهي
كالتالي :

قوانين الكون

* لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون * (١)

والحديث هنا عن قوانين الكون .. الشمس لا تدرك القمر .. لا نهما كما قال العلماء يتحركان في خطين متوازيين لا يلتقيان أبداً .
(٢)

ان هذه الحقيقة العلمية انما ظهرت في هذه السنوات الأخيرة .. وذكرها القرآن منذ أربعة عشر قرناً .

والشاهد عنفنا في هذه الآية في قوله تعالى : * ولا الليل سابق النهار * ان هذه الكلمات الأربعة * ولا .. الليل .. سابق .. النهار * يعطينا الله بها أنه خلق الأرض على هيئة كرة . وكيف يفهم هذا من الآية ؟ ؟

وتحقيق ذلك كالاتي : * ولا الليل سابق النهار * في هذه الكلمات الأربعة حقيقتان : لا النهار يسبق الليل .. ولا الليل يسبق النهار .. لا النهار يسبق الليل حقيقة كانت معلومة عند العرب ... ولم يتعرض لها القرآن لأنها حقيقة .. لا الليل يسبق النهار خطأ كان موجود عند العرب فصحه القرآن بقوله * و الليل سابق النهار * اذن لا النهار يسبق الليل .. ولا الليل يسبق النهار .. معنى ذلك أن الليل والنهار يوجدان معاً في وقت واحد على الأرض .. لأن النهار لا يسبق الليل .. والليل لا يسبق النهار .. وهذا لا يتأتى الا اذا كانت الأرض كروية .. لكن ليس هذا هو القصد النهائي من الآية .. الله سبحانه وتعالى صحح بهذه الآية معتقدات العرب في أن الليل سابق النهار ، وقرر بهما أيضاً أن الليل والنهار موجودان معاً على الأرض في آن واحد ، ليعلمنا عن حقيقة خلق الأرض .. وتوضح ذلك بضرب أمثلة بسيطة :

(١) سورة يس الآية ٣٨

(٢) راجع كتاب معجزة القرآن : متولى شعراوي ص ٩٠

لو أن الله تعالى قد خلق الأرض مسطحة .. فاما أن تكون الشمس
ساعة الخلق في مواجهة السطح .. وحينئذ يكون النهار قد وجد أولا ..
ثم يأتي بعد ذلك الليل ..

واما ان تكون الشمس غير مواجهة للسطح ساعة الخلق .. ومن هنا يكون
الليل قد أتى أولا .. ثم بعد ذلك يأتي النهار ..

ولكن كون الله - سبحانه وتعالى يقول لنا أن النهار والليل خلقا معا .. لم
يسبق أحدهما الآخر دليل على أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الأرض كروية ..
لأنه حدد الشكل الوحيد الذي يوجد فيه الليل .. والنهار .. على سطح الأرض
معا ساعة الخلق ..

وهكذا نرى - أيها القارئ الكريم - أن القرآن الكريم قد مّس حقيقة
هامة في أربع كلمات ولم يصل إليها العلم البشري كله الا في الأونة الأخيرة
فليعلم الذين افتتنوا بالكشف الكوبرنيكي الى حد الالحاد ظانين أن العلم يناقض
الدين فليعلموا ان القرآن قد سبقهم في هذا المضمار . ولو كان عندهم الصبر
والاجتهاد والنبية الطيبة لراجعوا القرآن الكريم عند تمت الكيسة ورجالاتها
الطفاة . ولكنهم كانوا في الحادهم يحميون ..

دوران الأرض .. والجبال (٢)

ان الكشف الكونيكى لدوران الأرض حول نفسها وحول الشمس، مما يتبجح به
الملاحدة ويدعون أن هذا الكشف يخالف تلقائيا تعاليم جميع الأديان قاطبة ..

-
- (١) استفدنا هذه المعلومات القيمة من كتاب معجزة القرآن تأليف متولى شعراوى
مع تفسيرات طفيفة ص ٩١ - ٩٢
- (٢) ان هذا الدوران رغم شيوعه لم يزل في أوروبا أناس يشكون في ذلك : ومن
هؤلاء العالم الرياضى الكبير الفرنسى (بوانكاريه) في كتابه (العلم والفروض
العلمية) يرى ان الدورات مقبول ولكنه يحتاج الى اثباته بالأدلة المحسوسة
ان هذا يدل على ان الأمر لم يكن محل اتفاق عند العلماء في أوروبا ..
راجع دائرة القرن العشرين فريد وجدى ج ١ ص ١٨٢

نقول لهم : ان هذا ادعاء بغير دليل . وان كانت الكنيسة في أوربا قد طفت وأتت بهذه الجريمة النكراء ، هل من الانصاف في التحقيق أن تضرب جميع الأديان بنفس العصا ؟ .. هذا ما يتنافى مع العلم الحديث .. ولو تكلف الملاحدة برجوع الى دراسة الدين الاسلامي المجيد دراسة موضوعية ، لوجدوا فيه بغيتهم .. ولكن الالحاد ظلمات تفسى القلوب . وتمسى البصائر وتجعل الانسان في حيرة في أمره . كما هو واضح في تصرفات هؤلاء الملاحدة .

والسؤال هنا هو : ما هو موقف القرآن من دوران الأرض حول محورها ودورانها حول الشمس ؟

نقول : ان من تدبر في معاني القرآن بما يتعلق بذلك ، يجد أن القرآن الكريم فيه دلالات متعددة على حركة الأرض بنوعيتها ، ولكنها جاءت عن طريق الإشارة لا صريح العبارة مراعاة - فيما أظن - لمقتضى الحال في خفائها وعدم احساس الناس بها .

فلو أن القرآن صاح الناس - آنذاك - بحركة الأرض وهم يحسبونهم ساكنة لكذبوه .. وحيل بينهم وبين هدايتهم كما كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم في قضية الاسراء والميراج

فكان من الحكمة البالغة ومن الاعجاز البلاغي في الأسلوب أن ينبه الناس في كتابه الله الى آياته سبحانه في حركة الأرض حول محورها ، وفي حركتها حول الشمس بمختلف الاشارات الى نتائج كل من الحركتين منها عليهم بها ، وحثا لهم على اكتناها أسبابها ..

حقيقة تبج الإشارة اليها

ان القرآن الكريم له طريقة خاصة في تقرير هذه الحقيقة ، حقيقة دوران الأرض حول نفسها ، وهي تخالف طرق أهل الأرض جميعا . لأنهم حينما بحثوا في هذا الموضوع ، بحثوا فيه بحثا جافا جامدا لا روح فيه لا يصل الى هدف نبيل ، كما دتيم في تقرير أيسة حقيقة علمية .. وأما القرآن يستخدم مشاهد الكون وحقائق النفس في اثبات العقيدة الصحيحة .. فيجمل

الكون كله اطارا للمنطق الذي يأخذ به القلوب هـ وبوقظ به الفطرة ويجلوها
 لتحكم منطقتها الواضح التواصل البسيط هـ ويستجيبن به المشاعر والوجدان بما
 هو مركز فيهما من الحقائق التي تنشئها الخفلة والنسيان ويحجبها الالحاد
 والكفران .. ويصل بهذا المنطق الى تقرير الحقائق العميقة الثابتة في تصميم
 الكون وأغوار النفس هـ والتي لا تقبل المراء الذي يقود اليه المنطق الذهني
 البارد الذي انتقلت عدواه اليها من المنطق الاغريقي ونشا فيما يسمى علم
التوحيد أو علم الكلام هـ أو يصل اليه العلم الحديث التجريبي البحت .

الحركة اليومية للأرض في القرآن

وبعد هذا نقول للقارئ الكريم : اذا أردنا الدلالة على الحركة اليومية
 للأرض في القرآن وجدناها في قوله تعالى :

* يَفْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا * (١) فالفشي يفتح ان يكون الليل
 أو النهار لأن التعبير يحتملها - كما يقول الزمخشري (٢) واذن فهو يشتملها اذ لو
 كان أحدهما هو وحده الفشي لا الآخر لجاء التعبير القرآني نصا في ذلك
 لا يحتمل غيره لأنه كالم الخالق سبحانه الذي لا يجوز أن يأتي
 لفظه أضيق أو أوسع من المعنى الذي قصد هـ واذن فكل من الليل والنهار
 يطلب الآخر طلبا حثيثا باذن الله وبقدرة الله هـ كي يفشاء ثم يكون
 ذلك على وجه التجدد المستمر كما تفيد صيغة المضارعة في الفعلين
 مع الحالية في الفعل الثاني .

فتأمل معي أيها القارئ - جلال هذه الكلمات القرآنية الخمس كيف صورت
 أدق تصوير تلك الظاهرة الكونية العجيبة ، ظاهرة زحف النهار اثر
 الليل حالا محلّه من طرف هـ وزحف الليل اثر النهار حالا محله من الطرف

(١) سورة الأعراف : ٥٤

(٢) تفسير الكشاف الزمخشري ج ٢ ص ١٠٩

وقال : " وقرئ يفشي بالتشديد . أي يلحق الليل النهار ، والنهار بالليل
 يحتملها جميعا " .

الآخر ففي كل بقعة من بقاع الأرض أثناء دورتها اليومية حول نفسها ،
أو حول محورها أمام الشمس ، نتيجة لذلك الدوران الذي يدل على عظم
جلاله وجماله . (١)

* * *

ثم هذا الدوران نفسه قد دل القرآن عليه بما يكاد يكون نصا صريحا
في قوله تعالى :

* يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل * (٢) والتكوير فسي
اللغة الف واللى (٣) يقال : " كارت العمامة على رأسه وكورها " كما يقول
الزمخشري في تفسيره . الا أنه جعل يلتبس لذلك معنى مجازيا ، لما غاب
عنه ما ظل مجهولا للناس أجمعين لقرون بعده ، من أن الله سبحانه يلف
الليل على النهار بلف محوري حقيقي للأرض التي هي محل الليل ، ويلف
النهار على الليل بلى حقيقي لأشعة ضوء الشمس في غلاف الأرض الهوائي
الذي تملوه الظلمة وهي تدور " (٤)

وفي الفعل (يكور) المكرر مرتين في الآية معجزة علمية أخرى ، إذ قد
دل بوضوح على كروية الأرض بكروية جوها الذي يشغله ، ويتماور به الليل
والنهار على التجدد على كل بقعة من بقاع الأرض ، وفي هذا غناء عن
الاستشهاد على كروية الأرض بكلمة (دحاهها) (٥) التي اختلف فيها
الناس اختلافا كبيرا .

(١) الضمير في قوله تعالى * ينفث الليل النهار * فانه راجع الى لفظ الجلالة
في اول الآية الكريمة في سورة الأعراف : ٥٤

(٢) سورة الزمر : ٥

(٣) راجع لسان العرب ج ٥ / ص ١٥٢ ، وراجع أيضا الصحاح في اللغة والعلوم
ص ٤١٨

(٤) راجع تفسير الزمخشري ص : ١١٦ ج ٤ طبع الكتاب العربي .

راجع كتاب الاسلام في عصر العلم محمد احمد الصراوى ، اعداد د . احمد عبد
السلام الكردانى ص ٢٧٣ .

(٥) اشارة الى قوله تعالى * والارض بعد ذلك دحاهها * في سورة النازعات : ٣٠

حركة الأرض السنوية حول الشمس

في القرآن

أما حركة الأرض السنوية حول الشمس ففي القرآن دلالات كثيرة ولكن نكتفي
بواحدة منها وهي دلالة تكاد تكون في صراحة عبارة تنص على أن للأرض
حركة غير حركتها اليومية ، وتلك هي دلالة قوله تعالى :

* وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ، صنع الله الذي
أتقن كل شيء * (١)

والسحاب كما هو معروف لا يتحرك بذاته ولكن ينتقل محمولا على الرياح
فكذلك الجبال يراها الرائي فيظنها جامدة في مكانها وهي تمر بسرعة محمولة
أيضا ، وليس لها حامل إلا الأرض ، فالأرضان هي المسركة بهما كما
تسرع الرياح بالسحاب وكلا الأمرين من صنع الله الذي أتقن كل شيء .
فلا يحتاج في الواقع قريب غير بعيد لأن قوله تعالى * تحسبها * يدل
أول ما يدل على رحمة الله بالعقل البشري . فالإنسان يظن - كما قلنا -
أن الجبال جامدة . . ولكن الله تعالى يريد أن يخبرنا بأن هذه الجبال التي نراها
أماننا ونحسبها جامدة تتحرك من مكان إلى آخر ، ولكنها تمر مر السحاب
لماذا ؟ لأن السحاب لا يملك ذاتية الحركة . . لا يتحرك بنفسه . . إنما
تحركه الرياح فالسحاب ليدون الرياح يبقى في مكانه . ولكن الرياح
هي التي تدفعه من مكانه إلى آخر . وكذلك الجبال لا تتحرك بنفسها
لأنها هي أوتاد الأرض ورواسيها إذ قال الله أنها تمر مر السحاب ،
بدرك العقل أن حركتها ليست ذاتية بل هي تابعة لحركة أخرى تدفعها . .
تماما كما تدفع الرياح السحاب . .

فهذا من معجزات القرآن الكريم الذي ينبغي أن يدل الناظر إلى أن في
حركة الأرض الحاملة للجبال من آيات الله ومن المنافع لعباده ، ما يشبه الآيات
والمنافع التي أودعها الله في حركة الرياح الحاملة للسحاب والتي نوه

الله بها في آيات كثيرة من كتابه الحكيم . (١)

لماذا لم يذكر المفسرون دوران الأرض؟

نقول : انه ليس عجيبا ان يفوت المفسرين جميعا هذا المعنى على قرينه لمن يعرف ما أثبتته العلم الحديث للأرض من حركة حول الشمس ، لأنهم لم يكونوا يحرفون أن للأرض حركة ما ، لا يومية ولا سنوية . ومن هنا صرفوا المعنى عما يقتضيه المفعول المطلق في الآية الكريمة ما يستلزمه قوله تعالى : * صنع الله الذي أتقن كل شيء * من أن الظاهرة التي لفت الله إليها الإنسان في قوله : * وترى الجبال ... * هي ظاهرة كونية فيها من اتقان الصنع ما يدل على جلال حكمته وقدرته سبحانه ..

ولكن المفسرين - جزاهم الله عنا خيرا - رأوا أن الآية تدل على النقض لسنن الله في الكون يوم القيامة أي بين يدي يوم القيامة ، وهذا ليس بعيدا فحسب ولكنه أيضا لا يتناسب مع ظاهر الآية الكريمة . والذي دعاهم الى هذا أمران :

أولهما : ما ذكرناه من أن دوران الأرض لم يكن مألوفا عند الناس حتى الفلاسفة اليونانيين .

ثانيهما : رأوا أن الآية ذكرت بعد آية تدل على القيامة وهي قوله تعالى : * ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين * (٢) . ثم جاءت الآية * وترى الجبال ... * فقالوا " ان مشهد الجبال هكذا يتناسب مع ظل الفزع ، ويتجلى فيه وكأنما الجبال مذعورة مع المذعورين مفزوعة مع المفزوعين هائمة مع الهائمين الحائرين المنطلقين بلا وجهة ولا قرار " (٣) .

(١) يراجع في هذا التفسير الى كتاب محجزة القرآن ، متولى الشعراوي ص ٩٣ ، وكتاب الاسلام في عصر العلم محمد احمد الحمزاوي ص ٢٧٥

(٢) في سورة النمل : ٨٢

(٣) راجع في ظلال القرآن ، سيد قطب ج ٢٠ المجلد السادس ص ٣١٤ وراجع ايضا تفسير زاد المسير في علم التفسير الامام ابي الفرج ج ٦ ص ١٩٦ ، تفسير

هذا ما ذهب اليه جل المفسرين من * أن صنع الله * في الآية يدل على نقض السنن الكونية .

موقف الزمخشري من هذه الآية الكريمة

ومن راجع تفسير الزمخشري يجد أنه وحده الذي أدرك بدوقه البيانسي عدم التلازم بين قوله تعالى * صنع الله الذي أتقن كل شيء * وبين ما سيحل بالجيال بين يدي الساعة ، فقد ر محذوفا يلبق في رأيه بذلك الصنع المتقن إذ قال : " والمعنى يوم ينفخ في الصور وكان كبت وكبت ، أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين " ثم قال : * وصنع الله * يريد به الإثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي اتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب إلى آخر ما قال مما رفضه غيره مثل أبي حيان في تفسيره ونسبه إلى مذهب الزمخشري في الاعتزال .

ونقول : ولوعرف الزمخشري وأبو حيان ما نصره اليوم - بمنه تعالى - من دوران الأرض حول الشمس بتلك الكيفية الباهرة وما يحكمها من تلك السنن الإلهية الدقيقة القاهرة وما يترتب عليها من المنافع للناس ، اذن لكبروا الله وتسارعوا إلى المعنى المتبادر من الآية ومن تشبيهها التمثيلي ومن القرائن الحسية والبلاغية فيها ولفهموا الخطاب في * وترى الجبال * على أنه خطاب للإنسان الآن وفي كل عصر آت ، بدله على آية من آيات الله الكبرى على يهتدى إلى الله .

عودة إلى أدلة المفسرين

وأما أدلة المفسرين التي تقول ان الآية * وترى الجبال * تدل على يوم القيامة تتعارض مع آيات أخرى في القرآن الكريم واليك بعضها :

=== ابن كثير سنة ٧٧٤ ج ٥ ص ٢٦٠ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . تفسير جامع البيان في التفسير ، للشيخ السيد محين الدين محمد بن عبد الرحمن الحسني الحسيني الأيجي الشافعي سنة ٨٣١ - ٨٩٤ هـ ج ١ ص ١٨٨ وهو يقول ان هذه الآية تدل على احوال الجبال يوم القيامة يعني بسيرا ولا ثم بنفسها الله ثانيا ثم تكون هباء منثورا والله أعلم .

(١) تفسير الكشاف للزمخشري ج ٣ ص ٣٨٧ .

نقول لهم : ان وصف الحسبان لا يناسب يوم القيامة ولكن هناك يقينا .

* فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد * (١)

و يقول الله سبحانه وتعالى عن الجبال يوم القيامة :

* ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا * (٢)

فكيف ينسفها الله ثم نحسبها جامدة ويقول الله سبحانه وتعالى :

* يوم تبدل الأرض غير الأرض . . . والسموات * (٣)

في يوم القيامة . . . فينسف الله الجبال ويبدها . . . وكل شيء أمامك يكون

يقينا فأنت ترى الجنة . . . وترى النار . . . وترى الله رؤيا اليقين . . . فالحسبان

في الدنيا واليقين في الآخرة . . .

ثم نقول لهم : لو تأملوا في الآية التي قبل الآية * ويوم ينفخ في الصور . . . *

لوجدت مثيلة للآية * وترى الجبال . . . * وهي تتجدث أيضا عن ظاهرة

من حركة الأرض وهي قوله تعالى : * ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه

والنهار مبصرة ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون *

فان من لطيف المناسبة أن تشير آية * ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه

والنهار مبصرة * الى ظاهرة تنشأ من إحدى حركتي الأرض وأن تشير آية

* وترى الجبال * الى الحركة الأخرى تلك الإشارة المجيبة .

ومن حكمته البالغة ان جعل بين الآيتين آية تتعلق بيوم البعث ، لتصرف

الأذهان بها عن المعنى الذي لم تكن لتعقله قبل أن يأذن الله بالكشف عن

سنة الله في حركة الأرض حول الشمس كسيار من السيارات التي أقسم

الله بها تثبيتها الى آياته فيها . ان يقول سبحانه :

* فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس *

(١) في سورة

(٢) في سورة

(٣) في سورة

ولما كان القرآن انما أنزل لهداية للناس ، قد اقتضت الحكمة الالهية
في آياته الكونية أن ينزل بأسلوب لا يصدى البديهي المسلم به عند الناس
فيكذبوه ولا ينافي الحقيقة الكونية فيكون ذلك داعيا الى تكذيبه اذ يسر
الله سبيل الكشف عنها لأولى العلم في مستقبل المصور . .

وهذا من أعجب عجائب القرآن التي لا تنقضى ، ومن أدل الدلائل على
أن القرآن - حقاً من عند الله ، فان التعبير عن الحقيقة الكونية بأسلوب يطابقها
تماماً أو يدل عليها أولى العلم .

ولعل أوضح مثل لهذه الظاهرة القرآنية المجيبة قوله تعالى :

* والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم *

فانظر الى القضية الأولى ، قضية أن الشمس تجري ، كيف انطبقت على البديهي
المساهد من حركة الشمس في السماء من المشرق الى المغرب في كل مكان يحيط فيه
الانسان ، في نصف الكرة الشمالي وفي نصفها الجنوبي من قطب الى قطب لكن
هذه الحركة انما هي في الظاهر ، وقد فسرتها الفلسفة اليونانية والعلم
القديم ، بما فسرت أو فسروا ، مما خطأه علم الفلك الحديث اذ أثبت أن حركة
الشمس في الظاهر حول الأرض - كما هو معروف - هي حركة نسبية راجعة في
الحقيقة الى حركة الأرض حول محورها امام الشمس من المغرب الى المشرق
مرة في اليوم . . ينشأ عنها النهار والليل ، كما أثبت للأرض حركة سنوية حول
الشمس تنشأ عنها الفصول .

فهل فقدت الآية الكريمة شيئاً من دلالتها . بهذا الذي أثبتته العلم ؟ ان
الذي جدد بما أثبتته العلم هو انتقال الحركة من الشمس الى الأرض فصار للأرض
حركتان تفسران الليل والنهار واختلاف الفصول ، بدلا من حركة الشمس وحدها .

(١) سورة يس : ٣٨

(٢) راجع كتاب (لله العلم) بشير التركي ص ١٠٢

وهنا نتبين عجيبه من عجائب الاعجاز العلمي في القرآن ، فقد جاء علم
الفلك الحديث بعد نحو ثلاثة عشرين قرنا من نزل القرآن فأثبت للشمس حركة
غير هذه الحركة الظاهرة من المشرق الى المغرب ، فقد أثبت أن هذه الحركة
ذاتية للشمس ، وقدر سرعتها بركبها أي من حيث المقدار والاتجاه ، فأما
المقدار فهو (اثني عشر ميلا) في الثانية تقريبا . واما الاتجاه فهو نحو
النجم المسمى (فيجا) في الانجليزية والنسر الواقع في العربية ، أي أن
علم الفلك الحديث أثبت أن الشمس على عظم كتلتها الهائلة ، تجرى في الفضاء
بسرعة اثني عشر ميلا في الثانية في اتجاه النسر الواقع .^(١)

* والشمس تجرى لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم *

فأنت ترى معنى - الان - ان في قوله سبحانه * والشمس تجرى * معجزة
علمية عظيمة لم تكن تخطر لأحد على بال ، حتى كشف عنها علم الفلك
الحديث ، لم يكشف عنها الا في القرن التاسع عشر بعد أن تهيأ له من الات الرصد
وأدوات التحليل الضوئي ومن القدرة على تفسير النتائج التي توصل اليها عن طريقها
ما أدى به الى الكشف عن ذلك السر العظيم ، كتلة من النار قدر كتلة الأرض ٣٣٣
الف مرة تقريبا تجرى في ملكوت الله بسرعة تزيد على ضعف ما يسمونه بالقمر
الصناعي في دورته حول الأرض .^(٢)

لقد فتن الناس أو كلدوا بهذه الأقمار أو القميرات الصناعية التي ليس للانسان
فيها الا صنعها واحكام اطلاقها مستعملا في ذلك ما وهبه الله من علم ومقدرة ،
أما دورانها حول الأرض فليس له فيه فضل . اذ هي انما تدور طوعا لسنن
الله في الحركة من ناحية وفي الجاذبية بينها وبين الأرض من ناحية

أخرى ، إن صح التعبير .

(١) راجع كتاب الاسلام في عصر العلم ، محمد احمد الخماري ص ٢٨١ والعلم
عند الله .

(٢) راجع كتاب العلم يدعو الى الايمان ص : ٥٥

السؤال المجيب :

فكيف يمكن أن يكون في هذه القميرات دليل على وجود الانسان وما بلغ من رقي في الصناعة والعلم ، ولا يكون في الشمس وجريها في الفضاء على ذلك الوجه العظيم المائل دليل على وجود الله العزيز الحكيم سبحانه الذي خلق الشمس واجراها وقدر لها مجراها في الفضاء ؟ ان في ذلك لآية للمتوسمين .

وأخيرا ان المجزة العلمية الكبرى المتمثلة في قوله تعالى * والشمس تجري لمستقر لها * ينطوي تحتها في الواقع معجزة اخرى ، ان قد خطأت علم الفلك القديم حين قال في تفسير الشروق والغروب : ان الشمس معلقة أو مركوزة في فلك مادي كروي هو الذي يدور بالشمس حول الأرض ، فحمل حركة الشمس غير ذاتية . . والآية الكريمة تقول أن لها حركة ذاتية سريعة . فان الجري لا يمكن الا أن يكون ذاتيا . . . وقد وجد التفسير الفلسفي أو الفلكي القديم طريقة الى كتب التفسير ليس فقط فيما يتعلق بالشمس ولكن أيضا فيما يتعلق بالقمر . . . وقد اعتبرها فلاسفة اليونان - خطأ - من السيارات ، التي فسروا حركتها عبر السماء بما فسروا به حركة الشمس فافترضوها أي السيارات . مركوزة في افلاك كرية شفافة مجوفة بعضها داخل بعض ، ومركزها جميعا الأرض فهي تدور كلها بحركات مختلفة من المشرق الى المغرب حول الأرض التي جعلوها ساكنة لا حركة لها وتبهم في ذلك فلاسفة المسلمين والمفسرون (١) . . . لا عيب فيهم الا أن أيامهم تقدمت على هذه

الكشوف العلمية المجيبة .

(١) راجع كتاب الاسلام وتلا والمصر الحديث محمد احمد الفمراوي ص ٢٨٢ .

من هدايا القرآن

لقد رأينا فيما سبق ان العلم بالحديث قاصر في فهم شئ من أسرار الكون حتى في فهم أسرار المادة نفسها التي يعيها الملاحظة فتجد أحدهم يضرب الأرض برجله ويقول : " هذه هي الحقيقة " اذا كان الاُمر كذلك فهل لنا محشرون المسلمين أن نقدم لهم هدايا من القرآن الكريم اذا رجعوا اليها لعلمهم بهتدون؟ فما هي اذن تلك الهدايا ؟

لنبداً بأول آية - بعد البسملة - في أول سورة من القرآن ، لنبدأ بالآية الكريمة فاتحة أم الكتاب * الحمد لله رب العالمين * ولندع شطرها الأول * الحمد لله * للمؤمنين .. لنجعل شطرها الثاني * رب العالمين * الهدية الأولى لأرباب الجهالة العلمية ولغيرهم ...

ان كلمة * العالمين * لا شك أنها كلمة فاجأت العرب من ناحيتين على الأقل : ناحية الجمع وناحية تذكير الجمع ، فلذا اختلف المفسرون في مفهوم رب العالمين (١) لأنهم لم يكونوا يعلمون الا عالماً واحداً هو يعيشون فيه . والناس الى اليوم لا يتحدعون الا عن عالم واحد هو الذي تبصر ونحس ونعيش فيه . فلما جاء القرآن بلفظ الجمع لكلمة العالم ، قصرت أفهام الناس في فهمه لأنه شئ لم تألفه الاُسماع والأفهام والأفكار .

والتمس المفسرون تلك العوالم المتعددة ، فقبل هي : عوالم الانس والجن والملائكة وقيل هي عوالم الحيوان والنبات والجماد وغير ذلك مما ذكره المفسرون بهذا الصدد . فعلى من يريد المزيد مراجعة التفاسير التي تذكر أسماءها في الهامش (١)

(١) تفسير الطبري ابن جرير : ج ١ ص ٣٣

(٢) التفسير القرطبي : ج ١ ص ١٣٨-١٣٩

(٣) التفسير الكبير : فخر الرازي ج ١ ص ٦

(٤) تفسير الكشاف : ج ١ ص ١٠ (٥) تفسير أضواء البيان : ج ١ ربح المعاني للآلوسي

(٦) تفسير ابن كثير : ج ١ ص ٣٠ (٧) تفسير المراغي : ج ١ ص ٣٠ ج ١ ص ٢٩

(٨) تفسير المنار : ج ١ (٩) التبيان ، الطوسي ج ١ ص ٣٢

(١٠) فتح القدير ، محمد الشوكاني ج ١ ص ١٩

(١١) تفسير أبي سعيد الجزء الأول ص

(١٢) تفسير الجواهر ج ١ الدائرة الأولى ص ١٢٠

ولكن ليس كل ذلك بمفوف معنى ذلك اللفظ : لفظ * العالمين * . وأنت اذا قلت " العالم " لم تفهم الا عالما واحدا . هو هذا الشامل لكل ماترى من ارض وسماء .
ولكن اذا أخذنا بحرفية اللفظ في الفهم دون التفات الى المجاز يكون هذا العالم واحدا من أفراد ، وعالما من عوالم مثله ، فأين هذا المفهوم الجديد فى الكتب الفلسفية وفي أى كتاب قبل القرآن العظيم ؟

اذن ان هذا المفهوم هدية من هدايا القرآن الى هذا الكيان الانسانى .
ثم جاء العلم الحديث بعلم الفلك الحديث . بمراقبه ومراصد وتحليلاته
الرياضية وغير الرياضية فبين أن المجموعة الشمسية التي نحن فيها ومنها ، ليست في هذا العالم المجرى شيئا مذكورا ، وبين أن هناك عوالم أخرى متراصة المطارح تعد لا بالمئات ولا بالآلاف ، ولكن بالملايين .^(١)

لكن العلم الحديث لم يمتد الى الآن في العوالم الأخرى الى ارض كأرضنا . .
اذن على ارباب الجبرالة العلمية الملاحدة ان يجتهدوا في البحث عن هذه العوالم الأخرى ، واما أن يأخذوا لفظة * رب العالمين * هدية لهم من القرآن الكريم . فلا يدعوا علم جميع ما في هذا الكون الواسع المليء بالأسرار الغامضة . .

هدية ثانية

وهي في قوله تعالى * الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الاُمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علما * (٢)

ان (أل) في * الارض * هنا هي حتما للجنس لا للعدد ، بدليل قوله * مثلهن * والسموات السبع متعددة ، ليس في ذلك شك ، فلا بد أن تكون الارضون السبع متعددة ايضا على نفس النحو والنمط ، لتحقيق المثلية المنصوص عنها في الآية ، لا أنهم سبع دابات في أرضنا هذه كما فهم الناس ويفهمون

(١) العلم يدعوا للايمان ص ٥٩

(٢) سورة الطلاق آية : ١٢

فأرضنا واحدة • وليس يفهم العلم ولا الناس من لفظ الأرض إذا أطلق إلا أرضنا هذه جملة بحذافيرها وطبقاتها كلها ، فتفسير الأرضين السبع بطبقات سبع في هذه الأرض تفسير لا يتفق مع اللغة ، ولا مع العلم ولا مع القرآن ولا مع الحديث الكريم : " اللهم رب السموات السبع وما أظلمهن ورب الأرضين السبع وما أظلمهن " لمن يدقق في فهم الحديث •

هذه النتيجة التي تتفق مع حرفية القرآن • وحمله على الحقيقة اللغوية لا على المجاز ، تحل لنا وللإنسانية مشكلة السموات السبع حلا حاسما • فقد عجز الناس إلى الآن عن الوصول إلى فهم للسموات السبع فمثلا :
قال بعضهم انها السيارات السبع ، فظهر من السيارات عشرة ليس من بينها القمر كما يقول اليونان (٢) •

وقال بعضهم انها سبع عوالم في السماء ، فكانوا كأن لم يقولوا شيئا ، انه ليس هناك ما يحدد معنى عوالمهم هذه • والعوالم والأكوان أكثر من سبعة بكثير •
وأما العلم الحديث يتحدث عن سبع السموات على النحو التالي :
" انا لدينا اليوم معطيات علمية عديدة تدفعنا إلى أن نقسم الفضاء الكوني كما يلي : (١) "

(١) - السماء الأرضية : وهي سماكة الجو التي يبلغ ارتفاعها أربعين كيلومترا تقريبا •

(٢) - السماء القمرية : فإذا ضربنا هذا العدد الذي يمثل بعد السماء الأرضية في عشرة الاف مرة وجدنا قيمة بعد السماء القمرية أى ما يقرب من أربع مائة ألف كيلومتر •

(٣) - السماء الشمسية : وإذا ضربنا هذا العدد الأخير في عشرة الاف مرة أخرى وجدنا ما يقرب من أربع مليارات كيلومترا أى معدل قيمة شعاع سماء النظام الشمسي •

(١)

(٢)

(٣) لله العلم تأليف بشير التركي ص ١١٣ - ١١٤

(٤) - سماء النجوم القريبة : وإذا ضربنا هذا العدد الأخير في عشرة

الاف مرة أخرى وجدنا خمس سنوات ضوئية (١) تقريبا وهو قيمة

بعد مجموعة النجوم القريبة .

(٥) - سماء المجرة : وإذا ضربنا هذا العدد الأخير في عشرة الاف مرة

أخرى . وجدنا خمسين الف سنة ضوئية وهو معدل قيمة شعاع

مجرتنا . .

(٦) - سماء المجرات القريبة : وإذا ضربنا هذا العدد الأخير في عشرة

الاف مرة أخرى وجدنا خمسة الاف مليار من السنوات الضوئية وهو عدد

المجرات القريبة " (٢)

(٧) - سماء الكون : وإذا ضربنا هذا العدد الأخير في عشرة الاف مرة أخرى

وجدنا خمسة الاف مليار من السنوات الضوئية وهذا البعد يفوق عمر

الكون إذ أن عمر الكون لا يفوق خمس عشرة مليار سنة وهذا يعني

إذا تكون جرم سماوي قبل خمس عشرة مليار سنة وابتعد بسرعة الضوء

وهي أكبر سرعة نحرفها في الكون وهو يبعث البنا نورا كي نتبين

موقعه فلا يكون ذلك الجرم أبعد من خمس عشرة مليار سنة ضوئية

فبتضح إذن أننا بهذا الرقم الذي هو خمسة الاف مليار من السنوات

الضوئية قد خرجنا من الحدود الكونية .

ثم قال : فهذه هي السبع سماوات حسب علم القرن العشرين لا نستطيع اليوم أن نفهم

لماذا نفس هذه النسبة في الأبعاد أي " عشرة الاف " .

هذا حسب تقديرات (بيو) (Biot) و (بوسيفولت) (Boussingault)

و (هوبولد) (Humboldt) (٣)

* * *

(١) السنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء مدة سنة بسرعة ٣٠٠.٠٠٠ كيلومتر في الثانية أي كيلومتر تقريباً . ولكن التحقيقات الحديثة اثبتت ان الالكترونات

(٢) لله العلم تأليف بشير التركي ص ١١٣ - ١١٤

(٣) المرجع السابق ص ١١٤

هذه هي مبلغ علمهم من مفهم السموات السبع • وقد تكون هذه الأرقام حقا ولكن — نحن معشر المسلمين — لا نستطيع أن نقبل هذه الأرقام كأنها حقيقة علمية لمفهم السموات السبع لعدم أسباب :

أولا : — انهم صرحوا بان هذه التقديرات تقريبية • ولذا لا نعترف به حتى يصير حقيقة علمية •

ثانيا : — هم جعلوا السموات السبع محصورة في هذا الفضاء فقط هل عندهم علم يقيني في هذا ؟ الجواب : لا

ثالثا : — قد ورد في القرآن ان السموات * طباق * اذ أنها تغلف بعضها بعضا كطابق على طبق ومتساويا في كيانها • هذا الذي نفهمه من كلمة الطباق ولكن هؤلاء قالوا ان سماكة الجوف فوق الأرض تعتبر سماء وكذلك القمر تعتبر سماء مع العلم ان الأرض والقمر لا يوجد بينهما أى تطابق فالأرض اكبر بكثير من القمر ••

إذا انتفى التطابق بين هذه السموات المزعومة ينتفى أن تكون هي السموات السبع المذكورة في القرآن •

وأين سبع الطرائق التي ذكرها القرآن في هذه السموات الفضائية المزعومة ؟

رابعا : — فالقرآن قال لنا أن الله خلق سبع سموات وسبع أرضين والعلم الحديث جعل احدى الأرضين سماء ، هذا يدل دلالة واضحة على أن السموات السبع المنسوبة بها في القرآن ليست هي التي يزعم بها أرباب الجبرالة العلمية •

خامسا : — ثم جعلوا القمر من جملة السموات السبع مع أن القرآن صرح في آية أخرى بأن القمر ليس من جملة السموات السبع وإنما جعل نورا فيهن • يقول تعالى : * وجعل القمر فيهن نورا * (١)

سادساً :- ان العلم الحديث لا يعرف شيئاً حتى الآن - عن الستة الباقية
من الأرضين بينما القرآن صرح بأن عدد الأرضين - مثل عدد السموات
السبع ، ان كان مفهوم السموات السبع غير معروف حتى - الآن - لدى أرباب
العلم الحديث وكذلك عدد الأرضين السبع • فعليهم - اذن - أن يأخذوا
هدية القرآن في هذا الباب ويجهدوا في البحث ليكشف لهم مرقب
المائتي بوصة الجديد عن بعض هذه السموات السبع والأرضين الستة الباقية ••

ما لم يصل اليه العلم الحديث بعد

- فتلك هي بعض هدايا القرآن للعالم ، وللعلم الحديث بصفة خاصة ، نود
 أن نلخصها في الصفحات التالية :
- (١) - وجود ستة مراحل للخلق عموماً •• أو ستة أيام بالتعبير القرآني وأصحاب
 الجاهالة العلمية لم يعرفوا - بعد شيئاً عن ذلك •
- (٢) - تداخل مراحل خلق السماوات مع مراحل خلق الأرض ••
 وأرباب الجاهالة العلمية •• لم يعرفوا - حتى الآن - تفاصيل صحيحة
 عن ذلك •• وانما يقولوا فقط : انفصلت الأرض عن الشمس بسبب انفجار
 داخلي أو تصادم مع بعض الكواكب ، أو مع نجم أكبر منها - كما
 مر ذلك بنا سابقاً •
- (٣) - خلق الكون ابتداءً من مادة دخانية •• وكانت تشكل كتلة متماسكة ففتقها
 الله سبحانه وتعالى بقدر خاص ••
- وأما العلم الحديث أشار الى هذه الكتلة الغازية ، ولكنه جاهل تماماً من
 الذي فتق هذه الكتلة الغازية وكون منها السموات والأرض السبع ••
 بل نسب كل هذه المعجزة الى الصدفة العمياء ••
- (٤) - تعدد السماوات وتعدد الكواكب التي تشبه الأرض يعني تعدد الأرضين ••
 ان العلم الحديث - لم يعرف - بعد - شيئاً عن ذلك •

(٥) - وجود خلق و سيطر بين السموات والأرض ...

ان العلم الحديث لا يدري ما ذا يعنى كلمة * وما بينهما * الا ما

كان من تانون الجاذبية الذى لم يزل في حكم المفروضات ..

فعلينهم - اذن - أن يجتهدوا في البحث الى معرفة كل ذلك والا فهم

مقصرون في بحوثهم ..

أبعد هذا يقال أن العلم يتعارض مع الدين ؟ ..

اذن ان الذين ألدوا من علماء الطبيعة لم يلحدوا بصفة أنهم علماء ، بل

بسبب أنهم جهلاء .. فهم مخطئون ..

خطأ واضح

لقد رأينا ان العلم الحديث لا يتعارض مع الايمان بالله ، فمن الخطأ - اذن -

أن نسند اللحاد الملحدين اليه ..

فالعلم الحديث برىء من هذه التخططات .. وانما ذلك اللحاد الفريد ، راجع

الى نفسية الملاحدة وخبث نياتهم ..

فالعلم الحديث اسم للعلم الباحث في الكائنات وطبيعتها التي طبعت عليها

وجبلت .. وليس بضرورى أن يكون علماء الطبيعة ملاحدة .. بل انهم أجدر

بأن يعرفوا بوجود البارئ سبحانه وتعالى ، من علماء العلوم الأخرى ..

وتد رأينا في تقارير العلماء (واين أولت) والدكتور (اندروكونواى ايفى)

و (اينشتين) و (فرانسيس اورجر بيكون) ، ما يكفى للدلالة على أن العلم

لا يدعو الى اللحاد وانما يدعو للايمان على حد تعبیر العالم الأمريكى ا . كرسبي

موريسون .

والذى يدل على ذلك : لو كان اللحاد من مقتضى العلم الطبيعي أو مقتضى

علم من العلوم ، لزم أن لا يوجد بين علماء من يؤمن بالله وكان كلهم ملاحدة ..

وليس الا كذلك ..

وقد عرف المسلمون علم الطبيعة - كما بينا - ذلك في أول البحث - ولكنهم

لم يلحظوا عن الله تعالى ، بل زاد ذلك في ايمانهم قوة وصلابة وقلنا سابقا
أنهم كانوا عندما يقرأون كتاب (المجسطى) المتعلق بعلم الطبيعة ،
يحتبرون أنفسهم يشرحون به كتاب الله العزيز . وأقرب دليل على ذلك الحكاية
المشهورة التي تقول :

" يحكى أنه بينما كان يجلس ، ذات يوم ، فلكيان عربيان ، في ساحة الجامع ..
وأمامهما كتاب (المجسطى) .. مرت بهما جماعة من علماء الدين فتوقفت مستفهمة
عن النبع ، الذى منه يرتوون .. فأجاب أحدهما :
" اننا نقرأ شرح الآية التالية :

* أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت
والى الأرض كيف سطحت * (١)

* * *

هذا ، ان دل على شىء فانما يدل على أن العلم لا يؤدى صاحبه الى
الاحاد .. لا بالقرب .. ولا بالبعد ..

بل العلم هو أقوى سلاح يتسلح به المؤمن لمحاربة الأعداء .. يقول
الله تعالى : * وجاهدكم به جهادا كبيرا * .

وهذا " البنائى " أحد كبار فلكيي العرب يقول :

" ان علم النجوم هو علم يتوجب على كل امرئ أن يحلمه .. كما يجب
على المؤمن أن يلم بأمور الدين وقوانينه .. لأن علم الفلك يوصل الى برهان
وحدة الله .. والى معرفة عظمته الهائلة .. وحكمته السامية .. وقوته الكبرى ..
وكمال خلقه .. (٢)

(١) راجع شمس العرب تسطع على الغرب ، تأليف المستشرق رينريد هونكة ص ١٣٠

(٢) المرجع السابق ص ١٣٠

وشاهد شاهد من أهلـه

ولقد رأينا في خلال هذا الفصل وغيره أنه لا يوجد هنالك أى تضارض بين القرآن الكريم وبين العلم الحقيقي ...
نقول بكل ثقة واطمئنان .. أنه لا يمكن - بحال من الأحوال - أن يتصادم القرآن مع آية كونية حقيقية ..

لماذا ؟

لأن القائل هو الخالق : ولا يمكن ان يكون هناك انسان أعلم بقوانين الكون من خالقه ..

ولكن الهدف عند بعض المستشرقين ، من الطعن في القرآن الكريم ، و يجب أن نطعن لذلك - هو محاولة الايهام بأن القائل بشر .. وليس الله ..

ونحن هنا في ختام هذا الفصل ، فصل مناقشة الملحددين لا ندافع عن كتابنا وإنما طبيعة القرآن نفسها تدافع عن نفسها .. لأنها مبنية على الحق .. والحق لا يمكن ان يتغير الى باطل أبدا ..

هذا ما أدركه بعض المنصفين من الغربيين كأمثال العالم الباحث (موريس بوكاي) الفرنسى الذى ينقل البنا ان المسيحيين قد بدوا يغيرون موقفهم من الاسلام .. ويعترفون بجديده الاسلام .. وأنه كتاب دين وعلم .. وعلاوة على ذلك بدوا يحترفون بالمظالم التي ارتكبوها ضد الاسلام التي كانت سببا لصد الناس - ومعهم الملاحدة - عن هذا النور العظيم والبرهان الساطع .
فلننقل عنه الجملة الآتية :

شاهد من الفاتيكان

يقول موريس بوكاي :

" لقد صدرت وثيقة من سكرتارية الفاتيكان لشئون غير المسيحيين وعنوانها :
(توجيهات ، لا قامة حوار المسيحيين والمسلمين ..) وترجمتها بالفرنسية :

" أنها وثيقة شديدة الدلالة على الموقف الجديد التي تبنت ازاء الاسلام
 في الطبعة الثالثة - عام ١٩٧٠ - من هذه الدراسة تطالب هذه التوجيهات
 " بمراجعة موقفنا ازاء الاسلام وبنقد أحكامنا المسبقة "
 وفيها أيضا " علينا أن نهتم أولا بأن نغير تدريجيا من عقلية اخواننا
 المسيحيين فذلك يسهم قبل كل شيء ..
 ويجب التخلي (عن الصورة البالية التي ورثنا الماضي اياها أو شوهرتها
 الفريات والأحكام المسبقة ..)
 كما يجب الاعتراف بالمظالم التي ارتكبتها الغرب المسيحي في حق المسلمين ..
 ثم زاد قائلا :

" بهذا الشكل تقوم وثيقة الفاتيكان - التي تحتوى على (مائة وخمسين)
 صفحة تقريبا .. ببسط ودحض نظرات المسيحيين الكلاسيكة عن الاسلام .. " (١)
 " كما أنها تقدم عرضا لما عليه الاسلام في الواقع من تقدم على حضارى وغير
 ذلك .. "

والوثيقة تعالج أخيرا الحكم السابق القائل : " بأن الاسلام دين جامد يبقى
 أتباعه في عصر وسبب بائد .. ويجعلهم غير أهلين للتكيف مع منجزات العصر
 الحديث التقنية "

وهي أيضا تقارن مواقف مماثلة في بعض البلاد المسيحية ، وتعلق " أننا نجد
 في الفكر الاسلامي مبدأ لامكانية تطور المجتمع المدني " (٢)

والكلام عند موريس الى الآن ..

" الواقع أن معرفة ما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ، من وجهة
 النظر هذه ، أمر أساسي .. ولكن الحادث هو أن هناك أجزاء من القرآن وخاصة
 ما كان لها ارتباط بمعطيات العلم ، قد ترجم بشكل سيء أو علق عليها بحيث

(١) راجع كتاب دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، موريس بسوكاي ص ١٣٦

(٢) المرجع السابق ص ١٣٩

يكون من حق العالم أن يدفع وهو على حق في الظاهر . بانتقادات لا يستحقها القرآن في الواقع " . .

" وهناك نقطة جزئية تجدر الإشارة إليها فوراً . . هذه الأخطاء الراجعة إلى الترجمة أو تلك التعليقات المنلوطة . . (١)

وهكذا شهد شاهد من أهله يعلن بكل ثقة لجميع الملاحدة ومعههم المسيحيون : أن الاسلام دين علم وحضارة ولا يتعارض مع التقدم العلمي بل يحرض عليه ويجازي عليه أيضا . .

ثم اختتم موريس بوكاي كلمته بالتصريح التالي :

" وإذا كنت قد توصلت إلى إدراك زيف الأحكام الصادرة عامة في الغرب عن الاسلام فاني مدين بذلك إلى ظروف استثنائية ففي المملكة العربية السعودية نفسها أعطيت عناصر التقويم التي أثبتت لي درجة الخطأ في بلادنا عن الاسلام . . " وسأظل مدينا بالعرفان وبشكل لا حد له للمنفور له جلالة الملك فيصل الذي حسى ذكراه باحترام عميق . .

سيظل محفورا في ذاكرتي دائما أن كان لي الشرف الاثير أن استمع اليه يتحدث عن الاسلام وأن أذكر في حضرته بعض مشاكل تفسير القرآن في ارتباطها مع العلم الحديث . .

ان كوني قد تلقيت معلومات قيمة من جلالاته نفسه ومن حاشيته ليشكل بالنسبة لي امتيازا خاصا . . " (٢)

وبهذا القدر ، نكتفي لبيان انحراف الملحدين في قولهم : ان العلم يتعارض مع الايمان بالله . . .

فقد كذبهم العلم الحديث وكذبهم القرآن ثم أخيرا كذبهم الكاتب الفرنسي (موريس بوكاي) ؟

(١) المرجع السابق ص ١٤٣

(٢) المرجع السابق ص ١٤٣

وبعد هذا ننتقل الى الباب الاخير من هذا البحث وهو آثار الالحاد في
أوروبا الحديثة .. انه بيت القصيد .. حيث فيه يرى الضرر الالحادي في التصور
والسلوك .. وفيه يعتبر من يعتبر .. فيتحرر عن الالحاد ومخالفة أوامر الله ..
وفيه نرى عقوبة الفطرة تقع على الأوربيين الملحدين ..
نراهم يتخبطون في تصوراتهم كلها من السياسة والحكم والأخلاق
والمبادئ والقيم والعلم والعلاقات الدولية وفي كل شيء ..
وفيه نرى تحقيق قوله تعالى :

* من أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ،
فيقول رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال كذلك أتتك آياتي فنسيتها
وكذلك اليوم تنسى * (١)

فما أعظمه من ضنك ! يعيشه الملاحدة في أوروبا الحديثة وفي الأمم
المتحدة كلها ...

الباب الثالث

أثر الالحاد في الحياة الأوربية

الفصل الأول : أثر الالحاد في الفكر الأوربي

الفصل الثاني : أثر الالحاد في الحكم والسياسة

الفصل الثالث : الخمر وعجز القوانين الوضعية

الفصل الرابع : مشكلة العقوبات في القوانين الوضعية

الفصل الخامس : ظهور آثار الالحاد في الدول الكبرى

الفصل السادس : أسباب تدوير الأمم والشعوب

الفصل السابع : عقوبة الفطرة

الفصل الثامن : حضارة لا تلائم الإنسان

الباب الثالث

آثار الاتحاد في الحياة الاوربية

توطئة :

ان حضارة الغرب - كما شاهدناها خلال هذا البحث - حضارة قد أسست حكمتهما النظرية والعملية على قواعد خاطئة .. (١)

وقد جرت فلسفتها وعلومها وأخلاقها واقتصادياتها واجتماعها وسياساتها وقوانينها .. والجملة ، كل ما يتصل بها .. قد جرى كل ذلك من نقطة انطلاق منحرفة .. وبقيت تخطو وترتقى في وجهة غير صحيحة حتى انتهى الى مرحلة ترى منها نهاية هذه الحضارة هي الهلاك .. (٢)

* * *

ونتيجة فساد اعتقاد اوروبا فقد انحزلت عن كل معنى اخلاقي فسادت (الميكانيكية) في السياسة (حيث الغاية تبرر الوسيلة) والاثرة تظهر في الاقتصاد بما سموه (الانسان الاقتصادي) .. (٣)

والاباحية في الاخلاق بسيادة التحليل الجنسي لفرويد اليهودي ..

ان الانسان المحاصر قد سلم قيادة للغريزة الجنسية حين قصر غاياته في الاشباع المادي فصار أضل من الانعام .

ذلك ان الحيوان ينظم غريزته تلقائيا .. اما الانسان العاقل الاوربي المحاصر الذي يحيش في فراغ دون امل نرى عقله يسير بغريزته الى الحسد الذي يتلف النفس والجسم معا ...

(١) مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام يوسف كمال محمد سنة

١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م

(٢) راجع ايضا النحلة تسبيح الله تاليف محمد حسن الحمصي ص ١٩٨ ط الرابعة

١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .. انظر ايضا (حقوق الانسان في الاسلام) مجمع البحوث

الاسلامية ص ٤٣ سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م وانظر المجتمع ر.م. ما كيفر وزميله ،

ت علي احمد عيسى ، مصر ١٩٦١م ص ١١١ - ١١٢

(٣) نظم الحكم الحديثة في ميشيل ستيفوارت ت احمد كامل ، القاهرة ١٩٦٢م

نعم ! لقد غاص الانسان في اعماق المحيطات ، وطار في اجواء
الفضاء وفجر الذرة ولمس القمر ودار حول الارض مرات وكرات ...
ولكن صخب الالة ونذير الحرب والصراع على المادة قد اثف حياته .. وصارت
روحه مسجونة في جسده .. (١)

الغريب ان هذا العالم الفنى بكل هذه التسهيلات المادية ولكنه
لا يستطيع ان يعيش في سلام ..

وهذا الانسان الذكى يحطم نفسه بالصراع ..
وقد اصبح العلم والرفاهية من اكبر اسباب الشقاء والضباع للانسان (٢)

* * *

لقد استخدم الطاقة من النار ...
ثم ارتقى بها الى الكهرباء ووصل الى ذروتها بالذرة ..
ثم سكن القصور وتفنن في الماكل والملبس ..
الا انه لا يحسن بالسعادة في نفسه ..
ولا بالامن في وطنه ..
ولا بالسلام في عالمه ..
بل صار خائفا يترقب ..

ماذا يترقب ؟

يترقب حربا تدمره تدميرا ..

لماذا كل تلك الويلات ؟

لأنه ابتعد عن ربه .. والحد فيه .. وانكر الغيبيات (٣)

(١) النحلة تسبح الله محمد حسن الحمصي ص ١٩٨

(٢) هزيمة الشيوعية في عالم الاسلام انوار الجندي ص ١٢٩

(٣) يقول هكسلي^(١) : " اني لا افهم اذا صح وجود حياة اخرى تحياها النفوس كيف
لا نستطيع ان نجد سبيلا الى استكشاف هذه الحياة . فلاشيء ما يتصل بالانسان
يمكن ان يتوارى عن الانسان " راجع الطاقة الروحية لبرجنسون هنرى ت ، سامي
الدويبي ، بيروت ١٩٦٣ م

وأراد ان يقيم حياته بجهد فقط ..

فلذلك كان نصيبه المعيشة الضئيلة ..

* ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضئيلة * الآية ١٢٤ في سورة طه

وسنرى في الصفحات الآتية اننا الان على ابواب حرب القاء التي لا تذر

شيئا أتت عليه الا جعلته كالرميم ..

ولم يعد للذكاء الانساني طريق النيوغ سوى التفتن في ابتكار الات الهلاك ..

في الوقت الذي تظهر فيه جميع الدول - في الأمم المتحدة - اشتمازها من

الحرب (١) نجدها تتسابق في الاستعداد لها تسابقا يستنفذ اكبر قدر من

مواردها ومجهودها ..

كل هذا وكثير من البشر يعانون من الفقر والمرض ولا يجدون ما يسد رمقهم

او يشفى غلتهم *

فهل هذه المدنية تليق بالكرامة الانسانية ؟

الجواب لا ! وانما هي اثر من آثار الالحاد ..

* * *

أين موضع الداء

ومن يلق نظرة فاحصة الى هذه الحضارة عن كثب بل عن كثب ايضا يجد ان

هناك سلسلة من الفساد لا تنتهي قد اصبحت تخرج من شجرة الحضارة نفسها ..

وان هذه الام قد أعيل صبرها على هذا العذاب فقلوبها مضطربة ، وارواحها

غير مطمئنة .. ولكنها لا تدري اين موضع الداء في جسمها ..

تجد الاكثرية من هؤلاء الملاحدة تظن - خطأ - ان منبع تلك المفسد

والالام هو في الفروع .. فروع هذه الشجرة الالحادية الخبيثة .. فلا يزالون

يضيعون اوقاتهم ومسابغهم في معالجة الفروع .. الفروع فقط .. ولكنهم لا يدركون

ان الفساد كله في اصلها وجذورها .. وان الأصل في نشأة فرع صالح من اصل فاسد

حماقة وجنون ...

(١) راجع كتاب الأمم المتحدة وموازن القوى المتحولة في الجمعية العامة كميلا داغريه ٤٠

وصدق الله تعالى * ألم تركيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون * * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار * (سورة الأبراهيم الآيات ٢٥ - ٢٦) .

فئة أدركت موضع الداء وليس عندها دواء

وهناك بجانب آخر فئة قليلة من اصحاء العقول كأمثال (الدكتور الكسيس كاريل) (١) قد أدركوا أن الأصل من شجرة حضارتهم ، هو الفاسد - كما نرى تفاصيل ذلك فيها بعد - ولكنهم لما نشؤوا في ظلال هذه الشجرة المملونة .. وتفذت أجسامهم بثمارها يكادون لا يفهمون أي شيء يستبدلونه بهذا الأصل الفاسد ..

ولا يعرفون أيضا أن الأصل الصالح هو الذي تتفرع منه أغصان وأوراق صالحة ..

وعلى هذا كله تتساوى حال الفئتين :

فكل أولئك يتطالبون شيئا يشفى أنفسهم ولكنهم لا يعلمون ما هو الشيء المطلوب .. وابن بوجد .. ؟؟

هذه هي المأساة التي تعيش فيها الدول الموحدة اليوم ..

* * *

وقد ظهرت هذه المأساة وذلك التدمير في مظاهرتي ..

(١) الإنسان ذلك المجهول اليكسيس كاريل ت شفيق اسعد فريد ، بيروت ص ٣٠٦ - ٣٠٧ فهو يقول : " هناك غلطة أخرى تعزى إلى اضطراب الآراء فيما يتعلق بالإنسان والفرد .. تلك هي المساواة الديمقراطية .. إن هذا المذهب يتهاوى الآن تحت ضربات تجارب الشعوب .. ومن ثم فإنه ليس من الضروري التمسك بزيفه " راجع الصفحات المذكورة آنفا .

لعلنا يحسن بنا ان نكشف عن اهم عناصر هذا التدمير في اختصار شديد مراعاة

لحجم هذه الرسالة ومدتها ..

(اولا) - الالحاد والفكر الاوربي

(ثانيا) - فصل السياسة عن الدين وعجز القوانين الوضعية ..

(ثالثا) - ظهور النتائج الالحادية في الدول الكبرى التي اخذت نصيبا وافرا ..

(رابعا) - عقوبة الفطرة .. فهي حضارة لا تناسب الانسان ..

واليك توضيحا لكل من ذلك .

الفصل الأول

أثر الاتحاد في الفكر الأوربي

وارجوع سريع الى التاريخ الحديث الاوربي نجد ان الفكر الحديث لحضارة الغرب للمادية ، افتتحه فيلسوفان شهيران :

(أولهما) - ديكارت . . واضح منهج البحث الاستنباطي . . ومن ورائه اتباعه الفرنسيون والالمان وغيرهم . .

(ثانيهما) - فرنسيس بيكون واضح منهج التجريبي . . ومن ورائه المدرسة الانجليزية . .

وقد لاحظ المؤرخون التشابه بين ديكارت وبيكون في ربط الفلسفة بالحياة العملية . فالغاية من الفلسفة ليس مجرد العلم كما ذهب أرسطو وإنما تحقيق رفاهية البشر . .

فكان هذا بداية فصل العلم عن الدين .

* * *

فالفلسفة العقلية - وان بدأت بتمجيد العقل والاشادة بسلطانه الا

أنها كانت كفلسفة التجريبيين في اتصالها بالحياة العملية . . (١)

يؤكد ذلك الكاتب (كرين برنتن) في كتابه القيم افكار ورجال

بمايلي : " ولكن توضيح الامر ينبغي ان يظهر لنا مدى انصراف العقل الكامل

عن العقيدة المسيحية " وقال : " ان دفعة المذهب العقلي تتجه بعيدا عن

المسيحية . . والعقل يميل الى القول بان المعقول هو الطبيعي وانه " ليس هناك

ما هو فوق الطبيعة " . . وليس في نظامه مكان للاله الشخصي ، وليس هناك

مجال في عقله للاستسلام الصوفي للإيمان . . "

اذن فالمذهب العقلي يميل ان يبعد الله وما ليس بالطبيعي من الكون

. . فلا بد اذن من التوسع في الموضوع .

(١) افكار ورجال تأليف كرين برنتن ت : محمود محمود ص ٤١٩ القاهرة ، نيويورك

(وجاء ديكارت)

ان ديكارت الفرنسي - وان كان ينتسب الى الايمان بالله - ولكن اول
عبارة نادى بها هي " العقل اعدل الاشياء قسمة بين الناس " (١) وكان
هذا نداء الى فصل الدين عن العقل .

فلذلك اسس ديكارت الوجود على الفكر على حساب الاديان كلها .
فقال : " انا مفكر فانا - اذن - موجود " (Je pense Donc Je Suis)
من هنا بدأ الالحاد يشق طريقه الى الامام في الفكر الاوربي . (٢) لماذا ؟
لانّه جعل العقل الانساني رمزا لحرية الانسان تجاه الكنيسة .

(٢) (ثم جاء كانت)

أما كانت فقد ذهب الى ابعد من ذلك لانه رأى ان وجود الله من
المسائل الشائكة (او من النقائص) التي لا يستطيع المرء ان يقطع فيها
برأى لانه ليس من عالم الظواهر التي ينبغى للفيلسوف ان يحصر نفسه
فيه .

ومعنى ذلك ان كانت لم يكن مؤمنا بالله حق الايمان لانه يدعى انه
لا يستطيع احد ان يجزم بوجوده عن طريق العقل .

* * *

(٣)
وظهر الفيلسوف (كومت) (Compté) في القرن التاسع عشر
سنة ١٧٩٨ م - ١٨٥٧ م فأسس المذهب الوضعي (positivisme)
وهي فلسفة لا تعتبر شيئا حقيقيا واقعيا الا ذلك الموضوع الوضعي الذي جاء
اثر التجارب الحسية وامكن اختباره بالحس وكان معنى هذا اخراج الافكار الروحية
والخيرية من اى نظرة كما الحياة حيث الطبيعة هي المصدر الوحيد وما وراءه وهم وخيال .
ان هذا - لا شك - تقدم ملموس في سبيل الالحاد .

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ليو سف كرم ص ٥٦

(٢) العلم والدين في الفلسفة المعاصرة اميل بوتروا ت : احمد فؤاد الاهواني
مصر ١٩٢٣ م

(مقاومة فرنسيس بيكون للسلطة الدينية)

وكان اثر " بيكون " كبيرا اذ اندفعت اوربا وراءه تثق بالعلم ولا تؤمن
الا بالتجربة . (١)

وبدأت هذه النزعة الواقعية في اول امورها عند فرنسيس بيكون سنة ١٦٢٦ م
فحارب السلطة الدينية - باسم البحث العلمي - في مختلف صورها . . . واعتبر التجربة
مصدر كل شيء ومعينه الذي لا يفيض . . . وابعد سلطان الثقل عن مجال
البحث العلمي ومعنى ذلك كان يزعم انه يؤمن بالله ولذا يقول :
" ان القليل من الفلسفة يميل بصاحبه الى الالحاد . . . ولكن التعمق
في دراستها ينتهي بالعقل الى الايمان به . . . "

ومع ذلك نجده مرة اخرى يعارض بالعلم الحديث ، منطق ارسطو
الذي كان يسود في اوربا آنذاك فوضع اساس المنهج التجريبي الحديث . . .
ثم نجده ايضا يرفض رفضا باتا ان يسخر العلم لخدمة الدين . . . واعتبر هدف
النظر العقلي فيهم الطبيعة لاستغلالها والافادة منها في دنيانا الحاضرة . . . عن
طريق دراستها دراسة قائمة على المشاهدة والاستقراء التجريبي . (٢)

وبذلك انفصل العلم عن الدين . . .

واصبحت اوربا تقاوم السلطة الدينية . . . ونشأت فيها سلسلة من الجمعيات
العلمية للبحث التجريبي كلها تقوم على رفض السلطة الدينية . . . وكان من اظهر
هذه الجمعيات :

مدرسة الطبيعيين الفلورنسيين عام ١٦٥٧ م

والجمعية المالكية في لندن عام ١٦٤٥ م . . . وكان من رجالها (نيوتن) صاحب
الجاذبية .

وتلتها اكااديمية العلوم في فرنسا عام ١٦٦٦ م

ثم الاكاديمية دل شمنتوه في ايطاليا (٣) (Academie Del
Cemento)

- (١) قصة الفلسفة تاليف (ويل ديورانت) ت احمد الشيباني ص ١١ لا المكتبة الاهلية بيروت
(٢) قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص ٢٠٤ توفيق الطويل ط ٢ مصر راجع ايضا سلسلة
تراث الانسانية ، مجموعة من الاساتذة ، الهيئة العامة للكتاب ج ٢ انظر عن بيكون
(٣) المرجع السابق ص ٢٠٥ وراجع ايضا افكار ورجال (برنتن) ص ٤٢٢ و ص ٤٢٩

وشاع انشاء مثل هذه الجمعيات في اوروبا كلها . وعلى نظمها نشأت مراد

باريس عام ١٦٦٧م وجرينتش علم ١٦٧٧م (٤)

وكانت هذه كلها معسكرات معادية للكنيسة وجميع الافكار الدينية وان لم تعلن ذلك . .
وقضوا ثلاثة قرون وهم يحطمون في بطل ما ورد في المسيحية من تعاليم . . وما ترد
بصدر الوحي من " مزاعم " .

وقد تكفل اصحاب هذه المصانع بالدفاع عن المنطق واستخدامه في تفسير
كل ما يعرض لهم من ظواهر ولو كان في صميم العقيدة الدينية . . فكانوا على
هذا التمرد المتطور حتى جاء اليوم الذي ظهر الملحد الحاتي للوجود (هيوم)
فزاد الطين بلة . . . فكان شرا مستطيرا على الكتب المقدسة . . وشرا على القائمين
بأمرها . .

(٥)
وبهذا انزل الكثيرون في اوروبا الى مهاوى الالحاد . . فانكر (هيوم)
وجود الله اطلاقا فقال كلمته المشهورة :

" لقد رأينا الساعات تصنع في المصانع ، ولكننا لم نر الكون وهو يصنع
فكيف نسلم بان له صانعا ؟ " (١)

فصاروا يستدلون لالحادهم بالتطور العلمي الذي جلى للانسان . . ولم
يكن على علم باسباب الشروق والغروب . . فلذا زعم ان هناك قوة فوق الطبيعة
تجعلها تشرق وتغرب . .

وها قد عرفنا - على حد زعمهم - اليوم ان شروق الشمس وغروبها يحدث
با لدوران الارض حول نفسها . . وبهذا انتهت ضرورة القول بهذه الطاقة تلقائيا
بعدما عرفنا الاسباب المؤدية الى هذه الحركة الكونية :

" فاذا كان قوس قزح مظهرها لانكسار اشعة الشمس على المطر . . فماذا
بدعونا الى القول بانها اية الله في السماء . . (٢)

(١) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٣٥ نقلا عن كتاب :

(٢) المرجع السابق ص ٣٥

وراجع ايضا اثر العلم في المجتمع برتراند رسل ت : تمام حسان مصر ص ٦

من اجل هذا كله ، وغيره قال هكسلى :

" اذا كانت الحوادث تصدر عن قولنين طبيعية فلا ينبغي نسبها الى

اسباب فوق الطبيعة " (١) وزاد قائلا :

" فالدين نتيجة لتعامل خاص بين الانسان وبيئته " (٢) ويقول ايضا :

" ان هذه البيئة قد فات اوانها او كاد ، وقد كانت هي المسؤولة

عن هذا التعامل فاما بعد فنائها وانتهى التعامل معها فلا داعي للدين .. "

ويضيف : " لقد انتهت العقيدة الى اخر نقطة تفيدنا .. وهي

لا تستطيع ان تقبل الان اية تطورات .

لقد اخترع الانسان قوة ما وراة الطبيعة لتحمل عبء الدين ، جاء

بالسحر ثم بالعمليات الروحية ثم العقيدة الالهية حتى اخترع فكرة (الاله الواحد) .

" لقد وصل الدين بهذه التطورات الى اخر مراحل حياته .. ولا شك ان هذه

العقيدة كانت في وقت ما جزءا مفيدا من حضارتنا .. بيد ان هذه الاجزاء قد فقدت

اليوم ضرورتها ومدى افادتها للمجتمع المحاضر المتطور .. "

ثم جاء البيان الشيوعي ليكمل هذا التطور الالحادي فقال :

" ان الدستور والاخلاق والدين كلها خدعة البورجوازية وهي تستر وراءها

من اجل اطاعتها .. "

ويقول فيلسوف الشيوعية انجلز :

" ان كل القيم الاخلاقية هي في تحليلها الاخير من خلق الظروف الاقتصادية " .

(١) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٣٦ ، ينقله عن كتاب :

Religion Without Revelation, N.Y, 1958 P.58

(٢) نقلا عن كتاب الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٣٨ و ص ٣٩

هذه كانت قضية الملاحدة ... لقد أصبح الالهة سائدا في جنب

افكارهم ...

تارة يعبرون عنه بالعلمانية ...

ومرة بالحضارة ...

وطورا بالتقدم ...

وحينا بالوجودية ...

واحيانا بالانسانية ...

ومرات بالتطور المطلق ... وغير ذلك من الاسماء البراقة ولكنها في

نفس الوقت (١) هي كلمات اريد بها الباطل ...

وتلك بعض اثار الالهة في الفكر الاوربي ...

* * *

ومنتيجة فساد اعتقاد اوربا اختلت عندهم الموازين وقد استحكمت بها

الهواء والشهوات واضطربت فيها الحقائق فاشتبه الحق بالباطل والسبب في

ذلك انه عندما يعلن العالم اكتشافا يقلب المعتقدات الدينية السائدة رأسا

على عقب ... فلا غرابة - اذن - ان تضطرب الحقائق بالباطل هناك (٢) .

يقول " سول " : " صار لزاما على الذين نبذوا الايمان بالله كلية ان يبحثوا عن

بديل لذلك فوجدوه في الطبيعة " (٣)

و كتب الفكر الغربي تسمى ذلك العصر عصر تأليه الطبيعة أو عبادة

الطبيعة ... و ليست هذه العبارات مجازا بل هي مستعملة على الحقيقة

تماما فكل صفات الله التي حرقها الناس عن المسيحية نقلها فلاسفة الطبيعة

الى النسيم الجديد ، مع فارق كبير بين الالهين في نظرهم ...

(١) راجع كتاب افكار ورجال (كرين برنتن) ص ٤٢٢ - ٤٢٣

(٢) المرجع السابق ص ٤٢٧

(٣) المذاهب الاقتصادية الكبرى ، جورج سول ، ترجمة راشد البراوي مصر ١٩٦٥م

وسنرى بعض ذلك في فصل الالحاد واثره في الاخلاق الاوربية (١) ان شاء الله تعالى .

* * *

ومعد هذا ننتقل بالقارئ فوراً الى اثار الالحاد في السياسة والحكم لنرى هناك كيف تم الفصل النكد بين الدين والحكم . . وكيف اصبحت هذه القوانين الوضعية بعد استقلالها عاجزة عن تلبية متطلبات الحياة . . وكيف صار الناس ضحية لهذه القوانين المصطنعة . . الى هناك . .

وقفه قلبه مع رواد الفكر الاوربي

وقبل ان ننتقل الى اثار الالحاد في السياسة والحكم ، نود ان نتوقف هنا قليلاً عند رواد المدنية الاوربية المعاصرة . .

دارون ، وماركس ، وفرويد و دوركهايم . . .

فيعتبر دارون - كما مر ذلك بنا مراراً - اهمهم حيث ابتكر نظريته في التطور المصنوع واصل الانواع تتلاءم مع الاتجاه الالحادي الذي غزا اوربا . . . فغير وجه التاريخ الاوربي بقوله : " ان الانسان حيوان متراقباً من الـ Ameba " . .

ومعد ما اعتبر الناس انفسهم حيواناً ، غابت عن حسيهم الكرامة الانسانية وتفردت في هذا الوجود . . . فانتشر الانحلال الخلقي والتفرد . .

(١) نوءد دائماً ان المسئول بهذا الالحاد هو الكنيسة لا أول وهلة لقيامها بحماقات كثيرة منها : انها قاومت رئيس بلدية في المانيا لانه اخترع غاز الاستصباح بحجة ان الله خلق الليل ليلاً والنهار نهاراً . . وهو بمخترعه يريد تخيير مشيئة الخالق فيجعل الليل نهاراً . . راجع محاضرات الموسم الثقافي بالكويت ٢٧٥/١ ، حكمت هاشم ، الكويت ١٩٧٦ م

و (فرويد) قد تحدثنا عنه مرة في مذهب اللاشعور ، كما تحدثنا عنه في تفسيره السلوك الانساني على اساس الفريضة الجنسية . .
ان هذا اليهودي قد جعل الجنس هو المحرك الاول والدافع الاصيل للانسانية ويشمل هذا التفسير الفرد والجماعة والاخلاق والدين والفن والفكر . .

فكان هو من اسباب تدهور الاخلاق في اوربا الحديثة . .
وأما (دوركايم) قد رأينا انه يرى ان الدين ليس فطريا في الانسان و يحصل ذلك من العقل الجمعي الذي اخترعه من بنات افكاره . فصار الناس كلما يتعمقون في دراسة العقل الجمعي يعتمدون عن الايمان . . وبهذا ساهم في عزل الدين عن المجتمع . .

وأكمل (ماركس) الحلقة في العلوم الاجتماعية والاقتصادية فرسم حلقة التطور الاجتماعي على انه لا يحركها سوى الاشباع المادي وان ادوات الانتاج هي التي تطورت بالانسان . . (١)

فكان هو اول من أسس دولة الحادية صرفة بحبل من اليهود ومن الملاحدة . .

(١) راجع بالتوسع كتاب مستقبل الحضارة بين الملمانية والشيوعية والاسلام ، يوسف كمال محمد ص ١٦

وراجع (فرويد و افلوف) هاري ويلز ت : شوقي جلال ، مصر
وراجع الموجز في التحليل النفسي سيجموند فرويد ، أحمد زكي ، مصر
١٩٦٣ م ص ٦٦

الاحاد والدولتان العظيمتان

في الوقت الراهن ^{يبلغ} الاحاد بين الناس الى اختراع مذهب الحادى جديد
في امريكا سموه " البراجماتزم " .. (6)

هذا المذهب الذى يقول بأن الفكرة لا تكون فكرة الا اذا كان فيها ما يدل
على نوع السلوك الناجح والا فهي وهم ..

فبدلنا من الحكم على المعنى بالرجوع الى اصوله او بالاستدلال من مبادئ
أولية ثابتة اخضع (وليم جيمس) صاحب المذهب المعنى الفكرة للأشياء ..
كما يسمون ذلك ايضا بالمذهب العملى ..

فالماركسية الشيوعية والبراجماتية هما القطبان اللذان يجذبان اليهما
مستقبل المدنية الاوربية في العصر الحديث ..

* * *

وبهذه الرؤية ادركنا مدى تأثير الاحاد في الأمم الاوربية
وما اشتق منها من امريكا وروسيا ..

وبعد هذا لا يشك احد في ان اوربا دولة الحادية محضة (٢) ولا
ينخدع ببعض مظاهر الكنيسة هناك .. كما لا ينخدع ايضا بنشاطات الفاتيكان
السياسية .. وذلك ان المسيحية الحالية تعجز تماما عن ان تكون قوى
محركة للمجتمع .. (١)

وسنرى مصداق ذلك في الصفحات الآتية

(١) راجع اساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامي : د . على محمد جريشة - محمد شريف
الزبيد ص ٨

(٢) يقول (كرسون) : ذهب بعضهم في الانكار الى ابعد حد انهم يدعوننا حتى
الى حذف اسم الله نفسه وفي هذا يقول (دولباخ)
" ان عقيدة الله المأثور نسيج من المتناقضات ، ان فكرة الله هي الضلالة المشتركة
للنوع الانساني "

راجع المشكلة الاخلاقية ، تأليف (كرسون) ت عبد الحليم حمود ط ٢ القاهرة

الفصل الثاني

اثر الالحاد في الحكم والسياسة

فالذي لا شك فيه ان فصل الدين عن الحكم والسياسة ، كان موجودا بالفعل اي ان نوعا من العلمانية الموضوعية كان يسود الحياة الاوربية طيلة القرون الوسطى ..

وذلك ان الشريعة المسيحية لم تطبق في عالم الواقع .. ولما جاء عصر التنوير قام الملاحدة للقضاء على البقية الباقية ، فلندع الكلام للشيخ ابي الحسن الندوي ليوضح لنا هذه النقطة بالذات :

* * *

" لم تكن المسيحية في يوم من الايام من التفصيل والوضوح ومعالجة مسائل الانسان بحيث تقوم عليه حضارة ، او تسير في ضوئه دولة ، ولكن كان فيها اشارة من تعاليم المسيح ، وعليها مسحة من دين التوحيد البسيط ، فجاء بولس فطمس نورها وطعمها بخرافات الجاهلية التي انتقل منها ، والوثنية التي نشأ عليها ، وقضى قسطنطين على البقية الباقية ، حتى اصبحت النصرانية مزيجا من الخرافات اليونانية والوثنية والرومية والافلاطونية المصرية والرهبانية ..

" اضمحلت في جنبها تعاليم المسيح البسيطة كما تتلاشى القطرة في اليم ، وعادت نسبها خشيعة من معتقدات وتقاليد لا تغذى الروح ، ولا تمد العقل ولا تشمل الفاعلية ، ولا تحل معضلات الحياة ولا تنير السبيل .. "

وزاد سال (Sal) مترجم القرآن الى الانكليزية عن نصارى القرن السادس عشر يقول : " واسرف المسيحيون في عبادة القديسين والصور المسيحية حتى فاقوا في ذلك الكاثوليك " في هذا العصر " (٢)

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ابو الحسن الندوي ص ٢٨

(٢)

نقلا عن الكتاب السابق ص ٢٨

وراجع ايضا البداية او النهاية ، مارلي تشايلد وزميله ٦ ، ١٢٧

وليس غريباً ان نجد (مكيا فيلي) ينادى - اول مرة - بصراحة
الى استبعاد الدين وعزله عن الحياة .. وعن المجتمع الانساني كله .. فلا بد من
توضيح ذلك !

أول دعوة الى فصل الدين عن الحكم والسياسة

- ان (مكيا فيلي) هو اول من تبني دعوة علمانية ذاتية .. والى عزل الشئون
الاجتماعية بكاملها عن فكرة الدين .. فسمى هذا الاتجاه الجديد (بالمكيا فيلية)
فهو منهج عملي للحكم ، تقوم - كما رسمها واضعها في (الأمير) على ثلاثة
اسس متألزمة مستمدة من تصور لا ديني صرف هي :
- ١ - الاعتقاد بان الانسان شرير بطبعه .. وان رغبته في الخير مصطنعة يفتعلها
لتحقيق غرض نفسي بحت ..
 - وما دامت تلك هي طبيعته المتأصلة فلا حرج عليه ولا لم اذا انساق وراءها .
 - ٢ - الفصل التام بين السياسة وبين الدين والاخلاق .. و فرق (مكيا فيلي) تمام
التفريق بين دراسة السياسة ودراسة الشئون الاخلاقية .. وأكد عدم وجود ربط بينهما ..
 - ٣ - ان الناية تبرر الوسيلة .. وهذه هي القاعدة العملية التي وضعها مكيا فيلي
بديلاً عن القواعد الدينية والاخلاقية . ولذلك فان لها عنده تفسيراً خاصاً .. (٣)

-
- (١) انظر الأمير ص ٢٤٤ فاروق سعد مطبوع مع الفكر السياسي قبل الامير ومعه عام ١٩٧٥ م
(٢) الأمير : السابقة ص ٣٥ .. راجع ايضا تاريخ النظرية السياسية الفصل الثاني
والجد بر بالذكر انه قد سبق دعوة مكيا فيلي نظريات كثيرة كلها تنادى الى فصل
الدين عن السياسة ومن ذلك النظرية الخيالية : ومن نماذج جمهورية افلاطون
راجع كتاب النظرية الخيالية ترجمة حنا خباز وراجع ايضا سلسلة تراث الانسانية
(لونيبيلا) ٣٨٤ / ١

ومن ذلك ايضا النظرية الاجتماعية لأرسطو راجع تاريخ علم الاجتماع (جاستون
بوتول) ص ٩ وكذلك نظرية (الحق الالهي) راجع : مدخل الى علم السياسة
ص ٢٦ -

وقال مكيا فيبيلي ان الدولة غايبة بذاتها ولا داعي للخوض فيما وراء ذلك .. أي ليست الغاية هي المثل العليا كما يقول الفلاسفة ، وليست هي تنفيذ القانون الالهي كما يقول المؤمنون

وفي سبيل تحقيق هذه الغاية لا مانع من سلوك أي سبيل يوصل اليها واستخدام أية وسيلة من شأنها تسهيل ذلك مهما وصفت تلك السبل والوسائل باتمها غير اخلاقية ومهما تنافت مع الدين ومنهجه فـ في السلوك .. (١)

تلك صورة موجزة للمكيا فيبيلية كما ظهرت في عصر النهضة ..
فلا شك ان ذلك أثر من الاثار اللاحادية

(١) ان هذه الفكرة مأخوذة - بلا شك - من الفكر اليهودي التلمودي . قد مر بنا انهم قالوا في بروتوكولاتهم (ان الغاية تبرر الوسيلة) كما قالوا في تلمودهم ما يلي :

" تتميز ارواح اليهود عن باقي الارواح بانها جزء من الله كما ان الابن جزء من والده " فهم شعب الله المختار " أما غيرهم فيقول عنهم التلمود : " الخارج عن دين اليهود حيوان فسمه كلبا او حمارا او خنزيرا .. والنطفة التي هو منها هي نطفة حيوان " راجع (الكنز المرصود في قواعد التلمود) د . روهلنج وزمبله ت : يوسف حنا نصر الله بيروت

مظاهر الالحاد في المذاهب الجديدة

ان هذه الحضارة الحديثة ، الى جانب ما حققت من خطوات تقدمت فيها البشرية تقدما رائعا في مجالات الاكتشاف والبحث العلمي والصناعة الالوية ، ووسائل المهربش الرغيد ، وتعميم المنافع و " المساواة " بين مختلف الطبقات ...

رغم كل ذلك قد اقترنت هذه الحضارة بنقائص أساسية ومساوى فاضحة أبرزها : (١)

التنافس الاستعماري والصراع بين الاتوام وظلم الطبقات والافراد بعضهم لبعض .. وغلبة الاثرة .. والاهداف المادية على الناس افرادا وجماعات ... وضعف التوازن الخلقي والضميرى . وتزعزع القيم واضطراب المقائد والقلق الروحى واهمال المواهب والملكات الروحبة في الانسان ... وتسخير العلم لغايات مادية غير اخلاقية (٢) وحصر الاصلاح الاجتماعى حين يكون اصالح ، بالنواحى الاقتصادية وحدها .. وبالجمله دون النهايات والاهداف ...

كل ذلك لسبب اساسى هو ان هذه الحضارة قامت على الالحاد .. الالحاد فقط .. فلذا لم تركز على تصور صحيح ، - لحقيقة الكون - وحقيقة الانسان - وحقيقة الحياة فاهملت في الانسان مواهبه الروحبة .. كما اهتمت صلة الانسان بخالق الكون وجمدت وتنكرت مسئولية الانسان امامه ..

(١) راجع كتاب الفكر الاسلامى الحديث في مواجهة الافكار الغربية ، محمد المبارك

ص ٤٤ - ٤٥ ط الثانية ١٩٧٠ - ١٣٨٩ هـ

وانظر ايضا مقدمة مبادئ الاسلام للمودودى وفصل لا اله الا الله منهج حياة

من معالم في الطريق

وانظر ايضا السبيل الى عالم افضل كارل بيكر ، ت : عبدالعزيز اسماء بل القاهرة ١٩٤٨ م

ص ٧٢

(٢) الصنم الذى هو ، ستة من كبار الغرب ، ترجمة فؤاد حمودة ، المكتب الاسلامى

١٩٦٠ م ص ٩٠

وكانت نتائج انهيار العقائد والقيم الخلقية والروحية انفسح المجال لظهور مذاهب جديدة في العقيدة والاخلاق والسياسة تحل محلها . وكانت المذاهب المادية والعلمية والاشتراكية والديمقراطية والقومية وغيرها . . (١)

ومن مظاهر هذا الالحاد الفريد الاعتزاز بالقوة المادية في المال وتقدير الناس على اساس الثراء والحياة والعصبية . . والسخرية من المؤ منين الضعفاء . . وغير ذلك . . (٢) (٣)

* * *

ولا سمحنا ان ننتقل الى الجزء التالي حتى نشير الى هذه الدعاوى الفارغة التي يزين بها الملاحدة حضارتهم هذه ، بانها حضارة الحرية والديمقراطية التي تحقق للبشرية المساواة والسلام الدوليين . .

المساواة الفارغــــــــــــة

نود هنا ان نبين للناس ان هذه المساواة التي تتزين بها هذه الدول الملاحدة ، انها دعاوى فارغة واستهزاء بحقول الناس . ان ذلك يظهر لنا من ناحيتين :

- (١) اقوال بعض الغربيين
- (٢) فتح سوق لبيع العبيد السود .
- واليك فكرة موجزة عن كل منهما :

- (١) الفكر الاسلامي الحديث في مواجهة الفكر الغربي محمد المبارك ص ٤٤
- (٢) الدين والدولة ، الدكتور محمد البهي ص ٦١
- (٣) راجع كتاب مدخل الى علم السياسة (هارولد لاسكي) ت : عز الدين محمد البهي مصر ١٣٩٥ هـ

وتاريخ العالم ، جمع جون أ . هامرتن ، ت : ادارة الترجمة مصر ج ٤
في هذين الكتابين نجد (لاسكي) يعيب النظريات السياسية الاوربية قديمها وحديثها وينقد الديمقراطية نقدا لا ذعا الا انه تربى في ظل هذا الحكم المادي ما استطاع ان يدل على نظرية سياسية عادلة . .

أولا - اوروبيون ينقضون هذه الديمقراطية المنحرفة :

ان المتأمل في هذه الدول الديمقراطية في العصر الحديث ، يجد انها ترفع صوتها بين الجماهير والعوام :

- الحرية ! - المساواة ! - الأخوة !

ولكنها في نفس الوقت اكبر عدو من اعداء الحرية والمساواة والاخوة . . بل انها هي التي حالت - ولم - تزل - تحول بين الناس وبين الحرية الحقيقية واذا اردنا مصداق ذلك فلنستمع الى التصريحات التالية : يقول (لاسكي) (١)

" ان الدولة (الديمقراطية) تبذل الكثير في سبيل تحقيق المساواة بين المواطنين فيها تمنحهم من ضمانات . . كما تتجه اوامرها القانونية الى حماية الملكية القائمة للامتيازات اكثر مما تعمل على توسيع نطاقها .

" فانقسام المجتمع الى فقراء واغنياء يجعل اوامر الدولة تعمل لصالح الاغنياء ان نفوذهم برغم (نواب الدولة) ودى السلطة فيها على ان يكون لرغباتهم الاعتبار الاول . .

" وتعتبر الدولة عن رغبات اولئك الذين يسيطرون على النظام الاقتصادي . . فالنظام القانوني بمثابة قناع تختفي وراءه مصلحة اقتصادية مهيمنة لتضمن الاستفادة من النفوذ السياسي .

" فالدولة اثناء ممارستها لسلطتها لا تعمل الى تحقيق العدالة العامة او المنفعة العامة وانما تعمل على تحقيق المصلحة للطبقة المسيطرة في المجتمع بأوسع معاني هذه المصلحة . . (٢)

(١) مدخل الى علم السياسة ص ٨٥ تاليف (هارولد لاسكي) ت : راشد البراري مصر ١٩٦٥ م

(٢) لوراجعت كتاب تاريخ البشرية تجد ان الشيوعية تدعي انها شكل سياسي لمجتمع اشتراكي قائم على الملكية العامة لوسائل الانتاج مخطط ومتحرر من الاستغلال " ولكنها كلها كلمات جوفاء . . تاليف منظمة اليونسكو ت : عثمان نوية وزملاؤه ، مصر ١٩٧١ م

والكلام ما زال مع (لاسكى)

ان الحرية والمساواة اللتين حصلنا عليهما كانتا اولاً وقبل كل شئ " حرية ومساواة
لمالك الثروة .. (١)

" والامثلة الواقعية على ذلك واضحة للعيان ولعلها في الحرب التي
خاضها وتخوضها الولايات المتحدة اصرح دليل على خضوع السياسة الديمقراطية
لضغط الطبقة المحتكرة .. (١)

فالحرب العالمية الاولى وكذلك الحرب الثانية ثم حرب (فيتنام) كلها
دخلتها (امريكا) دون ان يكون لها مصلحة مباشرة او يتعرض أمنها القومي
للخطر وبغض النظر عن دوافعها ونتائجها .. كان الشعب الامريكى يرفض تدخل
حكومته في هذه الحرب وكانت المظاهرات الصاخبة احتجاجاً على ضياع الأرواح
والأموال فيما لا جدوى منه ..

" لكن الدابقة الرأسمالية التي تملك مصانع السلاح وشركاتها الكبرى التي
تتولى تسويقه .. تكمن مصلحتها في اشغال الحروب واستمرارها ...
والذى حصل - ويحصل - دوماً هو : تنفيذ رغبة هذه الفئة القليلة
مقابل تعطيل رغبات الشعب كاملة .

(٦)
ولما حاول الرئيس (كندى) تقديم المصلحة القومية وعقد اتفاقية وفاق
دولى ، تخلصت منه هذه الدابقة .. فازهقت روحه بعملية اغتيال غريبة لاتزال
اسرارها في طي الكتمان الى الان .. "

(١) المصدر السابق : ٥٠ ، ١٩ ، ١٤

وراجع ايضا كتاب لغة تراث الانسانية ج ٣ ص ٣٤٢ حيث يقول فيه (ارنولد
توينبى) : اصبح استخدام اصطلاح الديمقراطية مجرد شعار ———
الدخان لا خفاء الصراع الحقيقى بين مبدأى الحرية والمساواة "
وللكتاب (رسل) بحث مثل ذلك راجع كتاب العقل والمادة ص ٢٤١ - ٢٤٢
تاليف برتراند رسل ت : احمد ابراهيم الشريف القاهرة ١٩٧٥ م

وهكذا رأينا في هذا النص الواضح ان المساواة في ظل السياسة الديمقراطية مجرد خيال او خداع .. بل لقد ساهم الديمقراطية نفسها في انهيار الحضارة وذلك لسماحها لوجود الصراعات الدائمة بين الاحزاب المنقسمة على بعضها
اولا ..

والتحريض على المنافسات الحقة بين المواطنين ثانيا ..
وعدم وجود سياسة متجانسة لمدى طويل اخيرا ..

* * *

وملاحظة هذه المساوىء هي التي دفعت بالكاتب الانجليزى

(ا . د . د . ساس) الى القول :

" ان هناك دائما هوة رهيبة بين النظريات الرفيعة عن الديمقراطية التي تطرأ عنها في كتب النظريات السياسية وبين وقائع السياسة الفعلية " (١)
ان دل هذا على شيء فانما يدل على تأثير الالحاد في جميع التصورات الاوروبية وسلوكها ..

ويعد هذا ننتقل الى الجزء الثاني وهو المأساة الانسانية الكبرى ..

(١) ان مثل هذا الخداع السياسى كما يوجد في الديمقراطية (الليبرالية) يوجد

ايضا في الديمقراطية الشيوعية الشعبية فهذا لينين يقول : " يجب على

المناضل الشيوعي الحق ان يتمرس بشقى ضرب الخداع والفش والتضليل -

فالكفاح من اجل الشيوعية يبارك كل وسيلة تحقق الشيوعية " نقلا عن

كتاب اشتراكيتهم واسلامنا بشير العوف : ٣٦ و ٣٧

وقد صرح (مايلز كوبلاندى) صاحب لعبة الامم ان هذه السياسة التحليلية

هي منهج السياسة الامريكية . راجع شرح كتاب الدبلوماسية والميكافيلية

محمد صادق ص ٣٤١ .

وراجع ايضا معالم تاريخ الانسانية ص ٤ - تأليف ه . ج . ويلز ت : عبد

العزير توفيق جاويد القاهرة ١٩٦٧ م

بيع العبيد السود

ان اوربا التي تدعى الحرية والمساواة والاخوة قامت بفعل تمجده الاسماع
ويأباه الطباع وتدمع منه الميون وتحزن له القلوب ...

وهذا الفعل .. هو الاضطراب العظيم .. او تجارة العبيد السود بأرخص

الأثمان ..

تحكي لنا المعطيات التاريخية الموثوقة بها ، ان هذه التجارة كانت

استنزافا لحيوية الشعب الافريقي ..

وكانت تختلف اختلافا تاما عن مجرد اخضاع شعوب مفلوطة على امرها ..

حتى انها كانت - على حد تعبير (باسيل دافيد سون) (١) - أسوأ تأثيرا من

الموت الاسود الذي يقال انه قضى على ثلث سكان أوربا .. ذلك لأن تجارة

العبيد امتدت اثارها فشملت النواحي الاجتماعية وحطت من قدر الحياة الانسانية

نفسها بالنسبة للافريقيين وللاوربيين الذين تعاملوا ل بها .. والبك بيان ذلك :

قصة تجارة العبيد في الاسواق الاوربية

ان من وقف على العمل البرى الذي قام به الاوربيون - الذين يدعون

المساواة والحرية والاخوة ضد الشعب الافريقي - يعلم يقينا ان هذه الخوفاثية

كلمات جوفاء لا تستند الى حقيقة واقعية ...

بذكر التاريخ ان طلب اوربا للعبيد بدأ حوالي سنة ١٤٤٤ م حين وصلت

شحنة من السود من (السنغال) الى (لشبونة) واستمر الطلب عدة مئات من السنين (٩)

بعد ذلك على حين كان البرتغاليون وغيرهم يتنافسون في ميدان هذه التجارة ..

حتى قبل : ان عدد العبيد الزنج الذين اختطفوا من افريقيا فاق عدد سكان البرازيل

بأكليهم .

(١) راجع : افريقيا القديمة تكشف من جديد : تأليف (باسيل دافيد سون) ترجمة

نبيل بدر وسعد زغول مراجعة محمود شرفي الكيال ص ٥٨

وقد جلب تجار العبيد من افريقيا اعدادا بالملايين مات الكثير منهم نتيجة الحروب
او اثناء شحنهم على ظهر السفن . (١)

وقد قدر مؤرخ برتغالي اخيرا ان نحو ٣٨٩٠٠٠ ر عبد قد تم
جلبهم من ساحل (انجولا) وحدها ما بين سنة ١٤٨٦ م وسنة ١٦٤١ م بمعنى
ان نحو من تسعة الاف عبد في السنة الواحدة كانوا يختطفون من منطقة لم تكن
قط كثيفة السكان . .

وقد ورد تقرير للملك فيليب الاول العدد العبيد الذين اخذوا من
(انجولا) ونقلوا الى البرازيل ما بين سنوات ١٥٧٥ - ١٥٩١ م بانهم :
٥٣٠٥٢ بمعدل ألفي عبد كل عام . .

وأما (كادو بنجا) قدر العدد الكلي للعبيد الذين نقلوا الى
البرازيل واكثرهم من (انجولا) و (موزمبيق) بين عامي ١٥٨٠ و ١٦٨٠ م
بحوالي مليون ، بمعدل عشرة الاف كل عام (١)

هذا ما فعلته اوربا الجاهلة باخوانها في الانسانية . . كانوا يبيعونهم
بيع السلعة بل كان العبيد احقر عندهم من السلعة . . (٢)

وتلك هي المعاملة الاوربية الملحدة بالانسانية . . ثم بعد ذلك تجدهم
يدعون انهم الانسانيون الرحماء يراعون حقوق الانسان و يحترمونها وان كنت
تمجب فأعجب من التقارير التالية . .

(١) المرجع السابق ص ٥٨

(٢) تطور المجتمع الأمريكي ص ١١٢ فما بعده تاليف (كينث لن) ت : نعيم
موسى دار البقعة ١٩٦٦ م يقول فيه : وهو يعيب الرأسمالية - " ولا عجب
من ان يفضل الناس العبودية البيضاء اي (عبودية رأس المال) على عبودية
(الزنج) طالما انها تدر ربحا اكثر وتحررهم من جميع المسئوليات والاعمال
التي يقوم بها مالكو العبيد (الزنج) .

تقارير ليفربول

يخبرنا التاريخ انه خلال احدى عشرة سنة ٠٠ من سنة ١٧٨٣ الى سنة ١٧٩٣ م تامت من ليفربول نحو حوالي ٩٠٠ رحلة بحرية لتجارة العبيد حملت اكثر من ٣٠٠ ر ٠٠٠ عبد وكانت تبلغ قيمتهم في هذه الايام ١٥ ر ٠٠٠ ر ٠٠٠ مليون جنيه ٠٠

وبلغ ما في هذه الرحلات التسممات (١٢ ر ٠٠٠ ر ٠٠٠) مليون جنيه بمعدل مليون جنيه كل عام ٠

ويضيف (بارت) في كتاباته في منتصف القرن التاسع عشر من تجارة العبيد داخل السودان الغربي والتي كان مركزها (كانسو) (بنيجريا) (١١) بأنها بلغت الى ذروتها حتى انه ساد الاعتقاد احبانا بصحوبة القضاء عليها ٠٠ (١) هذه من الاعمال الاجرامية التي قامت به اوربا تجاه الشعب الافريقي ٠٠٠ بعدما اعلنوا مراعاة حقوق الانسان ٠٠ (٢)

هل هذه الافاعيل المنكرة تتناسب مع الاخوة والامساواة والحرية ؟ وهكذا يفعل الالحاد بأهله ٠٠

وصدق الله تعالى ﴿ لقد افلح من زكاه وقد خاب من دساها ﴾ هذا وصف موجز لفساد التصور الاوربي بسبب الحادهم في الله عز وجل ٠٠ والصياد بالله من الالحاد ٠٠

فلننتقل سريعا الى لون آخر من ألوان التأثير الالحادي في الحياة الاوربية وهو ادهى وأمر ٠٠ فالى هناك ٠٠

(١) المرجع السابق ص ٥٩

(٢) راجع الامم المتحدة وموازن القوة المتجولة في الجمعية العامة تاليف كيبيل

داغر ص ٩

الفصل الثالث

الخمير وعجز القوانين الوضعية

وقد تواترت الاشارات في القرآن الكريم الى جهل الانسان بأمر نفسه ومستقبله ومصيره ومآلات افعاله ، مع تاثره بالشهوات والهوى والضعف بحيث لا يصلح - بجهالته هذه وضعفه وهواه - لأن يتولى وضع منهج لحياته هو وان كان مزودا بالقدرة على استخدام المادة الصماء ومعرفة قوانينها اللازمة له في الخلافة ..

ولكن لما خسر الناس انفسهم بالحادثهم ، ارادوا ان يضعوا لانفسهم مناهج لحياتهم ، فكانت النتيجة الخسارة الفادحة للانسانية جمعاء كما ذكرنا آنفا .

ومن يتأمل في القوانين الوضعية يجد فيها اثر الالحاد واضحا ، يجد ان هذه القوانين عاجزة كل العجز ان تلبي جميع مطالبات الانسان .. ولن نذهب بك الى اعماق التاريخ و يكفينا ان ثبت هنا حادثة واحدة فقط فسي تاريخنا المعاصر .. ان هذه الحادثة لا تدع مجالا للشك من ان الانسان يصجز كل العجز ان يقوم بنفسه دون رجوع الى شريعة الله الذي يعلم السر وأخفى ..

ان هذه الحادثة وقعت في (اميركا) التي لا يجاريها احد في التقدم الصناعي والتكنولوجي ومع ذلك سترى عجزها وتراجعها عن هذا الميدان .. واليك القصة تلخيصا عن كتاب " نحن والحضارة الغربية " للشيخ المودودي : وفي النهاية نبدي رأينا الشخصي ان شاء الله تعالى ..

" في اوائل شهر ديسمبر سنة ١٩٣٣ م صدر الاعلان الرسمي في اميركا بالغاء قانون تحريم الخمير (prohibition Law) (١)

(١) راجع كتاب نحن والغرب للشيخ المودودي المرحوم ص ٥٣

" فارتد اهالي الدنيا الجديدة الى معاقرة المداومة والكأس بعد اربعة عشر عاما
 .. قضوها في مشقة تحريمها ...

(١٢)

كان تولى السيد (روزفلت) لرئاسة الجمهورية الامريكية الاعلان بانتصار

(الخمر) على الأمر ، فاعقبته اولا اباحة الشراب الممزوج بـ ٣٥ ٪ من الكحول

في ابريل من سنة ١٩٣٣ م بقانون رسمي ثم لم تمض عليه بضعة اشهر حتى ألغى

التعديل الثامن عشر من مسودة الدستور الاميركي وهو الذي اباح به على الناس

بيع الخمر وشراؤها وصنعها وتصديرها واستيرادها ...

" كانت هذه اكبر تجربة جربها الانسان لاصلاح الاخلاق والسلوك

الاجتماعي بقوة القانون وسلطة الحكم لا يوجد لها نظير في التاريخ .. وذلك

انه قبل ان يدخل التعديل الثامن عشر على الدستور الاميركي اقيمت في البلاد

دعاية واسعة النطاق ضد الخمر .. دعايات في ترغيب الاميركيين عن الخمر وثبتت

مضارها بالقاء الخطب وتاليف الرسائل والكتب وعرض المسرحيات وافلام السينما ..

وانفقت في سبيل هذا التبليغ عشرات السنين ، وبذلت الاموال حتى

قدرا ن نشرات النشر والاذاعة بلغت تكاليفها من لدن بدء الحركة الى سنة

١٩٥٥ م مبلغ خمسة وستين مليون دولار ٦٥٠٠٠٠٠٠ دولار .

وانه بلغ عدد الصفحات التي سوي د بياضها لبيان مساوي الخمر والزجر

عنها تسعة الاف مليون صفحة ..

وذلك قبل بدء التجربة .. واما ما تحمته الأمة الاميركية في الاربعة

عشر عاما الماضية من النفقات الباهظة لأجل تنفيذ قانون التحريم فقد

مجموعها باربعة ملايين ونصف مليون جنيه . (١)

" وتدل الاحصاءات التي اذاعها ديوان القضاء الاميركي للفترة

الواقعة بين يناير من سنة ١٩٢٠ م واکتوبر من سنة ١٩٣٣ م

أنه قتل في سبيل تنفيذ هذا القانون مائتا نسمة وسجن نصف مليون وغرم
الجنة ما يربو على مليون ونصف مليون جنيه ، وصادر من الأملاك ما يساوي
اربعمائة مليون جنيه ..

لماذا كابت اميركا كل هذا النقص الهائل في الأنفس والأموال ؟

يجيب الشيخ المودودي بقوله :

” كابت اميركا لفرض واحد هو : تلقين الأمة الاميركية ” المتحضرة ”

مفاسد الخمر الجمّة ، وتبينها الى مضارها الروحية والصحية والاخلاقية
والاقتصادية ..

” ولكن كل هذه الجهود المتوالية التي بذلت قبل تنفيذ التحريم .

ومعده بتأييد من قوة الحكومة وسلطانها ، خابت لدى الأمة الاميركية

* * *

والسؤال هنا هو : كيف خابت اميركا في هذه المحاولة ؟ هل

تنقصها قوة تفرض بها شخصيتها على الشعب الاميركي ؟ أو ازيلت
المضار عن الخمر ؟ ورجعت الى المنافع ؟

يجيب الشيخ المودودي بقوله :

” لقد عاد القوم من هذا الجهاد الاصطلاحي بصفة خاسرة ”

لم يكن اخفاق الحكومة الاميركية في تحريم الخمر ولا الفأؤها لقانون

التحريم بعد تنفيذه راجعة الى ان مضار الخمر التي أعيد وأبدى في بيانها

فيما قبل - واستخدمت سلطة القانون وقوة الدعاية لاستئصالها .. قد

تحولت الى المنافع ، وأوجاء اكتشاف على جديد يصح آراء الناس

في الخمر ..

" بل الحق ان قد برهنت لهم شواهد اقوى وتجارب أوسع
واكثر . . . مما كان فيها في السابق ان الخمر ام الخبائث . . . وان لها
النصيب الاكبر في تشويه اخلاق الأمم الغربية وتخریب صحة ابدانها
وافساد معاشها واجتماعها . . . ولكن الذي كان حرم باصواته استعمالها
قبل اربعة عشر عاما . . . عاد هو نفسه يصر على اباحتها . . . واطلاق الحرية
في استعمالها . . .

* * *

* والذي نعلمه انه لم يجحد احد من خلق الله بمضار الخمر
حتى ولا اشد حمايتها وهواتها ، ولا تقدم احد ممن يخالف تحريمها ببيان
لمحاسنها ومنافعها بquam له وزن في جنب مفسدها الكثيرة . . . وعندما
عرض على المؤتمر الاميركي الاقتراح بادخال التعديل الثامن عشر على
الدستور بتأييد قوى من الرأي العام ثبت القوم في الأمر . . . ووازنوا
جيدا بين الحياتين ، حياة بليلة ببال الراح المباح واخرى جافة بجفاف
الزهد والامتناع ولم يوافق المؤتمر على هذا التعديل الا مراعاة لكل
ذلك المضار التي في الخمر . . . ثم أبدته عليه ست واربعون ولاية من الولايات
المتحدة . . .

وصادق على قانون التحريم التابع له كل من مجلس النواب (Congress) ومجلس الاعيان (Senate)
وتم كل ذلك حسب رضا الأمة الاميركية وارادتها . . . وما دام امر هذا
التحريم حبرا على القراطاس وحديثا في الأفواه بقيت الأمة تؤيده
وتحاي عنه . (١)

" ولكن العجب — وأمر الغريب كله غريب — انه لم يكد يدخل هذا
القانون في طور التنفيذ وفي حيز العمل حتى تبدلت الأمة غير الأمة

(١) المرجع السابق ص ٥٥

فمادت - وهي ارتقى أم الارض مدلبة واقولها سياسة وأغزرها علما وأرجحها
عقلا واميلها الى الحقيقة والواقع - عادت لا تطيق الصبر عن أم الخبائث
هذه ، وما باتت ليلة واحدة بدونها حتى جن جنونها وطار حواسها
وأخذت تأتي من الافعال ما يهزل الى الناظر انها توشك ان تشدخ رأسها
بغير أوصخرة كفعل العاشق المجنون ...

فلم تكند تغلق الحانات القانونية العلنية في البلاد بجانب ، حتى
انفتحت فيها بجانب اخر الاف مؤلفة من الحانات السرية التي يحتال
فيها اصحابها ضروبا من الحيل لبيع الخمر وشرائها وشربها وسقيها .. اتقاء
مؤاخذة القانون .

* * *

وبلغ من طغيان شهوة الخمر على الناس ان اصبحت دلالة
رجل منهم لاخر من اقاربه او اصدقائه على مكان حانة خفية او على كلمة
سرّها ، عملا من البر والاحسان عظيم ..

وقد اصبحت الحكومة لا تستطيع ان تراقب عدد الحانات كما كانت تفعل
ذلك قبل التحريم ... فاختلط الحابل بالنابل ، لا يعرف النوع الجيد من
الردى وأقبل الناس على شرب الخمر بشكل لا مثيل له في تاريخ اميركا
ففلت اثمان الخمر غلاء فاحشا .. وعادت مهنة بيع الخمر من اريح المهن
وانفعها ... وبينما كان عدد مصانع الخمر الحائزة للاقتياز قبل التحريم لا يعدو
اربعمائة ، فقد عشروا في مدة سبع سنين بعد التحريم على قريب من ثمانين
ألف ٨٠٠٠٠ مصنع ..

(١) ووجدوا اكثر من تسعين ألف أتون لصنع الخمر .. على اقل تقدير ..

"لقد حدث ان اصبح الاميركيون يشربون مئتي مليون غالون (Gallons) من الخمر في كل سنة . . وكانت الخمر التي تصنع بعد التحريم أردأ نوعا وأشد بالصحة ضررا حتى قال الأطباء انه سم وليس خمرا .

عدد المرضى

قد كان عدد المرضى حسب الاحصاءات لمدينة (نيويورك) في
قبل التحريم فصار
سنة ١٩٨٨ م ٢٥٢ نفسا / (٤٧٤١) نسمة بعد التحريم .

وكان عدد المهالكين من احتمال الخمر آنذاك : ٢٥٢ نفسا
ثم بلغ عدد المرضى فيها لسنة ١٩٢٧ م بعد التحريم أحد عشر الفا
وعدد المهالكين سبع الاف ونصف الألف . ما عدا الذين لم يعثروا
عليهم فلا يعلم عددهم الا الله . .

" كذلك كثرت الجرائم وخاصة جرائم الفتيان كثرة فاحشة وشبهه
القضاة الامريكيون انه لم تعهد في تاريخ بلادنا هذه الكثرة الكاثرة من الصبيان
المقبوض عليهم في حالة السكر " انتهى (١)

هذه هي من نتائج الالحاد . . وهذه امريكا قد عجزت قوانينها
ان تقرر هذا الحكم . . . والان نود ان نعلق على هذه الحقيقة التاريخية
الثينة .

(١) المرجع السابق ص ٥٩

تأملات في هذا التقرير

ومن يتأمل في هذا التقرير يصل الى النتائج التالية :

(١) زالت عن القلوب حرمة القانون ونشأت نزعة للبغي والتمرد في كل طبقة من طبقات المجتمع الاميركي ..

(٢) لم تتحقق الخاية المقصودة من تحريم الخمر ، بل زاد الطين بلة ، بحيث زاد استعمالها بعد التحريم على ما كان عليه قبله ..

(٣) لقد تجشمت الحكومة خسائر فادحة لا تحصى في تنفيذ قانون التحريم .. ومثلها ايضا اصاب الشعب الاميركي لاشترائه الخمر خفية باثمان غالية فتأثرت بذلك اقتصاديات البلاد ..

(٤) كثرت الامراض واختلت الصحة وازدادت نسبة الوفيات وفسدت الاخلاق وشاعت الرذائل وتفاحشت الجرائم في جميع طبقات المجتمع الاميركي وعلى الاخص في الجبل الناشء ..

وكانت هذه كلها من ثمرات هذا القانون الذي صدر من تلك القلوب الملحدة والافكار المنحرفة التي جعلت نقطة انطلاقها الالحاد والبعد عن هدى الله في التصور والسلوك والحكم ..

هناك سؤال هام يفرض نفسه على الباحث وهو : ما هو السبب في عجز القانون الاميركي ؟ هل هذا النقص يرجع الى القانون نفسه او الى الواضعين لهذا القانون ؟

فسوف نرى الاجابة على هذه الاسئلة في الصفحات التالية عندما نتحدث عن تحريم الخمر في الاسلام ..

كيف تم تحريم الخمر في الاسلام

والان هيا بنا نرسل نظرة عابرة في قطر كان يعد أعشق الناس
الى شرب الخمر وأجهل اقطار الارض في أظلم عصور التاريخ الانساني ..
قطر كان الناس فيه مشبه الكين على شرب الخمر ومتفاوتين فيها ..
وأشعارهم شاهدة على ذلك : كانوا يعتبرون شرب الخمر لا زما من لزوم
حياتهم ..

ثم ماذا حدث بعد ذلك ؟

حدث هناك ان هذا القطر هاجروا الخمر وهاجروا من بشرها بل
يضربونه بالنعال - ولم يكتفوا بان ياتيهام امر من رسول الله صلى الله عليه
وسلم فينتهروا عنه ؟ بل قاموا هم بانفسهم يستفتون النبي صلى الله عليه
وسلم عن حكم الخمر ..

فاذا الايات القرآنية الكريمة تقول :

* يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس ، وأثمهما
أكبر من نفعيهما * (١)

فيسمع الناس الایة الکريمة .. وليس فيها امر او نهی وانما هي
خبر عن حقيقة الخمر وانها ذات منافع وذات مضار ولكن ضررها اكبر من نفعها
ولكن بسبب تأثير تعاليم الاسلام فيهم ، نجد قوما منهم يتركونها ويقولون :
لا حاجة لنا في شربها ولا في شيء فيه اثم كبير .. وبشرها قوم لقوله تعالى :
* ومنافع للناس ... *

ثم أعيد السؤال ثانية عن الخمر ، اذ كان بعض الناس يصلون
وهم سكارى فنزلت الآية التالية :

* يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون * (١)

فحرم السكر في اوقات الصلاة ولكنه تركها قوم بالمرة وقالوا : لاخير في شئ * بحول بيننا وبين الصلاة * وقال قوم .. نشربها ونجلس في بيوتنا فكانوا يتركونها وقت الصلاة ويشربونها في غير اوقات الصلاة وذلك لئلا يصلوا وهم سكارى أو يضطروا الى ترك الصلاة من أجل السكر ..
فبعد ذلك تطلعت نفوسهم الطاهرة الى بيان شاف للخمر ..

فأنزل الله تعالى :

* يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والاذلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون .. * * انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر و يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متدينون وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين .. * (٢)

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : " انتهينا يا رب ! " وقال أنس رضى الله عنه : " حرمت ولم يكن للعرب يومئذ عيش اعجب منها ، وما حرم عليهم شئ أشد من الخمر .. قال : فأخرجنا الحجاب الى الطريق ، ولقد غودرت أزقة المدينة بعد ذلك حيناً ، كلما مطرت استبان فيها لون الخمر وفاحت ريحها " .

(١) النساء ٤٣/

(٢) المائدة ٩٠/

يراجع في ذلك كتاب الشيخ القضاوى سماه

أما منا تجربتان

أيها الملحد : ولو كنت ملحدا ولكن العقل والمنطق يستطيعان ان يفرقا بين المستقيم والمعوج .. وبين الحق والباطل اذا لم يكن هناك هوى النفس ..
أما لك تجربتان اثنتان :

— تجربة أجريت في اميركا في العهد القريب

— واخرى جريت في العرب في صدر الاسلام

والفرق بينهما كما سمعت ايها الملحد ! فلك ان توازن بينهما وتقارن ثم تستخلص من ذلك العبرة .

ففي القطر الاميركي قام اولوا الاصلاح بدعاية واسعة ضد الخمر مدة سنوات طوال ، وبذلوا ملا بين الدورات لاعلان مضارها ومساوئها وببنوا آفاتها وسى آثارها في جسم الانسان واخلاقه واقتصاده بأدلة ناهضة من تعاليم الطب والاستنباط المنطقي وأثبتوها اثباتا لا يدع احدا في شك من الأمر .. بل أروا الناس مضار الخمر رأى العين متمثلة في الصور وسمعوا سمعهم لأن يؤمن الناس بمفاسد أم الخبائث .. فاستعدوا لتركيبها من تلقاء انفسهم .. ثم ان المؤتمر الاميركي وهو اكبر حزب سياسى للأمركيين حينئذ قطع بتحريم الخمر باكثرية غالبة ، فسن له قانونا ، ثم جاءت الحكومة و هي من اعظم حكومات الأرض واقواها . فاستفرغت جهودها لمنع بيعها وشرائها وصنعها وتدويرها واستيرادها ، ولكن الأمة وهي في طليعة الأمم " المثقفة المستنيرة " ترفض هجرها فاضطر القانون في مدة اربعة عشر عاما أن يرجع القهقري فيحل بنفسه ما حرمه بالأمس ..

أنظر يا ملحد كيف يصنع الالحاد باهله .. فهم دائما في ريبهم

بترددون .

ثم انظر يا ملحد الصفحة الثانية البيضاء .. هل رأيت أحدا في الاسلام

قام بنوع من الدعاية ضد الخمر .. هل رأيت أحدا انفق مالا في سبيل تحريمه ؟
الجواب لا !

وقال انس بن مالك : كنت ساقى القوم يوم حرمت الخمر فسي
بيت أبي طلحة .. فاذا مناد بنادى فقال القوم : اخرج فانظر ! فاذا
مناد بنادى ، ألا ان الخمر قد حرمت .. قال : فجرت في سلك المدينة
فقال لي ابو طلحة : اخرج فاهرقها ! فاهرقها ..

وقبل كان رجل يشرب الخمر وواشكت الكأس أن تمس شفتيه ، اذا
بداخل دخل عليه وقراءة التحريم ، فانفصلت الكأس من فيه للحال ، ولم
يذق لسانه قطرة مما فيها بعد ذلك ..

وكل من شرب منهم بعد ذلك ضربوه بالنعال وبالجريد والعصى ثم
جلدوه أربعين ، ثم جعلوا حد الشرب ثمانين جلدة .
فكان من نتيجة ذلك ان هجر هؤلاء الابرار ، شرب الخمر هجرا ..
ثم حينما بلغ الاسلام اقطار الأرض من افريقيا وآسيا زهد الأمم
فيها ونفروا عنها .. حتى صرت ترى اليوم - وقد ضعفت آثار تعليمه -
ملا بين من المسلمين في هذه الدنيا يجتنبون الخمر بدون زاجر من قانون التحريم
او مانع من نظام التمييز ...

ولكن لو أحصيت اليوم نسبة الشاربين في العالم ولعل تكون هذه الجماعة
الاسلامية ، أزهد الأمم في الخمر ...

ولو شرب من هذه الأمة شارب ، لا يشرب الا وهو يعتقد انه يرتكب اثما
ومعصية ، فيندم عليه في قلبه وربما تاب عنها من تلقاء نفسه ..
وانما أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم على الناس أن يا قوم
لقد حرم الله الخمر ... أعلنها في الأمة كانت أعشق للخمر من الأمة
الأميركية .

فودعتها وداعا لا رجعة لها بعده ما دامت في دائرة الاسلام ..

هل تدبر جيداً — يا ملحد — أسباب هذا الفرق العظيم بين

التجربتين :

الاسلامي والاميركي ؟ ... ولو تدبرت حق التدبير تبنت لك أمور

هي كالأصول الكلية الثابتة لا في الخير وحدها بل في جميع مسائل القانون

والاخلاق ..

أولهما : —

— انه فرق اساسي بين الاسلام والقوانين الوضعية في

تنظيم السلوك الانساني ، فالقوانين الوضعية تعتمد تماما على الرأي الانساني ..

والمعلوم ان الرأي الانساني مضطرب بطبيعة حال الانسان .. فكيف اذا كانت

تلك القوانين مستمدة من آراء العامة ؟ فيهم مجرمون يريدون البقاء على

اجرامهم كما حصل ذلك في هذه القصة التي نحن بمقدورها ..

* * *

ولنفرض ايضا ان القوانين مستمدة من رأي الخاصة اصحاب الاختصاص

بوضع القوانين ، فانهم ايضا لا يزالون يتأثرون في كل آن بالعوطف والنزعات

الانسانية والاسباب والحوامل الخارجية واحكام العلم والعقل القابلة للتفسير

مما لا يلزم ان يكونوا بجانب الصواب في كل حال ..

وهذا التأثير بلا شك — يؤدى الى التغير في الافكار والآراء وهذا

التغير يتبدل بالضرورة مقاييس الخير والشر والصحيح والخطأ .. والجائز

والمحظور ... والحرام والحلال ..

واضطراب هذه المقاييس يكره القانون على ان يميل معها حيث مالت وذلك

لا يتحقق للأخلاق والفدنية مقياس ثابت .

وأما الملاحدة الذين ابتعدوا عن الله تعالى يدعون الى الحرية في كل

شيء هذا الذي يعبرون عنه بهذه الكلمات :

التقدمية — التطور — الواقعية — تحرير المرأة ...

يعنى ان نترك الزمام بيد انسان نفسه لكي يتقدم ويتطور ويكون من
الواقعيين ويحرر المرأة .. فلذلك يكرهون الاسلام لله في الحكم .. (١)
ولا يدري هذا القائل بجيله ان قانونهم كمثل سائق مريض
يسوق السيارة فتحدث بدهاء بموجبتها يمينا وشمالا بدون نظام ..
والمعلوم ان اضطراب الموجهة يعقب اضطرابا في سير السيارة
فلا تلتزم طريقا مستقيما .. واذا هي سارت مثل هذا السير فلا تلتزم طريقا
مستقيما ، واذا هي سارت مثل هذا السير المختلج يمتد ويسر فلا بد ان
يتأثر به السائق ومن معه في السيارة .. فيكونون تارة على سواء الطريق وتارة
على جانبه يخشى في كل حين ان يسقط بهم المركب في فجوة او يصطدم
بهم بصخرة او يصيبهم من صدمات الطريق ما هو اشد وأتعب ..
هذه هي السمة البارزة في جميع القوانين الوضعية .. فمن هذه
الحثيثة قلنا ان القوانين عاجزة كل العجز ان تلبى جميع متطلبات الانسان ..
واما الاسلام بخلاف ذلك لأن جميع الاصول الكلية ومعظم
الفروع الجزئية فيه هي من وضع الله الى الرسول صلى الله عليه وسلم . وليس
للراى الانسانى التدخل فيها من سبيل .
فلذا اتفق جميع المسلمين في الارض على تحريم الخمر
وأعدوا اصواتهم بحق ذلك لم يستطيعوا ان يحلوا هذا الحرام
أبدا

(١) الاسلام في الواقع لايديولوجى المعاصر ، د . محمد البهي ص ٢٢ ط ١

من بركات التشريع الاسلامي

وقد يقول القائل : ان الفقهاء قد تدخلوا في بعض الجزئيات في الاسلام نقول له : ان كان لهم بعض التدخل في الجزئيات فهو لا يعدو أن يستنبطوا فروعا جديدة من تلك الأصول الكلية ..
والحكمة في ذلك مراعاة لوضع الحياة المتبدلة ... وان من بركات هذا التشريع الرباني أنه يضع بأيدنا مقياسا ثابتا للمدينة والأخلاق لا يتزلزل .. فلا يكون في قوانيننا الخلقية والمدنية اثر للتلوث ... ولا يمكن عندنا ان يصبح حرام الاكل من حلال اليوم ثم يعود حراما غدا ...
انما الحرام في الاسلام حرام الى الأبد ..
والحلال حلال الى يوم يلقونه تعالى ..
عليك يا الله أيها الملحد : أي الفريقين أولى بالأمن ، الذي يسلم زمام مركبه الى حاذق تام البراعة .. او الذي يسلمه لمضطرب غير مجرب ؟ ؟ الجواب عند الملحد ...
وأما نحن معشر المسلمين انما افتخارنا في اننا على قول ثابت في الحياة الدنيا .. فهذا فضل من الله تعالى .. والملاحدة فلا يهتدون سبيلا ..

يقول تعالى :

* يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين * (١)

هذا هو الفرق الاول حسب ترتيبنا بين القوانين الوضعية وبين الشريعة الاسلامية ..

وأما الأمر الثاني الخطير ان السلطات الدينية اذا ارادت وضع القواعد الانسانية ومحاولة الاصلاح في التمدن والاخلاق والاجتماع فهي تحتاج في كل مسألة فرعية الى استرضاء عامتها للاطلاع فيها قبل ان تتولاه وتأخذ في العمل له .

ولذلك يتوقف نفاذ كل مادة من مواد قانونيهما على رضا جمهور العامة وكل ما ينفذ في البلاد من قانون تنظيمي ، بخلاف رضاهم فإنه - لا محالة - يلغى آخر الأمر بعد كثير من الفساد واضطراب الأحوال .

وليس هذا خاصا بما جربته اميركا وحدها وانما تشهد به تجارب الدنيا بأجمعها .. وهذا دليل على ان القوانين المدنية عقيمة نكدة لا تفنى شيئا في اصلاح الأخلاق والاجتماع .

لأن المفسدين الذين تقصد هذه القوانين الى اصلاحهم ، هم الذين يتوقف على رضاهم تقرير تلك القوانين وتنفيذها او الفأؤها هذه هي مشكلة القوانين الوضعية اللاحادية ...

الحل الاسلامي لهذه العقدة

وقد حل الاسلام هذه العقدة بطريق آخر ... ان تأملته علمت أنه لا حل لهذه المشكلة سواه ...

وهو أنه قبل ان يتعرض لمسائل التمدن والاجتماع والاخلاق وقبل أن يطالب الانسان باطاعة قوانين الشرح .

يدعوه أن يؤمن بالله وبكتابه ورسوله ..

فالانسان حينئذ مختار أن يؤمن أولا يؤمن ..

ولكنه متى آمن بالله والكتاب والرسول ،

يحل كل سؤال : لماذا كذا ؟ ولم كذا ؟

وكل ما يقرره كتاب الله ورسوله كان امرا واجب الانداع له ..

فلذا بدعونا الاسلام الى الايمان بكلمة (لا اله الا الله محمد رسول

الله) فاذا ثبت هذا الأصل من الايمان بالله جرى عليه جميع

القوانين الشرعية ولم يعد لرضاه أو سخطه دخل في مسألة كلية

أو جزئية ...

ولو تأملت - يا ملحد - ان هذا السبب في ان المشروع الذي

لم يتحقق في اميركا على رغم ما اهلك في سبيله من ملايين الدولارات

و على رغم ذلك التبليغ والدعاية والنشر النادر النظيم في تاريخ

الأمم ومساعى الحكومات المتوالية على طول السنين ، تحقق في دنيا

الاسلام باعلان واحد اعلنه الرسول عن ربه ...

الاحاد والجهل والانسان

ومن تأمل في التاريخ الانساني يجد كلما ابتعد الانسان

ووضع لنفسه منهجا لحياته يجد الناس تحت الشقاوة والمتاعب .

وذلك لا لشيء الا أن الانسان قاصر كل القصور ان يهاجم هذه المنطقة

لأنها غيب . ولقد أشار القرآن الكريم الى ذلك في أكثر من

آية .

يقول الله تعالى :

* ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا . . . (١)

* يسألونك عن الروح : قل : الروح من أمر ربي وما أوتيتم

من العلم الا قليلا * (١)

* وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدري نفس بأي ارض

تموت ان الله عليم خبير * (٢)

* آباءكم وابناؤكم لا تدرون أيهم اقرب لكم نفعا * (٣)

* فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا * (٤)

* وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئا

وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون * (٥)

* لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا * (٦)

* ان يتبعون الا الظن وما تهوى الا نفس ولقد جاءهم

من ربهم الهدى * (٧)

* ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن

فيهن * (٨)

* ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه

الخير منوعا * (٩)

(٢) لقمان : ٣٤

(٤) النساء : ١٢

(٦) الطلاق : ١

(٨) المؤمنون : ٧١

(١) الاسراء : ٨٥

(٣) النساء : ١٩

(٥) البقرة : ٢١٦

(٧) النجم : ٢٣

(٩) المعارج : ١٩

" وغير هذه الاشارات في القرآن كثير ... وهي تجيء - غالبا - تعقبا على التشريعات والتوجيهات التي يسنها الله للناس ، ويخبرهم معها انهم هم لا يستطيعون ان يشرعوا لانفسهم ، وليست لديهم القدرات والاستعدادات الضرورية لوضع مخرج لحياتهم هم انفسهم ، لانهم يجهلون انفسهم ويجهلون مآلات تصرفاتهم ورغباتهم ، و يخضعون لاهوائهم وشهواتهم وكلها مؤثرات تجعل من الخطر على وجودهم ، وعلى خط سيرهم في الحياة ان يتولوا هم وضع شريعتهم وتخطيط مخرج حياتهم الاصيل . (١)

ف نجد هذه الاشارات في مثل هذه المناسبات :

* ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ، ولا تتبع اهلواء الذين

لا يعلمون *

* كتب عليكم القتال وهو كرم لكم . وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير

لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم . والله يعلم وانتم لا تعلمون * (٢)

* يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ، ولا تحصلوهن

لتذهبوا ببعض ما آتيتوهن - الا ان يأتين بفاحشة مبينة - وعاشروهن

بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا

كثيرا * (٣)

* يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة

واتقوا الله ربكم ولا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة

وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ... لا تدري لعل الله

يحدث بعد ذلك أمرا * (٤)

(١) راجع الاسام ومشكلة الحضارة - د. قطب ص ٢٦

(٢) الجاثية / ١٨

(٣) البقرة / ٥٦

(٣) النساء / ١٩

(٤) الطلاق / ١

* يو صيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين .. فان كن نساء
فوق اثنتين فلمهن ثلثا ما ترك . وان كانت واحدة فلمها النصف ، ولا يوصيه
لكل واحد منهما السدس مما ترك - ان كان له ولد - فان لم يكن له ولد وورثه
أبواه فلأمه الثلث .. فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها
او دين - آباءكم وبنواؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا . فريضة من الله ..
ان الله كان عليما حكيمًا .. *

هذا ما اشار اليه القرآن الكريم من ان الانسان لا يستطيع ان يضع
لنفسه تشريعا عادلا .. ولقد رأينا انفا فشل اميركا في هذا المجال وفي
مجالات تشريعية اخرى .. الذي يقال في شأن اميركا ، يقال ايضا في جميع
القوانين الوضعية .. فكلها تتسم بالقصور والجهل لانها اتخذت الالحاد
قاعدة الانطلاق .

الدكتور الكسيس كاريل يتكلم

ان هذه الحقيقة قد ادركها بعض الباحثين الاوربيين كأمثال الدكتور
الكسيس كاريل السالف الذكر .. كأن هذا الدكتور يقرأ القرآن حين قرران
الانسان جاهل من ان يضع لنفسه منهجا لحياته ولذا ألف كتابا فسماه
"الانسان ذلك المجهول" "L'Homme L'inconnu"
فلندعه يتكلم :

(١) ترجمة الدكتور الكسيس كاريل .. ولد . دكتور كاريل بالقرب من (ليون في فرنسا)
وحصل على اجازة الطب بها .. كما حصل على اجازة العلوم من (ديجون) وبعد
ان مارس التدريس في جامعة ليون عدة اعوام رحل الى الولايات المتحدة
واشتغل في معهد (روكفلر) للابحاث العلمية في (نيويورك) وبقي هناك
قاربة ثلاثين عاما حتى اعتزل العمل به سنة ١٩٣٠ .. ثم عيّنت اليه وزارة الصحة
الفرنسية بمهمة خاصة تتعلق بالحرب ، وكانت هذه المهمة تكلمة لمهمة اضطلع
بها ابان الحرب العالمية الاولى ، عندما كان يعمل جراحا مع القوات الفرنسية
والبريطانية والاميركية ومنح جائزة نوبل عام ١٩١٢ لبحاثه الطبية الفذة .
راجع الاساس ومشكلة الحضارة سيد قطب ص ٧

" وفي الحق لقد بذل الجنس البشري مجهودا جبارا لكي يعرف نفسه ،
ولكنه بالرغم من اننا نملك كنزاً من الملاحظة التي كدسها العلماء والفلاسفة والشعراء
وكبار العلماء الروحانيين في جميع الازمان ، فاننا استطعنا ان نفهم جوانب معينة
فقط من انفسنا .. اننا لا نفهم الانسان ككل .. اننا نصرفه على انه مكون
من موكب من الاشباح تسير وفي وسطها حقيقة مجهولة .

ليس هذا الذي يقوله القرآن بقوله * يسألونك عن الروح قل
الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا *
ثم اضاف قائلاً :

" وواقع الامر ان جملتنا مطبق .. فغالب الاسئلة التي يلقبها على
انفسهم اولئك الذين يدرسون الجنس البشري تغل بلا جواب .. لأن هناك
مناطق غير محدودة في دنيانا الباطنية ، ما زالت غير معروفة .. فنحن لا نصرف
حتى الان الاجابة على اسئلة كثيرة مثل :

" اننا ما زلنا بعيدين جداً عن معرفة ماهية العلاقات الموجودة بين الهيكل
العضلي والعضلات والاعضاء .. ووجوه النشاط العقلي والروحي .. وما زلنا
نجعل العوامل التي تحدث التوازن العصبي ومقاومة التعب والكفاح ضد
الأمراض ..

اننا لا نعرف كيف يمكن ان يزداد الاحساس الأدبي وقوة الحكم ،
والجرأة ولا ما هي الاهمية النسبية النشاط العقلي والأدبي .. كذلك النشاط
الدني ..

" أي شكل من اشكال النشاط مسؤول عن تبادل الشعور او الخواطر ؟
(١)
" كيف نستطيع ان نحول دون تدهور الانسان وانحطاطه في المدنية
العصرية ؟

(١) راجع كتاب الانسان ذلك المجهول ، د. الكسيس كاريل تحرير شفيق اسعد ،
فريد منشورات مكتبة المعارف بيروت ص ١٢-١٨

"وهناك أسئلة أخرى لا أعدد لها ، يمكن ان تلقى في موضوعات تعتبر في غاية الأهمية بالنسبة لنا .. ولكنها ستظل جميعها بلا جواب .. فمن الواضح ان جميع ما حققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الانسان غير كاف وان معرفتنا بانفسنا ما زالت بدائية في الغالب .. " (١)

ولكن لماذا كان جهلنا مطبقا بحقيقة الانسان ؟ لماذا كان الذين يدرسون الحياة كمن ضلوا في طريقهم في غاب متشابك الاشجار ؟ هل كان ذلك لقصور وسائلنا العلمية في فترة من الفترات ؟ أم لظروف وقتية من ظروف حياتنا الانسانية ؟ ومن ثم يكون هناك امل كبير وفرض كثيرة لتكملة تلك الوسائل ، وتغيير هذه الظروف ثم الوصول الى معرفة الحقيقة الانسانية كاملة واضحة محدده ؟

ام هناك اسباب ثابتة في طبيعة الحقيقة الانسانية من جهة وفي طبيعة تفكيرنا من جهة أخرى ؟

يجيب هذا العالم (الكبير) بقوله :

" قد يعزى جهلنا في الوقت ذاته الى طريقة حياة اجدادنا ، والى طبيعتنا المعقدة والى تركيب عقولنا " . (٢)

وهكذا يتضح من هذا التقرير الحاسم من هذا العالم الكبير الذي اتاحت له فرصة الاطلاع على نتائج البحوث الضخمة ، ان هناك فارقا أساسيا بين علوم المادة وعلوم الحياة .. وان هذا الفارق لا يتعلق ببينة ولا زمان .. وانما هو كامن في امرين ثابتين :

١ - تعقد الموضوع

٢ - طبيعة تركيبنا

وبهذا نستطيع ان نقول ان الحضارة الغربية ، تشق طريقها الى الدمار .. الدليل هو أوروبا نفسها ..

(١) راجع كتاب الاسلام ومشكلة الحضارة سيد قطب ص ١٤

(٢) المرجع السابق ص ١٦

أوروبا في القرن العشرين قد وصلت الى ذروة من العلم والقوة المادية

وضخامة الانتاج لم تصرف لها البشرية مثيلا منذ مولدها ..

وأوروبا في القرن العشرين قد وصلت الى مستوى من الهبوط الخلقي والريجي

لم تصرف البشرية أسوأ منه في جاهليتها القديمة والحديثة على السواء

وهذا برتراند رسل الفيلسوف الانكليزي الملحد المعاصر ، لم ينعمه

الحاده أن يقول الحق فيما يرى من تدهور الحضارة المادية فقال :

" ان سيادة الرجل الابيض قد انتهت " (١)

لم يقل ذلك لان الرجل الابيض قد خلا من الانتاج ، ولكنه قال

ذلك لأن الرجل الابيض قد فرغ من الداخل ..

فرغ من العقيدة الصالحة ..

فرغ من الروح ..

فرغ من الاخلاق بمعناها الانساني الواسع لا بمعناها النفسي الضيق

الذي يمارسه الغرب في وقته الحاضر ..

ولو كان التقدم العلمي .. او الانتاج المادي او غير ذلك من الاشياء

الموجودة لوجب ان يرتفع الغرب اليوم الى القمة الانسانية العليا في كل

ميدان من ميادين السلوك البشري .. ولما وجد هذا الوجه الكالح تحت

هذه القوانين الوضعية الجائرة الحاجة ..

فقد رأينا كيف عجزت هذه القوانين في تحريم الخمر ..

القوانين التي تجيز للناس التفرقة العنصرية والاستعمار والانحلال الخلقي

والانحطاط الروحي والصراع الكريه والفرع المدمر الذي يعيش فيه العالم

من خيف الحرب والهلاك ..

(١) معركة التقاليد ، محمد قطب ص ٨٢

الخلاصة :

ان من آثار الالحاد في اوربا الحديثة عجز القوانين الوضعية التي اتخذت نقطة انطلاقها من الالحاد والتعطيل .. اولا .. ومن الجبل المطبق لحقيقة الانسان ثانيا ..

من هنا وقع الناس في ظل هذه القوانين المزعومة في تخطيط واضطراب ولا استطاع قانون من قوانينهم ان يضع للناس نظاما شاملا مضبوطا صالحا للحياة الانسانية ..

والذي نراه دائما هو ان اى نظام وضعه الانسان لا انسان — بعيدا عن منهج الله — لا بد ان يعرض الحياة الانسانية ويعرض الانسان نفسه للعطب والدمار في صورة من صور العطب والدمار .. وسنرى ان شاء الله — في بحث " عقوبة الفطرة " كيف اصبح الانسان في قلق شديد بسبب ما صنحته يداه من اسلحة مدمرة واستعدادات حربية ..

الفصل الرابع

مشكلة العقوبة في القوانين الوضعية

أولا - في الشريعة :

تقوم نظرية العقوبات في الشريعة الإسلامية ، وفي كل شرع الله على
أرضه ، على الاعتقاد ان الانسان مخلوق يتمتع بالخيار الكامل في افعاله . . (١)
وهو يفعل كل ما يفعل باختياره وارادته وليس مجبورا كما تدعيه
الجبرية ، ولا هو خالق لا فعالة كما تدعيه المعتزلة (٢) المتطرفة ، ولا هو
مريض كما يدعيه الملاحدة . (٣)
وانما يقترب الجرائم بارادته وخالص قصده . . ولذلك أوجب الله تعالى
انزال العقوبات عليه لتكون عبرة (نكالا) للآخرين ، فيخافون من مصير المجرم
ويجتنبون الاتيان بمثل ما أتى به . .

واليك نصوص تؤيد ذلك :

* انا هد بناء السبيل اما شاكرا واما كفورا * (٤)

* فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . . * (٥)

وفي العقوبات قال تعالى :

* والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما نكالا من الله * (٦)

* الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما ثمانين جلدة * (٧)

الى غير ذلك من الايات الكريمة التي تشير الى اثبات المشيئة للانسان وانه مطالب
بكل ما يقوم به من عمل . .

(١) راجع شرح الاصول الخمسة ، عبد الجبار محمد ص ٣٣٢

هذا يخالف ما يقوله الجهمية راجع الملل والنحل شهرستان ج ١ ص ٨٧

(٢) راجع كتاب المعتزلة ، زهدى حسن جابر الله ص ٣٠

(٣) كتاب الشريعة الإسلامية وتحديات العصر ، وحيد الدين خان ص ٢٥

(٤) سورة الانسان / ٣ (٥) سورة الكهف / ٢٩ (٦) المائدة / ٣٨

(٧) النور / ٢

هذا هو الكلام المعقول الذي تتجلى فيه الحكمة في خلقه التي هي غاية الوجود الانساني . فتعالى الى ارباب الجهالة العلمية لترى تفكيرهم بهذا الصدد ..

ثانيا - العقوبات عند الملاحدة :

ان الملاحدة ومن لف لفهم في نظر يتهم الجديدة التي ظهرت في اوربا في نهاية القرن التاسع عشر باسم " علم الجريمة " بدعون بان الجريمة ليست عملا متعمدا بل هو عمل اضطرارى (١) وسبب الجريمة - في وجهة نظرهم هذه - يكمن في الاصول الحياتية والامراض العقلية والعسر المادى (الفقر) والاحوال الاجتماعية .

وعلى هذا الاساس طالبوا باعتبار المجرم مريضا وبمعالجته بدلا من معاقبته فوقفوا جميعا في صفوف الظلمة ضد ارباب الحقوق الشرعيين . هكذا يفعل الالحاد باهله ..

وقد حظيت هذه النظرية السخيفة بقبول عام في الغرب ، فاقبضت الاصلاحيات في كثير من البلدان الاوربية بدل السجن ، والغيت العقوبات الرادعة للجرائم الاخلاقية .. هكذا يدعون .. ولكن تصرفاتهم تكذب هذا القانون ..

فمثلا كانوا يعتبرون المجرم مريضا تجبر معالجته ، ولماذا لا يطبقون ذلك في جميع الاحوال :

(١) ان هذه الفكرة الشنيعة قد سبق ان اشرنا الى ان ميكافيلي هو من اسسها لانه يقول لا يجب الاعتقاد بأن الانسان شرير بطبعه وان رغبته في الخير مصطنعة يفتعلها لتحقيق غرض نفسي بحت .. وما دامت تلك هي طبيعته المتأصلة فلا حرج عليه ولا لغيره اذا انساق وراءها " راجع الأمير : ص ١٤٤ فاروق سعد ، مطبوع مع كتاب الفكر السياسى قبل الأمير وبعده ، بيروت

ولماذا ابقوا المقومات الرادعة للجرائم الخاصة بالأمن والدفاع ؟

ولماذا لا يقال لهؤلاء مثل ما قيل للسابقين ؟

ان هذه الحقيقة نفسها تشكك في هذه النظرية التي تعتبر الجرائم عملا اضطراريا .
هذا من ناحية ..

ولكن العلم الحديث أشار الى خطأ هذا القانون وهذه النظرية ..
لأنه قد اثبت ان الناس في المجتمعات المزدهرة والصحية اكثر ميلا
الى اقتراف الجرائم منهم في المجتمعات الفقيرة وغير الصحية ..
لقد رأينا في هذا الباب ان جميع التدابير قد أخفقت في اوربا وامريكا
في الحيلولة دون الجرائم ..

بل لقد ارتفع معدل الجرائم في الدول التي سلكت طريق تخفيف
العقوبات ..

وعلى سبيل المثال .. ألفت (سريلانكا) وولاية (دويلاوير)
الامريكية عقوبة الاعدام ، ولكنها اضطرتا لاعادتها بعد ان تفشيت الجرائم
ولذلك اضطر خبراء لا لتشريع لمراجعة نظريتهم السابقة ..
ويقول احدهم " ان اعتقاد الناس ان القتل يستوجب عقوبة
الاعدام للقاتل يتمتع في نفسه بقيمة ردع عظيمة " (١)

المملكة العربية السعودية خير شاهد

أيضا

ان المملكة العربية السعودية خير شاهد على كذبهم واكبر شاهد على ان

تطبيقا للشريعة الاسلامية يتمشى مع كل زمان ومكان ..

فهو تعتبر النموذج الحي في الدول الاسلامية التي لا تزال تنفذ العقوبات

الشرعية فالمعلوم ان معدل الجرائم هنا اقل بكثير من الدول المتحضرة ..

* * *

(١) الشريعة الاسلامية وتحديات العصر ، وحيد الدين خان ص ٢٦

ان هذا التقرير ليس لاجل انتمائنا الى الاسلام وانما الواقع نفسه

في المملكة العربية السعودية هو الذي يتكلم . . .

ومن الشهادات التي سجلها الباحثون لهذه المملكة ، ما سطره الدكتور

عبد العزيز عامر في حديثه عن نجاح تطبيق العقوبات الشرعية في مكافحة

الجرائم وذلك في كتاب (التعزيز) فقال :

” . . . واذا كانت الشريعة الاسلامية في الناحية الجنائية قد

غدت الاُمم الاسلامية على سعتها ، وكفتها مؤونة البحث عن تشريعات

اخرى ، واقبمت على اسسها المتينة الحكومة الاسلامية الرشيدة التي بسطت

سلطانها على اهم بقاع المعمورة اجبالا عدة . . فانها لا تزال مصدرا صالحا

للتشريع ، وان تطبيقها في العصر الحديث قد امدنا بآية بينة وحجة دامغة

وأكد انها شريعة كل عصر وأوان . . فان ما تناقله الُلسن عن الُمن

في المملكة العربية السعودية واستتباب النظام في ظل الحكم بالشريعة الاسلامية

لاُصدق شاهد على ما نقول ، فلا يختلف اثنائي في أن الا من هنالك مستتب

في كل مكان ولا يجرؤ كائن من كائن سواء كان من اعراب البادية ام من سكان

الحضر على اقرار اية جريمة ، خصوصا السرقات . والسرف في ذلك هو الاخذ

باحكام الشريعة والشدة في معاملة المجرمين والثأر للناس وللمجتمع من كل من

يرتكب جرما وتدل الاحصاءات الرسمية في السرقة ان الحد لا يطبق الا مرة واحدة

او مرتين خلال السنة في جميع تلك البلاد الواسعة المترامية الاطراف .

” فاذا عرفنا كيف ان هذه البلاد تتوافر فيها معظم المفريات على ارتكاب

الجريمة خصوصا في موسم الحج الذي يمكن فيه ارتكاب كثير من جرائم الاعتداء على

النفس والمال بالنسبة للحجيج مما كان يحدث في اليهود الماضية ، واذا عرفنا

مع ذلك انه منذ تطبيق التشريع الاسلامي فيها على يد حكم السعوديين الرشيد ،

والاُمن مستتب ، والنفوس والأموال محفوظة . . والحجاج الذين يعدون بمئات

الالوف الذين يفدون على تلك البلاد كل سنة . . ملين دعاء الله لهم

بالحج ، فينتشر فيها الامان والطمأنينة وتبتعد عن محيطهم الجريمة ، حتى انه
 يندر ان تسمح بجريمة تقع على احد الحجاج الان .. نقول اذا عرف كل
 ذلك عرف السبب وتأكد اليقين بان الشريعة الاسلامية باحكامها السمحة
 وحدودها الصارمة في الظاهر من الأمر .. المنطوية على الرحمة بالناس في
 باطنه هي السر في نقل تلك البلاد من جاهلية البداوة وظلام الظلم الى
 صعيد المدنية ومجال العدل ، كما حصل في صدر الاسلام .. (١)

فماذا أقول ؟

أقول ان نجاح تطبيق الشريعة الاسلامية خصوصا في مجال العقوبات في
 تلك البلاد ، وقيامها على مصالح الناس في العصر الحاضر لا كبربرهان على
 سموها وتفوقها وانما ليست من الشرائع الخالية او شرائع القرون البالية ...
 بل انها شريعة حية ابدية صالحة لكل مكان وزمان ، لانها من وحي الله
 الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ...
 ويعلم ما فيه صلاح الناس وما فيه فسادهم ، لانه هو خالقهم
 الحليم بدقائقهم ودخائل نفوسهم . فكيف مع ذلك يكون تشريع الخالق كتشريع
 البشر ..

ونعتقد ان هذا القول فيه من الوضوح والأمانة في الاستشهاد ما يسكت
 القائلين بأن المجرم مريض يجب ان يعالج وان الشريعة في هذا المحيط
 قد دخلت في ذمة التاريخ .. بل انها شريعة تتحدى جميع الأنظمة الوضعية
 وقد رأينا ذلك في السطور الماضية .. والان نود ان ننقل الى خطوة اخرى
 لنرى فيها بعض تحديثات الشريعة الاسلامية للقوانين الوضعية ..

(١) علم الاجتماع ، الرئاسة العامة لتعليم البنات : ط اولى سنة ١٣٩٢ هـ -

الفصل الخامس

ظهور آثار الالحاد في الدول الكبرى

ان للكثيرين يظنون ان محبة الشهوات سهلة وميسورة ، ولكنها مشقة
وجهد وثقل ، وعقابيلها في حياة المجتمع — بل في حياة كل فرد — عقابيل
مؤذية مدمرة ماحقة ..

والنظر الى الواقع في حياة المجتمعات التي " تحررت " من قيود
الدين والاخلاق والحياء ، في هذه العالقة ، يكفي ان يلقي الرعب في
القلوب .. لو كانت هناك قلوب ..

لقد كانت فوضى العلاقات الجنسية هي (المصول) الاول الذي حطم
الحضارة القديمة ، حطم الحضارة الاغريقية (١) وحطم الحضارة الرومانية ،

(١) اليونان : كان اليونان ارقى الأمم القديمة حضارة ، وكانت المرأة في أول
عمره منحة لا قيمة لها في المجتمع ثم ارتفعت مكانة المرأة بتأثير العلم
وانتشار انوار الحضارة .. وكان الحجاب شائعا في البيوت العالسة ..
ثم جعلت الشهوات النفسية تتغلب على اهل اليونان حتى تبدلت مقاييس
الاخلاق عندهم الى حد جعل كبار فلاسفتهم وعلماء الاخلاق عندهم لا
يرون في الزنا وارتيكاب الفحشاء غضاة يلام عليها المرء وبعب .. وقلمما
يرون بأسا بأن يعاشر الرجل المرأة علنا من غير عقد ولا نكاح .. فكان
ذلك هو السبب الحقيقي لزوال هذه الحضارة .. ثم جاء بعدهم الرومان فتقدموا
قليلًا في سبيل المدنية والحضارة .. ثم بدأت تتغير نظرتهم الى العلاقات
والروابط القائمة بين الرجل والمرأة من غير عقد مشروع .. حتى ان العلماء فيهم
بعدون الزنا شيئا عاديا .. وكان ذلك من اسباب هلاكهم وزوال حضارتهم
ولما (الفرس) كانت هناك (المزدكية) التي دعت الى شيوعية النساء :
وأما في (بابل) كان الناس ينظرون الى الزنا بعين التقدير والاحلال ..
وأما في (الهند) آنذاك كان هناك (بام مارك) .. هذه صور من الماضي ..
وسيري القارئ ان صورها لا فرق بينها وبين الصورة الالحادية الحالية .. وان
اختلفتا في مظاهرها الا انها لا تختلف في جوهرهما ..

وحطم الحضارة الفارسية ... وهذه الفوضى ذاتها هي التي تحطم الحضارة الغربية اللاحادية ، وقد ظهرت آثار التحطيم شبه كاملة في انهيار فرنسا التي سبقت في هذه الفوضى والتي تعتبر - بحق - أم الحضارة اللاحادية - الحالة ... كما بدأت هذه الآثار تظهر في امريكا والسويد وانجلترا وغيرها من دول الحضارة الحديثة ... فلا بد اذن من التوضيح ...

واليك بعض الأمثلة تؤيد ما قلناه ...

أولا :- فرنسا أم الحضارة الاباحية :

هناك بحث قيم للاستاذ ابي الاعلى المودودي - رحمه الله - امير الجماعة الاسلامية بباكستان في كتابه القيم " الحجاب " سوف تنقل عنه كثيرا من هذه الملاحظات التاريخية مما يتناسب وهذا الموضوع . ومن نظر في انهيار فرنسا التام في كل حرب خاضتها منذ سنة ١٨٧٠ الى اليوم لا يستغرب من الكلمات التي سجلها الاستاذ ابو الاعلى المودودي في كتابه المذكور حيث يقول :

" ان اول ما قد جر على الفرنسيين تمكن الشهوات منهم ، اضمحلال قواهم الجسدية ، وتدرجها الى الضعف يوما فيوما . فان الهياج الدائم قد اوهن اعصابهم ، وتعبد الشهوات يكاد يأتي على قوة صبرهم وجلدهم ، وطغيان الامراض السرية قد اجحف بصحتهم ، فمن اوائل القرن العشرين لا يزال حكام الجيش الفرنسي يخفزون من مستوى القوة والصحة البدنية المطلوب في المتطوعة للجند الفرنسي على فترة كل بضع سنين . لأن عدد الشبان الوافين بالمستوى السابق من القوة والصحة لا يزال يقل ويثدر في الأمة على مسير الايام ... وهذا مقياس أمين يدلنا كدلالة مقياس الحرارة في الصحة والتدقيق على كيفية اضمحلال القوى الجسدية في الأمة الفرنسية . (١)

(١) راجع كتاب الحجاب للسيد ابي الاعلى المودودي امير الجماعة الاسلامية بباكستان

ثم قال : " ومن اهم عوامل هذا الاضمحلال : الامراض السرية الفتاكة .
 يدل على ذلك ان كان عدد الجنود الذين اضطرت الحكومة الى ان تعفيهم من العمل
 وتبعث بهم الى المستشفيات في السنتين الاوليتين من سنى الحرب العالمية
 الاولى لكونهم مصابين بمرض الزهري ، خمسة وسبعين الفا . وابتلى بهذا
 المرض وحده ٢٤٢ جنديا في آن واحد في ثكنة متوسطة . وتصور
 بالله - الكلام لا يبي الا على المودودي - حال هذه الامة البائسة في
 الوقت الذي كانت فيه - بجانب - في الضيق الحرج بين الحياة والموت ، كان
 ابناءؤها الشباب تعطل الاف منهم عن اعمال الدفاع ، من جراء انغماسهم
 في اللذات . . وما كفى امتهم ذلك خسرانا ، بل ضيعوا جانباً من ثروة الامة
 ووسائلها في علاجهم في تلك الاوضاع الحرجية .

" يقول دكتور فرنسي نطالسي يدعى الدكتور (لبريه) . انه
 يموت في فرنسا ثلاثون الف نسمة بالزهري ، وما يتبعه من الامراض الكثيرة في كل
 سنة . وهذا المرض افكك الامراض بالامة الفرنسية بعد حى (الدق) .
 وهذه جزيرة مرض واحد من الامراض السرية التي فيها عدا هذا امراض
 كثيرة اخرى " . (١)

قلّة الزواج في فرنسا

ومن تأمل في اخلاق الفرنسيين عن كثب وعن كتب أيضا يراههم
 انهم يتأنفون من الزواج وذلك لسهولة تلبية الميل الجنسي وفوضى العلاقات الجنسية .
 والفرار من تربية الاطفال . ومن ثم قل التناسل فيهم وانحدروا الى الهاوية . .
 فلنستمع الى الاستاذ المودودي مرة ثانية ليؤكّد هذه الحقيقة :
 " سبعة او ثمانية في الالف هو معدل الرجال والنساء الذين يتزوجون
 في فرنسا اليوم . ولك ان تقدر من هذا المعدل المنخفض كثرة النفوس التي لا
 (٢)

(١) المصدر السابق ص ٩١ - ٩٢

(٢) " " " " ص ٩٢

تتزوج من اهل بيها . ثم هذا النذر القليل من الذين يحققون الزواج ، قل فيهم من ينوون به التحصن والتزام المعيشة البرة الصالحة بل هم يقصدون به كل غرض سوى هذا الغرض حتى انه كثيرا ما يكون من مقاصد زواجهم ان يحللوا به الولد النفل الذي قد ولدته امه قبل النكاح ، ويتخذوه ولدا شرعيا .

الحدوى في مستعمراتها

نقول : ان هذه المادة قد انتشرت في جميع المستعمرات الفرنسية انك تجد الرجل ليستحته الا زوجة واحدة ولكنك تجد في بيته اولادا كثيرين مختلفين في اللون واللغة وكلهم ينتسبون اليه . ذلك ان القانون سمح له ان يتزوج زوجة واحدة فقط ويحرم عليه تعدد الزوجات على حين فتح له باب المومسات والمحبات واذا ولدن له اولادا غير شرعيين فله الحق ان يضمهم الى بيته باسم زوجته الشرعية الوحيدة . وهذا القانون شائع في جميع المستعمرات الفرنسية ولا يحتاج الى استدلال او ادنى تأمل

ويوجد ايضا في تلك المستعمرات بيوت الدعارة للنساء مفتحة ابوابها ليل نهار لممارسة الالتقاء الجنسي علنا بدون حياء من الناس . بل اصبح ذلك عادة حتى لا يفكر فيها احد هناك من الناحية الاخلاقية . وكل ذلك رغم الجهود المبذولة من العلماء هناك وأئمة المساجد وكلهم قاموا بدورهم في تقبيح هذه المادة ولكن الشباب اصبحوا كالذئاب الضارية لا يلتفتون الا الى ما يلقونه من اساتذتهم الفرنسيين . وهناك امور من المضحكات المبكيات لا يصدقها الا من عاش هناك فترة من الزمن .

هذا بعض آثار الاحاد في فرنسا ومستعمراتها .

الآن الكلام لكاتب فرنسي يصور لنا كيف كان الغرض من الزواج - آنذاك

في فرنسا اسمه : (بول بيورو) وهو يقول :

" من العادة الجارية في طبقة العاطلين في فرنسا ان المرأة منهم تأخذ

من خدنها ميثاقا قبل ان يعقد بينهما النكاح ، وان الرجل سيتخذها ولدها

الذي ولدته قبل النكاح ولدا شرعيا له . وجاءت امرأة في محكمة الحقوق

بمدينة سين (*Sine*) فصرحت : " انسى / ^{كت} قد اذنت بعلى عن

النكاح بأني لا أقصد بالزواج الا استحلال الاولاد الذين ولدتهم نتيجة

اتصالى به قبل النكاح . وأما ان اعاشره واعيش معه كزوجة ، فما كان في نيتي

عند ذاك ، ولاحق في نيتي الان . ولذلك اعتزلت زوجي في اصل اليوم

الذي تم فيه زواجنا . ولم التق به الى هذا اليوم ^(١) لاني كنت لا أنوي

قطان اعاشره معاشرة زوجية .

ثم أضاف (بول بيورو) قائلا عن عميد كلية شهيرة في باريس :

" ان عامة الشباب يروبدون بعقد النكاح استخدام بخفي في بيتهم

أيضا . ذلك انهم يظلون مدة عشر سنين او اكثر يهرمون في أودية الفجور

احرارا طلقاء ثم يأتي عليهم حين من دهرهم يملون تلك الحياة الشريفة

المثقللة فيتزوجون بامرأة بعينها ، حتى يجمعوا بين هدوء البيت وسكينته ،

ولذة المخادنة الحرة خارج البيت " ^(٢)

وهكذا تدهورت فرنسا وهكذا هزمت في كل حرب خاضتها وهكذا

تتوارى عن مسرح الحضارة ثم عن مسرح الوجود يوما بعد يوم حتى تحس

سنة الله التي لا تتخلف وان بدت بطيئة الدوران في بعض الأحيان بالقياس الى

تعجل الانسان . وصدق القائل حيث يقول :

انما الأمم الأخلاق ما بقيت وان هم ذهب أخلاقهم ذهبوا

أما الدول التي لا تزال تبدو فتية ، أولم تظهر فيها آثار الدمار
واضحة بعد فهذه نماذج مما يجري فيها ، فلنبداً :
السويد : (13)

يقول صحفي ممن زاروا السويد حديثاً (١) . . بعد ان يتحدث عن
" حرية الحب في السويد " وعن الرخاء المادي والضمانات الاجتماعية فسي
مجتمعيها الاشتراكي النموذجي : " اذا كانت اقصى احلامنا ان نحقق للشعب
هذا المستوى الاقتصادي الممتاز وان نزيل الفوارق بين الطبقات بهذا الاتجاه
الاشتراكي الناجح ، وان نؤمّن المواطن ضد كل ما يستطيع اي عقل ان
يتصوره من انواع العقبات في الحياة . . اذا وصلنا الى هذا الحلم البهيميج
الذي نسمى بكل قوانا وامكانياتنا الى تحقيقه في بلادنا الشرقية . . فهل نرضى
نتأججه الاخرى ، هل نقبل الجانب الاسود من هذا المجتمع المثالي ؟
هل نقبل " حرية الحب " واثرها الخطير على كيان الأسرة ؟
دعونا نتحدث بالارقام :

" مع وجود كل هذه المجتمعات على الاستقرار في الحياة ، وتكوين أسرة
أسرة فان الخط البياني لعدد سكان السويد يميل الى الانقراض . . مع وجود
الدولة التي تكفل للفتاة اعانة زواج ثم تكفل لطفليها الحياة المجانية حتى يتخرج
في الجامعة فان الاسرة السويدية في الطريق الى عدم انجاب اطفال على الاطلاق !
" يقابل هذا انخفاض مستمر في نسبة المتزوجين ، وارتفاع مستمر في نسبة
عدد المواليد غير الشرعيين . مع ملاحظة ان عشرين في المائة من البالغين
الاولاد والبنات لا يتزوجون أبداً .

" لقد بدأ عهد التصنيع . وبدأ معه المجتمع الاشتراكي في السويد
عام ١٨٧٠ م كانت نسبة الأمهات غير المتزوجات في ذلك العام ٧ في المائة

(١) راجع في ظلال القرآن ، سيد قطب الجزء الرابع الطبعة السابعة ص ٣٢٩
نقد عن كتاب الحجاب .

وارتفعت هذه النسبة في عام ١٩٢٠ م الى ١٦ في المئة . والاحصائيات بعد ذلك لم أعثر عليها . ولكنها ولاشك مستمرة في الزيادة !

بدء العلاقات الجنسية البشعة في السويد

ثم اضاف قائلا :

" وقد أجرت المعاهد السويدية العلمية عدة استفسارات عن " الحب الحر " في السويد فتبين منها ان الرجل تبدأ علاقاته الجنسية بدون زواج في سن الثامنة عشرة والفتاة في سن الخامسة عشرة . وان ٩٥ في المئة من الشبان في سن ٢١ سنة لهم علاقات جنسية ثم أكد ذلك بقوله :

" واذا اردنا تفصيلا تفنح المطالبين بحرية الحب فاننا نقول : ان ٧ في المئة من هذه العلاقات الجنسية مع خطيبات و ٣٥ في المئة مع حبيبات و ٥٨ في المئة مع صديقات عابرات .

" واذا سجلنا النسب عن علاقة المرأة الجنسية بالرجل قبل سن العشرين وجدنا ان ٣ في المئة من هذه العلاقات مع ازواج و ٢٧ في المئة منها مع خطيب و ٦٤ في المئة منها مع صديق عابر .

" وتقول الابحاث العلمية : ان ٨٠ في المئة من نساء السويد مارسن علاقات جنسية كاملة قبل الزواج و ٢٠ في المئة يقين بلا زواج .

" وأدت حرية الحب بطبيعة الحال الى الزواج المتأخر . والى الخطبة الطويلة الأجل . مع زيادة عدد الاطفال غير الشرعيين كما قلت . (١)

اذا بلغ المجتمع الى مثل هذا المستوى البهيمى ، فلا بد ان يزيد تفكك الأسرة فيه ويكثر الطلاق ولذا قدروا نسبة الطلاق في السويد انه قد ارتفع عام ١٩٥٤ الى ١١٤ طلاقا بين كل ١٠٠ الف من السكان "

ثم الاقبال على المخدرات والخمر شئ * يفوق حد الوصف * ولا فرق في ذلك بين الكبار والصغار * وكما كانت حرية الحب مكفولة في السويد كانت حرية الالحاد مكفولة ايضا * ولذا ان عشرالذين يصلون الى سن البلوغ في السويد يتمرضون لاضطرابات عقلية ويقول اطباء السويد : " ان ٥٠ في المئة من مرضاهم يعانون من اضطرابات عقلية تلازم امراضهم الجسدية " (١)

ولا شك ان التماذى في التمتع بحرية الالحاد سيضعف هذه الانحرافات النفسية ويزيد من دواعي التفكك الاسرى ، ويقربهم الى هوة اتقراض النسل .. هذا ما فعله الالحاد واتباع الشهوات بهذا المجتمع * وكل ذلك نتيجة الحياد عن منهج الله تعالى * لأنه ليس هناك الا منهج واحد هو الجسد والاستقامة والالتزام وكل ما عداه ان هو الا هوى يتبع وشهوة تطاع ، والحاد وفسوق وضلال .

ثانيا - الحال في امريكا : (١٤)

ومن تتبع المجتمع الامريكى ير ان الحال في امريكا لا تقل عن هذه الحال في السويد رغم هذه الظواهر البراقة الخارجية ، هناك الدمار الداخلى يسرى في عروق هذا المجتمع وعوامل التدمير تعمل في كيانها لأن سنة الله لا تختلف * فكل أمة تتخذ الالحاد والابتعاد عن منهج الله مذهباً لحياتها فلا شك ان تنال نصيبها من الدمار والويلات .

وامريكا قد بدأ ينتشر فيها الانحلال الخلقى والانجراف فى الشهوات فى شتى المجالات .. هذا ما لاحظته رئيس الولايات المتحدة ان ستة من كل سبعة من شباب امريكا لم يعودوا يصلحون للخدمة بسبب الانحلال الخلقى الذى يعيشون فيه (٢) .

(١) نقلا عن كتاب الحجاب للمودودى ص ١٢٩ - ١٣٠

(٢) فى ظلال القرآن ج ٤ ص ٣٣٢

وقد كتبت احدى المجلات الامريكية منذ اكثر من ربع قرن تقول :

" عوامل شيطانية ثلاثة يحيط ثلوثها بدنيانا اليوم • وهي جميعها في تسخير سمير لا هل الارض :

أولا :- الادب الفاحش الخليج الذي لا يفتأ يزداد في وقاحة ورواجه بعد الحرب العالمية الاولى بسرعة عجيبة •

والثاني :- الافلام السينمائية التي لا تذكي في الناس عواطف الحب الشهواني (١) فحسب بل تلقينهم دروسا عطية في بابه •

الثالث :- انحطاط المستوى الخلقي في عامة النساء الذي يظهر في ملابسهن بل في عريهن وفي اكثارهن من التدخين واختلاطهن بالرجال بلا قيد ولا التزام •

وهذه المفاصد الثلاثة فبنا الى الزيادة والانتشار بتوالي الايام • ولا بد ان يكون مآلها زوال الحضارة والاجتماع النصرانيين وفناءها اخر الامر فان نحن لم نحد من طفيلاتها فلا جرم ان يأتى تاريخنا مشابها لتاريخ الرومان • ومن تبعهم من سائر الامم الذين قد اوردتهم هذا الابتداء للأهواء والشهوات موارد الهلكة والفناء • مع ما كانوا فيه من خمر ونساء او مشاغل ورقص ولهو وغناء " (٢)

(١) راجع تطور المجتمع الامريكي ، تأليف كينت لن ت : نعيم موسى ، دار البقعة ١٩٦٦ م انه اميركي ومع ذلك صرح بالتصريح التالي : " ارى موكبا لا نهاية له من اعمال السلب والاحتفال الحكومية ، والصوصية التجارية وشنق الاعناق وقلة الذوى والاختلاس والزنى الشرعى " .

(٢) المرجع السابق ٣٣٢

والذي حدث ان امريكا لم تحد من طفيلان هذه العوامل الثلاثة .
بل استسلمت لها تماما وهي تمضي في الطريق الذي سار فيه الرومان . ودلينا
على ذلك ما كتبه صحفي آخر عن موجة انحراف الشباب في امريكا (١) وبريطانيا
وفرنسا وهو يقول :

" انتشرت موجة الاجراء بين المراهقين والمراهقات من شباب امريكا
واعلن حاكم ولاية نيويورك انه سوف يجعل علاج هذا الانحراف على رأس برنامج
الاصلاح الذي يقوم به في الولاية .

" وعهد الحاكم الى انشاء المزارع " والاصلاحيات " التهذيبية
خاصة بين طلبة وطالبات الجامعات ومنها الحشيش والكوكايين لا يدخل في برنامجه ،
وانه يترك امره للسلطات الصحية "

وهكذا عجز المصلحون في رد الشباب في امريكا الى رشدهم وكيف يستطيعون
اصلاح مجتمع قد اختار الالحاد على الهدى والايمان .

وكيف يستطيعون ذلك وقد بلغت ارقام الجرائم فيه كالتالي :
" ان الاحصائيات الامريكية الحديثة تشير الى ان ١٧٥٠٠٠٠ جريمة
خطيرة ترتكب في كل عام . وأن ١٥٠٠٠٠٠ طفل بين ٧ و ١٧ سنة من عمره
تقبض عليهم الشرطة من هؤلاء ٣٥٠٠٠٠٠ يقدمون الى محاكم الاحداث لا يقل
في العام عن اربعة ونصف مليون مدمن وان حالات الانتحار فهي اكبر من ذلك
بكثير " .

(١) راجع كتاب المجتمع الامريكي عاريا ص ٢٠ تأليف فينس باكارد ت : عبد الحميد
سليم مصر ١٩٧٢م يقول هذا الاستاذ مايلى : " اننا نجد تناقضا في مجتمع
بجاول ان يضع اناسا على القمر في حين ان ملايين من سكانه في المدن لا
يجرؤون على السير وحدهم ليلًا في الشوارع او في الحدائق المجاورة لبيوتهم " .

(٢) في ظلال القرآن سيد قطب ج ٤ ص ٣٣٣

(٣) مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام يوسف كمال ص ٢٨

ويقول القاضي (لندس) انه يسقط فيها مليون حمل على الاقل في كل سنة ويقتل الاف الاطفال من فور ولادتهم ..

وفيهما تبلغ نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية في احدى المدن

٤٨ بالمائة حسب احصاء عن مدينة (نغز) عاصمة (كولورادو) .

وفيهما تبلغ نسبة البيوت والاسر المحطمة بالطلاق تقفز فترة بعد فترة

كلما ازداد الاختلاط وكثرت الاباحية وهذه النسبة المخيفة تضي في هذه

النسبة حسب احصائية امريكية صدرت سنة ١٩٥٠م

نسبة الطلاق ٦% عام ١٨٩٠

١٠% = ١٩٠٠

١٠% = ١٩١٠

١٤% = ١٩٣٠

٢٠% = ١٩٤٠

٣٠% = ١٩٤٦

٤٠% = ١٩٤٨

انشاء غرف ولادة في جميع المدارس

وفي امريكا صدرت التعليمات الى جميع مدارس نيويورك بانشاء غرف

ولادة في كل مدرسة على ان يدرب اثنان من موظفي المدرسة على اعمال التوليد

الى ان يتم استدعاء الطبيب المختص ، وقد صدرت تلك التعليمات من المجلس

الصحي للمدينة بناء على طلب مجلس التعليم الذى يرى تسجيل الطالبات الحوامل

على الاستمرار في الدراسة بدل فصلهن من المدرسة وقال المجلس : ان عدد الطالبات

الحوامل دون زواج في مدارس (نيويورك) وحدها بلغ ٢٤٧٨ حاملا في عام

١٩٦٩م (١)

(١) راجع كتاب خطر التبج والاختلاط عبد الباقي رضات ص ١٤٢ ط اولى في

مؤسسة الرسالة - بيروت ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م

ففي عام ١٩٦٨م وقعت ٥٤ مليون جريمة كبرى في الولايات المتحدة وجرائم القتل فيها تزيد ٤٨ مرة عن مثيلاتها في بريطانيا والمانيا واليابان معا . . فالحنف أصبح حقيقة اساسية موجودة في المجتمع الامريكي والامريكيون يمشون في رعب الجريمة كل يوم . . ولذا يخشى اغلبية السكان الخروج وحدهم ليلا وتقتنى ثلاث المائلات الامريكية بنادق في بيوتها بينما يحاول اكثر سكان المدن الرحيل بعيدا الى الريف هربا من كابوس جرائم المدن المخيف . (١)

* * *

وقرر كيندي في تصريحه الخطير سنة ١٩٦٢م . ان مستقبل امريكا في خطر لان شبابها مائع منحل غارق في الشهوات لا يقدر المسؤولية المطلقة على عاتقه ، وانه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للمتجنبد يوجد ستة غير صالحين ، لان الشهوات التي غرقوا فيها افسدت قواتهم الطبية والجسمية والنفسية . (٢)

ثالثا - وفي روسيا المتحدة ايضا :

(١٥)
وشرح خروشوف سنة ١٩٦٢م كما صرح كيندي في نفس العام بأن مستقبل روسيا في خطر وان شباب روسيا لا يؤمن على مستقبلها لانه مائع منحل غارق في الشهوات .

ففي روسيا وفي المانيا كذلك شعار تتناقله الالسن وهو : عار على البنت الروسية والالمانية ان تبقى بكرا وأدوات منع الحمل موجودة في كل طريق . (٣)

(١) المرجع السابق ص ١٤٠

(٢) المرجع السابق ص ١٤٠

(٣) المرجع السابق ص ١٤١

رابعاً - نظرة غابرة على بريطانيا :

ولم يعد غريباً ان نجد الشهوات في جميع المجالات في بريطانيا بعد ما أن تقدم بالفعل بعض اعضاء المحافظين الى مجلس العموم البريطاني في دورته في نوفمبر سنة ١٩٦٥ بمشروع قانون يتضمن باباحة العلاقات الجنسية (١) .
واذا وقع هذا كيف نستغرب من الحكاية التالية يذكرها الاستاذ المودودي في كتابه السابق :

" ومنذ شهرين اثنين كان شيخ عجوز في طريقه الى القرية ، عندما أبصر على جانب الطريق - وتحت شجرة - غلاماً يضاجع فتاة ..
" واقترب الشيخ منهما . ووكز الغلام بحصاه وزجره ووبخه ، وقال له : انما يفعله لا يجوز ارتكابه في الطريق العام ، ونهض الفتى وركل الشيخ بكل قوته في بطنه .. ووقع الشيخ وهنا ركله الفتى في رأسه بحذائه .. واستمر يركله بتسوة حتى تيمشم الرأس .
" وكان الغلام في الخامسة عشرة ، والفتاة في الثالثة عشرة من عمرها " (٢)

القصة العجيبة من بريطانيا

نشرت جريدة التايمز اللندنية تقارير طبية وصرحات رسمية وخاصة عديدة بشأن الاجهاض وخطره منها :
وقفت الجمعية الطبية البريطانية مذهولة ازاء ارقام الاجهاض الملحوظة في الربع الاول من سنة ١٩٧١ م اي في ربيع سنة فقط والبالغة : ٨٠٨ ٢٢ حادثة وردت حسب العمر على الشكل التالي :

(١) مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام . يوسف محمد كمال ص ١٦

(٢) كتاب الحجاب ابو الاعلى المودودي ص ١٣٠

(٣) راجع كتاب خطر التبرج والاختلاط عبد الباقي رمضون ص ١٤٣

عدد الحوادث	السن
-------------	------

٥٣٣	اقل من ١٦
٤٠٦٣	١٦ - ١٩
١٣٨٧٣	٢٠ - ٢٤
٣٧٨٦	٢٥ - ٤٤
١١٤	٤٥ وما فوق
٢١٧	بدون تحديد

هذا وقد عاينت الجمعية الطبية المذكورة على الحدود الاجمالي لحوادث الاجهاض لعام ١٩٧١م البالغ ٨٠٧٢٣ حادثة قاتلة :

ان الزيادة في عدد الحوادث في الاجهاض في الوقت الحالي تتم
 طلبنا المطالبة بوضع حد حازم وفعال للاجهاض خاصة وان الارقام في زيادة
 مستمرة . . .

في السويد :

انخفاض مستمر في نسبة المتزوجين الى غير المتزوجين وارتفاع مستمر في
 عدد المواليد غير الشرعيين مع ملاحظة ان ٢٠ % من البالغين من الاولاد والبنات
 لا يتزوجون ابدا وان نسبة الطلاق في السويد هي اكبر نسبة في العالم كله ،
 وانه يحدث حادثة طلاق واحدة من بنين ست او سبع زوجات طبقا للاحصائيات
 التي اعدتها وزارة الشؤون الاجتماعية في السويد . (١)

وفي ايطاليا : (١٦)

اثبت الاحصاء ان ٧٥ % من الشعب الايطالي يفضلون قراءة مجلات الجنس
 والنكاح اكثر من اهتمامهم بالصحف السياسية اليومية ، واكد الاحصاء ايضا ان مؤسسات
 نشر الكتب والمجلات الجنسية العارية تعتبر اضعف المؤسسات في ايطاليا .

(١) المرجع السابق ص ١٤٢ وقد ترد ثنا عن السويد سابقا
 ولكننا اعدنا الملاحق عليها هنا لموضوع الطلاق.

وفي المجسر : (١٧)

اعلن البروفسور المجري : ان عدد حالات الاجهاض التي تحدث في العالم اصبحت تبلغ ٣٠ مليون حالة سنويا اي ما يعادل حالة اجهاض واحدة كل ثانية و اشار الى ان عدد عمليات الاجهاض في بعض الدول يفوق عدد حالات الوضع ومن بين هذه الدول المانيا والنمسا وبلجيكا . (١)

وفي الدانمرك : (١٨)

قامت تظاهرة نسائية ضخمة في شوارع عاصمتها كوبنهاجن سنة ١٩٧٠م تناقلتها بعض وكالات الانباء بالاذاعات ونشرت في كثير من الصحف منها مجلة الاسبوع العربي بنفس العام وفي شهر ايلول ونشرت صورتها في المجلة . . اشترك فيها عدد كبير من الفتيات وطالبات الجامعة وكن يرودن الهتافات التالية و يحملن بها على اللافتات المكتوبة والمصورة في المجلة :

- نرفض ان نكون اشياء . .
- نرفض ان نكون سلحا لتجارة الاباحية . .
- سعادتنا لا تكون الا في المطبخ . .
- نريد ان تبقى المرأة في البيت . .
- أعبدوا الهنا انوشتنا . .
- اننا نرفض الاباحية . . (٢)

هكذا يفعل الالحاد باهله . . . باليتين يقرئن قوله تعالى :
 * وقرن في بيوتكن ولا تسرجن تبج الجاهلية الاولى واقمن الصلاة وآتين
 الزكاة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم
 تطهيرا * (٣)

(١) المصدر السابق

(٢) خطر التبج والاختلاط عبد الباقي رمزون ص ١٤٤

(٣) سورة الاحزاب الآية ٣٣/

وقوله تعالى : * واذا سألتموهن متاعا فسئلهن من وراء حجاب ذلكم

أظهر لقلوبكم وقلوبهم * (١)

وقوله تعالى * بأيتها النبي قل لا زواجك وبنائك ونساء المؤمنين

يدينن عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذيكن
وكان الله غفورا رحيمًا * (٢)

تقول الكاتبة الانجليزية اني رود عن ذلك :

" اذا اشتغلت بتاتنا في البيوت خوادم او كالخوادم هير وأخف

بلاء من اشتغالهن في المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب
بروثى حياتها الى الأبد ..

أيا ليت بلادنا كبلاد المسلمين حيث فيها الحشمة والصفاء والطهارة

رداء الخادمة والرقيق اللذين يتنعمان بأرغد عيش وعاملن معاملة أولاد
رب البيت ولا يمس عرضهن بسوء ..

نعم انه عار على بلادنا الانكليزية ان تجعل بناتها مثلا للرزائل

بكثرة مخالطتهن للرجال ، فما بالناس نسي وراء ما يجعل بناتها تحمل ما
يوافق فطرتها الطبيعية كما قضت بذلك الدبابة السماوية وترك اعمال الرجال
للرجال سواة لشرفها .. (٣)

حقا .. هذا ما اشار اليه الاستاذ محمد فريد وجدى بقوله :

" وظيفة المرأة الحقيقية هي القيام بالواجبات المنزلية .. " (٤)

ولكنها ^{ان}تركت هذه الوظيفة " نجم عنه الشقاء المستديم للمرأة وللمجتمع كله " (٥)

(١) سورة الاحزاب / ٥٣ (٢) سورة الاحزاب / ٥٩

(٣) الاسلام روح المدنية ضد مصطفى الغلاييني ص ١١١ المكتبة الاهلية ١٣٤٤هـ

(٤) راجع دائرة معارف القرن العشرين فريد وجدى ٦٣٩/٨

(٥) انظر المرأة بين الفقه والقانون : مصطفى السباعي ص ٣٠٠ ط ٤ المكتب الاسلامي

وراجع ايضا مجلة الاعتصام العدد ٣ السنة ١٣٦٨/٤١هـ

كونهاجن تصدر المطبوعات الجنسية (١٩)

وكتبت مجلة "حضارة الاسلام" في عددها العاشر لعام ١٩٧١ ما يلي :

"تنتشر في كونهاجن - عاصمة الدانمارك المتاجر التي تختص ببيع المطبوعات الجنسية حتى اصبح هذا هو طابع تلك المدينة واكثر صادراتها في انحاء العالم . وهي عاصمة (الهيببين) يحجون اليها ، ويتجمعون في انحاء ميادينها الواسعة ويسبرون نهارا واباء بالباسهم الخاصة القليلة واقدامهم الحافية وشعورهم الشعثة الوسخة في شوارعها . . (١)

والهيب والخنفس والبوب - شباب فارغ نفسا وروحيا وفكريا . .

اهملته الحضارة الالهادية الحاضرة فلم تملأ فراغه ، فراح يملوه بنفسه في اماكن العبث واللهو حسب الهوى . . . فاصبح يتصرف حسب الاهواء ،

مرة يلبس القصير الضيق

واخرى الطويل الفضفاض

ومرة يحلق شعره حتى يبلغ ظهره

واخرى يحلقه من اصله

ومرة يقلد الحشرات

ومرة يقلد الحيوانات . .

الى غير ذلك من المتناقضات في السلوك والتصرفات والخواطر والافكار . .

هذا ما يفعله الالهاده . . .

(١) مجلة " حضارة الاسلام " في عددها العاشر لعام ١٩٧١ ص ٢٧

أوربا عامة

صار الجنس وعملياته شيئاً يرافق الفرد الاوربي اينما وجد وحشماً كان في حله وترحاله وفي جميع جوانب حياته حتى غداً شيئاً مألوفاً ومعارفاً عليه ويتمتع به آخر - متواطئاً عليه - دون تمييز بين خير او شر ودون تفريق بين فضيلة و رذيلة أوبين ضاراً و نافع أوبين صالح أو فاسد .
والغريب ان جميع المستعمرات الاوربية - حتى ولو بعد ان نالت استقلالها - يقلد شبابها أوربا في كل هذه الدعاية . وربما يفعلون اشياء في هذه الناحية ما لا يفعله الاوربيون انفسهم .

ففي تلك المستعمرات تجد النساء المرافقات - او السكرتيرات - وهن رفيقات تحت اسم جديد . . فلا يكاد لا يخلو منهن مصنع أو متجر او حانوت أو مكتب . . للخدمة والمتعة والتسلية والضيافة . .

وعموماً فان الحياة المادية المحضة هي التي تسود أوربا وجميع مستعمراتها في الشرق والغرب واصبح هدف الناس الوحيد هو تأمين المال والخمرة واللذة دون اهتمام للقيم الانسانية والكرامة والآدمية ودون اى امثال للحقائق العلمية والاكتشافات الطبية والنظريات العقلية والآراء المنطقية . .

قد سادت الانانيات ، وتفشت الأوبئة وكثرت الجرائم واصبح الانسان عدواً لأخيه الانسان . .

بل
فالحقيقة ان الذى يتصل بالأوربيين عن كتب عن
كتب أيضاً يستغرب أن تكون في قلوبهم أدنى شئ من
الخبرة الانسانية .

تجددهم يرقصون مع زوجات اصدقائهم في حضراتهم اوفسي
حال غيابهم .. ولا يشعر احد منهم بخيبة .. بل يعتبرون ذلك تمدننا
وحضارة وثقافتنا ..

اذا رأيتهم يرقصون لا تجد بينهم وبين البهائم فرقا بل البهائم
اهدى منهم بكونها باقية على فطرتها وخلقتها .. واذا أردنا مزيدا
على ذلك فلنقرأ الكلمات التالية :

" ففي مسرحية - هير - ظهر فيها الممثلون " عراة " تماما
على خشبة المسرح ، ثم ظهرت في نيويورك (تشي غيفارا) وقف
فيها الممثلون ليمارسوا عملية الشذوذ الجنسي - اللواط امام اعين
المتفرجين ..

وفي نيويورك ايضا مسرحية (أوه كالكوتا) تحتوى على
عشر شخصيات ، منها خمسة رجال وخمس نساء وقفوا ليقوموا فيها
بعملية الملاقة الجنسية " كل رجل مع امرأة " علانية وأمام مئات
المتفرجين دون أى حرج وبوقاحة حيوانية منقطعة النظير ..

وفيها ايضا تعرض الفتيات والنساء باوضاع مغرقة ومثيرة يراها
الصادق والفاقدى كما تعرض الأزياء وكل منها بسمرة فيأخذ الرجل
منهن من تعجبه

انا لله وانا اليه راجعون ..

صدق الله تعالى * ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا *
هذه من آثار الاحاد والاعراض عن وحى السماء .. ان هذا لا يدع
مجالا للشك من أن الدول الأوربية تنهار ان استمرت على هذا
الخط المموج

الخلاصة :

- ان في تلك المجتمعات الالحادية تجد :
- الشاب الشارد والخمور والحشيش والافقيون
 - الجيل المنحل المريض جسميا وعقليا ونفسيا ..
 - عصابات القتل والخطاف والاعتصاب الجنسي ..
 - عصابات التهريب للمخدرات كالافيون والحشيش
 - تجار الشهوات والفرائز وبيع الفتيات وتاجير البغايا ..
 - عصابات من الاطباء والمحامين ورجال القانون لتفطية الجرائم وهضم الحقوق
 - لقاء الرشوة المالية والجنسية ..
 - نوادي العزاة يتصرى فيها روادها من كل رداء دون اي حياء
 - افواج العاهرات والمومسات يحترفن الزنى لكسب الكفاف ..
 - الاغاني الفاحشة والموسيقى المثيرة والتشبهات المبهجة
 - كتب الجنس ومجلات العرى ومساح الرقص والمجون ..
 - افواج (الهيبين) المتشبهين بالحيوانات والحشرات ..
 - افواج (البوب) الفارقين في السكر والمخدرات والزنى والفحش ..
- الى غير ذلك من مظاهر الالحاد والفساد مما لا يمكن عددها وحصرها .. (١)
- هذه هي صورة اوربا الحالية شرقية وغربية . وهذه الصورة ، كما قلنا ، تنطبق على اغلب مستعمراتها التي قلدها في التبن والاختلاط والاباحية والالحاد .

(١) نكرر دائما ان اسباب هذا الالحاد الفريد راجع بادى ذى بدء الى طغيان الكنيسة قد أتت قومها برهبانية تصادم الفطرة الانسانية .. وكانت هذه الاباحية المطلقة ردود فعل لهذه الرهبانية العاتية .. ومثال ذلك قول احد رجال الكنيسة لتلاميذه مرة : " اذا رأيتم امرأة فلا تحسبوا انكم ترون كائنا بشريا بل ولا كائنا وحشيا .. وانما الذى ترون هو الشيطان بذاته والذى تسمعون هو صفيح الثعابين "

راجع اساطير اغريقية من سلسلة التراث الانسانية .

الفصل السادس

أسباب تدمير الأمم والشعوب

إذا قلنا ان أوروبا تشق طريقها الى الدمار ، لا نقول ذلك من بنات افكارنا وانما نجد امامنا نصوصا قاطعة لا تقبل اى تأويل .. فهي تشير الى اسباب تدمير الشعوب والأمم ..

ومن يتأمل في هذه الاسباب يجدها تنطبق على أوروبا الحالية أيضا

• انطباق •

إذا رجعنا الى القرآن الكريم نرى من القواعد الكلية التي اثبتتها ، ان

الله تعالى ليس يظالم حتى يهلك أمة بلا سبب وهي تعمل صالحا •

* وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون * (١)

وليس المراد بهذا الهلاك والتدمير ان تقلب طبقات البلاد فحسب ، بل من صور الافناء والتدمير ايضا ان يشتت أمر الأمم وتكسر قوتهم الاجتماعية وتضرب عليهم الذلة والعبودية والخزى ..

وبحسب هذه القاعدة القرآنية ، لا يصيب أمة ما اى نوع من انواع

الدمار والخراب الا اذا تركت منهج الخير والصالح واخذت تسلك مذهب الشر والفساد والعتو والعصيان وبذلك ظلمت نفسها بنفسها ..

* * *

ان الله تعالى حيث يذكر في كتابه امة اصيبت بعذاب وهلاك يذكر

بجانب ذلك جريمتها اثباتا لتلك القاعدة ، حتى يتبين للناس ان وبال اعمالهم السيئة هو الذى يفسد دنياهم وآخرهم ..

يقول تعالى * فكلأ أخذنا بذنبيه .. وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا

انفسهم يظلمون *

والأمر الآخر الذي يستخرج من هذه القاعدة هو انه لا يكون باعث الهلاك والدمار هو الفساد الفردي بل هو الشر والفساد الاجتماعي القومي ...
ومعنى ذلك انه اذا كانت المفاصد الاعتقادية والعملية ، انما توجد متفرقة في الافراد وكان مستوى الامة الديني والخلقي رفيعا .. من حيث المجموع على حدة .. تظل الامة من حيث المجموع محتفظة بكيانها ولا تحل بها فتنة عامة تجر عليها الهلاك باكملها ..

ولكنه متى جاءت المفاصد الاعتقادية والسلوكية تجاوز الافراد الى الأمة بأسرها وتخدر شعور الامة الديني والاخلاقي الى حد انها اصبحت صالحة لان يزكفها الشر والفساد بدل الخير والصالح .. فان المنايا الالهية - عندئذ - تنصرف عن هذه الأمة ، وتأخذ هذه بالهبوط من علياء المز الى درك الهوان حتى تحين الساعة التي يهيج فيها غضب الله عليها فيدمرها .. وقد تحدثنا جانباً من اسباب هلاك الأمم في مبحث الانتخاب الطبيعي عندما تكلمنا على النشوء والارتقاء والان نرجع الى القرآن الكريم لنرى أدلة اخرى تؤيد الاولى ، نكررها لخصبوتها عن حس الناس اليوم .. فقلك أمة نوح عليه السلام قد اهلكت حين تأصلت فيها مفاصد الاعتقاد والسلوك وجعلت تنمو وتنتشر في المجتمع كله ، ولم يبق من أمل في أن شجرتها الخبيثة ستنتج ثمرا صالحا أبدا فاضطر نوح عليه السلام الى أن ينادى ربه :

* رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا .. ان تذرهم يغفلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا * (١)

ومن عرف الاوربيين عن كتب بل عن كتب ايضا يعلم ان فساد الاعتقاد والسلوك موجودان عندهم بشكل لا مزيد عليه . ولقد رأينا في الفصل السابق كيف انتشرت فوضى الجنسية والفساد والانحلال الخلقي فيهم ..

وصار أمرا طبيعيا جدا وهينا جدا ، ومعروفا جدا ان تتخذ كل فتاة
 صديقا (Boy Friend) وكل فتى " صديقة "
 (Girl Friend) يقضيان كل ما يريدان .. وحبوب منع الحمل
 تبسر الطريق

واستمتعت اوربا وامريكا بنتائج "الاختلاط" كاملة .. ويدا للناس
هناك ان هذا هو الامر الطبيعي الذي لا يستنكر .. ابدا .. صورة طبق
الاصل .. رأينا قوم لوط لا يستنكرون على ذلك بل يخرجون من يتنزه عن ذلك
من قريتهم ..

وهؤلاء المتأخرون ايضا يجعلون كل من لا يمارس هذه الفعلة القبيحة رجما غير متمدن . . (١)

اہل مدین

وهناك صورة اخرى اذا نظرنا الى اهلها نجدهم كأنهم يعيشون
في القرن العشرين هذه الصورة هي صورة اهل مدين . .
ان هؤلاء الفسقة الخونة قد ذاقوا عذاب الله عندما أصبحت
الامة كلها ذائنة غشاشة سيئة المعاملة . ولم يبق التطفيف في الوزن والكيل
واخذ الزائد على الحق شيئا محييا عندهم ومات الحس الخلقى فيهم الى
حد انهم يلومون من ينهأهم عن ذلك ويخطئونه . .
* يا قوم اوفوا بالكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياء هم ولا تمشوا
في الارض مفسدين * (١) قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فبنا ضعيفا
ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بحزيز * (٣)

(١) راجع التماور والثبات في حياة البشرية الاستاذ محمد قطب ص ١٥٤ - ١٥٥

(۲) هود ایت ۸۵ (۳) هود ایت ۹۱

هذه صورة من الصور الاحادية قديما فأهلك الله اصحابها وسنة الله
لا تتخلف وسوف يلقي هؤلاء الملاحدة المعاصرون ما لقي اسلافهم من
الدمار والويلات .

* انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا *

* * *

انتحار الحضارة الغربية

قد تبين لنا السنن الربانية في هلاك الشعب والأُمم ، ونريد هنا
ان نزيل الالهام عن قلوب قد يخيل اليها ان رقي هذه الأُمم الغربية
أبدى سرمدى ، لشدة ما تندش به العقول من هذا الرقي المصحب الذى
حازته ام الغرب في مبادئ السياسة والتجارة والصناعة والحرف والعلوم والفنون .
والشئون الاقتصادية (١) وغير ذلك .

كما يخيل الى تلك القلوب ان الغرب قد قضى الأمر بدوام غلبتها
واستبلائها على العالم وانها قد اختصت - دون غيرها - بالحكم على
البسيط الارضى والسيطرة على عناصر الكون وان قوتها قد بلغت من الشدة
والرسوخ الى ان لا يمكن استئصالها . . . الى اخر هذه التخييلات الفارعة . .
واذا رجعنا الى التاريخ نجد ان مثل هذا الظن الكاذب قد غلب العقول
في كل زمان بالنسبة الى كل تلك الأُمم التي كانت " الأُمم الغالبة " في زمانها . .
ففرعون مصر وأمتا عاد وثمود والكلدانيون في العراق وأكاسرة فارس والفزاة
اليونانيون الغالبون ، وملوك الروم الحاكمون على اقطار الارض ، والمجاهدون
المسلمون الفاتحون للعالم وجنود التتر المخربون ودولة غانا (٢) ومالي (٣) والسفاري (٤)
والامام ساموراي (٥) وسيطرته في افريقيا الغربية ، كل اولئك قد مثل دور القوة

(١) راجع تكوين العقل الحديث ج١ هـ راندال ت: جورج طعمة دار الثقافة ج١ ص ٤٦٨

(٢) (غانة) كانت دولة في افريقيا الغربية (٣) (مالي) هي جاءت بعد غانا

(٤) (سفاري) جاءت ايضا بعد (مالي)

(٥) (الامام سامورى) كان ايضا في غرب افريقيا قائد شجاعا . .

والسيادة على مسرح هذه البسيطة ..

فكل أمة من تلك الأمم لما نهضت غمرت العالم كله بسيادتها .. وقد
سمع دوى شوكتها وجبروتها في ربوع الأرض ، حتى خيل للناس ممن كانوا
يحاصرونهم ان قوتها لن تزول ...

ولكن جاء اجلها وقضى بزوالها الحاكم القوي الذي لا زوال لقوته أبدا
عشر عشرة لم ير لاكثرها وجود بعدها .. او خضعت لمحكومها .. بالأُمَمِ
واصبحت مملوكة لمالكها في الغابر ..

بقول تعالى * قد خلت من قبلك سنن فسيروا في الأرض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين * (١)

وانا لترى - اليوم - كل بقعة من بقاع الأرض آثار الأمم التي سبقتنا
وقد خلفت تلك الأمم من ايات حضارتها وتمدينها وصناعاتها وحذقيها وكمال
براعة بدها ما يدل على انها لم تكن باهون من هذه الأمم الراقية الغالبة في
زمانها بل الصواب انها (الامم الماضية) كانت اقوى وأغلب من هذه
الأمم المعاصرة في ذلك العصر :

* كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها اكثر مما عمروها * (٢)
ولكن كيف كانت النتيجة ؟

انها انخدعت بها وجدت نفسها فيه من حالة النعم .. وفتنتها الرفاهية
فتكبروا وتجبروا لما استتب لهم من القوة والغلبة ، فأخذوا يظلمون انفسهم بما
يرتكبون من سيئات الأعمال :

* واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين * (٣)

وقد أمهلهم الله على رغم تمرهم وابتعادهم عن هدى الله والحادهم :
* وكأين من قرية أهلكنا ولها وهي ظالمة * (٤)

ولكن كل مهلة أمهلوها اصبحت لهم بلاء جديدا .. ان يزعمون انهم قد عجزوا
الله بمكرهم وتدبيرهم .. وهناك انصرف غيبة الله عنهم ..
* ومكروا ومكروا ومكروا وهم لا يشعرون * (٥)

وان المكر والتدبير الالهي لا يواجه المرء من امام بل هو ينبعث من داخل الانسان نفسه فيسرى الى ذهنه وقلبه ليحمل عمله ، ويجعله مكشوف البصيرة لا مكشوف البصر : * فانها لا تضي الا بصار ولكن تضي القلوب التي في الصدور * (١)

واذا افتقد المرء نور قلبه الداخلي ، فكل تدبيره لمصلحته يأتي على العكس المقصود فيضر - والعياذ بالله - وكل خطوة بخطوها نحو غاية النجاح تقوده الى مهوى الهلاك : * فانظر كيف كانت عاقبة مكرهم .. انا دمرناهم وقومهم اجمعين * (٢)

اننا نرى كل يوم سنة الله ، سنة الصعود والهبوط في كل شيء فمرناك حركة دائمة وتغير ودوران مستمر لا تدع شيئاً يستقر على حال فكل بناء يصحبه زلزال وكل ربيع يتلوه خريف وهكذا على العكس .. فأنت ترى حبة مستصغرة تذروها الرياح اليوم من مكان الى آخر وغدا تتأصل هذه الحبة في الأرض فاذا هي شجرة باسقة الفروع .. ثم تصبح خشبة فتسقط على الأرض وهكذا دائماً ..

وهذا كله من عمل الرفع والخفض الجاري في هذه الحياة .. فاذا ما رأينا حالاً من هاتين الحالتين تستمر لمدة طويلة ذهب بنا الظن الى ان هذه الحالة ستبقى الى الأبد .. لا ! وليس الاً مراً كذلك ..

يقول تعالى * وتلك الايام نداولها بين الناس * (٣)

تلك هي سنة الله فيها خلق وهذه السنة كما هي جارية في سائر الموجودات هي جارية ايضاً في الانسان في حالته الفردية او في حالته الجماعية القومية .. فلا يزال العز والذل .. والحسر واليسر .. والصعود والنزول .. وما الى ذلك من الحالات ينتاب الافراد والامم المختلفة ..

(١) سورة الحج الآية ٤٦ /

(٢) سورة النحل الآية ٥١ /

(٣) سورة آل عمران الآية ١٤٠ /

هذه السنة الربانية لا تتخلف :

* سنة الله في الدين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً * (١)
بالأمم القريب كانت دولتا فرنسا وانجلترا في القمة في عالم الصناعة والتجارة
والسياسة والاستعمار .. وكيف كان الوضع ؟ لقد أصبحتا في زاوية النسيان وانسحبتا
من مركز القيادة العالمية لتسلما القيادة لاميركا وروسيا .. والان بدأت الصين
تغزو العالم بصناعتها الجيدة ولا نعلم ماذا يحدث الله بعد ذلك ..
وبعد هذه الجولة البعيدة - نستطيع ان نقول بكل ثقة وامان اني الأمم
الغربية تشق طريقها الى الهلاك والدمار .. لماذا ؟
لأن مال الاعمال السيئة الذي ذاقتها الأمم السالفة قد أحاق اليوم
بالأمم الغربية ..

وذلك انه قد اتذرت هذه الأمم بكل وجه ممكن للانذار ..
فآفات الحرب العالمية ومشكلات الاقتصاد .. وازدياد التمحط .. وانتشار
الامراض الفتاكة وتبدد النظام العائلي .. كل اولئك آيات بينات لوتأملوها
لعلوا ان كل /ثمرة ذلك ظلمهم وعقوبتهم على ربهم واتباعهم للشبهوات .. سنجد
مزيديا من ذلك في باب عقوبة القارة الآتية ..
ان كل ذلك بمرام الملاحدة ... ولكنهم لا يجدون في هذه الايات
ما يعتبرون به فلا يزالون يبطلون عن الحق ويشردون عنه * كأنهم حمر ففرت
من قسورة * (٢)

تراهم يعقدون المؤتمرات الدولية لمعالجة الشؤون الدولية ولكن لا تصل
ابصارهم الى الحلة الرئيسية للمرض الذي اصاب جسم العالم فافقده وعيه .. الا
وهو مرض الالحاد والابتعاد عن الله ..
وبهذا الخطأ البين في العلاج لا يزال دأؤهم يستفحل كلما
عولج ... * وان عسى ان يكون قد اقترب أجلهم * (٣)

الفصل السابع

عقوبة الفطرية

من الثابت نقلاً وعقلاً - ان الضمير الانساني لم يكن مستطاعاً ان يستقر على قرار في امر هذا الكون وفي امر نفسه ، وفي غاية وجوده ، وفي منهج حياته ، وفي الارتباطات التي تقوم بين الانسان والكون والتي تقوم بـبـيـن افرادهم هويتهماته . .

لم يكن مستطاعاً ان يستمر الضمير البشري على قرار في شيء من هذا كله قبل ان يستقر على قرار في امر عقيدته وفي امر تصوره لآلهه . .
ولما علم الله ان الانسان لا يستطيع ان يصل الى يقين واضح في ذلك الامر اودع في فطرته هذا السر العظيم :
﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله / ولكن اكثر

الناس لا يعلمون ﴾ (١)

ثم اودع في هذا الكون موقظات الفطرة اذا نبتت في جو غير صالح . .

﴿ وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افا لا تبصرون ﴾ (٢)

ومن تلك الموقظات الكون بصفاته ، وظاهرة الحياة والموت ، وظاهرة الليل والنهار

ظاهرة الشمس والقمر ، ظاهرة الاجابة عند الشدائد ظاهرة الاتقان في بناء

الكون ، ظاهرة الحكمة في كل شيء ، وظاهرة العناية في الخلق ، ظاهرة الوحدة

المتشكلة في التكامل في اجزاء هذا الوجود . . ظاهرة السببية .

ان كل واحدة من هذه الواهر توقظ الفطرة الانسانية - كما سبق ذلك -

اذا تأمل فيها الانسان . . يقول تعالى ﴿ قد بينا الايات لقوم يوقنون ﴾ (٣)

(١) الروم / ٣٠

(٢) الذاريات / ٣٠

(٣) البقرة / ١١٨

ولكن الانسان الذي تتحطل فيه اجهزة الاستقبال الفطرى لا يشعر بهذه الظواهر ..
 ولا ينظر في خلاصتها الى خالق مدبر حكيم .. وانما تقول ترددا لقول
 الجاهليين : * وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر *
 مثل هذا الانسان لا بد ان ينال جزاءه من عقوبة الفطرة .. ولقد ر
 رأينا أثناء هذا البحث وخاصة في باب اسباب هلاك الأمم الويلات التي صبت
 على رؤوس المنكرين الملاحدة في القديم .. ونود في هذه الفقرة ان نشير
 الى عقوبات قد منحت به البشرية اليوم نتيجة كفرها والحادها ..
 اذا سمعنا هذا فلنقرأ الكلمات التالية :

لقد تكبدت البشرية عقوبة الفطرة في الحرب العالمية الاولى وبقدر
 الاحصائيون الخسائر التالية :

عدد القتلى : ٩٩٩٨٧٧١ نفسا
 عدد الجرحى من ذوي الاصابات الخطيرة : ١٢٠٥٩٥٠٦٢ نفسا
 عدد الجرحى من ذوي الاصابات العادية : ١٤٠٠٢٢٠٣٩ نفسا
 عدد اسرى الحرب : ٦٠٠٦٨٣٠٥
 عدد ضحايا الحمى الوافدة من اسبانيا من نتائج الحرب : ١٠٠٠٠٠٠٠
 المجموع : ٤٦٢٧٩٩٢٢ نفسا (١)

كان هذا بعض عقوبات الفطرة .. فما وقع في الحرب العالمية الثانية
 ادهى وأمر ..
 أنظر كيف يفعل الاحاد بأهله ..

(١) بدر الدين السباعي ، الحرب والشيوعية ، دار ابن الوليد حمص ١٩٥٧ ص ٣
 نقلا عن كتاب الأقمى اليهودية في معاقل الاسلام ، عبد الله
 التل ص ٣٤ .

المقوبات التي تجرى اليوم في عروق الملاحة

يقول طبيب فرنسي يدعى الدكتور (ليريد) :
 " انه يموت في فرنسا ثلاثون الف نسمة بالزهرى وما يتبعها من الأمراض
 الكثيرة كل سنة ٠٠ وهذا المرض هو افتك الأمراض بالأمة الفرنسية بعد
 حمى الدق (١٥) ٠٠ " (١)

وتقول دائرة المعارف البريطانية عن المجتمع الأمريكي انه يعالج في
 المستشفيات الرسمية هناك مائتا الف مريض بالزهرى ومائة وستون الف مصاب
 بالسيلان اللبني في كل سنة بالمعدل ٠٠ " (٢)
 " وقد اختص بهذه الأمراض وحدها ستمائة وخمسون مستشفى على انه
 يفوق هذه المستشفيات الرسمية نتائج الأطباء غير الرسميين الذين راجعهم
 ٦١ % من مرضى الزهرى و ٨٩ % من مرضى السيلان ٠٠

ويقول كتاب القوانين الجنسية : (Laws of Sex)

" يموت في امريكا ما بين ثلاثين واربعين الف طفل بمرض الزهرى
 الموروث وحده في كل سنة ، وان الوفيات التي تقع بسبب جميع الأمراض عدا السل
 يربو عليها جملة عدد الوفيات الواقعة من مرض الزهرى وحده " (٣)
 " واقل ما يقدره المسؤولون في مرض السيلان انه قد اصيب به ٦٠ %
 من النفوس في سن الشباب ، وقد اجمع على الماهرون في امراض النساء على أن
 ٧٥ % من اللاتي تجرى العملية الجراحية على اعضاءهن الجنسية يوجدن متأثرات
 بمرض السيلان " (٤)
 انظر كيف يفعل الالحاد باهله ٠٠٠

(١) المذاهب المعاصرة عبد الرحمن عبدة ص ٧٧ اعيدت هذه الجملة مرة ثانية لعلاقتها
 بالموضوع .

(٢) دائرة المعارف البريطانية ج ٢٣ ص ٤٥

(٣) كتاب القوانين الجنسية ص ٣٠٤

(٤) كتاب القوانين الجنسية ص ٣٠٤

امراة تنتحر

قد انتقمت الممثلة الشهيرة (مارلين مونرو) من نفسها بالانتحار
فكتبت قبل انتحارها نصيحة لبنات جنسها تقول فيها :
" احذرى المجد ... احذرى من كل من يخدعك بالأضواء ..
انى اتحس امرأة على هذه الأرض .. لم استطع ان اكون أما .. انى امرأة أفضل
البيت .. الحياة الحائلة الشريفة على كل شىء .. "

* * *

" ان سعادة المرأة الحقيقية في الحياة الحائلة الشريفة الطاهرة
بل ان هذه الحياة المائلة لى رمز سعادة المرأة بل الانسانية .. وتقول
في النهاية :

" لقد ظلمنى كل الناس ... وان العمل السينمائى يجعل من المرأة
سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة " .

* * *

محاولات الانتحار

وليس غريبا ان تؤكد الاحصائيات العالمية ان نسبة محاولة
الانتحار عند النساء اكثر منها عند الرجال ..

(١١)

واليك تقارير يكتبها احد الاطباء الاجتماعيين في فيينا : يقول :

" وقد لوحظ ان النساء اكثر محاولة من الرجال ..

في عام ١٩٤٨ م كان عدد المحاولات في النساء ٣٨١ وهذا يوافق
٦١ ٪ من المجموع ..

وفي عام ١٩٥٦ م كان العدد ٥٩٠ اى بنسبة ٥٦ / ٧٣ ٪

وفي عام ١٩٥٩ م كانت النسبة ٥٥٩٤ ٪

كما لوحظ ان نسبة المحاولات في الفتيان والفتيات الذين تتراوح اعمارهم

بين ١٤ عاما و ٢٠ عاما ترتفع باستمرار ..

فعند الفتيات كانت النسبة في عام ١٩٤٨ م ٦٥ ٪

وفي عام ١٩٥٦ م كانت النسبة ٦٥٣ ٪

* * *

واما عند الفتيات فالنصاعد مخيف :

ففي عام ١٩٤٨ م حاولت ٥٠ فتاة الانتحار وهذا يشكل نسبة ٢٩ر٧ ٪ من

مجموع محاولات الانتحار في ذلك العام ..

وفي عام ١٩٥٦ م حاولت ٨٩ فتاة الانتحار .. وهذا يشكل نسبة ٨٥ر٨ ٪

وفي عام ١٩٥٩ م حاولت ١٥٠ فتاة الانتحار .. وهذا يعني ان كل تسعة

ايام توجد ست محاولات انتحار (اربع منها) من جانب الفتيات (واثنان)

من جانب الفتان . (١)

• وهناك العديد من المصائب التي تصيب المرأة من حيث يبقى الحلم

حبران عند سماعها .. فالبك نوعا من ذلك :

قد نشرت الصفحة الامريكية في عام ١٩٧٧ م من ان فتاة امريكية

في احدى الولايات الوسطى بالقرب من مدينة غير مشهورة وجدت مقتولة وقد

طارحت جثتها في الخابة ..

وحمل البوليس الجثة الى المستشفى ونشر اعلانا يتضمن سن الفتاة وصفاتها

الجسدية لكي يحضر قريبا لتسلم الجثة ..

فماذا كانت النتيجة ؟ ..

تقول الصحف : ان المستشفى تلقى ١٢٠٠ مكالمة من اناس كل منهم

يشك في انها قرينته ويستوضح بعض صفات الفتاة اخرى بينما حضر الى المستشفى

شخصا قرابة ٥٠٠ شخص لمعاينة الجثة . (٢)

* * *

(١) المرأة بين الفقه والقانون : مصطفى السباعي ص ٢٧٣ - ٢٧٤

(٢) مجلة الدعوة بالرياض صفر ١٣٩٧ هـ

ان هذا على أى شىء يدل ؟

يدل على ان فتبات كثيرة قد فقدن .. وكلهن على تلك تلك الصفات وفي السن نفسه .. وكما يدل على ان هناك عددا اخر من الفتيات اللائى لسن على هذه الصفة .. قد فقدن ايضا لا يعلمهن الا الله .. ؟

والاغرب ان امريكة التي تريد ان تفتش ما فوق القمر ولا تدرى ما بجري في ولاية واحدة من ولائها تها .. فكيف بالولايات كلها ؟ ..
ان هذا لهو البلاء المبين !

فتلك من عقوبات الفطرة التي لا تحصى ولا تخان ..

* * *

المطالبة بحق حرية اللواط في أمريكا

فقد نشرت الصحف " ان وفدا يبلغ تعداداه (عشرين) شخصا يمثلون اللواطة والسحاق في الولايات المتحدة الامريكة قاموا بمقابلة السيدة (مارغريت) مساعدة الرئيس (كارتر) للعلاقات العامة للمطالبة بحق حرية العمل في المؤسسات العسكرية ولسماح بمزيد من اللواط في مكتب التحقيقات الفيدرالى ووكالة الاستخبارات ووزارة الخارجية ومنح صفة معفى من الضرائب لمنظماتهم .. وقال رئيس الوفد : ان هذه هي المرة الاولى في تاريخ الولايات المتحدة التي رأينا فيها ان الرئيس (كارتر) بمناسبة الاعتراف بحقوق ومتطلبات عشرين مليون امريكي من الجنسين يسمح لهم بممارسة عملية اللواط والسحاق والشذوذ الجنسي بأنواعه " (١)

* * *

(١) المجتمع العدد ٣٥٠ نقلا عن الدستور الاردنية

رجل يعقد على رجل في دول الشمال الاسكندنافية

ان ما يصادم الفطرة السليمة ان تطالب البرلمانات في دول الشمال (الاسكندنافية) باعتبار عقد الرجل على الرجل عقدا قانونيا مشروعا يقام في الكنيسة بل لقد تم عقد فعلى في احدى الكنائس بولاية كاليفورنيا " (١) ان هذا أسوأ من كل ما ذكر ... هكذا يفعل الالحاد بأهله ...

* * *

الزواج رجعى في الشيوعية

أما فيما يتعلق بالزواج ، فالشيوعية تعدّه وما ينشأ عنه من الأسرة وتربية الاطفال أثرا من آثار البرجوازية الرجعية ، وبقية من تقاليد العصر الاقطاعى لا تليق بالمجتمع الصلى الحديث ... لا نقول هذا الكلام لمجرد المزايدة على الغير ، بل امامنا نصوص من الشيوعية نفسها تؤكّد ذلك :

(١) — البيان الشيوعى الذى يقول :

" ان الاسرة البرجوازية سوف تختفى بشكل طبيعى باختفاء رأس المال ... وأما التمهيد البرجوازى عن الأسرة وأهميتها في التربية وعن أهمية العلاقة بين الولد وأبويه ، فهو ما يثير الاشمئزاز ... ان تقدم الصناعة الحديثة سوف يقع كل الصلات العائلية بين افراد الطبقة العاملة " (٢)

(١) مجلة الدعوة المصرية العدد ١٣٩٨/٣٦

ومراجعة كتاب الطفولة الجانحة تجد ما تقشعر منه الجلود من آثار الالحاد

وخاصة ص ٥٣ ، جان شازال ت : انطوان عبده بيروت ١٩٧٢م

(٢) الصنم الذى هوى ص ٢٤ ، ستة من كبار الغرب ت : فؤاد حمودة ،

المكتب الاسلافى ١٩٦٠م

(ب) تحدث (أثر كستلر) العضو السابق للحزب الشيوعي عن نوايا الشيوعية بالنسبة لقاعدة الأسرة وقال :

" أما بخصوص الدافع الجنسي فقد كان مقرا ومعتبرا به ، إلا أننا في حيرة بشأنه ..

كان نظام الأسرة عندما أثار النظام البورجوازي ينبغي نبذه لأنه لا يبنى إلا الفردية والانفاق والاتجاه إلى اعتزال الصراع الطبقي .. بينما الزوج البورجوازي لم يكن في نظرنا إلا شكلا من أشكال البغاء يحظى بوضوء المجامع وموافقة إلا أن السفاح والاتصال الجنسي العابر كان يعتبر ابشأ شيئا سيئا غير مقبول ...

من هذا ترى أن الفضيلة البورجوازية شيئا سيئا كما أن السفاح كان سيئا كذلك ...

* * *

" وأما الموقف الصائب الذي ينبغي أن نتخذه نحو هذا الدافع الجنسي فهو الفضيلة العملية التي تتلخص في أن الإنسان ينبغي له أن يتزوج ويخلص لزوجته وينجب أبناء عمالين ..

فإذا تساءلت : ليست هذه الفضيلة البورجوازية التي استنكرناها من قبل ؟ قبل لك : أن هذا التساؤل لايها الرفيق يدل على أنك لا زلت تفكر بالطريقة الآلية لا بالطريقة الجدلية ..

أن نظام الزواج الذي يعتبر في المجتمع الرأسمالي مظهرا من مظاهر الفساد والتحلل يتحول " منعاكيا " إلى عكس ذلك المجتمع المالي السليم فيميل فيهمت إليها الرفيق أم تحب أن أعيد عليك جوابي بطريقة " محكمة " أكثر من هذا ؟

وهكذا رأينا اثر الاتحاد في الدول الموحدة في الشرق والغرب قد
تساوى في التفكك الأسرى والتفسيخ الاجتماعي الا أن الشيوعية تضيق
الى ذلك شيئاً زائداً .. وهو الشعور الدائم بالهلع والرقابة البوليسية
والشك من كل انسان .

الخلاصة :-

ان المجتمع الشيوعي الملحد أخس جميع اصناف الملاحدة كلهم ...
سواء من الناحية الاخلاقية او من ناحية الطمأنينة النفسية والسعادة الاجتماعية ..
انه مجتمع ملعون شقي منحط الى اقصى درجة الانحطاط
الخلقي والفساد الاجتماعي حتى لا يتخيل احد منهم في الخلاص
من هذه الدناءة والسفالة ..
وكل ذلك لكفرهم وعنادهم على خالقهم ... لقد فتحت لهم ابواب
كل شيء ولكنهم فيها مبلسون ...
ويصدق الله تعالى :

* فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا
بما أوتوا اخذناهم بفتنة فاذا هم مبلسون * (١)

شيطانان قد تسلطا على الملاحدة

انه قد سيطر على الأمم الملاحدة شيطانان قويان يجرائهما
الى ما فيه الهلاك :

اولهما :- شيطان قطع النسل

والآخر :- شيطان القومية

فالشيطان الاول قد سيطر على افرادها ..

والآخر قد سيطر على أممها وحكوماتها : فكل منهما عقوبة من عقوبات الفطرة ..

ان الشيطان الاول ، شيطان قطع النسل ، قد قلب عقول رجالها ونسائها

فجعلهم يستأصلون أنسابهم بأيديهم انه يعلمهم تدابير منع الحمل ويحضرهم

على تعمد الاسقاط ويلقنهم فوائد عملية التحقيم : (Sterzation)

التي يقتضون بها على قوتهم التوليدية للأبد ، ويبحث فيهم من القسوة

والغلظة ما يجعلهم يقتلون اولادهم بأيديهم ، فهذا هو الشيطان الذي

يدفعهم تدريجيا الى الانتحار

انظر كيف يفعل الالحاد بأهله

* * *

وأما الشيطان الثاني الذي هو القومية : فقد سلب أكابر ساستهم

وقادة حربهم قوة التفكير السليم والتدبير الصحيح ، فهو يبحث فيهم نزعات

الأثرة " المسابقة والتنافر والتعصب ، والحرص والطمع ، وبذلك يقسمهم ويفرقهم

شعبا متعادية متحاربة ، ليزيق بعضهم شدة بعض وهذا ايضا من صور

النقمة الالهية ..

* أو يلبسكم شعبا ويزيق بعضكم بأس بعض * (١)

انظر كيف يفعل الالحاد بأهله

الاستعدادات الحربية لتدمير العالم مرة ثالثة

ان شيطان التومية قد جمع ذخائر البارود في انحاء العالم ...

وأقام مراكز هنا وهناك ، انتظارا للحرب العالمية الثالثة ...

ان هذه الحرب التي يستعدون لها اذا حلت سيهون في جنبها هلاك

الأمم الماضية ..

وهذا الذى أقوله لا مبالغة فيه ، فان الاستعدادات للحربية التي

لا تزال تباشر الآن في أوروبا وأمريكا واليابان للحرب الآتية ترسل هزة

الذعر والخوف في نفوس أولى الابصار من تلك الأمم نفسها ، وقد

استطيرت ألبابهم روعا لما يتصورون من نتائج الحرب الآتية ..

فدونك تقريراً من المستر سر جل نيومان (Sergel Neuman)

الذى كان عضواً في الهيئة الجندية الأمريكية سابقاً قد كتب مقالا عن

صورة الحرب الآتية يقول فيه :

" ان الحرب الآتية لن تقتصر على الجنود المتحاربين ، بل هي ستكون

افناء عاما لا تنجو منه النسوة ولا الأولاد ، وذلك ان عقول العلماء

الكيمائيين (Scientists) قد نزعوا وظيفة الحرب

والقتال من الجنوب الانسانيين وفوضتها الى المركبات الكيماوية والات الحرب

التي لا روح فيها ولا شعور والتي لا تميز بين محارب وغير

محارب (Non Combatant) (١)

فالان لا يتحارب الفريقان في الميادين أو في القلاع ، بل ستقع

حربها في المدن والقرى ، لأن قوة العدو الاصلية - حسب النظرية

الجديدة - لا تكون في جنودها بل في بلادها المعمورة وأسواقها

التجارية ومصانعها الصناعية .

" فالآن سترى كل هذه الاماكن بالقنابل من فوق ، وسستفجر
عن المواد المحرقة والغازات السامة وجراثيم الأمراض التي تهلك الافا
مؤلفة من الجموع الانسانية ، ومن تلك القنابل قنبلة عظيمة
تدعى (Lewiste Bomb) تكفي وحدها لتهدم اضم
عمارة من عمارات لندن . وهناك غاز سام يعرف باسم (Green,
Groses Gas) خاصيته كسم الحبة . . وكل من استنشقه لقي من الالذى والختف
ما يلقاه السلم . . (١)

" وهناك اثنا عشر نوعا آخر من مثل هذه الغازات كلها غير مرئى
فلا يحس المرء أثره بادىء ذى بدء - واذا أحسه فلا يكون هناك امكان لتدبر
المال . . .

" ومن تلك الغازات غاز اذا وصل الى علياء الجو امتلا وانتشر . .
فاذا اجتازت منطقتيه طائرة على كل من فيها . . وقد قدروا أنه انسه
لو يطلق بعض الغازات السامة بمقدار رطل واحد على مدينة (باريس) لافنى
كل ما فيها في ساعة واحدة ، وهذه العملية لا تحتاج الا الى مائة من
الطائرات . . (٢)

" وقد اخترعوا قنبلة مدفعية كهربائية محرقة ، لا يزيد وزنها
على كيلو جرام واحد ، ولكن هذه القنبلة الصغيرة تنطوى من القوة على
ما يدهش وذلك انها اذا اصطدمت بشىء تولدت منها حرارة بمقدار
٣٠٠٠٠ (فيهرنهايت) فما يكون منه حريق لا يمكن أن يطفئه شىء حتى
الماء (٣) يفيد في اطفائه بل هو كالبتروىل يزيد تضرما ، ولم ينجح
علم الكيمياء بعد في ان يجد ما يطفىء به هذا الحريق . . .

(١) المرجع السابق ص ٨٨

(٢) المرجع السابق ص ٢٩

ومما بنوون أنهم سيقذفون هذه القنبلة على كبار شوارع المدن والعواصم ،
حتى يضطرم فيها ذلك الحريق الهائل من جانب الى آخر .. فاذا فزع
الناس بهذا السحير وحاولوا الفرار منه القيت على رؤوسهم قنابل الغازات السامة
لكي يستكمل الردى والهلاك ..

ونظرا الى هذه المخترعات المكيهله قد حدث الماهرون انه تكفى
عدة داثرات لآن تهديم بها اكبر وآمن عاصمة في الأرض في مدة ساعتين فقط
وأن يسم مئات الآلاف من النفوس الانسانية بحيث يرجعون الى فراشهم بالليل
سالمين ولا ينتبه منهم احد من نومه في الصباح ، وأن يهلك الماشية والسوائم
وتخرب الحقول والرياض .. فتسم ذخائر الماء كلها في قطر بأجمعه .. ولم
تكشف العلم التجريبية (Science) بعد وسيلة ناجحة لمدافعة
مثل هذه الحملات المردية الا ان لا يهجم كل من الفريقين المتحاربين على
الآخر ..

هذا بيان موجز لما يتخذون من الأهب للحرب المستقبلية ، ومن
شاء التوسع في الموضوع فليراجع كتاب " ما يكون من صفات الحرب الآتية "
الذى نشره الاتحاد البرلماني العالمي بجنيف بعد التحقيق التام ..
واذا نظرت فيه علمت كيف ان الحضارة الغربية قد هبأت الاسباب لخرابها
وفنائها بأيديها ...

فحياتها الان مرتبنة بالساعة التي تعلق فيها الحرب ، فاذا ما شبت
الحرب بين دولتين كبيرتين من هذا العالم ، فاعلموا انه قد قضى الأمر بخراب
هذه الحضارة الغربية ، لأنه اذا نزلت الدولتان الكبيرتان ساحة الحرب
فلن يكون هناك ما يمنع الحرب ان تكون عالمية ، واذا كانت الحرب عالمية
فلا بد ان يكون البوار والدمار ايضا عالميا شاملا ..

-(٢)-

* ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس لينذ يقيم بعض الذي علموا المليم يرجعون *

(١) المراجع السابقة ص ٨٠

(٢) سورة الروم الاية ٤١/

الوراثة الارضية من جديد

على كل حال قد اقترب الوقت ، لأن يدبر امر الوراثة الارضية من جديد وان يسقط هؤلاء الملاحدة الظالمون المسرفون عن مقام الخلافة الارضية وتشرف بها أمة أخرى .. لعلها ان تكون من الأمم المستضعفة فلينظر الناظرون من يقع عليه الانتخاب الالهي في هذه المرة لانقاذ العالم من هذا الفساد المتراكم ...

اننا لا نعلم الغيب لتحيين أمة بانها هي التي ستقام في الأرض بعد هؤلاء الملاحدة الذين عكروا جوارح العالم بالحادهم .. ولكننا علمنا من كتاب ربنا انه اذا صرع الله أمة لأجل اعمالها السيئة ، أقام مقامها أمة .. لا تكون آثمة متمردة كأختها المغضوب عليها ...

* وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم * (١)

ان كانت هذه الحضارة لا تلائمنا فما هي الشروط اللازمة للحضارة حتى تكون حضارة مثالية تسعد في ظلها البشرية جمعاء ... ؟

ففي الصفحات الاتية محاولات للإجابة على هذا السؤال ..

الفصل الثامن

حضارة ثلاثية الانسان

لقد رأينا في الصفحات الماضية ان هذه الحضارة الالهادية لا تصلح ان تستمر على القيادة العالمية ، لانها لم تتوفر فيها شروط الخلافة .

ان الملاحدة يعتبرون هذا الكلام ضربا من الجنون لانهم يظنون ان حضارتهم هذه ، هي ارقى حضارة عرفت في البشرية جمعا فقد نقلنا عن الملحد الماتى (جوليان هكسلى) قوله :

" تعتبر التطورات العلمية التي حدثت في القرن الماضى انفجارا معرفيا في وجهه الاساطير الانسانية عن الالهة والدين كما تفجرت الافكار القديمة عن المادة ونسفت بمجرد تفجير الذرة " .

وتعتبر الصفحات الاتية ردا على هذا التحدى الالهادى ل ترى مما :

المجتمع المتحضر الذى يلائم هذا الانسان من المجتمع المتخلف الذى لا يتناسب وكرامة الانسان .

وانما نريد فقط

لا نريد هنا من الملحد ان ياخذوا كلامنا دون تحكيم عقولهم

ان ينبذوا التعصب الالهادى المذموم . .

واذا وافقونا على ذلك ، فاليهم الصفات التي يجب ان تتوفر في المجتمع المتحضر المثالى الذى يجب ان يكون على قيادة الشعوب والامم . .

(أولا) - ان المجتمع المتحضر هو الذى يتحرر فيه جميع افراد المجتمع من عبودية بشر على بشر .

(ثانيا) - ان يكون هذا التجمع على امر يتعلق بارادتهم المحضة . .

(ثالثا) - ان تكون انسانية الانسان هي محل الاحترام لا المادة . .

(رابعا) - ان يتحلى بالقيم والاخلاق

(خامسا) - ان تكون الاسرة قاعدة التجمع

اعتقد جازما انه لا يوجد عاقل يرفض هذه الشروط لانها كلها تؤكّد كرامة الانسان واحترامه - اذن لنضع المجتمع المادى الحاضر في الميزان . .

أولا - التحرر الكامل من عبودية انسان على انسان :

ان التحرر الكامل من عبودية انسان على انسان لا يتحقق ابدا الا اذا كانت الحاكمة العليا لله تعالى وحده .. متمثلة في سيادة الشريعة الالهية ... تكون هذه هي الصورة الوحيدة التي يتحرر فيها البشر تحررا كاملا وحقيقيا من العبودية للبشر .. وتكون هذه هي = الحضارة الانسانية = لان حضارة الانسان تقتضي قاعدة اساسية من التحرر الحقيقي للانسان .. ومن الكرامة المطلقة لكل فرد في المجتمع .. ولا حرية في الحقيقة ولا كرامة للانسان في مجتمع يحضه ارباب بشرعون وبعضه عبيد يطعمون ... ولا معنى للشريعة هنا في الاحكام القانونية فحسب - كما هو المفهوم السائد اليوم - ولكن معنى بالشريعة التصورات والمناهج والقيم والموازين والمبادئ والتقاليد .. كل ذلك تشريع يجب ان يخضع لافراد قديما وحديثا لضغطه .. اتوافق - ايها الملحد - ان يصنع الناس - بعضهم لبعض - هذه السلطات وهذه الضغوط ..

الجواب لا ! لا نكم تختفلون دائما لتحرركم من ضغوط الكنيسة .. ومن ثم نتفق معكم ان التحرر الكامل هو الذي لا يكون فيه ضغط احد على احد ولا بشرع احد لا احد .

اذا وجدنا الناس في المجتمع الرأسمالي الطائفي والمجتمع الاشتراكي المستغل يصنعون هذه الضغوط لشعبهم فيماذا نسى هذين المجتمعين ؟ حسب قاعدة التحرر ؟

فلا شك انهما مجتمعا مختلفان او مجتمعان جاهليان .. اذن ان المجتمع الاسلامي - وحده - هو المجتمع المتحضر ، لأنه هو وحده يهيم عليه اله واحد ، ويخرج الناس فيه من عبودية العباد الى عبودية الله وحده .. وبذلك يتحررون التحرر الحقيقي الكامل الذي يتركز اليه حضارة الانسان .

ثانياً - ان يكون التجمع على أمر يتعلق بإرادتهم المحضة واختيارهم الذاتي :

حين يكون التجمع على أمر يتعلق بإرادتهم المحضة واختيارهم الذاتي مثل العقيدة والتصور والفكرة ويكون كل ذلك صادراً عن الله واحد ، تتمثل فيه السيادة العليا ببشر ، وان كان صادراً من أرباب أرضية فلا بد ان تتمثل فيه عبودية البشر للبشر ..

ثم انه اذا كان التجمع على الجنس واللون والقوم والارض ، فهو مجتمع متخلف رجعي لأنه لا تمثل فيه الخصائص العليا للانسان ...
فالانسان يبقى انساناً بعد الجنس واللون والقوم والارض ولكنه لا يكون انساناً بعد ضياع الروح والعقيدة والفكرة .

اذا القينا نظرة عابرة على المجتمعات الحالية نجدها كلها قائمة على الجنس واللون والقوم والارض وليست قائمة على إرادتهم المحضة من عقيدة وفكرة وروح ..

فالمجتمع الذي يكون التجمع على الجنس واللون والقوم والارض فهو مجتمع متخلف وليس مجتمعاً متحضراً ..

واما المجتمع الذي يتجمع فيه الناس على أمر يتعلق بإرادتهم الحرة واختيارهم الذي هو المجتمع المتحضر ...

فالمجتمع الاسلامي وحده هو المجتمع الذي تمثل فيه العقيدة رابطة التجمع الأساسية واقرب مثال لذلك هو المجتمع الاسلامي في المدينة المنورة ^{قال} حيث الرسول صلى الله عليه وسلم " سلمان منا آل البيت " (21)

هو المجتمع الذي اعتبرت فيه العقيدة هي الجنسية التي تجمع بين الأسود والابيض والاحمر والاصفر .. والعربي والرومي والفارسي والحبيشي وسائر اجناس الارض في أمة واحدة .. ربها الله .. وعبوديتها له وحده والاكرم فيها الا تقي والكل فيها انداد يلتقون على أمر شرعه الله لهم ولم يشرعه أحد من العباد ...

ثالثا - ان تكون انسانية الانسان هي موضع الاحترام :

المجتمع المتحضر هو المجتمع الذي تكون انسانية الانسان هي موضع الاحترام . فاما حين تكون " المادة " - في اية صورة - هي القيمة العليا كما في نظرية التفسير المادي للتاريخ وفي صورة الانتاج المادي . في امريكا واوروبا وسائر المجتمعات التي تعتبر الانتاج المادي قيمة عليا تهبط في سبيلها القيم والخصائص الانسانية فان هذا المجتمع يكون - بلا شك - مجتمعا متخلفا .

ولسنا نريد في هذا التقرير ان نحقر المادة في صورة من صورها لأن الانتاج المادي من مقومات الخلافة في الأرض هـ عن الله . . ولكننا لا نعتبرها هي القيمة العليا التي تسقط في سبيلها خصائص " الانسان ومقوماته " وتذهب معها حرية الفرد حيث يصبح مجرد آلة في المجتمع وحين تكون القيم الانسانية والاخلاق الانسانية هي التي يقوم عليها المجتمع فهو المجتمع المتحضر . . . لأن القيم والاخلاق بهما يتفرد الانسان عن الحيوان وبهما ايضا فضلت أمة محمد على سائر الأمم السابقة فقال تعالى : ﴿ كنتم خيرا أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (١)

فأي مجتمع من المجتمعات اذا تخلى عن هذا المبدأ فهو مجتمع جاهلي متخلف بصرف النظر عن تقدمه المادي . وسواء ان هذه المجتمعات فقيرة او غنية فانها ترتقي صعدا بالاخلاق الفاضلة التي هي اخص خصائص الانسان فاذا ابتعدت عن هذه المبادئ مع حضارة المادة - فلن يكون ذلك حضارة انما هو " التخلف " او هو " الجاهلية " (٢) وذلك ان خلاصة رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي مكارم الاخلاق .

وقد ورد في الحديث ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " بعثت لأتم مكارم الأخلاق " (٣)

(٢) راجع عرضا كتاب معالم في الطريق سيد قطب ص ١١٠

(١) سورة آل عمران ١١٠ /
(٣) الحديث ورد في الموطأ للإمام مالك رضي الله عنه (٨)

وخامساً

رابعاً - ان تكون الأسرة قاعدة التجمع :

فحينما تكون الأسرة هي قاعدة المجتمع • وثم هذه الأسرة
على أساس الزواج المشروع أولاً ثم تكون رعاية الأولاد هي اهم وظائف الأسرة
يكون هذا المجتمع متحضراً ..

لأن الأسرة بمثابة البيئة الصالحة يخرج نباته بأذن ربها ..
ففيها ينشأ الأولاد تنشئة صحيحة وتنمو فيها القيم والأخلاق الانسانية
الحقة •

واما حين تكون علاقات الجنسين على أساس الهوى والانفعال لا على
أساس الواجب والتخصص الوظيفي في الأسرة .. حين تصبح وظيفة المرأة
هي الزينة والغواية والفتنة ..

وحين تتخلي المرأة عن وظائفها الأساسية في رعاية الجيل الجديد ،
وتؤثر - أو يؤثر لها المجتمع ان تكون مضيفة في فندق أو سفينة أو طائرة
أو سكرتيرة مكتب ...

حين تنفق المرأة طاقتها في الانتاج المادى وصناعة الادوات ولا تنفقها
في صناعة الانسانية - لماذا ؟ لان الانتاج المادى أعلى وأعز في النفوس من
الانتاج " عندئذ يكون هذا هو " التخلف الحضارى " أو الجاهلية
في المفهوم الاسلامي •

وقد رأينا فيها مضي ان العلاقات الجنسية البهيمية هي الممول الأول الذى
حطم الحضارات المادية قديماً وكديماً ..

خامساً : لأن المجتمعات التي تسود فيها الاخلاق الحيوانية لا يمكن بحال من
الاحوال ان تكون مجتمعات متحضرة مهما تبلغ من التقدم الصناعى والاقتصادى
والعلمى ..

ان هذا المقياس لا يخطئ • في قياس مدى التقدم " الانسانى " (١)

(١) المرجع السابق مع تعديلات طليقة ص ١١١

وأخيرا قد رأينا فيما سبق ان الحضارة المادية الملحدة الحاضرة ليست
مجتمعا متحضرا بالتحقيق .. لان الحضارة الحقيقية الراقية لا توجد الا بعد
ما يقوم " الانسان " بالخلافة عن الله تعالى في ارضه على وجهه —
الصحيح : بأن يخلص عبوديته لله تعالى ، ويخلص من العبودية لغيره ..
وأن يحقق منهج الله وحده و يرفض الاعتراف بشرعية منهج غيره .. وان يحكم
شريعته وحدها في حياته كلها و ينكر تحكيم اى شريعة سواها ..
وان يتحلى بالقيم والاخلاق التي قررها الله له ويسقط القيم والاخلاق
المدعاة ثم بأن يتعرف بعد ذلك كله الى النواميس الكونية التي اودعها
الله هذا الكون المادى ويستخدمها في ترقية الحياة ... وعندما يفعل ذلك
فيؤمند يكون هذا الانسلان كامل الحضارة ... ويكون هذا المجتمع قد بلغ
قمة الحضارة ..

فأما الابداع المادى وحده فلا يسى — في الاسلام — حضارة بدليل
ان الابداع المادى قد يوجد وتوجد معه الجاهلية والتخلف وقد وصف القرآن
لبعض الجاهلين القدامى مجتمعاتهم انها قد قطعت شوطا كبيرا فـ في
المجالات المادية ومع ذلك ما زالوا جاهليين .. يقول تعالى :

* فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء ، حتى اذا فرحوا
بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد
لله رب العالمين * (١)

وقال ايضا : * اتركون فيما هنا آمنين ، في جنات وعيون وزروع ونخل
طالحها خضيم .. وتنحتون من الحبال ببوتا فارهبين ؟ فاتقوا الله واطيعون
ولا تطيعوا امر المفسدين تالذين يفسدون في الارض ولا يصلحون * (٢)

وبهذه تلك نلعلم ان هذه الحضارة المادية لا تلائم الانسان ، لان
فيها قد لاقى الانسان كثيرا من الاضطرابات والمهموم والمصائب والانحلال الخلقي

(١) الانعام / ٤٣-٤٥

(٢) الشعراء / ١٢٧-١٣٥

والتفكك الاسرى والدعارة والفجور... وقد حطت فيها كرامة الانسان وارتفعت
فيها قيمة الماء الصماء...

وانذا لم يرض الملاحدة بهذا البحث العلمي الذي اقام عليهم الحجة
ينسقل معهم الى استماع شهادات من بعض مفكرى أوروبا المنصفين :

أولا - شهادة الكسيس كاريل

يقول الكسيس كاريل (١) فى كتابه القيم : الانسان ذلك المجهول وهو
عالم اتبحت له فرصة الاطلاع على نتائج البحوث الضخمة هو الذى تحدثنا عنه
سابقا ويبدأ شهادته بالكلام عن مخالفة البشر لما يسميه " القوانين الطبيعية "
ونسميه نحن " قوانين الفطرة التى فطر الله الناس عليها " والحواقب التى لا بد
أن يلقاها من يخالف هذه القوانين الصلبة التى لا تلين ، ولا تترك مخالفيها
بلا عقوبة ثم يأخذ ما حل بالبشرية فعلا من هذه العقوبة :

" ان الحضارة المصرية تجد نفسها فى موقف صعب ، لأنها لا
تلائمنا . لقد انشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية . اذ انها تولدت
من خيالات الاكتشافات العلمية وشهوات الناس ، وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم .
وعلى الرغم من انها انشئت بمجهوداتنا الا انها غير صالحة بالنسبة لحضنا
وشكلنا " (٢)

(١) ولد الدكتور كاريل بالقرب من ليون فى فرنسا وحصل على اجازة الطب بها ،
كما حصل على اجازة العلوم من ديجون . وبعد ان مارس التدريس فى جامعة
ليون عدة اعوام رحل الى الولايات المتحدة . واشتغل فى معهد (روكفلر)
للأبحاث العلمية بنيويورك . وه قرابة ثلاثين عاما حتى اعتزل العمل به
سنة ١٩٣٦ م ثم عيهدت اليه وزارة الصحة الفرنسية بمهمة خاصة تتصل بالحرب
وكانت هذه المهمة تكلمة لمهمة اضطلع بها ابان الحرب العالمية الاولى ، عندما
كان يحفل جراحا مع القوات الفرنسية والبريدانية والامريكية... ومنع جائزة
نوبل عام ١٩١٢ م لأبحاثه الطبية الفذة ، (راجع كتاب الاسلام ومشكلات الحضارة
سيد قطب ص ٧)

(٢) راجع كتاب : الانسان ذلك المجهول الكسيس كاريل ص ٣٨

" يجب ان يكون الانسان مقبلا لكل شيء " .. ولكن الواقع هو عكس ذلك .

فهو غريب في العالم الذي ابتدعه . انه لا يستطيع ان ينظم دنياه بنفسه لأنه لا يملك معرفة عملية بطبيعته .. ومن ثم فان التقدم الهائل الذي احرزته علوم الجماد على علوم الحياة هو احدى الكوارث التي عانت منها الانسانية .. غالبية التي ولدتها عقولنا واختراعاتنا غير صالحة لا بالنسبة لقوامنا ، ولا بالنسبة لمهيتنا ..

" اننا قوم تمسأ لأننا ننحط اخلاقيا وعقليا .. " (١)

" ان الجماعات والأُمم التي بلغت فيها الحضارة الصناعية اعظم نمو

وتقدم ، هي على وجه الدقة الجماعات والأُمم الآخذة في الضعف والتي

ستكون عودتها الى البربرية واليهودية اسرع من عودة غيرها اليها ..

" ان الحضارة لم تفلح حتى الان في خلق بيئة مناسبة للنشاط

العقلي . وترجع القيمة العقلية والروحية المنخفضة لأغلب بني الانسان -

الى حد كبير - للنقص الموجود في جوهر السيكولوجي . اذ ان تفوق

المادة ومبادئ " دين الصناعة " حطمت الثقافة والجمال والأخلاق " .

هكذا يقول هذا العالم الكبير " الأوربي الأميركي الذي لا يجادل

العلماء ، علماء الحضارة الحديثة في مكانته " العلمية " ولا في " حداثة "

نظرياته - أودراساته بتعبير ادق - ولا في جذبيتها . هو يرى ان هذه الحضارة

القائمة على محاربة الأخلاق والمبادئ السامية ، لا تلائم هذا الكائن الانساني

الذي صار غريبا بين مكتشفاته ومخترعاته انه عقوبة الفطرة وبتمبير آخر انه

السنة الربانية التي لا تتخلف .

ثانياً - شهادة (ول ديورانت)

ولنأخذ شهادة (ول ديورانت) الكاتب الأميركي المتفلسف . . وهو رجل لا يمكن ان يقال انه من اعداء هذه الحضارة . فهو شديد الاعجاب بالتقدم الذي تمثله هذه الحضارة في مجموعها .

وهو يبذل ومعارضاً للدين في جملته ، كما انه ظاهر العداء للإسلام بصفة خاصة . . وقد نشرت له مؤسسة فرنكلين ترجمة جزء من كتابه مناهج الفلسفة ونشرت له جامعة الدول العربية ترجمة أجزاء من كتابه قصة الحضارة . ويستطيع قارئ اللغة العربية ان يلاحظ موقفه هذا من الاعجاب بهذه الحضارة في جملتها ، كما يلاحظ موقفه من الدين جملة وعداء الظاهر للإسلام خاصة . ومع هذا كله فهو يؤدى هذه الشهادة عن هذه الحضارة في كتابه " مناهج الفلسفة " (٢)

يقول هذا الكاتب الأميركي :

" وثقافتنا اليوم سطحية ومعرفتنا خطيرة ، لائناً أغنياء في الآلات فقراء في الأغراض . وقد ذهب اتزان العقل الذي نشأ ذات يوم من حرارة الإيمان الديني ، وانتزع العلم منا الأسس المتعالية لأخلاقنا ، وببذل العالم كله مستغرقاً في فردية مضطربة تعكس تجزؤ خلقنا المضطرب " *

* يلاحظ ان الكاتب - مع اقراره بأن حرارة الإيمان الديني قد انشأت ذات يوم اتزاناً في العقل لا يدعو ولا يعمل لاستعادة حرارة الإيمان الديني . انما هو يلجأ الى الفلسفة لتعيد اتزان العقل المفقود ! والفلسفة في تاريخها الطويل كانت حصيلة ذهنية باردة ، لم تؤثر قط في حياة البشرية . فالحياة البشرية لا تؤثر فيها الا العقيدة الدافعة . ولكن الكاتب الغربي - الأميركي - لا يملك الا هذا الحل الهزيل . . لأنه هارب من الكنيسة !

(١) المرجع السابق ص ١٨٤

(٢) راجع كتاب الاسلام ومشكلات الحضارة ، سيد قطب ص ١٣٣ مع تفهيمات طفيفة .

اننا نواجه مرة اخرى تلك المشكلة التي اقلقت بال سقراط ، نمنى
كيف نهتدى الى اتخلاق طبيعية تحل محل الزواجر العلوية التي بطل أثرها
في سلوك الناس ؟ .. (١)

" وعندنا مئة الف سياسي وليس عندنا " رجل حكيم " واحد . اننا
نطوف حول الأرض بسرعة لم يسبق لها مثيل . ولكننا لا نعرف الى أين
نذهب ، ولم نفكر في ذلك ، اوهل نجد هناك السعادة الشافية لأنفسنا
المضطربة .

اننا نهلك انفسنا بمعرفتنا التي اسكرتنا بخمر القوة . ولن ننجمو
منها بخير الحكمة " (٢)

" واخترع موانع الحمل وذووعها هو السبب المباشر في تغير اخلاقنا
فقد كان القانون الاخلاقي قديما يقيد الصلة الجنسية بالزواج ، لأن النكاح
كان يؤدى الى الأبوّة بحيث لا يمكن الفصل بينهما ولم يكن الوالد مسئولا عن
ولده الا بطريق الزواج ، أما اليوم فقد انحلت الرابطة بين الصلة الجنسية
وبين التناسب وخلقت موقفا لم يكن آباءنا يتوقعونه ، لأن جميع العلاقات
بين الرجال والنساء آخذة في التغير نتيجة هذا العامل . ويجب على القانون
الاخلاقي في المستقبل أن يدخل في حسابه التسهيلات الجديدة التي جاءت
بها الاختراعات لتحقيق الرغبات المتأصلة " (٣) .

هذه هي شهادة هذا العالم المبركي ، أداها لا لكونه بحسب
التدين ولكن الأمر الواقع فرض نفسه عليه .

(١) راجع مناهج الفلسفة " ول ديورانت " ج ١ ص ٦ - ٧

(٢) المرجع السابق ص ٦ - ٧ ج ١

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ١٢٥

ثالثا - شهادة الأستاذ أبي الأعلى المودودي

والآن نسمح شهادة الأستاذ أبي الأعلى المودودي في بعض جوانب هذه الحضارة وما أنشأته من آثار تنطوي على تهديد مدمر للحياة الانسانية ذاتها فضلا على الخصائص الانسانية .

من كتاب " الحجاب " :

" ولما كثرت بذلك اختلاط الصنفين ، واحتكاك الذكور بالاناث ، وأخذت تظهر عواقبه الطبيعية في المجتمع ، تقدم هذا التصور للحرية الشخصية ، وهذه الفلسفة الجديدة للأخلاق ، فهذا من قلق الآباء والبنات ، والأخوة والأخوات والبعولة والزوجات ، وجملا نفوسهم المضطربة تطمئن الى ان الذي هو واقع امام أعينهم ، لا بأس به ، فلا يوجسوا منه خيفة ، اذ ليس هبوطا وترديا ، بل هو نهضة وارتقاء (Emancipation) وليس فسادا خلقيا بل هو عين اللذة والمتعة التي يجب ان يتقنها المرء في حياته وان هذه الهواية التي يدفع بهم اليها الرأسمالي ، ليست بهواية النار ، بل هي جنسة تجري من تحتها الأنهار .

" ولا يزال هذا الداء الوبيل - من غلبة الشهوات البهيمية - ينخر في كيان الأمم الضاربة و ينتقص من قوة حياتها بسرعة هائلة . والتاريخ يشهد أنه ما سرى هذا الداء في مفاصل أمة ، الا اوردها موارد التلف والفناء . ذلك بأنه يقتل في الانسان كل ما آتاه الله من القوى العقلية والجسدية لبقائه وتقدمه في هذه الحياة .

" وأنى للناس - لعمر الله - ذلك الهدوء وتلك الدعة والسكينة التي لا بد لهم منها لمعالجة أعمال الانشاء والتصميم ما دامت تحيط بهم محركات شهوانية من كل جانب ، وتكون عواطفهم عرضة ابدًا لكل فن جديد من الاغراء والتبريج ، وبحيق بهم وسط شديد الاستثارة قوى التخريض ، ويكون

الدم في عروقهم في غلبان مستمر بتأثير ما حولهم من الأدب الخليج والصور
 الحارية ، والاغاني الماجنة ، والافلام الغرامية ، والرقص المثير ، والمناظر
 الجذابة من الجمال الانثوي الحريان ، وفرص الاختلاط بالصنف المخالف
 استغفر الله ... ”

ومعد هذه المأساة التي اصابنا الانسانية فما هي كيفية الخلاص
 منها وما هو طريق الخلاص أيضا ...
 في الصفحات الآتية تحاول - بكل اختصار - أن نجيب عن
 هذا السؤال ان شاء الله تعالى .

الخاتمة

كيف الخلاص من الاحقاد

ان نصوص القرآن كلها تشير الى ان طريق الخلاص من الاحقاد هو الايمان بوجود الله . . . يقول تعالى * ومن يؤمن ويؤتي قلبه * الآية ولكن ما الايمان الذي نمنه في هذه الدراسة ؟

نقول في الاجابة عن هذا السؤال ، ان الايمان الذي نمنه هنا ليس مجرد اعلان المرء بلسانه أنه مؤمن . فما اكثر المنافقين الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم :

* ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون *

وليس مجرد قيام الانسان باعمال وشعائر اعتبد ان يقوم بهها المؤمنون ، فما اكثر الدجالين الذين يتظاهرون بالصالحات واعمال الخير ، وشعائر التعبد . . . وقلوبهم خراب من الخير والصالح والاخلاص لله :

* ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم . واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى ، يراءون الناس ، ولا يذكرون الله الا قليلا *

وليس هو مجرد معرفة ذهنية بحقائق الايمان ، فكم من قوم عرفوا حقائق الايمان ولم يؤمنوا * وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا . . *

وحال الكبر والحسد اوحب الدنيا بينهم وبين الايمان بما علموه من بعد ما تبين لهم الحق * وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون *

ولا يدخل في الايمان الذي نمنه هنا الايمان (بالشيعية) والايمان (بالوجودية) والايمان (بالقومية) والايمان (بالوطن) والايمان (بالثورة) والايمان بخير ذلك مما ابتدع البشر لا انفسهم مما لم يأذن به الله . .

وليقل الناس ما شاءوا . .

ان الايمان الذي نعينه .. الذي يخلص من الالحاد هو الايمان الذي
 حددته سيد قطب في ظلال القرآن فلنقرأ هذه الكلمات :

" فالإيمان تصديق القلب بالله ورسوله .. التصديق الذي لا يـرد
 عليه شك ولا ارتياب .. التصديق المماثل الثابت المستيقن الذي لا يتزعزع
 ولا يضطرب .. ولا تهيج فيه هواجس .. ولا يتلجج فيه القلب والشعور ..
 والذي ينبثق منه الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله ، فالقلب متى تذوق حالة
 هذا الايمان واطمأن اليه وثبت عليه .. لا بد من محاولة لتحقيق حقيقته
 في خارج القلب في واقع الحياة في دنيا الناس .. يريد ان يوحد بين
 ما يستشعره في باطنه من حقيقة الايمان .. وما يحيط به في ظاهره من مجربات
 الأمور وواقع الحياة ، ولا يطبق الصبر على المفارقة وبين الصورة اليمانية
 التي في حسه .. والصورة الواقعية من حوله .. لأن هذه المفارقة
 تؤذي به وتصدمه في كل لحظة ومن هنا هذا الانطلاق الى الجهاد
 في سبيل الله بالمال والنفس .. فهو انطلاق ذاتي من نفس المؤمن .. يريد
 به ان يحقق الصورة الوضعية التي في قلبه ، ليراهم محتلة في واقع الحياة
 والناس " (١)

" والخصومة بين المؤمن وبين الحياة الجاهلة من حوله خصومة ذاتية
 ناشئة من عدم استداعه كذلك التنازل عن تصور الايماني الكامل الجميل
 المستقيم في سبيل واقعه الحلي الناقص الشائن المنحرف ..
 فلا بد من حرب بينه وبين الجاهلية من حوله ، حتى تنتهي هذه الجاهلية
 الى التصور الايماني والحياة اليمانية " .

هذه العناصر والمقومات هي التي تكون " الايمان الحق " وان شئت
 قلت " العقيدة الحقة " واذا فقد بعض هذه العناصر فان ما بقي منها لا يستحق
 ان يسمى (ايمانا) أو (عقيدة) ..

يمكن ان تسمى (فكرة) أو (نظرية) أو (رأيا) أو أى عنوان من هذه العناوين . . . اما الايمان الحق فهو الذى تشرق شمسهُ على جوانب النفس كلها فتنفذ اليها اشعتها حاملة الضوء والحرارة والحياة . . .
وبصحبتي ما كتبته في هذا المقام الاستاذ احمد امين رحمه الله مفرقا بين الرأى والعقيدة قال :

" فرق كبير بين ان ترى الرأى وأن تعتقده . . . اذا رأيت الرأى فقد ادخلته في معلوماتك . . .

واذا اعتقدته جرى في دمك وسرى في مخ عظامك وتخلغل في اعماق قلبك " (١)

حقا . . . ذو الرأى فيلسوف يرى رأيا صوابا قد يكون في الواقع باطلا أما ذو العقيدة فجازم بات ذلك الاقتناع والتصديق .
الرأى جثة هامة . . . لا حياة لها ما لم تنفع فيها العقيدة من روحها . . .

ذو الرأى سهل ان يتحول ويتحور ، هو عند الدليل أو عند المصلحة تظهر في شكل دليل . . .

أما ذو العقيدة مخبر مظهر له ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في شمالي ، على أن ادع الذى جئت به ما تركت . . . "

مثل هذا الايمان هو الذى نعتبه ، وهو طريق الخلاص من الالحاد . . .

وبعدا هذا التقرير الحاسم نود ان نشير الى شيئين هامين :

أولهما : ما هو الاله الذى نؤمن به ؟

ثانيهما : كيف يوصف الله ؟

في الصفحات الاتية محاولات للإجابة عن ذلك .

(١) كتاب فيض الخاطر . احمد امين ج ١
نقلا عن كتاب الايمان والحياة د . يوسف القرضاوى ص ٢٢

الله الذي نؤمن به

لقد قامت الأدلة على أن وراء هذا الكون قوة عليا تحكمه وتدبره وتشرف عليه . سماها أحدهم العلة الأولى ، وسماها غيره العقل الأول وسماها غيره المحرك الأول ، وسماها غيرهم (يهوه) وسماها أيضا غيرهم (بالأب والابن وروح القدس) وسماها القرآن العظيم المبين ، وكتب السماء التي لم تحرف ، بهذا الاسم الجامع لصفات الجمال * الله * . . .
إن هذه القوة العليا - وبعبارة أخرى . . . هذا الإله العظيم ليس في استطاعة العقل البشري إدراك كنهه - ولا معرفة حقيقته . . . كيف وقد ثبت عجز الإنسان عن معرفة كنهه ذاته وعن كنهه النفس وعن حقيقة الحياة وعن حقيقة المادة وكثير من حقائق الكون المادية من كهربية ومغناطيسية كل ذلك ما عرف إلا بأثارها . . . فكيف بطمع الملحد في معرفة ذات الله العلي الكبير . . .

* ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير * (١)
وكيف يستطيع العقل البشري أن يتصور إليها تكون الأرض وما فيها من جبال وأنهار وأبحر ورمال وصخور وكل شيء من يابس ورطب قبضته يوم القيامة . . . !

فأي خيال يستطيع أن يتصور هذه العظمة ؟
فلذا أرشد النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى أقرب طريق وأنفعها في هذا الباب فقال :

” تفكروا في آيات الله ولا تفكروا في ذات الله فانكم لن تقدروه
قدره ” .

يقول تعالى * وما قد روا الله حق قدره .. والأرض جميعا قبضته يوم
القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون *
نعم ان الملحدين ما قدروا الله حق قدره فلذا بدأوا يبحثون عنه
من ذرات المادة الصماء .. وهم لا يدركون وحدانيته وعظمته وهم لا يستشعرون
جلاله وقوته ..

ولما علم الله أن الانسان عاجز كل العجز أن يتصور مقدار عظمة
الله عز وجل خالق كل شيء * كشف برحمته الواسعة — لهذا الانسان المسكين
الضئيل عن جانب من عظمته وقوته *

ان هذا الجانب بقرب للبشر الحقائق الكلية يتصورها ادراكهم المحدود *
فقال * والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه *
هنا منقطع الخيال ويرجع الملحد الى حجمه الطبيعي * لأنه أدرك ان هذا
الاله لا يمكن ان يتصوره العقل البشرى الضعيف كيف يتصوره والأرض جميعا
قبضته يوم القيامة * فأى عقل يستطيع ان يعرف مدى هذه العظمة
وهذه القوة ؟ .. فما على الانسان الذى من الله تعالى عليه ووصل الى
هذا الفهم الصحيح الا أن يقول :

* سبحانه وتعالى عما يشركون *

كيف يوصف الله عز وجل

لقد رأينا في السطور السابقة أن طريق الخلاص من الألحاد هو الايمان
بالله على نحو ما حدده سيد قطب رحمه الله وهنا نود ان نشير الى نقطة هامة
وهي : اقرار صفات الله كما جاء بها القرآن هو العصمة الوحيدة من الألحاد
هذا ما قرره الشيخ الامام ابن تيمية فلنستمع اليه :

يقول : " فأما الأول وهو (التوحيد في الصفات) فالأصل في هذا
الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله ، نفيا وإثباتا فثبت لله
ما أثبتته لنفسه ، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه " *

وقال ايضا " قد علم ان طريقة سلف الامة وأئمتها اثبات ما اثبته من الصفات من غير تكيف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل وكذلك يلفون عنه ما نفاه عن نفسه مع اثبات ما اثبته من الصفات من غير الحاد : لا في أسماء ولا في آياته . فان الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسماء وآياته ، كما قال تعالى : * ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسماءهم سيجزون ما كانوا يعملون *

وقال تعالى * ان الذين يلحدون في آياتنا لا ينفون عنها أمن يلقى في النار خيرا أم من يأتي يوم القيامة اعلموا ما شئتم * الآية (١) اذن نصل الى النتائج التالية :

١ - من زاغ وحاد عن طريقة القرآن في اثبات صفات الباري من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تحريف ولا تأويل ، لا يسلم من الالحاد ولو اثبت وجوده بدليل هذه التبريدات المذكورة في الآيتين .. هذا ما أكدته شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله :

" وأما من زاغ وحاد عن سبيلهم (الأنبياء) من الكفار والمشركون والذين أوتوا الكتاب ، ومن دخل في هؤلاء من الصائبة والمتفلسفة والجهيمية والقرامطة والباطنية ونحوهم .. فانهم على ضد ذلك يصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل ، ولا يثبتون الا وجودا مطلقا لا حقيقة له عند التحصيل ، وانما يرجع الى وجود في الأذهان ، يمتنع تحققه في الأعيان " ثم زاد قائلا :

" فقولهم يستلزم غاية التعديل (الالحاد) وغاية التمثيل ، فانهم يمثلونه بالمتنوعات والمعدومات ، والجملات ، ويعدلون الأسماء والصفات ، وتعديلا يستلزم نفي الذات " .

بهذا التقرير نفهم أن نفي صفات الله يؤدي ذلك الى نفي الذات وهو الالحاد الصرف . (٢)

(١) الرسالة التدمرية ، شيخ الاسلام ابن تيمية ص ٧ تحقيق الاستاذ زهير الشاويش ، المكتب الاسلامي .
(٢) المصدر السابق ص ١١

٢ — توافق بعض أسماء الله مع بعض أسماء المخلوق لا يؤدي إلى التشبيه :

وبيان ذلك : قد تقرر معنا أنه يجب إثبات الصفات بلا تشبيه • ولكننا تجد بعض أسماء الله ذكرت في القرآن توافق أسماء بعض المخلوقين فما المخرج من ذلك ؟

وللإجابة عن هذا السؤال نقول :

ان اتفاق الاسمين (اسم الله واسم المخلوق) لا يؤدي — بحال من

الأحوال — إلى تشبيه المخلوق بالخالق ••

فلا بد من ضرب أمثلة على ذلك :

قد سمي الله نفسه (حيا) فقال : * الله لا اله الا هو الحي القيوم *

وسمي بعض عباده (حيا) فقال : * يخرج الحي من الميت ويخرج الميت

من الحي *

هل الحياة كالحياة ؟ الجواب لا !

وما قيل في صفة الحياة ، يقال ايضا في جميع الصفات •• مثل السمع والبصر

والعلم والرضا والغضب والعمل والنداء والتكليم والاستواء ••

* * *

ولست أدري لماذا أول الناس الصفات أنفوها خوفا من التشبيه ؟ ان

الاشتراك اللفظي لا يؤدي إلى التشبيه • فالأمر بحسب المضاف إليه وذلك ان الله

تعالى وصف نفسه بأنه استوى على عرشه فذكر ذلك في سبع مواضع من كتابه ، انه

استوى على العرش ووصف بعض خلقه بالاستواء على غيره في مثل قوله * لتستوا على

ظهوره * وقوله * فاذا استربت انت ومن معك على الفلك * وقوله * واستوت على

الجودي *

هل يحقل في الذهن أن استواء الله مثل استواء هذه المخلوقات ؟ لا !

ليس الاستواء كالاستواء ••

فالأمر — كما قلنا — بحسب المضاف إليه فاستواء الله على عرشه خاص به واستواء

المخلوق خاص به لا يشاركه فيه الخالق ••

ولعل وهمهم جاء من فهمهم للاية * هل تعلمون له سميا * يقول اهل
اللغة : هل تعلم له سميا أى نظيرا يستحق مثل اسمه وهذا معنى ما يروى عن
ابن عباس * هل تعلم له سميا * مثيلا أو شبيها .. فلا اشكال في ذلك أبدا ..
هناك آية أخرى تعتبر الفیصل في هذا الباب وهي قوله تعالى :
* ليس كمثله شئ * وهو السميع البصير * (١)

نفى قوله * ليس كمثله شئ * رد للتشبيه والتمثيل .. وقوله * وهو
السميع البصير * رد للاحاد والتعطيل ..

تطبيقا لهذه القاعدة المقررة نقول ان الله تعالى وصف نفسه ببسط
اليدین فقال : * وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا
بل بداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء *

ووصف بعض خلقه ببسط اليد في قوله : * ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط * فيجب اذن — أن نثبت لله بسط اليد
وان لم نثبتته نكن من الملحدين المعطلين .. ثم نفى المماثلة والتشبيه والا نكن
من المشبهين .. هل يد الله كيد الانسان ؟ الله تعالى أخبر ان هذه الارض
كلها قبضته يوم القيامة فأين التشبيه — اذن — بين تلك وهذه اليد ؟ وبين ذلك
البسط وهذا البسط ؟ ..

وكما لا يجوز ان ننفي عن الله صفة العلم والقوة والرحمة والوجود
والحياة والكلام — رغم اتصاف المخلوق بكل ذلك — لا يجوز لنا اذن أن ننفي أو
نؤول صفة اليد والاستواء عن الله خوفا من التشبيه .. اذا فعلنا ذلك كأننا لم نفهم
مراد الله من الاية * ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * فصدرا لآية نفى التشبيه
وفي آخرها اثبات للصفات .

(١) شرح العقيدة الطحاوية اخراج ناصر الدين الاباني محمد : ص ٩٩ سنة ١٣٩١ هـ

النتيجة :

قد يقول قائل : ان الخوض في مسألة الصفات قد فات زمانه .. والان نحن في معركة شرسة مع الملحدين المنكرين لوجود الله تعالى .. فلسنا في حاجة الى معركة قد خاضها ابن تيمية والشيخ محمد عبد الوهاب رحمهما الله تعالى .

نقول لهذا القائل قد عرفت شيئاً وفاتتك أشياء .. ان ما فاتك ان نفى الصفات أو تأويله يجعل في الانسان نوعاً من قابلية الالحاد .

وبيان ذلك : ان الملحد الكافر عليه — لعائن الله — بؤء من بقوة مطلقة سماها (الطبيعة) . وهذا المؤء من النافي للصفات بؤء من بالله ثم ينفي عنه جميع الصفات مخافة تشبيهه بالملخلاق .. فوصف الله بالسلوب وجعله هو الوجود المطلق بشرط الاطلاق .. (١) فما الفرق اذن بين هذا "المؤء من" وهذا الملحد؟

ان الفرق بينهما في التسمية فقط : والا كلاهما بؤء من بقوة لا وجود لها في الخارج .. الملحد آمن بقوة مطلقة ليس لها صفة ..

وهذا المؤء من آمن بقوة (اله) لا تتصف بصفة .. وجميع من يحترم عقله يعلم ان هذه الصورة لا وجود لها في الخارج ابداً .. انما توجد في الذهن فقط !

انذاراً الى نتيجة نفي الصفات أو تأويلها ، فانها تؤدي — بقصد أو بغير قصد — الى انكار وجود الله .

وبعد هذا كيف نقول ان قضية نفي الصفات لا وجود لها في الواقع —
المحاصر .

والمتفق عليه عند العلماء السلفيين ان من قال : ليس لله علم ولا قوة ولا رحمة ولا كلام ولا يحب ولا يرضى ولا نادى ولا ناجى ، فقد ألحد لأنه مثل ربه بالمعدومات والجمادات .. وكذلك من قال ان الله ما استوى وليس له بدان حقيقة

(١) الرسالة التدمرية ، ابن تيمية ص ١١

فقد أُلْحِدَ أيضًا لأنه نفى ما وصف به نفسه .. هو الذي يعلم نفسه ويعلم ما يليق به من الصفات الكمالية . (١)

وكذلك الحال في الطرف الثاني .. فمن قال لله علم كعلمي أو قوة كقوتي أو حب كحبي أو رضا كرضائي أو يدان كيدائي أو استواء كاستوائي فلا شك أنه من المشبهين الممثلين لله بالحيوانات . (٢)

فالخلاص من الالحاد اذن يتمثل في شيئين :

١ - الايمان بذات الله سبحانه بلا تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل .

٢ - الايمان بالصفات بلا تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل .

هذا ما تحدث عنه الشيخ ابن تيمية وهو يرد على الذين ينفون الصفات

فقال :

" وهوؤلاء جميعا يفرون من شيء فيقتنون في نظيره وفي شرمه . مع ما يلزمهم من التحريف والتعطيل . ولو آمنوا النظر لسوا بين المتماثلات وفرقوا بين المختلفات ، كما تقتضيه العقول : ولكانوا من الذين أوتوا العلم الذين يرون انما انزل الى الرسول هو الحق من ربه ، ويهتدون الى صراط العزيز الحميد . (٣)

اطمئنان وتبينه

ان المؤمن من الذي يؤمن في أعماق قلبه أن ربه له ذات ليست كسائر الذوات .. وله صفات ليست كصفات الحق بالأمن أم من لا يعرف شيئاً عن ربه الا انه قوة مطلقة في الذهن ؟ فيقول انه : لا موجود ولا معدوم ؟ ولا حي ولا ميت ، ولا عالم ولا جاهل ، وليس متصلاً ولا منفصلاً ، وليس في داخل الكون ولا في خارجه ولا يتكلم ولا يرحم انما ارادة الرحمة وغضبه

ارادة الغضب وليس له جهة العلو ولا يستوى على عرشه وليس له يد ولا البسط ولا البطش .

لا يستويان ابدا فالمثبت يعيش في أمن وطمانينة واما النافي يعيش في خيال وتيه ولا يجد في قلبه حلاوة الايمان^(١) هذا ما أقره صاحب نهاية الأقدام وهو من سلاطين أئمة المعارف العقلية يقول : لقد طفت في تلك المعاهد كلها . . وسيرت طرفي بين تلك المعاهد فلم أر الا واضعا كف حائر . . على ذقن أوقارعا سنّ نادم .

* * *

وكيف لا يعيش المثبت في طمانينة نفسية اذا علم أنه ربه في السماء * أم آمنتم من في السماء *

وأنه فوق عرشه بكيفية تليق به . . وأنه يتكلم * وكلم الله موسى تكليما *
وأنه برحم * ان الله بالناس لرؤوف رحيم *
وأنه سميع بصير * ان الله كان سميعا بصيرا *
وأنه حي * الله لا اله الا هو الحي القيوم *
وأنه يحب * فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه *
وأنه يمقت * ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم ان تدعون الى الايمان فتكفرون *

وأنه وصف نفسه بالمكر والكيد * ويمكرون ويمكر الله *
* انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا *
وأنه وصف نفسه بالعمل : * أولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت أيدينا انعاما فهم لها مالكون *
وأنه ينادى ويناجى * ونادىناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا *

(١) ابشار الحق على الخالق ابو عبد الله محمد بن المرتضى البهائي ص ٨

وأنه وصف نفسه بالتعليم * الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيلن *

وأنه يغضب ويلعن * وغضب الله عليهم ولعنهم *

ونظائر هذا كثير جدا . فلا شك ان الذى يحمل في رأسه هذه المعانى

كحقيقة ويحبش عليها ، انه يكون في مأمن عن وساوس الشيطان ومن لوثة

الاحاد وفوق كل ذلك انه في مرضاة الله لأنه عرف ربه على حقيقته ، عرفه

كما اخبره في كتابه . . وكما اخبر بذلك رسوله صلى الله عليه وسلم . .

وأما الذى ينحت في رأسه صنما ذهنيا فيجعله ربا ثم يقول للناس هذا

هو الله الذى لا اله الا هو فلا شك / ^{انه} لا يكون في محل بر الله واحسانه لأنه كره

الصفات المنزلة في القرآن . . وانه استبدلها بصفات مصطنعة فلا بد أن يسخط

الله عليه سبحانه . . يقول تعالى :

* ذلك بأنهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم *

نعلم - اذن - أن مسألة اثبات صفات الله ليست مسألة اجتماعية

حتى تتعلق ببيئة أو بطور اجتماعى أو سياسى وانما هي حقيقة . . بأخذها

المجتمع كما هي فيكون ايمانه كاملا . . او يرفضها فيكون ايمانه غير كامل

* سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب

العالمين *

فسبح نفسه عما يصفه المفكرون المشركون . . وسلم على المرسلين لسلامة

ما قالوه من الاثك والشرك ، وحمد نفسه ، اذ هو سبحانه المستحق للحمد

بما له من الاسماء والصفات ، وبدىء المخلوقات .

حواشي الباب الثاني

(١) الذرة : في الفيزيكا والكيميا .. اصغر جزء من المادة اعتبرها جون دالتون الوحدة التي تنقسم اليها المادة .. وثبت غير هذا الان .. فالذرة تتكون من نواة بها جسيمات تحمل شحنات كهربية موجبة تسمى (البروتونات) وجسيمات لا تحمل شحنات كهربية وتساويها في الوزن تقريبا تسمى (نيوترونات) .

ويحيط بالنواة جسيمات اصغر من البروتونات تسمى (الالكترونات) تحمل شحنات كهربية سالبة .. وعددها يساوي عدد البروتونات لتعادل الذرة كهريا ..

وتختلف ذرات العناصر المختلفة في الوزن .. فمثلا ذرة الايدروجين تتكون نواتها من بروتون يدور حولها الكترون .

وذرة الاكسجين بنواتها (٨) بروتونات يدور حولها (٨) الكترونات ولم يزل العلماء يقدمون الذرات حتى انتهت بحوث الذرة في امريكا بالقبلة الذرية والخدمات السلمية للطاقة الذرية . الموسوعة ص ٨٤٤ - ٨٤٥

(٢) المجرة ، المجموعة الكبرى للنجوم والسدم بين الارض والمجرات الخارجية تحتوى على ثلاثين الف مليون نجم ، فضلا عن المجموعة الشمسية ... وتقع المجموعة الشمسية على بعد ... ٣٠ سنة ضوئية من مركز المجرة التي تشبه القرص او العدسة ..

والمجرة تدور حول محور عمودى على مستوى الطريق اللبنى (وهو طريق أبيض في السماء) فى مائتى مليون سنة ضوئية .. الموسوعة ص ١٦٤٨ .

(٣) بوفون ، جورج لوى لگرك ، الكونت دى : ١٧٠٧ - ١٧٨٨ عالم طبيعى ومؤلف فرنسى ، كان أميناً لحديقة الملك (حديقة النباتات الان) بباريس .. من ١٧٣٩ الى آخر ايامه ، كرس حياته لكتابة موسوعته الضخمة : " التاريخ الطبيعى " ٤٤ جزءاً .

(٤) جورج جاموف ١٩١٤ - فيزيقى ورياضى امريكى من اصل روسى أجرى بخواشه الاولى عن الطبيعة النووية بجامعة ليننجراد وكوبنهاجن عين استاذاً بجامعة ليننجراد ١٩٣١ ثم ذهب للولايات المتحدة فعمل ١٩٣٤م بجامعة جورج واشنطن .. له كتاب (ميلاد الشمس وموتها) ١٩٤٠م و (تاريخ حياة الارض) ١٩٤١م و (واحد ، اثنان ، ثلاثة ، لا نهاية) ١٩٤٧م . (ونشوء الكون) والاخيران مترجمان الى العربية .. الموسوعة ص ٦٠٧

(٥) الاثير فى الكيمياء : مصطلح يطلق على اثير الايثيل ، وهو مركب من الاصل " ايثيل " (واكسجين . مائع لا لون له طيار قابل للاشتعال . يستخدم مذيباً عضوياً . ومخدراً .

اما فى الفيزيكا وعلم الفلك ، فالاثير وسط فرضى ينقل الضوء والحرارة ويملاً جميع الفراغات . خفى ، عديم الرائحة لا يتدخل فى حركة الاجسام خلال الفضاء وينكر الكثيرون وجوده الطادى : يسمى ايضا فى الفرنسية (Ether) . راجع الموسوعة ٥٢

(٦) دوركايم إميل ١٨٥٨ - ١٩١٧م رائد علماء الاجتماع الفرنسيين بعد (كونت) كان استاذاً بالسوربون ، تأثر اتجاهه فى علم الاجتماع بفلسفة كونت الوضعية ، وكان له تابعاً ناقداً . عزا الى العقل المشترك للمجتمع اصل الدين والأخلاق .. الموسوعة ص ٨١٦

(٧) الطوطم : حيوان يرتبط باسم العشيرة عند الشعوب البدائية وبخاصة اهالى استراليا الاصليين . ويعتبر لحمه محرما على افرادها الذين يعتقدون انهم انحدروا منه .. ويحطون لذلك اسمه (مثل عشيرة القنفر) و(عشيرة بامبا) في افريقيا الغربية وغير ذلك ..
ثم قال : ولا توجد نظرية واحدة مقبولة تماما عن اصل ذلك النظام .
الموسوعة ص ١١٦٦ م

(٨) كوبرنيكوس (Copernic) ١٤٧٣-١٥٤٣ فلكى بولونى ..
برهن عن دوران الكرة الارضية على ذاتها وحول الشمس فغير النظرية القديمة بأن الأرض ثابتة وان الشمس تدور حولها .. وهو ، بذلك ، يعتبر مؤسس على الفلك الحديث ، ولكن الفضل الاول يرجع الى البيرونى ، العلامة العربي الذى قال ذلك قبل خمسمائة عام . راجع شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٩٤ .

حواشي الباب الثالث

(١) هكسلى ، توماس هنرى : ١٨٢٥ - ١٨٩٥ بيولوجى ومرب انجليزى
تخرج فى مستشفى شيرنسج كروس ١٨٤٥ . وفى اثناء عمله جراحا ساعدا
على ظهر السفينة البريطانية (راتسنيك) فى رحلة بحرية الى المحيط
الهادى (١٨٤٦ - ١٨٥٠) جمع اشكالا من كائنات البحر . . ومنفها
على اساس لم يكن معروفا من قبل ونشره ١٨٤٩ تقارير عن عمله فى النبات
الفلسفى للجمعية الملكية . وقد غذا هكسلى داعية للداروينية . . وان كان
قد اعتنقها مع شىء من التحفظ . . له عدة كتب فى فروع علم الحيوان
المختلفة غذا ابحاثه المبتكرة التى جمعت فى اربعة مجلدات ومقالاته
ومحاضراته العامة التى جمعت ايضا فى تسعة مجلدات . راجع الموسوعة
ص ١٨٩٩ .

(٢) كانت ، عمانوئيل : ١٧٢٤ - ١٨٠٤ ، فيلسوف المانى يعد من
اعظم الفلاسفة جميعا . . ولد فى كونجزبرج ، حيث تعلم وعلم بجامعة
المنطق والميتافيزيقية ، فنسب مذهب الشك الذى انتهت اليه الفلسفة
عند هيوم لانها لم تحلل المعرفة الانسانية تحليللا وافيا . . وقد شبه مذهب
بثورة كوبرنيكس فى علم الفلك فبعد ان كانت الارض مركزا والاجرام تدور
حولها اصبحت الارض تدور حول الشمس الثابتة .

وكذلك فى نظرية المعرفة ، فبعد ان كان صوب فكرة ما ، متوقفا على
كونها مطابقة لخارج ثابت ، اصبح الواقع الخارجى مقصور على ظواهره المدركة
بالحس ، وأهل ما وراء الطبيعة ما يسميه (كانت) بالشىء فى ذاتع ، فلا سبيل
الى معرفته بالعقل المحض . . واذا حاول الانسان الحاجة بعقله النظرى فى
حقائق الاشياء فى ذاتها وقع فى تناقض . فالبحث فى الله - عنده - ينتهى الى أنه
موجود وغير موجود . . راجع الموسوعة ص ١٤٣٥ .

(٣) كومت ، أو كونت أوجست ١٧٩٨ - ١٨٥٧ ، فيلسوف فرنسي
مؤسس الفلسفة الوضعية التي ترفض الميتافيزيقا وتعتمد على نتائج العلوم
الطبيعية الحديثة .. هدفه الأسمى هو اصلاح المجتمع ليعيش الناس
في توافق وانسجام ، ومذهبه مبسوط في كتابه " محاضرات في الفلسفة
الوضعية " وفيه بين المراحل الثلاثة التي اجتازها الفكر في تطوره :
اللاهوتية التي تعلل الأشياء بقوى خارقة .. والميتافيزيقية التي تعلل الأشياء
بمبادئ مجردة .. والوضعية التي تعلل الأشياء بالمشاهدة والتجارب تأييدا
للفروض .

و تتفاوت العلوم بساطة وتركيبا فابسطها الرياضة ، فالفلك ، والفيزيائية
فالكيمياء فعلم الاجتماع .. وكل منها يعتمد على سابقه والاجتماع يعتمد
عليها جميعا ، وكلها في خدمته .. راجع الموسوعة ص ١٥١٧ .

(٤) جرينتش ، ناحية بلندن بانجلترا على نهر التايمز تقع فيها
الكلية الملكية البحرية ومستشفى جرينتش والمتحف البحري الوطني لا يزال
خط الطول الجغرافي يحسب فيها تبعا لخط الزوال .. راجع الموسوعة
ص ٦٢٨

(٥) هيوم دافيد ١٧١١ - ١٧٧٢ فيلسوف ومؤرخ اسكتلندي مذهب
نتيجة منطقية لفلسفة لوك وباركلي . قال ان كل شيء بما في ذلك الانسان
سلسلة حالات متتابعة ، وليس لشيء دائية قائمة دائمة .. فمعرفتنا سلسلة
انطباعات حسية .. والفكرة التي يستحيل ردها الى الانطباعات الحسية التي
كونتها تكون وهما ..

ومن هنا عرف مذهب هيوم بالشك .. مؤلفه الرئيسي ، رسالة في
الطبيعة البشرية .. راجع الموسوعة ص ١٩٣٣

(٦) براجماتية : مذهب فلسفي ، يقيس صدق القضية بنتائجها العملية
فليس هناك معرفة اولية في العقل تستبطن منها نتائج صحيحة بغض النظر
عن جانبها التطبيقي ... بل الامر كله موهون بنتائج التجربة الفعلية
العملية التي تحل للانسان مشكلاته .

ولما كان تقدم العلم يغير من صدق القضايا ، فالصالح في ظروف سابقة
يصبح غير صالح في الظروف الراهنة ، كان " الحق " أمرا نسبيا يقاس الى
زمن معين ومكان معين ، ومرحلة من التقدم العلمي معينة ..
واعلام البراجماتية هم : (جيمس) و (بيرس) و (ديوى) . الموسوعة
ص ٣٣٥

(٧) كنيدى . جون فتزجيرالد : ١٩١٧ - ١٩٦٢ الرئيس الخامس
والثلاثون للولايات المتحدة الاميركية ، ولد ببروكليفين بالقرب من بوسطن ٢٩ مايو
وتعلم في جامعة هارفرد ، خدم في البحرية الاميركية ١٩٤١ - ١٩٤٥ م
اشتغل بالصحافة مراسلا للاخبار ، واشترك في الاعمال السياسية وبرز في
الحزب الديمقراطي .. انتخب عضوا بمجلس النواب ١٩٤٧ - ١٩٥٢ ثم
بمجلس الشيوخ ..

انتخب رئيسا للجمهورية في ٨ نوفمبر ١٩٦٠ م
دافع عن الزنوج الامريكيين للحفاظ على حقوقهم المدنية . توصل مع
المملكة المتحدة والاتحاد السوفيتي الى ابرام اتفاقية تحريم التجارب النووية
في نطاق محدود ١٩٦٢ وذلك لتحقيق السلام العالمى .. اغتالته
(لى اوزوالد) بطلق نارى في اثناء زيارته لدالاس بتكساس فسقط ميتا فخلفه
ليندن جونسون في منصب الرئاسة ..

راجع الموسوعة ص ١٤٨٦ .

(٨) جمهورية السنغال ١٦٧ر١٦١ كم ٢ ، ٣١٤٠ر٠٠٠ نسمة بغربي افريقيا عاصمتها دكار . اهم قبائلها الولوف المسلمون ٧٠٠ ألف والبابارا والماندنغو .

من منتجاتها : الذرة والفل السوداني والصمغ العربي .. يجري فيها نهر السنغال ... كانت جزءا من افريقيا الغربية الفرنسية ثم عضوا بمجموعة الدول الافريقية المرتبطة بفرنسا ٢٥ نوفمبر ١٩٥٨ م . كونت اتحادا مع مالي ولكنه لم يستمر . استقلت في ٢٠ اغسطس ١٩٦٠ م وهي عضو بهيئة الأمم ٢٩ سبتمبر ١٩٦٠ م . بها جامعة افتتحت في ٢٤ فبراير ١٩٥٧ م وتضم كليات الحقوق والاداب والعلوم والطب . الموسوعة ص ١٠٢٣ م

(٩) لشبونة ، مدينة ٣٤٠ر٧٩٠ نسمة ميناء ممتاز بهدوءه واتساعه في غرب البرتغال وعاصمتها . هي من اكبر موانئ اوروبا .

(١٥) السودان الغربي اقليم في افريقيا الغربية يمتد بين الصحراء الكبرى والمناطق الاستوائية ويشمل النيجرونيجريا والسنغال وفولتا العليا ومالي وداهومى والكونغزو غانا وتوغو وساحل العاج وسيراليون وليبيريا وغينيا وغير ذلك

(١١) وكانت هذه التجارة البشعة (تجارة السود) تشمل جميع بلدان افريقيا الغربية وفي مقدمتها نيجريا وما حولها من ساحل العاج وغيرها فلنتكلم عن نيجيريا ثم عن ساحل العاج ..

(نيجريا) جمهورية اتحادية ١٦٨ر٩٥٢ كم ٢ ٣٧٠ر٠٠٠ نسمة ولكن الاحصائيات الاخيرة تقول انها قرابة ٨٠ر٠٠٠ر٠٠٠ نسمة اويزيد .. وهي في نطاق الكومنولث بغرب افريقيا على خليج غينيا عاصمتها لاجوس ، تسب الى نهر نيجر .

وتتكون نيجريا من اتحادا فيدراليا يضم اربعة اقاليم هي : نيجريا الشمالية وعاصمتها (كادونا) ومعظم سكانها مسلمون من قبائل الهوسا والفولاني ..

ونيجريا الغربية وعاصمتها (ابادن) وسكانها كان حوالي خمسة ملايين معظمهم من قبائل اليوربا .

ونيجريا الشرقية وعاصمتها انوجو وسكانها خمسة ملايين ومعظمهم من قبائل (الايو) والكرون الشمالى .. وكانت تحت الوصايا البريطانية ثم انضم الى الاتحاد في يونيه ١٩٦١ م .. اهم الموانىء لاجدوس .. يزرع الكاكاو والمطاط والنخيل ويستخرج منها البترول ..

تأثر اهل الشمال بحركة الاصلاح الديني التي تزعمها الحاج عثمان دان فوديو وسلاسته في اخريات القرن ١٨ واول ١٩ وما زالت أثرها قويا في المنطقة الشمالية ..

كان البرتغاليون أول الشعوب الاوربية الذين وصلوا الى ساحل نيجريا ١٤٧٢ م وتبعهم البريطانيون ١٥٥٢ م وسرعان ما اصبحت المنطقة الساحلية سوقا لترحيل الارقاء الى أوربا والامريكيتين .. الموسوعة ص ١٨٦٥ (ساحل العاج) جمهورية ٣٢٢٤٦٣ كم٢ ، ٢٣٠٠٠٠٠ نسمة بغرب افريقيا على ساحل المحيط الاطلنطى .. بين ليبيريا وغانة عاصمتها وأهم مدنها (أبدجان) ١٧٧٥٠٠ نسمة تتكون من سهل ساحلى منبسطة وهضبة داخلية تغطيها الغابات والسفانا الطويلة ..

وهي تعتبر من اغنى بلاد افريقيا الغربية بمنتجاتها الكثيرة منها القطن والكاكاو وزيت النخيل والخشب والبن وغير ذلك ..

وقد استقر بها التجار البرتغاليون الذين جعلوا السود سلعة حقيرة في القرن ١٦ ..

حصلت فرنسا على حقوق في الساحل ١٨١٢ م ولكنها لم تحتل

المنطقة احتلالا مستمرا الا في ١٨٨٢ .. اصبحت محمية فرنسية ١٨٩١ م ..
وفي يناير ١٩٣٣ م اضيف جزء من فولتا العليا لساحل العاج .. ولكن حينما
أعيد تخطيط فولتا العليا اول يناير (١٩٤٨) ضم اليها مقاطعات بوبو
ديولا سوجا ووا .

ادمج ساحل العاج في افريقيا الغربية الفرنسية ١٩٠٤ م فهي عضو
في مجموعة الدول الافريقية المرتبطة بفرنسا منذ ٤ ديسمبر ١٩٥٨ م استقل
في ٧ اغسطس ١٩٦٠ م عضوا بالأمم المتحدة .

ونسبة المسلمين حسب الاحصائيات الاخيرة : ٦٥ في المائة واما المسيحيون
١٥ في المائة والباقي ٢٥ في المائة لا ينتسبون الى دين سماوي . وفي
الشمال يوجد بعض المسلمين مثل مدينة (بندوگو) و (دبكلا) و (كون)
و (سناما) و (بوئا) و (وجيني) وبلاد كوياغا من (مانكونو) و
(سيفيلا) و (توبا) و (تورغو) و (بونجلي) و (بفاريبو) و (ويندغا)
وغير ذلك .. ثم هم منتشرون في جميع بقية البلاد ..

(١٢) روزفلت ، فرانكلين ديلا نو : ١٨٨٢-١٩٤٥ الرئيس الامريكي ٣١
للولايات المتحدة الامريكية ، وكيل وزارة البحرية ١٩١٣-١٩٢٠ م رشح ١٩٢٠
نائبا لرئيس الحزب الديمقراطي ، اصاب ١٩٢١ بمرض شلل الاطفال ، ولكنه
استعاد استخدام قدميه ، وأقام في (وارم سبرنجز) بجورجيا ، مؤسسة
لمعالجة ضحايا هذا المرض ..

حاكم نيويورك ١٩٢٩ - ١٩٣٣ م بدأ عهد رئاسته ١٩٣٣ م والائزمة
على اشد ها ، وأعلن مولد الخطة الجديدة ، فاخذت الادارات الحكومية
تعمل على انعاش الاقتصاد ، بانفاق الاموال العامة ، وتنمية الموارد الطبيعية
وتهيئة العمل للعاطلين .. أعيدت الانتخابات ١٩٣٦ . فواجهت روزفلت مقاومة
شديدة وأعلنت المحكمة العليا ببطلان بعض اجراءات الخطة الجديدة فشل في
اعادة تنظيم المحكمة العليا ١٩٣٧ م . مات فجأة ودفن (بهايديبارك) .. زوجته آنا ،
الينور روزفلت ..

(١٣) السويد ، مملكة مساحتها ٤٥٠.٩١٠ كم ٢ وسكانها ١٢٩٠٥٩٤٩٧ نسمة عاصمتها ستوكهولم سطحها جبل يترفع الى ٢١٢٣ م تقع في شرق أوروبا ..

(١٤) امريكا الجنوبية : قارة مساحتها ١٧.٨١٠.٠٠٠ كم ٢ وتعدادها ١١٠.٠٠٠.٠٠٠ نسمة . تنقسم سياسيا الى عشر جمهوريات .
(اميركا الشمالية) : يعرف بهذا الاسم القسم الشرقي من نصف الكرة الغربي مساحته ٢٣.٣١٠.٠٠٠ كم ٢ تعداده ٢٠٠ مليون نسمة يحده شمالا المحيط المتجمد الشمالي ، وشرقا المحيط الاطلنطي وخليج المكسيك ، وجنوبا امريكا الوسطى وغربا المحيط الهادى . الاقسام السياسية بالقارة خمسة ..
وقد ضمت للولايات المتحدة ١٩٥٩ م

(امريكا اللاتينية) .. مصطلح يطلق على جميع اقطار امريكا الشمالية ، اى جميع الاقطار الناطقة بالاسبانية او البرتغالية او الفرنسية .. وهذه الاقطار تؤلف اليوم عشرين جمهورية ..

تعتبر - اليوم - الولايات المتحدة في طليعة البلاد الزراعية والصناعية ويعتبر اكتشاف كولومبوس للقارة الامريكية ١٤٩٢ حدثا خطيرا ونقطة تحول في تاريخ العالم . فعلى اثره فتحت تلك القارة للاستيطان الاوربي ونالت استقلالها في يوليو ١٧٧٦ م . راجع الموسوعة ص ١٩٥٩ م

(١٥) خروشوف ، نيكيتا سرجيفتش : ١٨٦٤ - زعيم روسى شيوعى ، كان صانع اقبال انضم للحزب الشيوعى ١٩١٩ . اصبح السكرتير الاول للمجلس الاقليمى للحزب بموسكو ١٩٣٥-١٩٣٨ و ١٩٤٦-١٩٥٣ عين سكرتيرا اول للجنة المركزية للحزب الشيوعى بعد وفاة ستالين . اصبح له تأثير كبير في الشؤون السوفييتية وفي سياستها الخارجية .. شارك في مؤتمرات جنيف ١٩٥٥ م .. انتقد ١٩٥٦ م سياسة ستالين الدكتاتورية .. راجع الموسوعة العربية الميسرة .

(١٦) جمهورية مساحتها ٣٠٢٢١١ كم ٢ وعدد سكانها ١٠٠٠٠٠٠٠ ١٦٤٠٠٠ هـ نسمة تقع في جنوب أوروبا وعاصمتها روما . . و تحتوى على مدينة الفاتيكان .

(١٧) المجر أو (مجيار) شعب هنغاريا ، وينتمى الى الفصيلة اللغوية الفينيقية - وكانوا قبائل رحل ، هاجروا ح ٤٦٠ من الأورال الى شرقي القوقاز . . حين اتصلوا بالشعوب التركية ، ومنهم تعلموا الزراعة واقتبسوا نظمهم السياسية والحربية . .

(١٨) الدنمارك مساحتها ٤٢٩٣١ كم ٢ وسكانها ١٠٠٠٠٠٠ ١٠٠٠ هـ نسمة مطلة في شمال غرب أوروبا واقصى جنوب البلاد الاسكندنافية . .

(١٩) كوبنهاجن ، عاصمة الدانمارك وهي ٧٥٣٣٦١ نسمة وتعتبر كوبنهاجن من اجمل مدن أوروبا . .

قد تعرضت هذه المدينة لهجمات متكررة . . ففي ١٨٠٧ قذف البريطانيون المدينة بالقنابل وكادوا يدمرونها كلها بعد ان رفضت الدانمارك المحايدة تسليم اسطولها .

اخذتها الالمان ١٩٤٠-١٩٤٥ وقذفها بالقنابل . وبها جامعة هي من الجامعات الاوربية القديمة ، أسست ١٤٧٩ م وتتألف من خمس كليات : اللاهوت والحقوق والطب والفلسفة والرياضيات والعلوم الطبيعية . . راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤٩٦ م

(20) زهرى : من الامراض التناسلية ، سببه احدى اللوبيات الرخوة ، و تنتقل عداوته غالبا بالاتصال الجنسي ، وقد تنتقل من الأم المصابة الى الجنين فسي اثناء الحمل و احيانا باللمس المباشر .

ويمكن الوقاية منه بنشر الثقافة الصحية والاجتماعية لمنع او تنظيم الاتصال الجنسي العابر (البغاء) ..

هذا هو رأى العلم الحديث . وأما الاسلام الذى نزل على محمد صلى الله عليه وسلم منذ اربعة عشر قرنا يقول : * ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقننا وساء سبيلا * ثم اوجب على كل من يففل ويفعل ذلك بعد الاحصان أن يرجم حتى يموت . ولدن لم يكن محصنا يجلد مائة جلدة ثم قال الله تعالى * قل للمؤمنين يفضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم * الاية * وقل للمؤمنات يفضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن * ثم أمر النساء المؤمنات بالحجاب فقال * يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى ان يعرفن فيوء ذين * وغير ذلك .

هذا هو العلاج الصحيح وأما نشر الثقافة الصحية والاجتماعية ليس بعلاج والدليل على ذلك ان الدول الكبرى المثقفة هي اسرع الدول الى اقتراح هذه الجريمة النكراء . .

(21) سلمان الفارسى (ت ٦٥٥) ، مجوسى ، تنصر ، وجد في البحث عن العقيدة الحقة رحل الى الشام ثم الى يثرب (المدينة المنورة) حيث التقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة . . واعتنق الاسلام وأضحى من مشهورى الصحابة ، أشار بحفر خندق في الاماكن الضعيفة للمدينة فحماها من هجوم الاحزاب في غزوة الخندق . اشتهر بالزهد والتقشف واتباع السنة النبوية المطهرة وقال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم (سلمان منا آل البيت) اشارة الى الأخوة الاسلامية الفذة . .

(22) حمى : ارتفاع في درجة الحرارة عن حدّها الطبيعي وهي صباها

٣٦ درجة او ٣٦.٥ درجة مئوية .

تقاس درجة الحرارة عادة بوضع مقياس الحرارة في الفم ويوضع في الشرج في حالة الوضع وصفار الاطفال وبعض المرضى الا ان درجة الحرارة بواسطة الشرج تكون اعلى منها بواسطة الفم بمقدار خمس الدرجة المئوية .

(23) فيينا ، مدينة ١٢١٤ كم ٢ وسكانها ١٧٦٠٧٨٤ نسمة

وهي عاصمة النمسا .

المراجع العربية والاجنبية

المراجع العربية

(حرف الهمزة)

- ١ - الله العلم ، بشير التركي ط سنة ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م
- ٢ - الله يتجلى في عصر العلم تأليف نخبة من العلماء الامريكيين بحفاسبة
السنة الدولية لطبيعيات الارض ت : الد مر اش سرحان القاهرة ١٩٦٨ م
- ٣ - الله والعلم الحديث تأليف عبد الرزاق نوفل ط الثالثة سنة ١٣٩٣ هـ
- ٤ - الله جل جلاله ، سعيد حوى ، ١٣٩٥ هـ ط ٢ منقحة
- ٥ - الله تأليف عباس محمود العقاد
- ٦ - الله نظرات في الكون والحياة ، عبد الجواد رجب سنة ١٣٩٤ هـ
- ٧ - أبوداود (السنن)
- ٨ - أباطيل يجب ان تمحى من التاريخ د . ابراهيم على شعوط سنة
١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م شارع يعقوب بالمالية .
- ٩ - اتجاهات هدامة في الفكر المعاصر د . محمد محمد حسين
- ١٠ - اتمام الوفاء في سير الخلفاء ، محمد الخضر مكتبة دار الدعوة
بحلب الطبعة الاولى المحققة ١٣٩٨ هـ
- ١١ - اثر العلم في المجتمع ، بيوترا ندرسل ت : تمام حسان مصر
- ١٢ - اثر العرب في الحضارة الاوربية ، عباس محمود العقاد دار المعارف
بمصر ١٩٦٠ م
- ١٣ - اثر العرب والاسلام في النهضة الادبية تأليف د . عبد الحليم منتصر
- ١٤ - احجار على رقعة الشطرنج ، وليام ذى كار بيروت ت : جزايرلى
ط . الاولى سنة ١٩٧٠ م
- ١٥ - الاخلاق ، موسوعة احمد امين الادبية

- ١٦ - الادوية المفردة ، عبدالله بن احمد البيطار المتوفى ١٤٦ هـ
- ١٧ - الأديان في القرآن ، تاليف محمود بن الشريف
- ١٨ - أساس البلاغة الزمخشري
- ١٩ - اساليب الغزو الفكري تاليف الاستاذين د . على جريش و محمد شريف الزبيد
- ٢٠ - الاسفار المقدسة ، دكتور وافي . ط . الثانية سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م
- ٢١ - اساطير الاغريق سلسلة تراث الانسانية مجموعة من الاساتذة الهيئة العامة مصر . .
- ٢٢ - الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير محمد بن محمد ، أبوشهبة سنة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م
- ٢٣ - أسس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ، تاليف سبيركين ياخوت ت : محمد الجندى ، دار التقدم موسكو
- ٢٤ - الاسلام في عصر العلم ، محمد فريد وجدى ط ٣ سنة ١٣٨٦ هـ ١٩٦٧ م بيروت
- ٢٥ - الاسلام وقضايانا المعاصرة ، احمد موسى سالم دار الجيل بيروت سنة ١٩٧٥ م
- ٢٦ - الاسلام في عصر العلم ، محمد احمد الغمراوي ، اعداد د . احمد عبد السلام الكردى ١٩٦٠ م
- ٢٧ - الاسلام ومشكلة الحضارة ، سيد قطب مصر سنة ١٩٦٧ م
- ٢٨ - الاسلام على مفترق الطرق محمد أسد ، ت : نجدة هاجر وزميله مصر ١٩٦٠ م
- ٢٩ - الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ط ٧ سنة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م
- ٣٠ - الاسلام في وجه الزحف الاحمر ، محمد الفزالي رجب سنة ١٣٨٦ هـ اكتوبر سنة ١٩٦٦ القاهرة

- ٣١ - الاسلام والنصرانية ، محمد عبدة .
- ٣٢ - الاسلام ومذهب داروين ، محمد باشميل ، جمارى الاولى ١٣٨٤ هـ
- ١٩٦٤ م
- ٣٣ - الاسلام والخلافة ، على الحسينى الخربوطلى ، بيروت ١٩٦٩ م
- ٣٤ - الاسلام والشيوعية ، وزارة الاوقاف الادارة العامة للدعوة
- مصر ١٩٧٦ م
- ٣٥ - الاسلام أو الشيوعية ، تأليف محمد عرفة ص ٣٦
- ٣٦ - الاسلام في الواقع الايدولوجى المعاصر د . محمد البهى سنة
- ١٩٧٠ م
- ٣٧ - الاسلام روح المدنية ، مصطفى الغلايينى المكتبة الاهلية
- سنة ١٣٤٩ هـ
- ٣٨ - الاسلام والعلم الحديث ، عبدالرزاق نوفل ط الثانية
- ٣٩ - اشتراكيتهن واسلا منا يشير العوفة بيروت ١٩٦٦ م
- ٤٠ - اصول الفلسفة الماركسية ، جورج بوليتزر ، ص بيسى ، موريس
- كافين
- ٤١ - أضواء البين ، محمد الأمين الشنقيطى مصر سنة ١٣٨٦ هـ
- ٤٢ - اظهار الحق رحمة الله الهندى ، تحقيق عمر الدسوقي ،
- الدار البيضاء ١٣٨٤ هـ
- ٤٣ - أزمة العصر ، محمد محمد حسين سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م
- ٤٤ - افكار ورجال ، جرين برنتن ، ت : محمود محمود مصر ١٩٦٥ م
- ٤٥ - الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام عبدالله التل ، عمان ٥ رجب
- ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ / ٨ / ٢٦ م
- ٤٦ - افريقيا القديمة ، تكتشف من جديد ، تأليف (باسيل دافين
- سون) ت : نبيل بدروسعد زغلول مراجعة محمود شرفى الكيال .

- ٤٧ - أفيون الشعوب ، المذاهب الهدامة ، عباس محمود العقاد ط ٦
سنة ١٩٧٧ م دار الاعتصام القاهرة فصل قدوة غير صالحة ص ٢٤
- ٤٨ - اقتصادنا ، محمد باقر الصدر ط الاولى سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٧ م
- ٤٩ - الامثال في القرآن ، محمود بن الشريف طبعة دار المعارف
- ٥٠ - الأمم المتحدة وموازن القوى المتحولة في الجمعية العامة ،
كميل داغر .
- ٥١ - الانسان بين المادية والاسلام ، محمد قطب مصر ١٩٥٧ م
- ٥٢ - الانسان في القرآن ، عباس محمود العقاد طبعة دار الهلال
- ٥٣ - الانسان ذلك المجهول ، اليكس كارل ، ت : شفيق اسعد
فريد بيروت
- ٥٤ - الأناجيل
- ٥٥ - الانسان بين العلم والدين ، شوقي ابو خليل ط ٢ ١٣٩٧ هـ
١٩٧٧ م
- ٥٦ - أوربا العصور الوسطى ، دكتور سميد عبد الفتاح عاشور
سنة ١٩٧٦ م

(حرف الباء)

- ٥٧ - البداية والنهاية لابن كثير مطبعة السعادة مصر
- ٥٨ - البداية أو النهاية ، ماركي تاشيلد و زميله ، ت : عادل حامد
بيروت
- ٥٩ - البستاني ، بطرس ، محيط المحيط
- ٦٠ - بروتوكوت حكماء الصهيون ت : محمد خليفة التونسي الطبعة
الخامسة - مصر .

(حرف التاء)

- ٦١ - التاريخ الاوربي الحديث ، تأليف د . عبد الحميد البطريق وزميله
سنة ١٩٧١ م
- ٦٢ - تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي
- ٦٣ - تاريخ الدعوة الاسلامية آدم ايلورى النجيري
- ٦٤ - تاريخ اوربا العصور الوسطى أه ت : فشر مصطفى زيادة مصر
سنة ١٩٦٦ م
- ٦٥ - تاريخ اخلاق اوربا تأليف ليكي ، نقلا عن كتاب ماذا خسّر
العالم بانحطاط المسلمين ، ابز الحسن الندوى
- ٦٦ - تاريخ العالم ، جمع جون ا . ه مرتن ، ت : ادارة الترجمة مصر .
- ٦٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم
- ٦٨ - التاريخ الاسلامي وأثره في الفكر التاريخي الاوربي في عصر
النهضة د . جمال الدين الشيال دار الثقافة بيروت ١٩٦٩ م
- ع ٨٠
- ٦٩ - تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون ، عملاز فروخ بيروت
طبعة دار العلم للملايين لبنان ١٣٩٢ م
- ٧٠ - تدهور الحضارة الغربية ، تأليف اسوالد سينفلر
- ٧١ - التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام ، محمد الفزالي .
- ٧٢ - التصريف لمن عجز عن التأليف خلف بن عباس الزهراوى
- ٧٣ - التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب سنة ١٣٩٤ هـ
١٩٧٤ م
- ٧٤ - تطور المجتمع الاميركي ، تأليف كينت لن ، ت : نعيم موسى
دار اليقظة سنة ١٩٦٦ م
- ٧٥ - تفسير المحيط ، تأليف محمد بن يوسف

- ٧٦ - تفسير النسفى
- ٧٧ - تفسير الجواهر للشيخ الطنطاوى
- ٧٨ - التفسير الكبير ، فخر الرازى
- ٧٩ - تفسير ابن سعود
- ٨٠ - تفسير الطوسى
- ٨١ - تفسير ابن كثير سنة ٧٧٤هـ
- ٨٢ - التفسير الاسلامى للتاريخ د . عماد الدين خليل (الصراع)
ص ٢٥١ سنة ١٩٧٥م
- ٨٣ - التفكير الفلسفى فى الاسلام ، عبد الحليم محمود شيخ الازهر
سابقا الطبعة الاولى سنة ١٩٧٤م
- ٨٤ - تكوين العقل الحديث و . هراندا ل ت : جورج طعمة دار
الثقافة
- ٨٥ - التلمود تاريخه وتعاليمه ، ظفر الدين خان ط ٢ دار النفائس
سنة ١٩٧٢م
- ٨٦ - تهافت العلمانية ، الدكتور عماد الدين خليل سنة ١٣٩٥هـ
- ٨٧ - التوراة ، مصطفى محمود الطبعة الاولى سنة ١٩٧٢م
- (حرف الجيم)
- ٨٨ - جامع البيان للشيخ السيد معين الدين محمد بن عبد الرحمن
الحسينى الشافعى سنة ٨٣٢ - ٨٩٤
- ٨٩ - جوهر القاموس ، مطبعة منشورات الكتب
- ٩٠ - الجفوة المفتعلة بين الدين والعلم ، محمد على يوسف
- ٩١ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية
- ٩٢ - جمهورية افلاطون ت : خباز بيروت
- ٩٣ - جاهلية القرن العشرين ، محمد قطب دار الشروق سنة ١٣٩٥هـ
- ١٩٧٥م

(حرف الحاء)

- ٩٤ - حاضر العالم الاسلامي ، لوثروب ستواردارد ، حواسن شكيب
ارسلان تنجياج نويهمض سنة ١٩٧٤ م
- ٩٥ - الحجاب لا بي الاعلى المودودي دار الفكر للطباعة والنشر
- ٩٦ - حرية الفكر ، سلاص موسى ، بيروت سنة ١٩٦١ م
- ٩٧ - حقوق الانسان في الاسلام ، مجمع البحوث الاسلامية ورعايته
- للقيم والمعاني الانسانية ، المؤتمرات السادس المحرم ١٣٩١ هـ
- مارس ١٩٧١ م فصل الاعلان العالمي لحقوق الانسان ص ١٢٧

(حرف الخاء)

- ٩٨ - خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ، سيد قطب ص ٣٢ سنة ١٩٦٥ م
- ٩٩ - خطر التبج والاختلاط ، عبد الباقي رمضون ، مؤسسة الرسالة
الطبعة الاولى سنة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م
- ١٠٠ - خلق الانسان بين الطب والقرآن د . محمد علي البار الطبعة
الاولى سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

(حرف الدال)

- ١٠١ - الدين و تاليف محمد عبدالله دراز ، دار القلم سنة ١٩٧٠ م
- ١٠٢ - دائرة معارف القرن العشرين محمد فريد وجدى
- ١٠٣ - دائرة معارف البستاني ، المستشرقون ت : محمد ثابت الفندى ،
وزملاؤه مصر ١٣٥٢ هـ
- ١٠٤ - الدين ، وحيد الدين خان طبع ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م
- ١٠٥ - ديانة المستقبل ، تاليف جون الوف بودين ، نقلا عن كتاب
عقائد المفكرين ، عباس محمود العقاد ، دار الكتب العربي بيروت

- ١٠٦ - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، موريس بوكاي ،
دار المعارف الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٧ م
- ١٠٧ - دراسات في النفس البشرية محمد قطب دار القلم
- ١٠٨ - الدين والدولة ، الدكتور البهي

(حرف الذال)

- ١٠٩ - الذات والغرائز ، سيجموند فرويد ت : محمد عثمان نجاشي
القاهرة ١٩٦١ م

(حرف الراء)

- ١١٠ - رائد الثقافة العامة ، كورنيلوس هيرشبوغ ت : محمد يوسف
نجم وزملاؤه ، بيروت ١٩٦٣ م
- ١١١ - الرد على الماديين ، محمد عبد المنعم الخفاجي
- ١١٢ - رسالة بولس لأهل رومية ، الاصحاح العاشر الاية ٥
- ١١٣ - روح الدين الاسلامي عفيف عبد الفتاح طيارة سنة ١٣٨٤ هـ
- ١١٤ - روح المعاني ، للألوسي (التفسير)

(حرف الزاي)

- ١١٥ - زاد المسير في علم التفسير ، الامام ابن الفرج
- ١١٦ - زعماء الاصلاح ، احمد امين ، القاهرة ١٩٦٥ م

(حرف السين)

- ١١٧ - سقوط العثمانية ، انور الجندي ط ١ سنة ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م
- ١١٨ - السبيل الى عالم افضل ، كارل بيكر ت : عبد العزيز اسماعيل
القاهرة ١٩٤٦ م
- ١١٩ - سفر التكوين والخروج والتثنية من التوراة .
- ١٢٠ - سلسلة تراث الانسانية ، مجموعة من الاساتذة ، الهيئة العامة
للكتاب مصر .

(حرف الشين)

- ١٢١ - شمس العرب تسطع على الغرب ، تأليف المستشرقه الالمانية
رينفريد هونكة ت : فاروق بيضون وزميله بيروت ١٩٦٩ م
- ١٢٢ - الشيوعية ، نظريا وعمليا كاريو هنت
- ١٢٣ - الشيوعية والانسانية ، عباس محمود العقاد بيروت ط ٢
- ١٢٤ - شرح الطحاوية القاضي ابن ابي العز الحنفي ، تحقيق
محمود شاكر مصر
- ١٢٥ - الشعر الجاهلي طه حسين

(حرف الصاد)

- ١٢٦ - صبح الاعشى - قلقشندى
- ١٢٧ - صحيح مسلم مع شرح النووى مصر
- ١٢٨ - صحيح البخارى مع شرح فتح البارى
- ١٢٩ - صراع مع الملاحدة حتى العظم ، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني
- ١٣٠ - الصنم الذى هوى ، ستة من كبار الغرب ت : فواد حمودة
- ١٣١ - الصحاح في اللغة والعلوم

(حرف الضاد)

- ١٣٢ - ضد دوهرنغ - دياليكتيك الطبيعية ، كارس ماركس وفردريك
انجلس موسكو الطبعة الالمانية ١٩٣٥ م

(حرف الطاء)

- ١٣٣ - الطريق الطويل للانسان ، روبرت ل. كبرمان ت : ثابت جرجس
بيروت ١٩٣٠ م
- ١٣٤ - الطريق الى الاسلام ، محمد اسد ت : عفيف بيروت ١٩٦٤ م

- ١٣٥ - الطفولة الجانحة جان شازال ت : انطوان عبده بيروت ١٩٧٢ م
١٣٦ - الطبرى ابن جرير (التفسير)

(حرف العين)

- ١٣٧ - معالم تاريخ الانسانية هـ . و . ويلز ت : عبد العزيز توفيق
هاود مصر ١٩٦٧ م
١٣٨ - عباقرة العلم ، تاليف يوسف كرم نقلا عن كتاب الاسلام ونظرية
دارون احمد باشميل
١٣٩ - عقائد المفكرين في القرن العشرين عباس محمود العقاد دار
الكتاب العربي بيروت
١٤٠ - العقل والدين ، وليم جيمس ت : محمود حسب الله مصر ١٣٦٨ هـ
١٤١ - العقل والمادة ، تاليف برتراند رسل ت : احمد ابراهيم
الشريف القاهرة ١٩٧٥ م
١٤٢ - العلمانية واثرها في الحياة الاسلامية (رسالة الماجستير)
للزميل صفر - جامعة الطوك عبد العزيز بمكة المكرمة
١٤٣ - العلم يدعوللايمان أ . كرسبى موريسون ت : صالح محمود
الفلكى ط ه يونيه سنة ١٩٦٥ م
١٤٤ - العلم اسراره وخفاياه مقدمة ج ٣ ، هارولد شابلى وزميلاه
ت : الفندى وزميله مصر ١٩٧١ م
١٤٥ - العلم والدين في الفلسفة المعاصرة احمد موسى سالم دار الجيل
بيروت سنة ١٩٧٥ م
١٤٦ - على مفترق الطرق ، محمد اسد ت : د . عمر فروخ ، دار العلم
للملايين
١٤٧ - عندما يحكم الطفافة ، فصل صناعة الزعيم تاليف د . جريشة
١٤٨ - العهد الجديد (الاناجيل والرسائل) مصر ١٩٧٦ م
١٤٩ - العهد القديم (التوراة) بيروت ١٩٥١ م

(حرف الزين)

١٥٠ - الفارة على العالم الاسلامي را.ل. شائلية ت : محب الدين الخطيب ط ٢ مصر

١٥١ - الفوز الصليبي والعالم الاسلامي ، تليف الدكتور عبد الحلیم محمود

١٥٢ - الفوز الفكري ، جلال كشك ط ٣ الكويت

(حرف الفاء)

١٥٣ - في ظلال القرآن (التفسير) سيد قطب

١٥٤ - فتح القدير (التفسير) محمد الشوكاني

١٥٥ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، عبد الرحمن حسن ، تحقيق النقي القاهرة ١٣٧٧هـ

١٥٦ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، الحافظ ابن حجر مصر المطبعة السلفية ١٣٦٠هـ

١٥٧ - الفتاوى للشيخ شلتوت محمود طبعة الادارة العامة للثقافة

الاسلامية بالازهر جمادى الآخرة ١٣٧٩هـ ديسمبر ١٩٥٩م

١٥٨ - فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ، زكريا هاشم زكريا هاشم مصر .

١٥٩ - فرويد وبافلوف هاري ويلز ت : شوقي جلال مصر

١٦٠ - الفضاء الكوني نقلا عن كتاب الانسان بين العلم والدين تليف شوقي ابو خليل

١٦١ - فقه الدعوة ، جمعة احمد حسن من ظلال القرآن لسيد قطب

١٦٢ - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د . محمد البهي ط ٦ ١٩٧٣م

- ١٦٣ - الفكر الاسلامي والمجتمع المعاصر د . محمد البهي
- ١٦٤ - فلسفتنا محمد باقر الصدر الطبعة التاسعة سنة ١٣٩٩ هـ
- ١٩٨٩ م
- ١٦٥ - فلسفة العلم الطبيعي تأليف (أونجتون) نقلا عن كتاب عقائد المفكرين ، عباس محمود العقاد ص ٥٩
- ١٦٦ - فن البحث العلمي ك . ا . ب بفروج ت : زكريا فهمي الالف كتاب ١٩٦٣ م
- (حرف القاف)
- ١٦٧ - القرطبي (التفسير) الجامع لاحكام القرآن عبد الله محمد احمد الانصارى .
- ١٦٨ - قادة الغرب يقولون د مروا الاسلام . . جلال العالم ط ٢ بيروت
- ١٦٩ - القانون لابن سينا طبعة روما سنة ١٥٩٣ م
- ١٧٠ - قذائف الحق ، محمد الفزالي منشورات المكتبة المصرية بيروت
- ١٧١ - قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، نديم الجسر مفتي طرابلس الشرقي من منشورات المكتبة الاسلامية ط ٣ ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م
- ١٧٢ - قصة الحضارة ، ول ديورانت ت : محمد بدران القاهرة ١٩٥٧ م
- ١٧٣ - قصص الانبياء للشيخ عبد الوهاب النجار
- ١٧٤ - قواعد المنهج في علم الاجتماع تأليف اميل دوركايم ت : الدكتور محمود قاسم ومراجعة الدكتور محمد بدوى مقدمة الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٧٤ م
- ١٧٥ - القومية العربية في ضوء الاسلام ، رسالة ماجستير للزميل صالح العبودى - جامعة الطوك عبد العزيز بمكة المكرمة .
- ١٧٦ - القومية العربية في القرن العشرين ، تأليف دكتور توفيق برو د مشق .

(حرف الكاف)

- ١٧٧ - كارل ماركس ، مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي ، المادية
الديالكتيكية والمادية التاريخية
- ١٧٨ - كتاب ميلاد الشمس وموتها الذي صدر عام ١٩٤٠ م
تأليف جورج جاموت : نقلا عن كتاب الانسان بين العلم والدين
شوقي ابو خليل ص ٣٢
- ١٧٩ - كتاب حياة الارض الذي صدر عام ١٩٤١ م للمؤلف نفسه نقلا
عن كتاب الانسان . . المذكور
- ١٨٠ - كفاحي ، يونس الحاج
- ١٨١ - الكشف (التفسير) ، زمخشري
- ١٨٢ - الكنز المرصود في قواعد التلمود د . روهكنج وزميله ت . يوسف
حنا نصر الله بيروت
- ١٨٣ - كيف نحارب الالحاد تأليف محمد باشميل ط ١ سنة ١٣٩٧ هـ
١٩٦٧ م

(حرف اللام)

- ١٨٤ - لمحة عن تطور المجتمع منذ بدء التاريخ ، المكتبة الانكليزية
بدمشق تأليف ل . سينغال

(حرف الميم)

- ١٨٥ - ما يقال عن الاسلام ، العقاد
- ١٨٦ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ابو الحسن الندوي
- ١٨٧ - مبادئ الاسلام للمودودي
- ١٨٨ - مجلة الدعوة المصرية العدد ٣٦ / ١٣٩٨ هـ
- ١٨٩ - مجلة روز اليوسف عدد ١٧ / ٢ / ١٩٧٥ م ص ٦ ، ٧ ، ٨
- ١٩٠ - المجتمع روم ماليفر وزميله ت : علي احمد عيسى مصر ١٩٦١

- ١٩١ - محاضرات في النصرانية ابوزهرة طه الكويت ١٩٧٦
- ١٩٢ - مختصر دراسة التاريخ ، ارنولد توينبي ت : فواد نهيل
القاهرة ١٩٦١ م
- ١٩٣ - مذهب النشوء والارتقاء ، منيرة على الغاياتي تقديم محمد
البهي مصر ١٩٦٥ م
- ١٩٤ - مدخل الى علم السياسة هارولد لاسكى ت : عز الدين محمد
البهي مصر ١٣٥٥ هـ
- ١٩٥ - المذاهب المعاصرة ، عبد الرحمن عبيرة ص ٧٧
- ١٩٦ - المرأة في عصر ديمقراطية و اسماعيل مظهر ، مصر ١٩٤٩ م
- ١٩٧ - المرأة بين الفقه والقانون ، مصطفى السباعي المكتبة الاسلامية
- ١٩٨ - مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام تاليف يوسف
كمال محمد ١٩٧٤ م
- ١٩٩ - المستقبل لهذا الدين سيد قطب
- ٢٠٠ - المسلمون تحت الحكم الشيوعي ، محمد سامى عاشور
- ٢٠١ - المسلمون تحت السيطرة الشيوعية محمد شاكر
- ٢٠٢ - المشكلة الاخلاقية والفلسفة ، كرسون ت : عبد الحليم
محمود ط ٢ القاهرة
- ٢٠٣ - مصير الانسان ، ليكونت دى نوى ت : خليل الجسر المنشورات
العربية .
- ٢٠٤ - مصطفى كمال الذئب الاغبر ، ارمسترونج دار الهلال ١٩٥٢ م
- ٢٠٥ - المملكات السبع (ديوان التابغة الذبياني) احمد بن الحسين
الزوني المتوفي عام ٤٦٨ هـ راجعه الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي
- ٢٠٦ - معجزة القرآن ، محمد متولى الشعراوى (كتاب اليوم) ١٣٥٩ هـ
١٩٧٩ م

- ٢٠٧ - معالم في الطريق ، سيد قطب مصر
- ٢٠٨ - مع الله ، نظرات في الكون عبد الجواب رجب
- ٢٠٩ - المفسدون في الارض س. ناجي دمشق ١٩٧٣ م
- ٢١٠ - مقارنة الاديان ، احمد شلبي
- ٢١١ - مقرر علم التوحيد وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية للمصنف

الثالث الثانوى

- ٢١٢ - المقدمة عن سنن ابن ، المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية
- ٢١٣ - مقدمة ابن خلدون
- ٢١٤ - مقاييس اللغة ، ابن فارس
- ٢١٥ - مكائد يهودية عبر التاريخ ، عبد الرحمن حبنكة الميداني سنة
- ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م
- ٢١٦ - ضائع الفكر الحديث ، جود ، ت. عباس فضل حماس سنة
- ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م العراق
- ٢١٧ - منهج البحث العلمى عند العرب في العلوم الطبيعية او الكونية
- جلال محمد عبد الحميد موسى
- ٢١٨ - المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية ، افوار الجندى دار
- الاعتصام سنة ١٩٧٧ م تحت عنوان الفلسفة المادية ص ١٧٣
- ٢١٩ - المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ، محمد محمود الصواف ١٣٩٢ هـ
- ٢٢٠ - ضائع الفلسفة ، لى ديورانت ط ١ ص ٦-٧ عن كتاب
- الموسوعة العربية الميسرة ، صورة طبق الاصل من طبعة ١٩٦٥ م
- ٢٢١ - الموجز في التحليل النفسى لفرويد سيجموند ت : احمد زكى

مصر ١٩٦٣ م

- ٢٢٢ - موقف العقل والعلم من رب العالمين وعبادة المرسلين تأليف مرطوف
- صبرى شيخ الاسلام للدولة العثمانية سابقا سنة ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م
- المكتبة الاسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ

٢٢٣ - المنار . . (التفسير) تأليف رشيد رضا

٢٢٤ - الموطأ (السنن) الامام مالك بن انس

(حرف النون)

٢٢٥ - نحن والحضارة الغربية ، ابو الاعلى المودودي

٢٢٦ - نحو التربية الاسلامية الحرة ابو الحسن الندوي مصر ١٣٩١ هـ

٢٢٧ - نظام المستشفيات البيمارستانات ، عبدالله بن احمد البيطار

المتوفي ٦٤٦ هـ

٢٢٨ - نظم الحكم الحديثة ، ميشيل ستوارت ت : احمد كامل القاهرة

١٩٦٢ م

٢٢٩ - نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيه ، قيس القرطاس

بيروت ١٣٩١ هـ

٢٣٠ - نظام الحكم والسياسة في الولايات المتحدة ، هارولد رينك القاهرة

٢٣١ - نقد الفكر الديني ، تأليف جلال الدين العظم

(حرف الهاء)

٢٣٢ - هل نحن مسلمون ، محمد قطب دار الشروق سنة ١٣٩٨ هـ

١٩٧٨ م

٢٣٣ - هزيمة الشيوعية في العالم الاسلامي ، انوار الجندی

(حرف الواو)

٢٣٤ - ابو الجود الحق ، د . حسن هويدى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م بيروت

(حرف الياء)

٢٣٥ - اليهود في القرآن ، عفيف طيارة .

المراجع الأجنبية

أولا - الفرنسية :

- 1 . VOLTAIRE ESSAI SUR LES MOEURS P.14
- 2 . POUSSEAU, DISCOURS SUR L'ORIGINE ET LE FONDAMENT
DE L'INGALITE , PARIS LES HOMMES
- 3 . CHACHOIN , EVOLUTION DES IDEES RELIGIEUSES P.158
- 4 . MAX NORDAU , REPOSE AU MRCREURE DE FRANCE PARIS 1908
- 5 . SALOMON REINACH, ORPHEUS, P.356
LARESUSSE DU XXEME SIECLE ARTICLE RELIGION
- 6 . ENRI BERGSON , LES DEUX SOURCES DE LA MORALE, ET DE LA
RELIGION P.105
- 7 . B.DT, HISTORIE MAHOMET ET LE CORAN P.XXXIV
- 8 . DURKHEIM , OUV , CITE P. 343

ثانيا - الانكليزية :

- 9 . UNIVERSAL HISTORY OF THE WORLD .
- 10 . ENCYCLOPADE DIA OF SCIENCE 1957 VOL 13. P. 233
- 11 . MAN IN THE MODERN WORLD p.130
- 12 . LININ , DELECTED WORKS MOSCOW .1947 VOL 11 P. 667
- 13 . RELIGION , IN THE MIDDEL EAST A.J. ABBER . VOL. 2
P. 606 - 607
- 14 . ENCY. BRITANNICA VOL IX P. 19
- 15.. CHALES OWEN , HISTORY OF ENGLAND BEFORE THE NORMAN
CONQUEST , 1910
- 16 . HISBSTANTIMES SUNDAY MAGAZINE , SEPT.24, 1961
- 17 . CONFLICT OF REGILGIOM AMD SCIENCE.

الفهرس

رقم الصفحة

الباب الثاني

مناقشة الملحدين

١	الفصل الاول : قضايا الملاحدة
٢	اصل الكون
٣	اصل الكون والفروض التي قدمها الملاحدة
٦	الفرض الاول
٦	الفرض الثاني
٧	الفرض الثالث
٨	عودة الى نظرية التصادم
١٠	موقف القرآن من اصل الكون
١٣	القرآن معجزة قد بما وحد بها
١٦	الفصل الثاني : تشاة الحياة وتنوعها
١٨	روسبا الملحدة تبحث عن نشاة الحياة
١٩	الفصل الثالث : الطبيعة والصدفة
٢٣	الحلم والدين بقاتلان فكرة المصادفة العمياء
٣٣	الحلم يبطل فكرة المصادفة
٣٥	شهادة علم الهندسة
٣٥	شهادة علم الطبيعة
٣٧	شهادة علم الفلك في ابطال فكرة المصادفة
٣٩	هذا غريب من غرائب الفكر الاحادي
٤٢	الدين يبطل عقيدة الصدفة العمياء
٤٧	الافاق والانفس
٥١	قانون الصدفة
٥٦	حجة شيطانية
٦٢	الدكتور العظم والحجة الشيطانية
٦٤	الفدارة السلبية تفر معرفة الله بدون احاطة
٧٠	

٧٤	الفصل الرابع : الدين يتعارض مع العلم الحديث
٧٨	العلم يدعو الى الايمان
٨١	المادة أم الله
٨٦	مفهوم المادة والمادية
٨٧	الالحاد وقوانين المادة
٩٢	الاساس الاول للاشعور ونقضه
١٠١	الاساس الثاني مقارنة الاديان
١٠٢	المذهب التطوري
١٠٢	المذهب الفطري
١٠٣	خطأ علماء المقارنة
١٠٤	موقف منحرف
١٠٨	العقل الجمعي ونشأة الدين
١١٠	نقض نثرية دوركاثم
١١٢	اهل مكة أدري بشعابها
١١٤	اما الناحية الدينية
١١٤	وقفات عند الالة
١٢٠	مدى تاثير المجتمع في الانسان
١٢٢	الاساس الثالث - الكشف الكوبرنيكي
١٢٤	موقف الاسلام ازاء الكشف الكوبرنيكي
١٢٤	السؤال الاول
١٢٥	السؤال الثاني
١٢٩	قوانين الكون
١٣٠	دوران الارض والجبال
١٣١	حقيقة تجب الاشارة اليها
١٣٢	الحركة اليومية للأرض
١٣٤	حركة الأرض السنوية حول الشمس
١٣٦	موقف الزمخشري من هذه الالة
١٣٦	عودة الى ادلة المفسرين
١٤٠	السؤال المحجب
١٤١	من هدايا القرآن

- ١٤٣ وأما العلم الحديث فيتحدث عن سبع السموات على النحو التالي
١٤٦ ما لم يصل اليه العلم الحديث
١٤٧ خطأ واضح
١٤٩ وشهد شاهد من اهله
١٤٩ شاهد من الفاتكان

الباب الثالث

توطئة

- ١٥٣ آثار الالحاد في الحياة الالهرية
١٥٥ ابن موضع الداء
١٥٦ فئة ادركت موضع الداء وليس عندها الداء
١٥٨ الفصل الأول : أثر الالحاد في الفكر الالهرية
١٥٩ وجاء ديكارت
١٦٠ مقاومة فرنسيس بيكون للفلسفة الدينية
١٦٤ وقفة قلبلة مع رواد الفكر الالهرية
١٦٦ الالحاد والدولتان العظيمتان
١٦٧ الفصل الثاني : أثر الالحاد في الحكم والسياسة
١٦٨ اول دعوة الى فصل الدين عن الحكم والسياسة
١٧٠ مظاهر الالحاد من المظاهر الجديدة
١٧١ المساواة الفارعة
١٦٢ أوربيون ينقضون هذه الديمقراطية المنحرفة
١٧٥ بيع العبيد السود
١٧٥ قصة تجارة العبيد في الاسواق الالهرية
١٧٧ تقارير ليربول
١٧٨ الفصل الثالث : الخمر وعجز القوانين الوضعية
١٨٢ عدد المرضى
١٨٤ تأملات في هذا التقرير
١٨٥ كيف تم تحريم الخمر في الاسلام
١٨٧ امامنا تجربتان
١٩١ من بركات التشريع الاسلامي

١٩٢	الحل الاسلامي لهذه العقدة
١٩٣	الاحاد والجمل الانساني
١٩٦	الدكتور الكسيس كاريل يتكلم
٢٠١	<u>الفصل الرابع : مشكلة العقوبات في القوانين الموضعية</u>
٢٠١	أولا في الشريعة
٢٠٢	ثانيا عند الملاحدة
٢٠٣	المملكة العربية خبر شاهد
٢٠٥	فماذا أقول
٢٠٦	<u>الفصل الخامس : ظهور اثار الاحاد في الدول الكبرى</u>
٢٠٧	فرنسا ام الحضارة الاباحية
٢٠٨	قلة الزواج في فرنسا
٢٠٩	المدوى في مستعمراتها
٢١١	السويد
٢١٢	العلاقات الجنسية البشعة في السويد
٢١٣	الحال في امريكا
٢١٦	انشاء غرف ولادة في جميع المدارس
٢١٧	وفي روسيا المتحدة ايضا
٢١٨	نظرة عابرة في بريطانيا
٢١٨	القصة المجهية من بريطانيا
٢٢٠	وفي المجر
٢٢٠	وفي الدانمارك
٢٢٢	كوبنهاجن تصدر المداييع الجنسية
٢٢٣	أوربا عامة
٢٢٥	الخلاصة
٢٢٦	<u>الفصل السادس : اسباب تدمير الأمم والشعوب</u>
٢٢٨	قوم عاد
٢٢٨	قوم لوط
٢٢٩	أهل مدين
	انتحار الحضارة الغربية

٢٣٤	الفصل السابع : عقوبة الفطرة
٢٣٦	المقومات تجري اليوم في عروق الملاحدة
٢٣٧	امراة تنتحر
٢٣٧	محاولات الانتحار
٢٣٩	المطالبة بحرية اللواط في امريكا
٢٤٠	رجل يعقد على رجل في دول الشمال الاسكندنافية
٢٤٠	الزواج رجعى في الشيوعية
٢٤٣	شيطانان قد غلبا على الملاحدة
٢٤٤	الاستعدادات الحربية لتدمير العالم
٢٤٧	الوراثة الارضية من جديد
٢٤٨	الفصل الثامن : حضارة لا تلائم الانسان
٢٤٩	اولا التحرر الكامل من عبودية انسان على انسان
٢٥٠	ثانيا ان يكون التجمع على امر يتعلق بارادتهم
٢٥١	ثالثا ان تكون انسانية الانسان هي موضع احترام
٢٥٢	رابعا وخامسا ان تكون الاسرة قاعدة التجمع
٢٥٤	اولا شهادة الكسيس كاريل
٢٥٦	ثانيا ول ديورانت
٢٥٨	ثالثا شهادة الاستاذ ابي العلا المودودى
٢٦٠	كيف الخلاص من الالحاد
٢٦٣	الله الذى نؤمن به
٢٦٤	صفات الله عز وجل
٢٧٢	حواشى الباب الثانى
٢٧٥	حواشى الباب الثالث
٢٨٥	المراجع العربية والاجنبية
٣٠٢	الفهارس